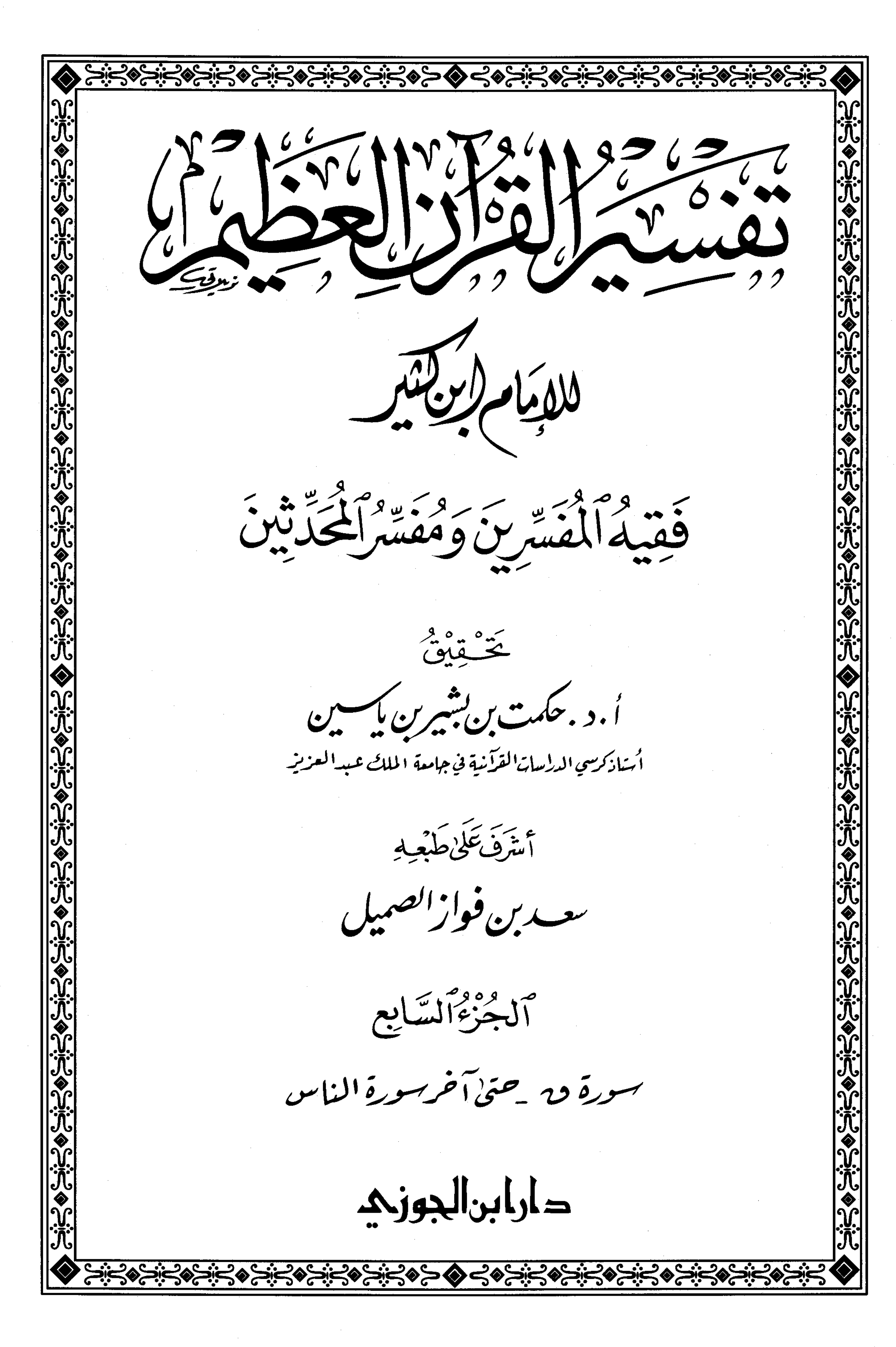


تفسير القرآن العظيم

للإمام ابن كثير

فقيه المفسرين ومفسر المحدثين

تحقيق

أ. د. حكمت بن بشير بن ياسين

أستاذ كرسي الدراسات القرآنية في جامعة الملك عبد العزيز

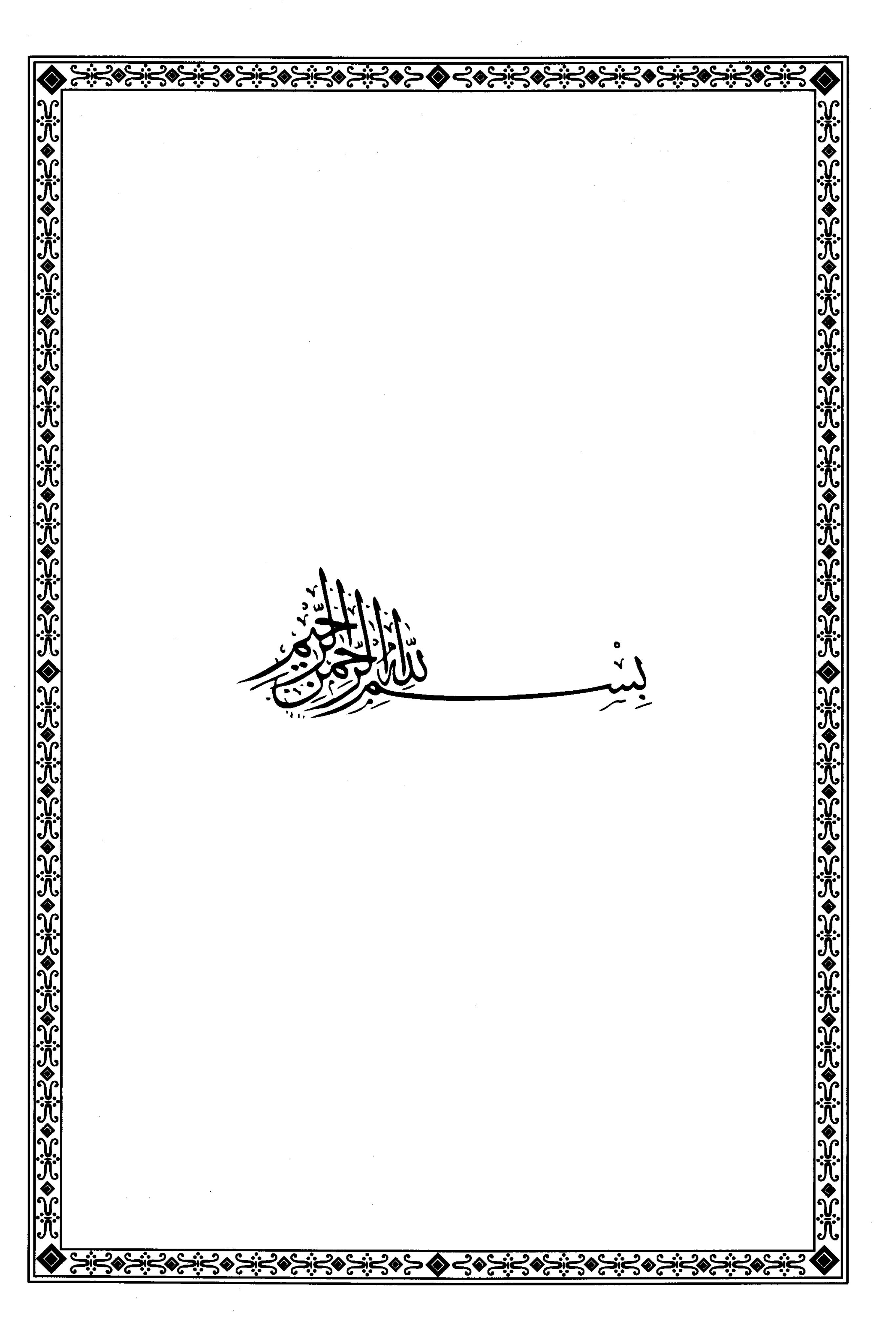
أشرف على طبعه

سعد بن فواز الصميل

الجزء السابع

سورة ق - حتى آخر سورة الناس

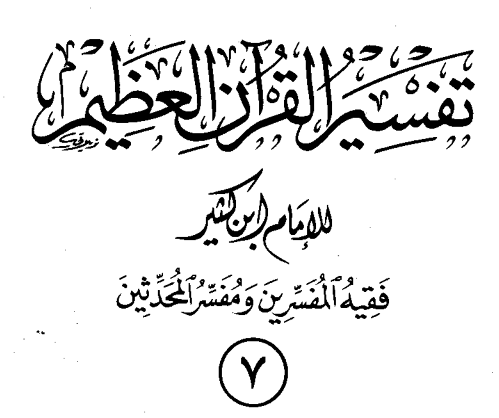
دار ابن الجوزي


بسم الله الرحمن الرحيم

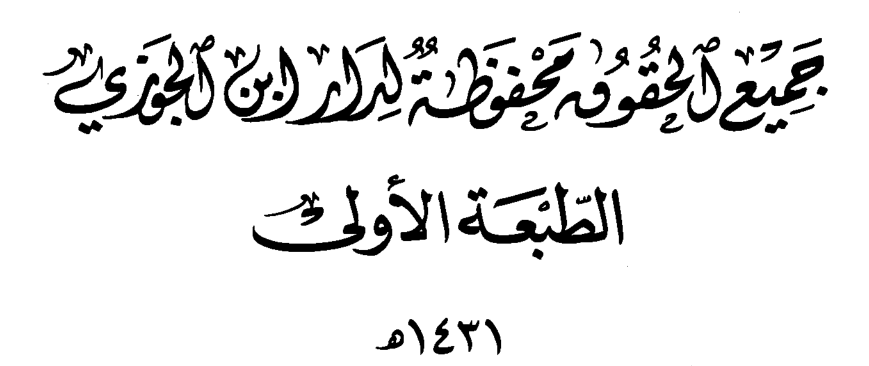
قال الإمام الشوكاني رحمه الله عن تفسير ابن كثير رحمه الله

وهو من أحسن التفاسير إن لم يكن أحسنها

« البدر الطالع ١/١٥٣ »







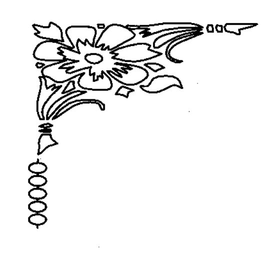
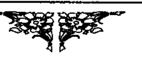
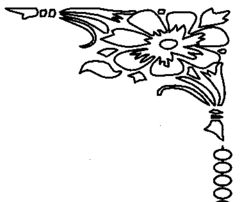


دار ابن الجوزي

للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية: الدمام - طريق الملك فهد - ت: ٨٤٢٨١٤٦ - ٨٤٦٧٥٩٣، ص ب: ٢٩٨٢ - الرمز البريدي: ٣١٤٦١ - فاكس: ٨٤١٢١٠٠ - الرياض - تلفاكس: ٢١٠٧٢٢٨ - جوّال: ٠٥٠٣٨٥٧٩٨٨ الإحساء - ت: ٥٨٨٣١٢٢ - جدة - ت: ٦٣٤١٩٧٣ - ٦٨١٣٧٠٦ - **بيروت** - هاتف: ٠٣/٨٦٩٦٠٠ - فاكس: ٠١/٦٤١٨٠١ - **القاهرة** - ج.م.ع - محمول: ٠١٠٦٨٢٣٧٨٣ - تلفاكس: ٠٢٤٤٣٤٤٩٧٠

البريد الإلكتروني: **aljawzi@hotmail.com - www.aljawzi.com**

سُورَةُ قٓ

وهي مكية

هذه السورة هي أول الحزب المفصل على الصحيح وقيل من الحجرات. وأما ما يقوله العوام إنه من (عم) فلا أصل له ولم يقله أحد من العلماء المعتبرين فيما نعلم. والدليل على أن هذه السورة هي أول المفصل ما رواه أبو داود في سننه «باب تحزيب القرآن» ثم قال: حدثنا مسدد، حدثنا قران بن تمام، حدثنا عبد الله بن سعيد أبو سعيد الأشج، حدثنا أبو خالد، سليمان بن حيّان، وهذا لفظه: عن عبد الله بن عبد الرحمٰن بن يعلى، عن عثمان بن عبد الله بن أوس، عن جده، قال عبد الله بن سعيد: حدثنيه أوس بن حذيفة ثم اتفقا قال: قدمنا على رسول الله ﷺ في وفد ثقيف، قال: فنزلت الأحلاف على المغيرة بن شعبة، وأنزل الرسول ﷺ بني مالك في قبة له، قال مسدد: وكان في الوفد الذين قدموا على رسول الله ﷺ من ثقيف، قال: كان رسول الله ﷺ كل ليلة يأتينا بعد العشاء يحدثنا، قال أبو سعيد، قائماً على رجليه حتى يراوح بين رجليه من طول القيام، فأكثر ما يحدثنا به ﷺ ما لقي من قومه قريش ثم يقول ﷺ: «لا سواء وكنا مستضعفين مستذلين ـ قال مسدد بمكة ـ فلما خرجنا إلى المدينة كانت الحرب سجالاً بيننا وبينهم ندال عليهم ويدالون علينا» فلما كانت ليلة أبطأ عنا ﷺ عن الوقت الذي كان يأتينا فيه، فقلنا: لقد أبطأت علينا الليلة، قال ﷺ: «إنه طرأ علي حزبي من القرآن فكرهت أن أجيء حتى أتمه». قال أوس: سألت أصحاب رسول الله ﷺ كيف يحزبون القرآن؟ فقالوا: ثلاث وخمس وسبع وتسع وإحدى عشرة وثلاثة عشرة، وحزب المفصل وحده[١]، ورواه ابن ماجه، عن أبي بكر بن أبي شيبة، عن أبي خالد الأحمر به، ورواه الإمام أحمد، عن عبد الرحمٰن بن مهدي، عن عبد الله بن عبد الرحمٰن هو ابن يعلى الطائفي به[٢].

إذا علم هذا فإذا عددت ثمانياً وأربعين سورة فالتي بعدهن سورة ق. بيانه ثلاث: البقرة وآل عمران والنساء. وخمس: المائدة والأنعام والأعراف والأنفال وبراءة. وسبع: يونس وهود ويوسف والرعد وإبراهيم والحجر والنحل. وتسع: سبحان والكهف ومريم وطه والأنبياء والحج والمؤمنون والنور والفرقان. وإحدى عشرة: الشعراء والنمل والقصص والعنكبوت والروم ولقمان

---

(١) أخرجه أبو داود بسنده ومتنه (السنن، الصلاة، باب تحزيب القرآن ح١٣٩٣) وضعفه الألباني في ضعيف سنن أبي داود (ح٢٩٧).

(٢) سنن ابن ماجه، الإقامة، باب في كم يستحب يختم القرآن (ح١٣٤٥)، وأخرجه الإمام أحمد عن عبد الرحمٰن بن مهدي به وفي آخره: وحزب المفصل: من قاف حتىٰ يختم. (المسند ٢٦/ ٨٩ ح١٦١٦٦) وضعف سنده محققوه.

و﴿الٓمٓ﴾ السجدة والأحزاب وسبأ وفاطر ويس. وثلاث عشرة: الصافات وص والزمر وغافر وحم السجدة وحم عسق والزخرف والدخان والجاثية والأحقاف والقتال والفتح والحجرات. ثم بعد ذلك الحزب المفصل كما قاله الصحابة ﷺ. فتعين أن أوله سورة ق. وهو الذي قلنا، ولله الحمد والمنة.

وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرحمٰن بن مهدي، حدثنا مالك، عن ضمرة بن سعيد، عن عبيد الله بن عبد الله أن عمر بن الخطاب سأل أبا واقد الليثي: ما كان رسول الله ﷺ يقرأ في العيد؟ قال: بقاف واقتربت[١]، ورواه مسلم وأهل السنن الأربعة من حديث مالك به[٢]. وفي رواية لمسلم، عن فليح، عن ضمرة، عن عبيد الله، عن أبي واقد قال: سألني عمر ﷺ، فذكره[٣].

حديث آخر:

وقال أحمد: حدثنا يعقوب، حدثنا أبي، عن ابن إسحاق، حدثني عبد الله بن محمد بن أبي بكر بن عمرو بن حزم، عن يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمٰن بن سعد بن زرارة، عن أم هشام بنت حارثة قالت: لقد كان تنورنا وتنور النبي ﷺ واحداً سنتين أو سنة وبعض سنة، وما أخذت ﴿قٓ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ ۝١﴾ [ق] إلا على رسول الله، وكان يقرؤها كل يوم جمعة على المنبر إذا خطب الناس[٤]. رواه مسلم من حديث ابن إسحاق به[٥].

وقال أبو داود: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن حبيب، عن عبد الله بن محمد بن معن، عن ابنة الحارث بن النعمان قالت: ما حفظت ﴿قٓ﴾ إلا من فِي رسول الله ﷺ يخطب بها كل جمعة. قالت: وكان تنورنا وتنور رسول الله ﷺ واحداً[٦]. وكذا رواه مسلم والنسائي وابن ماجه من حديث شعبة به[٧].

والقصد أن رسول الله ﷺ كان يقرأ بهذه السورة في المجامع الكبار: كالعيد والجُمَع لاشتمالها على ابتداء الخلق، والبعث والنشور والمعاد والقيام والحساب، والجنة والنار والثواب والعقاب والترغيب والترهيب.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٥/ ٢١٧)، وسنده صحيح.

(٢) صحيح مسلم، صلاة العيدين، باب ما يقرأ به في صلاة العيدين (ح٨٩١)، وسنن أبي داود، الصلاة، باب ما يقرأ في الأضحىٰ والفطر (ح١١٥٤)، وسنن الترمذي، الصلاة، باب ما جاء في القراءة في العيدين (ح٥٣٤)، والسنن الكبرىٰ للنسائي. التفسير، باب سورة القمر (ح١١٥٥٠)، وسنن ابن ماجه، الإقامة، باب القراءة في صلاة العيدين (ح١٢٨٢).

(٣) صحيح مسلم، الباب السابق (ح٨٩١/ ١٥).

(٤) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٦/ ٤٣٥) وسنده صحيح.

(٥) صحيح مسلم، الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة (ح٨٧٣).

(٦) سنن أبي داود، الصلاة، باب الرجل يخطب على قوس (ح١١٠٠) وسنده صحيح.

(٧) صحيح مسلم، الباب السابق (ح٨٧٣/ ٥١)، وسنن النسائي، الجمعة باب القراءة في الخطبة ٣/ ٧.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ ۝١ بَلۡ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡ فَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَيۡءٌ عَجِيبٌ ۝٢ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗاۖ ذَٰلِكَ رَجۡعُۢ بَعِيدٞ ۝٣ قَدۡ عَلِمۡنَا مَا تَنقُصُ ٱلۡأَرۡضُ مِنۡهُمۡۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظُۢ ۝٤ بَلۡ كَذَّبُواْ بِٱلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡ فَهُمۡ فِيٓ أَمۡرٖ مَّرِيجٍ ۝٥﴾.

﴿قٓ﴾ حرف من حروف الهجاء المذكورة في أوائل السور كقوله تعالى: ﴿صٓ﴾ و﴿نٓ﴾ و﴿الٓمٓ﴾ و﴿حمٓ﴾ و﴿طسٓ﴾ ونحو ذلك، قاله مجاهد وغيره.

وقد أسلفنا الكلام عليها في أول سورة البقرة بما أغنى عن إعادته، وقد روي عن بعض السلف أنهم قالوا: ﴿قٓ﴾ جبل محيط بجميع الأرض يقال له جبل قاف[1]، وكأن هذا، والله أعلم، من خرافات بني إسرائيل التي أخذها عنهم بعض الناس لما رأى من جواز الرواية عنهم مما لا يصدق ولا يكذب، وعندي أن هذا وأمثاله وأشباهه من اختلاق بعض زنادقتهم، يلبسون به على الناس أمر دينهم، كما افترى في هذه الأمة مع جلالة قدر علمائها وحفاظها وأئمتها أحاديث عن النبي ﷺ وما بالعهد من قدم فكيف بأمة بني إسرائيل مع طول المدى وقلة الحفاظ النقاد فيهم وشربهم الخمور، وتحريف علمائهم الكلم عن مواضعه وتبديل كتب الله وآياته؟ وإنما أباح الشارع الرواية عنهم في قوله: «وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج»[2] فيما قد يجوزه العقل، فأما فيما تحيله العقول ويحكم فيه بالبطلان ويغلب على الظنون كذبه فليس من هذا القبيل، والله أعلم.

وقد أكثر كثير من السلف من المفسرين، وكذا طائفة كثيرة من الخلف من الحكاية عن كتب أهل الكتاب في تفسير القرآن المجيد، وليس بهم احتياج إلى أخبارهم، ولله الحمد والمنة، حتى أن الإمام أبا محمد عبد الرحمٰن بن أبي حاتم الرازي، رحمة الله عليه، أورد هٰهنا أثراً غريباً لا يصح سنده عن ابن عباس فقال: حدثنا أبي قال: حُدثت عن محمد بن إسماعيل المخزومي، حدثنا ليث بن أبي سليم، عن مجاهد، عن ابن عباس قال: خلق الله من وراء هذه الأرض بحراً محيطاً بها، ثم خلق من وراء ذلك البحر جبلاً يقال له قاف، سماء الدنيا مرفوعة عليه، ثم خلق الله تعالى من وراء ذلك الجبل أرضاً مثل تلك الأرض سبع مرات، ثم خلق من وراء ذلك بحراً محيطاً بها، ثم خلق من وراء ذلك جبلاً يقال له قاف السماء الثانية مرفوعة عليه، حتى عدّ سبع أرضين وسبعة أبحر وسبعة أجبل وسبع سمٰوات، قال: وذلك في قوله تعالى: ﴿وَٱلۡبَحۡرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦ سَبۡعَةُ أَبۡحُرٖ﴾[3] [لقمان: ٢٧]. فإسناده هذا الأثر فيه انقطاع، والذي رواه علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس في قوله: ﴿قٓ﴾ هو اسم من أسماء الله ﷻ[4].

---

(١) ذكره الطبري بنحوه دون نسبته لأحد.

(٢) أخرجه البخاري من حديث عبد الله بن عمرو ﷺ (الصحيح، أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل ح٣٤٦١).

(٣) سنده ضعيف لابهام شيخ أبي حاتم الرازي.

(٤) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق علي به.

والذي ثبت عن مجاهد: أنه حرف من حروف الهجاء[(١)] كقوله تعالى: ﴿صٓ﴾، ﴿نٓ﴾، ﴿حمٓ﴾، ﴿طسٓ﴾، ﴿الٓمٓ﴾ ونحو ذلك، فهذه تبعد ما تقدم عن ابن عباس.

وقيل: المراد قضي الأمر والله، وأن قوله: ﴿قٓ﴾ قال: دلَّت على المحذوف من بقية الكلمة كقول الشاعر:

قـلـت لـهـا قـفـي فـقـالـت ق[(٢)]

وفي هذا التفسير نظر لأن الحذف في الكلام يكون إنما يكون إذا دل دليل عليه، ومن أين يفهم هذا من ذكر هذا الحرف؟

وقوله تعالى: ﴿وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ﴾ أي: الكريم العظيم الذي ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ [فصلت] واختلفوا في جواب القسم ما هو؟ فحكى ابن جرير عن بعض النحاة أنه قوله تعالى: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ ۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ ﴿٤﴾﴾، وفي هذا نظر[(٣)] بل الجواب هو مضمون الكلام بعد القسم، وهو إثبات النبوة وإثبات المعاد وتقريره وتحقيقه، وإن لم يكن القسم يلتقي لفظاً، وهذا كثير في أقسام القرآن كما تقدم في قوله: ﴿صٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ﴿١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴿٢﴾﴾ [ص] وهكذا قال ههنا: ﴿قٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ﴿١﴾ بَلْ عَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٢﴾﴾ أي: تعجبوا من إرسال رسول إليهم من البشر، كقوله تعالى: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ﴾ [يونس: ٢] أي: وليس هذا بعجيب فإن الله يصطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس.

ثم قال مخبراً عنهم في تعجبهم أيضاً من المعاد واستبعادهم لوقوعه: ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ۖ ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ ﴿٣﴾﴾ أي: يقولون أئذا متنا وبلينا وتقطعت الأوصال منا وصرنا تراباً، كيف يمكن الرجوع بعد ذلك إلى هذه البنية والتركيب؟ ﴿ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ﴾ أي: بعيد الوقوع. والمعنى أنهم يعتقدون استحالته وعدم إمكانه. قال الله تعالى رادّاً عليهم: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ ۖ﴾ أي: ما تأكل من أجسادهم في البلى نعلم ذلك ولا يخفى علينا أين تفرقت الأبدان وأين ذهبت وإلى أين صارت ﴿وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ﴾ أي: حافظ لذلك فالعلم شامل والكتاب أيضاً فيه كل الأشياء مضبوطة.

قال العوفي، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ ۖ﴾ أي: ما تأكل من لحومهم وأبشارهم، وعظامهم وأشعارهم[(٤)]، وكذا قال مجاهد وقتادة والضحاك وغيرهم[(٥)].

---

(١) تقدم تخريجه في تفسير ﴿الٓمٓ﴾ في سورة البقرة.

(٢) تقدم عزوه وبيان عجزه كسابقه.

(٣) قول الحافظ ابن كثير: وفي هذا نظر. فيه نظر أيضاً، فإن الإمام الطبري ذكر هذا القول عن أهل البصرة ثم أردفه بقول آخر عن أهل الكوفة بأن ﴿قٓ﴾ فيها المعنىٰ الذي أقسم به. ثم رجح هذا القول، فما نقله الحافظ ابن كثير مبتور. وما رجحه الحافظ ابن كثير يتضمن ما رجحه الإمام الطبري رحمهم الله تعالى.

(٤) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به، ويتقوىٰ بالآثار التالية.

(٥) قول مجاهد أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عنه، وقول قتادة أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عنه، وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن =

ثم بين تبارك وتعالى سبب كفرهم وعنادهم واستبعادهم ما ليس ببعيد فقال: ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ ۝٥﴾ أي: وهذا حال كل من خرج عن الحق مهما قال بعد ذلك فهو باطل، والمريج: المختلف المضطرب الملتبس المنكر خلاله كقوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ۝٨ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ۝٩﴾ [الذاريات].

﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ۝٦ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝٧ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ۝٨ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ۝٩ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ۝١٠ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ۝١١﴾.

يقول تعالى منبهاً للعباد على قدرته العظيمة التي أظهر بها ما هو أعظم مما تعجبوا مستبعدين لوقوعه: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا﴾ أي: بالمصابيح.

﴿وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾ قال مجاهد: يعني من شقوق[(١)]، وقال غيره: فتوق، وقال غيره: صدوع[(٢)]، والمعنى متقارب كقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۝٣ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ۝٤﴾ [الملك] أي: كليل عن أن يرى عيباً أو نقصاً.

وقوله: ﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا﴾ أي: وسعناها وفرشناها ﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ﴾ وهي الجبال لئلا تميد بأهلها وتضطرب، فإنها مقرة على تيار الماء المحيط بها من جميع جوانبها ﴿وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ﴾ أي: من جميع الزروع والثمار والنبات والأنواع ﴿وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝٤٩﴾ [الذاريات] وقوله: بهيج؛ أي: حسن المنظر ﴿تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ۝٨﴾ أي: ومشاهدة خلق السمٰوات والأرض وما جعل الله فيهما من الآيات العظيمة تبصرة ودلالة وذكرى لكل عبد منيب؛ أي: خاضع خائف وجل رجّاع إلى الله ﷻ.

وقوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا﴾ أي: نافعاً ﴿فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ﴾ أي: حدائق من بساتين ونحوها ﴿وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ﴾ وهو الزرع الذي يراد لحبه وادخاره ﴿وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ﴾ أي: طوالاً شاهقات، قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة والحسن وقتادة والسدي وغيرهم: الباسقات الطوال[(٣)]. ﴿لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ﴾ أي: منضود[(٤)] ﴿رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ﴾ أي: للخلق ﴿وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا﴾

= قتادة، وقول الضحاك أخرجه البُستي بسند حسن من طريق عبيد بن سليمان عنه.

(١) أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.

(٢) أخرج الطبري بسند صحيح من طريق عبد الله بن وهب عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: الشيء المُتبرئ بعضه من بعض.

(٣) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وأخرجه الطبري وآدم بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد، وأخرجه الطبري وعبد الرزاق بسند صحيح من طريق معمر عن قتادة، أخرجه الطبري بسند حسن من طريق سماك عن عكرمة.

(٤) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة بلفظ: «نُضِّد بعضه على بعض».

وهي الأرض التي كانت هامدة، فلما نزل الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج من أزاهير وغير ذلك، مما يحار الطرف في حسنها، وذلك بعد ما كانت لا نبات بها فأصبحت تهتز خضراء، فهذا مثال للبعث بعد الموت والهلاك، كذلك يُحيي الله الموتى وهذا المشاهد من عظيم قدرته بالحسِّ أعظم مما أنكره الجاحدون للبعث، كقوله تعالىٰ: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ﴾ [غافر: ٥٧] وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾﴾ [الأحقاف] وقال ﷻ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ [فصلت].

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ ۚ كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ ۚ بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٥﴾﴾.

يقول تعالى متهدداً لكفار قريش، بما أحلَّه بأشباههم ونظرائهم وأمثالهم من المكذبين قبلهم، من النقمات والعذاب الأليم في الدنيا كقوم نوح وما عذبهم الله تعالى به من الغرق العام لجميع أهل الأرض وأصحاب الرسِّ، وقد تقدمت قصتهم في سورة الفرقان.

﴿وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ ﴿١٣﴾﴾ وهم أمته الذين بعث إليهم من أهل سدوم ومعاملتها من الغور، وكيف خسف الله تعالى بهم الأرض، وأحال أرضهم بحيرة منتنة خبيثة بكفرهم وطغيانهم ومخالفتهم الحق.

﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ﴾ وهم قوم شعيب عليه الصلاة والسلام ﴿وَقَوْمُ تُبَّعٍ﴾ وهو اليماني، وقد ذكرنا من شأنه في سورة الدخان ما أغنى عن إعادته ههنا، ولله الحمد والشكر.

﴿كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ﴾ أي: كل من هذه الأمم وهؤلاء القرون كذب رسولهم، ومن كذب رسولاً فكأنما كذب جميع الرسل كقوله: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾﴾ [الشعراء] وإنما جاءهم رسول واحد فهم في نفس الأمر لو جاءهم جميع الرسل كذبوهم ﴿فَحَقَّ وَعِيدِ﴾ أي: فحق عليهم ما أوعدهم الله تعالى على التكذيب من العذاب والنكال، فليحذر المخاطبون أن يصيبهم ما أصابهم فإنهم قد كذبوا رسولهم كما كذبوا أولئك. وقوله تعالى: ﴿أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ﴾ أي: أفعجزنا ابتداء الخلق حتى هم في شك من الإعادة ﴿بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ والمعنى أن ابتداء الخلق لم يعجزنا والإعادة أسهل منه كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧] وقال الله تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾﴾ [يس].

وقد تقدم في الصحيح: «يقول الله تعالى يؤذيني ابن آدم يقول لن يعيدني كما بدأني وليس أول الخلق بأهون علي من إعادته»[1].

---

(١) تقدم تخريجه في تفسير سورة الروم آية ٢٧.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾﴾.

يخبر تعالى عن قدرته على الإنسان بأنه خالقه وعلمه محيط بجميع أموره، حتى إنه تعالى يعلم ما توسوس به نفوس بني آدم من الخير والشر. وقد ثبت في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن الله تعالى تجاوز لأمتي ما حدثت به أنفسها ما لم تقل أو تعمل»[١].

وقوله: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ يعني: ملائكته تعالى أقرب إلى الإنسان من حبل وريده إليه، ومن تأوله على العلم فإنما فرَّ لئلا يلزم حلول أو اتحاد وهما منفيان بالإجماع، تعالى الله وتقدس، ولكن اللفظ لا يقتضيه فإنه لم يقل: وأنا أقرب إليه من حبل الوريد وإنما قال: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ كما قال المحتضر: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [الواقعة] يعني: ملائكته وكما قال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحجر] فالملائكة نزلت بالذكر وهو القرآن بإذن الله ﷻ، وكذلك الملائكة أقرب إلى الإنسان من حبل وريده إليه [بتقدير][٢] الله لهم على ذلك. فللملك لمة من الإنسان كما أن للشيطان لمة، وكذلك الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم[٣]، كما أخبر بذلك الصادق المصدوق ولهذا قال تعالى ههنا: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ﴾ يعني: الملكين اللذين يكتبان عمل الإنسان.

﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ أي: مترصد ﴿مَا يَلْفِظُ﴾ أي: ابن آدم ﴿مِن قَوْلٍ﴾ أي: ما يتكلم بكلمة ﴿إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ أي: إلا ولها من يرقبها معد لذلك يكتبها لا يترك كلمة ولا حركة كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الانفطار].

وقد اختلف العلماء هل يكتب الملك كل شيء من الكلام. وهو قول الحسن وقتادة[٤]، أو إنما يكتب ما فيه ثواب وعقاب كما هو قول ابن عباس[٥]، على قولين، وظاهر الآية الأول لعموم قوله: ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾.

وقد قال الإمام أحمد: حدثنا أبو معاوية، حدثنا محمد بن عمرو بن علقمة الليثي، عن أبيه، عن جده علقمة، عن بلال بن الحارث المزني قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى ما يظن أن تبلغ ما بلغت يكتب الله له بها رضوانه إلى يوم يلقاه، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يظن أن تبلغ ما بلغت، يكتب الله عليه بها سخطه إلى

---

(١) تقدم تخريجه في تفسير سورة البقرة آية ٢٨٤.
(٢) كذا في (مح)، وفي الأصل وحم: «باقتدار».
(٣) تقدم تخريجه في تفسير سورة البقرة آية ١٨٧.
(٤) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة، وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن الحسن.
(٥) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي عن ابن عباس بلفظ: «يحفظان عليه عمله ويكتبان أثره».

يوم يلقاه» فكان علقمة يقول: كم من كلام قد منعنيه حديث بلال بن الحارث[١]. ورواه الترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث محمد بن عمرو به، وقال الترمذي: حسن صحيح وله شاهد في الصحيح[٢].

وقال الأحنف بن قيس: صاحب اليمين يكتب الخير وهو أمير على صاحب الشمال، فإن أصاب العبد خطيئة قال له: أمسك، فإن استغفر الله تعالى نهاه أن يكتبها، وإن أبى كتبها[٣]. رواه ابن أبي حاتم، وقال الحسن البصري وتلا هذه الآية ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ يا ابن آدم بسطت لك صحيفة ووكل بك ملكان كريمان أحدهما عن يمينك والآخر عن شمالك، فأما الذي عن يمينك فيحفظ حسناتك، وأما الذي عن يسارك فيحفظ سيئاتك، فاعمل ما شئت أقلل أو أكثر حتى إذا مت طويت صحيفتك وجعلت في عنقك معك في قبرك حتى يخرج يوم القيامة فعند ذلك يقول تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾ [الإسراء] ثم يقول: عدل والله فيك من جعلك حسيب نفسك[٤].

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ قال: يكتب كل ما تكلم به من خير أو شر حتى أنه ليكتب قوله: أكلت شربت ذهبت جئت رأيت، حتى إذا كان يوم الخميس عرض قوله وعمله، فأقرّ منه ما كان فيه من خير أو شر وألقي سائره، وذلك قوله تعالى: ﴿يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾﴾[٥] [الرعد].

وذُكر عن الإمام أحمد أنه كان يئن في مرضه فبلغه عن طاوس أنه قال: يكتب الملك كل شيء حتى الأنين فلم يئن أحمد حتى مات رحمه الله[٦]. وقوله: ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾﴾ يقول تعالى: وجاءت أيها الإنسان سكرة الموت بالحق؛ أي: كشفت لك عن اليقين الذي كنت تمتري فيه ﴿ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ أي: هذا هو الذي كنت تفر منه قد جاءك فلا محيد ولا مناص ولا فكاك ولا خلاص.

وقد اختلف المفسرون في المخاطب بقوله: ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾﴾ فالصحيح أن المخاطب بذلك الإنسان من حيث هو، وقيل الكافر، وقيل غير ذلك.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٢٥/ ١٨٠ ح١٥٨٥٢) وقال محققوه: صحيح لغيره.

(٢) سنن الترمذي، الزهد، باب قلة الكلام (ح٢٣٢٠)، وسنن ابن ماجه الفتن، باب كفّ اللسان في الفتنة (ح٣٩٦٩) وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (ح١٨٨٨).

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا بسند ضعيف من طريق رجل مبهم عن ابن تميمة السلمي عن الأحنف. (الصمت ص٨٢).

(٤) أخرجه عبد الرزاق والطبري بسند صحيح من طريق معمر عن الحسن.

(٥) أخرجه الطبري في تفسير سورة الرعد آية ٣٩ من طريق الكلبي عن أبي صالح عن جابر بن عبد الله بن رئاب الأنصاري وليس من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، ورواية الكلبي عن أبي صالح ضعيفة جداً.

(٦) أخرجه ابن أبي شيبة (المصنف ٧/ ٢١٠)، ورواية الإمام أحمد منقطعة لأن روايته بلاغاً.

وقال أبو بكر بن أبي الدنيا: حدثنا إبراهيم بن زياد سبلان، أخبرنا عباد بن عباد، عن محمد بن عمرو بن علقمة، عن أبيه، عن جده علقمة بن وقاص قال: إن عائشة رضي الله عنها قالت: حضرت أبي رضي الله عنه وهو يموت، وأنا جالسة عند رأسه فأخذته غشية، فتمثلت ببيت من الشعر:

مـــن لا يـــزال دمـــعـــه مـــقـــنـــعـــاً فـــإنـــه لا بـــدّ مـــرة مـــدفـــوق

قالت: فرفع رأسه فقال: يا بُنية ليس كذلك ولكن كما قال تعالى: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾﴾[1].

وحدثنا خلف بن هشام، حدثنا أبو شهاب الخياط، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن البهي قال: لما أن ثقل أبو بكر رضي الله عنه جاءت عائشة رضي الله عنها فتمثلت بهذا البيت:

لـعـمـرك مـا يـغـنـي الـثـراء عـن الـفـتـى إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدر[2]

فكشف عن وجهه وقال رضي الله عنه: ليس كذلك، ولكن قولي ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾﴾[3].

وقد أوردت لهذا الأثر طرقاً كثيرة في سيرة الصديق رضي الله عنه عند ذكر وفاته، وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه لما تغشاه الموت جعل يمسح العرق، عن وجهه ويقول: «سبحان الله إن للموت لسكران»[4].

وفي قوله: ﴿ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ قولان:

(أحدهما): أن ما ههنا موصولة؛ أي: الذي كنت منه تحيد بمعنى تبتعد وتتناءى وتفر قد حلَّ بك ونزل بساحتك.

(والقول الثاني): أن ما نافية بمعنى ذلك ما كنت تقدر على الفرار منه ولا الحيد عنه.

وقد قال الطبراني في المعجم الكبير: حدثنا مؤمل بن علي الصائغ المكي، حدثنا حفص، عن ابن عمر الحدي، حدثنا معاذ بن محمد الهذلي، عن يونس بن عبيد، عن الحسن، عن سَمرة قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل الذي يفر من الموت مثل الثعلب تطلبه الأرض بدين، فجاء يسعى حتى إذا أعيا وأسهر دخل حجره. وقالت له الأرض: يا ثعلب ديني، فخرج وله حُصاص[5] فلم يزل كذلك حتى تقطعت عنقه ومات» ومضمون هذا المثل كما لا انفكاك له ولا محيد عن الأرض، كذلك الإنسان لا محيد له عن الموت[6].

---

(١) في سنده عمرو بن علقمة بن وقاص: مقبول (التقريب ص٤٣٥). ومتنه يخالف الذي يليه.

(٢) استشهد به الطبري وعزاه إلى حاتم الطائي في تفسير سورة يوسف آية ٧٧.

(٣) أخرجه البستي بسند حسن من طريق البهي، وهو عبد الله، به وأخرجه البُستي بسند صحيح من طريق واصل، وهو ابن حيان الأحدب، عن أبي وائل شقيق بن سلمة عن أبي بكر رضي الله عنه، وأخرجه الطبري من طريق أبي وائل عن أبي بكر رضي الله عنه وطريق الطبري وابن أبي الدنيا يقوي أحدهما الآخر ويتقويان برواية البستي.

(٤) أخرجه البخاري (الصحيح، الرقاق، باب سكرات الموت ح٦٥١٠).

(٥) أي: شدة العدو وحدته، وقيل الضراط (النهاية ١/٣٩٦).

(٦) أخرجه الطبراني (المعجم الكبير ٧/٢٦٨ ح٦٩٢٢) وأعله العقيلي والهيثمي بمعاذ بن محمد الهذلي =

وقوله: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ۝٢٠﴾ قد تقدم الكلام على حديث النفخ في الصور والفزع والصعق والبعث، وذلك يوم القيامة. وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن وحنى جبهته وانتظر أن يؤذن له» قالوا: يا رسول الله كيف نقول؟ قال ﷺ: «قولوا: حسبنا الله ونعم الوكيل» فقال القوم: حسبنا الله ونعم الوكيل[(١)].

﴿وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ۝٢١﴾ أي: ملك يسوقه إلى المحشر وملك يشهد عليه بأعماله هذا هو الظاهر من الآية الكريمة، وهو اختيار ابن جرير ثم روي من حديث إسماعيل بن أبي خالد، عن يحيى بن رافع مولى لثقيف قال: سمعت عثمان بن عفان رضي الله عنه يخطب فقرأ هذه الآية ﴿وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ۝٢١﴾ فقال: سائق يسوقها إلى الله تعالى وشاهد يشهد عليها بما عملت[(٢)]، وكذا قال مجاهد وقتادة وابن زيد[(٣)].

وقال مُطرِّف، عن أبي جعفر مولى أشجع، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: السائق الملك والشهيد[(٤)] العمل، وكذلك قال الضحاك والسدي[(٥)].

وقال العوفي، عن ابن عباس: السائق من الملائكة والشهيد الإنسان نفسه، يشهد على نفسه[(٦)]، وبه قال الضحاك بن مزاحم أيضاً[(٧)].

وحكى ابن جرير ثلاثة أقوال في المراد بهذا الخطاب في قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ۝٢٢﴾.

(أحدها): أن المراد بذلك الكافر، رواه علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس[(٨)]، وبه يقول الضحاك بن مزاحم وصالح بن كيسان.

(والثاني): أن المراد بذلك كل أحد من بر وفاجر لأن الآخرة بالنسبة إلى الدنيا كاليقظة، والدنيا كالمنام، وهذا اختيار ابن جرير، ونقله عن حسين بن عبد الله بن عبيد الله، عن عبد الله بن عباس[(٩)].

= (الضعفاء الكبير ٤/ ٢٠٠، ومجمع الزوائد ٢/ ٣٢٣).

(١) تقدم تخريجه في تفسير سورة الأنعام آية ٧٣ وفي سورة آل عمران آية ١٧٣.

(٢) أخرجه الطبري من طريق إسماعيل بن أبي خالد، وأخرجه أيضاً عبد الرزاق عن إسماعيل بن أبي خالد به، وفي سنده يحيى بن رافع ترجم له البخاري في التاريخ الكبير وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل وسكتا عنه. وأخرجه البستي من طريق رجل مبهم عن عثمان.

(٣) أخرجه الطبري من طريق خُصيف عن مجاهد، وخصيف سيء الحفظ، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد: الملكان: كاتب وشهيد، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق عبد الله بن وهب عن ابن زيد.

(٤) في سنده أبو جعفر سكت عنه البخاري في التاريخ الكبير ونقل ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل عن أبيه أنه لا يدري من هو؟ ويشهد له ما يليه.

(٥) أخرجه البستي بسند حسن من طريق عبيد بن سليمان عن الضحاك.

(٦) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به. ويشهد له سابقه ولاحقه.

(٧) أخرجه البستي بسند حسن من طريق عبيد بن سليمان عن الضحاك.

(٨) أخرجه الطبري بسند ثابت عن علي به.

(٩) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق الزهري عن الحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس.

(والثالث): أن المخاطب بذلك النبي ﷺ وبه يقول زيد بن أسلم[(١)] وابنه، والمعنى على قولهما: لقد كنت في غفلة من هذا القرآن قبل أن يوحى إليك، فكشفنا عنك غطاءك بإنزاله إليك فبصرك اليوم حديد، والظاهر من السياق خلاف هذا بل الخطاب مع الإنسان من حيث هو، والمراد بقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا﴾ يعني: من هذا اليوم ﴿فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ أي: قوي لأن كل أحد يوم القيامة يكون مستبصراً حتى الكفار في الدنيا، يكونون يوم القيامة على الاستقامة، لكن لا ينفعهم ذلك، قال الله تعالى: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا﴾ [مريم: ٣٨]. وقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾﴾ [السجدة].

﴿وَقَالَ قَرِينُهُ هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ ۞ قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَٰكِن كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾﴾.

يقول تعالى مخبراً عن الملك الموكل بعمل ابن آدم إنه يشهد عليه يوم القيامة بما فعل ويقول: ﴿هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ﴾ أي: معتمد محضر بلا زيادة ولا نقصان.

وقال مجاهد: هذا كلام الملك السائق[(٢)]، يقول ابن آدم الذي وكلتني به قد أحضرته، وقد اختار ابن جرير أنه يعمُّ السائق والشهيد، وله اتجاه وقوة، فعند ذلك يحكم الله تعالى في الخليقة بالعدل فيقول: ﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾﴾.

وقد اختلف النحاة في قوله: ﴿أَلْقِيَا﴾ فقال بعضهم هي لغة لبعض العرب يخاطبون المفرد بالتثنية كما روي عن الحجاج أنه كان يقول: يا حرسي اضربا عنقه، ومما أُنشد ابن جرير على هذه قول الشاعر:

فإن تزجراني يا ابن عفان أنزجر ... وإن تتركاني أحم عرضاً ممنعا[(٣)]

وقيل: بل هي نون التأكيد سهلت إلى الألف، وهذا بعيد لأن هذا إنما يكون في الوقف، والظاهر أنها مخاطبة مع السائق والشهيد، فالسائق أحضره إلى عرصة الحساب، فلما أدّى الشهيد عليه أمرهما الله تعالى بإلقائه في نار جهنم، وبئس المصير ﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾﴾ أي: كثير الكفر والتكذيب بالحق عنيد معاند للحق، معارض له بالباطل مع علمه بذلك ﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ﴾ أي: لا يؤدي ما عليه من الحقوق ولا بر فيه ولا صلة ولا صدقة ﴿مُعْتَدٍ﴾ أي: فيما ينفقه ويصرفه يتجاوز فيه الحد.

---

(١) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب، وهو عبد الله بن وهب، عن ابن زيد، وهو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم. وليس عن أبيه.

(٢) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

(٣) قال الطبري: وأنشدني أبو ثروان: فذكره.

وقال قتادة: معتد في منطقه وسيرته وأمره(١).

﴿مُّرِيبٍ﴾ أي: شاك في أمره مريب لمن نظر في أمره ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ أي: أشرك بالله فعبد معه غيره ﴿فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ﴾ وقد تقدم في الحديث أن عنقاً من النار يبرز للخلائق فينادي بصوت يسمع الخلائق: إني وكلت بثلاثة: بكل جبار عنيد، ومن جعل مع الله إلٰهاً آخر، وبالمصورين، ثم تنطوي عليهم.

قال الإمام أحمد: حدثنا معاوية هو: ابن هشام، حدثنا شيبان، عن فراس، عن عطية، عن أبي سعيد الخدري ﷺ، عن النبي ﷺ أنه قال: «يخرج عنق من النار يتكلم يقول وكلت اليوم بثلاثة: بكل جبار عنيد، ومن جعل مع الله إلٰهاً آخر، ومن قتل نفساً بغير نفس فتنطوي عليهم فتقذفهم في غمرات جهنم»(٢).

﴿قَالَ قَرِينُهُۥ﴾ قال ابن عباس ومجاهد وقتادة وغيرهم: هو الشيطان الذي وكِّل به(٣). ﴿رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ﴾ أي: يقول عن الإنسان الذي قد أوفى القيامة كافراً يتبرأ منه شيطانه فيقول: ﴿رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ﴾ أي: ما أضللته ﴿وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ﴾ أي: بل كان هو في نفسه ضالًا قابلاً للباطل معانداً للحق، كما أخبر تعالى في الآية الأخرى في قوله: ﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ ۖ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ [إبراهيم].

وقوله: ﴿قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ﴾ يقول الرب ﷻ للإنسي وقرينه من الجن، وذلك أنهما يختصمان بين يدي الحق تعالى، فيقول الإنسي؛ يا رب هذا أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني، ويقول الشيطان: ﴿رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ﴾ أي: عن منهج الحق، فيقول الرب ﷻ لهما: ﴿لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ﴾ أي: عندي ﴿وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ﴾ أي: قد أعذرت إليكم على ألسنة الرسل، وأنزلت الكتب وقامت عليكم الحجج والبينات والبراهين.

﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ﴾ قال مجاهد: يعني قد قضيت ما أنا قاض ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ أي: لست أعذب أحداً إلا بذنبه بعد قيام الحجة عليه.

﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾﴾.

يخبر تعالى أنه يقول لجهنم يوم القيامة: هل امتلأت؟ وذلك أنه تبارك وعدها أن سيملؤها من

---

(١) نسبه السيوطي إلى عبد بن حميد وابن المنذر بنحوه.

(٢) تقدم تخريجه في تفسير سورة إبراهيم آية ١٥.

(٣) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق عطية العوفي عن ابن عباس، ويتقوى بما يليه، فقد أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد، وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة.

الجنة والناس أجمعين، فهو ﷻ يأمر بمن يأمر به إليها ويلقى وهي تقول: هل من مزيد؛ أي: هل بقي شيء تزيدوني؟ هذا هو الظاهر في سياق الآية وعليه تدل الأحاديث.

قال البخاري عند تفسير هذه الآية: حدثنا عبد الله بن أبي الأسود، حدثني حَرمي بن عمارة، حدثنا شعبة، عن قتادة، عن أنس بن مالك، عن النبي ﷺ قال: «يلقى في النار وتقول: هل من مزيد؟» حتى يضع قدمه فتقول: «قط، قط»(١).

وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الوهاب، عن سعيد، عن قتادة، عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول هل من مزيد؟ حتى يضع ربُّ العزة قدمه فيها فينزوي بعضها إلى بعض وتقول: قط قط وعزتك وكرمك، ولا يزال في الجنة فضل حتى ينشئ الله لها خلقاً آخر فيسكنهم الله تعالى في فضول الجنة»(٢). ثم رواه مسلم من حديث قتادة بنحوه، ورواه أبان العطار وسليمان التيمي عن قتادة بنحوه(٣).

حديث آخر:

قال البخاري: حدثنا محمد بن موسى القطان، حدثنا أبو سفيان الحميري سعيد بن يحيى بن مهدي، حدثنا عوف، عن محمد، عن أبي هريرة، رفعه وأكثر ما كان يوقفه أبو سفيان: «يقال لجهنم: هل امتلأت، وتقول: هل من مزيد؟ فيضع الربُّ تبارك وتعالى قدمه عليها فتقول: قط قط»(٤). ورواه أبو أيوب وهشام بن حسان، عن محمد بن سيرين به.

طريق أخرى:

قال البخاري: وحدثنا عبد الله بن محمد، حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر، عن [همام](٥) بن منبه، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تحاجت الجنة والنار فقالت النار: أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين، وقالت الجنة: ما لي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطهم. قال الله ﷻ للجنة: أنتِ رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي، وقال للنار: إنما أنتِ عذابي أعذب بك من أشاء من عبادي ولكل واحدة منكما ملؤها، فأما النار فلا تمتلئ حتى يضع رجله فيها فتقول: قط قط فهنالك تمتلئ وينزوي بعضها إلى بعض ولا يظلم الله من خلقه أحداً، وأما الجنة فإن الله ﷻ ينشئ لها خلقاً آخر»(٦).

حديث آخر:

قال مسلم في صحيحه: حدثنا عثمان بن أبي شيبة، حدثنا جرير، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «احتجَّت الجنة والنار فقالت النار: فيَّ

---

(١) أخرجه البخاري بسنده ومتنه (الصحيح، التفسير، سورة ق باب ﴿وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ [ق: ٣٠]؟ ح٤٨٤٨).

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٣/ ٢٣٤) وسنده صحيح وأخرجه مسلم من طريق عبد الوهاب به. (صحيح مسلم، الجنة، باب النار يدخلها الجبارون ح٢٨٤٨/ ٣٨).

(٣) المصدر السابق قبل الحديث السابق.

(٤) أخرجه البخاري بسنده ومتنه صحيح البخاري، الباب السابق (ح٤٨٤٩).

(٥) كذا في (حم) و(مح) وصحيح البخاري، وفي الأصل صحف إلى: «تمام».

(٦) أخرجه البخاري بسنده ومتنه (المصدر السابق ح٤٨٥٠).

الجبارون والمتكبرون، وقالت الجنة: فيَّ ضعفاء الناس ومساكينهم فقضى بينهما فقال للجنة: إنما أنتِ رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي، وقال للنار: إنما أنتِ عذابي أعذب بك من أشاء من عبادي ولكل واحدة منكما ملؤها»[(١)] انفرد به مسلم دون البخاري من هذا الوجه والله ﷻ أعلم.

وقد رواه الإمام أحمد من طريق أخرى عن أبي سعيد ﷺ بأبسط من هذا السايق فقال: حدثنا حسن وروح قالا: حدثنا حماد بن سلمة، عن عطاء بن السائب، عن عبيد الله بن عتبة، عن أبي سعيد الخدري: أن رسول الله ﷺ قال: «افتخرت الجنة والنار فقالت النار: يا ربِّ يدخلني الجبابرة والمتكبرون والملوك والأشراف، وقالت الجنة: أي ربِّ يدخلني الضعفاء والفقراء والمساكين فيقول الله ﷻ للنار: أنتِ عذابي أصيب بك من أشاء، وقال للجنة: أنتِ رحمتي وسعت كل شيء ولكل واحدة منكما ملؤها، فيلقى في النار أهلها فتقول هل من مزيد؟ قال: ويلقى فيها وتقول هل من مزيد؟ ويلقى فيها وتقول هل من مزيد؟ حتى يأتيها ﷻ فيضع قدمه عليها فتنزوي وتقول قدني قدني، وأما الجنة فيبقى فيها ما شاء تعالى أن يبقى فينشئ الله ﷻ لها خلقاً ما يشاء»[(٢)].

حديث آخر:

وقال الحافظ أبو يعلى في مسنده: حدثني عقبة بن مكرم، حدثنا يونس، حدثنا عبد الغفار بن القاسم، عن عدي بن ثابت، عن زرٍّ بن حبيش، عن أُبي بن كعب قال: إن رسول الله ﷺ قال: «يعرفني الله تعالى نفسه يوم القيامة، فأسجد سجدة يرضى بها عني ثم أمدحه مدحة يرضى بها عني، ثم يؤذن لي في الكلام، ثم تمر أُمتي على الصراط مضروب بين ظهراني جهنم، فيمرون أسرع من الطرف والسهم، وأسرع من أجود الخيل، حتى يخرج الرجل منها يحبو وهي الأعمال، وجهنم تسأل المزيد حتى يضع فيها قدمه فينزوي بعضها إلى بعض وتقول: قط قط وأنا على الحوض» قيل: وما الحوض يا رسول الله؟ قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده إن شرابه أبيض من اللبن وأحلى من العسل، وأبرد من الثلج. وأطيب ريحاً من المسك، وآنيته أكثر من عدد النجوم لا يشرب منه إنسان فيظمأ أبداً ولا يصرف فيروى أبداً»[(٣)]. وهذا القول هو اختيار ابن جرير.

وقد قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا أبو يحيى الحِماني، عن نصر الخراز، عن عكرمة، عن ابن عباس ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ۝٣٠﴾ قال: ما امتلأت. قال تقول: وهل من مكان يزاد فيَّ[(٤)]؟ وكذا رواه [الحكم][(٥)] بن أبان، عن عكرمة ﴿وَتَقُولُ هَلْ مِن

---

(١) أخرجه مسلم بسنده ومتنه (الصحيح، الجنة، باب النار يدخلها الجبارون ح٢٨٤٧) وما قبله.
(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ١٧/١٦٣، ١٦٤ ح١١٠٩٩) وحسن سنده محققوه.
(٣) أخرجه ابن أبي عاصم من طريق عقبة بن مكرم به، وقال الألباني: إسناده موضوع آفته عبد الغفار بن القاسم.. كان يضع الحديث كما قال علي بن المديني وأبو داود (ظلال الجنة في تخريج أحاديث كتاب السنة ح٧٩٠).
(٤) في سنده أبو يحيىٰ الحماني وهو عبد الحميد بن عبد الرحمن الحماني: صدوق يخطئ (التقريب ص٣٣٤).
(٥) كذا في (حم) و(مح)، وفي الأصل صحف إلى: «الحاكم».

﴿مَزِيدٍ﴾ وهل في مدخل واحد قد امتلأت[١]؟

قال الوليد بن مسلم، عن يزيد بن أبي مريم أنه سمع مجاهداً يقول: لا يزال يقذف فيها حتى تقول: امتلأت، فتقول: ﴿هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾؟[٢]. وعن عبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم نحو هذا[٣]. فعند هؤلاء أن قوله تعالى: ﴿هَلِ امْتَلَأْتِ﴾ إنما هو بعدما يضع عليها قدمه فتنزوي وتقول حينئذٍ هل بقي فيَّ مزيد يسع شيئاً؟ قال العوفي عن ابن عباس: وذلك حين لا يبقى فيها موضع يسع إبرة[٤]، والله أعلم.

وقوله تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾﴾ قال قتادة وأبو مالك والسدي ﴿وَأُزْلِفَتِ﴾ أدنيت[٥] وقربت من المتقين. ﴿غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ وذلك يوم القيامة، وليس ببعيد لأنه واقع لا محالة وكل ما هو آت قريب ﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ﴾ أي: راجع تائب مقلع ﴿حَفِيظٍ﴾ أي: يحفظ العهد فلا ينقضه ولا ينكثه.

وقال عبيد بن عمرو: الأواب الحفيظ الذي لا يجلس مجلساً فيقوم حتى يستغفر الله ﷻ[٦]. ﴿مَّنْ خَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ﴾ أي: من خاف الله في سره حيث لا يراه أحد إلا الله كقوله ﷺ: «ورجل ذكر الله تعالى خالياً، ففاضت عيناه»[٧].

﴿وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ﴾ أي: ولقي الله يوم القيامة بقلب منيب سليم إليه خاضع لديه ﴿ادْخُلُوهَا﴾ أي: الجنة ﴿بِسَلَامٍ﴾.

قال قتادة: سلموا من عذاب الله، وسلَّم عليهم ملائكة الله.

وقوله: ﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ﴾ أي: يخلدون في الجنة فلا يموتون أبداً، ولا يظعنون أبداً ولا يبغون عنها حولاً، وقوله: ﴿لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا﴾ أي: مهما اختاروا وجدوا من أي أصناف الملاذ طلبوا أحضر لهم.

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زرعة، حدثنا عمر بن عثمان، حدثنا بقية، عن يحيى بن سعيد، عن خالد بن معدان، عن كثير بن مرة قال: من المزيد أن تمر السحابة بأهل الجنة فتقول: ماذا تريدون فأمطره لكم؟ فلا يدعون بشيء إلا أمطرتهم، قال كثير: لئن أشهدني الله تعالى ذلك لأقولن أمطرينا جواري مزينات[٨].

وفي الحديث عن ابن مسعود قال: إن رسول الله ﷺ قال له: «إنك لتشتهي الطير في الجنة

---

(١) فيه غرابة ومخالفة لما ثبت في الروايات الصحيحة المرفوعة المتقدمة.

(٢) سنده حسن، وأخرج آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد بلفظ: «وهل من مسلك؟».

(٣) أخرجه الطبري بسنده صحيح من طريق عبد الله بن وهب عن عبد الرحمن بن زيد.

(٤) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به.

(٥) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٦) تقدم تخريجه في تفسير سورة الإسراء آية ٢٥.

(٧) تقدم تخريجه في تفسير سورة البقرة آية ٢٧١.

(٨) في سنده عنعنة بقية وهو من كبار المدلسين، وفي متنه غرابة فإن أهل الجنة بين ظهورهم الجواري المزينات لا يحتاجون أن تمطر من الجواري المزينات.

فيخر بين يديك مشوياً»[١].

وقال الإمام أحمد: حدثنا علي بن عبد الله، حدثنا معاذ بن هشام، حدثني أبي، عن عامر الأحول، عن أبي بكر الصديق ﷺ، عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: إن رسول الله ﷺ قال: «إذا اشتهى المؤمن الولد في الجنة كان حمله ووضعه وسنه في ساعة واحدة»[٢] ورواه الترمذي وابن ماجه، عن بندار، عن معاذ بن هشام به[٣]. وقال الترمذي حسن غريب وزاد: [كما][٤] اشتهى.

وقوله تعالى: ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ كقوله تعالىٰ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦] وقد تقدم في صحيح مسلم عن صهيب بن سنان الرومي أنها النظر إلى وجه الله الكريم[٥]. وقد روى البزار وابن أبي حاتم من حديث شريك القاضي، عن عثمان بن عمير أبي اليقظان، عن أنس بن مالك ﷺ في قوله ﷻ: ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ قال: يظهر لهم الرب ﷻ في كل جمعة[٦]. وقد رواه الإمام أبو عبد الله الشافعي مرفوعاً فقال في مسنده: أخبرنا إبراهيم بن محمد، حدثني موسى بن عبيدة، حدثني أبو الأزهر معاوية بن إسحاق بن طلحة، عن عبد الله بن عمير أنه سمع أنس بن مالك ﷺ يقول: أتى جبرائيل عليه الصلاة والسلام بمرآة بيضاء فيها نكتة إلى رسول الله فقال رسول الله ﷺ: «ما هذه؟» فقال: هذه الجمعة فضلت بها أنت وأمتك، فالناس لكم فيها تبع اليهود والنصارى ولكم فيها خير، ولكم فيها ساعة لا يوافقها مؤمن، يدعو الله تعالى فيها بخير إلا استجيب له وهو عندنا يوم المزيد.

قال النبي ﷺ: «يا جبريل وما يوم المزيد؟» قال عليه السلام: إن ربك تبارك وتعالى اتخذ في الفردوس وادياً أفيح فيه كثب المسك، فإذا كان يوم الجمعة أنزل الله تعالى ما شاء من ملائكته، وحوله منابر من نور عليها مقاعد النبيين، وحفت تلك المنابر بمنابر من ذهب مكللة بالياقوت والزبرجد عليها الشهداء والصديقون، فجلسوا من ورائهم على تلك الكثب، فيقول الله ﷻ: أنا ربكم قد صدقتكم وعدي فسلوني أعطكم، فيقولون: ربنا نسألك رضوانك، فيقول: قد رضيت عنكم ولكم علي ما تمنيتم ولدي مزيد. فهم يحبون يوم الجمعة لما يعطيهم فيه ربهم من الخير، وهو اليوم الذي استوى فيه ربكم على العرش وفيه خلق آدم وفيه تقوم الساعة. هكذا أورده الإمام الشافعي رحمه الله في كتاب الجمعة من الأم[٧]، وله طرق عن أنس بن مالك ﷺ، وقد أورد ابن جرير هذا الحديث من رواية عثمان بن عمير، عن أنس ﷺ بأبسط من هذا، وذكر ههنا أثراً

---

(١) أخرجه العقيلي (الضعفاء الكبير ١/٢٦٨)، وابن عدي (الكامل ٦/٦٨٩) وكلاهما ضعفه.

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ١٧/١١٦ ح١١٠٦٣) وحسن سنده محققوه.

(٣) سنن الترمذي، صفة الجنة، باب ما جاء ما لأدنىٰ أهل الجنة من الكرامة (ح٢٥٦٦)، وسنن ابن ماجه الزهد، باب صفة الجنة (ح٤٣٣٨) وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (ح٣٥٠٠).

(٤) زيادة من (حم) و(مح)، وفي الأصل: «بياض». (٥) تقدم تخريجه في تفسير سورة يونس آية ٢٦.

(٦) سنده ضعيف لأن عثمان بن عمير ضعيف واختلط وكان يدلس ويغلو في التشيع. (التقريب ص٣٨٦).

(٧) أخرجه الإمام الشافعي بسنده ومتنه (الأم ١/١٨٥). وسنده ضعيف لضعف موسىٰ بن عبيدة وهو الربذي كما في التقريب.

مطولاً عن أنس بن مالك رضي الله عنه موقوفاً وفيه غرائب كثيرة[١].

وقال الإمام أحمد: حدثنا حسن، حدثنا ابن لهيعة، حدثنا دراج، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: «إن الرجل في الجنة ليتكئ في الجنة سبعين سنة [قبل أن يتحول][٢]، ثم تأتيه امرأة تضرب على منكبه فينظر وجهه في خدها أصفى من المرآة، وأن أدنى لؤلؤة عليها تضيء ما بين المشرق والمغرب فتسلم عليه فيرد السلام فيسألها من أنت؟ فتقول أنا من المزيد وإنه ليكون عليها سبعون حلة أدناها مثل النعمان من طوبى فينفذها بصره حتى يرى مخ ساقها من وراء ذلك، وإن عليها من التيجان إن أدنى لؤلؤة منها لتضيء ما بين المشرق والمغرب»[٣]. وهكذا رواه عبد الله بن وهب، عن عمرو بن الحارث، عن دراج به.

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ ﴿٣٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ ﴿٤٠﴾﴾.

يقول تعالى: وكم أهلكنا قبل هؤلاء المكذبين ﴿مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا﴾ أي: كانوا أكثر منهم وأشد قوة وأثاروا الأرض وعمروها أكثر مما عمروها ولهذا قال ههنا: ﴿فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ﴾ قال ابن عباس: أثروا فيها[٤].

وقال مجاهد: ﴿فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ﴾ ضربوا في الأرض[٥]. وقال قتادة: فساروا في البلاد؛ أي: ساروا فيها يبتغون الأرزاق والمتاجر والمكاسب أكثر مما طفتم بها[٦]. ويقال لمن طوَّف في البلاد نقب فيها، قال امرؤ القيس[٧]:

لقد نقبت في الآفاق حتى رضيت من الغنيمة بالإياب[٨]

وقوله: ﴿هَلْ مِن مَّحِيصٍ﴾ أي: هل من مفرٍّ كان لهم من قضاء الله وقدره؟ وهل نفعهم ما جمعوه؟ وردَّ عنهم عذاب الله إذ جاءهم لما كذبوا الرسل فأنتم أيضاً لا مفرَّ لكم ولا محيد ولا مناص ولا محيص. وقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ﴾ أي: لعبرة ﴿لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ أي: لب يعي به.

وقال مجاهد: عقل ﴿أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ أي: استمع الكلام فوعاه وتعقله وتفهمه بلبه.

وقال مجاهد: ﴿أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ﴾ يعني: لا يحدث نفسه في هذا بقلب[٩].

---

(١) أخرجه الطبري، وسنده ضعيف كسابقه. (٢) زيادة من (حم) و(مح) والمسند.
(٣) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٣/ ٧٥) وسنده ضعيف لضعف رواية دراج عن أبي الهيثم.
(٤) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس.
(٥) أخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.
(٦) لم أجده بهذا اللفظ ولكن أخرج عبد الرزاق والطبري بسند صحيح عن معمر عن قتادة بلفظ: «حاص أعداء الله، فوجدوا أمر الله لهم مدركاً».
(٧) ديوان امرئ القيس ص٩٩. (٨) استشهد به الطبري.
(٩) أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح بلفظ: «وهو لا يحدث نفسه» شاهد القلب.

وقال الضحاك: العرب تقول: ألقى فلان سمعه إذا استمع بأذنيه، وهو شاهد يقول: غير غائب[١]. وهكذا قال الثوري وغير واحد[٢].

وقوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾﴾ فيه تقرير للمعاد لأن من قدر على خلق السمٰوات والأرض ولم يعي بخلقهن قادر على أن يحيي الموتى بطريق الأولى والأحرى.

وقال قتادة: قالت اليهود ـ عليهم لعائن الله ـ: خلق الله السمٰوات والأرض في ستة أيام ثم استراح في اليوم السابع وهو يوم السبت ـ وهم يسمُّونه: يوم الراحة ـ فأنزل الله تعالى تكذيبهم فيما قالوه وتأولوه[٣].

﴿وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ أي: من إعياء ولا تعب ولا نصب، كما قال في الآية الأخرى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾﴾ [الأحقاف] وكما قال: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ﴾ [غافر: ٥٧] وقال تعالى: ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾﴾ [النازعات].

وقوله: ﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ يعني المكذبين اصبر عليهم واهجرهم هجراً جميلاً ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ﴾ وكانت الصلاة المفروضة قبل الإسراء ثنتين قبل طلوع الشمس في وقت الفجر وقبل الغروب في وقت العصر، وقيام الليل كان واجباً على النبي ﷺ وعلى أمته حولاً ثم نسخ في حق الأمة وجوبه، ثم بعد ذلك نسخ الله تعالى ذلك كله ليلة الإسراء بخمس صلوات، ولكن منهنَّ صلاة الصبح والعصر فهما قبل طلوع الشمس وقبل الغروب. وقد قال الإمام أحمد: حدثنا وكيع، حدثنا إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم، عن جرير بن عبد الله قال: كنا جلوساً عند النبي ﷺ فنظر إلى القمر ليلة البدر فقال: «أما إنكم ستعرضون على ربكم فترونه كما ترون هذا القمر [لا تضامون][٤] فيه، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا» ثم قرأ ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ﴾[٥]. ورواه البخاري ومسلم وبقية الجماعة من حديث إسماعيل به[٦].

وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾ أي فصلِّ له كقوله: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾﴾ [الإسراء] ﴿وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ﴾.

---

(١) أخرجه البُستي بسند حسن من طريق عبيد بن سليمان عن الضحاك.

(٢) أخرجه البُستي بسند صحيح من طريق ابن أبي عمر العدني عن الثوري.

(٣) أخرجه عبد الرزاق والطبري بسند صحيح لكنه مرسل، من طريق معمر عن قتادة بنحوه لكن بدون الجملتين المحصورتين بعلامات الاعتراض.

(٤) كذا في (حم) و(مح) والمسند، وفي الأصل صُحفت إلى: «لا تضارون».

(٥) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٤/ ٣٦٥) وسنده صحيح.

(٦) (صحيح البخاري، مواقيت الصلاة، باب فضل صلاة العصر ح٥٥٤، وصحيح مسلم، المساجد، باب فضل صلاتي الصبح والعصر ح٦٦٣).

قال ابن أبي نجيح، عن مجاهد، عن ابن عباس: هو التسبيح بعد الصلاة[١]. ويؤيد هذا ما ثبت في الصحيحين، عن أبي هريرة ﷺ أنه قال: جاء فقراء المهاجرين فقالوا: يا رسول الله ذهب أهل الدثور بالدرجات العلى والنعيم المقيم، فقال النبي ﷺ: «وما ذاك؟» قالوا: يصلون كما نصلي، ويصومون كما نصوم، ويتصدقون ولا نتصدق، ويعتقون ولا نعتق. قال ﷺ: «أفلا أعلمكم شيئاً إذا فعلتموه سبقتم من بعدكم ولا يكون أحد أفضل منكم إلا من فعل مثل ما فعلتم؟ تسبحون وتحمدون وتكبرون دبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين» قال: فقالوا: يا رسول الله سمع إخواننا أهل الأموال بما فعلنا ففعلوا مثله. فقال ﷺ: «ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء»[٢].

والقول الثاني: أن المراد بقوله تعالى: ﴿وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ﴾ هما الركعتان بعد المغرب، وروي ذلك عن عمر وعلي وابنه الحسن وابن عباس وأبي هريرة وأبي أُمامة، وبه يقول مجاهد وعكرمة والشعبي والنخعي والحسن وقتادة وغيرهم[٣].

قال الإمام أحمد: حدثنا وكيع وعبد الرحمٰن، عن سفيان، عن أبي إسحاق، عن عاصم بن ضمرة، عن علي ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ يصلي على أثر كل صلاة مكتوبة ركعتين إلا الفجر والعصر، وقال عبد الرحمٰن: دبر كل صلاة. ورواه أبو داود والنسائي من حديث سفيان الثوري به، زاد النسائي ومطرف، عن أبي إسحاق به[٤].

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا هارون بن إسحاق الهمداني، حدثنا ابن فضيل، عن رشدين بن كريب، عن أبيه، عن ابن عباس قال: بتُّ ليلة عند رسول الله ﷺ، فصلى ركعتين خفيفتين اللتين قبل الفجر، ثم خرج إلى الصلاة فقال يا ابن عباس «ركعتين قبل صلاة الفجر إدبار النجوم، وركعتين بعد المغرب إدبار السجود» ورواه الترمذي، عن أبي هشام الرفاعي، عن محمد بن فضيل به. وقال: غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه[٥]. وحديث ابن عباس، وأنه بات في بيت

---

(١) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح به، وأخرجه البخاري من طريق ابن أبي نجيح به بلفظ: «أن يُسبح في أدبار الصلوات كلها».

(٢) أخرجه الشيخان (صحيح البخاري، الأذان، باب الذكر بعد الصلاة ح٨٤٣)، وصحيح مسلم، المساجد، باب استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفته (ح٥٩٥).

(٣) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي عن ابن عباس، وأخرجه الحاكم وصححه وتعقبه الذهبي بقوله: «رشدين ضعفه أبو زرعة والدارقطني» (المستدرك ١/ ٣٢٠) وضعف الحافظ ابن حجر رواية الطبري عن ابن عباس (الفتح ٨/٥٩٨)، ويشهد له ما يليه فقد أخرجه ابن أبي شيبة (المصنف ٢/ ٥٢٣)، والطبري بأسانيد يقوي بعضها بعضاً، وأخرجه الطبري بسند ضعيف فيه علي بن زيد بن جدعان عن أبي هريرة، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد، وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة، وأخرجه البستي بسند حسن من طريق إبراهيم بن مهاجر عن إبراهيم النخعي، وأخرجه البستي بسند حسن من طريق عبيد بن سليمان عن الضحاك.

(٤) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٢/ ٢٩٤ ح١٠١٢) وقال محققوه: إسناده قوي. وأخرجه أبو داود (السنن، الصلاة، الصلاة بعد العصر ح١٢٧٥)، والنسائي (في السنن الكبرىٰ، الصلاة، باب اختلاف الناقلين لخبر أبي إسحاق عن عاصم بن ضمرة، عن علي ح٣٤١).

(٥) أخرجه الترمذي (السنن، التفسير، باب ومن سورة الطور ح٣٢٧٥) وسندهما ضعيف لضعف رشدين. (التقريب ص٢٠٩).

خالته ميمونة، وصلى تلك الليلة مع النبي ﷺ ثلاث عشرة ركعة ثابت في الصحيحين وغيرهما[(١)]. فأما هذه الزيادة فغريبة لا تعرف إلا من هذا الوجه ورشدين بن كريب ضعيف، ولعله من كلام ابن عباس موقوفاً عليه، والله أعلم.

﴿وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾﴾.

يقول تعالى: ﴿وَٱسْتَمِعْ﴾ يا محمد ﴿يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ قال قتادة: قال كعب الأحبار يأمر الله تعالى ملكاً أن ينادي على صخرة بيت المقدس أيتها العظام البالية والأوصال المتقطعة، إن الله تعالى يأمركنَّ أن تجتمعنَ لفصل القضاء ﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ﴾ يعني: النفخة في الصور التي تأتي بالحق الذي كان أكثرهم فيه يمترون ﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ﴾ أي: من الأجداث ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾﴾ أي: هو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وإليه مصير الخلائق كلهم، فيجازي كلّا بعمله إن خيراً فخير وإن شراً فشر.

وقوله: ﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا﴾ وذلك أن الله تعالىٰ ينزل مطراً من السماء ينبت به أجساد الخلائق كلها في قبورها، كما ينبت الحب في الثرى بالماء، فإذا تكاملت الأجساد أمر الله تعالى إسرافيل فينفخ في الصور وقد أودعت الأرواح في ثقب في الصور فإذا نفخ إسرافيل فيه خرجت الأرواح تتوهج بين السماء والأرض، فيقول الله ﷻ: وعزتي وجلالي لترجعن كل روح إلى الجسد الذي كانت تعمره فترجع كل روح إلى جسدها، فتدبُّ فيه كما يدبُّ السُّم في اللديغ، [وتنشق الأرض عنهم فيقومون إلى موقف الحساب سراعاً مبادرين إلى أمر الله ﷻ ﴿مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ][(٢)] يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾ [القمر: ٨] وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٢﴾﴾ [الإسراء] وفي صحيح مسلم، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا أول من تنشق عنه الأرض»[(٣)].

وقوله: ﴿ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾ أي: تلك إعادة سهلة علينا، يسيرة لدينا كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾﴾ [القمر] وقال ﷻ: ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾﴾ [لقمان].

وقوله: ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ﴾ أي: نحن علمنا محيط بما يقول لك المشركون من التكذيب فلا يهولنَّكَ ذلك كقوله: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾ [الحجر].

---

(١) صحيح البخاري، الوضوء، باب التخفيف في الوضوء (ح١٣٨) وليس فيه ذكر: ثلاث عشرة ركعة، وإنما ورد في صحيح مسلم عن ابن عباس بلفظ: «كان رسول الله ﷺ يصلي من الليل ثلاث عشرة ركعة» (صحيح مسلم، صلاة المسافرين، باب الدعاء في صلاة الليل (ح٧٦٤).

(٢) زيادة من (حم) و(مح).

(٣) صحيح مسلم، الفضائل، باب تفضيل نبينا ﷺ على جميع الخلائق (ح٢٢٧٨).

وقوله: ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِجَبَّارٖۖ﴾ أي ولست بالذي تجبر هؤلاء على الهدى، وليس ذلك مما كلفت به.

وقال مجاهد وقتادة والضحاك: ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِجَبَّارٖۖ﴾ أي: لا تتجبر عليهم[1]. والقول الأول أولى، ولو أراد ما قالوه لقال: ولا تكن جباراً عليهم، وإنما قال: ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِجَبَّارٖۖ﴾ بمعنى وما أنت بمجبرهم على الإيمان إنما أنت مبلغ.

وقال الفراء: سمعت العرب تقول جبر فلان فلاناً على كذا أجبره[2].

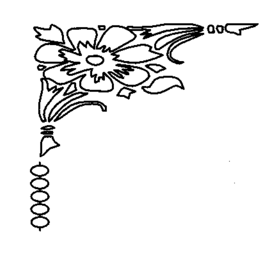
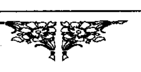
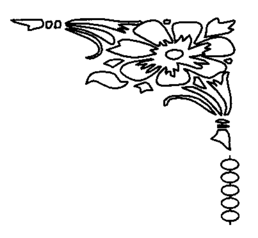
ثم قال تعالىٰ: ﴿فَذَكِّرۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ أي: بلغ أنت رسالة ربك فإنما يتذكر من يخاف الله ووعيده ويرجو وعده، كقوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُ وَعَلَيۡنَا ٱلۡحِسَابُ﴾ [الرعد: ٤٠] وقوله: ﴿فَذَكِّرۡ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٞ ٢١ لَّسۡتَ عَلَيۡهِم بِمُصَيۡطِرٍ ٢٢﴾ [الغاشية] ﴿لَّيۡسَ عَلَيۡكَ هُدَىٰهُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۗ﴾ [البقرة] ﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ﴾ [القصص: ٥٦] ولهذا قال تعالى ههنا: ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِجَبَّارٖۖ فَذَكِّرۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ كان قتادة يقول: اللَّهمَّ اجعلنا ممن يخاف وعيدك ويرجو موعودك يا بار يا رحيم.

آخر تفسير سورة ق، والحمد لله وحده وحسبنا الله ونعم الوكيل.

---

(١) أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة.

(٢) معاني القرآن ٣/ ٨١.

سُورَةُ الذَّارِيَاتِ

وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا ۝١ فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا ۝٢ فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا ۝٣ فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا ۝٤ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ۝٥ وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ ۝٦ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ ۝٧ إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ ۝٨ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ۝٩ قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ ۝١٠ الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ ۝١١ يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ ۝١٢ يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ ۝١٣ ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ۝١٤﴾.

قال شعبة بن الحجاج، عن سماك، عن خالد بن عرعرة أنه سمع علياً رضي الله عنه، وشعبة أيضاً عن القاسم بن أبي بزة، عن أبي الطفيل أنه سمع علياً رضي الله عنه، وثبت أيضاً من غير وجه عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، أنه صعد منبر الكوفة فقال: لا تسألوني عن آية في كتاب الله تعالى، ولا عن سنة عن رسول الله ﷺ إلا أنبأتكم بذلك، فقام إليه ابن الكواء، فقال: يا أمير المؤمنين ما معنى قوله تعالى: ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا ۝١﴾ قال علي: الريح، قال: ﴿فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا ۝٢﴾؟ قال: السحاب، قال: ﴿فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا ۝٣﴾؟ قال: السفن، قال: ﴿فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا ۝٤﴾؟ قال: الملائكة[(١)].

وقد روي في ذلك حديث مرفوع، فقال الحافظ أبو بكر البزار: حدثنا إبراهيم بن هانئ، حدثنا سعيد بن سلام العطار، حدثنا أبو بكر بن أبي سبرة، عن يحيى بن سعيد، عن سعيد بن المسيب، قال: جاء صبيغ التميمي إلى عمر بن الخطاب فقال: يا أمير المؤمنين، فأخبرني عن الذاريات ذرواً، فقال: هي الرياح، ولولا أني سمعت رسول الله ﷺ يقوله ما قلته. قال: فأخبرني عن المقسمات أمراً، قال رضي الله عنه هي الملائكة، ولولا أني سمعت رسول الله ﷺ يقوله ما قلته، قال: فأخبرني عن الجاريات يسراً، قال: هي السفن، ولولا أني سمعت رسول الله ﷺ يقوله ما قلته. ثم أمر بضربه فضرب مائة وجعل في بيت، فلما برأ دعا به فضربه مائة أخرى وحمله على قتب وكتب إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: امنع الناس من مجالسته، فلم يزل كذلك حتى أتى أبا موسى رضي الله عنه، فحلف بالأيمان المغلظة ما يجد في نفسه مما كان يجد شيئاً، فكتب في ذلك إلى عمر رضي الله عنه، فكتب عمر: ما إخاله إلا [قد][(٢)] صدق فخلِّ بينه وبين مجالسة الناس.

---

(١) أخرجه الحاكم من طريق أبي الطفيل به، وصححه ووافقه الذهبي (المستدرك ٢/٤٦٦) وصححه الحافظ ابن حجر (تغليق التعليق ٤/١٤٩)، وأخرجه الضياء المقدسي من طريق أبي الأسود عن عبد الله بن الكواء به (المختارة ٢/١٢٢ ح٤٩٤).

(٢) زيادة من (مح) و(حم) ومسند البزار.

قال أبو بكر البزار: فأبو بكر بن أبي سبرة: لين، وسعيد بن سلام ليس من أصحاب الحديث[(١)].

قلت: فهذا الحديث ضعيف رفعه، وأقرب ما فيه أنه موقوف على عمر رضي الله عنه، فإن قصة صبيغ بن عسل مشهورة مع عمر، وإنما ضربه لأنه ظهر له من أمره فيما يسأل تعنتاً وعناداً، والله أعلم.

وقد ذكر الحافظ ابن عساكر هذه القصة في ترجمة صبيغ مطولة[(٢)]، وهكذا فسرها ابن عباس وابن عمر ومجاهد وسعيد بن جبير والحسن وقتادة والسدي وغير واحد[(٣)]، ولم يحكِ ابن جرير وابن أبي حاتم غير ذلك، وقد قيل إن المراد بالذاريات الريح كما تقدم، وبالحاملات وقراً السحاب كما تقدم؛ لأنها تحمل الماء كما قال زيد بن عمرو بن نفيل:

وأسلمت نفسي لمن أسلمت له   المزن تحمل عذباً زلالاً[(٤)]

فأما الجاريات يُسراً فالمشهور عن الجمهور ما تقدم أنها السفن، تجري ميسرة في الماء جرياً سهلاً، وقال بعضهم: هي النجوم تجري يسراً في أفلاكها ليكون ذلك ترقياً من الأدنى إلى الأعلى إلى ما هو أعلى منه، فالرياح فوقها السحاب، والنجوم فوق كذلك، والمقسمات أمراً الملائكة فوق ذلك تنزل بأوامر الله الشرعية والكونية، وهذا قَسم من الله عز وجل على وقوع المعاد، ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ۝٥﴾ أي: لخبر صدق ﴿وَإِنَّ ٱلدِّينَ﴾ وهو الحساب ﴿لَوَٰقِعٌ﴾ أي: لكائن لا محالة.

ثم قال تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ ۝٧﴾ قال ابن عباس: ذات الجمال والبهاء والحسن والاستواء[(٥)]، وكذا قال مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وأبو مالك وأبو صالح والسدي وقتادة وعطية العوفي والربيع بن أنس وغيرهم[(٦)].

وقال الضحاك والمنهال بن عمرو وغيرهما: مثل تجعد الماء والرمل والزرع، إذا ضربته الريح فينسج بعضه بعضاً طرائق طرائق، فذلك الحبك[(٧)].

قال ابن جرير: حدثني يعقوب بن إبراهيم، حدثنا ابن عُلية، حدثنا أيوب، عن أبي قلابة، عن رجل من أصحاب النبي ﷺ، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن من ورائكم الكذاب المضلّ، وإن

---

(١) أخرجه البزار بسنده ومتنه (المسند ١/ ٤٢٣ ح٢٩٩) وسنده ضعيف جداً لأن أبا بكر بن أبي سبرة متروك (مجمع الزوائد ٧/ ١٢٢) والقصة لها أصل، ولكن بدون ذكر التفسير النبوي.

(٢) تاريخ دمشق ٨/ل ٢٣٠.

(٣) قول ابن عباس أخرجه الطبري بسند منقطع من طريق عبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم عنه، وهو لم يدرك ابن عباس، وأخرجه أيضاً بسند ضعيف من طريق العوفي عن ابن عباس، ويتقويان بسابقه، وقول مجاهد أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عنه، وأخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق قتادة عن علي رضي الله عنه، وقتادة لم يسمع من علي، ويتقوىٰ بما سبق.

(٤) ذكره ابن هشام (السيرة النبوية ١/ ٢٣١).

(٥) أخرجه البُستي والطبري بسند حسن من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس.

(٦) أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد، وأخرجه عبد الرزاق والطبري بسند صحيح من طريق معمر عن قتادة، وأخرجه الطبري بسند حسن من طريق عمران بن حدير عن عكرمة، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق عوف الأعرابي عن الحسن، وأخرجه الطبري بسند جيد من طريق أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس، وأخرجه الطبري بسندين يقوي أحدهما الآخر عن سعيد بن جبير.

(٧) أخرجه البستي بسند حسن من طريق عبيد بن سليمان عن الضحاك.

رأسه من ورائه [حُبُكٌ حُبُك]»[١]؛ يعني: بالحبك الجعودة[٢].

وعن أبي صالح: ذات الحبك: الشدة[٣].

وقال خُصيف: ﴿ذَاتِ الْحُبُكِ﴾: ذات الصفاقة[٤].

وقال الحسن بن أبي الحسن البصري: ﴿ذَاتِ الْحُبُكِ﴾: حبكت بالنجوم[٥].

وقال قتادة، عن سالم بن أبي الجعد، عن معدان بن أبي طلحة، عن عمرو البكالي، عن عبد الله بن عمر: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ ۝٧﴾ يعني: السماء السابعة[٦]، وكأنه والله أعلم أراد بذلك السماء التي فيها الكواكب الثابتة، وهي عند كثير من علماء الهيئة في الفلك الثامن الذي فوق السابع، والله أعلم.

وكل هذه الأقوال ترجع إلى شيء واحد وهو الحسن والبهاء كما قال ابن عباس رضي الله عنهما، فإنها من حسنها مرتفعة شفافة صفيقة شديدة البناء متسعة الأرجاء أنيقة البهاء، مكلّلة بالنجوم الثوابت والسيارات، موشحة بالشمس والقمر والكواكب الزهرات وقوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ ۝٨﴾ أي: إنكم أيها المشركون المكذبون للرسل لفي قول مختلف مضطرب لا يلتئم ولا يجتمع.

وقال قتادة: إنكم لفي قول مختلف: ما بين مصدق بالقرآن ومكذب به[٧].

﴿يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ۝٩﴾ أي: إنما يروج على من هو ضالّ في نفسه؛ لأنه قول باطل إنما ينقاد له ويضل بسببه، ويؤفك عنه من هو مأفوك ضالّ غُمر لا فهم له كما قال تعالى: ﴿فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ۝١٦١ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ ۝١٦٢ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ ۝١٦٣﴾ [الصافات] قال ابن عباس والسدي: ﴿يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ۝٩﴾ يضل عنه من ضل[٨].

وقال مجاهد: ﴿يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ۝٩﴾ يؤفن عنه من أفن[٩]، وقال الحسن البصري: يصرف عن هذا القرآن من كذب به[١٠].

وقوله تعالى: ﴿قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ ۝١٠﴾ قال مجاهد: الكذابون، قال: وهي مثل التي في عبس ﴿قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ۝١٧﴾ [عبس] والخراصون الذين يقولون لا نبعث ولا يوقنون[١١]. وقال علي بن أبي

---

(١) كذا في تفسير الطبري والمسند، وفي الأصل و(حم) و(مح): «حبكاحبكا».

(٢) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده صحيح، وأخرجه الإمام أحمد من طريق إسماعيل بن عُلية به بدون قوله: يعني بالحبك: الجعودة. (المسند ٣٨/ ٤٧٢ ح٢٣٤٨٧) وصحح سنده محققوه.

(٣) عزاه السيوطي إلى أبي الشيخ عن أبي صالح، وهو في العظمة لأبي الشيخ رقم ٥٤٦، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق عبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم.

(٤) هذا القول يتضمن المعنىٰ السابق.

(٥) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق عوف الأعرابي عن الحسن.

(٦) أخرجه الطبري من طريق قتادة به وسنده حسن.

(٧) أخرجه عبد الرزاق والطبري بسند صحيح من طريق معمر عن قتادة.

(٨) عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم عن ابن عباس.

(٩) أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.

(١٠) أخرجه عبد الرزاق والطبري بسند صحيح من طريق قتادة عن الحسن بنحوه.

(١١) أخرجه آدم والطبري بالسند الصحيح المتقدم.

طلحة، عن ابن عباس: ﴿قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ ۝١٠﴾ أي: لعن المرتابون[١]. وهكذا كان معاذ ﵁ يقول في خطبته. هلك المرتابون. وقال قتادة: الخراصون أهل [الغرة][٢] والظنون[٣].

وقوله: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ ۝١١﴾ قال ابن عباس وغير واحد: في الكفر والشك غافلون لاهون[٤].

﴿يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ ۝١٢﴾ وإنما يقولون هذا تكذيباً وعناداً وشكاً واستبعاداً، قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ ۝١٣﴾ قال ابن عباس ومجاهد والحسن وغير واحد ﴿يُفْتَنُونَ﴾: يعذبون[٥].

قال مجاهد: كما يفتن الذهب على النار[٦].

وقال جماعة آخرون كمجاهد أيضاً وعكرمة وإبراهيم النخعي وزيد بن أسلم وسفيان الثوري: ﴿يُفْتَنُونَ﴾ يحرقون[٧].

﴿ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ﴾ قال مجاهد: حريقكم[٨]، وقال غيره: عذابكم ﴿هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ أي: يقال لهم ذلك تقريعاً وتوبيخاً وتحقيراً وتصغيراً.

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۝١٥ آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ ۝١٦ كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ۝١٧ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ۝١٨ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ۝١٩ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ ۝٢٠ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ۝٢١ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ۝٢٢ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ ۝٢٣﴾.

يقول تعالى مخبراً عن المتقين لله ﷿ أنهم يوم معادهم يكونون في جنات وعيون بخلاف ما أولئك الأشقياء فيه من العذاب والنكال والحريق والأغلال.

وقوله تعالى: ﴿آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ﴾ قال ابن جرير: أي عاملين بما آتاهم الله من الفرائض[٩]. ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ﴾ أي: قبل أن يفرض عليهم الفرائض كانوا محسنين في الأعمال أيضاً، ثم روي عن ابن حميد حدثنا مهران، عن سفيان، عن أبي عمر، عن مسلم البطين، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ﴾ قال: من الفرائض ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ﴾ قبل الفرائض يعملون[١٠]. وهذا الإسناد ضعيف ولا يصح عن ابن عباس.

---

(١) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق علي به. (٢) زيادة من (حم) و(مح)، وفي الأصل: «بياض».
(٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.
(٤) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس بلفظ: «في ضلالتهم يتمادون».
(٥) أخرجه الطبري بالسند الثابت المتقدم عن ابن عباس.
(٦) أخرجه آدم والطبري بالسند الصحيح المتقدم عن مجاهد.
(٧) أخرجه آدم بن أبي إياس بالسند المتقدم، وأخرجه سفيان الثوري والطبري بسندين يقوي أحدهما الآخر من طريق حصين عن عكرمة، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق عبد الله بن وهب عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وأخرجه البُستي بسند حسن من طريق عبيد بن سليمان عن الضحاك.
(٨) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.
(٩) ذكره الطبري بنحوه.
(١٠) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وقد ضعفه الحافظ ابن كثير، وهو كما قال لأن ابن حميد وهو محمد بن =

وقد رواه عثمان بن أبي شيبة، عن معاوية بن هشام، عن سفيان، عن أبي عمر البزار، عن مسلم البطين، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس فذكره، والذي فسر به ابن جرير فيه نظر؛ لأن قوله تبارك وتعالى آخذين حال من قوله في جنات وعيون، فالمتقون في حال كونهم في الجنات والعيون آخذين ما آتاهم ربهم؛ أي: من النعيم والسرور والغبطة، وقوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ﴾ أي: في الدار الدنيا ﴿مُحْسِنِينَ﴾ كقوله: ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾﴾ [الحاقة] ثم إنه تعالى بيّن إحسانهم في العمل فقال: ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾﴾.

اختلف المفسرون في ذلك على قولين:

(أحدها): أن ﴿مَا﴾ نافية تقديره كانوا قليلاً من الليل لا يهجعونه، قال ابن عباس: لم تكن تمضي عليهم ليلة إلا يأخذون منها ولو شيئاً[١].

وقال قتادة، عن مُطَرف بن عبد الله: قل ليلة لا تأتي عليهم إلا يصلون فيها لله ﷻ، إما من أولها وإما من أوسطها[٢].

وقال مجاهد: قل ما يرقدون ليلة حتى الصباح لا يتهجدون[٣] وكذا قال قتادة.

وقال أنس بن مالك وأبو العالية: كانوا يصلون بين المغرب والعشاء[٤].

وقال أبو جعفر الباقر: كانوا لا ينامون حتى يصلوا العتمة[٥].

(والقول الثاني) أن ﴿مَا﴾ مصدرية تقديره كانوا قليلاً من الليل هجوعهم ونومهم، واختاره ابن جرير.

وقال الحسن البصري: ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾﴾ كابدوا قيام الليل فلا ينامون من الليل إلا أقله، ونشطوا فمدوا إلى السحر حتى كان الاستغفار بسحر[٦].

وقال قتادة: قال الأحنف بن قيس: ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾﴾ كانوا لا ينامون إلا قليلاً ثم يقول: لست من أهل هذه الآية[٧]. وقال الحسن البصري: كان الأحنف بن قيس يقول

= حميد الرازي: ضعيف، ومسلم البطين لم يدرك ابن عباس ﷺ، وأبو عمر البزار: هو دينار بن عمر الأسدي: صالح الحديث رمي بالرفض (التقريب ص٢٠٢).

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (المصنف ٢/ ٢٣٩) والطبري والحاكم بسند حسن من طريق المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وصححه الحاكم وذكر له شاهداً مرفوعاً، ووافقه الذهبي على الموقوف عن ابن عباس وضعف الشاهد المرفوع (المستدرك ٢/ ٤٦٧).

(٢) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق قتادة به.

(٣) أخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.

(٤) أخرجه أبو داود بسند صحيح عن أنس (السنن، الصلاة، باب وقت قيام النبي ﷺ من الليل ح١٣٢٣)، وأخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي (المستدرك ٢/ ٤٦٧) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح١١٧٤)، وأخرجه ابن أبي شيبة (المصنف ٢/ ٢٣٨) والطبري بسند حسن من طريق عاصم عن أبي العالية.

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة (المصنف ٢/ ٢٣٨)، والطبري بسند حسن من طريق بكر بن أبي السميط عن قتادة عن أبي جعفر محمد بن علي.

(٦) أخرجه الطبري بسندين يقوي أحدهما الآخر.

(٧) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة مقتصراً على الشق الأول، وأخرجه =

عرضت عملي على عمل أهل الجنة، فإذا قوم قد باينونا بوناً بعيداً، إذا قوم لا نبلغ أعمالهم كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون، وعرضت عملي على عمل أهل النار، فإذا قوم لا خير فيهم مكذبون بكتاب الله وبرسل الله، مكذبون بالبعث بعد الموت، فقد وجدت من خيرنا منزلة قوماً خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً[(١)].

وقال عبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم: قال رجل من بني تميم لأُبي: يا أبا أُسامة صفة لا أجدها فينا ذكر الله تعالى قوماً فقال: ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾﴾ ونحن والله قليلاً من الليل ما نقوم، فقال له أُبي: طوبى لمن رقد إذا نعس واتقى الله إذا استيقظ[(٢)].

وقال عبد الله بن سلام: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة انجفل الناس إليه، فكنت فيمن انجفل، فلما رأيت وجهه ﷺ عرفت أن وجهه ليس بوجه رجل كذاب، فكان أول ما سمعته ﷺ يقول: «يا أيها الناس أطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وأفشوا السلام، وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام»[(٣)].

وقال الإمام أحمد: حدثنا حسن بن موسى، حدثنا ابن لهيعة، حدثني حُيي بن عبد الله، عن أبي عبد الرحمٰن الحبلي، عن عبد الله بن عمر قال: إن رسول الله ﷺ قال: «إن في الجنة غرفاً يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها» فقال أبو موسى الأشعري: لمن هي يا رسول الله؟ قال ﷺ: «لمن ألان الكلام، وأطعم الطعام، وبات لله قائماً والناس نيام»[(٤)].

وقال معمر في قوله تعالى: ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾﴾: كان الزهري والحسن يقولان: كانوا كثيراً من الليل ما يصلون[(٥)].

وقال ابن عباس وإبراهيم النخعي: ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾﴾ ما ينامون[(٦)].

وقال الضحاك: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا۟ قَلِيلًا﴾ ثم ابتدأ فقال: ﴿مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾﴾[(٧)] [وهذا القول فيه بُعد وتعسف.

وقوله ﷻ: ﴿وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾﴾][(٨)].

قال مجاهد وغير واحد: يصلون[(٩)] وقال آخرون: قاموا الليل وأخروا الاستغفار إلى الأسحار

= كاملاً بسند فيه الحكم بن عطية عن قتادة، والحكم: صدوق له أوهام كما في التقريب ص١٧٥.

(١) لم أجد من أخرجه بل لم يذكره فضيلة د. شير علي شاه في تفسير الحسن البصري.

(٢) وأخرجه الطبري من طريق عبد الرحمٰن بن زيد به وسنده ضعيف لإبهام شيخ عبد الرحمٰن، وعبد الرحمٰن هو ضعيف.

(٣) أخرجه الإمام أحمد من حديث عبد الله بن سلام ﷺ (المسند ٣٩/ ٢٠١ ح٢٣٧٨٤) وصحح سنده محققوه.

(٤) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ١١/ ١٨٦ ح٦٦١٥) وقال محققوه: حديث حسن لغيره.

(٥) أخرجه عبد الرزاق والطبري بسند صحيح من طريق معمر به.

(٦) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وأخرجه سفيان الثوري وابن أبي شيبة (المصنف ٢/ ٢٣٩) بسند صحيح من طريق منصور عن إبراهيم النخعي.

(٧) أخرجه البُستي بسند حسن من طريق عبيد بن سليمان عن الضحاك.

(٨) زيادة من (حم) و(مح).

(٩) أخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.

كما قال تعالى: ﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾ [آل عمران: ١٧] فإن كان الاستغفار في صلاة فهو أحسن.

وقد ثبت في الصحاح وغيرها عن جماعة من الصحابة ﷺ، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن الله تعالى ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير، فيقول هل من تائب فأتوب عليه، هل من مستغفر فأغفر له، هل من سائل فيعطى سؤله؟ حتى يطلع الفجر»[(١)].

وقال كثير من المفسرين في قوله تعالى: إخباراً عن يعقوب أنه قال لبنيه: ﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ﴾ [يوسف: ٩٨] قالوا: أخّرهم إلى وقت السحر[(٢)].

وقوله: ﴿وَفِيٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾﴾ لما وصفهم بالصلاة ثنى بوصفهم بالزكاة والبر والصلة فقال: ﴿وَفِيٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ﴾ أي: جزء مقسوم قد أفرزوه للسائل والمحروم. أما السائل فمعروف وهو الذي يبتدئ بالسؤال، وله حق كما قال الإمام أحمد: حدثنا وكيع وعبد الرحمٰن قالا: حدثنا سفيان، عن مصعب بن محمد، عن يعلى بن أبي يحيى، عن فاطمة بنت الحسين، عن أبيها الحسين بن علي قال: قال رسول الله ﷺ: «للسائل حق وإن جاء على فرس»[(٣)]. ورواه أبو داود من حديث سفيان الثوري به[(٤)]. ثم أسنده من وجه آخر عن علي بن أبي طالب[(٥)]، وروي من حديث الهرماس بن زياد مرفوعاً[(٦)].

وأما المحروم فقال ابن عباس ومجاهد: هو المحارف الذي ليس له في الإسلام سهم[(٧)]؛ يعني: لا سهم له في بيت المال ولا كسب له ولا حرفة يتقوت منها.

وقالت أم المؤمنين عائشة: هو المحارف الذي لا يكاد يتيسر له مكسبه[(٨)].

وقال الضحاك: هو الذي لا يكون له مال إلا ذهب، قضى الله تعالى له ذلك[(٩)].

وقال أبو قلابة: جاء سيل باليمامة فذهب بمال رجل، فقال رجل من الصحابة: هذا المحروم[(١٠)] وقال ابن عباس أيضاً وسعيد بن المسيب وإبراهيم النخعي ونافع مولى ابن عمر

---

(١) أخرجه الشيخان من حديث أبي هريرة ﷺ (صحيح البخاري، التهجد، باب الدعاء والصلاة من آخر الليل ح١١٤٥)، وصحيح مسلم، صلاة المسافرين، باب الترغيب في الدعاء... (ح٧٥٨).

(٢) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق عبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم بلاغاً.

(٣) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٣/ ٢٥٤ ح١٧٣٠) وضعف سنده محققوه لجهالة يعلىٰ بن أبي يحيىٰ.

(٤) السنن، الزكاة، باب حق السائل (ح١٦٦٥)، وسنده كسابقه.

(٥) المصدر السابق (ح١٦٦٦) وفي سنده رجل مجهول لم يسم.

(٦) أخرجه الطبراني بسند ضعيف من طريق عثمان بن فائد عن عكرمة بن عمار عن الهرماس به (المعجم الكبير ٢٢/ ٢٠٣ ح٥٣٥) وأعله الهيثمي بعثمان بن فائد (مجمع الزوائد ٣/ ١٠٤)، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة (ح١٣٧٨).

(٧) أخرجه ابن أبي شيبة (المصنف ٧/ ٦٦٩) والطبري كلاهما من طريق قيس بن كركم عن ابن عباس، وقيس سكت عنه ابن أبي حاتم (الجرح والتعديل ٧/ ١٠٣) ويتقوىٰ بالشواهد التالية، وأخرجه عبد الرزاق وآدم بن أبي إياس بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد مختصراً.

(٨) عزاه السيوطي في الدر المنثور إلى ابن أبي حاتم.

(٩) أخرجه البستي بسند حسن من طريق عبيد بن سليمان عن الضحاك.

(١٠) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق عاصم عن أبي قلابة.

وعطاء بن أبي رباح: ﴿وَٱلْمَحْرُومِ﴾ المحارف[١]. وقال قتادة والزهري: ﴿وَٱلْمَحْرُومِ﴾ الذي لا يسأل الناس شيئاً[٢].

قال الزهري: وقد قال رسول الله ﷺ: «ليس المسكين بالطواف الذي ترده اللقمة واللقمتان والتمرة والتمرتان، ولكن المسكين الذي لا يجد غنًى يغنيه ولا يفطن له فيتصدق عليه» وهذا الحديث قد أسنده الشيخان في صحيحيهما من وجه آخر[٣].

وقال سعيد بن جبير: هو الذي يجيء وقد قسم المغنم فيرضخ له.

وقال محمد بن إسحاق: حدثني بعض أصحابنا قال: كنا مع عمر بن عبد العزيز في طريق مكة، [فجاء كلب][٤] فانتزع عمر كتف شاة فرمى بها إليه وقال: يقولون إنه المحروم[٥].

وقال الشعبي: أعياني أن أعلم ما المحروم[٦].

واختار ابن جرير أن المحروم الذي لا مال له بأي سبب كان وقد ذهب ماله، سواء كان لا يقدر على الكسب أو قد هلك ماله أو نحوه بآفة أو نحوها[٧].

وقال الثوري: عن قيس بن مسلم، عن الحسن بن محمد قال: إن رسول الله ﷺ بعث سرية فغنموا، فجاءه قوم لم يشهدوا الغنيمة، فنزلت هذه الآية ﴿وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾﴾[٨] وهذا يقتضي أن هذه مدنية وليس كذلك بل هي مكية شاملة لما بعدها.

وقوله: ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾﴾ أي: فيها من الآيات الدالَّة على عظمة خالقها وقدرته الباهرة مما قد ذرأ فيها من صنوف النبات والحيوانات والمهاد والجبال والقفار والأنهار والبحار، واختلاف ألسنة الناس وألوانهم وما جبلوا عليه من الإرادات والقِوى، وما بينهم من التفاوت في العقول والفهوم والحركات والسعادة والشقاوة، وما في تركيبهم من الحكم في وضع كل عضو من أعضائهم في المحل الذي هو محتاج إليه فيه، ولهذا قال: ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾﴾.

قال قتادة: من تفكر في خلق نفسه عرف أنه إنما خلق ولينت مفاصله للعبادة.

ثم قال: ﴿وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ﴾ يعني: المطر[٩] ﴿وَمَا تُوعَدُونَ﴾ يعني: الجنة، قاله ابن عباس ومجاهد وغير واحد[١٠].

وقال سفيان الثوري: قرأ واصل الأحدب هذه الآية: ﴿وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾ فقال:

---

(١) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق مجاهد عن مجاهد، وأخرجه أيضاً بسند صحيح عن عطاء بن أبي رباح، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق أيوب عن نافع مولىٰ ابن عمر، وأخرجه بسند صحيح من طريق منصور عن إبراهيم النخعي.

(٢) أخرجه عبد الرزاق والطبري بسند صحيح من طريق معمر عن قتادة.

(٣) تقدم تخريجه في تفسير سورة البقرة آية ١٧٧.

(٤) زيادة من (حم) و(مح).

(٥) سنده ضعيف لجهالة شيخ ابن إسحاق.

(٦) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق ابن عون عن الشعبي.

(٧) ذكره الطبري بنحوه.

(٨) أخرجه الطبري بسند رجاله ثقات من طريق الثوري به لكنه مرسل.

(٩) أخرجه البستي بسند ضعيف من طريق رجل مجهول عن مجاهد.

(١٠) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.

ألا إني أرى رزقي في السماء وأنا أطلبه في الأرض؟ فدخل خربة فمكث ثلاثاً لا يصيب شيئاً، فلما أن كان اليوم الثالث إذا هو بدوخلة[١] من رطب، وكان له أخ أحسن نية منه، دخل معه فصارتا دوخلتين، فلم يزل ذلك دأبهما حتى فرّق بينهما الموت[٢].

وقوله: ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾﴾ يقسم تعالى بنفسه الكريمة أن ما وعدهم به من أمر القيامة والبعث والجزاء كائن لا محالة، وهو حق لا مرية فيه، فلا تشكُّوا فيه كما لا تشكُّوا في نطقكم حين تنطقون، وكان معاذ رضي الله عنه إذا حدث بالشيء يقول لصاحبه: إن هذا لحق كما أنك ههنا.

قال مسدد: عن ابن أبي عدي، عن عوف، عن الحسن البصري قال: بلغني أن رسول الله ﷺ قال: «قاتل الله أقواماً أقسم لهم ربهم ثم لم يصدقوا»[٣]. ورواه ابن جرير، عن بُندار، عن ابن أبي عدي، عن عوف، عن الحسن فذكره مرسلاً[٤].

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُوا كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾﴾.

هذه القصة قد تقدمت في سورة هود والحجر أيضاً فقوله: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾﴾ أي: الذين أرصد لهم الكرامة، وقد ذهب الإمام أحمد وطائفة من العلماء إلى وجوب الضيافة للنزيل، وقد وردت السنة بذلك كما هو ظاهر التنزيل. وقوله تعالى: ﴿فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ﴾ الرفع أقوى وأثبت من النصب، فردُّه أفضل من التسليم ولهذا قال تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾ [النساء: ٨٦] فالخليل اختار الأفضل.

وقوله تعالى: ﴿قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾ وذلك أن الملائكة وهم جبريل وميكائيل وإسرافيل قدموا عليه في صورة شُبان حِسان عليهم مهابة عظيمة ولهذا قال: ﴿قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾ وقوله: ﴿فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ﴾ أي: انسلَّ خفية في سرعة ﴿فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾ أي: من خيار ماله، وفي الآية الأخرى: ﴿فَمَا لَبِثَ أَن جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾ [هود: ٦٩] أي: مشوي على الرضف ﴿فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ﴾ أي: أدناه منهم ﴿قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ تلطّف في العبارة وعرض حسن.

وهذه الآية انتظمت آداب الضيافة فإنه جاء بطعام من حيث لا يشعرون بسرعة، ولم يمتن عليهم أولاً فقال: نأتيكم بطعام بل جاء به بسرعة وخفاء، وأتى بأفضل مما وجد من ماله، وهو عجل فتي سمين مشوي، فقربه إليهم لم يضعه وقال اقتربوا، بل وضعه بين أيديهم ولم يأمرهم أمراً يشق على سامعه بصيغة الجزم بل قال: ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ على سبيل العرض

---

(١) سلة تنسج من الخوص كالزنبيل يخزن فيها التمر.
(٢) أخرجه الطبري بسند فيه ابن حميد وهو محمد بن حميد الرازي وهو ضعيف.
(٣) سنده ضعيف لأن الحسن رواه بلاغاً وهو من مراسيله.
(٤) أخرجه الطبري عن محمد بن بشار وهو بندار به، وسنده كسابقه.

والتلطف، كما يقول القائل اليوم إن رأيت أن تتفضل وتحسن وتتصدق فافعل.

وقوله تعالى: ﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ هذا محال على ما تقدم في القصة في السورة الأخرى وهي قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُواْ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ﴾ [هود] أي: استبشرت بهلاكهم لتمردهم وعتوهم على الله تعالى، فعند ذلك بشرتها الملائكة بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب ﴿قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓاْ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾﴾ [هود] ولهذا قال ههنا: ﴿وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ﴾ فالبشارة له هي بشارة لها. لأن الولد منهما فكل منهما بشر به.

وقوله: ﴿فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ﴾ أي: في صرخة عظيمة ورنَّة، قاله ابن عباس ومجاهد وعكرمة وأبو صالح والضحاك وزيد بن أسلم والثوري والسدي[١]. وهي قولها: ﴿يَٰوَيْلَتَىٰٓ﴾.

﴿فَصَكَّتْ وَجْهَهَا﴾ أي: ضربت بيدها على جبينها قاله مجاهد وابن سابط[٢]، وقال ابن عباس: لطمت[٣]؛ أي: تعجباً كما تتعجب النساء من الأمر الغريب ﴿وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾ أي: كيف ألد وأنا عجوز وقد كنت في حال الصبا عقيماً لا أحبل؟ ﴿قَالُواْ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾﴾ أي: عليم بما تستحقون من الكرامة حكيم في أقواله وأفعاله.

﴿۞ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾ وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٣٧﴾﴾.

قال الله تعالى مخبراً عن إبراهيم عليه الصلاة والسلام: ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾ يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآ إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴿٧٦﴾﴾ [هود] وقال ههنا: ﴿۞ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾﴾ أي: ما شأنكم؟ وفيم جئتم؟ ﴿قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾﴾ يعنون قوم لوط ﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُّسَوَّمَةً﴾ أي: معلمة ﴿عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ﴾ أي: مكتتبة عنده بأسمائهم كل حجر عليه اسم صاحبه، فقال في سورة العنكبوت: ﴿قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُواْ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [العنكبوت] وقال تعالى ههنا: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن

---

(١) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وأخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد، وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة وأخرجه البُستي بسند حسن من طريق إسباط عن السدي، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق عبد الله بن وهب عن زيد بن أسلم.

(٢) أخرجه آدم بن أبي إياس والبستي والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد، وأخرجه الطبري بسند فيه محمد بن حميد الرازي من قول ابن سابط، ومحمد بن حميد ضعيف، ويتقوىٰ السند بسابقه.

(٣) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس.

كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾﴾ وهم لوط وأهل بيته إلا امرأته ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾﴾ احتج بهذه الآية من ذهب إلى رأي المعتزلة ممن لا يفرق بين مسمى الإيمان والإسلام؛ لأنه أطلق عليهم المؤمنين والمسلمين، وهذا الاستدلال ضعيف لأن هؤلاء كانوا قوماً مؤمنين، وعندنا أن كل مؤمن مسلم ولا ينعكس فاتفق الاسمان ههنا لخصوصية الحال، ولا يلزم ذلك في كل حال، وقوله: ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٣٧﴾﴾ أي: جعلناها عبرة لما أنزلنا بهم من العذاب والنكال وحجارة السجيل، وجعلنا محلتهم بحيرة منتنة خبيثة، ففي ذلك عبرة للمؤمنين ﴿لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾.

﴿وَفِى مُوسَىٰٓ إِذْ أَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٤٠﴾ وَفِى عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا تَذَرُ مِن شَىْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَٱلرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾ وَفِى ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا۟ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٣﴾ فَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٤٤﴾ فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مِن قِيَامٍ وَمَا كَانُوا۟ مُنتَصِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٤٦﴾﴾.

يقول تعالى: ﴿وَفِى مُوسَىٰٓ إِذْ أَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾﴾ أي: بدليل باهر وحجة قاطعة ﴿فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ﴾ أي: فأعرض فرعون عما جاءه به موسى من الحق المبين استكباراً وعناداً.

وقال مجاهد: تعزز بأصحابه[١].

وقال قتادة: غلب عدو الله على قومه[٢].

وقال ابن زيد: ﴿فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ﴾ أي: بجموعه التي معه ثم قرأ ﴿لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾[٣] [هود: ٨٠] والمعنى الأول قوي كقوله تعالى: ﴿ثَانِىَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الحج: ٩] أي: معرض عن الحق مستكبر ﴿وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ أي: لا يخلو أمرك فيما جئتني به من أن تكون ساحراً أو مجنوناً قال الله تعالى: ﴿فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ﴾ أي: ألقيناهم ﴿فِى ٱلْيَمِّ﴾ وهو البحر ﴿وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ أي: وهو ملوم كافر جاحد فاجر معاند.

ثم قال: ﴿وَفِى عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ ﴿٤١﴾﴾ أي: المفسدة التي لا تنتج شيئاً. قاله الضحاك وقتادة وغيرهما[٤]، ولهذا قال تعالى: ﴿مَا تَذَرُ مِن شَىْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ﴾ أي: مما تفسده الريح ﴿إِلَّا جَعَلَتْهُ كَٱلرَّمِيمِ﴾ أي: كالشيء الهالك البالي.

وقد قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو عبيد الله ابن أخي ابن وهب، حدثنا عمي عبد الله بن وهب، حدثني عبد الله يعني ابن عياش الغساني، حدثني عبد الله بن سليمان، عن دراج، عن

---

(١) أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد بلفظ: «بعضده وأصحابه».

(٢) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق عبد الله بن وهب عن ابن زيد.

(٤) أخرجه البستي بسند حسن من طريق عبيد بن سليمان عن الضحاك بنحوه، وأخرجه عبد الرزاق والطبري بسند صحيح من طريق معمر عن قتادة بلفظ: «الريح التي لا تنبت».

عيسى بن هلال الصدفي، عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «الريح مسخرة من الثانية» ـ يعني: من الأرض الثانية ـ، فلما أراد الله تعالى أن يهلك عاداً أمر خازن الريح أن يرسل عليهم ريحاً تهلك عاداً قال: أي ربِّ أرسل عليهم الريح قدر منخر الثور؟ قال له الجبار تبارك وتعالى لا إذاً تكفأ الأرض ومن عليها ولكن أرسل عليهم بقدر خاتم فهي التي قال الله في كتابه: ﴿مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾﴾[1].

هذا الحديث رفعه منكر والأقرب أن يكون موقوفاً على عبد الله بن عمرو من زاملتيه اللتين أصابهما يوم اليرموك، والله أعلم.

قال سعيد بن المسيب وغيره في قوله تعالى: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾ قالوا: هي الجنوب[2].

وقد ثبت في الصحيح من رواية شعبة، عن الحكم، عن مجاهد، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور»[3].

﴿وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٣﴾﴾ قال ابن جرير: يعني إلى وقت فناء آجالكم[4]. والظاهر أن هذه كقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ﴾ [فصلت: ١٧] وهكذا قال ههنا: ﴿وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٣﴾ فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ وذلك أنهم انتظروا العذاب ثلاثة أيام فجاءهم في صبيحة اليوم الرابع بكرة النهار ﴿فَمَا اسْتَطَاعُوا مِن قِيَامٍ﴾ أي: من هرب ولا نهوض ﴿وَمَا كَانُوا مُنتَصِرِينَ﴾ أي: لا يقدرون على أن ينتصروا مما هم فيه.

وقوله: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ﴾ أي: وأهلكنا قوم نوح من قبل هؤلاء ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ وكل هذه القصص قد تقدمت مبسوطة في أماكن كثيرة من سور متعددة.

﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْيدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ ۖ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ ۖ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾﴾.

يقول تعالى منبهاً على خلق العالم العلوي والسفلي ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا﴾ أي: جعلناها سقفاً محفوظاً رفيعاً ﴿بِأَيْيدٍ﴾ أي: بقوة، قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة والثوري وغير واحد[5]. ﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ أي: قد وسعنا أرجاءها فرفعناها بغير عمد حتى استقلت كما هي ﴿وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا﴾ أي:

---

(١) أخرجه الحاكم من طريق عبد الله بن وهب به وصححه وتعقبه الذهبي بقوله: «منكر». (المستدرك ٤/ ٥٩٤). وكذلك قال الحافظ ابن كثير. وتقدم تخريجه في تفسير سورة الروم آية ٤٨.

(٢) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق الحارث بن عبد الرحمن خال ابن أبي ذئب عن سعيد بن المسيب.

(٣) تقدم تخريجه في تفسير سورة الأحزاب آية ٩.

(٤) ذكره الطبري بلفظه.

(٥) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وأخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة.

جعلناها فراشاً للمخلوقات ﴿فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ﴾ أي: وجعلناها مهداً لأهلها ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ أي: جميع المخلوقات أزواج سماء وأرض وليل ونهار، وشمس وقمر وبر وبحر وضياء وظلام، وإيمان وكفر وموت وحياة وشقاء وسعادة وجنة ونار، حتى الحيوانات والنباتات، ولهذا قال تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ أي: لتعلموا أن الخالق واحد لا شريك له ﴿فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ﴾ أي: ألجأوا إليه واعتمدوا في أموركم عليه ﴿إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٥٠ وَلَا تَجْعَلُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ أي: لا تشركوا به شيئاً ﴿إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾.

﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا۟ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ۝٥٢ أَتَوَاصَوْا۟ بِهِۦ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ۝٥٣ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ ۝٥٤ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٥٥ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ۝٥٨ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَٰبِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ ۝٥٩ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن يَوْمِهِمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ۝٦٠﴾.

يقول تعالى مسلياً لنبيه ﷺ وكما قال لك هؤلاء المشركون قال المكذبون الأولون لرسلهم: ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا۟ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ۝٥٢﴾ قال الله: ﴿أَتَوَاصَوْا۟ بِهِۦ﴾ أي: أوصى بعضهم بعضاً بهذه المقالة ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ أي: لكن هم قوم طغاة تشابهت قلوبهم، فقال متأخرهم كما قال متقدمهم. قال الله تعالى: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ أي: فأعرض عنهم يا محمد ﴿فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ﴾ يعني: فما نلومك على ذلك ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٥٥﴾ أي: إنما تنتفع بها القلوب المؤمنة، ثم قال تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ أي: إنما خلقتهم لآمرهم بعبادتي لا لاحتياجي إليهم.

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ أي: إلا ليقروا بعبادتي طوعاً أو كرهاً[(١)]. وهذا اختيار ابن جرير وقال ابن جريج: إلا ليعرفون[(٢)].

وقال الربيع بن أنس: ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ أي: إلا للعبادة.

وقال السدي: من العبادة ما ينفع ومنها ما لا ينفع ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الزمر: ٣٨] هذا منهم عبادة وليس ينفعهم مع الشرك.

وقال الضحاك: المراد بذلك: المؤمنون.

وقوله تعالى: ﴿مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ۝٥٨﴾ قال الإمام أحمد: حدثنا يحيى بن آدم وأبو سعيد قالا: حدثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن عبد الرحمٰن بن يزيد، عن عبد الله بن مسعود قال: أقرأني رسول الله ﷺ «إني لأنا الرزاق ذو القوة المتين»[(٣)]. ورواه أبو داود والترمذي والنسائي من حديث إسرائيل، وقال

---

(١) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق علي به.

(٢) أخرجه البستي بسند صحيح من طريق حجاج عن ابن جريج، ولكن ابن جريج رواه عن مجاهد وهو لم يسمع من مجاهد.

(٣) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٦/ ٢٨٥، ٢٨٦ ح٣٧٤١ و٣١٣ ح٣٧٧١) وصحح سنده محققوه. وأخرجه حفص بن عمر الدوري عن يحيىٰ به (قراءات النبي ﷺ ص١٥٣).

الترمذي: حسن صحيح[(١)].

ومعنى الآية أنه تبارك وتعالى خلق العباد ليعبدوه وحده لا شريك له فمن أطاعه جازاه أتم الجزاء، ومن عصاه عذبه أشد العذاب. وأخبر أنه غير محتاج إليهم بل هم الفقراء إليه في جميع أحوالهم. فهو خالقهم ورازقهم.

قال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن عبد الله، حدثنا عمران ـ يعني ابن زائدة بن نشيط، عن أبيه، عن أبي خالد ـ هو الوالبي ـ عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله تعالى[(٢)]: يا ابن آدم تفرغ لعبادتي أملأ صدرك غنى وأسد فقرك، وإلا تفعل ملأت صدرك شغلاً ولم أسد فقرك». ورواه الترمذي وابن ماجه من حديث عمران بن زائدة، وقال الترمذي: حسن غريب[(٣)].

وقد روى الإمام أحمد، عن وكيع وأبي معاوية، عن الأعمش، عن سلام بن شرحبيل: سمعت حبة وَسَواء ابني خالد يقولان: أتينا رسول الله ﷺ وهو يعمل عملاً أو يبني بناء، قال أبو معاوية: يصلح شيئاً، فأعناه عليه فلما فرغ دعا لنا وقال: «لا تيأسا من الرزق ما تهزهزت رؤوسكما فإن الإنسان تلده أمه أحمر ليس عليه قشرة ثم يعطيه الله ويرزقه»[(٤)].

وقد ورد في بعض الكتب الإلهية: يقول الله تعالى: ابن آدم خلقتك لعبادتي فلا تلعب، وتكفلت برزقك فلا تتعب فاطلبني تجدني فإن وجدتني وجدت كل شيء وإن فتك فاتك كل شيء، وأنا أحب إليك من كل شيء.

وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذَنُوبًا﴾ أي: نصيباً من العذاب ﴿مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَٰبِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ﴾ أي: فلا يستعجلون ذلك فإنه واقع لا محالة ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن يَوْمِهِمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ۝٦٠﴾ يعني يوم القيامة.

آخر تفسير سورة الذاريات، والحمد لله وحده، وصلواته وسلامه على خير خلقه.

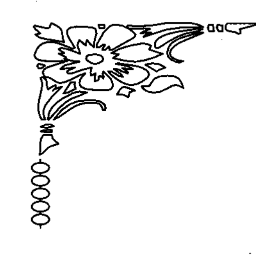
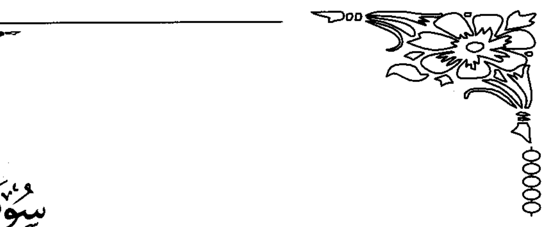
---

(١) سنن أبي داود، الحروف والقراءات (ح٣٩٩٣)، وسنن الترمذي، القراءات، باب ومن سورة الذاريات (ح٢٩٤١) والسنن الكبرىٰ للنسائي، التفسير (ح١١٥٢٧)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (ح٢٣٤٣).

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ١٤/ ٣٢١ ح٨٦٩٦) وقال محققوه: إسناده محتمل للتحسين. وأخرجه الحاكم من طريق محمد بن عبد الله به وصححه ووافقه الذهبي (المستدرك ٢/ ٤٤٣).

(٣) سنن الترمذي، صفة القيامة، باب من كانت الآخرة همه جاءته الدنيا راغمة (ح٢٤٦٨)، وسنن ابن ماجه، الزهد، باب الهم بالدنيا (ح٤١٠٧) وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (ح٣٣١٥).

(٤) أخرجه الإمام بسنده ومتنه (المسند ٢٥/ ١٨٧ ح١٥٨٥٦) وضعف سنده محققوه.

سُورَةُ الطُّورِ

وهي مكية

قال مالك: عن الزهري، عن محمد بن جُبير بن مُطْعِم، عن أبيه: سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالطور، فما سمعت أحداً أحسن صوتاً أو قراءة منه(١). أخرجاه من طريق مالك(٢).

وقال البخاري: حدثنا عبد الله بن يوسف، أخبرنا مالك، عن محمد بن عبد الرحمٰن بن نوفل، عن عروة، عن زينب بنت أبي سلمة، عن أُم سلمة قالت: شكوت إلى رسول الله ﷺ أني أشتكي فقال: «طوفي من وراء الناس وأنتِ راكبة» فطفت ورسول الله يصلي إلى جنب البيت يقرأ بالطور وكتاب مسطور(٣).

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَالطُّورِ ۝١ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ۝٢ فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ ۝٣ وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ ۝٤ وَٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ ۝٥ وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ ۝٦ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ۝٧ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ ۝٨ يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا ۝٩ وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا ۝١٠ فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝١١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ۝١٢ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ۝١٣ هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ۝١٤ أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ۝١٥ ٱصْلَوْهَا فَٱصْبِرُوٓا۟ أَوْ لَا تَصْبِرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝١٦﴾.

يقسم تعالى بمخلوقاته الدالة على قدرته العظيمة أن عذابه واقع بأعدائه، وأنه لا دافع له عنهم، فالطور هو: الجبل الذي يكون فيه أشجار مثل الذي كلم الله عليه موسى وأرسل منه عيسى، وما لم يكن فيه شجر لا يسمى طوراً إنما يقال له جبل ﴿وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ۝٢﴾ قيل: هو اللوح المحفوظ، وقيل: الكتب المنزلة المكتوبة التي تقرأ على الناس جهاراً ولهذا قال: ﴿فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ ۝٣ وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ ۝٤﴾ ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال في حديث الإسراء بعد مجاوزته إلى السماء السابعة: «ثم رُفع بي إلى البيت المعمور، وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألفاً لا يعودون إليه آخر ما عليهم» يعني: يتعبدون فيه ويطوفون به كما يطوف أهل الأرض بكعبتهم، كذلك ذاك البيت المعمور هو كعبة أهل السماء السابعة، ولهذا وجد إبراهيم الخليل

---

(١) أخرجه الإمام مالك بسنده ومتنه (الموطأ، الصلاة، باب القراءة في المغرب والعشاء ح٢٣). وسنده صحيح.

(٢) صحيح البخاري، الأذان، باب الجهر في المغرب (ح٧٦٥) وصحيح مسلم الصلاة، باب القراءة في الصبح (ح٤٦٣).

(٣) أخرجه البخاري بسنده ومتنه (الصحيح، التفسير، سورة الطور باب١ ح٤٨٥٣).

عليه الصلاة والسلام مسنداً ظهره إلى البيت المعمور، لأنه باني الكعبة الأرضية، والجزاء من جنس العمل، وهو بحيال الكعبة، وفي كل سماء بيت يتعبد فيه أهلها ويصلون إليه والذي في السماء الدنيا يقال له بيت العزَّة[(١)]. والله أعلم.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا هشام بن عمار، حدثنا الوليد، حدثنا روح بن جناح، عن الزهري، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «في السماء السابعة بيت يقال له المعمور بحيال الكعبة، وفي السماء الرابعة نهر يقال له: الحيوان يدخله جبريل كل يوم فينغمس فيه انغماسة، ثم يخرج فينتفض انتفاضة، يخرُّ عنه سبعون ألف قطرة، يخلق الله من كل قطرة ملكاً يؤمرون أن يأتوا البيت المعمور، فيصلوا فيه فيفعلون ثم يخرجون فلا يعودون إليه أبداً، ويولى عليهم أحدهم يؤمر أن يقف بهم من السماء موقفاً يسبحون الله فيه إلى أن تقوم الساعة»[(٢)]، هذا حديث غريب جداً، تفرد به روح بن جناح هذا وهو القرشي الأموي مولاهم أبو سعد الدمشقي، وقد أنكر عليه هذا الحديث جماعة من الحفاظ، منهم الجوزجاني والعقيلي[(٣)] والحاكم أبو عبد الله النيسابوري وغيرهم، قال الحاكم: لا أصل له من حديث أبي هريرة ولا سعيد ولا الزهري.

وقال ابن جرير: حدثنا هناد بن السري، حدثنا أبو الأحوص، عن سماك بن حرب، عن خالد بن عرعرة، أن رجلاً قال لعلي: ما البيت المعمور؟ قال: بيت في السماء يقال له: الضُّراح[(٤)]، وهو بحيال الكعبة من فوقها، حرمته في السماء كحرمة البيت في الأرض، يصلي فيه كل يوم سبعون ألفاً من الملائكة ثم لا يعودون فيه أبداً[(٥)]. وكذا رواه شعبة وسفيان الثوري عن سماك، وعندهما أن ابن الكواء هو السائل عن ذلك، ثم رواه ابن جرير، عن أبي كريب، عن طلق بن غنام، عن زائدة، عن عاصم، عن علي بن ربيعة قال: سأل ابن الكواء علياً عن البيت المعمور قال: مسجد في السماء يقال له: الضراح، يدخله كل يوم سبعون ألفاً من الملائكة ثم لا يعودون فيه أبداً[(٦)]. ورواه من حديث أبي الطفيل عن علي بمثله[(٧)].

وقال العوفي، عن ابن عباس: هو بيت حذاء العرش تعمره الملائكة، يصلي فيه كل يوم سبعون ألفاً من الملائكة ثم لا يعودون إليه[(٨)]. وكذا قال عكرمة ومجاهد وغير واحد

---

(١) تقدم تخريجه في تفسير سورة الإسراء آية ١.

(٢) سنده ضعيف لضعف روح بن جناح الذي اتهمه ابن حبان بالوضع. (ينظر التقريب ص٢١١).

(٣) ينظر الضعفاء الكبير ٢/ ٥٩.

(٤) الضراح: بيت في السماء حيال الكعبة (النهاية ٣/ ٨١).

(٥) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وفي سنده خالد بن عرعرة سكت عنه البخاري (التاريخ الكبير ٣/ ١٦٢) وذكره ابن حبان في الثقات (٤/ ٢٠٥) ويتقوىٰ بالروايات التالية وما فيها من متابعات كمتابعة علي بن ربيعة وأبي الطفيل. وأخرجه الضياء من طريق سماك به (المختارة ح٤٣٨).

(٦) أخرجه الطبري بسنده ومتنه.

(٧) أخرجه عبد الرزاق (المصنف رقم ٨٨٧٥) والضياء المقدسي (رقم ٥٥٧)، والبستي والطبري كلهم من طريق أبي الطفيل به، وسنده صحيح.

(٨) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به ويتقوىٰ بالحديث المرفوع الصحيح المتقدم في أول تفسير هذه الآية الكريمة.

من السلف[١].

وقال قتادة والربيع بن أنس والسدي: ذكر لنا أن رسول الله ﷺ قال يوماً لأصحابه: «هل تدرون ما البيت المعمور؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «فإنه مسجد في السماء بحيال الكعبة لو خرَّ لخرَّ عليها، يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك إذا خرجوا منه لم يعودوا آخر ما عليهم»[٢].

وزعم الضحاك أنه يعمره طائفة من الملائكة يقال لهم الجن من قبيلة إبليس[٣]، فالله أعلم.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ ۝٥﴾ قال سفيان الثوري وشعبة وأبو الأحوص، عن سماك، عن خالد بن عرعرة، عن علي ﴿وَٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ ۝٥﴾ يعني: السماء[٤]. قال سفيان ثم تلا ﴿وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ ۝٣٢﴾ [الأنبياء]. وكذا قال مجاهد وقتادة والسدي وابن جريج وابن زيد[٥] واختاره ابن جرير.

وقال الربيع بن أنس: هو العرش[٦]؛ يعني: أنه سقف لجميع المخلوقات، وله اتجاه وهو مراد مع غيره كما قاله الجمهور.

وقوله: ﴿وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ ۝٦﴾ قال الربيع بن أنس: هو الماء الذي تحت العرش[٧]. الذي ينزل الله منه المطر، الذي تحيا به الأجساد في قبورها يوم معادها، وقال الجمهور: هو هذا البحر.

واختلف في معنى قوله المسجور فقال بعضهم: المراد أنه يوقد يوم القيامة ناراً كقوله: ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۝٦﴾ [التكوير] أي: أضرمت فتصير ناراً تتأجج محيطة بأهل الموقف. ورواه سعيد بن المسيب، عن علي بن أبي طالب[٨]. وروي عن ابن عباس وبه يقول سعيد بن جبير ومجاهد وعبد الله بن عبيد بن عمير وغيرهم[٩].

وقال العلاء بن بدر: إنما سمي البحر المسجور لأنه لا يشرب منه ماء ولا يسقى به زرع وكذلك البحار يوم القيامة. كذا رواه عنه ابن أبي حاتم.

وعن سعيد بن جبير: ﴿وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ ۝٦﴾ يعني: المرسل[١٠].

---

(١) قول عكرمة ومجاهد أخرجهما الطبري وهما مرسلان يتقويان كسابقه.
(٢) أخرجه الطبري ورجاله ثقات لكنه مرسل ويتقوىٰ كسابقه بدون قوله: «لو خرَّ لخرَّ عليها».
(٣) أخرجه البُستي بسند حسن من طريق عبيد بن سليمان عن الضحاك.
(٤) أخرجه الطبري والحاكم من طريق الثوري به وصححه الحاكم ووافقه الذهبي (المستدرك ٢/٤٦٨).
(٥) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد، وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.
(٦) أخرجه أبو الشيخ بسند جيد من طريق أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس العظمة رقم ٢٥٣.
(٧) أخرجه أبو الشيخ في العظمة كسابقه، وهو تتمة له.
(٨) أخرجه الطبري من طريق داود، وهو ابن أبي هند، عن سعيد بن المسيب به، وسنده حسن.
(٩) أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد بلفظ: «المُوقَد».
(١٠) أخرجه البستي من طريق عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس.

وقال قتادة: المسجور: المملوء[١]، اختاره ابن جرير ووجهه بأنه ليس موقداً اليوم فهو مملوء. وقيل: المراد به الفارغ.

قال الأصمعي: عن أبي عمرو بن العلاء، عن ذي الرمة، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ ۝٦﴾ قال: الفارغ خرجت أمة تستسقي فرجعت فقالت: إن الحوض مسجور يعني: فارغاً[٢]. رواه ابن مردويه في مسانيد الشعراء. وقيل: المراد بالمسجور الممنوع المكفوف عن الأرض لئلا يغمرها فيغرق أهلها قاله علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس[٣] وبه يقول السدي وغيره، وعليه يدل الحديث الذي رواه الإمام أحمد، رَحِمَهُ ٱللَّهُ، في مسنده فإنه قال: حدثنا يزيد، حدثنا العوام، حدثني شيخ كان مرابطاً بالساحل قال: لقيت أبا صالح مولى عمر بن الخطاب فقال: حدثنا عمر بن الخطاب عن رسول الله ﷺ قال: «ليس من ليلة إلا والبحر يشرف فيها ثلاث مرات، يستأذن الله تعالى أن ينفضخ عليهم، فيكفّه الله ﷻ»[٤].

وقال الحافظ أبو بكر الإسماعيلي: حدثنا الحسن بن سفيان، عن إسحاق بن راهويه، عن يزيد، وهو ابن هارون، عن العوام بن حوشب، حدثني شيخ مرابط قال: خرجت ليلة لحرسي لم يخرج أحد من الحرس غيري، فأتيت الميناء فصعدت فجعل يخيل إلي أن البحر يشرف يحاذي رؤوس الجبال، فعل ذلك مراراً وأنا مستيقظ، فلقيت أبا صالح فقال: حدثنا عمر بن الخطاب أن رسول الله ﷺ قال: «ما من ليلة إلا والبحر يشرف ثلاث مرات يستأذن الله تعالى أن ينفضخ عليهم، فيكفه الله ﷻ»[٥] فيه رجل مبهم لم يسم.

وقوله: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ۝٧﴾ هذا هو المقسم عليه؛ أي: لواقع بالكافرين كما قال في الآية الأخرى: ﴿مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ ۝٨﴾ أي: ليس له دافع يدفعه عنهم إذا أراد الله بهم ذلك.

قال الحافظ أبو بكر بن أبي الدنيا: حدثنا أبي، حدثنا موسى بن داود، عن صالح المري، عن جعفر بن زيد العبدي قال: خرج عمر يعسُّ في المدينة ذات ليلة، فمرَّ بدار رجل من المسلمين فوافقه قائماً يصلي فوقف يستمع قراءته فقرأ ﴿وَٱلطُّورِ ۝١﴾ حتى إذا بلغ ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ۝٧ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ ۝٨﴾ قال: قسم وربِّ الكعبة حق، فنزل عن حماره واستند إلى حائط فمكث ملياً ثم رجع إلى منزله، فمكث شهراً يعوده الناس لا يدرون ما مرضه رضي الله عنه[٦].

وقال الإمام أبو عبيد في فضائل القرآن: حدثنا محمد بن صالح، حدثنا هشام بن حسان، عن الحسن أن عمر قرأ ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ۝٧ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ ۝٨﴾ فربا لها ربوة عيد منها عشرين يوماً[٧].

---

(١) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.
(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور إلى الشيرازي في «الألقاب» بسنده ولفظه.
(٣) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس بلفظ: «المجوس».
(٤) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ١/ ٤٣) وسنده ضعيف لإبهام شيخ العوام.
(٥) ذكر الحافظ ابن كثير عن الإسماعيلي به (مسند الفاروق ٢/ ٦٠٧). وسنده كسابقه.
(٦) سنده ضعيف لضعف صالح المري.
(٧) أخرجه أبو عبيد بسنده ومتنه (فضائل القرآن ص٦٤) وسنده مرسل لأن الحسن لم يسمع عمر رضي الله عنه.

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا ۝٩﴾ قال ابن عباس وقتادة: تتحرك تحريكاً(١).

وعن ابن عباس: هو تشققها(٢). وقال مجاهد: تدور دوراً(٣).

وقال الضحاك: استدارتها وتحركها لأمر الله(٤). وموج بعضها في بعض. وهذا اختيار ابن جرير أنه التحرك في استدارة. قال: وأنشد أبو عبيدة معمر بن المثنى بيت الأعشى فقال:

كأن مشيتها من بيت جارتها ... مور السحابة لا ريث ولا عجل(٥)

﴿وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا ۝١٠﴾ أي: تذهب فتصير هباء منبثاً وتنسف نسفاً ﴿فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝١١﴾ أي: ويل لهم ذلك اليوم من عذاب الله ونكاله بهم وعقابه لهم ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِى خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ۝١٢﴾ أي: هم في الدنيا يخوضون في الباطل ويتخذون دينهم هزواً ولعباً ﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ﴾ أي: يدفعون ويساقون ﴿إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ۝١٣﴾ وقال مجاهد والشعبي ومحمد بن كعب والضحاك والسدي والثوري: يدفعون فيها دفعاً.

﴿هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ۝١٤﴾ أي: تقول لهم الزبانية ذلك تقريعاً وتوبيخاً ﴿أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ۝١٥ ٱصْلَوْهَا﴾ أي: ادخلوها دخول من تغمره من جميع جهاته ﴿فَٱصْبِرُوٓا۟ أَوْ لَا تَصْبِرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ﴾ أي: سواء صبرتم على عذابها ونكالها أم لم تصبروا لا محيد لكم عنها ولا خلاص لكم منها ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي: ولا يظلم الله أحداً، بل يجازي كلاً بعمله.

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ ۝١٧ فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ۝١٨ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝١٩ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ۝٢٠﴾.

يُخبر الله تعالى عن حال السعداء فقال: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ ۝١٧﴾ وذلك بضد ما أولئك فيه من العذاب والنكال ﴿فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ﴾ أي: يتفكهون بما آتاهم الله من النعيم من أصناف الملاذ من مآكل ومشارب وملابس ومساكن ومراكب وغير ذلك ﴿وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾ أي: وقد نجاهم من عذاب النار، وتلك نعمة مستقلة بذاتها على حدتها مع ما أضيف إليها من دخول الجنة التي فيها من السرور ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر. وقوله تعالى: ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝١٩﴾ كقوله تعالى: ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ۝٢٤﴾ [الحاقة] أي: هذا بذاك تفضلاً منه وإحساناً.

وقوله تعالى: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ﴾ قال الثوري: عن حصين، عن مجاهد، عن ابن عباس السرر في الحجال(٦).

---

(١) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة.

(٢) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي عن ابن عباس.

(٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.

(٤) أخرجه البُستي بسند حسن من طريق عبيد بن سليمان عن الضحاك.

(٥) مجاز القرآن ٢/٢٣١ واستشهد به الطبري ثم قال: فالمور على روايته التكفؤ والتهيؤ في المشية.

(٦) سنده حسن.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا أبو اليمان، حدثنا صفوان بن عمرو، أنه سمع الهيثم بن مالك الطائي يقول: إن رسول الله ﷺ قال: «إن الرجل ليتكئ المتكأ مقدار أربعين سنة ما يتحول عنه ولا يمله، يأتيه ما اشتهت نفسه ولذت عينه»[١]. وحدثنا أبي، أخبرنا هدبة بن خالد، عن سليمان بن المغيرة، عن ثابت قال: بلغنا أن الرجل ليتكئ في الجنة سبعين سنة عنده من أزواجه وخدمه، وما أعطاه الله من الكرامة والنعيم، فإذا حانت منه نظرة فإذا أزواج له لم يكن رآهن قبل ذلك، فيقلن قد آن لك أن تجعل لنا منك نصيباً[٢]، ومعنى ﴿مَّصْفُوفَةٍ﴾ أي: وجوه بعضهم إلى بعض كقوله: ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَـٰبِلِينَ﴾ [الحجر: ٤٧].

﴿وَزَوَّجْنَـٰهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾ أي: وجعلنا لهم قرينات صالحات وزوجات حساناً من الحور العين.

وقال مجاهد: ﴿وَزَوَّجْنَـٰهُم﴾ أنكحناهم بحور عين[٣]، وقد تقدم وصفهن في غير موضع بما أغنى عن إعادته.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَـٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَـٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ ۚ كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾ وَأَمْدَدْنَـٰهُم بِفَـٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾ يَتَنَـٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ﴿٢٣﴾ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴿٢٤﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾﴾.

يخبر تعالى عن فضله وكرمه وامتنانه ولطفه بخلقه وإحسانه، أن المؤمنين إذا اتبعتهم ذرياتهم في الإيمان يلحقهم بآبائهم في المنزلة، وإن لم يبلغوا عملهم لتقر أعين الآباء بالأبناء عندهم في منازلهم، فيجمع بينهم على أحسن الوجوه بأن يرفع الناقص العمل بكامل العمل، ولا ينقص ذلك من عمله ومنزلته للتساوي بينه وبين ذاك، ولهذا قال: ﴿أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَـٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ﴾.

قال الثوري: عن عمر بن مرة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: إن الله ليرفع ذرية المؤمن في درجته وإن كانوا دونه في العمل لتقر بهم عينه، ثم قرأ ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَـٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَـٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ﴾ ورواه ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث سفيان الثوري به[٤]، وكذا رواه ابن جرير من حديث شعبة، عن عمرو بن مرة به، ورواه البزار، عن سهل بن بحر، عن الحسن بن حماد الوراق، عن قيس بن الربيع، عن عمرو بن مرة، عن سعيد، عن ابن عباس مرفوعاً، فذكره ثم قال: وقد رواه الثوري، عن عمرو بن مرة، عن سعيد، عن ابن عباس موقوفاً[٥].

---

(١) سنده ضعيف لإرسال الهيثم بن مالك وهو من صغار التابعين.

(٢) سنده ضعيف لأن ثابتا رواه بلاغا. (٣) معناه صحيح.

(٤) أخرجه الثوري بسنده ومتنه، وسنده صحيح، وأخرجه الطبري من طريق الثوري به.

(٥) أخرجه البزار كما في كشف الأستار (رقم ٢٢٦٠) وقال الهيثمي: فيه قيس بن الربيع وثقه شعبة والثوري وفيه ضعف (مجمع الزوائد ٧/ ١١٤) والوقف أرجح.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا العباس بن الوليد بن يزيد البيروتي، أخبرني محمد بن شعيب، أخبرني شيبان، أخبرني ليث، عن حبيب بن أبي ثابت الأسدي، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ قال: هم ذرية المؤمن يموتون على الإيمان، فإن كانت منازل آبائهم أرفع من منازلهم ألحقوا بآبائهم، ولم ينقصوا من أعمالهم التي عملوها شيئاً[1].

وقال الحافظ الطبراني: حدثنا الحسين بن إسحاق التستري، حدثنا محمد بن عبد الرحمٰن بن غزوان، حدثنا شريك، عن سالم الأفطس، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، أظنه عن النبي ﷺ قال: «إذا دخل الرجل الجنة سأل عن أبويه وزوجته وولده، فيقال إنهم لم يبلغوا درجتك، فيقول: يا ربِّ قد عملت لي ولهم فيؤمر بإلحاقهم به» وقرأ ابن عباس ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ﴾[2] الآية.

وقال العوفي، عن ابن عباس في هذه الآية يقول: والذين أدرك ذريتهم الإيمان فعملوا بطاعتي ألحقتهم بإيمانهم إلى الجنة، وأولادهم الصغار تلحق بهم[3]، وهذا راجع إلى التفسير الأول، فإن ذلك مفسر أصرح من هذا، وهكذا يقول الشعبي وسعيد بن جبير وإبراهيم وقتادة وأبو صالح والربيع بن أنس والضحاك وابن زيد[4]، وهو اختيار ابن جرير.

وقد قال عبد الله بن الإمام أحمد: حدثنا عثمان بن أبي شيبة، حدثنا محمد بن فضيل، عن محمد بن عثمان، عن زاذان، عن علي قال: سألت خديجة النبي ﷺ عن ولدين ماتا لها في الجاهلية فقال رسول الله ﷺ: «هما في النار» فلما رأى الكراهية في وجهها قال: «لو رأيت مكانهما لأبغضتهما» قالت: يا رسول الله فولدي منك؟ قال: «في الجنة» قال: ثم قال رسول الله ﷺ: «إن المؤمنين وأولادهم في الجنة، وإن المشركين وأولادهم في النار» ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ﴾ الآية[5]، هذا فضله تعالى على الأبناء ببركة عمل الآباء وأما فضله على الآباء ببركة دعاء الأبناء فقد قال الإمام أحمد: حدثنا يزيد، حدثنا حماد بن سلمة، عن عاصم بن أبي النجود، عن أبي صالح، عن أبي هريرة ﷺ قال: قال

---

(١) في سنده ليث وهو ابن أبي سليم فيه مقال، وقد توبع في الرواية السابقة.

(٢) أخرجه الطبراني من طريق محمد بن عبد الرحمٰن بن غزوان به. (المعجم الكبير ١١/ ٤٤٠ ح١٢٢٤٨) وسنده ضعيف لضعف محمد بن عبد الرحمٰن بن غزوان. (مجمع الزوائد ٧/ ١١٧).

(٣) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به ويتقوىٰ بالموقوف السابق عن ابن عباس.

(٤) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق داود عن عامر الشعبي، وأخرجه الطبري بسند حسن من طريق داود عن سعيد بن جبير، وأخرجه هناد (الزهد رقم ١٨٠) والطبري بسند صحيح من طريق قيس بن مسلم عن إبراهيم، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة، وأخرجه الطبري بسند جيد من طريق أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس، وأخرجه البُستي بسند حسن من طريق عبيد بن سليمان عن الضحاك، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق عبد الله بن وهب عن ابن زيد.

(٥) أخرجه عبد الله بن الإمام أحمد بسنده ومتنه في زوائده على المسند (المسند ٢/ ٣٤٨ - ٣٤٩ ح١١٣١) وضعف سنده محققو له لجهالة محمد بن عثمان قال الذهبي في الميزان (٣/ ٦٤٢) لا يُدرىٰ من هو. . . وله خبر منكر.

رسول الله ﷺ: «إن الله ليرفع الدرجة للعبد الصالح في الجنة فيقول: يا ربِّ أنى لي هذه؟ فيقول: باستغفار ولدك لك»[١]. إسناده صحيح ولم يخرجوه من هذا الوجه ولكن له شاهد في صحيح مسلم عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»[٢].

وقوله تعالى: ﴿كُلُّ ٱمْرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ لما أخبر عن مقام الفضل وهو رفع درجة الذرية إلى منزلة الآباء من غير عمل يقتضي ذلك، أخبر عن مقام العدل وهو أنه لا يؤاخذ أحداً بذنب أحد فقال تعالى: ﴿كُلُّ ٱمْرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ أي: مرتهنٌ بعمله لا يحمل عليه ذنب غيره من الناس؛ سواء كان أباً أو ابناً كما قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾﴾ [المدثر].

وقوله: ﴿وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾﴾ أي: وألحقناهم بفواكة ولحوم من أنواع شتى مما يستطاب ويشتهى.

وقوله: ﴿يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا﴾ أي: يتعاطون فيها كأساً؛ أي: من الخمر، قاله الضحاك[٣]. ﴿لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ﴾ أي: لا يتكلمون فيها بكلام لاغٍ أي: هذيان ولا إثم أي: فحش كما يتكلم به الشربة من أهل الدنيا.

قال ابن عباس: اللغو الباطل والتأثيم الكذب[٤].

وقال مجاهد: لا يستبون ولا يؤثمون[٥].

وقال قتادة: كان ذلك في الدنيا مع الشيطان[٦]، فنزه الله خمر الآخرة عن قاذورات خمر الدنيا وأذاها، كما تقدم فنفى عنها صداع الرأس ووجع البطن وإزالة العقل بالكلية، وأخبر أنها لا تحملهم على الكلام السيء الفارغ عن الفائدة المتضمن هذياناً وفحشاً، وأخبر بحسن منظرها وطيب طعمها ومخبرها فقال: ﴿بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [الصافات] وقال: ﴿لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الواقعة]. وقال ههنا: ﴿يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾.

وقوله تعالى: ﴿۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴿٢٤﴾﴾ إخبار عن خدمهم وحشمهم في الجنة، كأنهم اللؤلؤ الرطب المكنون في حسنهم وبهائهم ونظافتهم وحسن ملابسهم، كما قال: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾﴾ [الواقعة].

وقوله تعالى: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٥﴾﴾ أي: أقبلوا يتحادثون ويتساءلون عن أعمالهم وأحوالهم في الدنيا، وهذا كما يتحدث أهل الشراب على شرابهم إذا أخذ فيهم الشراب بما كان

---

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٢/ ٥٠٩). وسنده حسن، وصححه الحافظ ابن كثير.
(٢) تقدم تخريجه في تفسير سورة الفرقان آية ٧٤ في آخرها.
(٣) لم أجد من أخرجه.
(٤) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس.
(٥) أخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.
(٦) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة.

من أمرهم ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِيٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾ أي: كنا في الدار الدنيا ونحن بين أهلنا خائفين من ربنا مشفقين من عذابه وعقابه ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾﴾ أي: فتصدق علينا وأجارنا مما نخاف ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ﴾ أي: نتضرع إليه فاستجاب لنا وأعطانا سؤالنا ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ﴾.

وقد ورد في هذا المقام حديث رواه الحافظ أبو بكر البزار في مسنده فقال: حدثنا سلمة بن شبيب، حدثنا سعيد بن دينار، حدثنا الربيع بن صبيح، عن الحسن، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا دخل أهل الجنة الجنة اشتاقوا إلى الإخوان، فيجيء سرير هذا حتى يحاذي سرير هذا فيتحدثان، فيتكئ هذا ويتكئ هذا فيتحدثان بما كان في الدنيا، فيقول أحدهما لصاحبه: يا فلان تدري؛ أي: يوم غفر الله لنا؟ يوم كنا في موضع كذا وكذا فدعونا الله ﷻ فغفر لنا»[(١)]. ثم قال البزار: لا نعرفه يروى إلا بهذا الإسناد. قلت: وسعيد بن دينار الدمشقي؟ قال أبو حاتم: هو مجهول وشيخه الربيع بن صبيح، وقد تكلم فيه غير واحد من جهة حفظه وهو رجل صالح ثقة في نفسه. وقال ابن أبي حاتم: حدثنا عمرو بن عبد الله الأودي، حدثنا وكيع، عن الأعمش، عن أبي الضحى، عن مسروق، عن عائشة أنها قرأت هذه الآية ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾﴾ فقالت: اللَّهم مُنَّ علينا وقنا عذاب السموم إنك أنت البر الرحيم. قيل للأعمش في الصلاة؟ قال: نعم[(٢)].

﴿فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴿٣٠﴾ قُلْ تَرَبَّصُواْ فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم بِهَٰذَآ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُواْ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُواْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾﴾.

يقول تعالى آمراً رسوله ﷺ بأن يبلغ رسالته إلى عباده، وأن يذكرهم بما أنزل الله عليه، ثم نفى عنه ما يرميه به أهل البهتان والفجور فقال: ﴿فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾﴾ أي: لست بحمد الله بكاهن كما تقوله الجهلة من كفار قريش، والكاهن الذي يأتيه الرئي من الجان بالكلمة يتلقاها من خبر السماء ﴿وَلَا مَجْنُونٍ﴾ وهو الذي يتخبطه الشيطان من المسّ.

ثم قال تعالى منكراً عليهم في قولهم في الرسول ﷺ ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴿٣٠﴾﴾ أي: قوارع الدهر، والمنون الموت، يقولون ننتظره ونصبر عليه حتى يأتيه الموت فنستريح منه ومن شأنه، قال الله تعالى: ﴿قُلْ تَرَبَّصُواْ فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾﴾ أي: انتظروا فإني منتظر معكم، وستعلمون لمن تكون العاقبة والنصرة في الدنيا والآخرة.

قال محمد بن إسحاق: عن عبد الله بن أبي نجيح، عن مجاهد، عن ابن عباس: أن قريشاً لما

---

(١) أخرجه البزار بسنده ومتنه كما في مختصر زوائد مسند البزار ٢/ ٤٨٦ (ح٢٢٧٠) وقال تفرد به أنس بهذا الإسناد الضعيف. وقد بيّن الهيثمي وجه الضعف بأن سعيد بن دينار والربيع بن صبيح ضعيفان. (مجمع الزوائد ١٠/ ٤٢٤).

(٢) رجاله ثقات وسنده صحيح.

اجتمعوا في دار الندوة في أمر النبي ﷺ قال قائل منهم: احتبسوه في وثاق وتربصوا به ريب المنون حتى يهلك كما هلك من كان قبله من الشعراء زهير والنابغة إنما هو كأحدهم، فأنزل الله تعالى ذلك من قولهم: ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ۝٣٠﴾[1].

ثم قال تعالى: ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم بِهَٰذَآ﴾ أي: عقولهم تأمرهم بهذا الذي يقولونه فيك من الأقاويل الباطلة التي يعلمون في أنفسهم أنها كذب وزور ﴿أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾أي: ولكن هم قوم طاغون ضلال معاندون، فهذا هو الذي يحملهم على ما قالوه فيك.

وقوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ﴾ أي: اختلقه وافتراه من عند نفسه يعنون القرآن، قال الله تعالى: ﴿بَل لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ أي: كفرهم هو الذي يحملهم على هذه المقالة ﴿فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ۝٣٤﴾ أي: إن كانوا صادقين في قولهم تقوله وافتراه، فليأتوا بمثل ما جاء به محمد ﷺ من هذا القرآن، فإنهم لو اجتمعوا هم وجميع أهل الأرض من الجن والإنس ما جاءوا بمثله، ولا بعشر سور من مثله، ولا بسورة من مثله.

﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ۝٣٥ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ۝٣٦ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَۜيْطِرُونَ ۝٣٧ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ ۖ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ۝٣٨ أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ ۝٣٩ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ۝٤٠ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ۝٤١ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ ۝٤٢ أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٤٣﴾.

هذا المقام في إثبات الربوبية وتوحيد الألوهية فقال تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ۝٣٥﴾ أي: أوجدوا من غير موجد؟ أم هم أوجدوا أنفسهم؛ أي: لا هذا ولا هذا بل الله هو الذي خلقهم وأنشأهم بعد أن لم يكونوا شيئاً مذكوراً.

قال البخاري: حدثنا الحميدي، حدثنا سفيان قال: حدثني عن الزهري، عن محمد بن جُبير بن مُطعم، عن أبيه قال: سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالطور فلما بلغ هذه الآية ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ۝٣٥ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ۝٣٦ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَۜيْطِرُونَ ۝٣٧﴾ كاد قلبي أن يطير[2]. وهذا الحديث مخرج في الصحيحين من طرق عن الزهري به[3]. وجُبير بن مُطعم كان قد قدم على النبي ﷺ بعد وقعة بدر في فداء الأسارى، وكان إذ ذاك مشركاً، فكان سماعه هذه الآية من هذه السورة من جملة ما حمله على الدخول في الإسلام بعد ذلك.

ثم قال تعالى: ﴿أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ۝٣٦﴾ أي: أهم خلقوا السمٰوات والأرض؟ وهذا إنكار عليهم في شركهم بالله، وهم يعلمون أنه الخالق وحده لا شريك له، ولكن عدم إيقانهم هو الذي يحملهم على ذلك ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَۜيْطِرُونَ ۝٣٧﴾

---

(١) أخرجه الطبري من طريق ابن إسحاق به، وفيه عنعنة ابن إسحاق ولكن قد صرح بالسماع في رواية البيهقي (دلائل النبوة ٢/٤٦٨) وسنده حسن.

(٢) أخرجه البخاري بسنده ومتنه (الصحيح، التفسير، سورة الطور ح٤٨٥٤).

(٣) المصدر السابق (ح٧٦٥ و٤٨٥٤) وصحيح مسلم، الصلاة، باب القراءة في الصبح (ح٤٦٣).

أي: أهم يتصرفون في الملك وبيدهم مفاتيح الخزائن ﴿أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ﴾ أي: المحاسبون للخلائق، ليس الأمر كذلك بل الله ﷻ هو المالك المتصرف الفعال لما يريد.

وقوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ﴾ أي: مرقاة إلى الملأ الأعلى ﴿فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ أي: فليأت الذي يستمع لهم بحجة ظاهرة على صحة ما هم فيه من الفعال والمقال؛ أي: وليس لهم سبيل إلى ذلك فليسوا على شيء وليس لهم دليل.

ثم قال منكراً عليهم فيما نسبوه إليه من البنات وجعلهم الملائكة إناثاً، واختيارهم لأنفسهم الذكور على الإناث، بحيث إذا بُشر أحدهم بالأنثى ظلَّ وجهه مسوداً وهو كظيم، هذا وقد جعلوا الملائكة بنات الله وعبدوهم مع الله فقال: ﴿أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿٣٩﴾﴾ وهذا تهديد شديد ووعيد أكد ﴿أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا﴾؟ أي: أجرة إبلاغك إياهم رسالة الله؛ أي: لست تسألهم على ذلك شيئاً ﴿فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ﴾ أي: فهم من أدنى شيء يتبرمون منه ويثقلهم ويشق عليهم ﴿أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤١﴾﴾ أي: ليس الأمر كذلك فإنه لا يعلم أحد من أهل السمٰوات والأرض الغيب إلا الله ﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾﴾ يقول تعالى: أم يريد هؤلاء بقولهم هذا في الرسول وفي الدين غرور الناس وكيد الرسول وأصحابه، فكيدهم إنما يرجع وباله على أنفسهم فالذين كفروا هم المكيدون ﴿أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٣﴾﴾ وهذا إنكار شديد على المشركين في عبادتهم الأصنام والأنداد مع الله، ثم نزه نفسه الكريمة عما يقولون ويفترون ويشركون فقال: ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

﴿وَإِن يَرَوْا۟ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُوا۟ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴿٤٤﴾ فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ﴿٤٩﴾﴾.

يقول تعالى مخبراً عن المشركين بالعناد والمكابرة للمحسوس ﴿وَإِن يَرَوْا۟ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا﴾ أي: عليهم يعذبون به لما صدقوا، ولما أيقنوا بل يقولون: هذا سحاب مركوم؛ أي: متراكم، وهذا كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّوا۟ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوٓا۟ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الحجر] قال الله تعالى: ﴿فَذَرْهُمْ﴾ أي: دعهم يا محمد ﴿حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ﴾ وذلك يوم القيامة ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا﴾ أي: لا ينفعهم كيدهم ولا مكرهم الذي استعملوه في الدنيا، لا يجزي عنهم يوم القيامة شيئاً ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾.

ثم قال تعالى: ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ أي: قبل ذلك في الدار الدنيا كقوله: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾﴾ [السجدة] ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: نعذبهم في الدنيا ونبتليهم فيها بالمصائب لعلهم يرجعون وينيبون فلا يفهمون ما يراد بهم، بل إذا جلى عنهم مما كانوا فيه، عادوا إلى أسوأ ما كانوا عليه كما جاء في بعض الأحاديث: «إن المنافق إذا مرض وعوفي مثله في ذلك كمثل البعير، لا يدري فيما عقلوه

ولا فيما أرسلوه»[١] وفي الأثر الإلهي: كم أعصيك ولا تعاقبني؟ قال الله تعالى: يا عبدي كم أعافيك وأنت لا تدري؟

وقوله تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ﴾ أي: اصبر على أذاهم ولا تبالهم فإنك بمرأى منا وتحت كلاءتنا والله يعصمك من الناس.

وقوله تعالى: ﴿وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ قال الضحاك: أي إلى الصلاة. سبحانك اللّٰهم وبحمدك وتبارك اسمك، وتعالى جدك، ولا إله غيرك[٢].

وقد روي مثله عن الربيع بن أنس وعبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم وغيرهما[٣]، وروى مسلم في صحيحه عن عمر أنه كان يقول: هذا في ابتداء الصلاة[٤]، ورواه أحمد وأهل السنن، عن أبي سعيد وغيره، عن النبي ﷺ أنه كان يقول ذلك[٥].

وقال أبو الجوزاء: ﴿وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ أي: من نومك من فراشك[٦]، واختاره ابن جرير ويتأيد هذا القول بما رواه الإمام أحمد، حدثنا الوليد بن مسلم، حدثنا الأوزاعي، حدثنا عُمير بن هانئ، حدثني جنادة بن أبي أُمية، حدثنا عُبادة بن الصامت عن رسول الله ﷺ قال: «من تعارّ من الليل فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله». ثم قال: «رب اغفر لي» ـ أو قال: «ثم دعا ـ استجيب له، فإن عزم فتوضأ ثم صلى قبلت صلاته»[٧]. وأخرجه البخاري في صحيحه وأهل السنن من حديث الوليد بن مسلم به[٨].

وقال ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ قال: من كل مجلس[٩].

---

(١) أخرجه أبو داود بسند ضعيف فيه رجل مجهول (السنن، الجنائز، باب الأمراض المكفرة للذنوب ح٣٠٨٩).

(٢) أخرجه البستي بسند حسن من طريق عبيد بن سليمان عن الضحاك بلفظ: «الصلاة المفروضة»، وأخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق جويبر عن الضحاك بلفظه: وأخرجه النحاس بسند ضعيف من طريق عمر بن هارون البلخي عن أبي مصلح عن الضحاك (الناسخ والمنسوخ ٣/ ٣٠)، وعمر بن هارون متروك كما في «التقريب».

(٣) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق عبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم عن أبيه بلفظ: «إذا قام لصلاة من ليل أو نهار...».

(٤) صحيح مسلم، الصلاة، باب حجة من قال: «لا يجهر بالبسملة» (ح٣٩٩/ ٥٢).

(٥) أخرجه الإمام أحمد (المسند ١٨/ ٥١ ح ١١٤٧٣) وأعله محققوه بجعفر بن سليمان الضبعي، ومن هذا الطريق أخرجه أبو داود (السنن، الصلاة، باب من رأىٰ الاستفتاح بسبحانك اللهم وبحمدك ح٧٧٥)، والترمذي (السنن، الصلاة، باب ما يقول عند افتتاح الصلاة ح٢٤٢)، والنسائي (السنن، الإفتتاح، باب نوع آخر من الذكر ٢/ ١٣٢) وابن ماجه (السنن، الإقامة، باب افتتاح الصلاة ح٨٠٤). ويشهد لبعضه رواية مسلم السابقة.

(٦) ذكره النحاس بدون سند (الناسخ والمنسوخ ٣/ ٣١)، وأخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه.

(٧) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٥/ ٣١٣) وسنده صحيح.

(٨) صحيح البخاري، التهجد، باب فضل من تعار من الليل فصلىٰ (ح١١٥٤).

(٩) نسبه السيوطي إلى الفريابي وابن المنذر.

وقال الثوري، عن أبي إسحاق، عن أبي الأحوص ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ قال: إذا أراد الرجل أن يقوم من مجلسه قال: سبحانك اللّهم وبحمدك[١].

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا أبو النضر إسحاق بن إبراهيم الدمشقي، حدثنا محمد بن شعيب، أخبرني طلحة بن عمرو الحضرمي، عن عطاء بن أبي رباح أنه حدثه عن قول الله تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ يقول حين تقوم من كل مجلس إن كنت أحسنت ازددت خيراً، وإن كنت غير ذلك كان هذا كفارة له[٢].

وقد قال عبد الرزاق في جامعه: أخبرنا معمر، عن عبد الكريم الجزري، عن أبي عثمان الفقير، أن جبريل علم النبي ﷺ إذا قام من مجلسه أن يقول: سبحانك اللّهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك، قال معمر: وسمعت غيره يقول: هذا القول كفارة المجالس[٣]. وهذا مرسل، وقد وردت مسندة من طرق يقوي بعضها بعضاً بذلك، فمن ذلك حديث ابن جريج، عن سهيل بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ أنه قال: «من جلس في مجلس فكثر فيه لغطه، فقال قبل أن يقوم من مجلسه: سبحانك اللّهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك، إلا غفر الله له ما كان في مجلسه ذلك» رواه الترمذي، وهذا لفظه والنسائي في اليوم والليلة من حديث ابن جريج، وقال الترمذي: حسن صحيح[٤]، وأخرجه الحاكم في مستدركه، وقال إسناده على شرط مسلم، إلا أن البخاري علله[٥]، قلت: علله الإمام أحمد والبخاري ومسلم وأبو حاتم وأبو زرعة والدارقطني وغيرهم، ونسبوا الوهم فيه إلى ابن جريج، على أن أبا داود قد رواه في سننه من طريق غير ابن جريج إلى أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ بنحوه[٦]، ورواه أبو داود، واللفظ له والنسائي والحاكم في المستدرك من طريق الحجاج بن دينار، عن هشام، عن أبي العالية، عن أبي برزة الأسلمي، قال: كان رسول الله ﷺ يقول بآخر عمره: إذا أراد أن يقوم من المجلس «سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك». فقال رجل: يا رسول الله، إنك لتقول قولاً ما كنت تقوله فيما مضى، قال: «كفارة لما يكون في المجلس»[٧]. وقد روي مرسلاً

---

(١) أخرجه النحاس من طريق الثوري به (الناسخ والمنسوخ ٣/ ٣٢) وسنده حسن.

(٢) سنده ضعيف جداً لأن طلحة بن عمرو الحضرمي متروك (التقريب ص٢٨٣).

(٣) أخرجه عبد الرزاق (المصنف ١١/ ٢٤ رقم ١٩٧٩٦) وسنده مرسل كما قرر الحافظ ابن كثير، ويتقوىٰ بالرواية التالية:

(٤) سنن الترمذي، الدعوات، باب ما يقول إذا قام من مجلسه (ح٣٤٢٩)، والسنن الكبرىٰ للنسائي، عمل اليوم والليلة، باب ما يقول إذا جلس في مجلس كثر فيه لغطه (ح١٠٢٣٠).

(٥) أخرجه الحاكم من طريق ابن جريج به ثم ذكر له شواهد تقويه (المستدرك ١/ ٥٣٦ ـ ٥٣٧) وهي شواهد صحيحة كما يلي.

(٦) سنن أبي داود، الأدب، باب في كفارة المجلس (ح٤٨٥٧، ٤٨٥٨) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح٤٠٦٧).

(٧) المصدر السابق (ح٤٨٥٩)، والسنن الكبرىٰ، عمل اليوم والليلة (ح١٠٢٥٩) والمستدرك ١/ ٥٣٧، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي. وقال الألباني: حسن صحيح (صحيح سنن أبي داود ح٤٠٦٨).

عن أبي العالية[١]، فالله أعلم.

وهكذا رواه النسائي والحاكم من حديث الربيع بن أنس، عن أبي العالية، عن رافع بن خديج، عن النبي ﷺ مثله[٢] سواء، وروي مرسلاً أيضاً فالله أعلم، وكذا رواه أبو داود، عن عبد الله بن عمرو أنه قال: «كلمات لا يتكلم بهن أحد في مجلسه عند قيامه ثلاث مرات إلا كفر بهن عنه، ولا يقولهن في مجلس خير ومجلس ذكر، إلا ختم له بهن كما يختم بالخاتم: سبحانك اللّهم وبحمدك، لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك»[٣]. وأخرجه الحاكم من حديث أم المؤمنين عائشة وصححه، ومن رواية جبير بن مطعم[٤]، ورواه أبو بكر الإسماعيلي عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب كلهم عن النبي ﷺ، وقد أفردت لذلك جزءاً على حدة بذكر طرقه وألفاظه وعلله، وما يتعلق به ولله الحمد والمنة.

وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ﴾ أي: اذكره واعبده بالتلاوة والصلاة في الليل كما قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ۝٧٩﴾ [الإسراء].

وقوله تعالى: ﴿وَإِدۡبَٰرَ ٱلنُّجُومِ﴾ قد تقدم في حديث ابن عباس، أنهما الركعتان اللتان قبيل صلاة الفجر[٥]، فإنهما مشروعتان عند إدبار النجوم؛ أي: عند جنوحها للغيبوبة.

وقد روى ابن سيلان، عن أبي هريرة مرفوعاً: «لا تدعوها وإن طردتكم الخيل»؛ يعني: ركعتي الفجر، رواه أبو داود[٦]. ومن هذا الحديث حكي عن بعض أصحاب أحمد القول بوجوبهما، وهو ضعيف لحديث: «خمس صلوات في اليوم والليلة» قال: هل عليَّ غيرها؟ قال: «لا إلا أن تطوع»[٧].

وقد ثبت في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت: لم يكن رسول الله ﷺ على شيء من النوافل أشد تعاهداً منه على ركعتي الفجر. وفي لفظ لمسلم: «ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها»[٨].

آخر تفسير سورة الطور [والله أعلم][٩].

---

(١) السنن الكبرىٰ، عمل اليوم والليلة (ح١٠٤٦١).

(٢) المصدر السابق (ح١٠٢٦٣) والمستدرك ١/٥٣٧، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

(٣) سنن أبي داود، الأدب، باب في كفارة المجلس (ح٤٨٥٧) وصححه الألباني في صحيح أبي داود (ح٤٠٦٦) دون قوله: ثلاث مرات.

(٤) (المستدرك ١/٥٣٧) وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

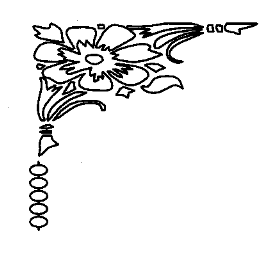
(٥) تقدم تخريجه في تفسير سورة ق آية ٤٠.

(٦) السنن، الصلاة، باب في تخفيفهما (ح١٢٥٨)، وضعفه الألباني في ضعيف سنن أبي داود (ح٢٧٢). وضعفه الحافظ ابن كثير.

(٧) أخرجه الشيخان من حديث طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه (صحيح البخاري، الإيمان، باب الزكاة من الإسلام ح٤٦ وصحيح مسلم، الإيمان، باب الصلوات التي هي أحد أركان ح٢٣٣).

(٨) صحيح البخاري، التهجد، باب تعاهد ركعتي الفجر ومن سماهما تطوعاً (ح١١٦٩) وصحيح مسلم، صلاة المسافرين، باب استحباب ركعتي الفجر (ح٧٢٤).

(٩) زيادة من (حم).



سُورَةُ النَّجْمِ

وهي مكية

قال البخاري: حدثنا نصر بن علي، أخبرني أبو أحمد - يعني الزُّبيري - حدثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن الأسود بن يزيد، عن عبد الله قال: أول سورة أنزلت فيها سجدة «والنجم» قال: فسجد النبي ﷺ وسجد من خلفه، إلا رجلاً رأيته أخذ كفاً من تراب فسجد عليه، فرأيته بعد ذلك قتل كافراً وهو أُمية بن خلف[١]. وقد رواه البخاري أيضاً في مواضع ومسلم وأبو داود والنسائي من طرق عن أبي إسحاق به، وقوله في الممتنع: إنه أُمية بن خلف في هذه الرواية مُشكل، فإنه قد جاء من غير هذه الطريق أنه عُتبة بن ربيعة[٢].

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ① مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ② وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ③ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ④﴾.

قال الشعبي وغيره: الخالق يقسم بما شاء من خلقه، والمخلوق لا ينبغي له أن يقسم إلا بالخالق[٣]، رواه ابن أبي حاتم.

واختلف المفسرون في معنى قوله: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ①﴾ فقال ابن أبي نجيح، عن مجاهد: يعني بالنجم: الثريا إذا سقطت مع الفجر[٤]، وكذا روي عن ابن عباس وسفيان الثوري واختاره ابن جرير[٥].

وزعم السدي: أنها الزهرة.

وقال الضحاك: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ①﴾ إذا رمي به الشياطين وهذا القول له اتجاه.

وروى الأعمش عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ①﴾ يعني: القرآن إذا نزل[٦]، وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿۞ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ⑦٥ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ⑦٦

---

(١) أخرجه البخاري بسنده ومتنه (الصحيح، التفسير، باب ﴿فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا﴾ [النجم: ٦٢] ح٤٨٦٣).

(٢) ذكر الحافظ ابن حجر أن المعتمد هو أُمية بن خلف (فتح الباري ٨/ ٦١٥).

(٣) لم أجد من أخرجه وهو كلام نفيس.

(٤) أخرجه عبد الرزاق وآدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح به.

(٥) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق عطية العوفي عن ابن عباس بلفظ: «إذا انصب»، ويتقوى بسابقه.

(٦) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق مالك بن سُعير عن الأعمش به.

﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ۝٧٧ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ۝٧٨ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ۝٧٩ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٨٠﴾ [الواقعة].

وقوله تعالى: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢﴾ هذا هو المقسم عليه، وهو الشهادة للرسول ﷺ بأنه راشد تابع للحق ليس بضال، وهو الجاهل الذي يسلك على غير طريق بغير علم، والغاوي هو العالم بالحق، العادل عنه قصداً إلى غيره، فنزه الله رسوله وشرعه، عن مشابهة أهل الضلال كالنصارى وطرائق اليهود. وهي علم الشيء وكتمانه، والعمل بخلافه، بل هو صلاة الله وسلامه عليه وما بعثه الله به من الشرع العظيم في غاية الاستقامة والاعتدال والسداد، ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣﴾ أي: ما يقول قولاً عن هوى وغرض ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ أي: إنما يقول ما أمر به يبلغه إلى الناس كاملاً موفوراً من غير زيادة ولا نقصان كما رواه الإمام أحمد: حدثنا يزيد، حدثنا حَريز بن عثمان، عن عبد الرحمٰن بن ميسرة، عن أبي أُمامة أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «ليدخلنّ الجنة بشفاعة رجل ليس بنبي مثل الحيين ـ أو مثل أحد الحيين ـ ربيعة ومضر» فقال رجل: يا رسول الله أو ما ربيعة من مضر؟ قال: «إنما أقول ما أقول»[١].

وقال الإمام أحمد: حدثنا يحيى بن سعيد، عن عبيد الله بن الأخنس، أخبرنا الوليد بن عبد الله، عن يوسف بن ماهك، عن عبد الله بن عمرو قال: كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله ﷺ أريد حفظه، فنهتني قريش فقالوا: إنك تكتب كل شيء تسمعه من رسول الله ﷺ، ورسول الله ﷺ بشر يتكلم في الغضب. فأمسكت عن الكتاب فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فقال: «اكتب فوالذي نفسي بيده ما خرج مني إلا حق»[٢]. ورواه أبو داود، عن مسدد وأبي بكر بن أبي شيبة، كلاهما عن يحيى بن سعيد القطان[٣] به.

وقال الحافظ أبو بكر البزار: حدثنا أحمد بن منصور، حدثنا عبد الله بن صالح، حدثنا الليث، عن ابن عجلان، عن زيد بن أسلم، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «ما أخبرتكم أنه من عند الله فهو الذي لا شك فيه» ثم قال: لا نعلمه يروى إلا بهذا الإسناد[٤].

وقال الإمام أحمد: حدثنا يونس، حدثنا ليث، عن محمد بن سعيد بن أبي سعيد، عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لا أقول إلا حقاً» قال بعض أصحابه: فإنك تداعبنا يا رسول الله؟ قال: «إني لا أقول إلا حقاً»[٥].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٣٦/ ٥٤٧ ح٢٢٢١٥)، قال محققوه: صحيح بطرقه وشواهده دون قوله: «فقال رجل: يا رسول. . .» إلخ.

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ١١/ ٥٧، ٥٨ ح٦٥١٠)، وصحح سنده محققوه، وقبلهم الأستاذ أحمد شاكر.

(٣) السنن، العلم، باب في كتابة العلم (ح٣٦٤٦) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح٣٠٩٩).

(٤) أخرجه البزار بسنده ومتنه (مختصر زوائد مسند البزار وقال الهيثمي: فيه أحمد بن منصور الرمادي وهو ثقة، وفيه كلام لا يضر وبقية رجاله رجال الصحيح، وعبد الله بن صالح مختلف فيه مجمع الزوائد ١/ ١٧٩).

(٥) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ١٤/ ١٨٥ ح٨٤٨١) وقال محققوه: إسناده قوي.

﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٖ فَٱسۡتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ۝٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوۡسَيۡنِ أَوۡ أَدۡنَىٰ ۝٩ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ ۝١٠ مَا كَذَبَ ٱلۡفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ۝١١ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۝١٢ وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ ۝١٣ عِندَ سِدۡرَةِ ٱلۡمُنتَهَىٰ ۝١٤ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلۡمَأۡوَىٰٓ ۝١٥ إِذۡ يَغۡشَى ٱلسِّدۡرَةَ مَا يَغۡشَىٰ ۝١٦ مَا زَاغَ ٱلۡبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۝١٧ لَقَدۡ رَأَىٰ مِنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ ۝١٨﴾.

يقول تعالى مخبراً عن عبده ورسوله محمد ﷺ أنه علمه الذي جاء به إلى الناس ﴿شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ﴾ وهو جبريل عليه الصلاة والسلام، كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ۝١٩ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ ۝٢٠ مُّطَاعٖ ثَمَّ أَمِينٖ ۝٢١﴾ [التكوير] وقال ههنا ﴿ذُو مِرَّةٖ﴾ أي: ذو قوة، قاله مجاهد والحسن وابن زيد[١].

وقال ابن عباس: ذو منظر حسن[٢].

وقال قتادة: ذو خلق طويل حسن[٣]. ولا منافاة بين القولين فإنه ﷺ ذو منظر حسن وقوة شديدة.

وقد ورد في الحديث الصحيح من رواية ابن عمر وأبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «لا تحلّ الصدقة لغني ولا لذي مِرَّة سَويّ»[٤].

وقوله تعالى: ﴿فَٱسۡتَوَىٰ﴾ يعني: جبريل ﷺ قاله الحسن ومجاهد وقتادة والربيع بن أنس[٥].

﴿وَهُوَ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ۝٧﴾ يعني: جبريل استوى في الأفق الأعلى، قاله عكرمة وغير واحد. قال عكرمة: والأفق الأعلى الذي يأتي منه الصبح.

وقال مجاهد: هو مطلع الشمس.

وقال قتادة: هو الذي يأتي منه النهار[٦]، وكذا قال ابن زيد وغيرهم.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زرعة، حدثنا مصرف بن عمرو اليامي أبو القاسم، حدثنا عبد الرحمن بن محمد بن طلحة بن مصرف، حدثني أبي، عن الوليد هو: ابن قيس، عن إسحاق بن أبي الكهتلة، أظنه ذكره عن عبد الله بن مسعود، أن رسول الله ﷺ لم يرَ جبريل في صورته إلا مرتين: أما واحدة فإنه سأله أن يراه في صورته فسد الأفق. وأما الثانية فإنه كان معه حيث صعد فذلك قوله: ﴿وَهُوَ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ۝٧﴾[٧]. وقد قال ابن جرير ههنا قولاً لم أره لغيره،

---

(١) أخرجه البخاري تعليقاً وقال الحافظ ابن حجر: وصله الفريابي. (فتح الباري ٨/ ٦٠٤) ووصله آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

(٢) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس.

(٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة.

(٤) تقدم تخريجه في تفسير سورة التوبة آية ٦٠.

(٥) أخرجه آدم والطبري بالسند الصحيح المتقدم عن مجاهد، وأخرجه أبو الشيخ بسند جيد من طريق أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس (العظمة رقم ٣٦٨).

(٦) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٧) سنده ضعيف لأن مصرف بن عمرو الأيامي: مجهول. (التقريب ص٥٣٣).

ولا حكاه هو عن أحد وحاصله أنه ذهب إلى أن المعنى فاستوى؛ أي: هذا الشديد القوي ذو المِرّة هو ومحمد ﷺ بالأفق الأعلى؛ أي: استويا جميعاً بالأفق الأعلى وذلك ليلة الإسراء، كذا قال، ولم يوافقه أحد على ذلك، ثم شرع يوجه ما قاله من حيث العربية فقال وهو كقوله: ﴿أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ﴾ [النمل: ٦٧] فعطف بالآباء على المكنى في كنا من غير إظهار نحن فكذلك قوله فاستوى وهو، قال وذكر الفراء عن بعض العرب أنه أنشده:

ألم تر النبع يصلب عوده ... ولا يستوي والخروع المتقصف[1]

وهذا الذي قاله من جهة العربية متجه، ولكن لا يساعده المعنى على ذلك، فإن هذه الرؤية لجبريل لم تكن ليلة الإسراء بل قبلها، ورسول الله ﷺ في الأرض، فهبط عليه جبريل عليه السلام وتدلى إليه فاقترب منه وهو على الصورة التي خلقه الله عليها، له ستمائة جناح ثم رآه بعد ذلك نزلة أخرى عند سدرة المنتهى يعني ليلة الإسراء، وكانت هذه الرؤية الأولى في أوائل البعثة بعدما جاءه جبريل عليه السلام أول مرة، فأوحى الله إليه صدر سورة اقرأ، ثم فتر الوحي فترة ذهب النبي ﷺ فيها مراراً ليتردى من رؤوس الجبال. فكلما همَّ بذلك ناداه جبريل من الهواء، يا محمد أنت رسول الله حقاً وأنا جبريل، فيسكن لذلك جأشه وتقر عينه[2]، وكلما طال عليه الأمر عاد لمثلها حتى تبدى له جبريل ورسول الله ﷺ بالأبطح في صورته التي خلقه الله عليها، له ستمائة جناح[3] قد سد عظم [خلقه][4] الأفق، فاقترب منه وأوحى إليه عن الله ﷻ ما أمره به، فعرف عند ذلك عظمة الملك الذي جاءه بالرسالة وجلالة قدره وعلو مكانته عند خالقه الذي بعثه إليه.

فأما الحديث الذي رواه الحافظ أبو بكر البزار في مسنده حيث قال: حدثنا سلمة بن شبيب، حدثنا سعيد بن منصور، حدثنا الحارث بن عبيد، عن أبي عمران الجوني، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «بينا أنا قاعد إذ جاء جبريل عليه السلام فوكز بين كتفي، فقمت إلى شجرة فيها كوكري الطير فقعد في أحدهما وقعدت في الآخر، فسمت وارتفعت حتى سدت الخافقين، وأنا أقلِّب طرفي، ولو شئت أن أمس السماء لمسست، فالتفت إلي جبريل كأنه جلس لاطئ فعرفت فضل علمه بالله علي. وفتح لي باب من أبواب السماء ورأيت النور الأعظم، وإذا دون الحجاب رفرفة الدر والياقوت، وأوحي إلي ما شاء الله أن يوحي» ثم قال البزار: «لا يرويه إلا الحارث بن عبيد، وكان رجلاً مشهوراً من أهل البصرة»[5].

قلت: الحارث بن عبيد هذا هو أبو قدامة الأيادي أخرج له مسلم في صحيحه إلا أن ابن معين ضعفه، وقال: ليس هو بشيء، وقال الإمام أحمد: مضطرب الحديث. وقال أبو حاتم

---

(١) معاني القرآن ٣/ ٩٥، واستشهد به الطبري.

(٢) أخرجه البخاري (الصحيح، التعبير، باب أول ما بدء به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة ح٦٩٨٢).

(٣) سيأتي تخريجه بعد الرواية التالية.

(٤) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل صحف إلى: حلقه.

(٥) أخرجه البزار بسنده ومتنه وتعليقه (مختصر زوائد مسند البزار ١/ ٩٤، ٩٥ ح٣٤) وقال ابن حجر في الحارث بن عبيد: أخرج له الشيخان وهو مع ذاك له مناكير هذا منها. ولهذا قرر الحافظ تضعيف سند هذا الحديث.

الرازي: يكتب حديثه ولا يحتج به. وقال ابن حبان: كثُر وهمه فلا يجوز الاحتجاج به إذا انفرد، فهذا الحديث من غرائب رواياته، فإن فيه نكارة وغرابة ألفاظ وسياقاً عجيباً ولعله منام، والله أعلم.

وقال الإمام أحمد: حدثنا حجاج، حدثنا شريك، عن عاصم، عن أبي وائل، عن عبد الله أنه قال: رأى رسول الله ﷺ جبريل في صورته وله ستمائة جناح، كل جناح منها قد سد الأفق، يسقط من جناحه من التهاويل والدر والياقوت ما الله به عليم[١]. انفرد به أحمد.

وقال أحمد: حدثنا يحيى بن آدم، حدثنا أبو بكر بن عياش، عن إدريس بن منبه، عن وهب بن منبه، عن ابن عباس قال: سأل النبي ﷺ جبريل أن يراه في صورته فقال: ادع ربك، فدعا ربه ﷻ فطلع عليه سواد من قبل المشرق فجعل يرتفع وينتشر، فلما رآه النبي ﷺ صعق، فأتاه فنعشه ومسح البزاق عن شدقه[٢]. تفرد به أحمد.

وقد رواه ابن عساكر في ترجمة عُتبة بن أبي لهب من طريق محمد بن إسحاق، عن عثمان بن عروة بن الزبير، عن أبيه، عن هبار بن الأسود قال: كان أبو لهب وابنه عتبة قد تجهزا إلى الشام فتجهزت معهما، فقال ابنه عتبة: والله لأنطلقنَّ إلى محمد ولآذينه في ربه ﷻ، فانطلق حتى أتى النبي ﷺ فقال: يا محمد هو يكفر بالذي دنى فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى، فقال النبي ﷺ: «اللَّهم سلط عليه كلباً من كلابك» ثم انصرف عنه فرجع إلى أبيه فقال: يا بُني ما قلت له، فذكر له ما قاله، فقال: فما قال لك؟ قال: قال: «اللَّهم سلط عليه كلباً من كلابك» قال: يا بُني والله ما آمن عليك دعاءه، فسرنا حتى نزلنا الشراة وهي مأسدة، ونزلنا إلى صومعة راهب فقال الراهب: يا معشر العرب، ما أنزلكم هذه البلاد فإنها يسرح الأسد فيها كما تسرح الغنم. فقال لنا أبو لهب: إنكم قد عرفتم كبر سني وحقي، وإن هذا الرجل قد دعا على ابني دعوة، والله ما آمنها عليه، فاجمعوا متاعكم إلى هذه الصومعة وافرشوا لابني عليها ثم افرشوا حولها، ففعلنا فجاء الأسد فشمَّ وجوهنا فلما لم يجد ما يريد تقبض فوثب وثبة فإذا هو فوق المتاع، فشمَّ وجهه ثم هزمه هزمةً ففسخ رأسه فقال أبو لهب: قد عرفت أنه لا ينفلت عن دعوة محمد[٣].

وقوله تعالى: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩﴾ أي: فاقترب جبريل إلى محمد لما هبط عليه إلى الأرض حتى كان بينه وبين محمد ﷺ قاب قوسين؛ أي: بقدرهما إذا مُدًّا، قاله مجاهد وقتادة[٤]. وقد قيل: إن المراد بذلك بُعد ما بين وتر القوس إلى كِبدها.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٦/ ٢٩٤ ح٣٧٤٨) وضعف سنده محققوه إذ أعلّوه بشريك وهو ابن عبد الله النخعي. اهـ. ولكن الشق الأول له شواهد صحيحة ستأتي.

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٥/ ١١٨ ح٢٩٦٥) وضعف سنده محققوه، وأعلّوه بإدريس بن منبه. والشدق هو جانب الفم من باطن الخدين.

(٣) أخرجه الحاكم من حديث أبي نوفل بن أبي عقرب عن أبيه مختصراً وصححه ووافقه الذهبي (المستدرك ٢/ ٥٣٩) وحسنه الحافظ ابن حجر (فتح الباري ٤/ ٣٩).

(٤) أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد بنحوه، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة بلفظ: «جبريل».

وقوله تعالى: ﴿أَوۡ أَدۡنَىٰ﴾ قد تقدم أن هذه الصيغة تستعمل في اللغة لإثبات المخبر عنه ونفي ما زاد عليه كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتۡ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلۡحِجَارَةِ أَوۡ أَشَدُّ قَسۡوَةٗۚ﴾ [البقرة: ٧٤] أي: ما هي بألين من الحجارة، بل هي مثلها أو تزيد عليها في الشدة والقسوة وكذا قوله: ﴿يَخۡشَوۡنَ ٱلنَّاسَ كَخَشۡيَةِ ٱللَّهِ أَوۡ أَشَدَّ خَشۡيَةٗۚ﴾ [النساء: ٧٧] وقوله: ﴿وَأَرۡسَلۡنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلۡفٍ أَوۡ يَزِيدُونَ ١٤٧﴾ [الصافات] أي: ليسوا أقل منها بل هم مائة ألف حقيقة أو يزيدون عليها. فهذا تحقيق للمخبر به لا شك ولا تردد فإن هذا ممتنع وهكذا ههنا هذه الآية ﴿فَكَانَ قَابَ قَوۡسَيۡنِ أَوۡ أَدۡنَىٰ ٩﴾ وهذا الذي قلناه من أن هذا المقترب الداني الذي صار بينه وبين محمد صلى الله تعالى عليه وسلم إنما هو جبريل عليه السلام، وهو قول أم المؤمنين عائشة وابن مسعود وأبي ذرٍّ وأبي هريرة، كما سنورد أحاديثهم قريباً إن شاء الله تعالى.

وروى مسلم في صحيحه عن ابن عباس أنه قال: رأى محمد ربه بفؤاده مرتين فجعل هذه إحداهما، وجاء في حديث شريك بن أبي نمر، عن أنس في حديث الإسراء: ثم دنا الجبار ربُّ العزة فتدلى[١]، ولهذا قد تكلم كثير من الناس في متن هذه الرواية وذكروا أشياء فيها من الغرابة، فإن صحَّ فهو محمول على وقت آخر وقصة أخرى، لا أنها تفسير لهذه الآية، فإن هذه كانت ورسول الله ﷺ في الأرض لا ليلة الإسراء، ولهذا قال بعده: ﴿وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ ١٣ عِندَ سِدۡرَةِ ٱلۡمُنتَهَىٰ ١٤﴾ فهذه هي ليلة الإسراء والأولى كانت في الأرض.

وقد قال ابن جرير: حدثنا محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب، حدثنا عبد الواحد بن زياد، حدثنا سليمان الشيباني، حدثنا زر بن حبيش قال: قال عبد الله بن مسعود في هذه الآية ﴿فَكَانَ قَابَ قَوۡسَيۡنِ أَوۡ أَدۡنَىٰ ٩﴾ قال: قال رسول الله ﷺ: «رأيت جبريل له ستمائة جناح»[٢].

وقال ابن وهب: حدثنا ابن لهيعة، عن أبي الأسود، عن عروة، عن عائشة قالت: كان أول شأن رسول الله ﷺ أنه رأى في منامه جبريل بأجياد، ثم إنه خرج ليقضي حاجته فصرخ به جبريل: يا محمد يا محمد! فنظر رسول الله يميناً وشمالاً فلم يرَ أحداً ثلاثاً، ثم رفع بصره فإذا هو ثاني إحدى رجليه مع الأخرى على أفق السماء فقال: يا محمد جبريل يسكنه، فهرب النبي ﷺ حتى دخل في الناس، فنظر فلم يرَ شيئاً، ثم خرج من الناس ثم نظر فرآه فدخل في الناس فلم يرَ شيئاً، ثم خرج فنظر فرآه، فذلك قول الله ﷻ ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ١﴾ إلى قوله: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ٨﴾ يعني: جبريل إلى محمد عليهما الصلاة والسلام ﴿فَكَانَ قَابَ قَوۡسَيۡنِ أَوۡ أَدۡنَىٰ ٩﴾ ويقولون: ألقاب نصف أصبع، وقال بعضهم: ذراعين كان بينهما، رواه ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث ابن وهب به[٣]. وفي حديث الزهري، عن أبي سلمة، عن جابر شاهداً لهذا. [وروى

---

(١) تقدم تخريجه في تفسير سورة الإسراء آية ١، وعلة هذا الحديث في وهم شريك بن أبي نمر وقد أحصىٰ الحافظ ابن حجر أوهامه في حديث الإسراء والمعراج (ينظر: فتح الباري ١٣/ ٤٨٥).

(٢) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وله شاهد في الصحيحين من حديث جابر رضي الله عنه كما سيأتي بعد الروايتين التاليتين.

(٣) أخرجه الطبري عن ابن وكيع عن ابن وهب به، وفي سنده ابن وكيع وهو سفيان، وابن لهيعة وكلاهما فيهما مقال.

البخاري، عن طلق بن غنام، عن زائدة، عن الشيباني قال: سألت زرّاً عن قوله: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ۝﴾ قال: حدثنا عبد الله أن محمداً ﷺ رأى جبريل له ستمائة جناح[١].

وقال ابن جرير: حدثني ابن بزيع البغدادي، حدثنا إسحاق بن منصور، حدثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن عبد الرحمن بن يزيد، عن عبد الله ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ۝﴾ قال: رأى رسول الله ﷺ جبريل عليه حلتا رفرف قد ملأ ما بين السماء والأرض][٢][٣]. فعلى ما ذكرناه يكون قوله: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ۝﴾ معناه فأوحى جبريل إلى عبد الله محمد ما أوحى، أو فأوحى الله إلى عبده محمد ما أوحى بواسطة جبريل، وكلا المعنيين صحيح.

وقد ذُكر عن سعيد بن جبير في قوله: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ۝﴾ قال: أوحى الله إليه ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا﴾ [الضحى: ٦]، ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝﴾ [الشرح].

وقال غيره: أوحى الله إليه أن الجنة محرمة على الأنبياء حتى تدخلها، وعلى الأمم حتى تدخلها أمتك[٤].

وقوله تعالى: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ۝ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۝﴾ قال مسلم: حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا وكيع، حدثنا الأعمش، عن زياد بن حصين، عن أبي العالية، عن ابن عباس ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ۝﴾ ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝﴾ قال: رآه بفؤاده مرتين[٥]. وكذا رواه سماك عن عكرمة، عن ابن عباس مثله[٦]، وكذا قال أبو صالح والسدي وغيرهما: إنه رآه بفؤاده مرتين[٧]، وقد خالفه ابن مسعود وغيره. وفي رواية عنه أنه أطلق الرؤية وهي محمولة على المقيدة بالفؤاد، ومن روى عنه بالبصر فقد أغرب فإنه لا يصح في ذلك شيء عن الصحابة رضي الله عنهم، وقول البغوي في تفسيره وذهب جماعة إلى أنه رآه بعينه، وهو قول أنس والحسن وعكرمة فيه نظر[٨]، والله أعلم.

وقال الترمذي: حدثنا محمد بن عمرو بن المنهال بن صفوان، حدثنا يحيى بن كثير العنبري، عن سلمة بن جعفر، عن الحكم بن أبان، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: رأى محمد ربه، قلت: أليس الله يقول: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾ [الأنعام: ١٠٣]؟ قال: ويحك ذاك إذا تجلى بنوره الذي هو نوره، وقد رأى ربه مرتين. ثم قال: حسن غريب[٩].

---

(١) أخرجه البخاري بسنده ومتنه الصحيح.
(٢) أخرجه الطبري بسنده ومتنه. ويشهد له سابقه.
(٣) زيادة من (حم) و(مح).
(٤) ذكره البغوي في تفسيره (٤/ ٢٤٦).
(٥) أخرجه مسلم بسنده ومتنه (الصحيح، الإيمان، باب قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝﴾ [النجم] ح٢٨٥).
(٦) أخرجه الطبري من طريق سماك بن حرب به، وفي رواية سماك عن عكرمة اضطراب، ولكنه توبع كما تقدم في رواية مسلم، وإن صحَّ عن ابن عباس فإنه قول مرجوح كما سيأتي.
(٧) أخرجه الطبري من طريق السدي عن أبي صالح، وحكمه كسابقه في أنه قول مرجوح.
(٨) ذكره البغوي ونسبه إليهم ثلاثتهم. (التفسير ٤/ ٢٤٧).
(٩) أخرجه الترمذي بسنده ومتنه (السنن، التفسير، باب ومن سورة النجم ح٣٢٧٥) وضعف سنده الألباني في ضعيف سنن الترمذي (ح٦٤٧).

وقال أيضاً: حدثنا ابن أبي عمر، حدثنا سفيان، عن مجالد، عن الشعبي قال: لقي ابن عباس كعباً بعرفة فسأله عن شيء، فكبَّر حتى جاوبته الجبال، فقال ابن عباس: إنا بنو هاشم، فقال كعب: إن الله قسم رؤيته وكلامه بين محمد وموسى، فكلم موسى مرتين ورآه محمد مرتين.

وقال مسروق: دخلت على عائشة فقلت: هل رأى محمد ربه، فقالت: لقد تكلمت بشيء قُفَّ له شعري فقلت: رويداً، ثم قرأتُ ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ۝١٨﴾ فقالت: أين يذهب بك إنما هو جبريل، من أخبرك أن محمداً رأى ربه أو كتم شيئاً مما أمر به أو [يعلم الخمس التي][1] قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ﴾ [لقمان: ٣٤] فقد أعظم على الله الفرية [ولكنه رأى][2] جبريل، لم يره في صورته إلا مرتين: مرة عند سدرة المنتهى، ومرة في أجياد وله ستمائة جناح قد سدَّ الأفق[3].

وقال النسائي: حدثنا إسحاق بن إبراهيم، حدثنا معاذ بن هشام، حدثني أبي، عن قتادة، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: أتعجبون أن تكون الخلة لإبراهيم والكلام لموسى والرؤية لمحمد عليهم الصلاة والسلام[4].

وفي صحيح مسلم عن أبي ذرٍّ قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: هل رأيت ربك؟ فقال: «نور أنَّى أراه»[5]، وفي رواية: «رأيت نوراً»[6].

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا أبو خالد، عن موسى بن عبيدة، عن محمد بن كعب قال: قالوا: يا رسول الله رأيت ربك؟ قال: «رأيته بفؤادي مرتين» ثم قرأ ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ۝١١﴾. ورواه ابن جرير عن ابن حميد، عن مهران، عن موسى بن عبيدة، عن محمد بن كعب، عن بعض أصحاب النبي ﷺ قال: قلنا يا رسول الله هل رأيت ربك؟ قال: «لم أره بعيني ورأيته بفؤادي مرتين» ثم تلا: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨﴾[7].

ثم قال ابن أبي حاتم: وحدثنا الحسن بن محمد بن الصباح، حدثنا محمد بن عبد الله الأنصاري، أخبرني عباد بن منصور قال: سألت عكرمة عن قوله: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ۝١١﴾ فقال عكرمة: تريد أن أخبرك أنه قد رآه، قلت نعم، قال: قد رآه ثم قد رآه، قال: فسألت عنه الحسن فقال: قد رأى جلاله وعظمته ورداءه[8].

وحدثنا أبي، حدثنا محمد بن مجاهد، حدثنا أبو عامر العقدي، أخبرنا أبو خلدة، عن أبي العالية قال: سئل رسول الله ﷺ: هل رأيت ربك؟ قال: «رأيت نهراً ورأيت وراء النهر حجاباً، ورأيت وراء الحجاب نوراً لم أر غيره»[9]. وذلك غريب جداً، فأما الحديث الذي رواه الإمام

---

(١) زيادة من (حم) و(مح). (٢) زيادة من (حم) و(مح).

(٣) المصدر السابق (ح٣٢٧٤). وسنده ضعيف لضعف مجالد، وأما قول مسروق فقد أخرجه مسلم من طريق الشعبي عن مسروق (الصحيح، الإيمان، باب معنىٰ قول الله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣﴾ [النجم] ح١٧٧).

(٤) أخرجه النسائي بسنده ومتنه (السنن الكبرى، التفسير، باب قوله تعالى: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ۝١١﴾ [النجم] ح١١٥٣٩)، وأخرجه الحاكم من طريق إسحاق بن إبراهيم به وصححه ووافقه الذهبي (المستدرك ٢/ ٤٦٩).

(٥) صحيح مسلم، الباب السابق (ح١٧٨). (٦) المصدر السابق (ح١٧٨/ ٢٩٢).

(٧) سنده ضعيف لضعف موسىٰ بن عبيدة وهو الربذي. (٨) سنده ضعيف لأنه مرسل.

(٩) سنده ضعيف لأنه مرسل.

أحمد: حدثنا أسود بن عامر، حدثنا حماد بن سلمة، عن قتادة، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «رأيت ربي ﷻ»[١]. فإنه حديث إسناده على شرط الصحيح، لكنه مختصر من حديث المنام كما رواه الإمام أحمد أيضاً: حدثنا عبد الرزاق، حدثنا معمر، عن أيوب، عن أبي قلابة، عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: «أتاني ربي الليلة في أحسن صورة - أحسبه يعني في النوم» - فقال: يا محمد أتدري فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قال: قلت: لا، فوضع يده بين كتفي حتى وجدت بردها بين ثديي - أو قال نحري - فعلمت ما في السمٰوات وما في الأرض. ثم قال: يا محمد، هل تدري فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قال: قلت: نعم، يختصمون في الكفارات والدرجات، قال: وما الكفارات؟ قال: قلت المكث في المساجد بعد الصلوات، والمشي على الأقدام إلى الجماعات، وإبلاغ الوضوء في المكاره، من فعل ذلك عاش بخير ومات بخير، وكان من خطيئته كيوم ولدته أمه، وقال: قل يا محمد إذا صليت: اللَّهمَّ إني أسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين، وإذا أردت بعبادك فتنة أن تقبضني إليك غير مفتون قال: «والدرجات بذل الطعام وإفشاء السلام، والصلاة بالليل والناس نيام»[٢]. وقد تقدم في آخر سورة ص عن معاذ نحوه[٣].

وقد رواه ابن جرير من وجه آخر عن ابن عباس وفيه سياق آخر وزيادة غريبة فقال: حدثني أحمد بن عيسى التميمي، حدثني سليمان بن عمر بن سيار، حدثني أبي، عن سعيد بن زربي، عن عمر بن سليمان، عن عطاء، عن ابن عباس قال: قال النبي ﷺ: «رأيت ربي في أحسن صورة فقال لي: يا محمد هل تدري فيم يختصم الملأ الأعلى؟ فقلت: لا يا ربِّ، فوضع يده بين كتفي فوجدت بردها بين ثديي، فعلمت ما في السموات والأرض فقلت: يا ربِّ في الدرجات والكفارات، ونقل الأقدام إلى الجماعات، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فقلت: يا ربِّ إنك اتخذت إبراهيم خليلاً وكلمت موسى تكليماً وفعلت وفعلت، فقال: ألم أشرح لك صدرك؟ ألم أضع عنك وزرك؟ ألم أفعل بك ألم أفعل بك؟ قال: فأفضى إليَّ بأشياء لم يؤذن لي أن أحدثكموها قال: فذاك قوله في كتابه: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾﴾ فجعل نور بصري في فؤادي فنظرت إليه بفؤادي»[٤] إسناده ضعيف.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٤/ ٣٥٠، ٣٥١ ح٢٥٧٩) وقال محققوه: صحيح موقوفاً، وهذا إسناد رجاله رجال الصحيح، وحماد بن سلمة، وهو من رجال مسلم، قال ابن سعد في الطبقات ٧/ ٢٨٢، ثقة كثير الحديث وربما حدث بالحديث المنكر، وقال البيهقي في الخلافيات فيما نقله الحافظ الذهبي في السير ٧/ ٤٥٢، لما طعن في السن ساء حفظه... فالاحتياط أن لا يحتج به فيما يخالف الثقات.

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٦/ ٤٣٨ ح٣٤٨٤)، وضعف سنده محققوه لأن أبا قلامة، واسمه عبد الله بن زيد الجرمي، لم يسمع من ابن عباس. وأخرجه ابن الجوزي في العلل المتناهية ١/ ٣٤ من طريق الإمام أحمد بن حنبل بهذا الإسناد.

(٣) تقدم تخريجه في تفسير سورة ص آية ٦٩.

(٤) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده ضعيف لأن سعيد بن زربي منكر الحديث. (التقريب ص٢٣٥).

وقد ذكر الحافظ ابن عساكر بسنده إلى هبار بن الأسود ﷺ أن عتبة بن أبي لهب لما خرج في تجارة إلى الشام قال لأهل مكة اعلموا أني كافر بالذي دنا فتدلى، فبلغ قوله رسول الله ﷺ فقال: سلط الله عليه كلباً من كلابه. قال هبار: فكنت معهم فنزلنا بأرض كثيرة الأسد، قال: فلقد رأيت الأسد جاء فجعل يشمُّ رؤوس القوم واحداً واحداً حتى تخطى إلى عتبة فاقتطع رأسه من بينهم[١].

وذكر ابن إسحاق وغيره في السيرة أن ذلك كان بأرض الزرقاء وقيل: بالسراة، وأنه خالف ليلتئذ، وأنهم جعلوه بينهم وناموا من حوله فجاء الأسد فجعل يزأر ثم تخطاهم إليه فضغم رأسه لعنه الله.

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنْتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾﴾ هذه هي المرة الثانية التي رأى رسول الله ﷺ فيها جبريل على صورته التي خلقه الله عليها وكانت ليلة الإسراء. وقد قدمنا الأحاديث الواردة في الإسراء بطرقها وألفاظها في أول سورة سبحان بما أغنى عن إعادته ههنا، وتقدم أن ابن عباس ﷺ كان يثبت الرؤية ليلة الإسراء ويستشهد بهذه الآية، وتابعه جماعة من السلف والخلف، وقد خالفه جماعات من الصحابة ﷺ والتابعين وغيرهم، وقال الإمام أحمد: حدثنا حسن بن موسى، حدثنا حماد بن سلمة، عن عاصم بن بهدلة، عن زرٍّ بن حبيش، عن ابن مسعود في هذه الآية ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنْتَهَىٰ ﴿١٤﴾﴾ قال: قال رسول الله ﷺ: «رأيت جبريل وله ستمائة جناح ينتثر منه ريش التهاويل من الدر والياقوت»[٢]. وهذا إسناد جيد قوي.

وقال أحمد أيضاً: حدثنا يحيى بن آدم، حدثنا شريك، عن جامع بن أبي راشد، عن أبي وائل، عن عبد الله قال: رأى رسول الله ﷺ جبريل في صورته وله ستمائة جناح، كل جناح منها قد سدَّ الأفق، يسقط من جناحه من التهاويل من الدر والياقوت ما الله به أعلم[٣]. إسناده حسن أيضاً.

وقال الإمام أحمد أيضاً: حدثنا زيد بن الحباب، حدثني حسين، حدثني عاصم بن بهدلة قال: سمعت شقيق بن سلمة يقول: سمعت ابن مسعود يقول قال رسول الله ﷺ: «رأيت جبريل على سدرة المنتهى وله ستمائة جناح» سألت عاصماً عن الأجنحة فأبى أن يخبرني، قال فأخبرني بعض أصحابه أن الجناح ما بين المشرق والمغرب[٤]. وهذا أيضاً إسناد جيد.

وقال أحمد: حدثنا زيد بن الحباب، حدثنا حسين، حدثنا عاصم بن بهدلة، حدثني شقيق بن سلمة قال: سمعت ابن مسعود يقول قال رسول الله ﷺ: «أتاني جبريل ﷺ في خضر معلق به الدر»[٥]. إسناده جيد أيضاً.

---

(١) تقدم تخريجه في بداية تفسير هذه الآية.

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ١/ ٤٦٠) وسنده حسن.

(٣) حسن سنده الحافظ ابن كثير. ويشهد له سابقه. والشطر الأول في صحيح البخاري، التفسير، باب ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾﴾ [النجم] (ح٤٨٥٧)، وباب ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾﴾ [النجم] (ح٤٨٥٨).

(٤) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٦/ ٤١٠ ح٣٨٦٢) وحسنه محققوه.

(٥) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المصدر السابق ح٣٨٦٣) وصحح سنده محققوه.

وقال الإمام أحمد: حدثنا يحيى عن إسماعيل، حدثنا عامر قال: أتى مسروق عائشة فقال يا أُم المؤمنين هل رأى محمد ﷺ ربه ﷻ؟ قالت: سبحان الله لقد قُفَّ شعري لما قلت، أين أنت من ثلاث من حدثكهن فقد كذب؟ من حدثك أن محمداً رأى ربه فقد كذب ثم قرأت ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾ [الأنعام: ١٠٣] ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِ حِجَابٍ﴾ [الشورى: ٥١] ومن أخبرك أنه يعلم ما في غد فقد كذب ثم قرأت: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ﴾ [لقمان: ٣٤] الآية. ومن أخبرك أن محمداً قد كتم فقد كذب، ثم قرأت ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ [المائدة: ٦٧] ولكنه رأى جبريل في صورته مرتين(١).

وقال الإمام أحمد أيضاً: حدثنا محمد بن أبي عدي، عن داود، عن الشعبي، عن مسروق قال: كنت عند عائشة فقلت: أليس الله يقول: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢٣﴾﴾ [التكوير] ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾﴾؟ فقالت: أنا أول هذه الأمة سألت رسول الله ﷺ عنها فقال: «إنما ذاك جبريل»(٢) لم يره في صورته التي خلق عليها إلا مرتين، رآه منهبطاً من السماء إلى الأرض سادّاً عظم خلقه ما بين السماء والأرض، أخرجاه في الصحيحين من حديث الشعبي به.

رواية أبي ذر:

قال الإمام أحمد: حدثنا عفان، حدثنا همام: حدثنا قتادة، عن عبد الله بن شقيق قال: قلت لأبي ذرٍّ: لو رأيت رسول الله ﷺ لسألته. قال: وما كنت تسأله؟ قال: كنت أسأله هل رأى ربه ﷻ؟ فقال: إني قد سألته فقال: «قد رأيته نوراً أنَّى أراه»(٣). هكذا وقع في رواية الإمام أحمد وقد أخرجه مسلم من طريقين بلفظين فقال: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا وكيع، عن يزيد بن إبراهيم، عن قتادة، عن عبد الله بن شقيق، عن أبي ذرٍّ قال: سألت رسول الله ﷺ هل رأيت ربك؟ فقال: «نور أنى أراه»(٤).

وقال: حدثنا محمد بن بشار، حدثنا معاذ بن هشام، حدثنا أبي، عن قتادة، عن عبد الله بن شقيق قال: قلت لأبي ذرٍّ: لو رأيت رسول الله ﷺ لسألته. فقال: عن أي شيء تسأله؟ قال: قلت: كنت أسأله هل رأيت ربك؟ قال أبو ذرٍّ: قد سألته فقال: «رأيت نوراً»(٥).

وقد حكى الخلال في علله أن الإمام أحمد سئل عن هذا الحديث فقال: ما زلت منكراً له وما أدري ما وجهه.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا عمرو بن عون الواسطي، أخبرنا هشيم، عن منصور، عن الحكم، عن إبراهيم، عن أبيه، عن أبي ذرٍّ قال: رآه بقلبه ولم يره بعينه(٦).

---

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٦/ ٢٤١) وسنده صحيح.

(٢) صحيح البخاري، التوحيد، باب قوله الله تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾﴾ [الجن] (ح٧٣٨٠)، وصحيح مسلم، الإيمان باب معنىٰ قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾﴾ [النجم] (ح١٧٧/ ٢٩٠).

(٣) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٥/ ١٤٧) وسنده صحيح.

(٤) صحيح مسلم، الباب السابق (ح١٧٨/ ٢٩١).

(٥) المصدر السابق (ح١٧٨/ ٢٩٢).

(٦) متنه مخالف لما ثبت في الصحيح عن أبي ذرٍّ ﷺ كما في سابقه.

وحاول ابن خزيمة أن يدعي انقطاعه بين عبد الله بن شقيق وبين أبي ذرٍّ، وأما ابن الجوزي فتأوله على أن أبا ذرٍّ لعله سأل رسول الله ﷺ قبل الإسراء فأجابه بما أجابه به، ولو سأله بعد الإسراء لأجابه بالإثبات، وهذا ضعيف جداً، فإن عائشة أم المؤمنين ﵂ قد سألت عن ذلك بعد الإسراء ولم يثبت لها الرؤية، ومن قال إنه خاطبها على قدر عقلها أو حاول تخطئتها فيما ذهبت إليه كابن خزيمة في كتاب التوحيد، فإنه هو المخطئ والله أعلم.

وقال النسائي: حدثنا يعقوب بن إبراهيم، حدثنا هشام، عن منصور، عن الحكم، عن يزيد بن شريك، عن أبي ذرٍّ قال: رأى رسول الله ﷺ ربه بقلبه ولم يره ببصره[(١)]. وقد ثبت في صحيح مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة، عن علي بن مسهر، عن عبد الملك بن أبي سليمان، عن عطاء بن أبي رباح، عن أبي هريرة ﵁ أنه قال في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣﴾ قال رأى جبريل ﵇[(٢)].

وقال مجاهد في قوله: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣﴾ قال: رأى رسول الله ﷺ جبريل في صورته مرتين[(٣)]، وكذا قال قتادة والربيع بن أنس وغيرهم[(٤)].

وقوله تعالى: ﴿إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ۝١٦﴾ قد تقدم في أحاديث الإسراء أنه غشيتها الملائكة مثل الغربان وغشيها نور الربِّ وغشيتها ألوان ما أدري ما هي[(٥)]؟ وقال الإمام أحمد: حدثنا مالك بن مغول، حدثنا الزبير بن عدي، عن طلحة، عن مُرَّة، عن عبد الله هو ابن مسعود قال: لما أسري برسول الله ﷺ انتهى به إلى سدرة المنتهى وهي في السماء السابعة إليها ينتهي ما يعرج به من الأرض، فيقبض منها وإليها ينتهي ما يهبط به من فوقها فيقبض منها ﴿إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ۝١٦﴾ قال فراش من ذهب، قال: وأعطى رسول الله ﷺ ثلاثاً: أعطي الصلوات الخمس، وأعطي خواتيم سورة البقرة، وغفر لمن لا يشرك بالله شيئاً من أمته المقحمات[(٦)]. انفرد به مسلم.

وقال أبو جعفر الرازي، عن الربيع، عن أبي العالية، عن أبي هريرة أو غيره - شك أبو جعفر - قال: لما أُسري برسول الله ﷺ انتهى إلى السدرة، فقيل له إن هذه السدرة، فغشيها نور الخلاق وغشيتها الملائكة مثل الغربان حين يقعن على الشجر، وقال فكلمه عند ذلك فقال له سَل[(٧)].

وقال ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ۝١٦﴾ قال كان أغصان السدرة لؤلؤاً

---

(١) أخرجه النسائي بسنده ومتنه (السنن الكبرىٰ، التفسير ح١١٥٣٦) وحكمه كسابقه.

(٢) صحيح مسلم، الباب السابق (ح١٧٥/ ٢٨٣).

(٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سلمة بن كهيل عن مجاهد وهو مرسل ويشهد له ما تقدم في الأحاديث السابقة وفي بداية تفسير سورة الإسراء.

(٤) أخرجه الطبري بسند جيد من طريق أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس.

(٥) تقدم في تفسير سورة الإسراء آية ١.

(٦) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ١/ ٤٢٢) وسنده صحيح وأخرجه الإمام مسلم من طريق مالك بن مغول به (الصحيح، الإيمان، باب في ذكر سدرة المنتهىٰ ح١٧٣).

(٧) تقدم تخريجه وتضعيفه في بداية تفسير سورة الإسراء، وفيه شك أبي جعفر وهو سيئ الحفظ.

وياقوتاً وزبرجداً، فرآها النبي ﷺ ورأى ربه بقلبه[١].

وقال ابن زيد: قيل: يا رسول الله؛ أي: شيء رأيت يغشى تلك السدرة؟ قال: «رأيت يغشاها فراش من ذهب، ورأيت على كل ورقة من ورقها ملكاً قائماً يسبح الله ﷻ»[٢].

وقوله تعالى: ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۝١٧﴾ قال ابن عباس: ما ذهب يميناً ولا شمالاً ﴿وَمَا طَغَىٰ﴾ ما جاوز ما أمر به، وهذه صفة عظيمة في الثبات والطاعة فإنه ما فعل إلا ما أمر به ولا سأل فوق ما أعطي، وما أحسن ما قال الناظم:

رأى جنة المأوى وما فوقها ولو رأى غيره ما قد رآه لتاها[٣]

وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ۝١٨﴾ كقوله: ﴿لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا﴾ [طه: ٢٣] أي: الدالة على قدرتنا وعظمتنا، وبهاتين الآيتين استدل من ذهب من أهل السنة أن الرؤية تلك الليلة لم تقع لأنه قال: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ۝١٨﴾ ولو كان رأى ربه لأخبر بذلك ولقال ذلك للناس، وقد تقدم تقرير ذلك في سورة سبحان.

وقد قال الإمام أحمد: حدثنا أبو النضر، حدثنا محمد بن طلحة، عن الوليد بن قيس، عن إسحاق بن أبي الكهتلة قال محمد أظنه عن ابن مسعود أنه قال: إن محمداً لم يرَ جبريل في صورته إلا مرتين: أما مرة فإنه سأله أن يريه نفسه في صورته فأراه صورته فسد الأفق، وأما الأخرى فإنه صعد معه حين صعد به، وقوله: ﴿وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ۝١٠﴾ فلما أحسّ جبريل ربه ﷻ عاد في صورته وسجد، فقوله: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝١٤ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ۝١٥ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ۝١٦ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۝١٧ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ۝١٨﴾ قال: خلق جبريل عليه السلام[٤]، وهكذا رواه أحمد وهو غريب.

﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ۝١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ۝٢٠ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ۝٢١ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ۝٢٢ إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ۝٢٣ أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ ۝٢٤ فَلِلَّهِ ٱلْءَاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ ۝٢٥ ۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ۝٢٦﴾.

يقول تعالى مقرعاً للمشركين في عبادتهم الأصنام والأنداد والأوثان، واتخاذهم البيوت لها مضاهاة للكعبة التي بناها خليل الرحمٰن عليه السلام: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ﴾؟ وكانت اللّات صخرة بيضاء منقوشة وعليها بيت بالطائف، له أستار وسدنة وحوله فناء معظم عند أهل الطائف، وهم

---

(١) أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند رجاله ثقات من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد لكنه مرسل.

(٢) أخرجه الطبري وسنده معضل ويشهد لقوله: «رأيت يغشاها فراش من ذهب» أحاديث صحيحة تقدم ذكرها في بداية تفسير سورة الإسراء.

(٣) لم أقف على اسم قائله.

(٤) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٦/ ٤١١ ح٣٨٦٤) وضعف سنده محققوه لجهالة حال إسحاق بن أبي الكهتلة. ولكن شطره الأول في رواية جبريل مرتين له شواهد صحيحة تقدم ذكرها.

ثقيف ومن تابعها، يفتخرون بها على من عداهم من أحياء العرب بعد قريش.

قال ابن جرير: وكانوا قد اشتقوا اسمها من اسم الله فقالوا: اللّات، يعنون: مؤنثة منه، تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً، وحكي عن ابن عباس ومجاهد والربيع بن أنس أنهم قرأوا ﴿اللَّتّ﴾ بتشديد التاء، وفسروه بأنه كان رجلاً يلتُّ للحجيج في الجاهلية السويق[١]، فلما مات عكفوا على قبره فعبدوه[٢].

وقال البخاري: «حدثنا مسلم هو ابن إبراهيم، حدثنا أبو الأشهب، حدثنا أبو الجوزاء، عن ابن عباس في قوله: ﴿اللَّتَ وَالْعُزَّى﴾ قال: كان اللات رجلاً يلتُّ السويق سويق الحجاج، قال ابن جرير: وكذا العزى من العزيز، وكانت شجرة عليها بناء وأستار بنخلة[٣]، وهي بين مكة والطائف، وكانت قريش يعظمونها كما قال أبو سفيان يوم أحد: لنا العزى ولا عزى لكم، فقال رسول الله ﷺ: [قولوا][٤] الله مولانا ولا مولى لكم»[٥].

وروى البخاري من حديث الزهري، عن حميد بن عبد الرحمٰن، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من حلف فقال في حلفه واللّات والعزى فليقل: لا إله إلا الله، ومن قال لصاحبه: تعالَ أقامرك[٦] فليتصدق»[٧] فهذا محمول على من سبق لسانه في ذلك كما كانت ألسنتهم قد اعتادته في زمن الجاهلية، كما قال النسائي: أخبرنا أحمد بن بكار، وعبد الحميد بن محمد قالا: حدثنا مخلد، حدثنا يونس، عن أبيه، حدثني مصعب بن سعد بن أبي وقاص، عن أبيه قال: حلفت باللات والعزى، فقال لي أصحابي: بئس ما قلت! قلت هجراً[٨]. فأتيت رسول الله ﷺ فذكرت ذلك له فقال: «قل لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، وانفث عن شمالك ثلاثاً، وتعوذ بالله من الشيطان الرجيم ثم لا تعد»[٩].

وأما مناة فكانت بالمشلل عند قديد بين مكة والمدينة، وكانت خزاعة والأوس والخزرج في جاهليتها يعظمونها ويهلون منها للحج إلى الكعبة. وروى البخاري عن عائشة نحوه[١٠]، وقد كان

---

(١) أخرجه البخاري بسنده عن ابن عباس ﷺ (الصحيح، التفسير، باب ﴿أَفَرَءَيْتُمُ اللَّتَ وَالْعُزَّى ﴿١٩﴾﴾ [النجم] ح٤٨٥٩). والسويق: طعام يتخذ من مدقوق الحنطة والشعير، ولتَّ السويق أي: خلطه بالسمن.

(٢) ذكره الطبري بنحوه، والقراءة متواترة.

(٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٤) زيادة من (ح) و(حم).

(٥) أخرجه البخاري (الصحيح، المغازي، باب غزوة أحد ح٤٠٤٣).

(٦) قال الخطابي: أي: بالمال الذي كان يريد أن يقامر به، وقيل: بصدقة ما لتكفر عنه القول الذي جرىٰ على لسانه. قال النووي: وهذا هو الصواب (ينظر: فتح الباري ٨/ ٦١٢).

(٧) أخرجه البخاري من طريق معمر عن الزهري به. (الصحيح، التفسير، باب ﴿أَفَرَءَيْتُمُ اللَّتَ وَالْعُزَّى ﴿١٩﴾﴾ ح٤٨٦٠).

(٨) أي: القبيح من الكلام.

(٩) أخرجه النسائي بسنده ومتنه (السنن، الأيمان والنذور، باب الحلف باللات والعزى ٧/ ٨). وفي سنده يونس بن أبي إسحاق السبيعي وهو صدوق يهم قليلاً (التقريب ص٦١٣).

(١٠) صحيح البخاري، التفسير، باب ﴿وَمَنَوٰةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ ﴿٢٠﴾﴾ [النجم] (ح٤٨٦١).

بجزيرة العرب وغيرها طواغيت أخر تعظمها العرب كتعظيم الكعبة. غير هذه الثلاثة التي نصَّ عليها في كتابه العزيز، وإنما أفرد هذه بالذكر لأنها أشهر من غيرها.

قال ابن إسحاق في السيرة: وقد كانت العرب اتخذت مع الكعبة طواغيت وهي بيوت تعظمها كتعظيم الكعبة. لها سدنة وحجاب وتهدى لها كما يهدى للكعبة، وتطوف بها كطوافها بها، وتنحر عندها، وهي تعرف فضل الكعبة عليها لأنها كانت قد عرفت أنها بيت إبراهيم عليه السلام ومسجده: فكانت لقريش ولبني كنانة العزى بنخلة، وكان سدنتها وحجابها بني شيبان من سليم، حلفاء بني هاشم[١]. قلت: بعث إليها رسول الله ﷺ خالد بن الوليد فهدمها وجعل يقول:

يا عُزى كفرانك لا سبحانك   إني رأيت الله قد أهانك

وقال النسائي: أخبرنا علي بن المنذر، أخبرنا ابن فضيل، حدثنا الوليد بن جميع، عن أبي الطفيل قال: لما فتح رسول الله ﷺ مكة بعث خالد بن الوليد إلى نخلة، وكانت بها العزى فأتاها خالد وكانت على ثلاث سمرات، فقطع السمرات وهدم البيت الذي كان عليها، ثم أتى النبي ﷺ فأخبره فقال: «ارجع فإنك لم تصنع شيئاً» فرجع خالد، فلما أبصرته السدنة وهم حجبتها أمعنوا في الحيل وهم يقولون: يا عُزى، يا عُزى، فأتاها خالد فإذا امرأة عريانة ناشرة شعرها تحثو التراب على رأسها، فغمسها بالسيف حتى قتلها، ثم رجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره فقال: «تلك العزى!»[٢].

قال ابن إسحاق: وكانت اللات لثقيف بالطائف، وكان سدنتها وحجابها بني معتب.

قلت: وقد بعث إليها رسول الله ﷺ المغيرة بن شعبة، وأبا سفيان صخر بن حرب، فهدماها وجعلا مكانها مسجداً بالطائف. قال ابن إسحاق: كانت مناة للأوس والخزرج ومن دان بدينهم من أهل يثرب على ساحل البحر من ناحية المشلل بقديد، فبعث رسول الله ﷺ إليها أبا سفيان صخر بن حرب فهدمها، ويقال علي بن أبي طالب قال: وكانت ذو الخلصة لدوس وخثعم وبجيلة، ومن كان ببلادهم من العرب بتبالة.

قلت: وكان يقال لها: الكعبة اليمانية، وللكعبة التي بمكة الكعبة الشامية، فبعث إليه رسول الله ﷺ جرير بن عبد الله البجلي فهدمه، قال: وكانت فَلْس لطيء ومن يليها بجبل طيء من سلمى وأجا.

قال ابن هشام: فحدثني بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ بعث إليه علي بن أبي طالب فهدمه، واصطفى منه سيفين: الرسوف والمخذَم، فنفله إياهما رسول الله ﷺ فهما سيفا علي[٣].

قال ابن إسحاق: وكان لحميرَ وأهل اليمن بيت بصنعاء يقال له: ريام، وذكر أنه كان به كلب

---

(١) ذكره ابن هشام (السيرة النبوية ١/ ٨٣).

(٢) أخرجه النسائي بسنده ومتنه (السنن الكبرى، التفسير، باب قوله تعالىٰ: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ۝١٩﴾ [النجم] ح١١٥٤٧)، وأخرجه أبو يعلىٰ من طريق محمد بن فضيل به (المسند ٢/ ١٩٦ ح٩٠٢) وصحح سنده محققه.

(٣) ذكره ابن هشام (السيرة النبوية ١/ ٨٧).

أسود وأن الحبرين اللذين ذهبا مع [تبع][1] استخرجاه وقتلاه وهدما البيت.

قال ابن إسحاق: وكانت «رُضاء» بيتاً لبني ربيعة بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم، ولها يقول المستوغر بن ربيعة بن كعب بن سعد حين هدمها في الإسلام.

ولقد شددت على رضاء شدة ... فتركتها قفراً بقاع أسحما

قال ابن هشام: إنه عاش ثلاثمائة وثلاثين سنة وهو القائل:

ولقد سئمت من الحياة وطولها ... وعمرت من عدد السنين مئينا

مائة حدتها بعدها مائتان لي ... وعمرتُ من عدد الشهور سنينا

هل ما بقي إلا كما قد فاتنا ... يوم يمرُّ وليلة تحدونا

وقال ابن إسحاق: وكان ذو الكعبات لبكر وتغلب ابني وائل وإياد بسنداد، وله يقول أعشى بن قيس بن ثعلبة:

بين الخورنق والسدير وبارق ... والبيت ذي الكعبات من سَنداد[2]

ولهذا قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ۝١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ۝٢٠﴾ ثم قال تعالى: ﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ۝٢١﴾ أي: أتجعلون له ولداً وتجعلون ولده أنثى، وتختارون لأنفسكم الذكور، فلو اقتسمتم أنتم ومخلوق مثلكم هذه القسمة لكانت ﴿قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ﴾ أي: جوراً باطلة، فكيف تقاسمون ربكم هذه القسمة التي لو كانت بين مخلوقين كانت جوراً وسفهاً.

وقال تعالى منكراً عليهم فيما ابتدعوه وأحدثوه من الكذب والافتراء والكفر من عبادة الأصنام وتسميتها آلهة: ﴿إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم﴾ أي: من تلقاء أنفسكم ﴿مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ﴾ أي: من حجة ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ﴾ أي: ليس لهم مستند إلا حسن ظنهم بآبائهم الذين سلكوا هذا المسلك الباطل قبلهم، وإلا حظ نفوسهم في رياستهم وتعظيم آبائهم الأقدمين. ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ أي: ولقد أرسل الله إليهم الرسل بالحق المنير والحجة القاطعة، ومع هذا ما اتبعوا ما جاءوهم به ولا انقادوا له.

ثم قال تعالى: ﴿أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ ۝٢٤﴾ أي: ليس كل من تمنى خيراً حصل له ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِىِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [النساء: ١٢٣] ما كل من زعم أنه مهتد يكون كما قال، ولا كل من ودَّ شيئاً يحصل له.

قال الإمام أحمد: حدثنا إسحاق، حدثنا أبو عوانة، عن عمر بن أبي سلمة، عن أبيه، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا تمنى أحدكم فلينظر ما يتمنى، فإنه لا يدري ما يكتب له من أمنيته»[3]. تفرد به أحمد.

وقوله: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْءَاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ ۝٢٥﴾ أي: إنما الأمر كله لله مالك الدنيا والآخرة والمتصرف في الدنيا والآخرة، فهو الذي ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن.

---

(١) زيادة من (ح) و(حم).

(٢) ذكره ابن هشام (السيرة النبوية ١/ ٨٧، ٨٨).

(٣) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ١٤/ ٣١٦ ح٨٦٨٩) وضعف سنده محققوه لضعف عمر بن أبي سلمة عند التفرد.

وقوله تعالى: ﴿۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾ كقوله: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سبأ: ٢٣] فإذا كان هذا في حق الملائكة المقربين، فكيف ترجون أيها الجاهلون شفاعة هذه الأصنام والأنداد عند الله، وهو تعالى لم يشرع عبادتها ولا أذن فيها، بل قد نهى عنها على ألسنة جميع رسله وأنزل بالنهي عن ذلك جميع كتبه؟

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢٧﴾ وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴿٢٨﴾ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿٣٠﴾﴾.

يقول تعالى منكراً على المشركين في تسميتهم الملائكة تسمية الأنثى، وجعلهم لها أنها بنات الله تعالى الله عن ذلك كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الزخرف] ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ﴾ أي: ليس لهم علم صحيح يُصَدِّق ما قالوه، بل هو كذب وزور وافتراء وكفر شنيع. ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾ أي: لا يجدي شيئاً ولا يقوم أبداً مقام الحق، وقد ثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث»[1].

وقوله تعالى: ﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا﴾ أي: أعرض عن الذي أعرض عن الحق واهجره.

وقوله: ﴿وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ أي: وإنما أكثر همه ومبلغ علمه الدنيا، فذاك هو غاية ما لا خير فيه، ولهذا قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ﴾ أي: طلب الدنيا والسعي لها هو غاية ما وصلوا إليه. وقد روى الإمام أحمد، عن أم المؤمنين عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «الدنيا دار من لا دار له، ومال من لا مال له، ولها يجمع من لا عقل له».

وفي الدعاء المأثور «اللّهم لا تجعل الدنيا أكبر همنا، ولا مبلغ عملنا»[2].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾ أي: هو الخالق لجميع المخلوقات والعالم بمصالح عباده، وهو الذي يهدي من يشاء ويضل من يشاء، وذلك كله عن قدرته وعلمه وحكمته وهو العادل الذي لا يجوز أبداً لا في شرعه ولا في قدره.

﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى ﴿٣١﴾ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ ۚ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ ۖ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾﴾.

يخبر تعالى أنه مالك السمٰوات والأرض، وأنه الغني عما سواه الحاكم في خلقه بالعدل وخلق الخلق بالحق ﴿لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى﴾ أي: يجازي كلاً بعمله إن خيراً فخير وإن شراً فشر، ثم فسَّر المحسنين بأنهم الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش؛ أي: لا

---

(١) تقدم تخريجه في تفسير سورة الحجرات آية ١٢. (٢) تقدم تخريجه في تفسير سورة الإسراء آية ١٨.

يتعاطون المحرمات الكبائر وإن وقع منهم بعض الصغائر فإنه يغفر لهم ويستر عليهم كما قال في الآية الأخرى: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾ [النساء] وقال ههنا: ﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ﴾ وهذا استثناء منقطع؛ لأن اللَّمم من صغائر الذنوب ومحقرات الأعمال.

قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق، حدثنا معمر، عن ابن طاوس، عن أبيه، عن ابن عباس قال: ما رأيت شيئاً أشبه باللَّمم مما قال أبو هريرة، عن النبي ﷺ قال: «إن الله تعالى كتب على ابن آدم حظه من الزنا أدرك ذلك لا محالة فزنا العين النظر، وزنا اللسان النطق، والنفس تتمنى وتشتهي والفرج يصدق ذلك أو يكذبه»(١) أخرجاه في الصحيحين من حديث عبد الرزاق به(٢).

وقال ابن جرير: حدثنا محمد بن عبد الأعلى، أخبرنا ابن ثور، حدثنا معمر، عن الأعمش، عن أبي الضحى أن ابن مسعود قال: زنا العينين النظر، وزنا الشفتين التقبيل، وزنا اليدين البطش، وزنا الرجلين المشي، ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه، فإن تقدم بفرجه كان زانياً وإلا فهو اللَّمم(٣)، وكذا قال مسروق والشعبي(٤).

وقال عبد الرحمٰن بن نافع ـ الذي يقال له: ابن لبابة الطائفي ـ قال: سألت أبا هريرة عن قول الله: ﴿إِلَّا ٱللَّمَمَ﴾ قال: القبلة والغمزة والنظرة والمباشرة، فإذا مسَّ الختان الختان فقد وجب الغسل، وهو الزنا(٥).

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿إِلَّا ٱللَّمَمَ﴾ إلا ما سلف(٦). وكذا قال زيد بن أسلم(٧).

وقال ابن جرير: حدثنا ابن المثنى، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن منصور، عن مجاهد أنه قال في هذه الآية: ﴿إِلَّا ٱللَّمَمَ﴾ قال: الذي يلم بالذنب ثم يدعه، قال الشاعر:

إن تغفر اللَّهمَّ تغفر جمّاً وأي عبدٍ لك ما ألمّا؟(٨)

وقال ابن جرير: حدثنا ابن حميد، حدثنا جرير، عن منصور، عن مجاهد في قول الله تعالى: ﴿إِلَّا ٱللَّمَمَ﴾ قال: الرجل يلم بالذنب ثم ينزع عنه. قال: وكان أهل الجاهلية يطوفون بالبيت وهم يقولون:

---

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٢/ ٢٧٦) وسنده صحيح.

(٢) صحيح البخاري، الإستئذان، باب زنا الجوارح دون الفرج (ح٦٣٤٣) وصحيح مسلم، القدر، باب قدر الله على ابن آدم حظه من الزنىٰ وغيره (ح٢٦٥٧).

(٣) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده صحيح، وأخرجه الحاكم من طريق معمر به وصححه ووافقه الذهبي (المستدرك ٢/ ٤٧٠).

(٤) أخرجهما الطبري مختصراً ويشهد لهما سابقهما.

(٥) أخرجه مسدد والطبري من طريق عبد الله بن عثمان بن خيثم عن عبد الرحمٰن بن نافع به. (ينظر: المطالب العالية، المسندة، ٤/ ١٦٤ ح٣٧٤٤) وعبد الرحمٰن بن نافع لم أجد له ترجمة ولمعظمه شواهد صحيحة.

(٦) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق علي به.

(٧) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق عبد الله بن وهب عن عبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم، وليس عن زيد بن أسلم، بنحوه.

(٨) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده صحيح، والبيت لأمية بن الصلت كما في ديوانه ص٥٨.

إن تـغـفـر الـلّـهـم تـغـفـر جـمـاً وأي عـبـدٍ لـك مـا ألـمـا[١]؟

وقد رواه ابن جرير وغيره مرفوعاً قال ابن جرير: حدثني سليمان بن عبد الجبار، حدثنا أبو عاصم، حدثنا زكريا بن إسحاق، عن عمرو بن دينار، عن عطاء، عن ابن عباس: ﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ﴾ قال: هو الرجل الذي يلمُّ بالفاحشة ثم يتوب. وقال: قال رسول الله ﷺ:

إن تـغـفـر الـلـهـم تـغـفـر جـمـاً وأي عـبـد لـك مـا ألـمـا[٢]؟

وهكذا رواه الترمذي عن أحمد بن عثمان أبي عثمان البصري، عن أبي عاصم النبيل ثم قال: هذا حديث صحيح حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث زكريا بن إسحاق[٣]، وكذا قال البزار: لا نعلمه يروى متصلاً إلا من هذا الوجه، وساقه ابن أبي حاتم والبغوي من حديث أبي عاصم النبيل، وإنما ذكره البغوي في تفسير سورة تنزيل، وفي صحته مرفوعاً نظر.

ثم قال ابن جرير: حدثنا محمد بن عبد الله بن بزيغ، حدثنا يزيد بن زريع، حدثنا يونس، عن الحسن، عن أبي هريرة رضي الله عنه أراه رفعه في: ﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ﴾ قال: اللّمم من الزنا ثم يتوب ولا يعود. واللّمم من السرقة ثم يتوب ولا يعود، واللّمم من شرب الخمر ثم يتوب ولا يعود، قال: فذلك الإلمام[٤].

وحدثنا ابن بشار، حدثنا ابن أبي عدي، عن عوف، عن الحسن في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ﴾ قال: اللّمم من الزنا أو السرقة أو شرب الخمر ثم لا يعود إليه[٥].

وحدثني يعقوب، حدثنا ابن علية، عن أبي رجاء، عن الحسن في قول الله: ﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ﴾ قال: كان أصحاب رسول الله ﷺ يقولون: هو الرجل يصيب اللّمة من الزنا، واللّمة من شرب الخمر فيجتنبها ويتوب منها[٦].

وقال ابن جريج، عن عطاء، عن ابن عباس ﴿إِلَّا ٱللَّمَمَ﴾ يلمُّ بها في الحين قلت: الزنا؟ قال: الزنا ثم يتوب[٧].

وقال ابن جرير أيضاً: حدثنا أبو كريب، حدثنا ابن عيينة، عن عمرو، عن عطاء، عن ابن عباس رضي الله عنه قال: اللّمم، الذي يلمّ المرة[٨].

---

(١) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وفي سنده ابن حميد وهو محمد بن حميد الرازي وهو ضعيف لكنه توبع في الرواية السابقة.

(٢) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وأخرجه الحاكم من طريق زكريا بن إسحاق المكي به، وصححه ووافقه الذهبي (المستدرك ٢/ ٤٦٩) وصححه الألباني كما سيأتي، ولكن الحافظ ابن كثير شكك في صحة رفعه.

(٣) سنن الترمذي، التفسير، باب ومن سورة النجم (ح٣٢٨٠) وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (ح٢٦١٨).

(٤) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده منقطع لأن الحسن لم يسمع من أبي هريرة.

(٥) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده صحيح إلى الحسن.

(٦) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده مرسل.

(٧) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وفي سنده ابن حميد وهو محمد بن حميد الرازي وهو ضعيف.

(٨) أخرجه الطبري بسنده ومتنه ورجاله ثقات وسنده صحيح.

وقال السدي: قال أبو صالح سئلت عن اللمم فقلت: هو الرجل يصيب الذنب ثم يتوب، وأخبرت بذلك ابن عباس فقال: لقد أعانك عليها ملك كريم[١]، حكاه البغوي.

وروى ابن جرير من طريق المثنى بن الصباح - وهو ضعيف - عن عمرو بن شعيب أن عبد الله بن عمرو قال: اللمم ما دون الشرك[٢].

وقال سفيان الثوري: عن جابر الجعفي، عن عطاء، عن ابن الزبير ﴿إِلَّا ٱللَّمَمَۚ﴾ قال: ما بين الحدّين حدّ الدنيا وعذاب الآخرة[٣]. وكذا رواه شعبة عن الحكم، عن ابن عباس مثله سواء[٤].

وقال العوفي، عن ابن عباس في قوله: ﴿إِلَّا ٱللَّمَمَۚ﴾ كل شيء بين الحدّين حد الدنيا وحد الآخرة، تكفره الصلوات فهو اللمم، وهو دون كل موجب، فأما حدّ الدنيا فكل حدّ فرض الله عقوبته في الدنيا، وأما حدّ الآخرة فكل شيء ختمه الله بالنار وأخر عقوبته إلى الآخرة[٥]. وكذا قال عكرمة وقتادة والضحاك[٦].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلۡمَغۡفِرَةِۚ﴾ أي: رحمته وسعت كل شيء ومغفرته تسع الذنوب كلها لمن تاب منها كقوله تعالى: ﴿۞ قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥٣﴾ [الزمر].

وقوله تعالى: ﴿هُوَ أَعۡلَمُ بِكُمۡ إِذۡ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ﴾ أي: هو بصير بكم عليم بأحوالكم وأفعالكم وأقوالكم التي ستصدر عنكم، وتقع منكم حين أنشأ أباكم من الأرض، واستخرج ذريته من صلبه أمثال الذرّ، ثم قسمهم فريقين: فريقاً للجنة وفريقاً للسعير. وكذا قوله: ﴿وَإِذۡ أَنتُمۡ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡۖ﴾ قد كتب الملك الذي يوكل به رزقه وأجله وعمله وشقي أم سعيد؟

قال مكحول: كنَّا أجنةً في بطون أمهاتنا فسقط منا من سقط، وكنا فيمن بقي ثم كنا مراضع فهلك منا من هلك، وكنا فيمن بقي ثم صرنا يفعة فهلك منا من هلك، وكنا فيمن بقي ثم صرنا شباباً فهلك منا من هلك، وكنا فيمن بقي ثم صرنا شيوخاً لا أبا لك فماذا بعد هذا ننتظر؟ رواه ابن أبي حاتم عنه.

وقوله: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ﴾ أي: تمدحوها وتشكروها وتمنوا بأعمالكم ﴿هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ كما قال تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ وَلَا يُظۡلَمُونَ فَتِيلًا ۝٤٩﴾ [النساء].

وقال مسلم في صحيحه: حدثنا عمرو الناقد، حدثنا هاشم بن القاسم، حدثنا الليث، عن

---

(١) أخرجه البغوي عن السدي، وسنده ضعيف لضعف أبي صالح وهو باذام أو باذان مولى أم هاني ﵂.

(٢) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وفيه المثنىٰ بن الصباح وقد ضعفه الحافظ ابن كثير.

(٣) أخرجه الطبري عن ابن حميد عن مهران عن سفيان به، وسنده ضعيف لضعف ابن حميد المتقدم قبل ثلاث روايات، وفيه جابر الجعفي أيضاً.

(٤) أخرجه الطبري من طريق شعبة به، والحكم هو ابن عُتيبة لم يسمع من ابن عباس، وسنده منقطع.

(٥) أخرجه الطبري من طريق العوفي به وسنده ضعيف.

(٦) أخرجه الطبري وفي سنده ابن حميد وهو ضعيف كما تقدم، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

يزيد بن أبي حبيب، عن محمد بن عمرو بن عطاء قال: سميت ابنتي بَرَّة فقالت لي زينب بنت أبي سلمة: إن رسول الله ﷺ نهى عن هذا الاسم وسميت بَرَّة، فقال رسول الله ﷺ: «لا تزكوا أنفسكم إن الله أعلم بأهل البر منكم» فقالوا: بِمَ نسميها؟ قال: «سموها زينب»[(١)].

وقد ثبت أيضاً في الحديث الذي رواه الإمام أحمد حيث قال: حدثنا عفان، حدثنا وهيب، حدثنا خالد الحذاء، عن عبد الرحمٰن بن أبي بكرة، عن أبيه قال: مدح رجل رجلاً عند النبي ﷺ فقال رسول الله ﷺ: «ويلك قطعت عنق صاحبك ـ مراراً ـ إذا كان أحدكم مادحاً صاحبه لا محالة فليقل: أحسب فلاناً والله حسيبه ولا أزكي على الله أحداً، أحسبه كذا وكذا إن كان يعلم ذلك»[(٢)]. ثم رواه عن غُندر، عن شعبة، عن خالد الحذاء به[(٣)]، وكذا رواه البخاري ومسلم وأبو داود وابن ماجه من طرق عن خالد الحذاء به[(٤)].

وقال الإمام أحمد: حدثنا وكيع وعبد الرحمٰن قالا: أخبرنا سفيان، عن منصور، عن إبراهيم، عن همام بن الحارث قال: جاء رجل إلى عثمان فأثنى عليه في وجهه قال: فجعل المقداد بن الأسود يحثو في وجهه التراب ويقول: أمرنا رسول الله ﷺ إذا لقينا المداحين أن نحثو في وجوههم التراب[(٥)]. ورواه مسلم وأبو داود من حديث الثوري [عن منصور][(٦)] به[(٧)].

﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ ﴿٣٣﴾ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ ﴿٣٤﴾ أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ ﴿٣٥﴾ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾﴾.

يقول تعالى ذامَّاً لمن تولى عن طاعة الله: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾﴾ [القيامة] ﴿وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ ﴿٣٤﴾﴾ قال ابن عباس: أطاع قليلاً ثم قطعه[(٨)]، وكذا قال مجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة وقتادة وغير واحد[(٩)].

قال عكرمة وسعيد: كمثل القوم إذا كانوا يحفرون بئراً، فيجدون في أثناء الحفر صخرة تمنعهم من تمام العمل فيقولون أكدينا ويتركون العمل.

---

(١) أخرجه مسلم بسنده ومتنه (الصحيح، الأداب، باب استحباب تغيير الاسم القبيح إلىٰ حسن ح٢١٤٢).

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٥/٤٦) وسنده صحيح.

(٣) المسند ٥/٤١ وسنده صحيح.

(٤) صحيح البخاري، الشهادات، باب إذا زكىٰ رجل رجلاً كفاه (ح٢٦٦٢) وصحيح مسلم، الزهد، باب النهي عن المدح إذا كان فيه إفراط (ح٣٠٠٠)، وسنن أبي داود، الأدب، باب في كراهية التمادح (ح٤٨٠٥)، وسنن ابن ماجه، الأدب، باب المدح (ح٣٧٤٤).

(٥) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٦/٥) وسنده صحيح.

(٦) زيادة من (ح) و(حم).

(٧) صحيح مسلم، الباب السابق (ح٣٠٠٢)، وسنن أبي داود، الباب السابق (ح٤٨٠٤).

(٨) أخرجه الطبري بسندين يقوي بعضهما بعضاً ويتقويان بالآثار التالية.

(٩) أخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق معمر عن عكرمة، وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح من طريق معمر عن قتادة.

وقوله تعالى: ﴿أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ ۝٣٥﴾ أي: أعند هذا الذي قد أمسك يده خشية الإنفاق وقطع معروفه، أعنده علم الغيب أنه سينفد ما في يده حتى قد أمسك عن معروفه فهو يرى ذلك عياناً؟ أي: ليس الأمر كذلك. وإنما أمسك عن الصدقة والمعروف والبر والصلة بخلاً وشحاً وهلعاً، ولهذا جاء في الحديث: «أنفق بلالاً ولا تخشَ من ذي العرش إقلالاً»[١]. وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [سبأ: ٣٩].

وقوله تعالى: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ۝٣٦ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ۝٣٧﴾ قال سعيد بن جبير والثوري؛ أي: بلّغ جميع ما أمر به[٢].

وقال ابن عباس: ﴿وَفَّىٰٓ﴾ لله بالبلاغ.

وقال سعيد بن جبير: ﴿وَفَّىٰٓ﴾ ما أمر به[٣].

وقال قتادة: ﴿وَفَّىٰٓ﴾ طاعة الله وأدى رسالته إلى خلقه[٤]. وهذا القول هو اختيار ابن جرير، وهو يشمل الذي قبله ويشهد له قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ﴾ [البقرة: ١٢٤] فقام بجميع الأوامر وترك جميع النواهي وبلغ الرسالة على التمام والكمال، فاستحق بهذا أن يكون للناس إماماً يقتدى به في جميع أحواله وأقواله وأفعاله. قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝١٢٣﴾ [النحل].

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا محمد بن عوف الحمصي، حدثنا آدم بن أبي إياس العسقلاني، حدثنا حماد بن سلمة، حدثنا جعفر بن الزبير، عن القاسم، عن أبي أُمامة قال: تلا رسول الله ﷺ هذه الآية ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ۝٣٧﴾ قال: «أتدري ما وفى؟» قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «وفَّى عمل يومه بأربع ركعات من أول النهار» ورواه ابن جرير من حديث جعفر بن الزبير[٥]، وهو ضعيف.

وقال الترمذي في جامعه: حدثنا أبو جعفر السمناني، حدثنا أبو مسهر، حدثنا إسماعيل بن عياش، عن يحيى بن سعد، عن خالد بن معدان، عن جبير بن نفير، عن أبي الدرداء وأبي ذرٍّ عن رسول الله ﷺ عن الله ﷻ أنه قال: «ابن آدم اركع لي أربع ركعات من أول النهار أكفك آخره»[٦].

قال ابن أبي حاتم رحمه الله: وحدثنا أبي، حدثنا الربيع بن سليمان، حدثنا أسد بن موسى،

---

(١) تقدم تخريجه في تفسير سورة البقرة آية ٢١٢.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة بسند صحيح من طريق أبي حصين عن سعيد بن جبير (المصنف ٧/٤٤٧).

(٣) تقدم كسابقه.

(٤) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٥) أخرجه الطبري من طريق إسرائيل عن جعفر بن الزبير به، وجعفر ضعيف كما قرر الحافظ ابن كثير، والحافظ ابن حجر في التقريب.

(٦) أخرجه الترمذي بسنده ومتنه (السنن، الصلاة، باب ما جاء في صلاة الضحىٰ ح٤٧٥) وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (ح٣٩٥).

حدثنا ابن لهيعة، حدثنا زبان بن فائد، عن سهل بن معاذ بن أنس، عن أبيه، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ألا أخبركم لِمَ سمى الله تعالى إبراهيم خليله الذي وفى؟ إنه كان يقول كلما أصبح وأمسى: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ۝١٧﴾ [الروم]» حتى ختم الآية[١].

ورواه ابن جرير عن أبي كريب [عن رشدين بن سعد، عن زبان به][٢][٣]، ثم شرع تعالى يبين ما كان أوحاه في صحف إبراهيم وموسى فقال: ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۝٣٨﴾ أي: كل نفس ظلمت نفسها بكفر أو شيء من الذنوب فإنما عليها وزرها لا يحمله عنها أحد كما قال: ﴿وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ﴾ [فاطر: ١٨] ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ۝٣٩﴾ أي: كما لا يحمل عليه وزر غيره، كذلك لا يحصل من الأجر إلا ما كسب هو لنفسه، ومن هذه الآية الكريمة استنبط الشافعي رحمه الله ومن اتبعه، أن القراءة لا يصل إهداء ثوابها إلى الموتى؛ لأنه ليس من عملهم ولا كسبهم ولهذا لم يندب إليه رسول الله ﷺ أمته ولا حثهم عليه ولا أرشدهم إليه بنصٍّ ولا إيماء، ولم ينقل ذلك عن أحد من الصحابة رضي الله عنهم، ولو كان خيراً لسبقونا إليه، وبات القربات يقتصر فيه على النصوص ولا يتصرف فيه بأنواع الأقيسة والآراء، فأما الدعاء والصدقة فذاك مجمع على وصولهما ومنصوص من الشارع عليهما.

وأما الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: ومن ولد صالح يدعو له، أو صدقة جارية من بعده، أو علم ينتفع به»[٤] فهذه الثلاثة في الحقيقة هي من سعيه وكدِّه وعمله، كما جاء في الحديث: «إن أطيب ما أكل الرجل من كسبه وإن ولده من كسبه»[٥] والصدقة الجارية كالوقف ونحوه هي من آثار عمله ووقفه، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ﴾ الآية [يس: ١٢]. والعلم الذي نشره في الناس فاقتدى به الناس بعده هو أيضاً من سعيه وعمله.

وثبت في الصحيح: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه من غير أن ينقص من أجورهم شيئاً»[٦].

وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ۝٤٠﴾ أي: يوم القيامة كقوله تعالى: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝١٠٥﴾ [التوبة] أي: فيخبركم به ويجزيكم عليه أتم الجزاء إن خيراً فخير وإن شراً فشر، وهكذا قال ههنا: ﴿ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ۝٤١﴾ أي: الأوفر.

---

(١) سنده ضعيف لضعف زبان بن فائد. (التقريب ص٢١٣).

(٢) زيادة من (حم) و(ح)، وفي الأصل بياض. (٣) سنده ضعيف كسابقه.

(٤) تقدم تخريجه في تفسير سورة الفرقان آية ٧٤.

(٥) أخرجه أبو داود من حديث عائشة رضي الله عنها (السنن، البيوع، باب في الرجل يأكل من مال ولده ح٣٥٢٨) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح٣٠١٣).

(٦) تقدم تخريجه في تفسير سورة المائدة آية ٢.

﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴿٤٦﴾ وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ﴿٤٧﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ﴿٤٨﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ وَثَمُودَا۟ فَمَآ أَبْقَىٰ ﴿٥١﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ﴿٥٢﴾ وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ﴿٥٣﴾ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ﴿٥٤﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ﴿٥٥﴾﴾.

يقول تعالى: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾﴾ أي: المعاد يوم القيامة. قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا سويد بن سعيد، حدثنا مسلم بن خالد، عن عبد الرحمٰن بن سابط، عن عمرو بن ميمون الأودي قال: قام فينا معاذ بن جبل فقال: يا بني أود إني رسول رسول الله ﷺ إليكم، تعلمون أن المعاد إلى الله إلى الجنة أو النار[1].

وذكر البغوي من رواية أبي جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية، عن أُبي بن كعب، عن النبي ﷺ في قوله: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾﴾ قال: لا فكرة في الربِّ[2].

قال البغوي: وهذا مثل ما روي عن أبي هريرة مرفوعاً: «تفكروا في الخلق ولا تفكروا في الخالق فإنه لا تحيط به الفكرة»[3] وكذا أورده وليس بمحفوظ بهذا اللفظ، وإنما الذي في الصحيح «يأتي الشيطان أحدكم فيقول: من خلق كذا من خلق كذا؟ حتى يقول: من خلق ربك؟ فإذا بلغ أحدكم ذلك فليستعذ بالله ولينته».

وفي الحديث الآخر الذي في [السنن][4]: «تفكروا في مخلوقات الله ولا تفكروا في ذات الله تعالى فإن الله خلق ملكاً ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة ثلاثمائة سنة»[5] أو كما قال.

وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾﴾ أي: خلق في عباده الضحك والبكاء وسببهما وهما مختلفان ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾﴾ كقوله: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ﴾ [الملك: ٢] ﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴿٤٦﴾﴾ كقوله: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَـٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَـٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾﴾ [القيامة].

وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ﴿٤٧﴾﴾ أي: كما خلق البداءة هو قادر على الإعادة وهي النشأة الأخرى يوم القيامة ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ﴿٤٨﴾﴾ أي: ملك عباده المال وجعله لهم قنية مقيماً عندهم لا يحتاجون إلى بيعه، فهذا تمام النعمة عليم، وعلى هذا يدور كلام كثير من المفسرين، منهم أبو صالح وابن جرير وغيرهما[6].

---

(١) سنده حسن.
(٢) أخرجه البغوي من طريق العباس بن زفر عن أبي جعفر الرازي به (التفسير ٤/ ٢٥٥). وسنده ضعيف لأن أبا جعفر سيئ الحفظ، وهذا الحديث لا يدخل في حكم الصحيفة المشهورة عن أبي العالية عن أُبي، ولكن يشهد له الأحاديث التالية.
(٣) المصدر السابق.
(٤) زيادة من (حم) و(مح)، وفي الأصل بياض.
(٥) صححه الألباني بلفظ: «تفكروا في ألاء الله ولا تفكروا في الله ﷻ». (السلسلة الصحيحة ٤/ ٣٩٥ ح١٧٨٨).
(٦) أخرجه الطبري بسند جيد من طريق السدي عن أبي صالح.

وعن مجاهد ﴿أَغْنَىٰ﴾ موَّل ﴿وَأَقْنَىٰ﴾ أخدم[(١)]، وكذا قال قتادة[(٢)].

وقال ابن عباس ومجاهد أيضاً: ﴿أَغْنَىٰ﴾ أعطى ﴿وَأَقْنَىٰ﴾ رضى[(٣)]. وقيل: معناه أغنى نفسه وأفقر الخلائق إليه، قاله الحضرمي بن لاحق[(٤)]، وقيل: أغنى من شاء من خلقه، وأقنى؛ أي: أفقر من شاء منهم.

قال ابن زيد: حكاهما ابن جرير وهما بعيدان من حيث اللفظ.

وقوله: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ ﴿٤٩﴾﴾ قال ابن عباس ومجاهد وقتادة وابن زيد وغيرهم: هو هذا النجم الوقّاد الذي يقال له: مِرزَم الجوزاء، كانت طائفة من العرب يعبدونه[(٥)].

﴿وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ﴿٥٠﴾﴾ وهم قوم هود ويقال لهم: عاد بن إرم بن سام بن نوح كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ﴿٧﴾ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿٨﴾﴾ [الفجر] فكانوا من أشد الناس وأقواهم وأعتاهم على الله تعالى وعلى رسوله فأهلكهم الله ﴿بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾ [الحاقة] أي: متتابعة.

وقوله تعالى: ﴿وَثَمُودَا۟ فَمَآ أَبْقَىٰ ﴿٥١﴾﴾ أي: دمرهم فلم يبق منهم أحداً ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ﴾ أي: من قبل هؤلاء ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ﴾ أي: أشد تمرداً من الذين من بعدهم ﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ﴿٥٣﴾﴾ يعني: مدائن لوط قلبها عليهم فجعل عاليها سافلها، وأمطر عليهم حجارة من سجيل منضود، ولهذا قال: ﴿فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ﴿٥٤﴾﴾ يعني: من الحجارة التي أرسلها عليهم ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الشعراء].

قال قتادة: كان في مدائن لوط أربعة آلاف ألف إنسان، فانضرم عليهم الوادي شيئاً فشيئاً من نار ونفط وقطران كفم الأتون. ورواه ابن أبي حاتم، عن أبيه، عن محمد بن وهب بن عطية، عن الوليد بن مسلم، عن خليد عنه به[(٦)]، وهو غريب جداً.

﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ﴿٥٥﴾﴾ أي: ففي أي نعم الله عليك أيها الإنسان تمتري؟ قاله قتادة[(٧)].

---

(١) أخرجه الطبري من طريق ليث عن مجاهد، وليث هو ابن أبي سُليم فيه مقال ويتقوى بما أخرجه الطبري بأسانيد صحاح عن الحسن البصري وقتادة.

(٢) أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة.

(٣) أخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.

(٤) أخرجه أبو الشيخ (العظمة ١٧٦)، والطبري بسند حسن من طريق المعتمر بن سليمان عن أبيه عن الحضرمي.

(٥) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي عن ابن عباس بلفظ: «هو الكوكب الذي يُدعى الشعرى»، ويتقوى بالآثار التي أخرجها الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة، والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد بلفظ: «مِرزم الجوزاء» وبسند صحيح من طريق عبد الله بن وهب عن ابن زيد.

(٦) سنده ضعيف لضعف خليد وهو ابن دعلج السدوسي البصري، وقد حدث عن قتادة أحاديث منكرة. (تهذيب التهذيب ٣/ ١٥٨).

(٧) أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة.

وقال ابن جريج: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ۝٥٥﴾ يا محمد والأول أولى، وهو اختيار ابن جرير[(١)].

﴿هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ ۝٥٦ أَزِفَتِ ٱلْءَازِفَةُ ۝٥٧ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ۝٥٨ أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ۝٥٩ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ۝٦٠ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ۝٦١ فَٱسْجُدُوا لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا ۩ ۝٦٢﴾.

﴿هَٰذَا نَذِيرٌ﴾ يعني محمداً ﷺ ﴿مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ﴾ أي: من جنسهم أرسل كما أرسلوا كما قال تعالى: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٩].

﴿أَزِفَتِ ٱلْءَازِفَةُ ۝٥٧﴾ أي: اقتربت القريبة وهي القيامة ﴿لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ۝٥٨﴾ أي: لا يدفعها إذاً من دون الله أحد ولا يطلع على علمها سواه، ثم قال تعالى منكراً على المشركين في استماعهم القرآن وإعراضهم عنه وتلهيهم ﴿تَعْجَبُونَ﴾ من أن يكون صحيحاً ﴿وَتَضْحَكُونَ﴾ منه استهزاء وسخرية ﴿وَلَا تَبْكُونَ﴾ أي: كما يفعل الموقنون به كما أخبر عنهم ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ۝١٠٩﴾ [الإسراء].

وقوله تعالى: ﴿وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ۝٦١﴾ قال سفيان الثوري: عن أبيه، عن ابن عباس قال: الغناء هي يمانية أسمد لنا غنِّ لنا[(٢)]، وكذا قال عكرمة[(٣)]، وفي رواية عن ابن عباس ﴿سَٰمِدُونَ﴾ معرضون[(٤)]، وكذا قال مجاهد وعكرمة، وقال الحسن: غافلون، وهو رواية عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وفي رواية عن ابن عباس: تستكبرون[(٥)]، وبه يقول السدي، ثم قال تعالى آمراً لعباده بالسجود له والعبادة المتابعة لرسوله ﷺ والتوحيد والإخلاص ﴿فَٱسْجُدُوا لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا ۩ ۝٦٢﴾ أي: فاخضعوا له وأخلصوا ووحدوه.

قال البخاري: حدثنا أبو معمر، حدثنا عبد الوارث، حدثنا أيوب، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: سجد النبي ﷺ بالنجم وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس[(٦)]. انفرد به دون مسلم.

وقال الإمام أحمد: حدثنا إبراهيم بن خالد، حدثنا رباح، عن عمر، عن ابن طاوس، عن عكرمة بن خالد، عن جعفر بن المطلب بن أبي وداعة، عن أبيه قال: قرأ رسول الله ﷺ بمكة سورة النجم فسجد وسجد من عنده فرفعت رأسي فأبيت أن أسجد، ولم يكن أسلم يومئذ المطلب فكان بعد ذلك لا يسمع أحداً يقرؤها إلا سجد معه[(٧)]. وقد رواه النسائي في الصلاة عن عبد الملك بن عبد الحميد، عن أحمد بن حنبل به[(٨)]. [ذكر حديث له مناسبة بما تقدم من قوله

---

(١) اختاره ولم يذكر سواه.

(٢) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق الثوري عن أبيه عن عكرمة عن ابن عباس.

(٣) أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن عكرمة.

(٤) أخرجه عبد الرزاق بسند حسن من طريق عكرمة عن ابن عباس.

(٥) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق الضحاك عن ابن عباس بلفظ: «شامخين». والضحاك لم يلق ابن عباس.

(٦) أخرجه البخاري بسنده ومتنه (الصحيح، التفسير، باب ﴿فَٱسْجُدُوا لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا ۩ ۝٦٢﴾ [النجم] ح٤٨٦٢).

(٧) أخرجه الإمام أحمد بسنده بنحوه (المسند ٤٥/ ٢٢٠ ح٢٧٢٤٥) وقال محققوه: صحيح لغيره.

(٨) السنن، سجود القرآن، باب السجود في ﴿وَٱلنَّجْمِ﴾ [النجم: ١] ٢/ ١٦٠، وصحح الحافظ ابن حجر رواية النسائي (فتح الباري ٨/ ٦١٥) وحسنه الألباني في صحيح سنن النسائي (ح٩١٨).

تعالى: ﴿هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ ۝٥٦ أَزِفَتِ ٱلْءَازِفَةُ ۝٥٧﴾ فإن النذير الحذر لما يعاين من الشر الذي يخشى وقوعه فيمن أنذرهم كما قال: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ [سبأ: ٤٦] وفي الحديث: «أنا النذير العريان»[١]؛ أي: الذي أعجله شدة ما عاين من الشر عن أن يلبس عليه شيئاً، بل بادر إلى إنذار قومه قبل ذلك فجاءهم عرياناً مسرعاً، وهو مناسب لقوله: ﴿أَزِفَتِ ٱلْءَازِفَةُ ۝٥٧﴾ أي: اقتربت القريبة يعني يوم القيامة. كما قال في أول السورة التي بعدها: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ﴾ [القمر: ١].

وقال الإمام أحمد: حدثنا أنس بن عياض، حدثني [أبو حازم] لا أعلم إلا عن سهل بن سعد قال: قال رسول الله ﷺ: «إياكم ومحقرات الذنوب، فإنما مثل محقرات الذنوب كمثل قوم نزلوا ببطن وادٍ، فجاء ذا بعود وجاء ذا بعود حتى أنضجوا خبزتهم، وإن محقرات الذنوب متى يؤخذ بها صاحبها تهلكه» وقال أبو حازم: قال رسول الله ﷺ: قال أبو نضرة: لا أعلم إلا عن سهل بن سعد قال: «مثلي ومثل الساعة كهاتين» وفرق بين أصبعيه الوسطى والتي تلي الإبهام ثم قال: «مثلي ومثل الساعة كمثل فرسي رهان» ثم قال: «مثلي ومثل الساعة كمثل رجل بعثه قومه طليعة، فلما خشي أن يسبق ألاح بثوبه: أتيتم أتيتم» ثم يقول رسول الله ﷺ: «أنا ذلك»[٢]. وله شواهد من وجوه أخر من صحاح وحسان].

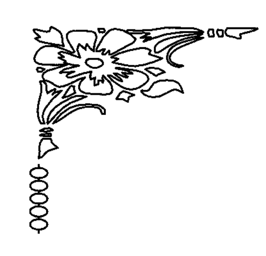
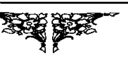
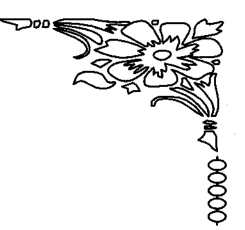
[آخر تفسير سورة النجم][٣]، ولله الحمد والمنة، وبه الثقة والعصمة ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

---

(١) أخرجه الشيخان من حديث أبي موسىٰ الأشعري ﷺ. (صحيح البخاري، الرقاق، باب الانتهاء عن المعاصي ح٦٤٨٢) وصحيح مسلم، الفضائل، باب شفقته ﷺ على أمته. . . (ح٢٢٨٣).

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٣٧/ ٤٦٧ ح٢٢٨٠٨ و٢٢٨٠٩) وصحح سنده محققوه.

(٣) زيادة من (ح) و(حم).

سُورَةُ القَمَرِ

وهي مكية

قد تقدم في حديث أبي واقد أن رسول الله ﷺ كان يقرأ بقاف، واقتربت الساعة[١] في الأضحىٰ والفطر[٢]، وكان يقرأ بهما في المحافل الكبار، لاشتمالهما على ذكر الوعد والوعيد، وبدء الخلق وإعادته، والتوحيد وإثبات النبوات، وغير ذلك من المقاصد العظيمة.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝٢ وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ۝٣ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ۝٤ حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ ۖ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ ۝٥﴾.

يخبر تعالى عن اقتراب الساعة وفراغ الدنيا وانقضائها كما قال تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ [النحل: ١] وقال: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ۝١﴾ [الأنبياء] وقد وردت الأحاديث بذلك.

قال الحافظ أبو بكر البزار: حدثنا محمد بن المثنى وعمرو بن علي قالا: حدثنا خلف بن موسى، حدثني أبي، عن قتادة، عن أنس أن رسول الله ﷺ خطب أصحابه ذات يوم، وقد كادت الشمس أن تغرب، فلم يبقَ منها إلا شِفٌّ[٣] يسير فقال: «والذي نفسي بيده ما بقي من الدنيا فيما مضى منها إلا كما بقي من يومكم هذا فيما مضى منه وما نرى من الشمس إلا يسيراً»[٤]. قلت: هذا حديث مداره على خلف بن موسى بن خلف العمي عن أبيه، وقد ذكره ابن حبان في الثقات، وقال: ربما أخطأ.

حديث آخر يعضد الذي قبله ويفسره.

قال الإمام أحمد: حدثنا الفضل بن دكين، حدثنا شريك، حدثنا سلمة بن كهيل، عن مجاهد، عن ابن عمر قال: كنا جلوساً عند النبي ﷺ والشمس على قعيقعان[٥] بعد العصر فقال: «ما أعماركم في أعمار من مضى إلا كما بقي من النهار فيما مضى»[٦].

---

(١) تقدم تخريجه في بداية تفسير سورة ق.

(٢) أي: عيد الأضحىٰ وعيد الفطر.

(٣) الشف هو: بقية النهار.

(٤) أعلّه الحافظ ابن كثير بخلف بن موسىٰ، ويتقوىٰ بالشواهد الآتية.

(٥) وهو أحد جبال مكة.

(٦) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ١٢/١٧٧ ح٥٩٦٦) وقال محققوه: صحيح لغيره.اهـ. وحسنه =

وقال الإمام أحمد: حدثنا حسين، حدثنا محمد بن مطرد، عن أبي حازم، عن سهل بن سعد قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «بُعثت أنا والساعة هكذا» وأشار بأصبعيه السبابة والوسطى[(١)]. وأخرجاه من حديث أبي حازم سلمة بن دينار[(٢)].

وقال الإمام أحمد: حدثنا [محمد بن عبيد][(٣)]، أخبرنا الأعمش، عن أبي خالد، عن وهب السوائي قال: قال رسول الله ﷺ: «بُعثت أنا والساعة كهذه من هذه إن كادت لتسبقها» وجمع الأعمش بين السبابة والوسطى[(٤)].

وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو المغيرة، حدثنا الأوزاعي، حدثني إسماعيل بن عبيد الله قال: قدم أنس بن مالك على الوليد بن عبد الملك فسأله: ماذا سمعت من رسول الله ﷺ يذكر به الساعة؟ فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أنتم والساعة كهاتين»[(٥)] تفرد به أحمد رحمه الله، وشاهد ذلك أيضاً في الصحيح في أسماء رسول الله ﷺ أنه الحاشر الذي يحشر الناس على قدميه[(٦)].

وقال الإمام أحمد: حدثنا بهز بن أسد، حدثنا سليمان بن المغيرة، حدثنا حميد بن هلال، عن خالد بن عمير قال: خطب عتبة بن غزوان، قال بهز، وقال قبل هذه المرة: خطبنا رسول الله ﷺ، قال: فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم قال: «أما بعد فإن الدنيا قد آذنت بصرم وولت حذاء، ولم يبق منها إلا صبابة كصبابة الإناء يتصابها صاحبها، وإنكم منتقلون منها إلى دار لا زوال لها، فانتقلوا منها بخير ما بحضرتكم، فإنه قد ذكر لنا أن الحجر يلقى من شفير جهنم فيهوي فيها سبعين عاماً ما يدرك لها قعراً، والله لتملؤنه أفعجبتم؟ والله لقد ذكر لنا أن ما بين مصراعي الجنة مسيرة أربعين عاماً، وليأتين عليه يوم وهو كظيظ من الزحام»[(٧)]. وذكر تمام الحديث انفرد به مسلم[(٨)].

وقال أبو جعفر بن جرير: حدثنا يعقوب، حدثني ابن عُلَيَّة، أخبرنا عطاء بن السائب، عن أبي عبد الرحمٰن السلمي قال: نزلنا المدائن فكنا منها على فرسخ، فجاءت الجمعة، فحضر أبي وحضرت معه فخطبنا حذيفة فقال: ألا إن الله يقول: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١﴾ ألا وإن الساعة قد اقتربت، ألا وإن القمر قد انشق، ألا وإن الدنيا قد آذنت بفراق، ألا وإن اليوم المضمار وغداً السباق، فقلت لأبي: أيستبق الناس غداً؟ فقال: يا بني إنك لجاهل، إنما هو

= الحافظ ابن حجر (فتح الباري ١١/ ٣٥٠).

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٥/٣٣٨) وسنده صحيح.

(٢) صحيح البخاري، الطلاق، باب اللعان وقول الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمْ . . .﴾ [النور: ٦] (ح٥٣٠١) وصحيح مسلم، الفتن وأشراط الساعة، باب قرب الساعة (ح٢٩٥٠).

(٣) كذا في المسند، وفي الأصل صُحف إلى: «محمد بن عبد».

(٤) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٣١/ ٦٠ ح١٨٧٧٠) وقال محققوه: صحيح لغيره.

(٥) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٢١/ ٥٠ ح١٣٣٣٧) وصحح سنده محققوه.

(٦) صحيح البخاري، المناقب، باب ما جاء في أسماء رسول الله ﷺ (ح٣٥٣٢).

(٧) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٤/ ١٧٤) وسنده صحيح.

(٨) أخرجه مسلم من طريق سليمان بن المغيرة به. (الصحيح، الزهد ح٢٦٩٧).

السباق بالأعمال، ثم جاءت الجمعة الأخرى، فحضرنا فخطب حذيفة فقال: ألا إن الله ﷻ يقول: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ۝﴾ ألا وإن الدنيا قد آذنت بفراق، ألا وإن اليوم المضمار وغداً السابق، ألا وإن الغاية النار، والسابق من سبق إلى الجنة[١].

وقوله تعالى: ﴿وَانشَقَّ الْقَمَرُ﴾ قد كان هذا في زمان رسول الله ﷺ، كما ورد ذلك في الأحاديث المتواترة بالأسانيد الصحيحة. وقد ثبت في الصحيح عن ابن مسعود أنه قال: «خمس قد مضين الروم والدخان واللزام والبطشة والقمر»[٢]، وهذا أمر متفق عليه بين العلماء أن انشقاق القمر قد وقع في زمان النبي ﷺ، وأنه كان إحدى المعجزات الباهرات.

ذكر الأحاديث الواردة في ذلك:

رواية أنس بن مالك:

قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق، حدثنا معمر، عن قتادة، عن أنس بن مالك قال: سأل أهل مكة النبي ﷺ آية، فانشق القمر بمكة مرتين فقال: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ۝﴾[٣]. ورواه مسلم، عن محمد بن رافع، عن عبد الرزاق[٤].

وقال البخاري: حدثني عبد الله بن عبد الوهاب، حدثنا بشر بن المفضل، حدثنا سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن أنس بن مالك، أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية، فأراهم القمر شقين حتى رأوا حراء بينهما[٥]. وأخرجاه أيضاً من حديث يونس بن محمد المؤدب، عن شيبان، عن قتادة[٦]، ورواه مسلم أيضاً من حديث أبي داود الطيالسي ويحيى القطان وغيرهما عن شعبة، عن قتادة به[٧].

رواية جبير بن مطعم رضي الله عنه:

قال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن كثير، حدثنا سليمان بن كثير، عن حصين بن عبد الرحمن، عن محمد بن جبير بن مطعم، عن أبيه قال: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فصار فرقتين: فرقة على هذا الجبل وفرقة على هذا الجبل، فقالوا: سحرنا[٨] محمد. فقالوا: إن كان سحرنا[٩] فإنه لا يستطيع أن يسحر الناس كلهم[١٠]. تفرد به الإمام أحمد من هذا الوجه وأسنده البيهقي في

---

(١) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده حسن لأن ابن عُليَّة وهو إسماعيل سمع عطاء بن السائب قبل الاختلاط.

(٢) صحيح البخاري، التفسير، باب ﴿فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾ [الفرقان: ٧٧] (ح٤٧٦٧).

(٣) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٣/ ١٦٥) وسنده صحيح.

(٤) صحيح مسلم، صفات المنافقين، باب انشقاق القمر بعد (ح٢٨٠٢).

(٥) أخرجه البخاري بسنده ومتنه (الصحيح، مناقب الأنصار، باب انشقاق القمر ح٣٨٦٨).

(٦) صحيح البخاري، المناقب، باب سؤال المشركين أن يريهم النبي ﷺ آية (ح٣٦٣٧) وصحيح مسلم، صفات المنافقين، باب انشقاق القمر (ح٢٨٠٢/ ٤٦).

(٧) المصدر السابق (ح٢٨٠٢/ ٤٧).

(٨) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل: «سحره». (٩) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل: «سحره».

(١٠) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٢٧/ ٣١٤، ٣١٥ ح١٦٧٥٠) وقال محققوه: إسناده ضعيف، =

الدلائل من طريق محمد بن كثير، عن أخيه سليمان بن كثير، عن حصين بن عبد الرحمٰن[١].

وهكذا رواه ابن جرير من حديث محمد بن فضيل وغيره عن حصين به[٢]، ورواه البيهقي أيضاً من طريق إبراهيم بن طهمان وهشيم، كلاهما عن حصين، عن جبير بن محمد بن جبير بن مطعم، عن أبيه، عن جده فذكره[٣].

رواية عبد الله بن عباس رضي الله عنهما:

قال البخاري: حدثنا يحيى بن بكير، حدثنا بكر، عن جعفر، عن عراك بن مالك، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، عن ابن عباس قال: انشق القمر في زمان النبي ﷺ[٤]. ورواه البخاري أيضاً ومسلم من حديث بكر بن مضر، عن جعفر بن ربيعة، عن عراك به مثله[٥].

وقال ابن جرير: حدثنا ابن مثنى، حدثنا عبد الأعلى، حدثنا داود بن أبي عبيد، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝﴾ قال: قد مضى ذلك، كان قبل الهجرة انشق القمر حتى رأوا شقيه[٦]، وروى العوفي، عن ابن عباس نحو هذا[٧].

وقال الطبراني: حدثنا أحمد بن عمرو البزار، حدثنا محمد بن يحيى القطعي، حدثنا محمد بن بكر، حدثنا ابن جريج، عن عمرو بن دينار، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: كسف القمر على عهد رسول الله ﷺ فقالوا: سحر القمر، فنزلت ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝﴾ إلى قوله: ﴿مُّسْتَمِرٌّ﴾[٨].

رواية عبد الله بن عمر:

قال الحافظ أبو بكر البيهقي: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، وأبو بكر أحمد بن الحسن القاضي قالا: حدثنا أبو العباس الأصم، حدثنا العباس بن محمد الدوري، حدثنا وهب بن جرير، عن شعبة، عن الأعمش، عن مجاهد، عن عبد الله بن عمر في قوله تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝﴾ قال: وقد كان ذلك على عهد رسول الله ﷺ، انشق فلقتين، فلقة من دون الجبل

= حصين بن عبد الرحمٰن وهو السلمي لم يسمع هذا الحديث من محمد بن جبير بن مطعم، بينهما جبير بن محمد بن جبير... وهو مجهول.

(١) دلائل النبوة (٢/٢٦٨) وسنده ضعيف كسابقه.

(٢) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده ضعيف كسابقه.

(٣) أخرجه البيهقي من طريق حصين عن جبير بن محمد بن جبير به، وسنده ضعيف لجهالة جبير بن محمد كما تقدم قبل روايتين.

(٤) أخرجه البخاري بسنده ومتنه (الصحيح، التفسير، باب ﴿وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟﴾ [القمر] ح٤٨٦٦).

(٥) صحيح البخاري، المناقب، باب انشقاق القمر (ح٣٨٧٠) وصحيح مسلم، صفات المنافقين، باب انشقاق القمر (ح٢٨٠٣/٤٨).

(٦) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده ثابت.

(٧) أخرجه الطبري بسنده ضعيف من طريق العوفي به، ويتقوىٰ بما سبق.

(٨) أخرجه الطبراني (المعجم الكبير ١١/ ٢٥٠ ح١١٦٤٢) ويشهد له قول ابن مسعود التالي عند البيهقي والطبري بعد أربع روايات.

وفلقة من خلف الجبل، فقال النبي ﷺ: «اللَّهمَّ اشهد» وهكذا رواه مسلم والترمذي من طرق عن شعبة، عن الأعمش، عن مجاهد به، قال مسلم كرواية مجاهد، عن أبي معمر، عن ابن مسعود، وقال الترمذي: حسن صحيح[(١)].

رواية عبد الله بن مسعود:

قال الإمام أحمد: حدثنا سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، عن أبي معمر، عن ابن مسعود قال: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ شقتين، حتى نظروا إليه، فقال رسول الله ﷺ: «اشهدوا»[(٢)]. وهكذا رواه البخاري ومسلم من حديث سفيان بن عيينة به[(٣)]، وأخرجاه من حديث الأعمش، عن إبراهيم، عن أبي معمر عبد الله بن سخبرة، عن ابن مسعود به[(٤)].

وقال ابن جرير: حدثني عيسى بن عثمان بن عيسى الرملي، حدثنا عمي يحيى بن عيسى، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن رجل، عن عبد الله قال: كنا مع رسول الله ﷺ بمنى، فانشق القمر فأخذت فرقة خلف الجبل، فقال رسول الله ﷺ: «اشهدوا اشهدوا»[(٥)].

قال البخاري: وقال أبو الضحى عن مسروق، عن عبد الله: بمكة[(٦)].

وقال أبو داود الطيالسي: حدثنا أبو عوانة، عن المغيرة، عن أبي الضحى، عن مسروق، عن عبد الله بن مسعود قال: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ، فقالت قريش: هذا سحر ابن أبي كبشة. قال: فقالوا انظروا ما يأتيك به السفار[(٧)]، فإن محمداً لا يستطيع أن يسحر الناس كلهم، قال: فجاء السفار فقالوا ذلك[(٨)].

وقال البيهقي: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، أخبرنا أبو العباس محمد بن يعقوب، حدثنا العباس بن محمد الدوري، حدثنا سعيد بن سليمان، حدثنا هشيم، حدثنا مغيرة، عن أبي الضحى، عن مسروق، عن عبد الله قال: انشق القمر بمكة حتى صار فرقتين، فقال كفار قريش أهل مكة: هذا سحر سحركم به ابن أبي كبشة انظروا السفار، فإن كانوا رأوا ما رأيتم فقد صدق، وإن كانوا لم يروا مثل ما رأيتم فهو سحر سحركم به. قال: فسئل السفار، قال: وقدموا من كل وجهة فقالوا: رأيناه[(٩)]، ورواه ابن جرير من حديث المغيرة به، وزاد فأنزل الله ﷻ:

---

(١) أخرجه البيهقي (دلائل النبوة ٢/ ٢٦٧) وهو حديث صحيح فقد أخرجه مسلم من طريق شعبة به (الصحيح، صفات المنافقين، باب انشقاق القمر ح٢٨٠٠/ ٤٥)، وسنن الترمذي، التفسير، باب ومن سورة القمر (ح٣٢٨٤).

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ١/ ٣٧٧) وسنده صحيح.

(٣) صحيح البخاري، التفسير، باب ﴿وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ۝ وَإِن يَرَوۡاْ ءَايَةً يُعۡرِضُواْ﴾ [القمر] (ح٤٨٦٥) وصحيح مسلم، الباب السابق (ح٢٨٠٠/ ٤٣).

(٤) المصدر السابق صحيح البخاري (ح٤٨٦٤) وصحيح مسلم (ح٢٨٠٠/ ٤٤).

(٥) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده ضعيف لإبهام الراوي عن عبد الله بن مسعود، ويشهد لآخره سابقه. وأخرجه البخاري من طريق أبي معمر عن ابن مسعود (الصحيح، المناقب، باب انشقاق القمر ح٣٨٦٩).

(٦) المصدر السابق.

(٧) أي: المسافرين.

(٨) أخرجه الطيالسي بسنده ومتنه (المسند رقم ٢٩٥) وسنده صحيح.

(٩) أخرجه البيهقي بسنده ومتنه (دلائل النبوة ٢/ ٢٦٦) وسنده صحيح.

﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١﴾[(١)].

ثم قال ابن جرير: حدثني يعقوب بن إبراهيم، حدثنا ابن عُليَّة، أخبرنا أيوب، عن محمد هو: ابن سيرين قال: نبئت أن ابن مسعود ﷺ كان يقول: لقد انشق القمر[(٢)].

وقال ابن جرير أيضاً: حدثني محمد بن عمارة، حدثنا عمرو بن حماد، حدثنا أسباط، عن سماك، عن إبراهيم، عن الأسود، عن عبد الله قال: لقد رأيت الجبل من فرج القمر حين انشق، ورواه الإمام أحمد عن مؤمل، عن إسرائيل، عن سماك، عن إبراهيم، عن الأسود، عن عبد الله قال: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ حتى رأيت الجبل من بين فرجتي القمر[(٣)].

وقال ليث، عن مجاهد: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فصار فرقتين، فقال النبي ﷺ لأبي بكر: «اشهد يا أبا بكر» فقال المشركون: سحر القمر حتى انشق[(٤)].

وقوله تعالى: ﴿وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً﴾ أي: دليلاً وحجة وبرهاناً ﴿يُعْرِضُوا۟﴾ أي: لا ينقادوا له بل يعرضون عنه ويتركونه وراء ظهورهم ﴿وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ أي: ويقولون هذا الذي شاهدناه من الحجج سحر سحرنا به ومعنى ﴿مُّسْتَمِرٌّ﴾ أي: ذاهب، قاله مجاهد وقتادة وغيرهما[(٥)]: أي: باطل مضمحل لا دوام له ﴿وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ﴾ أي: كذبوا بالحق إذ جاءهم، واتبعوا ما أمرتهم به آراؤهم وأهواؤهم من جهلهم وسخافة عقلهم.

وقوله: ﴿وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ﴾ قال قتادة: معناه أن الخير واقع بأهل الخير، والشر واقع بأهل الشر[(٦)].

وقال ابن جريج: مستقر بأهله[(٧)].

وقال مجاهد: ﴿وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ﴾ أي: يوم القيامة[(٨)].

وقال السدي: مستقر؛ أي: واقع، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ﴾ أي: من الأخبار عن قصص الأمم المكذبين بالرسل وما حل بهم من العقاب والنكال والعذاب مما يتلى عليهم في القرآن ﴿مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾ أي: ما فيه واعظ لهم عن الشرك والتمادي على التكذيب.

وقوله تعالى: ﴿حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ﴾ أي: في هدايته تعالى لمن هداه وإضلاله لمن أضله ﴿فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ﴾ يعني: أي شيء تغني النذر عمن كتب الله عليه الشقاوة وختم على قلبه فمن الذي يهديه

---

(١) أخرجه الطبري والطيالسي (المسند رقم ٢٩٣) من طريق المغيرة به، وسنده صحيح.

(٢) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وأخرجه الفاكهي من طريق ابن عُليه به، وسنده منقطع بين ابن سيرين وابن مسعود، ويتقوىٰ بما سبق من الروايات الكثيرة.

(٣) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وأخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه. (المسند ١/ ٤١٣) وسنده حسن. وصححه محققو المسند (٧/ ٣٩ ح٣٩٢٤)، ولعل تصحيحهم بالمتابعات، فكان الأولىٰ أن يقال: صحيح لغيره.

(٤) في سنده ليث وهو ابن أبي سليم وفيه مقال، ومجاهد لم يسمع من أبي بكر، فسنده ضعيف.

(٥) أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد، وأخرجه عبد الرزاق والطبري بسند صحيح من طريق معمر عن قتادة.

(٦) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٧) عزاه السيوطي إلى ابن المنذر.

(٨) عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم.

من بعد الله؟ وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾﴾ [الأنعام] وكذا قوله تعالى: ﴿وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: ١٠١].

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ ﴿٦﴾ خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴿٧﴾ مُّهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴿٨﴾﴾.

يقول تعالى: فتول يا محمد عن هؤلاء الذين إذا رأوا آية يعرضون ويقولون هذا سحر مستمر، أعرض عنهم وانتظرهم ﴿يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ﴾ أي: إلى شيء منكر فظيع، وهو موقف الحساب وما فيه من البلاء بل والزلازل والأهوال، ﴿خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ﴾ أي: ذليلة أبصارهم ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ﴾ وهي القبور ﴿كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾ أي: كأنهم في انتشارهم وسرعة سيرهم إلى موقف الحساب إجابة للداعي جراد منتشر في الآفاق، ولهذا قال: ﴿مُّهْطِعِينَ﴾ أي: مسرعين ﴿إِلَى الدَّاعِ﴾ لا يخالفون ولا يتأخرون ﴿يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾ أي: يوم شديد الهول عبوس قمطرير ﴿فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴿١٠﴾﴾ [المدثر].

﴿۞ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ ﴿٩﴾ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٥﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾﴾.

يقول تعالى: ﴿كَذَّبَتْ﴾ قبل قومك يا محمد ﴿قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا﴾ أي: صرحوا له بالتكذيب واتهموه بالجنون ﴿وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ﴾.

قال مجاهد: ﴿وَازْدُجِرَ﴾ أي: استطير جنوناً(١)، وقيل: وازدجر؛ أي: انتهروه وزجروه وتواعدوه ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾ [الشعراء: ١١٦] قاله ابن زيد(٢)، وهذا متوجه حسن.

﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ ﴿١٠﴾﴾ أي: إني ضعيف عن هؤلاء وعن مقاومتهم فانتصر أنت لدينك(٣).

قال الله تعالى: ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾﴾ قال السدي: وهو الكثير.

﴿وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا﴾ أي: نبعت جميع أرجاء الأرض حتى التنانير التي هي محال النيران نبعت عيوناً ﴿فَالْتَقَى الْمَاءُ﴾ أي: من السماء والأرض ﴿عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾ أي: أمر مقدر.

قال ابن جريج، عن ابن عباس ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾﴾ كثير لم تمطر السماء قبل ذلك اليوم ولا بعده إلا من السحاب، فتحت أبواب السماء بالماء من غير سحاب ذلك اليوم،

---

(١) أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.
(٢) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.
(٣) معناه صحيح.

فالتقى الماءان على أمر قد قدر[١]، وروى ابن أبي حاتم أن ابن الكواء سأل علياً عن المجرة فقال: هي شرج السماء، ومنها فتحت السماء بماء منهمر[٢].

﴿وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾﴾.

قال ابن عباس وسعيد بن جبير والقرظي وقتادة وابن زيد: هي المسامير[٣]، واختاره ابن جرير، قال: وواحدها دسار.

ويقال: دسير كما يقال: حبيك وحباك، والجمع: حبك[٤].

وقال مجاهد: الدسر أضلاع السفينة[٥].

وقال عكرمة والحسن: هو صدرها الذي يضرب به الموج[٦].

وقال الضحاك: طرفاها وأصلها[٧].

وقال العوفي، عن ابن عباس: هو كلكلها؛ أي: صدرها[٨].

وقوله: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ أي: بأمرنا بمرأى منا وتحت حفظنا وكلاءتنا ﴿جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ﴾ أي: جزاء لهم على كفرهم بالله وانتصاراً لنوح ﷺ.

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً﴾ قال قتادة: أبقى الله سفينة نوح حتى أدركها أول هذه الأمة[٩]، والظاهر أن المراد من ذلك جنس السفن، كقوله تعالى: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [يس] وقال تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ﴿١١﴾ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ ﴿١٢﴾﴾ [الحاقة] ولهذا قال ههنا: ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ أي: فهل من يتذكر ويتعظ.

قال الإمام أحمد: حدثنا حجاج، حدثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن الأسود، عن ابن مسعود قال: أقرأني رسول الله ﷺ ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [فقال رجل: يا أبا عبد الرحمٰن مُدَّكر أو مُذَّكر؟ قال: أقرأني رسول الله ﷺ: ﴿مُّدَّكِرٍ﴾][١٠][١١]، وهكذا رواه البخاري، حدثنا يحيى،

---

(١) سنده ضعيف لأن ابن جريج لم يلق ابن عباس.

(٢) أخرجه البخاري من طريق أبي الطفيل عن ابن الكواء به (الأدب المفرد ح٧٦٦) وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد (ح٥٨٩).

(٣) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وأخرجه الطبري بسند فيه ابن لهيعة عن القرظي ويتقوىٰ بسابقه ولاحقه، وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

(٤) ذكره بنحوه ولم يذكر والجمع: «حبك».

(٥) أخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.

(٦) أخرجه عبد الرزاق والطبري بسند صحيح من طريق معمر عن الحسن بلفظ: «تدسر الماء بصدرها».

(٧) أخرجه الطبري بسند ضعيف فيه إبهام شيخه.

(٨) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به بلفظ: «كلكل السفينة».اهـ. أي: صدرها، ويشهد له ما سبق.

(٩) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة بنحوه.

(١٠) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ١/ ٣٩٥) وسنده صحيح.

(١١) ما بين معقوفين زيادة من المسند، ولم أجده في النسخ الخطية.

حدثنا وكيع، عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن الأسود بن يزيد، عن عبد الله قال: قرأت على النبي ﷺ «فهل من مذكر»[(١)]، وقال النبي ﷺ: ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾[(٢)].

وروى البخاري أيضاً من حديث شعبة، عن أبي إسحاق، عن الأسود، عن عبد الله قال: كان رسول الله ﷺ يقرأ ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾[(٣)].

وقال: حدثنا أبو نعيم، حدثنا زهير، عن أبي إسحاق أنه سمع رجلاً سأل الأسود فهل من مذكر أو مدكر، قال: سمعت عبد الله يقرأ ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ وقال: سمعت رسول الله ﷺ يقرؤها ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ دالاً[(٤)]. وقد أخرج مسلم هذا الحديث وأهل السنن إلا ابن ماجه من حديث أبي إسحاق[(٥)].

وقوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ۝١٦﴾ أي: كيف كان عذابي لمن كفر بي وكذب رسلي؟ ولم يتعظ بما جاءت به نذري، وكيف انتصرت لهم وأخذت لهم بالثأر؟ ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ﴾ أي: سهلنا لفظه ويسرنا معناه لمن أراده ليتذكر الناس، كما قال: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٢٩﴾ [ص] وقال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ۝٩٧﴾ [مريم].

قال مجاهد: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ﴾ يعني: هونا قراءته[(٦)].

وقال السدي: يسرنا تلاوته على الألسن.

وقال الضحاك، عن ابن عباس: لولا أن الله يسره على لسان الآدميين ما استطاع أحد من الخلق أن يتكلم بكلام الله ﷻ[(٧)].

قلت: ومن تيسيره تعالى على الناس تلاوة القرآن ما تقدم عن النبي ﷺ أنه قال: «إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف»[(٨)] وأوردنا الحديث بطرقه وألفاظه بما أغنى عن إعادته ههنا ولله الحمد والمنة.

وقوله: ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ أي: فهل من متذكر بهذا القرآن الذي قد يسر الله حفظه ومعناه؟ وقال محمد بن كعب القرظي: فهل من منزجر عن المعاصي[(٩)]؟

---

(١) كذا في (ح) وصحيح البخاري، وفي الأصل صحفت إلى: «فهل من مذكر».

(٢) أخرجه البخاري بسنده ومتنه (الصحيح، التفسير، باب ﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ ۝٣٨ ...﴾ [القمر] ح٤٨٧٤).

(٣) المصدر السابق (ح٤٨٧٣).

(٤) المصدر السابق باب ﴿أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ...﴾ [القمر: ٢٠] (ح٤٨٧١).

(٥) صحيح مسلم، صلاة المسافرين، باب ما يتعلق بالقراءات (ح٨٢٣) وسنن أبي داود، الحروف والقراءات (ح٣٩٩٤)، وسنن الترمذي، القراءات، باب ومن سورة القمر (ح٢٩٣٧)، والسنن الكبرى للنسائي، التفسير، باب ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ۝١٧﴾ [القمر] (ح١١٥٥٥).

(٦) أخرجه آدم والفريابي (تغليق التعليق ٥/٣٧٨)، والطبري كلهم بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.

(٧) سنده ضعيف لأن الضحاك لم يلق ابن عباس ﵄.

(٨) أخرجه البخاري (الصحيح، فضائل القرآن، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف ح٤٩٩١).

(٩) عزاه السيوطي إلى ابن المنذر.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا الحسن بن رافع، حدثنا ضمرة، عن ابن شوذب، عن مطر هو الوراق في قوله تعالى: ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ هل من طالب علم فيعان[١] عليه؟ وكذا علقه البخاري بصيغة الجزم عن مطر الوراق[٢]، ورواه ابن جرير، وروى عن قتادة مثله[٣].

﴿كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿١٨﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٢١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٢٢﴾﴾.

يقول تعالى مخبراً عن عاد قوم هود، إنهم كذبوا رسولهم أيضاً، كما صنع قوم نوح وأنه تعالى أرسل عليهم ﴿رِيحًا صَرْصَرًا﴾ وهي الباردة الشديدة البرد ﴿فِي يَوْمِ نَحْسٍ﴾ أي: عليهم، قاله الضحاك وقتادة والسدي[٤] ﴿مُّسْتَمِرٍّ﴾ عليهم نحسه ودماره لأنه يوم اتصل فيه عذابهم الدنيوي بالأخروي.

وقوله: ﴿تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴿٢٠﴾﴾ وذلك أن الريح كانت تأتي أحدهم فترفعه حتى تغيبه عن الأبصار، ثم تنكسه على أم رأسه فيسقط على الأرض، فتثلغ رأسه فيبقى جثة بلا رأس، ولهذا قال: ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٢١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٢٢﴾﴾.

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِي ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ أَءُلْقِيَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ ﴿٢٦﴾ إِنَّا مُرْسِلُواْ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَٱرْتَقِبْهُمْ وَٱصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾ وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ ﴿٢٨﴾ فَنَادَوْاْ صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٠﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَكَانُواْ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٣٢﴾﴾.

وهذا إخبار عن ثمود أنهم كذبوا رسولهم صالحاً ﴿فَقَالُوٓاْ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِي ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾﴾ يقولون: لقد خبنا وخسرنا إن سلمنا كلنا قيادنا لواحد منا. ثم تعجبوا من إلقاء الوحي عليه خاصة من دونهم ثم رموه بالكذب فقالوا: ﴿بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ﴾ أي: متجاوز في حدّ الكذب، قال الله تعالى: ﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ ﴿٢٦﴾﴾ وهذا تهديد لهم شديد ووعيد أكيد.

ثم قال تعالى: ﴿إِنَّا مُرْسِلُواْ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ﴾ أي: اختباراً لهم، أخرج الله لهم ناقة عظيمة عشراء، من صخرة صَمَّاء طبق ما سألوا، لتكون حجة الله عليهم في تصديق صالح عليه السلام فيما جاءهم به، ثم قال تعالى آمراً لعبده ورسوله صالح: ﴿فَٱرْتَقِبْهُمْ وَٱصْطَبِرْ﴾ أي: انتظر ما يؤول إليه أمرهم، واصبر عليهم فإن العاقبة لك، والنصر في الدنيا والآخرة ﴿وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ﴾ أي: يوم لهم ويوم للناقة كقوله: ﴿قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾﴾ [الشعراء].

---

(١) أخرجه الفريابي في تفسيره عن ضمرة به (ينظر: تغليق التعليق ٥/٣٧٩) وسنده حسن.
(٢) المصدر السابق.
(٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.
(٤) أخرجه الطبري بسند ضعيف فيه إبهام شيخه. وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة.

وقوله تعالى: ﴿كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ﴾ قال مجاهد: إذا غابت حضروا الماء. وإذا جاءت حضروا اللبن[١]، ثم قال تعالى: ﴿فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾﴾ قال المفسرون: هو عاقر الناقة، واسمه قُدار بن سالف[٢]، وكان أشقى قومه. لقوله: ﴿إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا ﴿١٢﴾﴾ [الشمس] ﴿فَتَعَاطَىٰ﴾ أي: فجسر ﴿فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٠﴾﴾ أي: فعاقبتهم فكيف كان عقابي لهم على كفرهم بي وتكذيبهم رسولي ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ ﴿٣١﴾﴾ أي: فبادوا عن آخرهم لم تبق منهم باقية، وخمدوا وهمدوا كما يهمد وييبس الزرع والنبات، قاله غير واحد من المفسرين، والمحتظر قال السدي هو المرعى بالصحراء حين ييبس ويحترق وتسفيه الريح.

وقال ابن زيد: كانت العرب يجعلون حظاراً على الإبل والمواشي من يبيس الشوك[٣]، فهو المراد من قوله: ﴿فَكَانُوا كَهَشِيمِ﴾.

وقال سعيد بن جبير: «هشيم المحتظر» هو التراب المتناثر من الحائط[٤]، وهذا قول غريب، والأول أقوى، والله أعلم.

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ ﴿٣٣﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُم بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾ نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي مَن شَكَرَ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣٨﴾ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٤٠﴾﴾.

يقول تعالى مخبراً عن قوم لوط كيف كذبوا رسولهم وخالفوه، وارتكبوا المكروه من إتيان الذكور، وهي الفاحشة التي لم يسبقهم بها أحد من العالمين، ولهذا أهلكهم الله هلاكاً لم يهلكه أمة من الأمم، فإنه تعالى أمر جبريل عليه السلام فحمل مدائنهم حتى وصل بها إلى عنان السماء، ثم قلبها عليهم وأرسلها وأتبعت بحجارة من سجيل منضود، ولهذا قال ههنا: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا﴾ وهي الحجارة ﴿إِلَّا آلَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُم بِسَحَرٍ﴾ أي: خرجوا من آخر الليل فنجوا مما أصاب قومهم، ولم يؤمن بلوط من قومه أحد ولا رجل واحد، حتى ولا امرأته أصابها ما أصاب قومها، وخرج نبي الله لوط وبنات له من بين أظهرهم سالماً لم يمسه سوء، ولهذا قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِي مَن شَكَرَ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا﴾ أي: ولقد كان قبل حلول العذاب بهم قد أنذرهم بأس الله وعذابه فما التفتوا إلى ذلك ولا أصغوا إليه بل شكُّوا فيه وتماروا به.

﴿وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِ﴾ وذلك ليلة ورد عليه الملائكة جبريل وميكائيل وإسرافيل في صور شباب مُرد حسان محنة من الله بهم، فأضافهم لوط عليه السلام[٥]، وبعثت امرأته العجوز السوء إلى قومها فأعلمتهم بأضياف لوط، فأقبلوا يهرعون إليه من كل مكان، فأغلق لوط دونهم الباب،

---

(١) أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.
(٢) ذكره الطبري.
(٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب، وهو عبد الله، عن ابن زيد.
(٤) أخرجه الطبري بسند ضعيف فيه ابن حميد وهو محمد بن حميد الرازي وهو ضعيف.
(٥) ذكر الحافظ ابن كثير قصتهم مفصلة في (قصص الأنبياء ١/ ١٧٥ ـ ١٧٧).

فجعلوا يحاولون كسر الباب، وذلك عشية ولوط عليه السلام يدافعهم ويمانعهم دون أضيافه ويقول لهم: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي﴾ [هود: ٧٨] يعني: نساءهم ﴿إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ﴾ [الحجر: ٧١] ﴿قَالُواْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ﴾ [هود: ٧٩] أي: ليس لنا فيهن أرب ﴿وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ﴾ [هود: ٧٩] فلما اشتد الحال وأبوا إلا الدخول، خرج عليهم جبريل عليه السلام فضرب أعينهم بطرف جناحه، فانطمست أعينهم، يقال إنها غارت من وجوههم، وقيل: إنه لم تبق لهم عيون بالكلية، فرجعوا على أدبارهم يتحسسون بالحيطان، ويتوعدون لوطاً عليه السلام إلى الصباح.

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣٨﴾﴾ أي: لا محيد لهم عنه ولا انفكاك لهم منه ﴿فَذُوقُواْ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٤٠﴾﴾.

﴿وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ ﴿٤١﴾ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٤٢﴾ أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُوْلَٰٓئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِي الزُّبُرِ ﴿٤٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴿٤٤﴾ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾﴾.

يقول تعالى مخبراً عن فرعون وقومه: إنهم جاءهم رسول الله موسى وأخوه هارون بالبشارة إن آمنوا، والنذارة إن كفروا، وأيدهما بمعجزات عظيمة وآيات متعددة فكذبوا بها كلها، فأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر؛ أي: فأبادهم الله ولم يبق منهم مخبر ولا عين ولا أثر، ثم قال تعالى: ﴿أَكُفَّارُكُمْ﴾ أي: أيها المشركون من كفار قريش ﴿خَيْرٌ مِّنْ أُوْلَٰٓئِكُمْ﴾ يعني: من الذين تقدم ذكرهم ممن أهلكوا بسبب تكذيبهم الرسل وكفرهم بالكتب، أأنتم خير من أولئكم؟ ﴿أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِي الزُّبُرِ﴾ أي: أم معكم من الله براءة أن لا ينالكم عذاب ولا نكال؟

ثم قال تعالى مخبراً عنهم: ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴿٤٤﴾﴾ أي: يعتقدون أنهم يتناصرون بعضهم بعضاً، وأن جميعهم يغني عنهم من أرادهم بسوء. قال الله تعالى: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴿٤٥﴾﴾ أي: سيتفرق شملهم ويغلبون.

قال البخاري: حدثنا إسحاق، حدثنا خالد، عن خالد، وقال أيضاً: حدثنا محمد، حدثنا عفان بن مسلم، عن وهيب، عن خالد، عن عكرمة، عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال وهو في قبة له يوم بدر: «أنشدك عهدك ووعدك، اللَّهم إن شئت لم تعبد بعد اليوم في الأرض أبداً» فأخذ أبو بكر رضي الله عنه بيده وقال: حسبك يا رسول الله ألححت على ربك فخرج وهو يثب في الدرع وهو يقول: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾﴾[1]. وكذا رواه البخاري والنسائي في غير موضع من حديث خالد، وهو ابن مهران الحذاء به[2].

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا أبو الربيع الزهراني، حدثنا حماد، عن أيوب، عن عكرمة قال: لما نزلت ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴿٤٥﴾﴾ قال عمر: أي جمع يهزم؟ أي جمع

---

(١) أخرجه البخاري بسنده ومتنه (الصحيح، التفسير، باب قوله: ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾﴾ [القمر] ح٤٨٧٧).

(٢) المصدر السابق باب قوله: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴿٤٥﴾﴾ [القمر] (ح٤٨٧٥)، والسنن الكبرىٰ للنسائي، التفسير، باب ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴿٤٥﴾﴾ (ح١١٥٥٧).

يغلب، قال عمر: فلما كان يوم بدر رأيت رسول الله ﷺ يثب في الدرع وهو يقول: «سيهزم الجمع ويولون الدبر» فعرفت تأويلها يومئذٍ[١].

وقال البخاري: حدثنا إبراهيم بن موسى، حدثنا هشام بن يوسف أن ابن جريج أخبرهم، أخبرني يوسف بن ماهك قال: إني عند عائشة أم المؤمنين فقالت: نزل على محمد ﷺ بمكة وإني لجارية ألعب[٢] ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾﴾ هكذا رواه ههنا مختصراً، ورواه في فضائل القرآن مطولاً، ولم يخرجه [مسلم][٣].

﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٥١﴾ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾﴾.

يخبرنا تعالى عن المجرمين أنهم في ضلال عن الحق وسُعُر مما هم فيه من الشكوك والاضطراب في الآراء، وهذا يشمل كل من اتصف بذلك من كافر ومبتدع من سائر الفرق، ثم قال تعالى: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾ أي: كما كانوا في سعر وشك وتردد أورثهم ذلك النار، وكما كانوا ضُلَّالاً يسحبون فيها على وجوههم لا يدرون أين يذهبون؟ ويقال لهم تقريعاً وتوبيخاً: ﴿ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ كقوله: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان] وكقوله تعالى: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾﴾ [الأعلى] أي: قدر قدراً وهدى الخلائق إليه، ولهذا يستدل بهذه الآية الكريمة أئمة السنة على إثبات قدر الله السابق لخلقه، وهو علمه الأشياء قبل كونها وكتابته لها قبل برئها، وردوا بهذه الآية وبما شاكلها من الآيات وما ورد في معناها من الأحاديث الثابتات على الفرقة القدرية، الذين [نبغوا][٤] في أواخر عصر الصحابة، وقد تكلمنا على هذا المقام مفصلاً وما ورد فيه من الأحاديث في شرح كتاب الإيمان من صحيح البخاري رحمه الله، ولنذكر ههنا الأحاديث المتعلقة بهذه الآية الكريمة.

قال أحمد: حدثنا وكيع، حدثنا سفيان الثوري، عن زياد بن إسماعيل السهمي، عن محمد بن عباد بن جعفر، عن أبي هريرة قال: جاء مشركو قريش إلى النبي ﷺ يخاصمونه في القدر فنزلت ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾[٥]. وهكذا رواه

---

(١) يشهد له ما سبق في صحيح البخاري.

(٢) أخرجه البخاري بسنده ومتنه (الصحيح، التفسير، باب قوله: ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾﴾ [القمر] ح٤٨٧٦).

(٣) كذا في (حم) و(مح)، وفي الأصل لم يذكر لفظ: «مسلم».

(٤) كذا في (ح)، وفي الأصل و(حم): «سعوا».

(٥) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٢/ ٤٤٤) وسنده صحيح.

مسلم والترمذي وابن ماجه من حديث وكيع عن سفيان الثوري به[(١)].

وقال البزار: حدثنا عمرو بن علي، حدثنا الضحاك بن مخلد، حدثنا يونس بن الحارث، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده قال: ما نزلت هذه الآيات ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ۝٤٧ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ۝٤٨ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ۝٤٩﴾ إلا في أهل القدر[(٢)].

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا سهل بن صالح الأنطاكي، حدثني قرة بن حبيب، عن كنانة، حدثني جرير بن حازم، عن [سعيد][(٣)] بن عمرو بن جعدة، عن ابن زرارة، عن أبيه، عن النبي ﷺ أنه تلا هذه الآية ﴿ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ۝٤٨ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ۝٤٩﴾ قال: «نزلت في أناس من أمتي يكونون في آخر الزمان يكذبون بقدر الله»[(٤)].

وحدثنا الحسن بن عرفة: حدثنا مروان بن شجاع الجزري، عن عبد الملك بن جريج، عن عطاء بن أبي رباح قال: أتيت ابن عباس وهو ينزع من زمزم، وقد ابتلت أسافل ثيابه فقلت له قد تكلم في القدر، فقال: أوقد فعلوها؟ قلت: نعم، قال: فوالله ما نزلت هذه الآية إلا فيهم ﴿ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ۝٤٨ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ۝٤٩﴾ أولئك شرار هذه الأمة، فلا تعودوا مرضاهم، ولا تصلوا على موتاهم، إن رأيت أحداً منهم فقأت عينيه بأصبعي هاتين[(٥)].

وقد رواه الإمام أحمد من وجه آخر وفيه مرفوع فقال: حدثنا أبو المغيرة، حدثنا الأوزاعي، عن بعض إخوته، عن محمد بن عبيد المكي، عن عبد الله بن عباس قال: قيل له إن رجلاً قدم علينا يكذب بالقدر، فقال: دلوني عليه وهو أعمى، قالوا: وما تصنع به يا أبا عباس؟ قال: والذي نفسي بيده لئن استمكنت منه لأعضنَّ أنفه حتى أقطعه، ولئن وقعت رقبته في يدي لأدقنَّها فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كأني بنساء بني فهر يطفن بالخزرج تصطفق إلياتهن[(٦)] مشركات، هذا أول شرك هذه الأمة، والذي نفسي بيده لينتهين بهم سوء رأيهم حتى يخرجوا الله من أن يكون قدر خيراً، كما أخرجوه من أن يكون قدر شراً»[(٧)]. ثم رواه أحمد، عن أبي المغيرة، عن الأوزاعي، عن العلاء بن الحجاج، عن محمد بن عبيد فذكر مثله[(٨)]. لم يخرجوه.

وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الله بن يزيد، حدثنا سعيد بن أبي أيوب، حدثني أبو صخر،

---

(١) صحيح مسلم، القدر، باب كل شيء بقدر (ح٢٦٥٦)، وسنن الترمذي، التفسير، باب ومن سورة الطور (ح٣٢٩٠)، وسنن ابن ماجه، المقدمة، باب في القدر (ح٨٣).

(٢) أخرجه البزار (المسند ٢/ ١١٠ ح١٥١٢) وسنده ضعيف لضعف يونس بن الحارث (التقريب ص٦١٣، مجمع الزوائد ٧/ ١٢٠).

(٣) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل صحف إلى: «سعد».

(٤) أخرجه الطبراني من طريق جرير بن حازم به (المعجم الكبير ٥/ ٢٧٦ ح٥٣١٦) قال الهيثمي: وفيه من لم أعرفه (مجمع الزوائد ٧/ ١٢٠).

(٥) في سنده مروان بن شجاع الجزري صدوق له أوهام (التقريب ص٥٢٦).

(٦) كذا في (ح) و(حم) وفي الأصل غير منقوطة.

(٧) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ١/ ٣٣٠) وسنده ضعيف لإبهام شيخ الأوزاعي.

(٨) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ١/ ٣٣٠) وسنده ضعيف لضعف العلاء بن الحجاج، وقد ضعفه الأزدي كما نقل الحافظ ابن حجر (تعجيل المنفعة ص٣٢٣).

عن نافع قال: كان لابن عمر صديق من أهل الشام يكاتبه. فكتب إليه عبد الله بن عمر: أنه بلغني أنك تكلمت في شيء من القدر، فإياك أن تكتب إليَّ، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «سيكون في أمتي أقوام يكذبون بالقدر». ورواه أبو داود، عن أحمد بن حنبل به(١).

وقال أحمد: حدثنا أنس بن عياض: حدثنا عمر بن عبد الله مولى غفرة، عن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «لكل أمة مجوس، ومجوس أمتي الذين يقولون لا قدر، إن مرضوا فلا تعودوهم، وإن ماتوا فلا تشهدوهم»(٢). لم يخرجه أحد من أصحاب الكتب الستة من هذا الوجه.

وقال أحمد: حدثنا قتيبة، حدثنا رشدين عن أبي صخر حميد بن زياد، عن نافع، عن ابن عمر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «سيكون في هذه الأمة مسخ ألا وذاك في المكذبين بالقدر والزنديقية(٣)»(٤). ورواه الترمذي وابن ماجه من حديث أبي صخر حميد بن زياد به، وقال الترمذي: حسن صحيح غريب(٥).

وقال الإمام أحمد: حدثنا إسحاق بن الطباع، أخبرني مالك، عن زياد بن سعد، عن عمرو بن مسلم، عن طاوس اليماني قال: سمعت ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «كل شيء بقدر حتى العجز والكيس»(٦). ورواه مسلم منفرداً به من حديث مالك(٧).

وفي الحديث الصحيح: «استعن بالله ولا تعجز فإن أصابك أمر فقل: قدر الله وما شاء فعل، ولا تقل: لو أني فعلت كذا لكان كذا، فإن لو تفتح عمل الشيطان»(٨).

وفي حديث ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال له: «واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم يكتبه الله لك لم ينفعوك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يكتبه الله عليك لم يضروك جفت الأقلام وطويت الصحف»(٩).

وقال الإمام أحمد: حدثنا الحسن بن سوار، حدثنا الليث، عن معاوية، عن أيوب بن زياد،

---

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٢/ ٩٠) وأخرجه أبو داود عن الإمام أحمد به (السنن، السنة، باب في القدر ح٤٧١٠) وضعفه الألباني في ضعيف سنن أبي داود.

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٢/ ٨٦) وسنده ضعيف لأن عمر بن عبد الله مولى غفرة لم يسمع من صحابي كما في جامع التحصيل ص٢٩٦.

(٣) الزنديقية: نسبة إلى الزندقة وهي اسم المذهب الزنديق قيل: وهو المبطن للكفر المظهر للإسلام أو من لا دين له أو الذي يعبد الأصنام قاله السندي في حاشية (المسند ١٠/ ١٠٩).

(٤) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ١٠/ ١٠٨ ح٥٨٦٧) وقال محققوه: إسناده ضعيف لضعف رشدين بن سعد، وهذا الحديث مما أنكر على أبي صخر حميد بن زياد.

(٥) سنن الترمذي، القدر (ح٢١٥٤)، وسنن ابن ماجه، الفتن، باب الخسوف (ح٤٠٦١) وحسنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (ح٣٢٨٢).

(٦) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٢/ ١٠٢) وسنده صحيح.

(٧) صحيح مسلم، القدر، باب كل شيء بقدر (ح٢٦٥٥).

(٨) صحيح مسلم، القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز (ح٢٦٦٤).

(٩) تقدم تخريجه وتحسينه.

حدثني عبادة بن الوليد بن عبادة، حدثني أبي قال: دخلت على عبادة وهو مريض أتخايل فيه الموت فقلت: يا أبتاه أوصني واجتهد لي، فقال: أجلسوني، فلما أجلسوه قال: يا بني إنك لم تطعم الإيمان ولم تبلغ حق حقيقة العلم بالله حتى تؤمن بالقدر خيره وشره. قلت: يا أبتاه وكيف لي أن أعلم ما خير القدر وشره؟ قال: تعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك، يا بني إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أول ما خلق الله القلم ثم قال له اكتب فجرى في تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة» يا بني إن متَّ ولستَ على ذلك دخلتَ النار[(١)].

ورواه الترمذي عن يحيى بن موسى البلخي، عن أبي داود الطيالسي، عن عبد الواحد بن سليم، عن عطاء بن أبي رباح، عن الوليد بن عبادة، عن أبيه به وقال: حسن صحيح غريب[(٢)].

وقال سفيان الثوري، عن منصور، عن رِبعي بن خراش، عن رجل، عن علي بن أبي طالب قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يؤمن أحد حتى يؤمن بأربع: يشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله بعثني بالحق، ويؤمن بالبعث بعد الموت، ويؤمن بالقدر خيره وشره» وكذا رواه الترمذي من حديث النضر بن شميل، عن شعبة، عن منصور به، ورواه من حديث أبي داود الطيالسي، عن شعبة، عن منصور، عن رِبعي، عن علي فذكره وقال: هذا عندي أصح[(٣)]، وكذا رواه ابن ماجه من حديث شريك، عن منصور، عن رِبعي، عن علي به[(٤)].

وقد ثبت في صحيح مسلم من رواية عبد الله بن وهب وغيره عن أبي هانئ الخولاني، عن أبي عبد الرحمٰن الحبلي، عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله كتب مقادير الخلق قبل أن يخلق السمٰوات والأرض بخمسين ألف سنة» زاد ابن وهب ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾[(٥)] [هود: ٧]، ورواه الترمذي وقال: حسن صحيح غريب[(٦)].

وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ۝٥٠﴾ وهذا إخبار عن نفوذ مشيئته في خلقه، كما أخبرنا بنفوذ قدره فيهم فقال: ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ﴾ أي: إنما نأمر بالشيء مرة واحدة لا نحتاج إلى تأكيد بثانية، فيكون ذلك الذي نأمر به حاصلاً موجوداً كلمح البصر، لا يتأخر طرفة عين، وما أحسن ما قال بعض الشعراء:

إذا ما أراد الله أمراً فإنما ... يقول له: كُن قولةً فيكون

---

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٣٧/٣٧٨ ح٢٢٧٠٥) وصحح سنده محققوه.

(٢) سنن الترمذي، القدر، (ح٢١٥٦)، وأخرجه أبو داود (السنن ح٤٧٠٠) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح٣٩٣٣).

(٣) أخرجه الترمذي من طريق أبي داود الطيالسي به (السنن، القدر، باب رقم ١٠ ح٢١٤٥ وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي ح١٧٤٤).

(٤) سنن ابن ماجه، المقدمة، باب في القدر (ح٨١). وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (ح٦٦).

(٥) صحيح مسلم، القدر، باب حِجاج آدم وموسىٰ ﵉ (ح٢٦٥٣).

(٦) سنن الترمذي، القدر، باب ١٨ (ح٢١٥٧).

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَآ أَشْيَاعَكُمْ﴾ يعني: أمثالكم وسلفكم من الأمم السابقة المكذبين بالرسل ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ أي: فهل من متعظ بما أخزى الله أولئك وقدر لهم من العذاب، كما قال تعالى: ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ﴾ [سبأ: ٥٤].

وقوله تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي ٱلزُّبُرِ ﴿٥٢﴾﴾ أي: مكتوب عليهم في الكتب التي بأيدي الملائكة عليهم السلام ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ﴾ أي: من أعمالهم ﴿مُّسْتَطَرٌ﴾ أي: مجموع عليهم ومسطر في صحائفهم، لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها. وقد قال الإمام أحمد: حدثنا أبو عامر، حدثنا سعيد بن مسلم بن [بانك](1) سمعت عامر بن عبد الله بن الزبير، حدثني عوف بن الحارث وهو ابن أخي عائشة لأمها، عن عائشة أن رسول الله ﷺ كان يقول: «يا عائشة إياك ومحقرات الذنوب فإن لها من الله طالباً»(2). ورواه النسائي وابن ماجه من طريق سعيد بن مسلم بن بانك المدني(3)، وثقه أحمد وابن معين وأبو حاتم وغيرهم. وقد رواه الحافظ ابن عساكر في ترجمة سعيد بن مسلم هذا من وجه آخر. ثم قال سعيد: فحدثت بهذا الحديث عامر بن هشام فقال لي: ويحك يا سعيد بن مسلم! لقد حدثني سليمان بن المغيرة أنه عمل ذنباً فاستصغره فأتاه آتٍ في منامه فقال له: يا سليمان.

لا تحقرن من الذنوب صغيراً ... إن الصغير غداً يعود كبيرا
إن الصغير ولو تقادم عهده ... عند الإله مُسطراً تسطيرا
فازجر هواك على البطالة ... لا تكن صعب القياد وشمِّرْ تشميرا
إن المحب إذا أحب إلهه ... طار الفؤاد وأُلهم التفكيرا
فاسأل هدايتك الإله بنية ... فكفى بربك هادياً ونصيراً(4)

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾﴾ أي: بعكس ما الأشقياء فيه من الضلال والسعر والسحب في النار على وجوههم، مع التوبيخ والتقريع والتهديد.

وقوله تعالى: ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾ أي: في دار كرامة الله ورضوانه وفضله وامتنانه وجوده وإحسانه ﴿عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ أي: عند الملك العظيم الخالق للأشياء كلها ومقدرها. وهو مقتدر على ما يشاء مما يطلبون ويريدون.

وقد قال الإمام أحمد: حدثنا سفيان، عن عمرو بن دينار، عن عمرو بن أوس، عن عبد الله بن عمرو يبلغ به النبي ﷺ قال: «المقسطون عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمٰن وكلتا يديه يمين الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا»(5). انفرد بإخراجه مسلم والنسائي من حديث

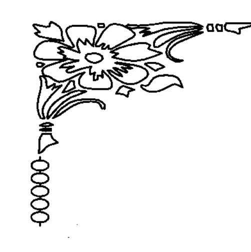
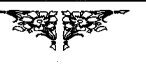
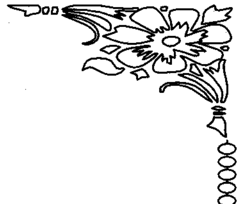
---

(١) كذا في (ح) و(حم) والتقريب، وفي الأصل صحف إلى: «ماهك».
(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٤٢/ ٩٦ ح٢٥١٧٧) وحسن سنده محققوه.
(٣) سنن ابن ماجه، الزهد، باب ذكر الذنوب (ح٤٢٤٣) وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (ح٣٤٢١).
(٤) أخرجه ابن عساكر من طريق سعيد بن مسلم به. (تاريخ دمشق ٧/ل ٣٥٣).
(٥) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٢/ ١٦٠) وسنده صحيح.

سفيان بن عيينة بإسناده مثله[١].

آخر تفسير سورة اقتربت، ولله الحمد والمنة وبه التوفيق والعصمة، وصلى الله على سيدنا محمد وعلىٰ آله وصحبه تسليماً كثيراً، وحسبنا الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم العزيز الحكيم.

(١) صحيح مسلم، الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل (ح١٨٢٧)، والسنن الكبرىٰ للنسائي، القضاء، باب فضل الحاكم العادل (ح٥٩١٦).

سُورَةُ الرَّحۡمَٰنِ

وهي مكية

قال الإمام أحمد: حدثنا عفان، حدثنا حماد، عن عاصم، عن زرٍّ أن رجلاً قال [لابن مسعود][1] كيف تعرف هذا الحرف من ماء غير آسنٍ أو أسن؟ فقال: كل القرآن قد قرأت. قال: إني لأقرأ المفصل في ركعة واحدة، فقال: أهذًّا كهذِّ الشعر لا أبالك؟ قد علمت. قرائن النبي ﷺ التي كان يقرن قرينتين قرينتين من أول المفصل، وكان أول مفصل ابن مسعود ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١﴾[2].

وقال أبو عيسى الترمذي: حدثنا عبد الرحمٰن بن واقد وأبو مسلم السعدي، حدثنا الوليد بن مسلم، عن زهير بن محمد، عن محمد بن المنكدر، عن جابر قال: خرج رسول الله ﷺ على أصحابه فقرأ عليهم سورة الرحمٰن من أولها إلى آخرها فسكتوا فقال: «لقد قرأتها على الجن ليلة الجن فكانوا أحسن مردوداً منكم، كنت كلما أتيت على قوله: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝١٣﴾ قالوا: لا بشيء من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد». ثم قال: هذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من حديث الوليد بن مسلم، عن زهير بن محمد، ثم حكي عن الإمام أحمد أنه كان لا يعرفه، ينكر رواية أهل الشام عن زهير بن محمد هذا[3]، ورواه الحافظ أبو بكر البزار عن عمرو بن مالك، عن الوليد بن مسلم، وعن عبد الله بن أحمد بن شبويه، عن هشام بن عمارة، كلاهما عن الوليد بن مسلم به ثم قال: لا نعرفه يروى إلا من هذا الوجه. وقال أبو جعفر بن جرير: حدثنا محمد بن عباد بن موسى وعمرو بن مالك البصري قالا: حدثنا يحيى بن سليم، عن إسماعيل بن أُمية، عن نافع، عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قرأ سورة الرحمٰن أو قرئت عنده فقال: «ما لي أسمع الجن أحسن جواباً لربها منكم؟» قالوا: وما ذاك يا رسول الله؟ قال: «ما أتيت على قول الله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝١٣﴾ إلا قالت الجن: لا بشيء من نعم ربنا نكذب» ورواه الحافظ البزار عن عمرو بن مالك به، ثم قال: لا نعلمه يروى عن النبي ﷺ إلا من هذا الوجه بهذا الإسناد[4].

---

(١) زيادة من المسند لم أجدها في النسخ الخطية.

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ١/٤١٢) وسنده حسن.

(٣) أخرجه الترمذي بسنده ومتنه وتعليقه (السنن، التفسير، باب ومن سورة الرحمٰن ح٣٢٩١) وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي (ح٢٦٢٤)، وأخرجه الحاكم من طريق الوليد بن مسلم به وصححه ووافقه الذهبي. (المستدرك ٢/٤٧٣).

(٤) أخرجه الطبري بسنده ومتنه في تفسير الآية ١٣ من هذه السورة الكريمة وأخرجه البزار كما في كشف الأستار رقم ٢٢٦٩ ويشهد له سابقه.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ الْقُرْءَانَ ۝٢ خَلَقَ الْإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ۝٤ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ۝٥ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ۝٦ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ۝٧ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ۝٨ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ۝٩ وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ۝١٠ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ ۝١١ وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ ۝١٢ فَبِأَيِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝١٣﴾.

يخبر تعالى عن فضله ورحمته بخلقه أنه أنزل على عباده القرآن، ويسر حفظه وفهمه على من رحمه فقال تعالى: ﴿الرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ الْقُرْءَانَ ۝٢ خَلَقَ الْإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ۝٤﴾.

قال الحسن: يعني النطق.

وقال الضحاك وقتادة وغيرهما: يعني الخير والشر(١)، وقول الحسن ههنا أحسن وأقوى لأن السياق في تعليمه تعالى القرآن، وهو أداء تلاوته، وإنما يكون ذلك بتيسير النطق على الخلق وتسهيل خروج الحروف من مواضعها من الحلق واللِّسان والشفتين على اختلاف مخارجها وأنواعها.

وقوله تعالى: ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ۝٥﴾ أي: يجريان متعاقبين بحساب مقنن لا يختلف ولا يضطرب ﴿لَا الشَّمْسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا الَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ۝٤٠﴾ [يس] وقال تعالى: ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ الَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ۝٩٦﴾ [الأنعام].

وعن عكرمة أنه قال: لو جعل الله نور جميع أبصار الإنس والجنّ والدواب والطير في عيني عبد، ثم كشف حجاباً واحداً من سبعين حجاباً دون الشمس، لما استطاع أن ينظر إليها. ونور الشمس جزء من سبعين جزءاً من نور الكرسي، ونور الكرسي جزء من سبعين جزءاً من نور العرش، ونور العرش جزء من سبعين جزءاً من نور الستر. فانظر ماذا أعطى الله عبده من النور في عينيه وقت النظر إلى وجه ربه الكريم عياناً، رواه ابن أبي حاتم(٢).

وقوله تعالى: ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ۝٦﴾ قال ابن جرير: اختلف المفسرون في معنى قوله: ﴿وَالنَّجْمُ﴾ بعد إجماعهم على أن الشجر ما قام على ساق(٣)، فروى علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس قال: النجم ما انبسط على وجه الأرض(٤)؛ يعني: من النبات، وكذا قال سعيد بن جبير والسدي وسفيان الثوري(٥)، وقد اختاره ابن جرير رحمه الله تعالى.

وقال مجاهد: النجم الذي في السماء(٦). وكذا قال الحسن وقتادة(٧)، وهذا القول هو الأظهر

---

(١) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق أبي العوام عن قتادة.

(٢) سنده ضعيف لإرساله وغرابته. (٣) ذكره الطبري بنحوه.

(٤) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق علي به.

(٥) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق شريك عن السدي.

(٦) أخرجه الطبري وآدم بن أبي إياس بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.

(٧) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة، وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن =

والله أعلم لقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ﴾ الآية [الحج: ١٨].

وقوله: ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ⑦﴾ يعني: العدل كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد: ٢٥] وهكذا قال ههنا: ﴿أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ⑧﴾ أي: خلق السمٰوات والأرض بالحق والعدل لتكون الأشياء كلها بالحق والعدل. ولهذا قال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ⑨﴾ أي: لا تبخسوا الوزن بل زنوا بالحق والقسط كما قال تعالى: ﴿وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ﴾ [الشعراء: ١٨٢].

وقوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ⑩﴾ أي: كما رفع السماء وضع الأرض ومهدها وأرساها بالجبال الراسيات الشامخات، لتستقر لما على وجهها من الأنام وهم الخلائق المختلفة أنواعهم وأشكالهم وألوانهم وألسنتهم في سائر أقطارها وأرجائها.

قال ابن عباس ومجاهد وقتادة وابن زيد: الأنام الخلق(١).

﴿فِيهَا فَاكِهَةٌ﴾ أي: مختلفة الألوان والطعوم والروائح ﴿وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ﴾ أفرده بالذكر لشرفه ونفعه رطباً ويابساً، والأكمام.

قال ابن جريج، عن ابن عباس: هي أوعية الطلع(٢). وهكذا قال غير واحد من المفسرين(٣)، وهو الذي يطلع فيه القنو ثم ينشق عن العنقود، فيكون بسراً ثم رطباً ثم ينضج ويتناهى نفعه واستواؤه.

وقال ابن أبي حاتم: ذُكر عن عمرو بن علي الصيرفي، حدثنا أبو قتيبة، حدثنا يونس بن الحارث، عن الشعبي قال: كتب قيصر إلى عمر بن الخطاب: أُخبرك أن رسلي أتتني من قِبلِك فزعمت أن قِبلكم شجرة ليست بخليقة لشيء من الخير، تخرج مثل آذان الحمير ثم تشقق مثل اللؤلؤ، ثم تخضر فتكون مثل الزمرد الأخضر، ثم تحمر فتكون كالياقوت الأحمر، ثم تينع فتنضج فتكون كأطيب فالوذج أُكل، ثم تيبس فتكون عصمة للمقيم وزاداً للمسافر، فإن تكن رسلي صدقتني فلا أرى هذه الشجرة إلا من شجر الجنة، فكتب إليه عمر بن الخطاب: من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى قيصر ملك الروم، إن رسلك قد صدقوك هذه الشجرة عندنا، وهي الشجرة التي أنبتها الله على مريم حين نفست بعيسى ابنها، فاتق الله ولا تتخذ عيسى إلهاً من دون الله ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾﴾(٤) [آل عمران].

= معمر عن قتادة، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق قتادة عن الحسن.

(١) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، وأخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد، وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق عبد الله بن وهب عن ابن زيد.

(٢) سنده ضعيف لابن جريج لم يلق ابن عباس.

(٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق عبد الله بن وهب عن عبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم.

(٤) سنده ضعيف لعدم ذكر شيخ ابن أبي حاتم، وضعف يونس بن الحارث الطائفي. (التقريب ص٦١٣).

وقيل: الأكمام: رفاتها وهو اللِّيف الذي على عنق النخلة، وهو قول الحسن وقتادة[١].

﴿وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ وَٱلرَّيْحَانُ ۝١٢﴾ قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ﴾ يعني: التبن[٢].

وقال العوفي، عن ابن عباس: العصف ورق الزرع الأخضر الذي قطع رؤوسه، فهو يسمى العصف إذا يبس[٣]، وكذا قال قتادة والضحاك وأبو مالك: عصفه: تبنه[٤].

وقال ابن عباس ومجاهد وغير واحد: والريحان يعني الورق[٥].

وقال الحسن: هو ريحانكم هذا[٦].

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: والريحان خضَر الزرع[٧]، ومعنى هذا ـ والله أعلم ـ أن الحب كالقمع والشعير ونحوهما له في حال نباته عصف، وهو ما على السنبلة، وريحان وهو الورق الملتف على ساقها.

وقيل: العصف الورق أول ما ينبت الزرع بقلاً، والريحان الورق يعني إذا أدجن وانعقد فيه الحب، كما قال زيد بن عمرو بن نفيل في قصيدته المشهورة:

[وقولا له من ينبت الحب في الثرى فيصبح منه البقل يهتز رابيا][٨]
ويخرج منه حبه في رؤوسه ففي ذاك آيات لمن كان واعيا[٩]؟

وقوله: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝١٣﴾ أي: فبأي الآلاء يا معشر الثقلين من الإنس والجن تكذبان؟ قاله مجاهد وغير واحد[١٠]، ويدل عليه السياق بعده؛ أي: النعم ظاهرة عليكم وأنتم مغمورون بها لا تستطيعون إنكارها ولا جحودها، فنحن نقول كما قالت الجن المؤمنون به: اللَّهمَّ ولا بشيء من آلائك ربنا نكذب، فلك الحمد[١١]. وكان ابن عباس يقول لا بأيها يا ربِّ؛ أي: لا نكذب بشيء منها[١٢].

قال الإمام أحمد: حدثنا يحيى بن إسحاق، حدثنا ابن لهيعة، عن أبي الأسود، عن عروة، عن أسماء بنت أبي بكر قالت: سمعت رسول الله ﷺ وهو يقرأ وهو يصلي نحو الركن قبل أن يصدع بما يؤمر والمشركون يستمعون[١٣]: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝١٣﴾.

---

(١) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق أبي رجاء عن الحسن، وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة.
(٢) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق علي به.
(٣) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي، ويتقوىٰ بسابقه.
(٤) أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة.
(٥) أخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.
(٦) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق قتادة عن الحسن.
(٧) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق علي به. (٨) زيادة من (ح) و(حم).
(٩) ذكره ابن هشام (السيرة النبوية ١/ ٢٢٨).
(١٠) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق عبد الله بن وهب عن ابن زيد.
(١١) تقدم تخريجه وتحسينه في بداية تفسير السورة.
(١٢) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق مجاهد عن ابن عباس.
(١٣) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٤٤/ ٥١٧ ح٢٦٩٥٥) وضعف سنده محققوه.

﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِن صَلْصَـٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ۝١٤ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ۝١٥ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝١٦ رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ۝١٧ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝١٨ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۝١٩ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ۝٢٠ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٢١ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ۝٢٢ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٢٣ وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَـٰمِ ۝٢٤ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٢٥﴾.

يذكر تعالى خلقه الإنسان من صلصال كالفخار، وخلقه الجان من مارج من نار، وهو طرف لهبها، قاله الضحاك عن ابن عباس[(١)]، وبه يقول عكرمة ومجاهد والحسن وابن زيد[(٢)].

وقال العوفي، عن ابن عباس: من مارج من نار من لهب النار من أحسنها[(٣)].

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: من مارج من نار من خالص النار[(٤)]، وكذلك قال عكرمة ومجاهد والضحاك وغيرهم[(٥)].

وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق، حدثنا معمر، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة، قالت: قال رسول الله ﷺ: «خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم»[(٦)]. ورواه مسلم، عن محمد بن رافع وعبد بن حميد، كلاهما عن عبد الرزاق به[(٧)].

وقوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝١٦﴾؟ تقدم تفسيره.

﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ۝١٧﴾ يعني: مشرقي الصيف والشتاء ومغربي الصيف والشتاء، وقال في الآية الأخرى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَـٰرِقِ وَٱلْمَغَـٰرِبِ﴾ [المعارج: ٤٠] وذلك باختلاف مطالع الشمس وتنقلها في كل يوم وبروزها منه إلى الناس.

وقال في الآية الأخرى: ﴿رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ۝٩﴾ [المزمل] وهذا المراد منه جنس المشارق والمغارب، ولما كان في اختلاف هذه المشارق والمغارب مصالح للخلق من الجن والإنس قال: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝١٨﴾؟

وقوله تعالى: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۝١٩﴾ قال ابن عباس: أي: أرسلهما[(٨)].

وقوله: ﴿يَلْتَقِيَانِ﴾ قال ابن زيد: أي: منعهما أن يلتقيا بما جعل بينهما من البرزخ الحاجز الفاصل بينهما[(٩)]، والمراد بقوله البحرين: الملح والحلو، فالحلو هذه الأنهار السارحة بين الناس، وقد قدمنا الكلام على ذلك في سورة الفرقان عند قوله تعالى: ﴿۞ وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ

---

(١) أخرجه الطبري من طريق الضحاك به، وسنده ضعيف لأن الضحاك لم يلق ابن عباس.

(٢) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق سماك عن عكرمة، وأخرجه الطبري وآدم بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد، وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن الحسن، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق عبد الله بن وهب عن ابن زيد.

(٣) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به. (٤) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق علي به.

(٥) أخرجه الطبري بسند ضعيف عن الضحاك، فيه ابن حميد وهو محمد بن حميد الرازي وهو ضعيف.

(٦) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٦/ ١٥٣) وسنده صحيح.

(٧) صحيح مسلم، الزهد، باب في أحاديث متفرقة (ح٢٩٩٦).

(٨) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس.

(٩) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

﴿هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ۝٥٣﴾ [الفرقان] وقد اختار ابن جرير ههنا أن المراد بالبحرين: بحر السماء وبحر الأرض، وهو مروي عن مجاهد وسعيد بن جبير وعطية وابن أبزى[(١)]، قال ابن جرير: لأن اللؤلؤ يتولد من ماء السماء وأصداف بحر الأرض[(٢)]، وهذا وإن كان هكذا لكن ليس المراد بذلك ما ذهب إليه، فإنه لا يساعده اللفظ فإنه تعالى قد قال: ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ۝٢٠﴾ أي: وجعل بينهما برزخاً، وهو الحاجز من الأرض لئلا يبغي هذا على هذا، وهذا على هذا، فيفسد كل واحد منهما الآخر ويزيله عن صفته التي هي مقصودة منه، وما بين السماء والأرض لا يسمى برزخاً وحجراً محجوراً.

وقوله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ۝٢٢﴾ أي: من مجموعهما، فإذا وجد ذلك من أحدهما كفى كما قال تعالى: ﴿يَٰمَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾ [الأنعام: ١٣٠] والرسل إنما كانوا في الإنس خاصة دون الجن وقد صحَّ هذا الإطلاق. واللؤلؤ معروف، وأما المرجان فقيل هو صغار اللؤلؤ، قاله مجاهد وقتادة وأبو رزين والضحاك وروي عن علي[(٣)].

وقيل: كباره وجيده[(٤)]، حكاه ابن جرير، عن بعض السلف ورواه ابن أبي حاتم، عن الربيع بن أنس، وحكاه السدي عمَّن حدثه عن ابن عباس[(٥)]، وروي مثله عن علي ومجاهد أيضاً [ومرة][(٦)] الهمداني[(٧)].

وقيل: هو نوع من الجواهر أحمر اللون.

قال السدي، عن أبي مالك، عن مسروق، عن عبد الله قال: المرجان الخرز الأحمر.

قال السدي: وهو الكسد بالفارسية، وأما قوله: ﴿وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ [فاطر: ١٢] فاللحم من كل من الأجاج والعذب والحلية إنما هي من المالح دون العذب.

قال ابن عباس: ما سقطت قط قطرة من السماء في البحر فوقعت في صدفة إلا صار منها اللؤلؤ[(٨)]، وكذا قال عكرمة، وزاد: فإذا لم تقع في صدفة نبتت بها عنبرة[(٩)]، وروي من غير وجه عن ابن عباس نحوه[(١٠)].

---

(١) أخرجه الطبري عن مجاهد وابن أبزى وفي سنديهما ابن حميد وهو محمد بن حميد الرازي وهو ضعيف، وأخرجه الطبري بسند حسن من طريق جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير.
(٢) ذكره الطبري بنحوه.
(٣) أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن عبد الرحمٰن بن زيد.
(٤) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق موسىٰ بن أبي عائشة عن مُرة بلفظ: «المرجان جيد اللؤلؤ».
(٥) سنده ضعيف لجهالة شيخ السدي.
(٦) زيادة من (حم) و(ح)، وفي الأصل: «بياض».
(٧) تقدم قبل الرواية السابقة.
(٨) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس.
(٩) أخرجه الطبري بسند فيه محمد بن سليمان الكوفي صدوق يخطئ (التقريب ص٤٨٠).
(١٠) أخرجه الطبري بعدة أسانيد يقوي بعضها بعضاً بنحو رواية ابن عباس المتقدمة.

وقد قال ابن أبي حاتم: حدثنا أحمد بن سنان، حدثنا عبد الرحمٰن بن مهدي، حدثنا سفيان، عن الأعمش، عن عبد الله بن عبد الله، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: إذا أمطرت السماء فتحت الأصداف في البحر أفواهها فما وقع فيها؛ يعني: من قطر فهو اللؤلؤ[١]. إسناده صحيح.

ولما كان اتخاذ هذه الحلية نعمة على أهل الأرض، امتنَّ بها عليهم فقال: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٣﴾﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَهُ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡمُنشَـَٔاتُ﴾ يعني: السفن التي تجري ﴿فِى ٱلۡبَحۡرِ﴾.

قال مجاهد: ما رفع قلعه من السفن فهي منشآت وما لم يرفع قلعه فليس بمنشآت[٢].

وقال قتادة: ﴿ٱلۡمُنشَـَٔاتُ﴾ يعني: المخلوقات[٣].

وقال غيره، المنشِآت ـ بكسر الشين[٤] ـ يعني: البادئات[٥].

﴿كَٱلۡأَعۡلَٰمِ﴾ أي: كالجبال في كبرها وما فيها من المتاجر والمكاسب المنقولة من قطر إلى قطر وإقليم إلى إقليم، مما فيه صلاح الناس في جلب ما يحتاجون إليه من سائر أنواع البضائع، ولهذا قال: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٥﴾﴾.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا حماد بن سلمة، حدثنا [العيزار بن سويد، عن عميرة بن سعد][٦] قال: كنت مع علي بن أبي طالب ﷺ على شاطئ الفرات إذ أقبلت سفينة مرفوع شراعها فبسط علي يديه ثم قال: يقول الله ﷻ: ﴿وَلَهُ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلۡبَحۡرِ كَٱلۡأَعۡلَٰمِ ﴿٢٤﴾﴾ والذي أنشأها تجري في بحوره ما قتلت عثمان ولا مالأت على قتله[٧].

﴿كُلُّ مَنۡ عَلَيۡهَا فَانٖ ﴿٢٦﴾ وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ﴿٢٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٨﴾ يَسۡـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِى شَأۡنٖ ﴿٢٩﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٠﴾﴾.

يخبر تعالى أن جميع أهل الأرض سيذهبون ويموتون أجمعون، وكذلك أهل السماوات إلا من شاء الله ولا يبقى أحد سوى وجهه الكريم، فإن الربَّ تعالى وتقدس لا يموت بل هو الحي الذي لا يموت أبداً.

قال قتادة: أنبأ بما خلق ثم أنبأ أن ذلك كله فانٍ.

وفي الدعاء المأثور: يا حي يا قيوم يا بديع السمٰوات والأرض يا ذا الجلال والإكرام، لا إله

---

(١) تقدم تخريجه عن الطبري في الروايتين السابقتين، وصحح سنده الحافظ ابن كثير هنا.

(٢) أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.

(٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة.

(٤) وهي قراءة متواترة.

(٥) أي: الظاهرات السير اللاتي يُقبلن ويدبرن. كذا ذكره الطبري.

(٦) كذا في (ح) وفي الأصل صحف إلى: «العرار بن سويد عن عمرة بن سويد» والتصويب من ترجمة عميرة بن سعد.

(٧) في سنده عميرة بن سعد وهو الهمداني: مقبول. (التقريب ص٤٣٢).

إلا أنت برحمتك نستغيث أصلح لنا شأننا كله، ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين، ولا إلى أحد من خلقك.

وقال الشعبي: إذا قرأت ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾﴾ فلا تسكت حتى تقرأ ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾(١) وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨] وقد نَعتَ تعالى وجهه الكريم في هذه الآية بأنه ذو الجلال والإكرام؛ أي: هو أهل أن يُجلّ فلا يعصى، وأن يطاع فلا يخالف، كقوله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ [الكهف: ٢٨] وكقوله إخباراً عن المتصدقين: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ﴾ [الإنسان: ٩].

قال ابن عباس: ﴿ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ ذو العظمة والكبرياء(٢).

ولما أخبر تعالى عن تساوي أهل الأرض كلهم في الوفاة، وأنهم سيصيرون إلى دار الآخرة فيحكم فيهم ذو الجلال والإكرام بحكمه العدل قال: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٨﴾﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿٢٩﴾﴾ وهذا إخبار عن غناه عما سواه وافتقار الخلائق إليه في جميع الآنات وأنهم يسألونه بلسان حالهم وقالهم وأنه كل يوم هو في شأن.

قال الأعمش، عن مجاهد، عن عبيد بن عمير ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ قال من شأنه أن يجيب داعياً أو يعطي سائلاً، أو يفك عانياً أو يشفي سقيماً(٣).

وقال ابن أبي نجيح، عن مجاهد قال: كل يوم هو يجيب داعياً ويكشف كرباً ويجيب مضطراً ويغفر ذنباً(٤). وقال قتادة: لا يستغني عنه أهل السمٰوات والأرض يحيي حياً ويميت ميتاً، ويربي صغيراً ويفك أسيراً وهو منتهى حاجات الصالحين وصريخهم ومنتهى شكواهم(٥).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا أبو اليمان الحمصي، حدثنا جرير بن عثمان، عن سويد بن جبلة هو: الفزاري قال: إن ربكم كل يوم هو في شأن فيعتق رقاباً، ويعطي رغاباً، ويقحم عقاباً(٦).

وقال ابن جرير: حدثني عبد الله بن محمد بن عمرو الغزي، حدثني إبراهيم بن محمد بن يوسف الفريابي، حدثني عمرو بن بكر السكسكي، حدثنا الحارث بن عبدة بن رباح الغساني، عن أبيه، عن مُنيب بن عبد الله بن مُنيت الأزدي، عن أبيه قال: تلا رسول الله ﷺ هذه الآية ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ فقلنا: يا رسول الله وما ذاك الشأن؟ قال: «أن يغفر ذنباً، ويفرج كرباً،

---

(١) عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم.
(٢) أخرجه الطبري في آخر سورة الرحمٰن بسند ثابت من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس.
(٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق منصور عن مجاهد به، وأخرجه أيضاً من طريق الأعمش به ويتقوىٰ بسابقه.
(٤) أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.
(٥) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة بنحوه.
(٦) يشهد له ما سبق عن مجاهد وقتادة.

ويرفع قوماً ويضع آخرين»[١].

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا هشام بن عمار وسليمان بن أحمد الواسطي قالا: حدثنا الوزير بن صبيح الثقفي أبو روح الدمشقي والسياق لهشام قال: سمعت يونس بن ميسرة بن حليس، يحدث عن أم الدرداء، عن أبي الدرداء، عن النبي ﷺ قال: «قال الله ﷻ: ﴿كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٍ﴾، قال: من شأنه أن يغفر ذنباً، ويفرج كرباً، ويرفع قوماً ويضع آخرين»[٢].

وقد رواه ابن عساكر من طرق متعددة، عن هشام بن عمار به، ثم ساقه من حديث أبي همام الوليد بن شجاع، عن الوزير بن صبيح قال: «ودلّنا عليه الوليد بن مسلم، عن مطرف، عن الشعبي، عن أُم الدرداء، عن أبي الدرداء، عن النبي ﷺ فذكره قال: والصحيح الأول[٣]؛ يعني: إسناده الأول».

قلت: وقد روي موقوفاً كما علقه البخاري بصيغة الجزم فجعله من كلام أبي الدرداء[٤]، فالله أعلم.

وقال البزار: حدثنا محمد بن المثنى، حدثنا محمد بن الحارث، حدثنا محمد بن عبد الرحمٰن بن البيلماني، عن أبيه، عن ابن عمر، عن النبي ﷺ: كل يوم هو في شأن قال: «يغفر ذنباً، ويكشف كرباً»[٥].

ثم قال ابن جرير: وحدثنا أبو كريب، حدثنا عبيد الله بن موسى، عن أبي حمزة الثُّمالي، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس إن الله خلق لوحاً محفوظاً من درة بيضاء دفتاه ياقوتة حمراء، قلمه نور، وكتابه نور، وعرضه ما بين السماء والأرض ينظر فيه كل يوم ثلاثمائة وستين نظرة، يخلق في كل نظرة، ويحيي ويميت، ويعزُّ ويذلُّ ويفعل ما يشاء[٦].

﴿سَنَفۡرُغُ لَكُمۡ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ٣١ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٣٢ يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ ٣٣ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٣٤ يُرۡسَلُ عَلَيۡكُمَا شُوَاظٞ مِّن نَّارٖ وَنُحَاسٞ فَلَا تَنتَصِرَانِ ٣٥ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٣٦﴾.

قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿سَنَفۡرُغُ لَكُمۡ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ٣١﴾ قال:

---

(١) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده ضعيف جداً لأن عمرو بن بكر السكسكي متروك (التقريب ص٤١٩) ولعله يتقوىٰ بالرواية التالية.

(٢) أخرجه ابن ماجه من طريق هشام بن عمار به (السنن، المقدمة، باب فيما أنكرت الجهمية ح٢٠٢) وحسنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (ح١٦٧).

(٣) ينظر: تاريخ دمشق ١٧/ل٧٧١، وأخرجه ابن مردويه في تفسيره من طريق أم الدرداء عن أبي الدرداء، وضعفه الحافظ ابن حجر. (تغليق التعليق ٤/ ٣٣٢) قال الحافظ ابن حجر: وللمرفوع شاهد آخر عن ابن عمر أخرجه البزار (فتح الباري ٨/ ٦٢٣).

(٤) ذكره البخاري تعليقاً ووصله البخاري في تأريخه والبيهقي في شعب الإيمان. (تغليق التعليق ٤/ ٣٣٢).

(٥) أخرجه البزار كما في كشف الأستار (ح٢٢٦٨)، وسنده ضعيف لضعف البيلماني، وقد جعله الحافظ ابن حجر شاهداً للمرفوع كما تقدم، ويتقوى بما سبق.

(٦) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده ضعيف لأن أبا حمزة الثمالي هو ثابت بن أبي صفية وهو ضعيف رافضي (التقريب ص١٣٢).

وعيد من الله تعالى للعباد وليس بالله شغل وهو فارغ[١]، وكذا قال الضحاك: هذا وعيد[٢].

وقال قتادة: قد دنا من الله فراغ لخلقه[٣].

وقال ابن جريج: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ﴾ أي: سنقضي لكم.

وقال البخاري: سنحاسبكم لا يشغله شيء عن شيء، وهو معروف في كلام العرب، يقال: لأتفرغنَّ لك وما به شغل، يقول: لآخذنَّك على غرتك[٤].

وقوله تعالى: ﴿أَيُّهَ الثَّقَلَانِ﴾ الثقلان: الإنس والجن كما جاء في الصحيح: «ويسمعها كل شيء إلا الثقلين»[٥] وفي رواية «إلا الإنس والجن».

وفي حديث [الصور «الثقلان: الإنس والجن»[٦]][٧] ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٢﴾﴾.

ثم قال تعالى: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ ﴿٣٣﴾﴾ أي: لا تستطيعون هرباً من أمر الله وقدره بل هو محيط بكم، لا تقدرون على التخلص من حكمه ولا النفوذ عن حكمه فيكم، أينما ذهبتم أحيط بكم، وهذا في مقام الحشر، الملائكة محدقة بالخلائق سبع صفوف من كل جانب فلا يقدر أحد على الذهاب ﴿إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾ أي: إلا بأمر الله ﴿يَقُولُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ ﴿١٠﴾ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾﴾ [القيامة]. وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [يونس: ٢٧] ولهذا قال تعالى: ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴿٣٥﴾﴾ قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس الشواظ: هو لهب النار[٨].

وقال سعيد بن جبير، عن ابن عباس: الشواظ: الدخان.

وقال مجاهد: هو اللهب الأخضر المنقطع[٩].

وقال أبو صالح: الشواظ: هو اللهب الذي فوق النار ودون الدخان.

وقال الضحاك: ﴿شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ﴾ سيل من نار.

وقوله تعالى: ﴿وَنُحَاسٌ﴾ قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿وَنُحَاسٌ﴾ دخان النار[١٠]، وروي مثله عن أبي صالح وسعيد بن جبير وأبي سنان[١١].

---

(١) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق علي به.
(٢) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق جويبر عن الضحاك ويتقوىٰ بسابقه.
(٣) أخرجه عبد الرزاق والطبري بسند صحيح من طريق معمر عن قتادة.
(٤) ذكره البخاري وقال الحافظ ابن حجر: وهو كلام أبي عبيدة أخرجه ابن المنذر من طريقه (فتح الباري ٨/ ٦٢٣).
(٥) أخرجه البخاري (الصحيح، الجنائز، باب الميت يسمع قرع النعال ح١٣٣٨).
(٦) تقدم تخريج حديث الصور في تفسير سورة الأنعام آية ٧٣.
(٧) زيادة من (ح) و(حم).
(٨) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق علي به.
(٩) أخرجه الحافظ ابن حجر بسند حسن من طريق منصور عن مجاهد. (تغليق التعليق ٣/ ٥١٠).
(١٠) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق علي به.
(١١) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق جعفر، وهو ابن المغيرة، عن سعيد بن جبير.

وقال ابن جرير: والعرب تسمي الدخان: نحاساً، بضم النون وكسرها، والقراء مجمعة على الضم، ومن النحاس بمعنى الدخان قول نابغة جعدة:

يضيء كضوء سراج السليط ... لم يجعل الله فيه نحاساً[١]

يعني: دخاناً[٢] هكذا قال:

وقد روى الطبراني من طريق جويبر، عن الضحاك أن نافع بن الأرزق سأل ابن عباس عن الشواظ فقال: هو اللهب الذي لا دخان معه، فسأله شاهداً على ذلك من اللغة، فأنشده قول أُمية بن أبي الصلت في حسان:

ألا من مبلغ حسان عني ... مغلغلة تدب إلى عكاظ

أليس أبوك فينا كان قيناً ... إلى القينات فَسلاً في الحفاظ

يمانياً يظل يشب كيراً ... وينفخ دائباً لهب الشواظ

قال: صدقت، فما النحاس؟ قال: هو الدخان الذي لا لهب له، قال: فهل تعرفه العرب؟ قال: نعم، أما سمعت نابغة بني ذبيان يقول:

يضيء كضوء سراج السليط ... لم يجعل الله فيه نحاساً[٣]

وقال مجاهد: النحاس الصُّفر يذاب فيصب على رؤوسهم[٤]، وكذا قال قتادة[٥].

وقال الضحاك: ونحاس سيل من نحاس، والمعنى على كل قول: لو ذهبتم هاربين يوم القيامة لردتكم الملائكة والزبانية بإرسال اللهب من النار، والنحاس المذاب عليكم لترجعوا، ولهذا قال: ﴿فَلَا تَنتَصِرَانِ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٦﴾﴾.

﴿فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ ﴿٣٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٨﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴿٣٩﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٠﴾ يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٢﴾ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴿٤٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٥﴾﴾.

يقول تعالى: ﴿فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ﴾ يوم القيامة كما دلَّت عليه هذه الآيات مع ما شاكلها من الآيات الواردة في معناها كقوله تعالى: ﴿وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾﴾ [الحاقة].

وقوله: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾﴾ [الفرقان] وقوله: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ﴿١﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٢﴾﴾ [الانشقاق] وقوله تعالى: ﴿فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ﴾ أي: تذوب كما يذوب الدردي والفضة في السبك، وتتلون كما تتلون الأصباغ التي يدهن بها، فتارة حمراء

(١) ديوان النابغة الجعدي ص٨١. (٢) ذكره الطبري.

(٣) أخرجه الطبراني من طريق جويبر به (المعجم الكبير ١٠/ ٣٠٥) وسنده ضعيف لضعف جويبر.

(٤) أخرجه هناد بسند صحيح من طريق منصور عن مجاهد (الزهد ٢٧١)، وأخرجه الطبري بعدة أسانيد يقوي بعضها بعضاً.

(٥) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

وصفراء، وزرقاء وخضراء، وذلك من شدة الأمر وهول يوم القيامة العظيم.

وقد قال الإمام أحمد: حدثنا أحمد بن عبد الملك، حدثنا عبد الرحمٰن بن أبي الصهباء، حدثنا نافع أبو غالب الباهلي، حدثنا أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «يبعث الناس يوم القيامة والسماء تطشُّ عليهم»[١].

قال الجوهري: الطشُّ: المطر الضعيف.

وقال الضحاك، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ﴾ قال: هو الأديم الأحمر[٢].

وقال أبو كدينة، عن قابوس، عن أبيه، عن ابن عباس: ﴿فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ﴾ كالفرس الورد[٣]، وقال العوفي عن ابن عباس: تغير لونها[٤].

وقال أبو صالح: كالبرذون الورد، ثم كانت بعد كالدهان[٥].

وحكى البغوي وغيره أن الفرس الورد تكون في الربيع صفراء، وفي الشتاء حمراء، فإذا اشتد البرد تغير لونها[٦].

وقال الحسن البصري: تكون ألواناً.

وقال السدي: تكون كلون البغلة الوردة[٧]، وتكون كالمهل كدردي الزيت.

وقال مجاهد: ﴿كَٱلدِّهَانِ﴾ كألوان الدهان[٨].

وقال عطاء الخراساني: كلون دهن الورد في الصفرة.

وقال قتادة: هي اليوم خضراء ويومئذٍ لونها إلى الحمرة يوم ذي ألوان[٩].

وقال أبو الجوزاء: في صفاء الدهن.

وقال ابن جريج: تصير السماء كالدهن الذائب، وذلك حين يصيبها حرُّ جهنم[١٠].

وقوله تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ۝٣٩﴾ وهذه كقوله تعالى: ﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ۝٣٥ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ۝٣٦﴾ [المرسلات] فهذا في حال وثم في حال يسأل الخلائق عن جميع أعمالهم، وقال الله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٩٢ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝٩٣﴾ [الحجر] ولهذا قال قتادة: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ۝٣٩﴾ قال: قد كانت مسألة ثم ختم على أفواه القوم، وتكلمت أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون[١١].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٢١/ ٣٢٠ ح١٣٨١٤) وقال محققوه: صحيح لغيره.

(٢) سنده ضعيف لأن الضحاك لم يلق ابن عباس، ويتقوىٰ بما يليه.

(٣) أخرجه الطبري من طريق أبي كدينة به وسنده ضعيف ويتقوىٰ بسابقه ولاحقه.

(٤) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به ويتقوىٰ بما سبق.

(٥) أخرجه الطبري بسند جيد من طريق إسماعيل بن أبي خالد عن أبي صالح.

(٦) ذكره البغوي دون إسناده إلى أحد (معالم التنزيل ٤/ ٢٧٢).

(٧) وهو قريب من قول أبي صالح.

(٨) ذكره البغوي (المصدر السابق).

(٩) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(١٠) ذكره البغوي (المصدر السابق).

(١١) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق أبي العوام عن قتادة بنحوه.

قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: لا يسألهم هل عملتم كذا وكذا؛ لأنه أعلم بذلك منهم، ولكن يقول: لم عملتم كذا وكذا[١]؟ فهذا قول ثانٍ.

وقال مجاهد في هذه الآية: لا تسأل الملائكة؛ عن المجرمين بل يعرفون بسيماهم[٢]، وهذا قول ثالث، وكأن هذا بعدما يؤمر بهم إلى النار فذلك الوقت لا يسألون عن ذنوبهم بل يقادون إليها ويلقون فيها كما قال تعالى: ﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ﴾ أي: بعلامات تظهر عليهم.

وقال الحسن وقتادة: يعرفونهم باسوداد الوجوه وزرقة العيون[٣].

قلت: وهذا كما يعرف المؤمنون بالغرة والتحجيل من آثار الوضوء.

وقوله تعالى: ﴿فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ﴾ أي: يجمع الزبانية ناصيته مع قدميه ويلقونه في النار كذلك.

وقال الأعمش، عن ابن عباس: يؤخذ بناصيته وقدميه فيكسر كما يكسر الحطب في التنور[٤].

وقال الضحاك: يجمع بين ناصيته وقدميه في سلسلة من وراء ظهره[٥].

وقال السدي: يجمع بين ناصية الكافر وقدميه فتربط ناصيته بقدمه ويفتل ظهره.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا أبو توبة الربيع بن نافع، حدثنا معاوية بن سلام، عن أخيه زيد بن سلام أنه سمع أبا سلام يعني: جده، أخبرني عبد الرحمٰن، حدثني رجل من كِندة قال: أتيت عائشة فدخلت عليها وبيني وبينها حجاب فقلت: حدثك رسول الله ﷺ أنه يأتي عليه ساعة لا يملك فيها لأحد شفاعة؟ قالت: نعم لقد سألته عن هذا وأنا وهو في شعار واحد قال: «نعم حين يوضع الصراط لا أملك لأحد فيها شفاعة حتى أعلم أين يسلك بي، ويوم تبيض وجوه وتسود وجوه حتى أنظر ماذا يفعل بي - أو قال يوحى - وعند الجسر حين يستحد ويستحر» فقالت: وما يستحد وما يستحر؟ قال: «يستحد حتى يكون مثل شفرة السيف، ويستحر حتى يكون مثل الجمرة، فأما المؤمن فيجوزه لا يضره، وأما المنافق فيتعلق حتى إذا بلغ أوسطه خر من قدميه فيهوي بيديه إلى قدميه»، قالت: فهل رأيت من يسعى حافياً فتأخذه شوكة حتى تكاد تنفذ قدميه؟ فإنه كذلك يهوي بيده ورأسه إلى قدميه فتضربه الزبانية بخطاف في ناصيته وقدمه، فتقذفه في جهنم فيهوي فيها مقدار خمسين عاماً، قلت: ما ثقل الرجل؟ قالت: «ثقل عشر خلفات سِمان، فيومئذٍ يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصي والأقدام»[٦]. هذا حديث غريب جداً، وفيه ألفاظ منكر رفعها، وفي الإسناد من لم يسم ومثله لا يحتج به، والله أعلم.

وقوله تعالى: ﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ أي: هذه النار التي كنتم تكذبون

---

(١) عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم، وهو سند ثابت يتكرر.
(٢) أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.
(٣) أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح من طريق معمر عن الحسن.
(٤) عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم والبيهقي، والأعمش لم يسمع من ابن عباس.
(٥) عزاه السيوطي إلى ابن المنذر.
(٦) أخرجه عبد الرزاق من طريق رجل من كنده عن عائشة مطولاً (المصنف رقم ١١٣١) وسنده ضعيف لإبهام الراوي عن عائشة ﵂، وضعفه الحافظ ابن كثير.

بوجودها، ها هي حاضرة تشاهدونها عياناً، يقال لهم ذلك تقريعاً وتوبيخاً وتصغيراً وتحقيراً.

وقوله تعالى: ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴿٤٤﴾﴾ أي: تارة يعذبون في الجحيم وتارة يسقون من الحميم، وهو الشراب الذي هو كالنحاس المذاب يقطع الأمعاء والأحشاء، وهذه كقوله تعالى: ﴿إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [غافر].

وقوله: ﴿ءَانٍ﴾ أي: حار قد بلغ الغاية في الحرارة لا يستطاع من شدة ذلك، قال ابن عباس في قوله: ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴿٤٤﴾﴾ أي: قد انتهى غليه واشتد حره، وكذا قال مجاهد وسعيد بن جبير والضحاك والحسن والثوري والسدي(١).

وقال قتادة: قد آن طبخه منذ خلق الله السمٰوات والأرض(٢).

وقال محمد بن كعب القرظي: يؤخذ العبد فيحرك بناصيته في ذلك الحميم حتى يذوب اللحم ويبقى العظم والعينان في الرأس وهي كالتي يقول الله تعالى: ﴿فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾﴾ والحميم الآن يعني: الحار.

وعن القرظي رواية أخرى ﴿حَمِيمٍ ءَانٍ﴾ أي: حاضر وهو قول ابن زيد أيضاً(٣)، والحاضر لا ينافي ما روي عن القرظي أولاً أنه الحار كقوله تعالى: ﴿تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ﴿٥﴾﴾ [الغاشية] أي: حارة شديدة الحر لا تستطاع، وكقوله: ﴿غَيْرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ﴾ [الأحزاب: ٥٣] يعني: استواءه ونضجه فقوله: ﴿حَمِيمٍ ءَانٍ﴾ أي: حميم حار جداً.

ولما كان معاقبة العصاة المجرمين وتنعيم المتقين من فضله ورحمته وعدله ولطفه بخلقه، وكان إنذاره لهم عن عذابه وبأسه مما يزجرهم عما هم فيه من الشرك والمعاصي وغير ذلك قال ممتناً بذلك على بريته: ﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٥﴾﴾؟

﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾﴾.

قال [ابن شوذب](٤) وعطاء الخراساني: نزلت هذه الآية ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾ في أبي بكر الصديق(٥).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي حدثنا محمد بن مصفي، حدثنا بقية، عن أبي بكر بن أبي مريم، عن عطية بن قيس في قوله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾ نزلت في الذي قال:

---

(١) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس بلفظ: «انتهىٰ حره»، وأخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد، وأخرجه الطبري بسند ضعيف عن الضحاك فيه إبهام شيخ الطبري ويتقوىٰ بما سبق.

(٢) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق عبد الله بن وهب عن ابن زيد.

(٤) كذا في (حم) و(ح)، وفي الأصل صُحف إلى: ابن شوذبة.

(٥) نسبه السيوطي إلى ابن أبي حاتم عن ابن شوذب وعطاء وكلاهما ضعيف لأن كل واحد منهما معضل.

أحرقوني بالنار لعلّي [أضلّ الله][١] قال: تاب يوماً وليلة، بعد أن تكلم بهذا، فقبل الله منه وأدخله الجنة[٢]، والصحيح أن هذه الآية عامة كما قاله ابن عباس وغيره[٣] يقول الله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ﴾ بين يدي الله ﷻ يوم القيامة ﴿وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠] ولم يطغ ولا آثر الحياة الدنيا، وعلم أن الآخرة خير وأبقى فأدّى فرائض الله واجتنب محارمه، فله يوم القيامة عند ربه جنتان، كما قال البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حدثنا عبد الله بن أبي الأسود، حدثنا عبد العزيز بن عبد الصمد العمي، حدثنا أبو عمران الجوني، عن أبي بكر بن عبد الله بن قيس، عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: «جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم ﷻ إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن»[٤]. وأخرجه بقية الجماعة إلا أبا داود من حديث عبد العزيز به[٥]، وقال حماد بن سلمة: عن ثابت، عن أبي بكر بن أبي موسى، عن أبيه قال حماد: لا أعلمه إلا قد رفعه في قوله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾.

وفي قوله: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾﴾ [الرحمن] جنتان من ذهب للمقربين، وجنتان من ورق لأصحاب اليمين[٦].

وقال ابن جرير: حدثنا زكريا بن يحيى بن أبان [المقري][٧]، حدثنا ابن أبي مريم، أخبرنا محمد بن جعفر، عن محمد بن أبي حرملة، عن عطاء بن يسار، أخبرني أبو الدرداء أن رسول الله ﷺ قرأ يوماً هذه الآية ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾ فقلت: وإن زنى وإن سرق؟ فقال: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾ فقلت: وإن زنى وإن سرق؟ فقال: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾ فقلت: وإن زنى وإن سرق يا رسول الله؟ فقال: «وإن رغم أنف أبي الدرداء»[٨]. ورواه النسائي من حديث محمد بن أبي حرملة به[٩]، ورواه النسائي أيضاً عن مؤمل بن هشام، عن إسماعيل، عن الجريري، عن موسى، عن محمد بن سعد بن أبي وقاص، عن أبي الدرداء به[١٠]، وقد روي موقوفاً على أبي الدرداء، وروي عنه أنه قال: إن من خاف مقام ربه لم يزن ولم يسرق[١١]. وهذه الآية عامة في

---

(١) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل صُحف إلى: «أصل إلى الله».
(٢) وسنده ضعيف لإرساله وعنعنة بقية، وهو من المدلسين الذين لا تقبل روايتهم إلا إذا صرحوا بالسماع.
(٣) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس بلفظ: «وعد الله المؤمنين الذين خافوا مقامه فأدوا فرائضه، الجنة».
(٤) أخرجه البخاري بسنده ومتنه (الصحيح، التفسير، باب ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾﴾ [الرحمن] ح٤٨٧٨).
(٥) صحيح مسلم، الإيمان، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم (ح٢٩٦).
(٦) أخرجه الطبري والبيهقي (البعث والنشور رقم ٢٤٢).
(٧) كذا في (حم) و(ح)، وفي الأصل بياض، وفي تفسير الطبري: المصري.
(٨) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وأخرجه الإمام أحمد من طريق إسماعيل عن محمد بن أبي حرملة به (المسند ١٤/ ٣١١، ٣١٢ ح٨٦٨٣) وصح سنده محققوه.
(٩) السنن الكبرىٰ، التفسير، باب سورة الرحمٰن (ح١١٥٦٠) وسنده كسابقه.
(١٠) المصدر السابق (ح١١٥٦١).
(١١) أخرجه ابن المبارك (الزهد رقم ٩٢٤)، والطبري كلاهما من طريق معتمر عن أبيه عن سيار عن أبي الدرداء. ويشهد له سابقه المرفوع.

الإنس والجن، فهي من أدلِّ دليل على أن الجن يدخلون الجنة إذا آمنوا واتقوا، ولهذا امتنَّ الله تعالى على الثقلين بهذا الجزاء فقال: ﴿وَلِمَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ۝٤٦ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٤٧﴾ ثم نعتَ هاتين الجنتين فقال: ﴿ذَوَاتَآ أَفۡنَانٖ ۝٤٨﴾ أي: أغصان نضرة حسنة تحمل من كل ثمرة نضيجة فائقة ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٤٩﴾؟ هكذا قال عطاء الخراساني وجماعة أن الأفنان أغصان الشجر يمس بعضها بعضاً[(١)].

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا عمرو بن علي، حدثنا مسلم بن قتيبة، حدثنا عبد الله بن النعمان، سمعت عكرمة يقول: ﴿ذَوَاتَآ أَفۡنَانٖ ۝٤٨﴾ يقول: ظل الأغصان على الحيطان، ألم تسمع قول الشاعر[(٢)]:

ما هاج شوقك من هديل حمامة ... تدعو على فنن الغصون حماما
تدعو أبا فرخين صادف ... طاوياً ذا مخلبين من الصقور قطاما[(٣)]

وحكى البغوي عن مجاهد وعكرمة والضحاك والكلبي، أنه [الغصن المستقيم طوالا][(٤)(٥)].

قال: وحدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا عبد السلام بن حرب، حدثنا عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس: ﴿ذَوَاتَآ أَفۡنَانٖ ۝٤٨﴾ ذواتا ألوان[(٦)]. قال: وروي عن سعيد بن جبير والحسن والسدي [وخصيف][(٧)] والنضر بن عربي وابن سنان مثل ذلك[(٨)]، ومعنى هذا القول أن فيهما فنوناً من الملاذ، واختاره ابن جرير.

وقال عطاء: كل غصن يجمع فنوناً من الفاكهة[(٩)].

وقال الربيع بن أنس: ﴿ذَوَاتَآ أَفۡنَانٖ ۝٤٨﴾ [واسعتا الفنان وكل هذه الأقوال صحيحة ولا منافاة بينها، والله أعلم.

وقال قتادة: ذواتا أفنان][(١٠)] يعني بسعتها وفضلها ومزيتها على ما سواها[(١١)].

وقال محمد بن إسحاق، عن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه، عن أسماء بنت أبي بكر قالت: سمعت رسول الله ﷺ وذكر سدرة المنتهى، فقال: «يسير في ظل الفنن منها الراكب مائة سنة - أو قال: يستظل في ظل الفنن منها مائة راكب - فيها فراش الذهب كأن ثمرها

---

(١) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق رجل من أهل البصرة عن مجاهد.
(٢) هو ثابت بن كعب، وقد استشهد به الطبري والأصبهاني (الأغاني ١٤/ ٢٦٢).
(٣) أخرجه الطبري من طريق عبد الله بن النعمان به، وعبد الله بن النعمان مقبول. (التقريب ص٣٢٦).
(٤) كذا في (حم) وفي (ح): الغصن المنيف طوالا، وفي الأصل بياض.
(٥) ذكرهم البغوي دون إسناد (معالم التنزيل ٤/ ٢٧٤).
(٦) أخرجه الطبري من طريق عبد السلام بن حرب به. وسنده حسن.
(٧) كذا في (حم) و(ح)، وفي الأصل بياض.
(٨) أخرجه الطبري من قول مجاهد وأبي سنان وفي سنديهما ابن حميد وهو محمد بن حميد الرازي وهو ضعيف، وأخرجه الطبري عن الضحاك بسند فيه إبهام شيخ الطبري.
(٩) ذكره البغوي (معالم التنزيل ٤/ ٢٧٤).
(١٠) زيادة من (حم) و(ح).
(١١) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

[القلال][(١)]». ورواه الترمذي من حديث يونس بن بكير به[(٢)].

﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾﴾[(٣)] أي: تسرحان لسقي تلك الأشجار والأغصان فتثمر من جميع الألوان ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾﴾.

قال الحسن البصري: إحداهما يقال لها: تسنيم، والأخرى: السلسبيل.

وقال عطية: إحداهما من ماء غير آسن، والأخرى من خمر لذة للشاربين[(٤)]، ولهذا قال بعد هذا: ﴿فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾﴾ أي: من جميع أنواع الثمار مما يعلمون وخير مما يعلمون، ومما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾﴾.

قال إبراهيم بن الحكم بن أبان، عن أبيه، عن عكرمة، عن ابن عباس: ما في الدنيا ثمرة حلوة ولا مرة إلا وهي في الجنة حتى الحنظل.

وقال ابن عباس: ليس في الدنيا مما في الآخرة إلا الأسماء؛ يعني: أن بين ذلك بوناً عظيماً، وفرقاً بيِّناً في التفاضل[(٥)].

﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ۚ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦١﴾﴾.

يقول تعالى: ﴿مُتَّكِـِٔينَ﴾ يعني: أهل الجنة، والمراد بالاتكاء هٰهنا الاضطجاع ويقال: الجلوس على صفة التربيع ﴿عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾ وهو ما غلظ من الديباج، قاله عكرمة والضحاك وقتادة[(٦)].

وقال أبو عمران الجوني: هو الديباج المزين بالذهب، فنبه على شرف الظهارة بشرف البطانة، فهذا من التنبيه بالأدنى على الأعلى.

قال أبو إسحاق: عن هبيرة بن يريم، عن عبد الله بن مسعود قال: هذه البطائن، فكيف لو رأيتم الظواهر[(٧)]؟

---

(١) كذا في (حم) و(مح)، وفي الأصل بياض.

(٢) أخرجه الترمذي عن أبي كريب عن يونس بن بكير به (السنن، صفة الجنة، باب ما جاء في صفة ثمار أهل الجنة ح٢٥٤١) وسنده ضعيف لعنعنة ابن إسحاق، وضعفه الألباني في ضعيف سنن الترمذي (ح٤٥٨).

(٣) ورد قبل هذا سطران مكرران مقحمان تقدما قبل صفحتين وهو قول حماد بن سلمة: لا أعلمه إلا قد رفعه في قوله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾ [الرحمن] إلى قوله: وجنتان من ورق لأصحاب اليمين. اهـ. ولا يستقيم ذكره هنا.

(٤) ذكر قول الحسن وعطية الإمام البغوي دون سند (معالم التنزيل ٤/ ٢٧٤).

(٥) سنده ضعيف لضعف إبراهيم بن الحكم (التقريب ص٨٨) وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم عن عكرمة عن أبي عباس.

(٦) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن عكرمة.

(٧) أخرجه الطبري من طريق سفيان عن أبي إسحاق به وسنده حسن، وأخرجه الحاكم من طريق سفيان به وصححه ووافقه الذهبي (المستدرك ٢/ ٤٧٥).

وقال مالك بن دينار: بطائنها من إستبرق وظواهرها من نور[١].

وقال سفيان الثوري أو شريك: بطائنها من إستبرق وظواهرها من نور جامد[٢].

وقال القاسم بن [مخيمرة][٣]: بطائنها من إستبرق وظواهرها من الرحمة[٤].

وقال ابن شوذب، عن أبي عبد الله الشامي: ذكر الله البطائن ولم يذكر الظواهر، وعلى الظواهر المحابس ولا يعلم ما تحت المحابس إلا الله تعالى، ذكر ذلك كله الإمام ابن أبي حاتم رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

﴿وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ أي: ثمرهما قريب إليهم متى شاءوا تناولوه على أي صفة كانوا، كما قال تعالى: ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [الحاقة] وقال: ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾﴾ [الإنسان] أي: لا تمتنع ممن تناولها بل تنحط إليه من أغصانها ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾﴾؟ ولما ذكر الفرش وعظمتها قال بعد ذلك ﴿فِيهِنَّ﴾ أي: في الفرش ﴿قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾ أي: غضيضات عن غير أزواجهن فلا يرين شيئاً في الجنة أحسن من أزواجهن، قاله ابن عباس وقتادة وعطاء الخراساني وابن زيد[٥].

وقد ورد أن الواحدة منهن تقول لبعلها: والله ما أرى في الجنة شيئاً أحسن منك. ولا في الجنة شيئاً أحب إلي منك، فالحمد لله الذي جعلك لي وجعلني لك.

﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾ أي: بل هن أبكار عُرُب أتراب لم يطأهن أحد قبل أزواجهن من الإنس والجن، وهذه أيضاً من الأدلة على دخول مؤمني الجن الجنة.

وقال أرطاة بن المنذر: سُئل ضمرة بن حبيب هل يدخل الجن الجنة؟ قال: نعم وينكحون، للجن جنيات وللإنس إنسيات، وذلك قوله: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾[٦].

ثم قال ينعتهن للخطاب: ﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾﴾.

قال مجاهد والحسن وابن زيد وغيرهم: في صفاء الياقوت وبياض المرجان[٧]، فجعلوا المرجان هٰهنا اللؤلؤ.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا محمد بن حاتم، حدثنا عَبيدة بن حميد، عن عطاء بن السائب، عن عمرو بن ميمون الأودي، عن عبد الله بن مسعود، عن النبي ﷺ قال: «إن المرأة من نساء أهل الجنة ليرى بياض ساقيها من وراء سبعين حلة من حرير [حتىٰ يرىٰ مخَّها]»[٨]، وذلك أن الله تعالى يقول: ﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾﴾ فأما الياقوت فإنه حجر لو أدخلت فيه

---

(١) في آخره غرابة وهو مرسل. (٢) كسابقه.

(٣) كذا في (حم) و(مح)، وفي الأصل بياض. (٤) كسابقه وهو مرسل أيضاً.

(٥) أخرجه محمد بن يوسف الفريابي بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد (ينظر تغليق التعليق ٤/ ٣٣٤)، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق عبد الله بن وهب عن ابن زيد.

(٦) أخرجه الطبري من طريق شُريح بن يزيد الحضرمي عن أرطأة بن المنذر به، وسنده ضعيف لإرساله.

(٧) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق أبي رجاء عن الحسن، وبسند صحيح من طريق معمر عن قتادة وبسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

(٨) كذا في سنن الترمذي والمسند، وفي الأصل بياض، وفي (حم) و(مح): «ومخها».

سلكاً ثم استصفيته لرأيته من ورائه[١]، وهكذا رواه الترمذي من حديث عبيدة بن حميد وأبي الأحوص عن عطاء بن السائب به، ورواه موقوفاً ثم قال: وهو أصح[٢].

وقال الإمام أحمد: حدثنا عفان، حدثنا حماد بن سلمة، أخبرنا يونس، عن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «للرجل من أهل الجنة زوجتان من الحور العين على كل واحدة سبعون حلة، يرى مخ ساقها من وراء الثياب»[٣]. تفرد به الإمام أحمد من هذا الوجه.

وقد روى مسلم حديث إسماعيل بن عُليَّة، عن أيوب، عن محمد بن سيرين قال: إما تفاخروا وإما تذاكروا، الرجال أكثر في الجنة أم النساء؟ فقال أبو هريرة: أولم يقل أبو القاسم ﷺ: «إن أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر والتي تليها على أضوء كوكب دري في السماء، لكل امرئ منهم زوجتان اثنتان يرى مخّ سوقهما من وراء اللحم وما في الجنة أعزب»[٤]. وهذا الحديث مخرج في الصحيحين من حديث همام بن منبه وأبي زرعة، عن أبي هريرة رضي الله عنه[٥].

وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو النضر، حدثنا محمد بن طلحة، عن حميد، عن أنس، أن رسول الله ﷺ قال: «لغدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها، ولقاب قوس أحدكم أو موضع قيده - يعني: سوطه - من الجنة خير من الدنيا وما فيها، ولو اطلعت امرأة من نساء أهل الجنة إلى الأرض لملأت ما بينهما ريحاً ولطاب ما بينهما، ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها»[٦]. ورواه البخاري من حديث أبي إسحاق، عن حميد، عن أنس بنحوه.

وقوله تعالى: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَـٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَـٰنُ ﴿٦٠﴾﴾ أي: لا لمن أحسن العمل في الدنيا إلا الإحسان إليه في الآخرة، كما قال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦].

وقال البغوي: حدثنا أبو سعيد الشريحي، حدثنا أبو إسحاق الثعلبي، أخبرني ابن فنجويه، حدثنا ابن شيبة، حدثنا إسحاق بن إبراهيم بن بهرام، حدثنا الحجاج بن يوسف المكتب، حدثنا بشر بن الحسين، عن الزبير بن عدي، عن أنس بن مالك قال: قرأ رسول الله ﷺ: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَـٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَـٰنُ ﴿٦٠﴾﴾ وقال: «هل تدرون ما قال ربكم؟»[٧] قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «يقول هل جزاء من أنعمت عليه بالتوحيد إلا الجنة»[٨].

(١) في سنده عبيدة بن حميد وهو صدوق ربما أخطأ (التقريب ص٣٧٩) ولعله هو الذي رفعه لأن الترمذي أخرجه من طريق آخر موقوفاً وقال هذا أصح كما يلي.

(٢) أخرجه الترمذي من طريق عبيدة بن حميد به مرفوعاً وأخرجه من طريق قتيبة عن جرير عن عطاء بن السائب به موقوفاً وقال: وهذا أصح. (السنن، صفة الجنة، باب صفة نساء أهل الجنة ح٢٥٣٣ و٢٥٣٤).

(٣) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ١٤/ ٢٢٠ ح٨٥٤٢) وصحح سنده محققوه.

(٤) صحيح مسلم، صفة الجنة، باب أول زمرة تدخل الجنة على صورة قمر ليلة البدر (ح٢٨٣٤/ ١٤).

(٥) المصدر السابق (ح٢٨٣٤/ ١٥) وصحيح البخاري، أحاديث الأنبياء، باب خلق آدم وذريته (ح٣٣٢٧).

(٦) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٣/ ١٤١) وسنده صحيح.

(٧) صحيح البخاري، الجهاد، باب الحور العين وصفتهن (ح٢٧٩٦).

(٨) أخرجه البغوي بسنده ومتنه (معالم التنزيل ٤/ ٢٧٦) وسنده ضعيف جداً لأن بشر بن الحسين وهو الأصبهاني صاحب الزبير بن عدي، وكان يكذب على الزبير. (لسان الميزان ٢/ ٢١).

ولما كان في الذي ذكر نعم عظيمة لا يقاومها عمل بل مجرد تفضل وامتنان قال بعد ذلك كله: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦١﴾﴾؟ ومما يتعلق بقوله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾ [الرحمن] ما رواه الترمذي والبغوي من حديث أبي النضر هاشم بن القاسم، عن أبي عقيل الثقفي، عن أبي فروة يزيد بن سنان الرهاوي، عن بكير بن فيروز، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة» ثم قال الترمذي: غريب لا نعرفه إلا من حديث أبي النضر[١].

وروى البغوي من حديث علي بن حجر، عن إسماعيل بن جعفر، عن محمد بن أبي حرملة مولى حويطب بن عبد العزى، عن عطاء بن يسار، عن أبي الدرداء أنه سمع رسول الله ﷺ يقصُّ على المنبر وهو يقول: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾ فقلت: وإن زنى وإن سرق يا رسول الله؟ فقال رسول الله ﷺ: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾ فقلت الثانية: وإن زنى وإن سرق يا رسول الله؟ فقال: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾ فقلت الثالثة: وإن زنى وإن سرق يا رسول الله؟ فقال: «وإن رغم أنف أبي الدرداء»[٢].

﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾ مُدْهَآمَّتَانِ ﴿٦٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٥﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٧﴾ فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾ فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٧٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٥﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِىٍّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٧﴾ تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾﴾.

هاتان الجنتان دون اللتين قبلهما في المرتبة والفضيلة والمنزلة بنصِّ القرآن، قال الله تعالى ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾﴾ وقد تقدم في الحديث: جنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما وجنتان من فضة آنيتهما وما فيهما، فالأوليان للمقربين والأخريان لأصحاب اليمين[٣].

وقال أبو موسى: جنتان من ذهب للمقربين وجنتان من فضة لأصحاب اليمين[٤].

وقال ابن عباس: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾﴾ من دونهما في [الدرج][٥].

وقال ابن زيد: من دونهما في الفضل[٦]. والدليل على شرف الأوليين على الأخريين وجوه:

---

(١) أخرجه الترمذي (السنن، صفة القيامة، باب من خاف أدلج ح٢٤٥٢) وصححه الألباني بطرقه في السلسلة الصحيحة (ح٢٣٣٥).

(٢) تقدم تخريجه في الآية ٤٦ من هذه السورة الكريمة.

(٣) تقدم تخريجه في الآية ٤٦ من هذه السورة الكريمة.

(٤) تقدم تخريجه من صحيح البخاري في الآية ٤٦ من هذه السورة الكريمة.

(٥) كذا في (ح) و(حم) وتفسير الطبري وفي الأصل صُحف إلى: «المدرج». وهذا لفظ الطبري ثم ساقه بسنده إلى ابن عباس بمعناه، وقد أخرجه الطبري والحاكم من طريق عمرو بن أبي قيس عن ابن أبي ليلىٰ عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس.

(٦) هذا لفظ الطبري، وقد أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد بلفظ: «هما أدنىٰ من هاتين لأصحاب اليمين».

(أحدها): أنه نعت الأوليين قبل هاتين والتقدم يدل على الاعتناء ثم قال: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾﴾ وهذا ظاهر في شرف التقدم وعلوه على الثاني وقال هناك ﴿ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾﴾ وهي الأغصان أو الفنون في الملاذ، وقال ههنا ﴿مُدْهَآمَّتَانِ ﴿٦٤﴾﴾ أبو سوداوان من شدة الري من الماء.

قال ابن عباس في قوله: ﴿مُدْهَآمَّتَانِ ﴿٦٤﴾﴾: قد اسودتا من الخضرة من شدة الري من الماء[(١)].

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا ابن فضيل، حدثنا عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس ﴿مُدْهَآمَّتَانِ ﴿٦٤﴾﴾ قال: خضراوان[(٢)]. وروى عن أبي أيوب الأنصاري وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن أبي أوفى وعكرمة وسعيد بن جبير ومجاهد في إحدى الروايات وعطاء وعطية العوفي والحسن البصري، ويحيى بن رافع وسفيان الثوري نحو ذلك[(٣)].

وقال محمد بن كعب: ﴿مُدْهَآمَّتَانِ ﴿٦٤﴾﴾ ممتلئتان من الخضرة.

وقال قتادة: خضراوان من الري ناعمتان[(٤)]، ولا شك في نضارة الأغصان على الأشجار المشتبكة بعضها في بعض.

وقال هناك: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾﴾ وقال ههنا: ﴿نَضَّاخَتَانِ﴾ قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: أي فياضتان[(٥)]، والجري أقوىٰ من النضخ، وقال الضحاك ﴿نَضَّاخَتَانِ﴾ أي: ممتلئتان ولا تنقطعان[(٦)]. وقال هناك: ﴿فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾﴾، وقال ههنا: ﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾﴾ ولا شك أن الأولى أعمّ وأكثر في الأفراد والتنويع على فاكهة، وهي نكرة في سياق الإثبات لا تعم، ولهذا فسر قوله: ﴿وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ من باب عطف الخاص على العام كما قرره البخاري وغيره[(٧)]، وإنما أفرد النخل والرمان بالذكر لشرفهما على غيرهما.

قال عبد بن حميد: حدثنا يحيى بن عبد الحميد، حدثنا حصين بن عمر، حدثنا مخارق، عن طارق بن شهاب، عن عمر بن الخطاب قال: جاء أناس من [اليهود][(٨)] إلى رسول الله ﷺ فقالوا: يا محمد أفي الجنة فاكهة؟ قال: «نعم فيها فاكهة ونخل ورمان» قالوا: أفيأكلون كما يأكلون في الدنيا؟ قال: «نعم وأضعاف» قالوا: فيقضون الحوائج؟ قال: «لا ولكنهم يعرقون ويرشحون فيذهب الله ما في بطونهم من أذى»[(٩)].

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا الفضل بن دكين، حدثنا سفيان، عن حماد، عن

---

(١) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس.

(٢) أخرجه الطبري من طريق ابن فضيل به وسنده حسن ويتقوىٰ بسابقه.

(٣) أخرجه الطبري بأسانيد يقوي بعضها بعضاً عن عبد الله بن الزبير، وأخرجه الطبري بسند حسن عن عطية العوفي، وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق أبي رجاء عن الحسن بلفظ: «ناعمتان».

(٤) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٥) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق سعيد بن أبي طلحة عن ابن عباس.

(٦) أخرجه الطبري بسند ضعيف فيه إبهام شيخه، ويشهد له سابقه.

(٧) ينظر فتح الباري ٨/ ٦٢٣.

(٨) كذا في (حم) و(ح)، وفي الأصل بياض.

(٩) أخرجه عبد بن حميد بسنده ومتنه. (المنتخب رقم ٣٥) وسنده ضعيف جداً لأن حصين بن عمر وهو الأحمسي: متروك. (التقريب ص١٧٠).

سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: نخل الجنة سعفها كسوة لأهل الجنة، منها مقطعاتهم، ومنها حللهم وكربها ذهب أحمر وجذوعها زمرد أخضر، وثمرها أحلى من العسل وألين من الزبد، وليس له عجم[١].

وحدثنا أبي، حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا حماد هو: ابن سلمة، عن أبي هارون، عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: «نظرت إلى الجنة فإذا الرمانة من رمانها كالبعير المقتب»[٢].

ثم قال: ﴿فِيهِنَّ خَيۡرَٰتٌ حِسَانٞ ۝٧٠﴾ قيل: المراد خيرات كثيرة حسنة في الجنة قاله قتادة[٣]، وقيل: خيرات جمع خيرة وهي المرأة الصالحة الحسنة الخلق الحسنة الوجه، قاله الجمهور، وروي مرفوعاً عن أم سلمة، وفي الحديث الآخر الذي سنورده في سورة الواقعة إن شاء الله تعالى أن الحور العين يغنين: نحن الخيرات الحسان خلقنا لأزواج كرام[٤]، ولهذا قرأ بعضهم ﴿فِيهِنَّ خَيِّرَٰتٌ﴾ بالتشديد[٥] ﴿حِسَانٞ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٧١﴾ ثم قال: ﴿حُورٞ مَّقۡصُورَٰتٞ فِي ٱلۡخِيَامِ ۝٧٢﴾ وهناك قال: ﴿فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ﴾ [الرحمن: ٥٦] ولا شك أن التي قد قصرت طرفها بنفسها أفضل ممن قصرت وإن كان الجميع مخدرات.

قال ابن أبي حاتم: حدثنا عمرو بن عبد الله الأودي، حدثنا وكيع بن سفيان، عن جابر، عن القاسم بن أبي بزة، عن أبي عبيدة، عن مسروق، عن عبد الله بن مسعود قال: إن لكل مسلم خيرة ولكل خيرة خيمة، ولكل خيمة أربعة أبواب يدخل عليه كل يوم تحفة وكرامة وهدية، لم تكن قبل ذلك لا مرحات ولا طمحات ولا بخرات ولا ذفرات، حورٌ عِين كأنهن بيض مكنون[٦].

وقوله تعالى: ﴿فِي ٱلۡخِيَامِ﴾ قال البخاري: حدثنا محمد بن المثنى، حدثنا عبد العزيز بن عبد الصمد، حدثنا أبو عمران الجوني، عن أبي بكر بن عبد الله بن قيس، عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: «إن في الجنة خيمة من لؤلؤة مجوفة عرضها ستون ميلاً في كل زاوية منها أهل ما يرون الآخرين يطوف عليهم المؤمنون»[٧] ورواه أيضاً من حديث أبي عمران به وقال: ثلاثون ميلاً[٨]، وأخرجه مسلم من حديث أبي عمران به ولفظه «إن للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة، طولها ستون[٩] ميلاً، للمؤمن فيها أهل يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضاً»[١٠].

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا الحسن بن أبي الربيع، حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر، عن قتادة،

---

(١) رجاله ثقات وسنده صحيح، وأخرجه الحاكم من طريق سفيان به، وصححه ووافقه الذهبي (المستدرك ٢/ ٤٧٥، ٤٧٦).

(٢) سنده ضعيف جداً لأن أبا هارون هو عمارة بن جوين وهو متروك كما في التقريب.

(٣) أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة بلفظ: «خيرات في الأخلاق، حسان في الوجوه».

(٤) سيأتي تخريجه في تفسير سورة الواقعة آية ٣٧.

(٥) وهي قراءة شاذة تفسيرية.

(٦) سنده ضعيف لضعف جابر وهو ابن يزيد الجعفي.

(٧) أخرجه البخاري بسنده ومتنه (الصحيح، التفسير، باب ﴿حُورٞ مَّقۡصُورَٰتٞ فِي ٱلۡخِيَامِ ۝٧٢﴾ [الرحمن] ح٤٨٧٩).

(٨) أخرجه البخاري (الصحيح، بدء الخلق، صفة الجنة ح٣٢٤٣).

(٩) الميل ثلاثة آلاف ذراع أو أربعة آلاف ذراع (القاموس المحيط ٤/ ٥٣).

(١٠) صحيح مسلم، الجنة وصفة نعيمها، باب في صفة خيام الجنة (ح٢٨٣٨).

أخبرني خليد العصري، عن أبي الدرداء قال: الخيمة لؤلؤة واحدة فيها سبعون باباً من درّ[١].

وحدثنا أبي: حدثنا عيسى بن أبي فاطمة، حدثنا جرير، عن هشام، عن محمد بن المثنى، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾﴾ قال: خيام اللؤلؤ، وفي الجنة خيمة واحدة من لؤلؤة واحدة أربعة فراسخ في أربعة فراسخ عليها أربعة آلاف مصراع من ذهب[٢].

وقال عبد الله بن وهب: أخبرنا عمرو أن دراجاً أبا السمح حدثه عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد، عن النبي ﷺ قال: «أدنى أهل الجنة منزلة الذي له ثمانون ألف خادم، واثنتان وسبعون زوجة، وتنصب له قبة من لؤلؤ وزبرجد وياقوت كما بين الجابية وصنعاء» ورواه الترمذي من حديث عمرو بن الحارث به[٣].

وقوله تعالى: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٧٤﴾﴾ قد تقدم مثله سواء إلا أنه زاد في وصف الأوائل بقوله: ﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾﴾ [الرحمن].

وقوله: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِىٍّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾﴾ قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: الرفرف: المحابس[٤]، وكذا قال مجاهد وعكرمة والحسن وقتادة والضحاك وغيرهم: هي المحابس[٥].

وقال العلاء بن بدر: الرفرف على السرير كهيئة المحابس المتدلي.

وقال عاصم الجحدري: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ﴾ يعني: الوسائد[٦]، وهو قول الحسن البصري في رواية عنه[٧].

وقال أبو داود الطيالسي، عن شعبة، عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير في قوله تعالى: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ﴾ قال: الرفرف رياض الجنة[٨].

وقوله تعالى: ﴿وَعَبْقَرِىٍّ حِسَانٍ﴾ قال ابن عباس وقتادة والضحاك والسدي: العبقري: الزرابي[٩].

وقال سعيد بن جبير: هي: عتاق الزرابي[١٠]؛ يعني: جيادها.

---

(١) سنده حسن.

(٢) أخرجه الطبري من طريق فضيل بن عياش عن هشام به، ومحمد بن المثنىٰ لم أقف على ترجمة له. وفي تفسير الطبري ورد باسم محمد دون ذكر والده، وقد يكون هو محمد بن سيرين.

(٣) أخرجه الترمذي بسنده ومتنه (السنن، صفة الجنة، باب ما جاء ما لأهل الجنة من الكرامة ح٢٥٦٥) وسنده ضعيف لضعف رواية دراج عن أبي الهيثم.

(٤) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة به، والمحابس: المقاعد.

(٥) أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

(٦) عزاه السيوطي إلى ابن المنذر.

(٧) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق أبي رجاء عن الحسن بلفظ: «البُسط».

(٨) سنده صحيح وأخرجه ابن أبي شيبة من طريق هشيم عن أبي بشر به (المصنف ٤٨/٨). وسنده صحيح.

(٩) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة.

(١٠) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق أبي بشر عن سعيد بن جبير.

وقال مجاهد: العبقري: الديباج[(١)].

وسئل الحسن البصري عن قوله تعالى: ﴿وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾ فقال: هي بسط أهل الجنة لا أبا لكم فاطلبوها.

وعن الحسن رواية أنها: المرافق.

وقال زيد بن أسلم: العبقري أحمر وأصفر وأخضر.

وسئل العلاء بن زيد، عن العبقري فقال: البسط أسفل من ذلك.

وقال أبو حزرة يعقوب بن مجاهد: العبقري من ثياب أهل الجنة لا يعرفه أحد.

وقال أبو العالية: العبقري: الطنافس المخملة إلى الرقة ما هي.

وقال [القتبي][(٢)]: كل ثوب موشى عند العرب عبقري.

وقال أبو عبيدة: هو منسوب إلى أرض يعمل بها الوشي.

وقال الخليل بن أحمد: كل شيء نفيس من الرجال وغير ذلك يسمى عند العرب: عبقرياً[(٣)]، ومنه قول النبي ﷺ في عمر: «فلم أرَ عبقرياً يفري فريه»[(٤)].

وعلى كل تقدير فصفة مرافق أهل الجنتين الأوليين أرفع وأعلى من هذه الصفة فإنه قد قال هناك: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾ فنعت بطائن فرشهم وسكت عن ظهائرها اكتفاء بما مدح به البطائن بطريق الأولى والأحرى وتمام الخاتمة أنه قال بعد الصفات المتقدمة ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾﴾؟ فوصف أهلها بالإحسان، وهو أعلى المراتب والنهايات كما في حديث جبريل لما سأل عن الإسلام ثم الإيمان ثم الإحسان، فهذه وجوه عديدة في تفضيل الجنتين الأوليين على هاتين الأخريين، ونسأل الله الكريم الوهاب أن يجعلنا من أهل الأوليين.

ثم قال: ﴿تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾﴾ أي: هو أهل أن يُجلَّ فلا يعصى، وأن يكرم فيعبد، ويشكر فلا يكفر، وأن يذكر فلا ينسى، وقال ابن عباس: ﴿ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ ذي العظمة والكبرياء[(٥)].

وقال الإمام أحمد: حدثنا موسى بن داود، حدثنا عبد الرحمٰن بن ثابت بن ثوبان، عن عمير بن هانئ، عن أبي العذراء، عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: «أجِلّوا الله يغفر لكم»[(٦)].

وفي الحديث الآخر: «إن من إجلال الله إكرام ذي الشيبة المسلم، وذي السلطان، وحامل القرآن غير المغالي فيه ولا الجافي عنه»[(٧)].

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة بسند حسن من طريق رباح بن أبي معروف عن مجاهد. (المصنف ٨/ ٨٥).

(٢) كذا في (ح) و(حم) وتفسير البغوي ولكنه غير منقوط، وفي الأصل صُحف إلى: «القمي».

(٣) ذكر البغوي قول القتيبي وأبي عبيدة والخليل. (معالم التنزيل ٤/ ٢٧٨).

(٤) أخرجه البخاري (الصحيح، المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام ح٣٦٣٣) ومسلم (الصحيح، فضائل الصحابة، باب فضائل عمر رضي الله عنه ح٢٦٧٦).

(٥) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس.

(٦) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه وفي آخره: قال ابن ثوبان يعني أسلموا (المسند ٣٦/ ٦٣ ح٢١٧٣٤) وضعف سنده محققوه لجهالة أبي العذراء.

(٧) أخرجه أبو داود من حديث أبي موسىٰ الأشعري رضي الله عنه. (السنن، الأدب، باب في تنزيل الناس منازلهم ح٤٨٤٣) وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح٤٠٥٣).

وقال الحافظ أبو يعلى: حدثنا أبو يوسف الحربي، حدثنا مؤمل بن إسماعيل، حدثنا حماد، حدثنا حميد الطويل، عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: «ألظُّوا بيا ذا الجلال والإكرام»[١]. وكذا رواه الترمذي، عن محمود بن غيلان، عن مؤمل بن إسماعيل، عن حماد بن سلمة به، ثم قال: غلط المؤمل فيه، وهو غريب وليس بمحفوظ، وإنما يروى هذا عن حماد بن سلمة، عن حميد، عن الحسن، عن النبي ﷺ[٢].

وقد قال الإمام أحمد: حدثنا إبراهيم بن إسحاق، حدثنا عبد الله بن المبارك، عن يحيى بن حسان المقدسي، عن ربيعة بن عامر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ألظُّوا بذي الجلال والإكرام»[٣]. ورواه النسائي من حديث عبد الله بن المبارك به[٤].

وقال الجوهري: ألظ فلان بفلان: إذا لزمه، وقول ابن مسعود: ألظُّوا بياذا الجلال والإكرام؛ أي: الزموا، يقال: الإلظاظ: هو الإلحاح.

(قلت): وكلاهما قريب من الآخر، والله أعلم، وهو المداومة واللزوم والإلحاح.

وفي صحيح مسلم والسنن الأربعة من حديث عبد الله بن الحارث، عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ إذا سلم لا يقعد يعني بعد الصلاة إلا بقدر ما يقول: «اللَّهم أنت السلام ومنك السلام تباركت ذا الجلال والإكرام»[٥].

آخر تفسير سورة الرحمٰن، ولله الحمد والمنة.

---

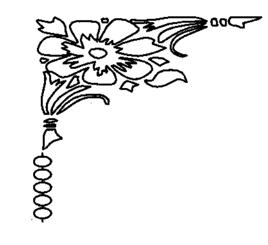
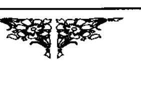
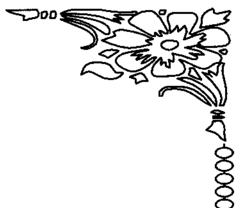
(١) أخرجه أبو يعلى بسنده ومتنه (المسند ٦/ ٤٤٥ ح٣٧٣٣) وله شاهد يأتي يتقوىٰ به.

(٢) السنن، الدعوات، باب ٩٩ (ح٣٥٢٣) ويشهد له ما يلي.

(٣) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه. (المسند ٢٩/ ١٣٨ ح١٧٥٩٦) وصحح سنده محققوه. وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (ح١٥٣٦).

(٤) السنن الكبرىٰ، النعوت، باب ذو الجلال والإكرام (ح٧٧١٦) وسنده صحيح.

(٥) صحيح مسلم، المساجد، باب استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفته (ح٥٩١).

سُورَةُ الوَاقِعَةِ

وهي مكية

قال أبو إسحاق: عن عكرمة، عن ابن عباس قال: قال أبو بكر: يا رسول الله قد شِبتَ، قال: «شيبتني هود، والواقعة، والمرسلات، و﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ۝﴾ [النبأ]، و﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝﴾» [التكوير]. رواه الترمذي وقال: حسن غريب(١). قال الحافظ ابن عساكر في ترجمة عبد الله بن مسعود بسنده إلى عمرو بن الربيع بن طارق المصري، حدثنا السري بن يحيى الشيباني، عن أبي شجاع، عن أبي ظبية قال: مرض عبد الله مرضه الذي توفي فيه، فعاده عثمان بن عفان فقال: ما تشتكي؟ قال: ذنوبي. قال: فما تشتهي؟ قال: رحمة ربي. قال: ألا آمر لك بطبيب؟ قال: الطبيب أمرضني. قال: ألا آمر لك بعطاء؟ قال: لا حاجة لي فيه؟ قال: يكون لبناتك من بعدك. قال: أتخشى على بناتي الفقر؟ إني أمرت بناتي يقرأنَّ كل ليلة سورة الواقعة، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة أبداً» ثم قال ابن عساكر: كذا قال، والصواب عن شجاع كما رواه عبد الله بن وهب، عن السري. وقال عبد الله بن وهب: أخبرني السري بن يحيى أن شجاعاً حدثه عن أبي ظبية، عن عبد الله بن مسعود قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة أبداً» فكان أبو ظبية لا يدعها، وكذا رواه أبو يعلى عن إسحاق بن إبراهيم، عن محمد بن منيب، عن السري بن يحيى، عن شجاع، عن أبي ظبية، عن ابن مسعود به(٢).

ثم رواه أبو يعلى عن إسحاق بن أبي إسرائيل، عن محمد بن منيب العدني، عن السري بن يحيى، عن أبي ظبية، عن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: «من قرأ سورة الواقعة في كل ليلة لم تصبه فاقة أبداً»(٣) لم يذكر في مسنده شجاعاً قال: وقد أمرت بناتي أن يقرأنها كل ليلة. وقد رواه ابن عساكر أيضاً من حديث حجاج بن نصير وعثمان بن اليمان، عن السري بن يحيى، عن شجاع، عن أبي فاطمة قال: مرض عبد الله فأتاه عثمان بن عفان يعوده، فذكر الحديث بطوله، قال عثمان بن اليمان: كان أبو فاطمة هذا مولى لعلي بن أبي طالب.

وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق، حدثنا إسرائيل ويحيى بن آدم، حدثنا إسرائيل، عن سماك بن حرب أنه سمع جابر بن سمرة يقول: كان رسول الله ﷺ يصلي الصلوات كنحو من

---

(١) تقدم تخريجه في مطلع تفسير سورة هود.

(٢) أخرجه ابن عساكر (تاريخ دمشق ٣٦/ ٤٤٤)، الحديث ضعفه ابن الجوزي (العلل المتناهية ١/ ١١٢ - ١١٣) وابن عراق (تنزيه الشريعة ١/ ٣٠١) وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة (ح٢٨٩).

(٣) أخرجه أبو بكر بن السني عن أبي يعلىٰ به (عمل اليوم والليلة ح٦٧٤) وسنده ضعيف كسابقه.

صلاتكم التي تصلون اليوم، ولكنه كان يخفف، وكانت صلاته أخفَّ من صلاتكم، وكان يقرأ في الفجر الواقعة ونحوها من السور[١].

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ① لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ② خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ③ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ④ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ⑤ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ⑥ وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ⑦ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ⑧ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ⑨ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ⑩ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ⑪ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ⑫﴾.

الواقعة من أسماء يوم القيامة سميت بذلك لتحقق كونها ووجودها كما قال تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ⑮﴾ [الحاقة].

قوله تعالى: ﴿لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ②﴾ أي: ليس لوقوعها إذا أراد الله كونها صارف يصرفها ولا دافع يدفعها كما قال: ﴿ٱسْتَجِيبُوا۟ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ﴾ [الشورى: ٤٧] وقال: ﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ① لِّلْكَٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ ②﴾ [المعارج] وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ٧٣].

ومعنى ﴿كَاذِبَةٌ﴾ كما قال محمد بن كعب: لا بدّ أن تكون.

وقال قتادة: ليس فيها مثنوية ولا ارتداد ولا رجعة[٢].

قال ابن جرير: والكاذبة مصدر كالعاقبة والعافية[٣].

وقوله تعالى: ﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ③﴾ أي: تخفض أقواماً إلى أسفل سافلين إلى الجحيم، وإن كانوا في الدنيا أعزاء، وترفع آخرين إلى أعلى عليين إلى النعيم المقيم، وإن كانوا في الدنيا وضعاء، هكذا قال الحسن وقتادة وغيرهما[٤].

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا يزيد بن عبد الرحمٰن بن مصعب المعني، حدثنا حميد بن عبد الرحمٰن الرؤاسي، عن أبيه، عن سماك، عن عكرمة، عن ابن عباس ﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ③﴾ تخفض أقواماً وترفع آخرين[٥].

وقال عبيد الله العتكي: عن عثمان بن سراقة ابن خالة عمر بن الخطاب ﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ③﴾ قال: الساعة خفضت أعداء الله إلى النار ورفعت أولياء الله إلى الجنة[٦].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٣٤/ ٥٠٤ ح٢٠٩٩٥) وقال محققوه: صحيح لغيره، وهذا إسناد حسن من أجل سماك بن حرب.

(٢) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٣) ذكره الطبري بنحوه.

(٤) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٥) سنده حسن.

(٦) أخرجه الطبري من طريق عبيد الله العتكي به، ويشهد له سابقه ولاحقه.

وقال محمد بن كعب: تخفض رجالاً كانوا في الدنيا مرتفعين، وترفع رجالاً كانوا في الدنيا مخفوضين.

وقال السدي: خفضت المتكبرين ورفعت المتواضعين.

وقال العوفي، عن ابن عباس: ﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ۝٣﴾ أسمعت القريب والبعيد[١].

وقال عكرمة: خفضت فأسمعت الأدنى، ورفعت فأسمعت الأقصى[٢]، وكذا قال الضحاك وقتادة[٣].

وقوله تعالى: ﴿إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ۝٤﴾ أي: حركت تحريكاً فاهتزت واضطربت بطولها وعرضها، ولهذا قال ابن عباس ومجاهد وقتادة وغير واحد في قوله تعالى: ﴿إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ۝٤﴾ أي: زلزلت زلزالاً[٤].

وقال الربيع بن أنس: ترج بما فيها كرج الغربال بما فيه[٥]، وهذا كقوله تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١﴾ [الزلزلة] وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ۝١﴾ [الحج].

وقوله تعالى: ﴿وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ۝٥﴾ أي: فتتت فتاً، قاله ابن عباس ومجاهد وعكرمة وقتادة وغيرهم[٦].

وقال ابن زيد: صارت الجبال كما قال الله تعالى[٧]: ﴿كَثِيبًا مَّهِيلًا﴾ [المزمل: ١٤].

وقوله تعالى: ﴿فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ۝٦﴾ قال أبو إسحاق: عن الحارث، عن علي رضي الله عنه: هباء منبثاً كرهج الغبار يسطع ثم يذهب فلا يبقى منه شيء[٨].

وقال العوفي، عن ابن عباس في قوله: ﴿فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ۝٦﴾ الهباء الذي يطير من النار إذا اضطرمت يطير منه الشرر فإذا وقع لم يكن شيئاً[٩].

وقال عكرمة: المنبث الذي قد ذرته الريح وبثته[١٠].

---

(١) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به، ويتقوىٰ بما رواه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة بلفظه.

(٢) أخرجه الطبري بسند فيه ابن حميد وهو محمد بن حميد الرازي: ضعيف ويتقوىٰ بسابقه ولاحقه.

(٣) أخرجه الطبري بسند ضعيف فيه إبهام شيخ الطبري، وأخرجه أيضاً بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٤) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وأخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد، وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة.

(٥) لم أجد من أخرجه.

(٦) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وأخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد، وأخرجه الطبري عن عكرمة بسند ضعيف فيه حفص بن عمر وهو ضعيف، ويتقوىٰ بما سبق.

(٧) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

(٨) أخرجه الثوري والطبري من طريق الحارث، وهو الأعور وهو ضعيف عن علي رضي الله عنه، ومعناه صحيح.

(٩) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به.

(١٠) يشهد له ما سبق.

وقال قتادة: ﴿هَبَآءً مُّنۢبَثًّا﴾ كيبيس الشجر الذي تذروه الرياح[١]. وهذه الآية كأخواتها الدالة على زوال الجبال عن أماكنها يوم القيامة وذهابها وتسييرها ونسفها وصيرورتها كالعهن المنفوش.

وقوله تعالى: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ﴿٧﴾﴾ أي: ينقسم الناس يوم القيامة إلى ثلاثة أصناف: قوم عن يمين العرش، وهم الذين خرجوا من شقِّ آدم الأيمن، ويؤتون كتبهم بأيمانهم ويؤخذ بهم ذات اليمين.

وقال السدي: وهم جمهور أهل الجنة، وآخرون عن يسار العرش وهم الذين خرجوا من شقِّ آدم الأيسر ويؤتون كتبهم بشمالهم ويؤخذ بهم ذات الشمال وهم عامة أهل النار - عياذاً بالله من صنيعهم - وطائفة سابقون بين يديه، وهم أخصُّ وأحظى وأقرب من أصحاب اليمين الذين هم سادتهم، فيهم الرسل والأنبياء والصديقون والشهداء، وهم أقلُّ عدداً من أصحاب اليمين، ولهذا قال تعالى: ﴿فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿٩﴾ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾﴾ وهكذا قسمهم إلى هذه الأنواع الثلاثة في آخر السورة وقت احتضارهم، وهكذا ذكرهم في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ﴾ الآية [فاطر: ٣٢]. وذلك على أحد القولين في الظالم لنفسه كما تقدم بيانه.

قال سفيان الثوري، عن جابر الجعفي، عن مجاهد، عن ابن عباس في قوله: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ﴿٧﴾﴾ قال: هي التي في سورة الملائكة ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ﴾[٢].

وقال ابن جريج، عن ابن عباس: هذه الأزواج الثلاثة هم المذكورون في آخر السورة وفي سورة الملائكة[٣].

وقال يزيد الرقاشي: سألت ابن عباس عن قوله: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ﴿٧﴾﴾ قال: أصنافاً ثلاثة[٤].

وقال مجاهد: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ﴿٧﴾﴾ يعني: فرقاً ثلاثة.

وقال ميمون بن مهران: أفواجاً ثلاثة.

وقال عبيد الله العتكي، عن عثمان بن سراقة ابن خالة عمر بن الخطاب ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ﴿٧﴾﴾ اثنان في الجنة وواحد في النار[٥].

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا محمد بن الصباح، حدثنا الوليد بن أبي ثور، عن سماك، عن النعمان بن بشير قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴿٧﴾﴾ [التكوير] قال:

---

(١) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.
(٢) سنده ضعيف لضعف جابر الجعفي ويتقوىٰ بما يليه.
(٣) سنده ضعيف لأن ابن جريج لم يلق ابن عباس ويتقوىٰ بما يليه.
(٤) عزاه السيوطي إلىٰ ابن أبي حاتم.
(٥) أخرجه الطبري بسند فيه ابن حميد وهو محمد بن حميد الرازي وهو ضعيف.

الضُرباء[1]، كل رجل من كل قوم كانوا يعملون عمله، وذلك بأن الله تعالى يقول: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ⑦ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ⑧ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ⑨ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ⑩﴾ قال: هم الضرباء[2].

وقال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن عبد الله بن المثنى، حدثنا البراء الغنوي، حدثنا الحسن، عن معاذ بن جبل أن رسول الله ﷺ تلا هذه الآية ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ㉗﴾ [الواقعة: ٢٧]. ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ㊶﴾ [الواقعة] فقبض بيده قبضتين فقال: «هذه للجنة ولا أبالي، وهذه للنار ولا أبالي»[3].

وقال الإمام أحمد أيضاً: حدثنا حسن: حدثنا ابن لهيعة، حدثنا خالد بن أبي عمران، عن القاسم بن محمد، عن عائشة، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أتدرون من السابقون إلى ظل الله يوم القيامة؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «الذين إذا أعطوا الحق قبلوه وإذا سئلوه بذلوه وحكموا للناس كحكمهم لأنفسهم»[4].

وقال محمد بن كعب وأبو حرزة ويعقوب بن مجاهد: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ⑩﴾ هم الأنبياء عليهم السلام.

وقال السدي: هم أهل عليين.

وقال ابن أبي نجيح، عن مجاهد، عن ابن عباس ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ⑩﴾ قال: يوشع بن نون، سبق إلى موسى، ومؤمن آل يس سبق إلى عيسى، وعلي بن أبي طالب سبق إلى محمد رسول الله ﷺ. رواه ابن أبي حاتم، عن محمد بن هارون الفلاس، عن عبد الله بن إسماعيل المدائني البزار، عن شعيب بن الضحاك المدائني، عن سفيان بن عيينة، عن ابن أبي نجيح به[5].

وقال ابن أبي حاتم: وذُكر عن محمد بن أبي حماد، حدثنا مهران، عن خارجة، عن قُرَّة، عن ابن سيرين ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ⑩﴾ الذين صلوا إلى القبلتين[6]. ورواه ابن جرير من حديث خارجة به[7].

وقال الحسن وقتادة: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ⑩﴾ أي: من كل أمة[8].

وقال الأوزاعي، عن عثمان بن أبي سودة أنه قرأ هذه الآية ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ⑩ أُوْلَٰٓئِكَ

---

(١) أي: الأمثال والنظراء (لسان العرب ١/٥٤٨).

(٢) سنده ضعيف لضعف الوليد بن أبي ثور. (التقريب ص٥٨٢).

(٣) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٣٥/ ٣٩٥ ح٢٢٠٧٧) وضعف سنده محققوه لضعف البراء وعدم سماع الحسن من معاذ رضي الله عنه.

(٤) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٤٠/ ٤٤٠ ح٢٤٣٧٩) وضعف سنده محققوه وأعلُّوه بابن لهيعة وإنه تفرد به.

(٥) في سنده شعيب بن الضحاك المدائني سكت عنه ابن أبي حاتم (الجرح والتعديل ٤/٣٤٨) وكذا الخطيب البغدادي (تاريخ بغداد ٩/ ٢٤٢).

(٦) سنده ضعيف لعدم التصريح باسم شيخ ابن أبي حاتم. ومعناه صحيح كما قرر الحافظ.

(٧) أخرجه الطبري عن ابن حميد عن مهران عن خارجة به، وفي سنده ابن حميد وهو محمد بن حميد الرازي وهو ضعيف، ومعناه صحيح كما قرر الحافظ ابن كثير.

(٨) عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد عن قتادة، ومعناه صحيح كما قرر الحافظ ابن كثير.

ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾﴾ ثم قال: أولهم رواحاً إلى المسجد وأولهم خروجاً في سبيل الله(١)، وهذه الأقوال كلها صحيحة فإن المراد بالسابقين هم المبادرون إلى فعل الخيرات كما أمروا، كما قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ [آل عمران: ١٣٣] وقال تعالى: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الحديد: ٢٢] وقال: فمن سابق في هذه الدنيا وسبق إلى الخير كان في الآخرة من السابقين إلى الكرامة، فإن الجزاء من جنس العمل، وكما تدين تدان، ولهذا قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾﴾.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا يحيى بن زكريا الفزاري الرازي، حدثنا خارجة بن مصعب، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن عبد الله بن عمرو قال: قالت الملائكة: يا ربِّ جعلت لبني آدم الدنيا فهم يأكلون ويشربون ويتزوجون فاجعل لنا الآخرة، فقال: لا أفعل، فراجعوا ثلاثاً فقال: لا أجعل من خلقت بيدي كمن قلت له كن فيكون. ثم قرأ عبد الله ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾﴾(٢). وقد روى هذا الأثر الإمام عثمان بن سعيد الدارمي في كتابه الرد على الجهمية ولفظه: فقال الله ﷻ: لن أجعل صالح ذرية من خلقت بيدي كمن قلت له: كُنْ، فكان(٣).

﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴿١٤﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَٰبِلِينَ ﴿١٦﴾ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُوِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴿٢٦﴾﴾.

يقول تعالى مخبراً عن هؤلاء السابقين المقربين أنهم ثلة؛ أي: جماعة من الأولين وقليل من الآخرين، وقد اختلفوا في المراد بقوله الأولين والآخرين فقيل: المراد بالأولين الأمم الماضية وبالآخرين هذه الأُمة، وهذا رواية عن مجاهد والحسن البصري(٤)، رواها عنهما ابن أبي حاتم: وهو اختيار ابن جرير واستأنس بقوله ﷺ: «نحن الآخرون السابقون يوم القيامة»(٥) ولم يحك غيره ولا عزاه إلى أحد، ومما يستأنس به لهذا القول ما رواه الإمام أبو محمد بن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا محمد بن عيسى بن الطباع، حدثنا شريك، عن محمد بن عبد الرحمٰن، عن أبيه، عن أبي هريرة قال: لما نزلت ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴿١٤﴾﴾ شقَّ ذلك على

---

(١) عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

(٢) سنده ضعيف جداً لأن خارجة بن مصعب متروك. وكذبه ابن معين (التقريب ص١٨٦).

(٣) عزاه ابن كثير إلى عثمان بن سعيد الدارمي مرفوعاً (البداية والنهاية ١/ ٥٥) وأخرجه ابن الجوزي من حديث عبد الله بن عمر. وقال: لا يصح (العلل المتناهية ١/ ٤٨).

(٤) أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد، وذلك في تفسير الآية ٣٩ من هذه السورة الكريمة، وكذا أخرجه الطبري عن الحسن وفي سنده ابن حميد وهو محمد بن حميد الرازي وهو ضعيف.

(٥) تقدم تخريجه في تفسير سورة البقرة آية ٢٢٤.

أصحاب النبي ﷺ فنزلت ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٣٩ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ۝٤٠﴾ [الواقعة] فقال النبي ﷺ: «إني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة ثلث أهل الجنة، بل أنتم نصف أهل الجنة أو شطر أهل الجنة وتقاسمونهم النصف الثاني»[١]. ورواه الإمام أحمد، عن أسود بن عامر، عن شريك، عن محمد بياع الملاء، عن أبيه، عن أبي هريرة... فذكره[٢].

وقد روي من حديث جابر نحو هذا، ورواه الحافظ ابن عساكر من طريق هشام بن عمارة، حدثنا عبد ربه بن صالح، عن عروة بن رويم، عن جابر بن عبد الله، عن النبي ﷺ: لما نزلت «﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ۝١﴾ [الواقعة]» ذكر فيها «﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٣ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ۝١٤﴾» قال عمر: يا رسول الله ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٣﴾ وقليل منا؟ [قال: فأمسك][٣] آخر السورة سنة ثم نزل: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٣٩ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ۝٤٠﴾ [القيامة] فقال رسول الله ﷺ: «يا عمر تعال فاسمع ما قد أنزل الله: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٣٩ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ۝٤٠﴾ [القيامة] ألا وإن من آدم إلي ثلة وأمتي ثلة، ولن نستكمل ثلتنا حتى نستعين بالسودان من رعاة الإبل ممن شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له»[٤] هكذا أورده في ترجمة عروة بن رويم إسناداً ومتناً، ولكن في إسناده نظر، وقد وردت طرق كثيرة متعددة بقوله ﷺ: «إني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة»[٥] الحديث بتمامه وهو مفرد في صفة الجنة، ولله الحمد والمنة.

وهذا الذي اختاره ابن جرير هٰهنا فيه نظر بل هو قول ضعيف؛ لأن هذه الأمة هي خير الأمم بنصِّ القرآن، فيبعد أن يكون المقربون في غيرها أكثر منها، اللَّهمَّ إلا أن يقابل مجموع الأمم بهذه الأمة، والظاهر أن المقربين من هؤلاء أكثر من سائر الأمم والله أعلم.

فالقول الثاني في هذا المقام هو الراجح، وهو أن يكون المراد بقوله تعالى: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٣﴾ أي: من صدر هذه الأمة ﴿وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ۝١٤﴾ أي: من هذه الأمة.

قال ابن أبي حاتم: حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح، حدثنا عفان، حدثنا عبد الله بن بكر المزني، سمعت الحسن أتى على هذه الآية ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝١١﴾ فقال: أما السابقون فقد مَضَوا ولكن اللَّهم اجعلنا من أصحاب اليمين[٦].

ثم قال: حدثنا أبي، حدثنا أبو الوليد، حدثنا السري بن يحيى قال: قرأ الحسن ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝١١ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝١٢ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٣﴾ قال ثلة ممن مضى من هذه الأمة[٧]. وحدثنا أبي، حدثنا عبد العزيز بن المغيرة المنقري، حدثنا أبو هلال، عن محمد بن سيرين أنه قال في هذه الآية ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٣ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ۝١٤﴾ قال: كانوا يقولون أو

---

(١) سنده ضعيف لجهالة والد محمد بن عبد الرحمٰن وهو عبد الرحمٰن بن خالد بن ميسرة. وشريك هو ابن عبد الله النخعي صدوق سيء الحفظ.

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ١٥/ ٣٨ ح٩٠٨٠) وقال محققوه: حسن لغيره وهذا إسناد ضعيف.

(٣) زيادة من (حم) و(ح)، وفي الأصل بياض.

(٤) تاريخ دمشق ١١/ل ٢٧٩، وسنده ضعيف لانقطاعه بين عروة بن رويم وجابر لأنه لم يسمع منه.

(٥) صحيح البخاري، أحاديث الأنبياء، باب قصة يأجوج ومأجوج (ح٣٣٤٨).

(٦) سنده حسن.

(٧) سنده حسن.

يرجون أن يكونوا كلهم من هذه الأمة[١]، فهذا قول الحسن وابن سيرين أن الجميع من هذه الأُمة، ولا شك أن أول كل أُمة خير من آخرها، فيحتمل أن تعمَّ الآية جميع الأُمم كل أمة بحسبها، ولهذا ثبت في الصحاح وغيرها من غير وجه أن رسول الله ﷺ قال: «خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم» الحديث بتمامه[٢].

فأما الحديث الذي رواه الإمام أحمد: حدثنا عبد الرحمٰن، حدثنا زياد أبو عمر، عن الحسن، عن عمار بن ياسر قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل أُمتي مثل المطر لا يُدرى أوله خير أم آخره»[٣] فهذا الحديث، بعد الحكم بصحة إسناده، محمول على أن الدين كما هو محتاج إلى أول الأمة في إبلاغه إلى من بعدهم، كذلك هو محتاج إلى القائمين به في أواخرها وتثبيت الناس على السنة وروايتها وإظهارها، والفضل للمتقدم وكذلك الزرع هو محتاج إلى المطر الأول وإلى المطر الثاني، ولكن العمدة الكبرى على الأول واحتياج الزرع إليه آكد، فإنه لولاه ما نبت في الأرض ولا تعلق أساسه فيها ولهذا قال ﷺ: «لا تزال طائفة من أُمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم إلى قيام الساعة» وفي لفظ «حتى يأتي أمر الله تعالى وهم كذلك»[٤] والغرض أن هذه الأمة أشرف من سائر الأمم، والمقربون فيها أكثر من غيرها وأعلى منزلة لشرف دينها وعظم نبيها، ولهذا ثبت بالتواتر عن رسول الله ﷺ، أنه أخبر أن في هذه الأمة سبعين ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب وفي لفظ «مع كل ألف سبعون ألفاً» وفي آخر: «مع كل واحد سبعون ألفاً»[٥].

وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني: حدثنا هشام بن يزيد الطبراني، حدثنا محمد هو ابن إسماعيل بن عياش، حدثني أبي، حدثني ضمضم يعني ابن زرعة، عن شريح هو ابن عبيد، عن أبي مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «أما والذي نفسي بيده ليبعثن منكم يوم القيامة مثل الليل الأسود زمرة جميعها يحيطون الأرض، تقول الملائكة لما جاء مع محمد ﷺ أكثر مما جاء مع الأنبياء عليهم السلام»[٦].

وحسن أن يذكر هٰهنا عند قوله تعالى: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴿١٤﴾﴾ الحديث الذي رواه الحافظ أبو بكر البيهقي في دلائل النبوة حيث قال: أخبرنا أبو نصر بن قتادة، أخبرنا أبو عمرو بن مطر، أخبرنا جعفر بن محمد بن المستفاض الفريابي، حدثني أبو وهب الوليد بن عبد الملك بن عبيد الله بن مسرح الحراني، حدثنا سليمان بن عطاء القرشي الحراني، عن مسلمة بن عبد الله الجهني، عن عمه أبي مشجعة بن ربعي، عن أبي زمل الجهني رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا صلى الصبح يقول وهو ثان رجليه: «سبحان الله وبحمده أستغفر الله إن الله كان

---

(١) سنده حسن، وأبو هلال هو محمد بن سليم الراسبي البصري.
(٢) تقدم تخريجه في تفسير سورة الفرقان آية ٣٨.
(٣) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٣١/ ١٧٤ ح١٨٨٨١) وقال محققوه: حديث قوي بطرقه وشواهده وحسنه الحافظ ابن حجر بطرقه (فتح الباري ٧/ ٦).
(٤) تقدم تخريجه في تفسير سورة البقرة آية ١٢٩.
(٥) تقدم تخريجه في تفسير سورة آل عمران آية ١١٠.
(٦) أخرجه الطبراني (المعجم الكبير ٣/ ٢٩٧) وسنده ضعيف لانقطاعه فإن محمد بن إسماعيل بن عياش لم يسمع من أبيه كما في التقريب.

تواباً» سبعين مرة ثم يقول: «سبعين بسبعمائة لا خير لمن كانت ذنوبه في يوم واحد أكثر من سبعمائة» ثم يقول ذلك مرتين ثم يستقبل الناس بوجهه.

وكان رسول الله ﷺ تعجبه الرؤيا ثم يقول: «هل رأى أحد منكم شيئاً؟» قال أبو زمل: فقلت: أنا يا رسول الله، فقال: «خير تلقاه، وشر توقاه، وخير لنا، وشر على أعدائنا الحمد لله رب العالمين اقصص رؤياك» فقلت: رأيت جميع الناس على طريق رحب سهل لاحب[١] والناس على الجادة منطلقين، فبينما هم كذلك إذ أشفى[٢] ذلك الطريق على مرج لم تر عيني مثله، يرف رفيفاً يقطر ماؤه فيه من أنواع الكلأ، قال: وكأني بالرعلة[٣] الأولى حين أشفوا على المرج كبَّروا ثم أكبوا رواحلهم في الطريق، فلم يظلموه[٤] يميناً ولا شمالاً، قال فكأني أنظر إليهم منطلقين، ثم جاءت الرعلة الثانية، وهم أكثر منهم أضعافاً فلما أشفوا على المرج كبروا ثم أكبوا رواحلهم في الطريق، فمنهم المرتع[٥]، ومنهم الآخذ الضغث[٦]، ومضوا على ذلك، قال: ثم قدم عظم الناس، فلما أشفوا على المرج كبروا وقالوا: هذا خير المنزل، كأني أنظر إليهم يميلون يميناً وشمالاً، فلما رأيت ذلك لزمت الطريق حتى آتى أقصى المرج، فإذا أنا بك يا رسول الله على منبر فيه سبع درجات وأنت في أعلاها درجة، وإذا عن يمينك رجل آدم شثل[٧] أقنى[٨] إذا هو تكلم يسمو، فيقرع[٩] الرجال طولاً، وإذا عن يسارك رجل ربعة باد كثير خيلان[١٠] الوجه، كأنما حمم[١١] شعره بالماء، إذا هو تكلم أصغيتم إكراماً له، وإذا أمام ذلك رجل شيخ أشبه الناس بك خلقاً ووجهاً كلكم تأمونه تريدونه، وإذا أمام ذلك ناقة عجفاء شارف[١٢]، وإذا أنت يا رسول الله كأنك تبعثها.

قال: فامتقع لون رسول الله ﷺ ساعة ثم سُرِيَ عنه، وقال رسول الله ﷺ: «أما ما رأيت من الطريق السهل الرحب اللاحب، فذاك ما حملتكم عليه من الهدى وأنتم عليه، وأما المرج الذي رأيت فالدنيا وغضارة عيشها، مضيت أنا وأصحابي لم نتعلق منها بشيء ولم تتعلق منا ولم نردها ولم تردنا، ثم جاءت الرعلة الثانية من بعدنا وهم أكثر منا أضعافاً، فمنهم المرتع ومنهم الآخذ الضغث ونجوا على ذلك، ثم جاء عُظْمُ الناس فمالوا في المرج يميناً وشمالاً فإنا لله وإنا إليه راجعون. وأما أنت فمضيت على طريقة صالحة، فلن تزال عليها حتى تلقاني، وأما المنبر الذي رأيت فيه سبع درجات وأنا في أعلاها درجة فالدنيا سبعة آلاف سنة، أنا في آخرها ألفاً، وأما الرجل الذي رأيت على يميني الآدم الشثل فذلك موسى عليه السلام، إذا تكلم يعلو الرجال بفضل كلام الله إياه، والذي رأيت عن يساري الباز الربعة الكثير خيلان الوجه كأنما حمم شعره بالماء، فذلك عيسى ابن مريم نكرمه لإكرام الله إياه، وأما الشيخ الذي رأيت أشبه الناس بي خلقاً ووجهاً

---

(١) أي: الطريق الواسع الذي لا ينقطع.
(٢) أي: أشرف عليه.
(٣) أي: القطعة من الفرسان.
(٤) أي: فلم يعدلوا منه.
(٥) أي الذي يدع ركابه ترتع من العشب.
(٦) أي الذي ينال حزمة من الحشيش، والمراد: نال من الدنيا شيئاً.
(٧) أي: غليظ الأصابع.
(٨) أي: الرجل ذو ارتفاع في أعلى أنفه.
(٩) أي: يعلوهم.
(١٠) أي: كثير الشامات في الوجه.
(١١) أي: سود.
(١٢) أي: ناقة مُسنة.

فذاك أبونا إبراهيم كلنا نؤمه ونقتدي به، وأما الناقة التي رأيت ورأيتني أبعثها فهي الساعة علينا تقوم لا نبي بعدي ولا أمة بعد أمتي» قال: فما سأل رسول الله ﷺ عن رؤيا بعد هذا إلا أن يجيئ الرجل فيحدثه بها متبرعاً»(١).

وقوله تعالى: ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ۝﴾ قال ابن عباس: أي مرمولة بالذهب(٢)؛ يعني: منسوجة به، وكذا قال مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وزيد بن أسلم وقتادة والضحاك وغيره(٣).

وقال السدي: مرمولة بالذهب واللؤلؤ.

وقال عكرمة: مشبكة بالدر والياقوت(٤).

وقال ابن جرير: ومنه يسمى وضين الناقة الذي تحت بطنها(٥)، وهو فعيل بمعنى مفعول لأنه مضفور، وكذلك السرر في الجنة مضفورة بالذهب واللآلئ.

وقوله تعالى: ﴿مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَـٰبِلِينَ ۝﴾ أي: وجوه بعضهم إلى بعض ليس أحد وراء أحد ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ۝﴾ أي: مخلدون على صفة واحدة لا يتكبرون عنها ولا يشيبون ولا يتغيرون ﴿بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ۝﴾ أما الأكواب فهي: الكيزان التي لا خراطيم لها ولا آذان، والأباريق التي جمعت الوصفين والكؤوس الهنابات، والجميع من خمر من عين جارية معين، ليس من أوعية تنقطع وتفرغ بل من عيون سارحة.

وقوله تعالى: ﴿لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ۝﴾ أي: لا تصدع رؤوسهم ولا تنزف عقولهم، بل هي ثابتة مع الشدة المطربة واللذة الحاصلة.

وروى الضحاك عن ابن عباس أنه قال: في الخمر أربع خصال: السكر، والصداع، والقيء، والبول(٦)، فذكر الله تعالى خمر الجنة ونزهها عن هذه الخصال. وقال مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وعطية وقتادة والسدي ﴿لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا﴾ يقول ليس لهم فيها صداع رأس(٧)، وقالوا في قوله: ﴿وَلَا يُنزِفُونَ﴾ أي: لا تذهب بعقولهم(٨).

وقوله تعالى: ﴿وَفَـٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ۝ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ۝﴾ أي: ويطوفون عليهم بما يتخيرون من الثمار، وهذه الآية دليل على جواز أكل الفاكهة على صفة التخير لها، ويدل على ذلك حديث عكراش بن ذؤيب الذي رواه الحافظ أبو يعلى الموصلي رحمه الله في مسنده، حدثنا

---

(١) أخرجه البيهقي (الدلائل ٧/ ٣٦، ٣٧) وسنده ضعيف جداً لأن سليمان بن عطاء القرشي يروي عن مسلمة بن عبد الله الجهني عن عمه أبي مشجعة بن ربعي أحاديث موضوعة وقد ذكر ابن حبان هذا الحديث مثالاً لها. (ينظر المجروحين ١/ ٣٢٥).

(٢) أخرجه هناد (الزهد رقم ٧٧) والطبري بسند صحيح من طريق مجاهد عن ابن عباس.

(٣) أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد، وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح من طريق معمر عن قتادة، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

(٤) أخرجه الطبري بسند فيه ابن حميد وهو محمد بن حميد الرازي وهو ضعيف.

(٥) ذكره الطبري بنحوه.

(٦) سنده ضعيف لأن الضحاك لم يلق ابن عباس.

(٧) أخرجه ابن أبي شيبة بسند صحيح من طريق حصين عن مجاهد، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٨) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

العباس بن الوليد الترسي، حدثنا العلاء بن الفضل بن عبد الملك بن أبي [سوية][(١)]، حدثنا عبيد الله بن عكراش، عن أبيه عكراش بن ذؤيب قال: بعثني بنو مرة في صدقات أموالهم إلى رسول الله ﷺ، فقدمت المدينة فإذا هو جالس بين المهاجرين والأنصار، وقدمت عليه بإبل كأنها عروق الأرطى[(٢)] قال: «من الرجل؟» قلت: عكراش بن ذؤيب، قال: «ارفع في النسب» فانتسبت له إلى مُرَّة بن عُبيد، وهذه صدقة مُرَّة بن عبيد، فتبسم رسول الله ﷺ وقال: «هذه إبل قومي هذه صدقات قومي» ثم أمر بها أن توسم بميسم إبل الصدقة وتضمّ: إليها، ثم أخذ بيدي فانطلقنا إلى منزل أُم سلمة فقال: «هل من طعام؟» فأتينا بجفنة كالقصعة كثيرة الثريد والوذر[(٣)]، فجعل يأكل منها فأقبلت أخبط بيدي في جوانبها فقبض رسول الله ﷺ بيده اليسرى على يدي اليمنى فقال: يا عكراش، كل من موضع واحد فإنه طعام واحد. ثم أتينا بطبق فيه تمر أو رطب شك عبيد الله رطباً كان أو تمراً، فجعلت آكل من بين يدي وجالت يد رسول الله ﷺ في الطبق وقال: يا عكراش، كل من حيث شئت فإنه غير لون واحد. ثم أتينا بماء فغسل رسول الله ﷺ يده ومسح ببلل كفيه وجهه وذراعيه ورأسه ثلاثاً ثم قال: «يا عكراش هذا الوضوء مما غيرت النار»[(٤)].

وهكذا رواه الترمذي مطولاً وابن ماجه جميعاً عن محمد بن بشار، عن أبي الهذيل العلاء بن الفضل به، وقال الترمذي: غريب لا نعرفه إلا من حديثه[(٥)].

وقال الإمام أحمد: حدثنا بهز بن أسد وعفان، وقال الحافظ أبو يعلى، حدثنا شيبان، قالوا: حدثنا سليمان بن المغيرة، حدثنا ثابت قال: قال أنس كان رسول الله ﷺ تعجبه الرؤيا، فربما رأى الرجل الرؤيا فسأل عنه إذا لم يكن يعرفه، فإذا أثنى عليه معروف كان أعجب لرؤياه إليه، فأتته امرأة فقالت: يا رسول الله رأيت كأني أتيت فأخرجت من المدينة فأدخلت الجنة، فسمعت وجبة انتحبت لها الجنة، فنظرت فإذا فلان بن فلان وفلان بن فلان فسمت اثني عشر رجلاً، كان النبي ﷺ قد بعث سرية قبل ذلك فجيء بهم عليهم ثياب طلس تشخب[(٦)] أوداجهم[(٧)]، فقيل: اذهبوا بهم إلى نهر البيدخ أو البيذخ[(٨)]، قال: فغمسوا فيه فخرجوا ووجوههم كالقمر ليلة البدر، فأتوا بصفحة من ذهب فيها بسر، فأكلوا من بسره ما شاءوا فما يقلبونها من وجه إلا أكلوا من الفاكهة ما أرادوا، وأكلت معهم فأتى البشير من تلك السرية، فقال ما كان من رؤيا كذا وكذا فأصيب فلان وفلان حتى عد اثني عشر رجلاً، فدعا رسول الله ﷺ المرأة، فقال قصِّي رؤياك،

---

(١) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل صحف إلى: «معاوية».
(٢) شجر عروقه حمر طوال ذاهبة في ثرىٰ الرمال الممطورة في الشتاء، شبه بها الإبل في اكتنازها وحمرة ألوانها.
(٣) أي: قطع من اللحم.
(٤) أخرجه ابن حبان من طريق العلاء بن الفضل بن عبد الملك به، وأعلَّه بالعلاء. (المجروحين ٢/ ١٨٣).
(٥) سنن الترمذي، الأطعمة، باب ما جاء في التسمية في الطعام (ح١٨٤٩)، وسنن ابن ماجه، الأطعمة، باب الأكل ما يليك (ح٣٢٧٤). وضعفه الألباني في ضعيف سنن الترمذي.
(٦) أي: تسيل.
(٧) أي: عروق الأخادع التي يقطعها الذابح.
(٨) أي: الممتلئ.

فقصتها، وجعلت تقول: فجيء بفلان وفلان كما قال[١]. هذا لفظ أبي يعلى، قال الحافظ الضياء: وهذا على شرط مسلم[٢].

وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني: حدثنا معاذ بن المثنى، حدثنا علي بن المديني، حدثنا ريحان بن سعيد، عن عباد بن منصور، عن أيوب، عن أبي قلابة، عن أبي أسماء، عن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الرجل إذا نزع ثمرة في الجنة عادت مكانها أخرى»[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾﴾ قال الإمام أحمد: حدثنا سيار بن حاتم، حدثنا جعفر بن سليمان الضبعي، حدثنا ثابت عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «إن طير الجنة كأمثال البُخت يرعى في شجر الجنة» فقال أبو بكر: يا رسول الله إن هذه لطير ناعمة، فقال: «آكلها أنعم منها ـ قالها ثلاثاً ـ وإني لأرجو أن تكون ممن يأكل منها»[٤]. انفرد به أحمد من هذا الوجه.

وروى الحافظ أبو عبد الله المقدسي في كتابه «صفة الجنة» من حديث إسماعيل بن علي الخطمي، عن أحمد بن علي الخيوطي، عن عبد الجبار بن عاصم، عن عبد الله بن زياد، عن زرعة، عن نافع، عن ابن عمر قال: ذكرت عند النبي ﷺ طوبى فقال رسول الله ﷺ: «يا أبا بكر هل بلغك ما طوبى؟» قال: الله ورسوله أعلم. قال: «طوبى شجرة في الجنة ما يعلم طولها إلا الله يسير الراكب تحت غصن من أغصانها سبعين خريفاً ورقها الحلل يقع عليها الطير كأمثال البخت» فقال أبو بكر: يا رسول الله إن هناك لطيراً ناعماً؟ قال: «أنعم منه من يأكله وأنت منهم إن شاء الله تعالى»[٥].

وقال قتادة في قوله تعالى: ﴿وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾﴾: وذُكر لنا أن أبا بكر قال: يا رسول الله إني أرى طيرها ناعمة كأهلها ناعمون، قال: «من يأكلها والله يا أبا بكر أنعم منها وإنها لأمثال البخت، وإني لأحتسب على الله أن تأكل منها يا أبا بكر»[٦].

وقال أبو بكر بن أبي الدنيا: حدثني مجاهد بن موسى، حدثنا معن بن عيسى، حدثني ابن أخي ابن شهاب، عن أبيه، عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ سئل عن الكوثر فقال: «نهر أعطانيه ربي ﷻ في الجنة أشد بياضاً من اللّبن وأحلى من العسل، فيه طيور أعناقها يعني كأعناق

---

(١) أخرجه أبو يعلىٰ بسنده ومتنه (المسند ٦/ ٤٤، ٤٥ ح٣٢٨٩) وصححه محققه، وأخرجه ابن حبان من طريق أبي يعلىٰ به (موارد الظمآن ح١٨٠٣)؛ وأخرجه الإمام أحمد بسنده المذكور بنحوه. (المسند ١٩/٣٧٨ ـ ٣٨٠ ح١٢٣٨٥) وصحح سنده محققوه.

(٢) المختارة (ح١٧١٦).

(٣) أخرجه الطبراني بسنده ومتنه (المعجم الكبير ٢/ ١٠٢ ح١٤٤٩) وسنده حسن، وذكره الهيثمي وقال: رواه الطبراني والبزار، ورجال الطبراني وأحد إسنادي البزار ثقات. (مجمع الزوائد ١٠/ ٤١٧).

(٤) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٢١/ ٣٤ ح١٣٣١١) وقال محققوه: صحيح، وهذا إسناد ضعيف لضعف سيار بن حاتم، وجوّد إسناد هذا الحديث المنذري في «الترغيب والترهيب ٤/ ٥٢٦» وصححه العراقي في تخريجه على الإحياء ٤/ ٥٤٠.اهـ.
وأخرجه الضياء المقدسي من طريق سيار به (المختارة ٥/ ١٣ ح١٦١٤).

(٥) يشهد له سابقه.

(٦) سنده منقطع لأن قتادة لم يسمع من أبي بكر ﷺ، ويتقوىٰ بالشواهد السابقة الثلاثة.

الجزر» فقال عمر: إنها لناعمة، قال رسول الله ﷺ: «آكلُها أنعمُ منها»[١] وكذا رواه الترمذي، عن عبد بن حميد، عن القعنبي، عن محمد بن عبد الله بن مسلم بن شهاب، عن أبيه، عن أنس، وقال حسن[٢].

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا علي بن محمد الطنافسي، حدثنا أبو معاوية، عن عبيد الله بن الوليد الوصافي، عن عطية العوفي، عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «إن في الجنة لطيراً فيه سبعون ألف ريشة فيقع على صفحة الرجل من أهل الجنة فينتفض، فيخرج من كل ريشة يعني لوناً أبيض من اللبن، وألين من الزبد وأعذب من الشهد، ليس منها لون يشبه صاحبه ثم يطير»[٣] هذا حديث غريب جداً، والوصافي وشيخه ضعيفان.

ثم قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا عبد الله بن صالح كاتب الليث، حدثني الليث، حدثنا خالد بن يزيد، عن سعيد بن أبي هلال، عن أبي حازم، عن عطاء، عن كعب قال: إن طائر الجنة أمثال البخت [يأكلن][٤] من ثمرات الجنة ويشرب من أنهار الجنة، فيصطففن له، فإذا اشتهى منها شيئاً أتى حتى يقع بين يديه، فيأكل من خارجه وداخله ثم يطير لم ينقص منه شيء، صحيح إلى كعب[٥].

وقال الحسن بن عرفة: حدثنا خلف بن خليفة، عن حميد الأعرج، عن عبد الله بن الحارث، عن عبد الله بن مسعود قال: قال لي رسول الله ﷺ: «إنك لتنظر إلى الطير في الجنة فتشتهيه فيخر بين يديك مشوياً»[٦].

وقوله تعالى: ﴿وَحُورٌ عِينٌ ۝ كَأَمْثَـٰلِ ٱللُّؤْلُوِ ٱلْمَكْنُونِ ۝﴾ قرأ بعضهم بالرفع، وتقديره: ولهم فيها حور عين! وقراءة الجر[٧] تحتمل معنيين: أحدهما: أن يكون الإعراب على الإتباع بما قبله كقوله تعالى: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ۝ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ۝ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ۝ وَفَـٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ۝ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ۝ وَحُورٌ عِينٌ ۝﴾ كما قال تعالى: ﴿وَٱمْسَحُوا۟ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ﴾ [المائدة: ٦] وكما قال تعالى: ﴿عَـٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ﴾ [الإنسان: ٢١].

والاحتمال الثاني أن يكون مما يطوف به الولدان المخلدون عليهم الحور العين، ولكن يكون ذلك في القصور لا بين بعضهم بعضاً، بل في الخيام يطوف عليهم الخدام بالحور العين، والله أعلم.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد من طريق عبد الله بن مسلم ابن أخي ابن شهاب عن ابن شهاب به بلفظ: «أكلتُها أنعمُ منها يا عمر». (المسند ٢١/ ٣٠ ح١٣٣٠٦) وصحح سنده محققوه.

(٢) أخرجه الترمذي بسنده ومتنه (سنن الترمذي، صفة الجنة، باب ما جاء في صفة طير أهل الجنة ح٢٥٤٢) وقال الألباني: حسن صحيح. (صحيح سنن الترمذي ح٢٠٦٣).

(٣) سنده ضعيف لضعف عطية والوصافي.

(٤) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل بياض مقدار كلمة ثم لفظ: «ما خلق».

(٥) صححه الحافظ ابن كثير، وكعب مشهور برواية الإسرائيليات.

(٦) في سنده خلف بن خليفة صدوق اختلط في الآخر. (التقريب ص١٩٤) وحميد الأعرج يقع في حديثه من الإنكار من جهة من يروي عنه. (تهذيب التهذيب ٢/ ٤٧) ويشهد له قوله تعالى: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ﴾ [الزخرف: ٧١].

(٧) القراءة بالرفع والجر متواترتان.

وقوله تعالى: ﴿كَأَمْثَلِ ٱللُّؤْلُوِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾﴾ أي: كأنهن اللؤلؤ الرطب في بياضه وصفائه كما تقدم في سورة الصافات ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾﴾ [الصافات] وقد تقدم في سورة الرحمٰن وصفهن أيضاً، ولهذا قال: ﴿جَزَآءَۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾﴾ أي: هذا الذي أتحفناهم به مجازاة لهم على ما أحسنوا من العمل.

ثم قال تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴿٢٦﴾﴾ أي: لا يسمعون في الجنة كلاماً لاغياً؛ أي: عبثاً خالياً من المعنى أو مشتملاً على معنى حقير أو ضعيف كما قال: ﴿لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةً ﴿١١﴾﴾ [الغاشية] أي: كلمة لاغية.

﴿وَلَا تَأْثِيمًا﴾ أي: ولا كلاماً فيه قبح ﴿إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴿٢٦﴾﴾ أي: إلا التسليم منهم بعضهم على بعض كما قال تعالى: ﴿تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ﴾ [إبراهيم: ٢٣] وكلامهم أيضاً سالم من اللّغو والإثم.

﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٤٠﴾﴾.

لما ذكر تعالى مآل السابقين وهم المقربون، عطف عليهم بذكر أصحاب اليمين وهم الأبرار، كما قال ميمون بن مهران أصحاب اليمين منزلتهم دون المقربين فقال: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾﴾ أي: أي شيء أصحاب اليمين وما حالهم وكيف مآلهم. ثم فسر ذلك فقال تعالى: ﴿فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾﴾ قال ابن عباس وعكرمة ومجاهد وابن الأحوص وقسامة بن زهير و[السفر بن نسير][(١)]، والحسن وقتادة وعبد الله بن كثير والسدي وأبو حزرة وغيرهم: هو الذي لا شوك فيه[(٢)].

وعن ابن عباس: هو الموقر بالثمر، وهو رواية عن عكرمة ومجاهد[(٣)]، وكذا قال قتادة أيضاً: كنا نحدث أنه الموقر الذي لا شوك به[(٤)]، والظاهر أن المراد هذا وهذا، فإن سِدر الدنيا كثير الشوك قليل الثمر، وفي الآخرة على العكس من هذا لا شوك فيه وفيه الثمر الكثير الذي قد أثقل أصله، كما قال الحافظ أبو بكر أحمد بن سلمان النجّاد، حدثنا محمد بن محمد هو البغوي، حدثني حمزة بن العباس، حدثنا عبد الله بن عثمان، حدثنا عبد الله بن المبارك، أخبرنا صفوان بن عمرو، عن سليم بن عامر قال: كان أصحاب رسول الله ﷺ يقولون: إن الله لينفعنا بالأعراب ومسائلهم، قال: أقبل أعرابي يوماً فقال: يا رسول الله ذكر الله في الجنة شجرة تؤذي صاحبها،

---

(١) السفر بن نسير كذا في الطبري وترجمته في التقريب ص٢٤٣ وفي الأصل: «السفر بن قيس».

(٢) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وأخرجه هناد (الزهد رقم ١٠٩) والطبري بسند صحيح من طريق حبيب بن أبي ثابت عن عكرمة وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق عوف الأعرابي عن قسامة بن زهير، وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن قتادة.

(٣) أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.

(٤) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

فقال رسول الله: «وما هي؟» قال: السدر فإن له شوكاً مؤذياً. فقال رسول الله ﷺ: «أليس الله تعالى يقول: ﴿فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾﴾؟ خضد الله شوكه فجعل مكان كل شوكة ثمرة، فإنها لتنبت ثمراً تفتق الثمرة منها عن اثنين وسبعين لوناً من طعام، ما فيها من لون يشبه الآخر»[١].

طريق آخر:

قال أبو بكر بن أبي داود: حدثنا محمد بن المصفى، حدثنا محمد بن المبارك، حدثني يحيى بن حمزة، حدثني ثور بن يزيد، حدثني حبيب بن عبيد، عن عتبة بن عبد السلمي قال: كنت جالساً مع رسول الله ﷺ: فجاء أعرابي فقال: يا رسول الله أسمعك تذكر في الجنة شجرة لا أعلم شجراً أكثر شوكاً منها؛ يعني: الطلح، فقال رسول الله ﷺ: «إن الله يجعل مكان كل شوكة منها ثمرة مثل خصوة التيس الملبود[٢]، فيها سبعون لوناً من الطعام لا يشبه لون الآخر»[٣].

وقوله: ﴿وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾﴾ الطلح شجر عظام يكون بأرض الحجاز من شجر العضاه واحدته طلحة، وهو شجر كثير الشوك، وأنشد ابن جرير لبعض الحُداة:

بشرها دليلها وقالا   غداً ترين الطلح والجبالا[٤]

وقال مجاهد: ﴿مَّنضُودٍ﴾ أي: متراكم الثمر يذكر بذلك قريشاً لأنهم كانوا يعجبون من وجّ[٥] وظلاله من طلح وسدر[٦].

وقال السدي: ﴿مَّنضُودٍ﴾ مصفود.

قال ابن عباس: يشبه طلح الدنيا، ولكن له ثمر أحلى من العسل، قال الجوهري: والطلح لغة في الطلع. قلت: وقد روى ابن أبي حاتم من حديث الحسن بن سعد، عن شيخ من همدان قال: سمعت علياً يقول هذا الحرف في طلح منضود، قال: طلع منضود، فعلى هذا يكون من صفة السدر، فكأنه وصفه بأنه مخضود، وهو الذي لا شوك له، وأن طلعه منضود وهو كثرة ثمره[٧]، والله أعلم.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا أبو معاوية، عن إدريس، عن جعفر بن إياس، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد ﴿وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾﴾ قال: الموز[٨]، قال وروي عن ابن

---

(١) أخرجه الحاكم من طريق بشر بن بكر عن صفوان بن عمرو به عن أبي أُمامة وصححه ووافقه الذهبي. (المستدرك ٢/ ٤٧٦).

(٢) أي: الخصوة الضخمة التي عند التبس المكتنز باللحم.

(٣) أخرجه الطبراني من طريق يحيىٰ بن حمزة به (مسند الشاميين رقم ٢٩٢) وكذا أبو نعيم (الحلية ٦/ ١٠٣) قال الهيثمي: ورجال الطبراني رجال الصحيح. (مجمع الزوائد ١/ ٤١٤).

(٤) استشهد به الطبري نقلاً مصرحاً عن معمر بن المثنىٰ (مجاز القرآن ٢/ ٢٥٠).

(٥) هو من أودية الطائف المشهورة.

(٦) أخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد، والسدر هو شجر النبق.

(٧) سنده ضعيف لجهاله الشيخ الهمداني، ويتقوىٰ بشواهده السابقة.

(٨) سنده صحيح.

عباس وأبي هريرة والحسن وعكرمة وقسامة بن زهير وقتادة وأبي حزرة مثل ذلك[١]، وبه قال مجاهد وابن زيد: وزاد فقال: أهل اليمن يسمون الموز: الطلح[٢]، ولم يحكِ ابن جرير غير هذا القول.

وقوله تعالى: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾﴾ قال البخاري: حدثنا علي بن عبد الله، حدثنا سفيان، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة، يبلغ به النبي ﷺ قال: «إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها»، اقرأوا إن شئتم ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾﴾[٣]. ورواه مسلم من حديث الأعرج به[٤].

وقال الإمام أحمد: حدثنا سريج، حدثنا فليح، عن هلال بن علي، عن عبد الرحمٰن بن أبي عمرة، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام، اقرءوا إن شئتم ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾﴾[٥]». وكذا رواه البخاري عن محمد بن سنان، عن فليح به[٦]، وكذا رواه عبد الرزاق، عن معمر، عن همام بن منبه، عن أبي هريرة[٧]، وكذا رواه حماد بن سلمة، عن محمد بن زياد، عن أبي هريرة[٨]. والليث بن سعد، عن سعيد المقبري، عن أبيه، عن أبي هريرة: وعوف، عن ابن سيرين، عن أبي هريرة به.

وقال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن جعفر وحجاج قالا: حدثنا شعبة، سمعت أبا الضحاك يحدث أبا هريرة، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها سبعين ـ أو مائة ـ سنة هي شجرة الخلد»[٩].

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أحمد بن سنان، حدثنا يزيد بن هارون، عن محمد بن عمرو بن أبي سلمة، عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ قال: «في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام ما يقطعها»، واقرءوا إن شئتم ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾﴾[١٠]. إسناد جيد ولم يخرجوه، وهكذا رواه ابن جرير، عن أبي كريب، عن عبدة وعبد الرحيم عن محمد بن عمرو به، وقد رواه الترمذي من

---

(١) أخرجه الطبري وعبد الرزاق من خمسة طرق كلها عن أبي سعيد الرقاشي عن ابن عباس، وأبو سعيد سكت عنه ابن أبي حاتم والبخاري، ويشهد له سابقه ولاحقه، وأخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد، أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق عوف الأعرابي عن قَسامة بن زهير، وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

(٢) أخرجه الطبري بالسند المتقدم الصحيح عن ابن زيد.

(٣) أخرجه البخاري بسنده ومتنه (الصحيح، التفسير، باب ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾﴾ [الواقعة] ح٤٨٨١).

(٤) صحيح مسلم، صفة الجنة، باب إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها.. (ح٢٨٢٦).

(٥) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه. (المسند ٢/ ٤٨٢) وسنده صحيح.

(٦) صحيح البخاري، بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة (ح٣٢٥٢).

(٧) مصنف عبد الرزاق ١١/ ٤١٧ رقم ٢٠٨٧٧.

(٨) (المسند ٢/ ٤٦٩).

(٩) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ١٥/ ٥٣٧ ح٩٨٧٠) وقال محققوه: صحيح دون قوله: شجرة الخلد.اهـ. أي: أنه له شواهد يتقوىٰ بها دون قوله: شجرة الخلد.

(١٠) جوَّد سنده الحافظ ابن كثير.

حديث عبد الرحيم بن سليمان به[١].

وقال ابن جرير: حدثنا ابن حميد، حدثنا مهران، حدثنا إسماعيل بن أبي خالد، عن زياد مولى بني مخزوم، عن أبي هريرة قال: إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام اقرءوا إن شئتم: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ۝٣٠﴾ فبلغ ذلك كعباً فقال: صدق والذي أنزل التوراة على موسى والفرقان على محمد، لو أن رجلاً ركب حقة أو جذعة ثم دارَ بأعلى تلك الشجرة ما بلغها حتى يسقط [هرماً][٢]، إن الله غرسها بيده ونفخ فيها من روحه، وإن أفنانها لمن وراء سور الجنة وما في الجنة نهر إلا وهو يخرج من أصل تلك الشجرة[٣].

وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي: حدثنا محمد بن منهال الضرير: حدثنا يزيد بن زريع، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن أنس، عن النبي ﷺ في قول الله تعالى: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ۝٣٠﴾ قال: «في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها»[٤]. وكذا رواه البخاري، عن روح بن عبد المؤمن، عن يزيد بن زريع[٥]، وكذا رواه أبو داود الطيالسي، عن عمران بن دوار القطان، عن قتادة به، وكذا رواه معمر وأبو هلال، عن قتادة به[٦].

وقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي سعيد وسهل بن سعد، عن رسول الله ﷺ قال: «إن في الجنة شجرة يسير الراكب الجواد المضمر السريع مائة عام ما يقطعها»[٧]. فهذا حديث ثابت، عن رسول الله ﷺ، بل متواتر مقطوع بصحته عند أئمة الحديث النقاد، لتعدد طرقه وقوة أسانيده وثقة رجاله.

وقد قال الإمام أبو جعفر بن جرير: حدثنا أبو كريب، حدثنا أبو بكر، حدثنا أبو حصين قال: كنا على باب في موضع ومعنا أبو صالح وشقيق يعني: الضبي، فحدث أبو صالح قال: حدثني أبو هريرة قال: إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها سبعين عاماً، قال أبو صالح: أتكذِّبُ أبا هريرة؟ قال: ما أكذِّب أبا هريرة ولكني أكذِّبك أنت، فشقَّ ذلك على القراء يومئذٍ[٨]. قلت: فقد أبطل من يكذب بهذا الحديث مع ثبوته وصحته ورفعه إلى رسول الله ﷺ.

وقال الترمذي: حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا زياد بن الحسن بن الفرات القزاز، عن أبيه،

---

(١) أخرجه الطبري والترمذي (السنن، التفسير، باب ومن سورة الواقعة ح٣٢٨٨ وقال: حسن صحيح) وصححه الألباني من حديث أنس (صحيح سنن الترمذي ح٢٦٢٦).

(٢) كذا في (حم) و(ح)، وفي الأصل بياض.

(٣) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وأخرجه ابن أبي شيبة من طريق إسماعيل بن أبي خالد به (المصنف ١٣/ ١٠٥) وفي سنده زياد لم يسمع من أبي هريرة وسنده ضعيف وقول كعب فيه غرابة.

(٤) أخرجه أبو يعلىٰ بسنده ومتنه (٥/ ٣٤٨ ح٢٩٩١) وسنده صحيح.

(٥) صحيح البخاري، بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة (ح٣٢٥١).

(٦) سنن الترمذي، التفسير، باب ومن سورة الواقعة (ح٣٢٨٩) وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (ح٢٦٢٦).

(٧) صحيح البخاري، الرقاق، باب صفة الجنة والنار (ح٦٥٥٣) وصحيح مسلم، الجنة وصفه نعيمها، باب إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام (ح٢٨٢٨).

(٨) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، واستشهد به الحافظ ابن كثير.

عن جده، عن أبي حازم، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ما في الجنة شجرة إلا ساقها من ذهب» ثم قال: حسن غريب[١].

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا الحسن بن أبي الربيع، حدثنا أبو عامر العقدي، عن زمعة بن صالح، عن سلمة بن وهرام، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: الظل الممدود شجرة في الجنة على ساق ظلها قدر ما يسير الراكب في كل نواحيها، مائة عام، قال: فيخرج إليها أهل الجنة أهل الغرف وغيرهم فيتحدثون في ظلها، قال: فيشتهي بعضهم ويذكر لهو الدنيا، فيرسل الله ريحاً من الجنة، فتحرك تلك الشجرة بكل لهو في الدنيا[٢]. هذا أثر غريب إسناده جيد قوي حسن.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا ابن يمان، حدثنا سفيان، حدثنا أبو إسحاق، عن عمرو بن ميمون في قوله تعالى: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ۝٣٠﴾ قال سبعون ألف سنة[٣]، وكذا رواه ابن جرير، عن بندار، عن ابن مهدي، عن سفيان مثله[٤]، ثم قال: ابن جرير: حدثنا ابن حميد، حدثنا مهران، عن سفيان، عن أبي إسحاق، عن عمرو بن ميمون ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ۝٣٠﴾ قال: خمسمائة ألف سنة[٥].

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا أبو الوليد الطيالسي، حدثنا حصين بن نافع، عن الحسن في قول الله تعالى: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ۝٣٠﴾ قال: في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة سنة لا يقطعها.

وقال عوف، عن الحسن: بلغني أن رسول الله ﷺ قال: «إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها»[٦] رواه ابن جرير[٧].

وقال شبيب، عن عكرمة، عن ابن عباس: في الجنة شجر لا يحمل يستظل به[٨]، رواه ابن أبي حاتم.

وقال الضحاك والسدي وأبو حزرة في قوله تعالى: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ۝٣٠﴾ لا ينقطع، ليس فيها شمس ولا حرّ مثل قبل طلوع الفجر.

وقال ابن مسعود: الجنة سجسج[٩] كما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، وقد تقدمت الآيات كقوله تعالى: ﴿وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا﴾ [النساء: ٥٧] وقوله: ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا﴾ [الرعد: ٣٥] وقوله: ﴿فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ﴾ [المرسلات: ٤١] إلى غير ذلك من الآيات.

---

(١) أخرجه الترمذي بسنده ومتنه (السنن، صفة الجنة، باب ما جاء في صفة شجر الجنة ح٢٥٢٧) وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (ح٢٠٤٩).
(٢) سنده ضعيف لضعف زمعة بن صالح (التقريب ص٢١٧).
(٣) سنده مرسل لأن عمرو بن ميمون تابعي.
(٤) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده مرسل لأن عمرو بن ميمون تابعي.
(٥) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده مرسل كسابقه.
(٦) سنده مرسل ويتقوىٰ بالأحاديث المرفوعة المتقدمة.
(٧) أخرجه الطبري بسنده ومتنه مرسلاً، وحكمه كسابقه.
(٨) سنده حسن.
(٩) أي: ظلها معتدل لا ولا برد.

وقوله تعالى: ﴿وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾﴾ قال الثوري: يجري في غير أخدود، وقد تقدم الكلام عند تفسير قوله تعالى: ﴿فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ﴾ الآية [محمد: ١٥]. بما أغنى عن إعادته ههنا.

وقوله تعالى: ﴿وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾﴾ أي: وعندهم من الفواكه الكثيرة المتنوعة في الألوان مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، كما قال تعالى: ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا﴾ [البقرة: ٢٥] أي: يشبه الشكل الشكل ولكن الطعم غير الطعم، وفي الصحيحين في ذكر سدرة المنتهى: «فإذا ورقها كآذان الفيلة ونبقها مثل قلال هجر»[(١)]. وفيهما أيضاً من حديث مالك، عن زيد، عن عطاء بن يسار، عن ابن عباس قال: خسفت الشمس فصلى رسول الله ﷺ والناس معه فذكر الصلاة، وفيه قالوا: يا رسول الله رأيناك تناولت شيئاً في مقامك هذا ثم رأيناك تكعكعت[(٢)]، قال: «إني رأيت الجنة فتناولت منها عنقوداً، ولو أخذته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا»[(٣)].

وقال الحافظ أبو يعلى: حدثنا أبو خيثمة، حدثنا عبد الله بن جعفر، حدثنا عبيد الله، حدثنا ابن عقيل، عن جابر قال: بينا نحن في صلاة الظهر إذ تقدم رسول الله ﷺ فتقدمنا معه، ثم تناول شيئاً ليأخذه ثم تأخر، فلما قضى الصلاة قال أُبي بن كعب: يا رسول الله صنعت اليوم في الصلاة شيئاً ما كنت تصنعه، قال: «إنه عرضت علي الجنة وما فيها من الزهرة والنضرة، فتناولت منها قطفاً من عنب لآتيكم به فحيل بيني وبينه، ولو أتيتكم به لأكل منه من بين السماء والأرض لا ينقص منه». وروى مسلم من حديث أبي الزبير، عن جابر نحوه[(٤)].

وقال الإمام أحمد: حدثنا علي بن بحر، حدثنا هشام بن يوسف، أخبرنا معمر، عن يحيى بن أبي كثير، عن عامر بن زيد البكالي أنه سمع عتبة بن عبد السلمي يقول: جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ، فسأله عن الحوض وذكر الجنة ثم قال الأعرابي: فيها فاكهة؟ قال: «نعم وفيها شجرة تدعى طوبى». قال: فذكر شيئاً لا أدري ما هو، قال: أي شجر أرضنا تشبه؟ قال: «ليست تشبه شيئاً من شجر أرضك؟» فقال النبي ﷺ «أتيت الشام؟» قال: لا. قال: «تشبه شجرة بالشام تدعى الجوزة تنبت على ساق واحدة وينفرش أعلاها». قال: ما عظم العنقود؟ قال: «مسيرة شهر للغراب الأبقع لا يفتر». قال: ما عظم أصلها؟ قال: «لو ارتحلت جذعة من إبل أهلك ما أحاطت بأصلها حتى تنكسر ترقوتها هرماً» قال: فيها عنب؟ قال: «نعم» قال: فما عظم الحبة؟ قال: «هل ذبح أبوك تيساً من غنمه قط عظيماً؟» قال: نعم، قال: «فسلخ إهابه فأعطاه أمك فقال اتخذي لنا منه دلواً؟» قال: نعم. قال الأعرابي: فإن تلك الحبة لتشبعني وأهل بيتي؟ قال: «نعم وعامة عشيرتك»[(٥)].

وقوله تعالى: ﴿لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾﴾ أي: لا تنقطع شتاء ولا صيفاً بل أكلها دائم مستمر أبداً، مهما طلبوا وجدوا لا يمتنع عليهم بقدرة الله شيء.

---

(١) تقدم تخريجه في بداية تفسير سورة الإسراء. (٢) أي: احجمت.

(٣) صحيح البخاري، الأذان، باب رفع البصر إلى الإمام في الصلاة (ح٧٤٨) وصحيح مسلم، الكسوف، باب ما عرض على النبي ﷺ في صلاة الكسوف من أمر الجنة والنار (ح٩٠٧).

(٤) تقدم تخريجه في تفسير سورة الرعد آية ٣٥.

(٥) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٢٩/١٩١، ١٩٢ ح١٧٦٤٢) وقال محققوه: إسناده قابل للتحسين.

وقال قتادة: لا يمنعهم من تناولها عود ولا شوك ولا بعد، وقد تقدم في الحديث إذا تناول الرجل الثمرة عادت مكانها أخرى(١).

وقوله تعالى: ﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ۝٣٤﴾ أي: عالية وطيئة ناعمة قال النسائي وأبو عيسى الترمذي: حدثنا أبو كريب، حدثنا رشدين بن سعد، عن عمرو بن الحارث، عن درَّاج، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد، عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ۝٣٤﴾ قال: «ارتفاعها كما بين السماء والأرض ومسيرة ما بينهما خمسمائة عام». ثم قال الترمذي: هذا الحديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث رشدين بن سعد، قال: وقال بعض أهل العلم: معنى هذا الحديث ارتفاع الفرش في الدرجات وبعد ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض، هكذا قال إنه لا يعرف هذا إلا من رواية رشدين بن سعد(٢)، وهو المصري وهو: ضعيف، هكذا رواه أبو جعفر بن جرير، عن أبي كريب، عن رشدين به(٣).

ثم رواه هو وابن أبي حاتم كلاهما عن يونس بن عبد الأعلى، عن ابن وهب، عن عمرو بن الحارث فذكره، وكذا رواه ابن أبي حاتم أيضاً عن نعيم بن حماد، عن ابن وهب، وأخرجه الضياء في «صفة الجنة» من حديث حرملة، عن ابن وهب به مثله، ورواه الإمام أحمد، عن حسن بن موسى، عن ابن لهيعة، حدثنا دراج فذكره(٤).

وقال ابن أبي حاتم أيضاً: حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا أبو معاوية [عن جويبر](٥)، عن أبي سهل يعني: كثير بن زياد، عن الحسن ﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ۝٣٤﴾ قال: ارتفاع فراش الرجل من أهل الجنة مسيرة ثمانين سنة(٦).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ۝٣٥ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ۝٣٦ عُرُبًا أَتْرَابًا ۝٣٧ لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ۝٣٨﴾ جرى الضمير على غير مذكور. ولكن لما دلَّ السياق وهو ذكر الفرش على النساء اللاتي يضاجعن فيها اكتفى بذلك عن ذكرهن، وعاد الضمير عليهنَّ كما في قوله تعالى: ﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ۝٣١ فَقَالَ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ۝٣٢﴾ [ص] يعني: الشمس على المشهور من قول المفسرين.

وقال الأخفش في قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ﴾: أضمرهن ولم يذكرن قبل ذلك.

وقال أبو عبيدة: ذكرن في قوله تعالى: ﴿وَحُورٌ عِينٌ ۝٢٢ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ ۝٢٣﴾ [الواقعة] فقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ﴾ أي: أعدناهن في النشأة الأخرى بعدما كن عجائز رمصاً، صرنَ أبكاراً عرباً؛ أي: بعد الثيوبة عدن أبكاراً ﴿عُرُبًا﴾ متحببات إلى أزواجهن بالحلاوة والظرافة والملاحة.

---

(١) تقدم تخريجه في تفسير آية ٢٠ من هذه السورة الكريمة.
(٢) أخرجه الترمذي بسنده ومتنه وتعليقه (السنن، التفسير، باب ومن سورة الواقعة ح٣٢٩٤) وضعفه الألباني في ضعيف سنن الترمذي.
(٣) أخرجه الطبري عن أبي كريب به، وسنده كسابقه.
(٤) كل هذه المصادر فيها ضعف رواية دراج عن أبي الهيثم.
(٥) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل صُحف إلى: «جوهر».
(٦) سنده ضعيف لإرساله.

وقال بعضهم ﴿عُرُبًا﴾ أي: غَنِجات[١]، قال موسى بن عبيدة الربذي، عن يزيد الرقاشي، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ﴾ قال: نساء عجائز كن في الدنيا عمشاً رمُصاً[٢]»[٣]. رواه الترمذي وابن جرير وابن أبي حاتم ثم قال الترمذي: غريب، وموسى ويزيد ضعيفان.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا محمد بن عوف الحمصي، حدثنا آدم - يعني: ابن أبي إياس -، حدثنا شيبان، عن جابر، عن يزيد بن مُرَّة، عن سلمة بن يزيد قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول في قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾﴾ «يعني: الثيب والأبكار اللاتي كنَّ في الدنيا»[٤].

وقال عبد بن حميد: حدثنا مصعب بن مقدام، حدثنا المبارك بن فضالة، عن الحسن قال: أتت عجوز فقالت: يا رسول الله ادُع الله تعالى أن يدخلني الجنة فقال: «يا أُم فلان إن الجنة لا تدخلها عجوز» قال: فولَّت تبكي. قال: «أخبروها أنها لا تدخلها وهي عجوز، إن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾﴾»[٥].

وهكذا رواه الترمذي في «الشمائل» عن عبد بن حميد[٦].

وقال أبو القاسم الطبراني: حدثنا بكر بن سهل الدمياطي، حدثنا عمرو بن هاشم البيروتي، أخبرنا سليمان بن أبي كريمة، عن هشام بن حسان، عن الحسن، عن أمه عن أُم سلمة قالت: قلت يا رسول الله أخبرني عن قول الله تعالى: ﴿وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾﴾ [الواقعة] قال: «حور بيض عين ضخام العيون شفر[٧] الحوراء بمنزلة جناح النسر» قلت: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾﴾ [الواقعة] قال: «صفاؤهن صفاء الدر الذي في الأصداف الذي لم تمسه الأيدي» قلت: أخبرني عن قوله: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾﴾ [الرحمٰن] قال: «خيرات الأخلاق حسان الوجوه» قلت: أخبرني عن قوله: ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾﴾ [الصافات] قال: «رقتهن كرقة الجلد الذي رأيت في داخل البيضة مما يلي القشر وهو الغرقئ» قلت: يا رسول الله أخبرني عن قوله: ﴿عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾﴾ قال: «هنَّ اللواتي قبضن في الدار الدنيا عجائز رمصاً شمصاً، خلقهن الله بعد الكبر فجعلهن عذارى عرباً متعشقات محببات أتراباً على ميلاد واحد» قلت: يا رسول الله نساء الدنيا أفضل أم الحور العين؟ قال: «بل نساء الدنيا أفضل من الحور العين كفضل الظهارة على البطانة» قلت: يا رسول الله وبم ذاك؟ قال: «بصلاتهن وصيامهن وعبادتهن الله ﷻ، ألبس الله وجوههن النور وأجسادهن الحرير، بيض الألوان خُضر الثياب صُفر الحلي مجامرهن الدر

---

(١) غنجات جمع غَنِجة وهي الجارية التي تدلل وتتكسر في حركاتها (ينظر: النهاية ٣/ ٣٨٩).

(٢) رُمُص: جمع رمصاء، والرمص هو الغشاء الأبيض الذي يتجمع في العين ويسمىٰ: الدمص. بالدال.

(٣) أخرجه الترمذي من طريق موسىٰ بن عبيدة، (السنن، التفسير، باب ومن سورة الواقعة ح٣٢٩٢). وسنده ضعيف لضعف موسىٰ والرقاشي.

(٤) أخرجه الطبراني من طريق جابر به (المعجم الكبير ٧/ ٤٠) وسنده ضعيف لضعف جابر وهو ابن يزيد الجعفي.

(٥) سنده مرسل ويشهد له سابقه ولاحقه.

(٦) أخرجه الترمذي عن عبد بن حميد به (الشمائل المحمدية رقم ٢٣٠). وسنده مرسل، ويتقوىٰ بالشواهد كسابقه.

(٧) أي: حرف جفن العين الذي ينبت عليه الشعر.

وأمشاطهن الذهب، يقلن: نحن الخالدات فلا نموت أبداً ونحن الناعمات فلا نبأس أبداً، ونحن المقيمات فلا نظعن أبداً ألا ونحن الراضيات فلا نسخط أبداً، طوبى لمن كنا له وكان لنا» قلت: يا رسول الله المرأة منا تتزوج زوجين والثلاثة والأربعة ثم تموت فتدخل الجنة ويدخلون معها، من يكون زوجها؟ قال: «يا أُم سلمة إنها تخير فتختار أحسنهم خلقاً، فتقول: يا ربِّ إن هذا كان أحسن خلقاً معي فزوجنيه، يا أُم سلمة ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والآخرة»(١).

وفي حديث الصور الطويل المشهور أن رسول الله ﷺ، يشفع للمؤمنين كلهم في دخول الجنة، فيقول الله تعالى: قد شفعتك وأذنت لهم بدخولها، فكان رسول الله ﷺ يقول: «والذي بعثني بالحق ما أنتم في الدنيا بأعرف بأزواجكم ومساكنكم من أهل الجنة بأزواجهم ومساكنهم، فيدخل الرجل منهم على ثنتين وسبعين زوجة مما ينشئ الله وثنتين من ولد آدم لهما فضل على من أنشأ الله بعبادتهما الله في الدنيا، يدخل على الأولى منهما في غرفة من ياقوتة على سرير من ذهب مكلّل باللؤلؤ عليه سبعون زوجاً من سندس وإستبرق، وإنه ليضع يده بين كتفيها ثم ينظر إلى يده من صدرها من وراء ثيابها وجلدها ولحمها، وإنه لينظر إلى مخ ساقها كما ينظر أحدكم إلى السلك في قصبة الياقوت كبده لها مرآة، يعني وكبدها له مرآة، فبينما هو عندها لا يملّها ولا تملّه ولا يأتيها من مرة إلا وجدها عذراء، ما يفتر ذكره ولا يشتكي قبلها إلا أنه لا مني ولا منية، فبينما هو كذلك إذ نودي إنا قد عرفنا أنك لا تَمَلّ ولا تُمَلّ، إلا أن لك أزواجاً غيرها فيخرج فيأتيهن واحدة واحدة، كلما جاء واحدة قالت: والله ما في الجنة شيء أحسن منك، وما في الجنة شيء أحبّ إلي منك»(٢).

وقال عبد الله بن وهب: أخبرني عمرو بن الحارث، عن درّاج، عن ابن حجيرة، عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ أنه قال له: أنطأ في الجنة؟ قال: «نعم، والذي نفسي بيده دحَماً دحَماً(٣)، فإذا قام عنها رجعت مطهرة بكراً»(٤).

وقال الطبراني: حدثنا إبراهيم بن جابر الفقيه البغدادي، حدثنا محمد بن عبد الملك الدقيقي الواسطي، حدثنا معلى بن عبد الرحمٰن الواسطي، حدثنا شريك، عن عاصم الأحول، عن أبي المتوكل، عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أهل الجنة إذا جامعوا نساءهم عُدنَ أبكاراً»(٥).

وقال أبو داود الطيالسي: أخبرنا عمران، عن قتادة، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «يعطى المؤمن في الجنة قوة كذا وكذا في النساء، قلت: يا رسول الله ويطيق ذلك؟ قال: يعطى

---

(١) أخرجه الطبراني بسنده ومتنه (المعجم الكبير ٢٣/٣٦٧ ح٨٧٠) وسنده ضعيف لضعف سليمان بن أبي كريمة (مجمع الزوائد ٧/١٢٢).

(٢) تقدم تخريج حديث الصور في تفسير سورة الأنعام آية ٧٣.

(٣) الدحَم: النكاح والوطء بدفع وإزعاج.

(٤) أخرجه ابن حبان من طريق عبد الله بن وهب به (موارد الظمآن ح٢٦٣٣) وسنده ضعيف لضعف درّاج.

(٥) أخرجه الطبراني بسنده ومتنه (المعجم الصغير ١/٩١) وسنده ضعيف جداً لأن معلىٰ بن عبد الرحمٰن الواسطي متهم بالوضع. (التقريب ص٥٤١).

قوة مائة». ورواه الترمذي من حديث أبي داود وقال: صحيح غريب[١].

وروى أبو القاسم الطبراني من حديث حسين بن علي الجعفي، عن زائدة، عن هشام بن حسان، عن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة قال: قيل: يا رسول الله هل نصل إلى نسائنا في الجنة؟ قال: «إن الرجل ليصل في اليوم إلى مائة عذراء»[٢] قال الحافظ أبو عبد الله المقدسي: هذا الحديث عندي على شرط الصحيح، والله أعلم.

وقوله: ﴿عُرُبًا﴾ قال سعيد بن جبير، عن ابن عباس: يعني متحببات إلى أزواجهن[٣]، ألم تر إلى الناقة الضبعة هي كذلك.

وقال الضحاك، عن ابن عباس: العُرُب: العواشق[٤] لأزواجهن وأزواجهن لهن عاشقون، وكذا قال عبد الله بن سرجس ومجاهد وعكرمة وأبو العالية ويحيى بن أبي كثير وعطية والحسن وقتادة والضحاك وغيرهم[٥].

وقال ثور بن يزيد، عن عكرمة قال: سئل ابن عباس، عن قوله: ﴿عُرُبًا﴾ قال: هي المِلقة لزوجها[٦].

وقال شعبة، عن سماك، عن عكرمة: هي الغِنجة[٧].

وقال الأجلح بن عبد الله، عن عكرمة: هي الشكلة، وقال صالح بن حيّان، عن عبد الله بن بريدة في قوله: ﴿عُرُبًا﴾ قال: الشكلة بلغة أهل مكة، والغنجة بلغة أهل المدينة[٨].

وقال تميم بن حذلم: هي حسن التبعل[٩].

وقال زيد بن أسلم وابنه عبد الرحمٰن: العُرُب: حسنات الكلام[١٠].

وقال ابن أبي حاتم: ذكر عن سهل بن عثمان العسكري، حدثنا أبو علي، عن جعفر بن

---

(١) أخرجه أبو داود الطيالسي بسنده ومتنه (المسند ص٢٦٩ وسنده حسن، وأخرجه الترمذي من طريق عمران به وقال: صحيح غريب (السنن، صفة الجنة، باب ما جاء في صفة جماع أهل الجنة ح٢٥٣٦) وقال الألباني: حسن صحيح. صحيح سنن الترمذي (ح٢٠٥٩).

(٢) أخرجه الطبراني بسنده ومتنه (المعجم الصغير ٢/ ١٢) وصححه الضياء المقدسي كما نقل الحافظ ابن كثير عنه.

(٣) هذا التفسير للطبري ذكره بعد رواية لابن عباس ليس فيها هذا اللفظ.

(٤) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس.

(٥) أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة، وأخرجه الطبري بسند جيد من طريق الأوزاعي عن يحيىٰ بن أبي كثير، وأخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد بلفظ: «متحببات إلى أزواجهن» وكذا أخرجه الطبري بأسانيد يقوي بعضها بعضاً عن سعيد بن جبير.

(٦) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق أبي أويس عن ثور بن يزيد به.

(٧) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق يحيىٰ بن يمان عن شعبة به.

(٨) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق صالح بن حيان به، وعزاه السيوطي إلى هناد من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، وهو سند ضعيف جداً.

(٩) أخرجه الطبري من طريق عثمان بن بشار عن تميم بن حذلم، ولم أقف على ترجمه لعثمان.

(١٠) أخرجه الطبري من طريق أسامة بن زيد بن أسلم عن أبيه، وأسامة ضعيف (التقريب ص٩٨).

محمد، عن أبيه، عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: «﴿عُرُبًا﴾، قال: كلامهنَّ عربي»[(١)].

وقوله: ﴿أَتْرَابًا﴾ قال الضحاك، عن ابن عباس: يعني في سن واحدة ثلاث وثلاثين سنة[(٢)].

وقال مجاهد: الأتراب المستويات[(٣)]، وفي رواية عنه الأمثال[(٤)].

وقال عطية: الأقران[(٥)].

وقال السدي: ﴿أَتْرَابًا﴾ أي: في الأخلاق المتواخيات بينهن، ليس بينهن تباغض ولا تحاسد؛ يعني: لا كما كن ضرائر متعاديات.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا أبو أُسامة، عن عبد الله بن الكهف، عن الحسن ومحمد ﴿عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾﴾ قالا: المستويات الأسنان يأتلفن جميعاً ويلعبن جميعاً[(٦)].

وقد روى أبو عيسى الترمذي، عن أحمد بن منيع، عن أبي معاوية، عن عبد الرحمٰن بن إسحاق، عن النعمان بن سعد، عن علي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن في الجنة لمجتمعاً للحور العين يرفعن أصواتاً لم تسمع الخلائق بمثلها، قال: يقلن: نحن الخالدات فلا نبيد، ونحن الناعمات فلا نبأس، ونحن الراضيات فلا نسخط، طوبى لمن كان لنا وكنا له». ثم قال: هذا حديث غريب[(٧)].

وقال الحافظ أبو يعلى: أخبرنا أبو خيثمة، حدثنا إسماعيل بن عمر، حدثنا ابن أبي ذئب، عن فلان عبد الله بن رافع، عن بعض ولد أنس بن مالك، عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: «إن الحور العين ليغنين في الجنة يقلن: نحن خيرات حسان خبئنا لأزواج كرام»[(٨)].

قلت: إسماعيل بن عمر هذا هو أبو المنذر الواسطي أحد الثقات الأثبات.

وقد روى هذا الحديث الإمام عبد الرحيم بن إبراهيم الملقب بدُحيم، عن ابن أبي فديك، عن ابن أبي ذئب، عن عون بن الخطاب بن عبد الله بن رافع، عن ابن لأنس، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الحور العين يغنين في الجنة: نحن الحور الحسان، خلقنا لأزواج كرام»[(٩)].

وقوله تعالى: ﴿لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٨﴾﴾ أي: خلقن لأصحاب اليمين [أو ادخرن لأصحاب اليمين][(١٠)] أو زوجن لأصحاب اليمين، والأظهر أنه متعلق بقوله: ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٨﴾﴾ فتقديره أنشأناهن لأصحاب اليمين، وهذا توجيه ابن جرير.

---

(١) سنده ضعيف لعدم ذكر شيخ ابن أبي حاتم.
(٢) سنده ضعيف لأن الضحاك لم يلق ابن عباس.
(٣) عزاه السيوطي إلى هناد وعبد بن حميد.
(٤) أخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.
(٥) يشهد له ما سبق.
(٦) في سنده عبد الله بن الكهف لم أجد له ترجمة، ويشهد له ما سبق.
(٧) أخرجه الترمذي بسنده ومتنه وحكمه (السنن، صفة الجنة، باب ما جاء في كلام حور العين ح٢٥٧) وسنده ضعيف لضعف عبد الرحمٰن بن إسحاق وهو الواسطي (التقريب ص٣٣٦).
(٨) عزاه الحافظ ابن حجر إلى أبي يعلىٰ (المطالب العالية ٤/ ٤٠٢ ح٤٦٨٤) وسنده ضعيف لجهالة الراوي عن أنس ﷺ.
(٩) سنده ضعيف كسابقه.
(١٠) زيادة من (حم) و(ح).

وروي عن أبي سليمان الداراني رحمه الله تعالى قال: صليت ليلة ثم جلست أدعو وكان البرد شديداً فجعلت أدعو بيد واحدة، فأخذتني عيني فنمت فرأيت حوراء لم ير مثلها وهي تقول: يا أبا سليمان أتدعو بيد واحدة وأنا أُغذى لك في النعيم منذ خمسمائة سنة.

قلت: ويحتمل أن يكون قوله: ﴿لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٨﴾﴾ متعلقاً بما قبله وهو قوله: ﴿أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٨﴾﴾ أي: في أسنانهم، كما جاء في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم من حديث جرير، عن عمارة بن القعقاع، عن أبي زرعة، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والذين يلونهم على ضوء أشد كوكب دري في السماء إضاءة، لا يبولون ولا يتغوطون ولا يتفلون ولا يتمخطون، أمشاطهم الذهب ورشحهم المسك ومجامرهم الألوة، وأزواجهم الحور العين، أخلاقهم على خلق رجل واحد على صورة أبيهم آدم ستون ذراعاً في السماء»[١].

وقال الإمام أحمد: حدثنا يزيد بن هارون وعفان قالا: حدثنا حماد بن سلمة، وروى الطبراني واللفظ له من حديث حماد بن سلمة، عن علي بن زيد بن جدعان، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «يدخل أهل الجنة الجنة جُرداً مُرداً بِيضاً جعاداً مكحَّلين أبناء ثلاث وثلاثين، وهم على خلق آدم ستون ذراعاً في عرض سبعة أذرع»[٢]. وروى الترمذي من حديث أبي داود الطيالسي عن عمران القطان، عن قتادة، عن شهر بن حوشب، عن عبد الرحمٰن بن غنم، عن معاذ بن جبل أن رسول الله ﷺ قال: «يدخل أهل الجنة الجنة جرداً مرداً مكحلين بني ثلاث وثلاثين سنة» ثم قال: حسن غريب[٣].

وقال ابن وهب: أخبرنا عمرو بن الحارث أن درَّاجاً أبا السمح حدثه، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «من مات من أهل الجنة من صغير أو كبير يردون بني ثلاث وثلاثين في الجنة لا يزيدون عليها أبداً وكذلك أهل النار» ورواه الترمذي، عن سويد بن نصر، عن ابن المبارك، عن رشدين بن سعد، عن عمرو بن الحارث به[٤].

وقال أبو بكر بن أبي الدنيا: حدثنا القاسم بن هاشم، حدثنا صفوان بن صالح، حدثنا رواد بن الجراح العسقلاني، حدثنا الأوزاعي، عن هارون بن رئاب، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «يدخل أهل الجنة الجنة على طول آدم ستين ذراعاً بذراع الملك! على حسن يوسف، وعلى ميلاد عيسى ثلاث وثلاثين سنة، وعلى لسان محمد جُردٌ مُردٌ مكحلون»[٥].

---

(١) تقدم تخريجه في تفسير سورة مريم آية ٦٢.

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٢/٢٩٥). وسنده ضعيف لضعف علي بن زيد بن جدعان. وأخرجه الطبراني من طريقه أيضاً (المعجم الأوسط ٥/٣١٨ ح٥٤٢٢).

(٣) أخرجه الترمذي عن أبي هريرة محمد بن فراس عن أبي داود به، وقال الترمذي وبعض أصحاب قتادة رووا هذا عن قتادة مرسلاً ولم يسندوه. (السنن، صفة الجنة، باب ما جاء في سنن أهل الجنة ح٢٥٤٥). وسنده ضعيف لضعف شهر بن حوشب.

(٤) أخرجه الترمذي عن سويد بن نصر به. (السنن، صفة الجنة، باب ما جاء ما لأدنىٰ أهل الجنة من الكرامة ح٢٥٦٢). وسنده ضعيف لضعف رشدين وضعف رواية دراج عن أبي الهيثم.

(٥) سند ضعيف لعدم سماع هارون من أنس، كما في تهذيب التهذيب، ولبعضه شواهد صحيحة.

وقال أبو بكر بن أبي داود: حدثنا محمود بن خالد وعباس بن الوليد قالا: حدثنا عمر، عن الأوزاعي، عن هارون بن رئاب، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «يبعث أهل الجنة على صورة آدم في ميلاد عيسى ثلاث وثلاثين جرداً مرداً مكحلين. ثم يذهب بهم إلى شجرة في الجنة فيكسون منها لا تبلى ثيابهم ولا يفنى شبابهم»(١).

وقوله تعالى: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴿٤٠﴾﴾ أي: جماعة من الأولين وجماعة من الآخرين.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا المنذر بن شاذان، حدثنا محمد بن بكار، حدثنا سعيد بن بشير، عن قتادة، عن الحسن، عن عمران بن حصين، عن عبد الله بن مسعود، قال: وكان بعضهم يأخذ عن بعض قال: أكرينا ذات ليلة عند رسول الله ﷺ ثم غدونا عليه فقال: «عُرضت عليَّ الأنبياء وأتباعها بأممها فيمر علي النبي والنبي في العصابة! والنبي في الثلاثة والنبي وليس معه أحد - وتلا قتادة هذه الآية ﴿أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ﴾ [هود: ٧٨] قال: حتى مرَّ علي موسى بن عمران في كبكبة(٢) من بني إسرائيل! قال: قلت: ربِّ من هذا؟ قال: هذا أخوك موسى بن عمران ومن تبعه من بني إسرائيل! قال: قلت: ربِّ من هذا؟ قال: أخوك موسى بن عمران ومن تبعه من بني إسرائيل! قال: قلت ربِّ فأين أمتي؟ قال: انظر عن يمينك في الضراب قال: فإذا وجوه الرجال قال: قال أرضيت؟ قال: قلت: قد رضيت رب. قال: انظر إلى الأفق عن يسارك فإذا وجوه الرجال قال: أرضيت؟ قلت: قد رضيت رب. قال: فإن مع هؤلاء سبعين ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب». قال: وأنشأ عكاشة بن محصن من بني أسد قال سعيد: وكان بدرياً قال: يا نبي الله ادع الله أن يجعلني منهم قال: فقال: «اللَّهم اجعله منهم» [قال أنشأ رجل آخر](٣) قال: يا نبي الله ادع الله أن يجعلني منهم فقال: «سبقك بها عكاشة» قال: فقال رسول الله ﷺ: «فإن استطعتم فداكم أبي وأمي أن تكونوا من أصحاب السبعين فافعلوا، وإلا فكونوا من أصحاب الضراب، وإلا فكونوا من أصحاب الأفق، فإني قد رأيت أناساً كثيراً قد تأشّبوا حوله - ثم قال: - إني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة» فكبَّرنا ثم قال: «إني لأرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة» قال: فكبَّرنا قال: «إني لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة» قال فكبَّرنا، قال: ثم تلا رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴿٤٠﴾﴾ قال: فقلنا بيننا: من هؤلاء السبعون ألفاً؟ فقلنا: هم الذين ولدوا في الإسلام ولم يشركوا. قال: [فبلغه](٤) ذلك فقال: «بل هم الذين لا يكتوون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون»(٥). وكذا رواه ابن جرير من طريقين آخرين عن قتادة به نحوه(٦)، وهذا الحديث له طرق كثيرة من غير هذا الوجه في الصحاح وغيرها.

---

(١) سنده ضعيف لعدم سماع هارون من أنس. (٢) أي: جماعة متضامة من الناس.
(٣) كذا في (حم) و(مح)، وفي الأصل بياض. (٤) كذا في (حم) و(مح)، وفي الأصل بياض.
(٥) سنده ضعيف لضعف سعيد بن بشير كما في التقريب، وكذلك الحسن البصري لم يسمع من عمران بن الحصين (جامع التحصيل ص١٩٥).
(٦) أخرجه الطبري من طريقين كلاهما عن الحسن البصري عن عمران بن الحصين به. وسنده ضعيف كسابقه.

وقال ابن جرير: حدثنا ابن حميد، حدثنا مهران، حدثنا سفيان، عن أبان بن أبي عياش، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴿٤٠﴾﴾ قال: قال رسول الله ﷺ: «هما جميعاً من أمتي»[(١)].

﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ وَكَانُوا۟ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَ ءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَءَاكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٥٦﴾﴾.

لما ذكر تعالى حال أصحاب اليمين عطف عليهم بذكر أصحاب الشمال فقال: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾﴾ أي: أيّ شيء هم فيه أصحاب الشمال؟ ثم فسر ذلك فقال: ﴿فِى سَمُومٍ﴾ وهو الهواء الحار ﴿وَحَمِيمٍ﴾ وهو الماء الحار ﴿وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾﴾ قال ابن عباس: ظل الدخان[(٢)]، وكذا قال مجاهد وعكرمة وأبو صالح وقتادة والسدي وغيرهم[(٣)]، وهذه كقوله تعالى: ﴿ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾ ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾ لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ ﴿٣١﴾ إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ ﴿٣٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [المرسلات] ولهذا قال هٰهنا: ﴿وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾﴾ وهو الدخان الأسود ﴿لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾﴾ أي: ليس طيب الهبوب ولا حسن المنظر كما قال الحسن وقتادة: ﴿وَلَا كَرِيمٍ﴾ أي: ولا كريم المنظر[(٤)].

قال الضحاك: كل شراب ليس بعذب فليس بكريم[(٥)].

وقال ابن جرير: العرب تتبع هذه اللفظة في النفي فيقولون: هذا الطعام ليس بطيب ولا كريم، هذا اللحم ليس بسمين ولا كريم. وهذه الدار ليست بنظيفة ولا كريمة[(٦)]. وكذا رواه ابن جرير من طريقين آخرين عن قتادة به نحوه[(٧)].

ثم ذكر تعالى استحقاقهم لذلك فقال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾﴾ أي: كانوا في الدار الدنيا منعمين مقبلين على لذات أنفسهم لا يلوون ما جاءتهم به الرسل ﴿وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ﴾ أي: يقيمون ولا ينوون توبة ﴿عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ﴾ وهو الكفر بالله وجعل الأوثان والأنداد أرباباً من دون الله.

---

(١) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده ضعيف جداً لأن أبان بن أبي عياش متروك. (التقريب ص٨٦).
(٢) أخرجه الطبري بسندين يقوي أحدهما الآخر، وأخرجه أيضاً الطبري بسند ثابت من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس بلفظ: «من دخان جهنم».
(٣) أخرجه الطبري وآدم بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد، وأخرجه الطبري بسند حسن من طريق سماك عن عكرمة، وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة.
(٤) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.
(٥) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق جويبر عن الضحاك.
(٦) ذكره الطبري بلفظ: «والعرب تتبع كل منفي عنه صفةُ حمد»، نفيَ الكرم عنه.
(٧) أي: الرواية السابقة بلفظ: «ظل الدخان».

قال ابن عباس: ﴿ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ﴾: الشرك[(١)]. وكذا قال مجاهد وعكرمة والضحاك وقتادة والسدي وغيرهم[(٢)].

وقال الشعبي: هو اليمين الغموس[(٣)] ﴿وَكَانُوا۟ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَ ءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾﴾ يعني: أنهم يقولون ذلك مكذبين به مستبعدين لوقوعه، قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْءَاخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾﴾ أي: أخبرهم يا محمد أن الأولين والآخرين من بني آدم سيجمعون إلى عرصات القيامة لا يغادر منهم أحداً، كما قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾﴾ [هود] ولهذا قال هٰهنا: ﴿لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾﴾ أي: هو موقت بوقت محدود، لا يتقدم ولا يتأخر ولا يزيد ولا ينقص.

﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَءَاكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٥٣﴾﴾ وذلك أنهم يُقبضون ويُسجرون حتى يأكلوا من شجر الزقوم حتى يملأوا منها بطونهم، ﴿فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ ﴿٥٥﴾﴾ وهي الإبل العطاش، واحدها أهيم والأنثى هيماء، ويقال: هائم وهائمة.

قال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة: الهيم، الإبل العطاش الظماء[(٤)].

وعن عكرمة أنه قال: الهيم الإبل المراض تمص الماء مصاً ولا تروى[(٥)].

وقال السدي: ﴿ٱلْهِيمِ﴾: داء يأخذ الإبل فلا تروى أبداً حتى تموت، فكذلك أهل جهنم لا يروون من الحميم أبداً.

وعن خالد بن معدان أنه كان يكره أن يشرب شرب الهيم غبة واحدة من غير أن يتنفس ثلاثاً.

ثم قال تعالى: ﴿هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٥٦﴾﴾ أي: هذا الذي وصفنا هو ضيافتهم عند ربهم يوم حسابهم، كما قال تعالى في حق المؤمنين: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾﴾ [الكهف]، أي: ضيافة وكرامة.

﴿نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾.

يقول تعالى مقرراً للمعاد، وراداً على المكذبين به من أهل الزيغ، والإلحاد من الذين قالوا:

---

(١) عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم.

(٢) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق عبيد بن سليمان عن الضحاك. وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة، وأخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد بلفظ: «الذنب» وكذا أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد بلفظ: «الذنب العظيم».

(٣) عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد عن الشعبي بلفظ: «الكبائر».

(٤) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس. وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة. وأخرجه الطبري بأسانيد يقوي بعضها بعضاً عن عكرمة، وأخرجه آدم وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد بلفظ: «الإبل الهيم».

(٥) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق عمران بن حدير عن عكرمة.

﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٢]؟ وقولهم ذلك صدر منهم على وجه التكذيب والاستبعاد. فقال تعالى: ﴿نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ﴾ أي: نحن ابتدأنا خلقكم بعد أن لم تكونوا شيئاً مذكوراً، أفليس الذي قدر على البداءة بقادر على الإعادة بطريق الأولى والأحرى؟ ولهذا قال: ﴿فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ﴾ أي: فهلا تصدقون بالبعث! ثم قال مستدلاً عليهم بقوله: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾﴾؟ أي: أنتم تقرونه في الأرحام وتخلقونه فيها أم الله الخالق لذلك؟ ثم قال تعالى: ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ﴾ أي: صرفناه بينكم.

وقال الضحاك: ساوى فيه بين أهل السماء والأرض[١]. ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ أي: وما نحن بعاجزين ﴿عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ﴾ أي: نغير خلقكم يوم القيامة.

﴿وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ أي: من الصفات والأحوال.

ثم قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾ أي: قد علمتم أن الله أنشأكم بعد أن لم تكونوا شيئاً مذكوراً، فخلقكم وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة، فهلا تتذكرون وتعرفون أن الذي قدر على هذه النشأة وهي البداءة، قادر على النشأة الأخرى وهي الإعادة بطريق الأولى والأحرى، كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧] وقال تعالى: ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴿٦٧﴾﴾ [مريم] ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾﴾ [يس] وقال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾﴾ [القيامة].

﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾.

يقول تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾﴾؟ وهو شقُّ الأرض وإثارتها والبذر فيها ﴿ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ﴾ أي: تنبتونه في الأرض ﴿أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ﴾ أي: بل نحن الذين نقره قراره وننبته في الأرض.

قال ابن جرير: وقد حدثني أحمد بن الوليد القرشي، حدثنا مسلم بن أبي مسلم الجرمي، حدثنا مخلد بن الحسين، عن هشام، عن محمد، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقولنَّ: زرعت. ولكن قل: حرثت» قال أبو هريرة: ألم تسمع إلى قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾﴾[٢]. ورواه البزار، عن محمد بن عبد الرحيم، عن مسلم

---

(١) عزاه السيوطي إلى أبي الشيخ.

(٢) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، في سنده مسلم بن أبي مسلم الجرمي نقل الحافظ ابن حجر في ترجمته عن البيهقي هذا الإسناد ثم قال: غير قوي. (لسان الميزان ٦/ ٣٢).

الجرمي به[١].

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا حماد، عن عطاء، عن أبي عبد الرحمٰن: لا تقولوا زرعنا ولكن قولوا: حرثنا[٢]. وروي عن حجر المدري أنه كان إذا قرأ ﴿ءَأَنتُمۡ تَزۡرَعُونَهُۥٓ أَمۡ نَحۡنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ۝٦٤﴾ وأمثالها يقول: بل أنت يا رب[٣].

وقوله تعالى: ﴿لَوۡ نَشَآءُ لَجَعَلۡنَٰهُ حُطَٰمٗا﴾ أي: نحن أنبتناه بلطفنا ورحمتنا وأبقيناه لكم رحمة بكم بل ولو نشاء لجعلناه حطاماً؛ أي: لأيبسناه قبل استوائه واستحصاده ﴿فَظَلۡتُمۡ تَفَكَّهُونَ﴾ ثم فسر ذلك بقوله: ﴿إِنَّا لَمُغۡرَمُونَ ۝٦٦ بَلۡ نَحۡنُ مَحۡرُومُونَ ۝٦٧﴾ أي: لو جعلناه حطاماً لظللتم تفكهون في المقالة تنوعون كلامكم فتقولون تارة إنا لمغرمون؛ أي: لملقون.

وقال مجاهد وعكرمة: إنا لمولع بنا[٤].

وقال قتادة: معذبون[٥] وتارة يقولون: ﴿بَلۡ نَحۡنُ مَحۡرُومُونَ ۝٦٧﴾.

وقال مجاهد أيضاً: ﴿إِنَّا لَمُغۡرَمُونَ ۝٦٦﴾ ملقون للشر[٦]؛ أي: بل نحن محارفون، قاله قتادة[٧]؛ أي: لا يثبت لنا مال، ولا ينتج لنا ربح.

وقال مجاهد: ﴿بَلۡ نَحۡنُ مَحۡرُومُونَ ۝٦٧﴾؛ أي: محدودون[٨] يعني: لا حظ لنا.

وقال ابن عباس ومجاهد: ﴿فَظَلۡتُمۡ تَفَكَّهُونَ﴾ تعجبون[٩].

وقال مجاهد أيضاً: ﴿فَظَلۡتُمۡ تَفَكَّهُونَ﴾ تفجعون وتحزنون على ما فاتكم من زرعكم[١٠]، وهذا يرجع إلى الأول، وهو التعجب من السبب الذي من أجله أصيبوا في مالهم، وهذا اختيار ابن جرير.

وقال عكرمة: ﴿فَظَلۡتُمۡ تَفَكَّهُونَ﴾ تلاومون[١١].

وقال الحسن وقتادة والسدي: ﴿فَظَلۡتُمۡ تَفَكَّهُونَ﴾ تندمون[١٢]، ومعناه: إما على ما أنفقتم أو على ما أسلفتم من الذنوب.

---

(١) أخرجه البزار كما في كشف الأستار (ح١٢٨٩) وسنده كسابقه.
(٢) سنده حسن.
(٣) أخرجه عبد الرزاق (المصنف رقم ٤٠٥٣)، والحاكم كلاهما من طريق معمر عن شداد بن جابان عن حجر بن قيس المدري، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي. (المستدرك ٢/ ٤٧٧).
(٤) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق معمر عن مجاهد، وأخرجه أيضاً بسند حسن من طريق يزيد النحوي عن عكرمة.
(٥) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.
(٦) أخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي نجيح عن مجاهد.
(٧) أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة.
(٨) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.
(٩) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي عن ابن عباس، وأخرجه أيضاً بسند صحيح من طريق معمر عن قتادة.
(١٠) هذا قول الطبري ثم أخرجه بنحوه بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.
(١١) أخرجه الطبري بسندين قد يقوي أحدهما الآخر.
(١٢) أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق أبي رجاء عن الحسن.

قال [الكسائي][١]: تفكه من الأضداد، تقول العرب تفكهت بمعنى تنعمت، وتفكهت بمعنى حزنت[٢].

ثم قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ۝٦٨ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ﴾ يعني: السحاب، قاله ابن عباس ومجاهد وغير واحد[٣].

﴿أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ﴾ يقول: بل نحن المنزلون ﴿لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا﴾ أي: زعافاً مُرّاً لا يصلح لشرب ولا زرع ﴿فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾ أي: فهلا تشكرون نعمة الله عليكم في إنزاله المطر عليكم عذباً زلالاً ﴿لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ۝١٠ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝١١﴾ [النحل].

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا عثمان بن سعيد بن مرة، حدثنا فضيل بن مرزوق، عن جابر، عن أبي جعفر، عن النبي ﷺ أنه كان إذا شرب الماء قال: «الحمد لله الذي سقانا عذباً فراتاً برحمته، ولم يجعله ملحاً أجاجاً بذنوبنا»[٤].

ثم قال: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ۝٧١﴾ أي: تقدحون من الزناد وتستخرجونها من أصلها ﴿ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ۝٧٢﴾ أي: بل نحن الذين جعلناها مودعة في موضعها. وللعرب شجرتان (إحداهما) المرخ، (والأخرى) العفار، إذا أخذ منهما غصنان أخضران فحك أحدهما بالآخر تناثر من بينهما شرر النار.

وقوله تعالى: ﴿نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً﴾ قال مجاهد وقتادة: أي تذكر النار الكبرى[٥]، قال قتادة: ذُكر لنا أن رسول الله ﷺ قال: «يا قوم ناركم هذه التي توقدون جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم» قالوا: يا رسول الله إن كانت لكافية. قال: «إنها قد ضربت بالماء ضربتين - أو مرتين - حتى يستنفع بها بنو آدم ويدنوا منها»[٦]. وهذا الذي أرسله قتادة قد رواه الإمام أحمد في مسنده فقال: حدثنا سفيان، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «إن ناركم هذه جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم وضربت بالبحر مرتين، ولولا ذلك ما جعل الله فيها منفعة لأحد»[٧].

وقال الإمام مالك: عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «نار بني آدم التي يوقدون جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم» فقالوا: يا رسول الله إن كانت لكافية، فقال: «إنها قد فضلت عليها بتسعة وستين جزءاً»[٨]. رواه البخاري من حديث مالك ومسلم من حديث أبي الزناد ورواه مسلم من حديث عبد الرزاق، عن معمر، عن همام، عن أبي هريرة

---

(١) كذا في (حم) و(ح)، وفي الأصل بياض. (٢) ذكره البغوي (معالم التنزيل ٤/٢٨٨).
(٣) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي عن ابن عباس ويتقوىٰ بما أخرجه آدم والطبري بسند صحيح.
(٤) سنده ضعيف لإرساله.
(٥) أخرجه آدم بن أبي آياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة.
(٦) الحديث تتمة للأثر السابق لكنه مرسل ويشهد لشقه الأول الحديث التالي.
(٧) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٢/ ٢٤٤) وسنده صحيح.
(٨) أخرجه الإمام مالك بسنده ومتنه (الموطأ، كتاب جهنم، باب ما جاء في صفة جهنم، ٢/٧٥٩ ح١). وسنده صحيح.

به[١]. وفي لفظ «والذي نفسي بيده لقد فضلت عليها بتسعة وستين جزءاً كلهن مثل حرها»[٢].

وقد قال أبو القاسم الطبراني: حدثنا أحمد بن عمرو الخلال، حدثنا إبراهيم بن المنذر الحزامي، حدثنا معن بن عيسى القزار، عن مالك، عن عمه أبي السهيل، عن أبيه، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «أتدرون ما مثل ناركم هذه من نار جهنم؟ لهي أشد سواداً من ناركم هذه بسبعين ضعفاً»[٣].

قال الضياء المقدسي: وقد رواه ابن مصعب، عن مالك، ولم يرفعه وهو عندي على شرط الصحيح.

وقوله تعالى: ﴿وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ﴾ قال ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك والنضر بن عربي: يعني بالمقوين: المسافرين[٤]، واختاره ابن جرير وقال: ومنه قولهم أقوت الدار إذا رحل أهلها.

وقال غيره: القي والقواء: القفر الخالي البعيد من العمران.

وقال عبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم: المقوي هٰهنا الجائع[٥].

وقال ليث بن أبي سليم، عن مجاهد: ﴿وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ﴾، للحاضر والمسافر لكل طعام لا يصلحه إلا النار[٦]، وكذا روى سفيان، عن جابر الجعفي، عن مجاهد[٧].

وقال ابن أبي نجيح، عن مجاهد: قوله: ﴿لِّلْمُقْوِينَ﴾ يعني: المستمتعين من الناس أجمعين[٨]، وكذا ذكر عن عكرمة، وهذا التفسير أعمُّ من غيره، فإن الحاضر والبادي من غني وفقير الجميع محتاجون إليها للطبخ والاصطلاء والإضاءة وغير ذلك من المنافع، ثم من لطف الله تعالى أن أودعها في الأحجار وخالص الحديد بحيث يتمكن المسافر من حمل ذلك في متاعه وبين ثيابه، فإذا احتاج إلى ذلك في منزله أخرج زنده وأورى وأوقد ناره فأطبخ بها واصطلى بها واشتوى، واستأنس بها وانتفع بها سائر الانتفاعات، لهذا أفرد المسافرين وإن كان ذلك عاماً في حق الناس كلهم! وقد يستدل له بما رواه الإمام أحمد وأبو داود من حديث أبي خداش حبان بن زيد الشرعي الشامي، عن رجل من المهاجرين من قرن أن رسول الله ﷺ قال: «المسلمون شركاء في ثلاثة: النار والكلأ والماء»[٩]. وروى ابن ماجه بإسناد جيد عن أبي هريرة قال: قال

---

(١) صحيح البخاري، بدء الخلق، باب صفة النار وأنها مخلوقة (ح٣٢٦٥) وصحيح مسلم، الجنة وصفة نعيمها، باب في شدة حر جهنم بعد (ح٢٨٤٣).

(٢) المصدر السابق (٢٨٤٣).

(٣) أخرجه الطبراني بسنده ومتنه (المعجم الأوسط ١/ ٣٠٠ ح٤٨٩) ويشهد له ما سبق في رواية مالك والشيخين، وقال الهيثمي: ورجاله رجال الصحيح (مجمع الزوائد ١٠/ ٣٨٧).

(٤) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة، وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة.

(٥) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن عبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم.

(٦) في سنده ليث فيه مقال ويخالف ما صح عن مجاهد.

(٧) أخرجه الطبري من طريق سفيان به، وسنده ضعيف لضعف جابر وهو ابن يزيد الجعفي.

(٨) أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.

(٩) (المسند ٥/ ٣٦٤) وسنن أبي داود، البيوع، باب في منع الماء (ح٣٤٧٧) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح٢٩٦٨).

رسول الله ﷺ: «ثلاث لا يمنعن: الماء والكلأ والنار»[١] وله من حديث ابن عباس مرفوعاً مثل هذا وزيادة: وثمنه حرام، ولكن في إسناده عبد الله بن خراش بن حوشب وهو ضعيف، والله أعلم.

وقوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾ أي: الذي بقدرته خلق هذه الأشياء المختلفة المتضادة: الماء الزُلال العذب البارد ولو شاء لجعله ملحاً أجاجاً كالبحار المغرقة، وخلق النار المحرقة وجعل ذلك مصلحة للعباد، وجعل هذه منفعة لهم في معاش دنياهم وزاجراً لهم في المعاد[٢].

﴿۞ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾﴾.

قال جويبر، عن الضحاك: إن الله تعالى لا يقسم بشيء من خلقه ولكنه استفتاح يستفتح به كلامه[٣]، وهذا القول ضعيف، والذي عليه الجمهور أنه قسم من الله يقسم بما شاء من خلقه، وهو دليل على عظمته، ثم قال بعض المفسرين: لا هٰهنا زائدة وتقديره أقسم بمواقع النجوم، ورواه ابن جرير عن سعيد بن جبير[٤]. ويكون جوابه ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾﴾.

وقال آخرون: ليست لا زائدة لا معنى لها بل يؤتى بها في أول القسم إذا كان مقسماً به على منفي كقول عائشة ﵂: لا والله ما مست يد رسول الله ﷺ يد امرأة قط[٥]، وهكذا هٰهنا تقدير الكلام: لا أقسم بمواقع النجوم، ليس الأمر كما زعمتم في القرآن أنه سحر أو كهانة بل هو قرآن كريم.

وقال ابن جرير: وقال بعض أهل العربية: معنى قوله: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ﴾ فليس الأمر كما تقولون ثم استأنف القسم بعد ذلك فقيل: أُقسم[٦]. واختلفوا في معنى قوله: ﴿بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾ فقال حكيم بن جبير: عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس: يعني: نجوم القرآن فإنه نزل جملة ليلة القدر من السماء العليا إلى السماء الدنيا، ثم نزل مفرقاً في السنين بعد. ثم قرأ ابن عباس هذه الآية[٧].

وقال الضحاك، عن ابن عباس: نزل القرآن جملة من عند الله من اللوح المحفوظ إلى السفرة

---

(١) سنن ابن ماجه، الرهون باب المسلمون شركاء في ثلاث (ح٢٤٧٣) وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (ح٢٠٠٥).

(٢) المصدر السابق (ح٢٤٧٢) وصححه الألباني دون قوله: وثمنه حرام صحيح سنن ابن ماجه (ح٢٠٠٤).

(٣) سنده ضعيف جداً لأن جويبر متروك كما في التقريب.

(٤) أخرجه الطبري بسند فيه ابن حميد وهو محمد بن حميد الرازي وهو ضعيف، ولفظه: أُقسم.

(٥) أخرجه البخاري (الصحيح، الشروط، باب ما يجوز من الشروط في الإسلام ح٢٧١٣).

(٦) ذكره الطبري بلفظه.

(٧) أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري كلاهما من طريق حكيم بن جبير به وسنده ضعيف لضعف حكيم (التقريب ص١٧٦) ويتقوىٰ برواية عكرمة عن ابن عباس المتقدمة في تفسير سورة الإسراء آية ١٠٦.

الكرام الكاتبين في السماء الدنيا، فنجمته السفرة على جبريل عشرين ليلة، ونجمه جبريل على محمد ﷺ عشرين سنة فهو قوله: ﴿۞ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝٧٥﴾ نجوم القرآن[١]، وكذا قال عكرمة ومجاهد والسدي وأبو حزرة[٢].

وقال مجاهد أيضاً: مواقع النجوم في السماء ويقال: مطالعها ومشارقها[٣].

وكذا قال الحسن وقتادة[٤] وهو اختيار ابن جرير.

وعن قتادة: مواقعها منازلها[٥].

وعن الحسن أيضاً: أن المراد بذلك انتثارها يوم القيامة[٦].

وقال الضحاك: ﴿۞ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝٧٥﴾ يعني: بذلك الأنواء التي كان أهل الجاهلية إذا أمطروا قالوا: مطرنا بنوء كذا وكذا.

وقوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ۝٧٦﴾ أي: وإن هذا القسم الذي أقسمت به لقسم عظيم، لو تعلمون عظمته لعظمتم المقسم به عليه ﴿إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٌ كَرِيمٌ ۝٧٧﴾ أي: إن هذا القرآن الذي نزل على محمد لكتاب عظيم ﴿فِي كِتَٰبٍ مَّكۡنُونٍ ۝٧٨﴾ أي: معظم، في كتاب معظم محفوظ موقر.

وقال ابن جرير: حدثني إسماعيل بن موسى: أخبرنا شريك، عن حكيم هو: ابن جبير، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ۝٧٩﴾ قال: الكتاب الذي في السماء[٧].

وقال العوفي، عن ابن عباس: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ۝٧٩﴾ يعني: الملائكة[٨]، وكذا قال أنس ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير والضحاك وأبو الشعثاء جابر بن زيد، وأبو نهيك والسدي وعبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم وغيرهم[٩].

وقال ابن جرير: حدثنا ابن عبد الأعلى، حدثنا ابن ثور، حدثنا معمر، عن قتادة ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ۝٧٩﴾ قال: لا يمسه عند الله إلا المطهرون، فأما في الدنيا فإنه يمسه المجوس النجس، والمنافق الرجس، وقال: وهي في قراءة ابن مسعود: «ما يمسه إلا المطهرون»[١٠].

---

(١) سنده ضعيف لأن الضحاك لم يسمع من ابن عباس، ويشهد لبعضه ما تقدم في تخريج الرواية السابقة.

(٢) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق المعتمر بن سليمان عن أبيه عن عكرمة.

(٣) أخرجه الطبري وآدم بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.

(٤) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة.

(٥) أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة.

(٦) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق قتادة عن الحسن.

(٧) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده ضعيف لضعف حكيم بن جبير (التقريب ص١٧٦).

(٨) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به ويتقوىٰ بالآثار التالية. وأخرجه الطبري من قول جابر بن زيد وأبي نهيك وعكرمة، وفي أسانيدهم ابن حميد وهو محمد بن حميد الرازي وهو ضعيف، ويتقوىٰ بما سبق.

(٩) أخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد، وأخرجه الطبري بأسانيد من طريق الربيع بن أبي راشد عن سعيد بن جبير، والربيع لم أجد له ترجمة.

(١٠) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده إلى قتادة صحيح، ولكنه منقطع عن ابن مسعود لأن قتادة لم يسمع منه.

وقال أبو العالية: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ۝٧٩﴾ ليس أنتم، أنتم أصحاب الذنوب[١].

وقال ابن زيد: زعمت كفار قريش أن هذا القرآن تنزلت به الشياطين، فأخبر الله تعالى أنه لا يمسه إلا المطهرون[٢] كما قال تعالى: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ۝٢١٠ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ۝٢١١ إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ۝٢١٢﴾ [الشعراء] وهذا القول قول جيد، وهو لا يخرج عن الأقوال التي قبله.

وقال الفراء: لا يجد طعمه ونفعه إلا من آمن به[٣].

وقال آخرون: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ۝٧٩﴾ أي: من الجنابة والحدث قالوا: ولفظ الآية خبر ومعناها الطلب، قالوا: والمراد بالقرآن هٰهنا المصحف، كما روى مسلم، عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ نهى أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو مخافة أن يناله العدو[٤]. واحتجوا في ذلك بما رواه الإمام مالك في موطئه عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم أن في الكتاب الذي كتبه رسول الله ﷺ لعمرو بن حزم: أن لا يمس القرآن إلا طاهر[٥].

وروى أبو داود في المراسيل من حديث الزهري قال: قرأت في صحيفة عند أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم أن رسول الله ﷺ قال: «ولا يمس القرآن إلا طاهر»[٦]. وهذه وجادة جيدة قد قرأها الزهري وغيره، ومثل هذا ينبغي الأخذ به، وقد أسنده الدارقطني، عن عمرو بن حزم وعبد الله بن عمر وعثمان بن أبي العاص وفي إسناد كل منهما نظر[٧]، والله أعلم.

وقوله تعالى: ﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٨٠﴾ أي: هذا القرآن منزل من الله رب العالمين وليس هو كما يقولون إنه سحر أو كهانة أو شعر، بل هو الحق الذي لا مرية فيه وليس وراءه حق نافع.

وقوله تعالى: ﴿أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ۝٨١﴾ قال العوفي، عن ابن عباس: أي مكذبون غير مصدقين[٨]، وكذا قال الضحاك وأبو حزرة والسدي.

وقال مجاهد: ﴿مُّدْهِنُونَ﴾ أي: تريدون أن تمالئوهم فيه وتركنوا إليهم[٩]. ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ۝٨٢﴾ قال بعضهم: معنى ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ﴾ بمعنى شكركم أنكم تكذبون [أي تكذبون بدل

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (المصنف ١٣/٥٤٨) والطبري بسند حسن من طريق عاصم الأحول عن أبي العالية.

(٢) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

(٣) ذكره الفراء (معاني القرآن ٣/ ١٣٠).

(٤) أخرجه مسلم (الصحيح، الإمارة، باب النهي أن يسافر بالمصحف إلى أرض الكفار إذا خيف وقوعه بأيديهم ح١٨٦٩).

(٥) الموطأ، القرآن، باب الأمر بالوضوء لمن مسّ القرآن ١/ ١٧٧ ح١. وسنده مرسل.

(٦) أخرجه أبو داود وقال: روي هذا الحديث مسنداً ولا يصح. (المراسل ح٩٤).

(٧) سنن الدارقطني، الطهارة، باب في نهي المحدث عن مسِّ القرآن ١/ ٢٢ (ح٥) وألمح الحافظ ابن كثير إلى تضعيفه، وضعفه الألباني (إرواء الغليل ١/ ١٥٨).

(٨) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به، ومعناه صحيح.

(٩) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.

الشكر، وقد روي عن علي وابن عباس أنهما قرآها «وتجعلون شكركم أنكم تكذبون»[(١)] [(٢)] كما سيأتي وقال ابن جرير: وقد ذكر عن الهيثم بن عدي أن من لغة أزدشنوءة ما رزق فلان بمعنى ما شكر فلان[(٣)].

وقال الإمام أحمد: حدثنا حسين بن محمد، حدثنا إسرائيل، عن عبد الأعلى، عن أبي عبد الرحمٰن، عن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «وتجعلون رزقكم يقول: شكركم أنكم تكذبون، وتقولون: مُطرنا بنوء كذا وكذا بنجم كذا وكذا»[(٤)]. وهكذا رواه ابن أبي حاتم، عن أبيه، عن مخول بن إبراهيم النهدي، وابن جرير، عن محمد بن المثنى، عن عبيد الله بن موسى، وعن يعقوب بن إبراهيم، عن يحيى بن أبي بكير، ثلاثتهم عن إسرائيل به مرفوعاً، وكذا رواه الترمذي، عن أحمد بن منيع، عن حسين بن محمد وهو: المروزي به، وقال: حسن غريب، وقد رواه سفيان الثوري، عن عبد الأعلى ولم يرفعه[(٥)].

وقال ابن جرير: حدثنا محمد بن بشار، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: ما مطر قوم قط إلا أصبح بعضهم كافراً يقولون مطرنا بنوء كذا وكذا. وقرأ ابن عباس (وتجعلون شكركم أنكم تكذبون)[(٦)]. وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس. وقال مالك في الموطأ: عن صالح بن كيسان، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، عن زيد بن خالد الجهني أنه قال: صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية في أثر سماء كانت في الليل، فلما انصرف أقبل على الناس فقال: «هل تدرون ماذا قال ربكم؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «قال أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مُطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب، وأما من قال: مُطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي ومؤمن بالكواكب»[(٧)]. أخرجاه في الصحيحين وأبو داود والنسائي، كلهم من حديث مالك به[(٨)].

وقال مسلم: حدثنا محمد بن سلمة المرادي وعمرو بن سواد، حدثنا عبد الله بن وهب، عن

---

(١) زيادة من (ح) و(حم).
(٢) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق إسرائيل عن عبد الأعلى التغلبي عن أبي عبد الرحمٰن السلمي عن علي، وهي قراءة شاذة تفسيرية، وأخرجه الثوري عن عبد الأعلى به (ينظر: سنن الترمذي، التفسير، باب ومن سورة الواقعة بعد ح٣٢٩٥). وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس، وصححه الحافظ ابن كثير كما سيأتي.
(٣) ذكره الطبري بلفظه.
(٤) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٢/ ٢١٠ ح٨٤٩) وقال محققوه: حسن لغيره.
(٥) سنن الترمذي، التفسير، باب ومن سورة الواقعة (ح٣٢٩٥). وأخرجه الضياء المقدسي من طريق حسين بن محمد به (المختارة ٢/ ١٩١ ح٥٧١) وحسن سنده محققه، والراجح وقفه على علي رضي الله عنه.
(٦) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده صحيح.
(٧) الموطأ، الاستسقاء، باب الاستمطار بالنجوم ١/ ١٧٠ (ح٤).
(٨) صحيح البخاري، الأذان، باب يستقبل الإمام الناس إذا سلم (ح٨٤٦)، وصحيح مسلم، الإيمان، باب كفر من قال: مطرنا بالنوء (ح١٢٥).

عمرو بن الحارث أن أبا يونس حدثه، عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ما أنزل الله من السماء من بركة إلا أصبح فريق من الناس بها كافرين، ينزل الغيث فيقولون بكوكب كذا وكذا»[١]. انفرد به مسلم من هذا الوجه.

وقال ابن جرير: حدثني يونس، أخبرنا سفيان، عن محمد بن إسحاق، عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله ليصبح القوم بالنعمة أو يمسيهم بها فيصبح بها قوم كافرين، يقولون: مُطرنا بنوء كذا وكذا»، قال محمد: هو ابن إبراهيم، فذكرت هذا الحديث لسعيد بن المسيب فقال: ونحن قد سمعنا من أبي هريرة، وقد أخبرني من شهد عمر بن الخطاب ﷺ وهو يستسقي، فلما استسقى التفت إلى العباس فقال: يا عباس يا عمَّ رسول الله: كم أبقى من نوء الثريا؟ فقال: العلماء يزعمون أنها تعترض في الأفق بعد سقوطها سبعاً، قال: فما مضت سابعة حتى مُطروا[٢].

وهذا محمول على السؤال عن الوقت الذي أجرى الله فيه العادة بإنزال المطر، لا أن ذلك النوء مؤثر بنفسه في نزول المطر، فإن هذا هو المنهي عن اعتقاده، وقد تقدم شيء من هذه الأحاديث عند قوله تعالى: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾ [فاطر: ٢].

وقال ابن جرير: حدثني يونس، أخبرنا سفيان، عن إسماعيل بن أُمية فيما أحسبه أو غيره أن رسول الله ﷺ سمع رجلاً ومُطروا يقول: مُطرنا ببعض عثانين الأسد، فقال: «كذبت بل هو رزق الله»[٣].

ثم قال ابن جرير: حدثني أبو صالح الصراري، حدثنا أبو جابر محمد بن عبد الملك الأزدي، حدثنا جعفر بن الزبير، عن القاسم، عن أبي أُمامة، عن النبي ﷺ قال: «ما مُطر قوم من ليلة إلا أصبح قوم بها كافرين، ثم قال: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ۝٨٢﴾ يقول قائل: مطرنا بنجم كذا وكذا»[٤]. وفي حديث عن أبي سعيد مرفوعاً: «لو قحط الناس سبع سنين ثم أُمطروا لقالوا: مُطرنا بنوء المجدح»[٥][٦].

وقال مجاهد: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ۝٨٢﴾ قال: قولهم في الأنواء مُطرنا بنوء كذا، وبنوء كذا، يقول: قولوا هو من عند الله وهو رزقه[٧]، وهكذا قال الضحاك وغير واحد[٨].

وقال قتادة: أما الحسن فكان يقول: بئس ما أخذ قوم لأنفسهم لم يرزقوا من كتاب الله إلا

---

(١) أخرجه مسلم بسنده ومتنه. (المصدر السابق، الحديث الذي بعده مباشرة).

(٢) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وأخرجه الحميدي من طريق سفيان به (المسند ٢/ ٤٣٢ ح٩٧٩) وسنده ضعيف لعنعنة ابن إسحاق.

(٣) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده ضعيف لإرساله وتردده.

(٤) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده ضعيف جداً لأن جعفر بن الزبير متروك. (التقريب ص١٤٠)

(٥) هو اسم نجم من النجوم.

(٦) أخرجه الإمام أحمد من حديث أبي سعيد ﷺ مرفوعاً. (المسند ١٧/ ٩٥ ح١١٠٤٢). وحسنه محققوه.

(٧) أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.

(٨) أخرجه الطبري بسند ضعيف فيه إبهام شيخه، ويتقوىٰ بسابقه.

التكذيب[١]، فمعنى قول الحسن هذا وتجعلون حظكم من كتاب الله أنكم تكذبون به ولهذا قال قبله: ﴿أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ۝٨١ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ۝٨٢﴾.

﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ۝٨٣ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ۝٨٤ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ۝٨٥ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ۝٨٦ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٨٧﴾.

يقول تعالى: ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ﴾ أي: الروح ﴿ٱلْحُلْقُومَ﴾ أي: الحلق وذلك حين الاحتضار، كما قال تعالى: ﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِىَ ۝٢٦ وَقِيلَ مَنْ ۜ رَاقٍ ۝٢٧ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ ۝٢٨ وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ۝٢٩ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ۝٣٠﴾ [القيامة] ولهذا قال هٰهنا: ﴿وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ۝٨٤﴾ أي: إلى المحتضر وما يكابده من سكرات الموت ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ﴾ أي: بملائكتنا ﴿وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ﴾ أي: ولكن لا ترونهم، كما قال تعالى في الآية الأخرى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ۝٦١ ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ۝٦٢﴾ [الأنعام].

وقوله تعالى: ﴿فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ۝٨٦ تَرْجِعُونَهَآ﴾ معناه فهلا ترجعون هذه النفس التي قد بلغت الحلقوم إلى مكانها الأول ومقرها من الجسد إن كنتم غير مدينين.

قال ابن عباس: يعني محاسبين[٢]، وروي عن مجاهد وعكرمة والحسن وقتادة والضحاك والسدي وأبي حزرة مثله[٣].

وقال سعيد بن جبير والحسن البصري: ﴿فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ۝٨٦﴾ غير مصدقين[٤] أنكم تدانون وتبعثون وتجزون فردوا هذه النفس.

وعن مجاهد: ﴿غَيْرَ مَدِينِينَ﴾ غير موقنين[٥].

وقال ميمون بن مهران: غير معذبين مقهورين.

﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ۝٨٨ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ۝٨٩ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ۝٩٠ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ۝٩١ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ۝٩٢ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ۝٩٣ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ۝٩٤ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ۝٩٥ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ۝٩٦﴾.

هذه الأحوال الثلاثة هي أحوال الناس عند احتضارهم، إما أن يكون من المقربين أو يكون ممن دونهم من أصحاب اليمين، وإما أن يكون من المكذبين بالحق الضالين عن الهدى الجاهلين بأمر الله، ولهذا قال تعالى: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ﴾ أي: المحتضر ﴿مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ وهم الذين فعلوا

---

(١) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة به.

(٢) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس.

(٣) أخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

(٤) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق عوف، وهو الأعرابي، عن الحسن.

(٥) عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد.

الواجبات والمستحبات، وتركوا المحرمات والمكروهات وبعض المباحات.

﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ أي: فلهم روح ﴿وَرَيْحَانٌ﴾ وتبشرهم الملائكة بذلك عند الموت كما تقدم في حديث البراء أن ملائكة الرحمة تقول: أيتها الروح الطيبة في الجسد الطيب كنت تعمرينه، اخرجي إلى روح وريحان وربٍّ غير غضبان(١).

قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس ﴿فَرَوْحٌ﴾ يقول: راحة، وريحان يقول: مستراحة(٢)، وكذا قال مجاهد: إن الروح الاستراحة(٣).

وقال أبو حزرة: الراحة من الدنيا.

وقال سعيد بن جبير والسدي: الروح الفرح(٤).

وعن مجاهد: ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ﴾ جنة ورخاء.

وقال قتادة: فروح فرحمة(٥).

وقال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير: وريحان: ورزق(٦)، وكل هذه الأقوال متقاربة صحيحة، فإن من مات مقرباً حصل له جميع ذلك من الرحمة والراحة والاستراحة، والفرح والسرور والرزق الحسن، ﴿وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾.

وقال أبو العالية: لا يفارق أحد من المقربين حتى يؤتى بغصن من ريحان الجنة فيقبض روحه(٧) فيه.

وقال محمد بن كعب: لا يموت أحد من الناس حتى يعلم من أهل الجنة هو أم من أهل النار، وقد قدمنا أحاديث الاحتضار عند قوله تعالى في سورة إبراهيم: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ﴾ [٢٧] ولو كتبت هٰهنا لكان حسناً، من جملتها حديث تميم الداري، عن النبي ﷺ يقول: «يقول الله تعالى لملك الموت انطلق إلى [فلان فائتني به فإنه قد جربته بالسراء والضراء](٨) فوجدته حيث أحب، ائتني فلأريحه، قال: فينطلق إليه ملك الموت ومعه خمسمائة من الملائكة معهم أكفان وحنوط من الجنة، ومعهم ضبائر الريحان - أصل الريحانة واحد - وفي رأسها عشرون لوناً لكل لون منها ريح سوى ريح صاحبه، ومعهم الحرير الأبيض فيه المسك»(٩). وذكر تمام الحديث بطوله كما تقدم وقد وردت أحاديث تتعلق بهذه الآية.

قال الإمام أحمد: حدثنا يونس بن محمد، حدثنا هارون، عن بديل بن ميسرة، عن عبد الله بن

---

(١) تقدم تخريجه في تفسير سورة إبراهيم آية ٢٧.
(٢) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق علي به.
(٣) أخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.
(٤) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق أبي إسحاق السبيعي عن سعيد بن جبير.
(٥) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.
(٦) تقدم تخريجه بالأسانيد المتقدمة في الروايات الأربع السابقة.
(٧) أخرجه الطبري بسند جيد من طريق الربيع بن أنس عن أبي العالية.
(٨) كذا في (حم) و(ح)، وفي الأصل بياض.
(٩) تقدم تخريجه في تفسير سورة إبراهيم آية ٢٧.

شقيق، عن عائشة أنها سمعت رسول الله ﷺ يقرأ ﴿فَرُوحٌ وَرَيْحَانٌ﴾ برفع الراء[١]، وكذا رواه أبو داود والترمذي والنسائي من حديث هارون، وهو ابن موسى الأعور به، وقال الترمذي: لا نعرفه إلا من حديثه[٢]. وهذه القراءة هي قراءة يعقوب وحده وخالفه الباقون فقرءوا ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ﴾ بفتح الراء.

وقال الإمام أحمد: حدثنا حسن، حدثنا ابن لهيعة، حدثنا أبو الأسود محمد بن عبد الرحمٰن بن نوفل أنه سمع [ذَرَّة][٣] بنت معاذ تحدث عن أم هانئ، أنها سألت رسول الله ﷺ: أنتزاور إذا متنا ويرى بعضنا بعضاً؟ فقال رسول الله ﷺ: «يكون النسم طيراً يعلق بالشجر حتى إذا كان يوم القيامة دخلت كل نفس في جسدها»[٤]. هذا الحديث فيه بشارة لكل مؤمن، ومعنى يعلق يأكل، ويشهد له بالصحة أيضاً ما رواه الإمام أحمد، عن الإمام محمد بن إدريس الشافعي، عن الإمام مالك بن أنس، عن الزهري، عن عبد الرحمٰن بن كعب بن مالك، عن أبي، عن رسول الله ﷺ قال: «إنما نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة حتى يرجعه الله إلى جسده يوم يبعثه»[٥]. وهذا إسناد عظيم ومتن قويم.

وفي الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «إن أرواح الشهداء في حواصل طيور خضر تسرح في رياض الجنة حيث شاءت، ثم تأوي إلى قناديل معلقة بالعرش» الحديث[٦].

وقال الإمام أحمد: حدثنا عفان، حدثنا همام، حدثنا عطاء بن السائب قال: كان أول يوم عرفت فيه عبد الرحمٰن بن أبي ليلى رأيت شيخاً أبيض الرأس واللحية على حمار، وهو يتبع جنازة فسمعته يقول: حدثني فلان بن فلان سمع رسول الله ﷺ يقول: «من أحبَّ لقاء الله أحبَّ الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه» قال: فأكبَّ القوم يبكون، فقال: «ما يبكيكم؟» فقالوا: إنا نكره الموت، قال: «ليس ذاك ولكنه إذا احتضر ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾» فإذا بُشر بذلك أحبَّ لقاء الله ﷻ، والله ﷻ للقائه أحبّ ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾﴾، فإذا بُشر بذلك كره لقاء الله والله تعالى للقائه أكره»[٧]، هكذا رواه الإمام أحمد، وفي الصحيح عن عائشة ﵂ شاهد لمعناه[٨].

وقوله تعالى: ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾﴾ أي: وأما إذا كان المحتضر من أصحاب اليمين ﴿فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾﴾ أي: تبشرهم الملائكة بذلك تقول

---

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٤٠/ ٤١٠ ح٢٤٣٥٢) وصحح سنده محققوه. والقراءة متواترة.
(٢) سنن أبي داود، الحروف والقراءات (ح٣٩٩١)، وسنن الترمذي، أبواب القراءات (ح٣١١٩) وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي بعد (ح٢٣٤٠).
(٣) كذا بالذال كما في المسند وترجمتها في الإكمال وتعجيل المنفعة، وفي الأصول الخطية بالدال: «دره».
(٤) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٤٥/ ٣٨٣ ح٢٧٣٨٧) وقال محققوه: صحيح لغيره. ولو قالوا: حسن لغيره لكان أضبط، ويشهد له ما يليه.
(٥) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٢٥/ ٥٨ ح١٥٧٧٨) وصحح سنده محققوه، ومن قبلهم الحافظ ابن كثير.
(٦) صحيح مسلم، الإمارة، باب بيان أن أرواح الشهداء في الجنة (ح١٨٨٧).
(٧) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٣٠/ ٢١٦ ح١٨٢٨٣) وحسن سنده محققوه.
(٨) صحيح مسلم، الذكر والدعاء، باب من أحب الله أحب الله لقاءه (ح٢٦٨٤).

لأحدهم: سلام لك؛ أي: لا بأس عليك أنت إلى سلامة، أنت من أصحاب اليمين.

وقال قتادة وابن زيد: سلم من عذاب الله وسلَّمت عليه ملائكة الله[١]، كما قال عكرمة: تسلِّم عليه الملائكة وتخبره أنه من أصحاب اليمين، وهذا معنى حسن، ويكون ذلك كقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [فصلت].

وقال البخاري: ﴿فَسَلَٰمٌ لَّكَ﴾ أي: مسلّم لك أنك ﴿مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ﴾ وألغيت إن وبقي معناها كما تقول أنت مصدق مسافر عن قليل إذا كان قد قال إني مسافر عن قليل، وقد يكون كالدعاء له كقولك: سُقياً لك من الرجال إن رفعت السلام، فهو من الدعاء[٢]، وقد حكاه ابن جرير هكذا عن بعض أهل العربية ومالَ إليه والله أعلم[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾﴾ أي: وأما إن كان المحتضر من المكذبين بالحق الضالين عن الهدى ﴿فَنُزُلٌ﴾ أي: فضيافة ﴿مِّنْ حَمِيمٍ﴾ وهو المذاب الذي يصهر به ما في بطونهم والجلود ﴿وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾﴾ أي: وتقرير له في النار التي تغمره من جميع جهاته. ثم قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾﴾ أي: إن هذا الخبر لهو حق اليقين الذي لا مرية فيه ولا محيد لأحد عنه ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾﴾.

قال الإمام أحمد: حدثنا أبو عبد الرحمٰن، حدثنا موسى بن أيوب الغافقي، حدثني عمي إياس بن عامر، عن عقبة بن عامر الجهني قال: لما نزلت على رسول الله ﷺ ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾﴾ قال: «اجعلوها في ركوعكم» ولما نزلت ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾﴾ [الأعلى] قال رسول الله ﷺ: «اجعلوها في سجودكم»[٤]. وكذا رواه أبو داود وابن ماجه من حديث عبد الله بن المبارك، عن موسى بن أيوب[٥] به.

وقال روح بن عبادة: حدثنا حجاج الصواف، عن أبي الزبير، عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال سبحان الله العظيم وبحمده غرست له نخلة في الجنة». هكذا رواه الترمذي من حديث روح، ورواه هو والنسائي أيضاً من حديث حماد بن سلمة، من حديث أبي الزبير، عن جابر، عن النبي ﷺ به، وقال الترمذي: حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث أبي الزبير[٦].

---

(١) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

(٢) ذكره البخاري بلفظه (ينظر فتح الباري ٨/ ٦٢٥) وهو منقول عن الفراء في (معاني القرآن ٣/ ١٣١).

(٣) أي: نقله عن الفراء أيضاً.

(٤) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٤/ ١٥٥). وفي سنده موسىٰ بن أيوب: مقبول (التقريب ص٥٤٩).

(٥) سنن أبي داود، الصلاة، باب ما يقول الرجل في ركوعه (ح٨٦٩) وسنن ابن ماجه، الإقامة، باب التسبيح في الركوع والسجود (ح٨٨٧) وضعفه الألباني في ضعيف سنن ابن ماجه.

(٦) سنن الترمذي، الدعوات، باب فضل سبحان الله (ح٣٤٦٠) والسنن الكبرىٰ، عمل اليوم والليلة (ح١٠٦٦٣) وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (ح٢٧٥٧).

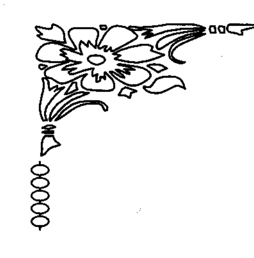
وقال البخاري في آخر كتابه: حدثنا أحمد بن أشكاب، حدثنا محمد بن فضيل، حدثنا عمارة بن القعقاع، عن أبي زرعة، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمٰن: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم»[١]. ورواه بقية الجماعة إلا أبا داود من حديث محمد بن فضيل بإسناده مثله[٢].

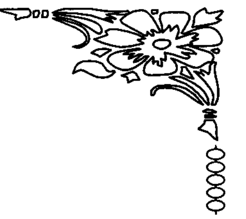
آخر تفسير سورة الواقعة، ولله الحمد والمنة.

---

(١) أخرجه البخاري بسنده ومتنه (الصحيح، التوحيد، قول الله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الأنبياء: ٤٧] ح٧٥٦٣).

(٢) صحيح مسلم، الذكر والدعاء، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء (ح٢٦٩٤).





سُورَةُ الحَدِيدِ

وهي مدنية

قال الإمام أحمد: حدثنا يزيد بن عبد ربه، حدثنا بَقية بن الوليد، حدثني بَحير بن سعد، عن خالد بن معدان، عن ابن أبي بلال، عن عِرباض بن سارية أنه حدثهم أن رسول الله ﷺ كان يقرأ المسبحات قبل أن يرقد وقال: «إن فيهن آية أفضل من ألف آية»(١). وهكذا رواه أبو داود والترمذي والنسائي من طرق عن بقية به.

وقال الترمذي: حسن غريب(٢). ورواه النسائي، عن ابن أبي السرح، عن ابن وهب، عن معاوية بن صالح، عن بَحير بن سعد، عن خالد بن معدان قال: كان رسول الله ﷺ فذكره مرسلاً(٣)، ولم يذكر عبد الله بن أبي بلال ولا العرباض بن سارية، والآية المشار إليها في الحديث هي والله أعلم قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝٣﴾ كما سيأتي بيانه قريباً إن شاء الله تعالى، وبه الثقة [وعليه التكلان، وهو حسبنا ونعم الوكيل](٤).

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٢ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝٣﴾.

يخبر تعالى أنه يسبح له ما في السمٰوات وما في الأرض؛ أي: من الحيوانات والنباتات، كما قال في الآية الأخرى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ۝٤٤﴾ [الإسراء].

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ أي: الذي قد خضع له كل شيء ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ في خلقه وأمره وشرعه ﴿لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ﴾ أي: هو المالك المتصرف في خلقه فيحيي ويميت ويعطي من يشاء ما يشاء ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ أي: ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٤/١٢٨) وسنده ضعيف.
(٢) سنن أبي داود، الأدب، باب ما يقال عند النوم (ح٥٠٥٧، وسنن الترمذي، ثواب القرآن، باب رقم ٢١ ح٢٩٢١)، والسنن الكبرىٰ للنسائي، باب عمل اليوم والليلة (ح١٠٥٤٩) وضعفه الألباني في ضعيف سنن أبي داود (ح١٠٧٣)
(٣) السنن الكبرىٰ، عمل اليوم والليلة (ح١٠٥٥١).
(٤) زيادة من (ح).

وقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾ وهذه الآية هي المشار إليها في حديث عرباض بن سارية أنها أفضل من ألف آية.

وقال أبو داود: حدثنا عباس بن عبد العظيم، حدثنا النضر بن محمد، حدثنا عكرمة؛ ـ يعني: ابن عمار ـ حدثنا أبو زميل قال: سألت ابن عباس فقلت: ما شيء أجده في صدري؟ قال: ما هو؟ قلت: والله لا أتكلم به. قال: فقال لي: أشيء من شك؟ قال: وضحك، قال: ما نجا من ذلك أحد، قال: حتى أنزل الله تعالى: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ الآية [يونس: ٩٤]، قال: وقال لي: إذا وجدت في نفسك شيئاً فقل: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝٣﴾[١] وقد اختلفت عبارات المفسرين في هذه الآية وأقوالهم على نحو من بضعة عشر قولاً.

وقال البخاري: قال يحيى: الظاهر على كل شيء علماً، والباطن على كل شيءٍ علماً[٢].

وقال شيخنا الحافظ المزي: يحيى هذا هو ابن زياد الفراء، له كتاب سماه «معاني القرآن»[٣]، وقد ورد في ذلك أحاديث، فمن ذلك ما قال الإمام أحمد: حدثنا خلف بن الوليد، حدثنا ابن عياش، عن سهيل بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ كان يدعو عند النوم «اللَّهم ربَّ السمٰوات السبع وربَّ العرش العظيم، ربنا وربَّ كل شيء، منزل التوراة والإنجيل والفرقان، فالق الحب والنوى لا إله إلا أنت أعوذ بك من شر كل شيء أنت آخذ بناصيته، أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن ليس دونك شيء، اقضِّ عنا الدين، وأغننا من الفقر»[٤].

ورواه مسلم في صحيحه: حدثني زهير بن حرب، حدثنا جرير، عن سهيل قال: كان أبو صالح يأمرنا إذا أراد أحدنا أن ينام أن يضطجع على شقه الأيمن، ثم يقول: اللَّهم ربَّ السمٰوات وربَّ الأرض وربَّ العرش العظيم، ربنا وربَّ كل شيء فالق الحب والنوى، ومنزل التوراة والإنجيل والفرقان، أعوذ بك من شر كل ذي شر أنت آخذ بناصيته، اللَّهم أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء، اقض عنا الدين، واغننا من الفقر، وكان يروي ذلك عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ[٥].

وقد روى الحافظ أبو يعلى الموصلي في مسنده عن عائشة أُم المؤمنين نحو هذا فقال: حدثنا عقبة، حدثنا يونس، حدثنا السري بن إسماعيل، عن الشعبي، عن مسروق، عن عائشة أنها

---

(١) أخرجه أبو داود بسنده ومتنه (السنن، الأدب، باب في رد الوسوسة ح٥١١٠) وحسن سنده الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح٤٢٦٢).

(٢) ذكره البخاري بلفظ (الصحيح، التفسير سورة الحديد بعد ح٤٨٨١). وهو منقول عن الفراء كما يلي:

(٣) معاني القرآن ٣/ ١٣٢.

(٤) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ١٥/ ١٤٠ ح٩٢٤٧). وصححه محققوه.

(٥) أخرجه مسلم بسنده ومتنه وتعليقه. (الصحيح، الذكر والدعاء، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع ح٢٧١٣).

قالت: كان رسول الله ﷺ يأمر بفراشه فيفرش له مستقبل القبلة، فإذا أوى إليه توسد كفه اليمنى ثم همس ما يدرى ما يقول، فإذا كان في آخر الليل رفع صوته فقال: «اللّٰهم ربَّ السمٰوات السبع ورب العرش العظيم، إله كل شيء ومنزل التوراة والإنجيل والفرقان، فالق الحب والنوى. أعوذ بك من شر كل شيء أنت آخذ بناصيته. اللّٰهم أنت الأول الذي ليس قبلك شيء، وأنت الآخر الذي ليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء، اقضِ عنَّا الدين وأغننا من الفقر»[1]. السري بن إسماعيل هذا هو ابن عمِّ الشعبي، وهو: ضعيف جداً، والله أعلم.

وقال أبو عيسى الترمذي عند تفسير هذه الآية: حدثنا عبد بن حميد وغير واحد المعنى واحد قالوا: حدثنا يونس بن محمد، حدثنا شيبان بن عبد الرحمٰن، عن قتادة قال: حدث الحسن، عن أبي هريرة قال: بينما نبي الله ﷺ جالس وأصحابه إذ أتى عليهم سحاب فقال نبي الله ﷺ: هل تدرون ما هذا؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: هذا العنان هذه روايا الأرض تسوقه إلى قوم لا يشكرونه ولا يدعونه. ثم قال: هل تدرون ما فوقكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: فإنها الرفيع سقف محفوظ وموج مكفوف. ثم قال: هل تدرون كم بينكم وبينها؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: بينكم وبينها خمسمائة سنة. ثم قال: هل تدرون ما فوق ذلك؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: فإن فوق ذلك سماء بعد ما بينهما مسيرة خمسمائة سنة، حتى عدَّ سبع سماوات ما بين كل سماءين كما بين السماء والأرض ثم قال: هل تدرون ما فوق ذلك؟ قالوا: الله ورسوله أعلم قال: فإن فوق ذلك العرش وبينه وبين السماء مثل بعد ما بين السماءين، ثم قال: هل تدرون ما الذي تحتكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: فإنها الأرض. ثم قال: هل تدرون ما الذي تحت ذلك. قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: فإن تحتها أرضاً أخرى بينهما مسيرة خمسمائة سنة، حتى عدَّ سبع أرضين بين كل أرضين مسيرة خمسمائة سنة، ثم قال: والذي نفس محمد بيده لو أنكم دليتم حبلاً إلى الأرض السفلى لهبط على الله ثم قرأ: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾﴾.

ثم قال الترمذي: هذا حديث غريب من هذا الوجه، ويروى عن أيوب ويونس؛ يعني: ابن عبيد وعلي بن زيد وقالوا: لم يسمع الحسن من أبي هريرة. وفسر بعض أهل العلم هذا الحديث فقالوا: إنما هبط على علم الله وقدرته وسلطانه، وعلم الله وقدرته وسلطانه في كل مكان وهو على العرش كما وصف في كتابه[2]، انتهى كلامه.

وقد روى الإمام أحمد هذا الحديث عن سريج، عن الحكم بن عبد الملك، عن قتادة، عن الحسن، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ، فذكره وعنده وبعد ما بين الأرضين مسيرة سبعمائة عام وقال: لو دلَّيتم أحدكم بحبل إلى الأرض السفلى السابعة لهبط على الله ثم قرأ ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ

(١) أخرجه أبو يعلىٰ بسنده ومتنه (المسند ٨/ ٢١٠ ح٤٧٤٤) وسنده ضعيف لكن يشهد له سابقه.

(٢) أخرجه الترمذي بسنده ومتنه وتعليقه وحكمه. (السنن، التفسير، باب ومن سورة الحديد ح٣٢٩٨). وسنده ضعيف، لانقطاعه بين الحسن وأبي هريرة.

﴿وَٱلظَّـٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝٣﴾[١]. ورواه ابن أبي حاتم والبزار من حديث أبي جعفر الرازي، عن قتادة، عن الحسن، عن أبي هريرة فذكر الحديث[٢] ولم يذكر ابن أبي حاتم آخره، وهو قوله: لو دلَّيتم بحبل وإنما قال: حتى عدَّ سبع أرضين بين كل أرضين مسيرة خمسمائة عام، ثم تلا ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّـٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝٣﴾. وقال البزار: لم يروه عن النبي ﷺ إلا أبو هريرة.

ورواه ابن جرير، عن بشر، عن يزيد، عن سعيد، عن قتادة ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّـٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾. وذُكر لنا أن نبي الله ﷺ بينما هو جالس في أصحابه إذ مرَّ عليهم سحاب فقال: هل تدرون ما هذا[٣]؟ وذكر الحديث مثل سياق الترمذي سواء، إلا أنه مرسل من هذا الوجه، ولعل هذا هو المحفوظ والله أعلم. وقد روي من حديث أبي ذرٍّ الغفاري ﷺ وأرضاه، رواه البزار في مسنده والبيهقي في كتاب «الأسماء والصفات»[٤]، ولكن في إسناده نظر وفي متنه غرابة ونكارة، والله ﷻ أعلم.

وقال ابن جرير عند قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: ١٢]: حدثنا ابن عبد الأعلى، حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة قال: التقى أربعة من الملائكة بين السماء والأرض فقال بعضهم لبعض: من أين جئت؟ قال أحدهم: أرسلني ربي ﷻ من السماء السابعة وتركته ثَمّ. قال الآخر: أرسلني ربي من الأرض السابعة وتركته ثَمّ. قال الآخر: أرسلني ربي من المشرق وتركته ثَمّ. قال الآخر: أرسلني ربي من المغرب وتركته ثمّ[٥]. وهذا حديث غريب جداً، وقد يكون الحديث الأول موقوفاً على قتادة كما روي ههنا من قوله، والله أعلم.

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٤ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ۝٥ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝٦﴾.

يخبر تعالى عن خلقه السمٰوات والأرض وما بينهما في ستة أيام، ثم أخبر تعالى باستوائه على العرش بعد خلقهن، وقد تقدم الكلام على هذه الآية وأشباهها في سورة الأعراف[٦] بما أغنى عن إعادته هٰهنا..

---

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٢/ ٣٧٠) وسنده ضعيف كسابقه، وقال ابن الجوزي حديث منكر العلل (١/ ٢٧).

(٢) أخرجه البزار كما في كشف الأستار ٢/ ٢٨٩ وسنده ضعيف كسابقه.

(٣) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده ضعيف لإرساله.

(٤) الأسماء والصفات للبيهقي ص٥٠٦ وقال الجوزقاني: حديث منكر (الأباطيل ١/ ٦٨) وضعفه الحافظ ابن كثير سنداً ومتناً.

(٥) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده ضعيف لأنه مرسل ومثله لا يؤخذ إلا من الوحي لأنه من الغيبيات.

(٦) في الآية ٥٤.

﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ أي: يعلم عدد ما يدخل فيها من حبٍّ وقطر ﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ من نبات وزرع وثمار كما قال تعالى: ﴿۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأنعام].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ أي: من الأمطار، والثلوج والبرد والأقدار، والأحكام مع الملائكة الكرام. وقد تقدم في سورة البقرة أنه ما ينزل من قطرة من السماء إلا ومعها ملك يقررها في المكان الذي يأمر الله به حيث يشاء الله تعالى.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ أي: من الملائكة والأعمال كما جاء في الصحيح: «يرفع إليه عمل الليل قبل النهار وعمل النهار قبل الليل»[1].

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ أي: رقيب عليكم شهيد على أعمالكم حيث كنتم وأين كنتم براً أو بحراً، في ليل أو نهار في البيوت أو القفار، الجميع في علمه على السواء وتحت بصره وسمعه فيسمع كلامكم ويرى مكانكم، ويعلم سركم ونجواكم كما قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا۟ مِنْهُ ۚ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٥﴾﴾ [هود].

وقال تعالى: ﴿سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴿١٠﴾﴾ [الرعد] فلا إله غيره ولا رب سواه؛ وقد ثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال لجبريل: لما سأله عن الإحسان: «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك»[2].

وروى الحافظ أبو بكر الإسماعيلي من حديث نصر بن خزيمة بن جنادة بن محفوظ بن علقمة: حدثني أبي، عن نصر بن علقمة، عن أخيه، عن عبد الرحمٰن بن عائذ قال: قال عمر: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: زودني حكمة أعيش بها فقال: «استح الله كما تستحي رجلاً من صالحي عشيرتك لا يفارقك»[3]. هذا حديث غريب.

وروى أبو نعيم من حديث عبد الله بن معاوية الغاضري مرفوعاً: «ثلاث من فعلهنّ فَقَدّ طَعِم الإيمان إن عَبَدَ الله وحده، وأعطى زكاة ماله طيبة بها نفسه في كل عام، ولم يعط الهرمة ولا الدرنة[4] ولا الشّرط اللئيمة[5] ولا المريضة، ولكن من أوسط أموالكم وزكى نفسه» وقال رجل: يا رسول الله ما تزكية المرء نفسه؟ فقال: «يعلم أن الله معه حيث كان»[6].

---

(١) صحيح مسلم، الإيمان، باب في قوله ﷺ: «إن الله لا ينام» (ح١٧٩).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) عزاه الحافظ ابن كثير إلى الإسماعيلي من حديث ابن خزيمة بن جنادة به، وقال: إسناده غريب. (مسند الفاروق أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ ٢/٦٠٩). وخرّجه الألباني من مصادر أخرى وحكم بجودة السند. (السلسلة الصحيحة ٢/٣٧٦ ح٧).

(٤) أي: الجرباء. (٥) أي: رذال المال.

(٦) أخرجه أبو داود (السنن، الزكاة، باب في زكاة السائمة ح١٥٨٢) والبيهقي من حديث عبد الله بن معاوية الغاضري (السنن الكبرىٰ ٤/٩٦) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح١٤٠٠).

وقال نعيم بن حماد رحمه الله: حدثنا عثمان بن سعيد بن كثير بن دينار الحمصي، عن محمد بن مهاجر، عن عروة بن رويم، عن عبد الرحمٰن بن غنم، عن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أفضل الإيمان أن تعلم أن الله معك حيثما كنت»[1] غريب. وكان الإمام أحمد رحمه الله تعالى ينشد هذين البيتين:

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل ... خلوتُ ولكن قل علي رقيب

ولا تحسبن الله يغفلُ ساعةً ... ولا أن ما تخفي عليه يغيب

وقوله تعالى: ﴿لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ۝٥﴾ أي: هو المالك للدنيا والآخرة كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَٱلْأُولَىٰ ۝١٣﴾ [الليل] وهو المحمود على ذلك كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْآخِرَةِ ۖ﴾ [القصص: ٧٠] وقال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْآخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ۝١﴾ [سبأ]، فجميع ما في السمٰوات والأرض ملك له، وأهلهما عبيد أرقاء أذلاء بين يديه كما قال تعالى: ﴿إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ۝٩٣ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ۝٩٤ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ۝٩٥﴾ [مريم] ولهذا قال: ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ أي: إليه المرجع يوم القيامة فيحكم في خلقه بما يشاء وهو العادل الذي لا يجور ولا يظلم مثقال ذرة بل إن يكن عمل أحدهم حسنة واحدة يضاعفها إلى عشرة أمثالها ﴿وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠] وكما قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ۝٤٧﴾ [الأنبياء].

وقوله تعالى: ﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۚ﴾ أي: هو المتصرف في الخلق يقلب الليل والنهار ويقدرهما بحكمته كما يشاء، فتارة يطول الليل ويقصر النهار وتارة بالعكس، وتارة يتركهما معتدلين، وتارة يكون الفصل شتاءً ثم ربيعاً ثم قيظاً ثم خريفاً، وكل ذلك بحكمته وتقديره لما يريده بخلقه ﴿وَهُوَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ أي: يعلم السرائر وإن دقت وخفيت.

﴿ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ۝٧ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۙ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَٰقَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝٨ هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝٩ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝١٠ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ ۝١١﴾.

أمر تبارك وتعالى بالإيمان به وبرسوله على الوجه الأكمل، والدوام والثبات على ذلك والاستمرار، وحثَّ على الإنفاق مما جعلكم مستخلفين فيه؛ أي: مما هو معكم على سبيل

---

(١) أخرجه الطبراني (المعجم الأوسط ٨/٣٣٦ ح٨٧٩٦)، وأبو نعيم (الحلية ٦/ ١٢٤) كلاهما من طريق نعيم بن حماد به، ونعيم بن حماد صدوق يخطي كثيراً (التقريب ص٥٦٤).

العارية، فإنه قد كان في أيدي من قبلكم ثم صار إليكم، فأرشد الله تعالى إلى استعمال ما استخلفتم فيه من المال في طاعته، فإن تفعلوا وإلا حاسبكم عليه وعاقبكم لترككم الواجبات فيه.

وقوله تعالى: ﴿مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ فيه إشارة إلى أنه سيكون مخلفاً عنك، فلعلَّ وارثك أن يطيع الله فيه فيكون أسعد بما أنعم الله به عليك منك، أو يعصي الله فيه فتكون قد سعيت في معاونته على الإثم والعدوان.

قال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، سمعت قتادة يحدث عن مطرف يعني ابن عبد الله بن الشخير، عن أبيه قال: انتهيت إلى رسول الله ﷺ وهو يقول: «ألهاكم التكاثر، يقول ابن آدم: مالي مالي. وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت؟»[١]. ورواه مسلم من حديث شعبة به وزاد: «وما سوى ذلك فذاهب وتاركه للناس»[٢].

وقوله تعالى: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ ترغيب في الإيمان والإنفاق في الطاعة ثم قال تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ﴾ أي: وأي شيء يمنعكم من الإيمان والرسول بين أظهركم يدعوكم إلى ذلك ويبين لكم الحجج والبراهين على صحة ما جاءكم به.

وقد روينا في الحديث من طرق في أوائل شرح كتاب الإيمان من «صحيح البخاري» أن رسول الله ﷺ قال يوماً لأصحابه: «أي المؤمنين أعجب إليكم إيماناً؟ قالوا: الملائكة. قال: وما لهم لا يؤمنون وهم عند ربهم؟ قالوا: فالأنبياء. قال: وما لهم لا يؤمنون والوحي ينزل عليهم؟ قالوا: فنحن. قال: وما لكم لا تؤمنون وأنا بين أظهركم؟ ولكن أعجب المؤمنين إيماناً قوم يجيئون بعدكم يجدون صحفاً يؤمنون بما فيها»[٣]. وقد ذكرنا طرفاً من هذه الرواية في أول سورة البقرة عند قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ [البقرة: ٣].

وقوله تعالى: ﴿وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ﴾ كما قال تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُم بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ [المائدة: ٧] ويعني: بذلك بيعة الرسول ﷺ.

وزعم ابن جرير أن المراد بذلك الميثاق الذي أخذ عليهم في صلب آدم وهو مذهب مجاهد[٤]، فالله أعلم.

وقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ أي: حججاً واضحات ودلائل باهرات وبراهين قاطعات ﴿لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ أي: من ظلمات الجهل والكفر والآراء المتضادة إلى نور الهدى واليقين والإيمان.

﴿وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ أي: في إنزاله الكتب وإرساله الرسل لهداية الناس وإزاحة العلل وإزالة الشبه.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٤/ ٢٤) وسنده صحيح.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق (ح٢٩٥٨). (٣) تقدم تخريجه في تفسير سورة البقرة آية ٣.

(٤) أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.

ولما أمرهم أولاً بالإيمان والإنفاق ثم حثَّهم على الإيمان وبيّن أنه قد أزال عنهم موانعه حثَّهم أيضاً على الإنفاق فقال: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ﴾؟ أي: أنفقوا ولا تخشو فقراً وإقلالاً فإن الذي أنفقتم في سبيله هو مالك السمٰوات والأرض وبيده مقاليدهما وعنده خزائنهما، وهو مالك العرش بما حوى، وهو القائل ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [سبأ: ٣٩]، وقال: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍۗ﴾ [النحل: ٩٦] فمن توكل على الله أنفق ولم يخشَ من ذي العرش إقلالاً، وعلم أن الله سيخلفه عليه. وقوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَۚ﴾ أي: لا يستوي هذا ومن لم يفعل كفعله، وذلك أن قبل فتح مكة كان الحال شديداً فلم يكن يؤمن حينئذٍ إلا الصديقون، وأما بعد الفتح فإنه ظهر الإسلام ظهوراً عظيماً ودخل الناس في دين الله أفواجاً. ولهذا قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُواْۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰۚ﴾ والجمهور على أن المراد بالفتح هٰهنا فتح مكة.

وعن الشعبي وغيره أن المراد بالفتح هٰهنا صلح الحديبية[1]، وقد يستدل لهذا القول بما قال الإمام أحمد: حدثنا أحمد بن عبد الملك، حدثنا زهير، حدثنا حميد الطويل، عن أنس قال: كان بين خالد بن الوليد وبين عبد الرحمٰن بن عوف كلام، فقال خالد لعبد الرحمٰن: تستطيلون علينا بأيام سبقتمونا بها، فبلغنا أن ذلك ذكر للنبي ﷺ فقال: «دعوا لي أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أنفقتم مثل أُحد أو مثل الجبال ذهباً ما بلغتم أعمالهم»[2].

ومعلوم أن إسلام خالد بن الوليد المواجه بهذا الخطاب كان بين صلح الحديبية وفتح مكة، وكانت هذه المشاجرة بينهما في بني جذيمة الذين بعث إليهم رسول الله ﷺ خالد بن الوليد بعد الفتح، فجعلوا يقولون: صبأنا صبأنا، فلم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا، فأمر خالد بقتلهم وقتل من أسر منهم، فخالفه عبد الرحمٰن بن عوف وعبد الله بن عمر وغيرهما، فاختصم خالد وعبد الرحمٰن بسبب ذلك[3]. والذي في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لا تسبُّوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أُحد ذهباً ما بلغ مدَّ أحدهم ولا نصيفه»[4].

وروى ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث ابن وهب، أخبرنا هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد الخدري أنه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ عام الحديبية، حتى إذا كنا بعسفان قال رسول الله ﷺ: «يوشك أن يأتي قوم تحقرون أعمالكم مع أعمالهم» فقلنا: من هم يا رسول الله أقريش؟ قال: «لا ولكن أهل اليمن هم أرقُّ أفئدة وألين قلوباً» فقلنا: أهم خير منا يا رسول الله؟ قال: «لو كان لأحدهم جبل من ذهب فأنفقه ما أدرك مُدَّ أحدكم ولا نصيفه ألا إن هذا فصل ما بيننا وبين الناس ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ

---

(١) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق داود عن عامر الشعبي.

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٢١/ ٣١٩ ح١٣٨١٢) وصحح سنده محققوه.

(٣) أخرجه البخاري من حديث ابن عمر رضي الله عنهما (الصحيح، الأحكام، باب إذا قضىٰ الحاكم بجور أو خلاف أهل العلم فهو ردّ ح٧١٨٩).

(٤) صحيح البخاري، فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ: «لو كنت متخذاً خليلاً» (ح٣٦٧٣) وصحيح مسلم، فضائل الصحابة، باب تحريم الصحابة رضي الله عنهم (ح٢٥٤١).

وَقَٰتَلَ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُواْۚ وَكُلّٗا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٞ﴾»[١] وهذا الحديث غريب بهذا السياق [والذي في الصحيحين من رواية جماعة عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد ذكر الخوارج: «تحقرون صلاتكم مع صلاتهم وصيامكم مع صيامهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية»[٢]. الحديث، ولكن روى ابن جرير هذا الحديث من وجه آخر فقال: حدثني ابن البرقي، حدثني ابن أبي مريم، أخبرنا محمد بن جعفر، أخبرني زيد بن أسلم، عن أبي سعيد التمار، عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: «يوشك أن يأتي قوم تحقرون أعمالكم مع أعمالهم» قلنا: من هم يا رسول الله؟ قريش؟ قال: «لا ولكن أهل اليمن لأنهم أرقُّ أفئدة وألين قلوباً» وأشار بيده إلى اليمن فقال: «هم أهل اليمن ألا إن الإيمان يمان والحكمة يمانية» فقلنا: يا رسول الله هم خير منا؟ قال: «والذي نفسي بيده لو كان لأحدهم جبل من ذهب ينفقه ما أدّى مد أحدكم ولا نصيفه» ثم جمع أصابعه ومدَّ خنصره وقال: «ألا إن هذا فضل ما بيننا وبين الناس ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُواْۚ وَكُلّٗا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٞ﴾»[٣]. فهذا السياق][٤] ليس فيه ذكر الحديبية، فإن كان ذلك محفوظاً كما تقدم فيحتمل أنه أنزل قبل الفتح إخباراً عما بعده كما في قوله تعالى في سورة المزمل وهي مكية من أوائل ما نزل ﴿وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ الآية [٢٠]. فهي بشارة بما يستقبل وهكذا هذه، والله أعلم.

وقوله تعالى: ﴿وَكُلّٗا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰۚ﴾ يعني: المنفقين قبل الفتح وبعده، كلهم لهم ثواب على ما عملوا، وإن كان بينهم تفاوت في تفاضل الجزاء كما قال تعالى: ﴿لَّا يَسْتَوِي ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةٗۚ وَكُلّٗا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمٗا ﴿٩٥﴾﴾ [النساء] وهكذا الحديث الذي في الصحيح: «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير»[٥]. وإنما نبه بهذا لئلا يهدر جانب الآخر بمدح الأول دون الآخر، فيتوهم متوهم ذمه، فلهذا عطف بمدح الآخر والثناء عليه مع تفضيل الأول عليه، ولهذا قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٞ﴾ أي: فلخبرته فاوت بين ثواب من أنفق من قبل الفتح وقاتل ومن فعل ذلك بعد ذلك وما ذاك إلا لعلمه بقصد الأول وإخلاصه التام وإنفاقه في حال الجهد والقلة والضيق، وفي الحديث: «سبق درهم مائة ألف»[٦].

---

(١) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وفي سنده هشام بن سعد وهو صدوق له أوهام ورمي بالتشيع. (التقريب ص٥٧٢).

(٢) صحيح البخاري، استتابة المرتدين، باب قتل الخوارج والملحدين بعد إقامة الحجة عليهم (ح٦٩٣١) وصحيح مسلم، الزكاة، باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام (ح١٠٦٤).

(٣) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وفي سنده أبو سعيد التمار ترجم له ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل وسكت عنه.

(٤) زيادة من (ح) و(حم).

(٥) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ كاملاً. (الصحيح، القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز ح٢٦٦٤).

(٦) أخرجه النسائي من حديث أبي هريرة ﷺ وتتمته: قالوا: وكيف؟ قال: كان لرجل درهمان تصدق =

ولا شك عند أهل الإيمان أن الصديق أبا بكر ﷺ له الحظ الأوفر من هذه الآية، فإنه سيد من عمل بها من سائر أمم الأنبياء، فإنه أنفق ماله كله ابتغاء وجه الله ﷻ، ولم يكن لأحد عنده نعمة يجزيه بها.

وقد قال أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي عند تفسير هذه الآية: أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحي، أخبرنا أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أخبرنا عبد الله بن حامد بن محمد، أخبرنا أحمد بن إسحاق بن أيوب، أخبرنا محمد بن يونس، حدثنا العلاء بن عمرو الشيباني، حدثنا أبو إسحاق الفزاري، حدثنا سفيان بن سعيد، عن آدم بن علي، عن ابن عمرو قال: كنت عند النبي ﷺ وعنده أبو بكر الصديق وعليه عباءة قد خلَّها في صدره بخلال، فنزل جبريل فقال: ما لي أرى أبا بكر عليه عباءة قد خلها في صدره بخلال؟ فقال: «أنفق ماله علي قبل الفتح» قال: فإن الله يقول: اقرأ عليه السلام وقل له: أراض أنت عني في فقرك هذا أم ساخط؟ فقال رسول الله ﷺ: «يا أبا بكر إن الله يقرأ عليك السلام ويقول لك: أراض أنت عني في فقرك هذا أم ساخط؟» فقال أبو بكر ﷺ: أسخط على ربي ﷻ؟ إني عن ربي راضٍ[1]. هذا الحديث ضعيف الإسناد من هذا الوجه والله أعلم.

وقوله تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ قال عمر بن الخطاب: هو الإنفاق في سبيل الله، وقيل: هو النفقة على العيال، والصحيح أنه أعمُّ من ذلك، فكل من أنفق في سبيل الله بنية خالصة، وعزيمة صادقة دخل في عموم هذه الآية، ولهذا قال تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ وَلَهُۥٓ﴾ كما قال في الآية الأخرى: ﴿أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ [البقرة: ٢٤٥] وله أجر كريم أي: جزاء جميل ورزق باهر، وهو الجنة يوم القيامة.

قال ابن أبي حاتم: حدثنا الحسن بن عرفة، حدثنا خلف بن خليفة، عن حميد الأعرج، عن عبد الله بن الحارث، عن عبد الله بن مسعود قال: لما نزلت هذه الآية ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ﴾ قال أبو الدحداح الأنصاري: يا رسول الله، وإن الله ليريد منا القرض؟ قال: «نعم يا أبا الدحداح» قال: أرني يدك يا رسول الله. قال: فناوله يده. قال: فإني قد أقرضت ربي حائطي، وله حائط فيه ستمائة نخلة، وأُم الدحداح فيه وعيالها. قال: فجاء أبو الدحداح فناداها يا أُم الدحداح. قالت: لبيك، قال: اخرجي فقد أقرضته ربي ﷻ، وفي رواية أنها قالت له: ربح بيعك يا أبا الدحداح. ونقلت منه متاعها وصبيانها وأن رسول الله ﷺ قال: «كم من عذق رداح في الجنة لأبي الدحداح»[2]. وفي لفظ «رُبَّ نخلة مدلاة عروقها درّ وياقوت لأبي الدحداح في الجنة».

= بأحدهما، وانطلق رجل إلى عرض ماله فأخذ منه مائة ألف درهم فتصدق بها. (السنن، الزكاة، باب جهد المقل ٥/ ٥٩) وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي (ح٢٣٦٧). وأخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي (المستدرك ١/ ٤١٦).

(١) أخرجه البغوي بسنده ومتنه (معالم التنزيل ٤/ ٢٩٥) وسنده ضعيف جداً، وفيه العلاء بن عمر الفزاري وهو متروك، واتهم بهذا الحديث بأنه كذب. (ينظر: لسان الميزان ٤/ ١٨٥) وضعف سنده الحافظ ابن كثير.

(٢) سنده ضعيف لضعف حميد الأعرج، وأخرجه أبو يعلىٰ من طريق خلف بن خليفة به (المسند ٨/ ٤٠٤ ح٤٩٨٦) وضعفه محققه. وأعله الحافظ ابن حجر بحميد الأعرج (المطالب العالية المسند ٤/ ٢٩٤ =

﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ ۖ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾﴾.

يقول تعالى مخبراً عن المؤمنين المتصدقين أنهم يوم القيامة يسعى نورهم بين أيديهم في عرصات القيامة، بحسب أعمالهم كما قال عبد الله بن مسعود في قوله تعالى: ﴿يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ قال: على قدر أعمالهم يمرون على الصراط، منهم من نوره مثل الجبل، ومنهم من نوره مثل النخلة، ومنهم من نوره مثل الرجل القائم، وأدناهم نوراً من نوره في إبهامه يتّقد مرة ويطفأ مرة[1]، ورواه ابن أبي حاتم وابن جرير.

وقال قتادة: ذُكر لنا أن نبي الله ﷺ كان يقول: «من المؤمنين من يضيء نوره من المدينة إلى عدن أبين وصنعاء فدون ذلك حتى أن من المؤمنين من يضيء نوره موضع قدميه»[2].

وقال سفيان الثوري: عن حصين، عن مجاهد، عن جنادة بن أبي أُمية قال: إنكم مكتوبون عند الله بأسمائكم وسيماكم وحلالكم ونجواكم ومجالسكم، فإذا كان يوم القيامة، قيل: يا فلان هذه نورك، يا فلان لا نور لك، وقرأ ﴿يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾.

وقال الضحاك: ليس أحد إلا يعطي نوراً يوم القيامة، فإذا انتهوا إلى الصراط طفئ نور المنافقين[3]، فلما رأى ذلك المؤمنون أشفقوا أن يطفأ نورهم كما طفئ نور المنافقين فقالوا: ﴿رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا﴾ [التحريم: ٨]، وقال الحسن: ﴿يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ يعني: على الصراط.

وقد قال ابن أبي حاتم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حدثنا أبو عبيد الله ابن أخي ابن وهب، أخبرنا عمي. عن يزيد بن أبي حبيب، عن سعيد بن مسعود أنه سمع عبد الرحمٰن بن جبير يحدث، أنه سمع أبا الدرداء وأبا ذرٍّ يخبران عن النبي ﷺ قال: «أنا أول من يؤذن له يوم القيامة بالسجود، وأول من يؤذن له برفع رأسه، فأنظر من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي فأعرف أمتي من بين الأمم» فقال له رجل: يا نبي الله كيف تعرف أمتك من بين الأمم ما بين نوح إلى أمتك؟ فقال: «أعرفهم محجلون من أثر الوضوء ولا يكون لأحد من الأمم غيرهم، وأعرفهم يؤتون كتبهم

= ح٤٠٤٤). ولبعضه شاهد من حديث أنس رضي الله عنه أخرجه ابن حبان (الإحسان ١٦/١١٣ ح٧١٥٩).

(١) أخرجه أبو بكر بن أبي شيبة عن عبد الله بن إدريس عن أبيه، عن المنهال بن عمرو عن قيس بن السكن عن ابن مسعود. (المصنف ١٣/٢٩٩) وأخرجه الحاكم من طريق ابن أبي شيبة به وصححه ووافقه الذهبي (المستدرك ٢/٤٧٨).

(٢) أطرجه الطبري بسند رجاله ثقات إلى قتادة لكنه مرسل.

(٣) رجاله ثقات لكن جنادة مختلف في صحبته (ينظر التقريب ص١٤٢) وذكر السيوطي في الدر المنثور بنحوه ونسبه إلى ابن المنذر.

بأيمانهم، وأعرفهم بسيماهم في وجوههم، وأعرفهم بنورهم يسعى بين أيديهم»[١].

وقوله: ﴿وَبِأَيْمَٰنِهِم﴾ قال الضحاك: أي وبأيمانهم كتبهم كما قال: ﴿فَمَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الإسراء: ٧١][٢].

وقوله: ﴿بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ أي: قال لهم: بشراكم اليوم جنات؛ أي: لكم البشارة بجنات تجري من تحتها الأنهار ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ أي: ماكثين فيها أبداً ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾.

وقوله: ﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾ وهذا إخبار منه تعالى عمَّا يقع يوم القيامة في العرصات من الأهوال المزعجة والزلازل العظيمة، والأمور الفظيعة، وأنه لا ينجو يومئذٍ إلا من آمن بالله ورسوله وعمل بما أمر الله به وترك ما عنه زجر.

قال ابن أبي حاتم: حدثنا عبدة بن سليمان، حدثنا ابن المبارك، حدثنا صفوان بن عمرو، حدثني سليم بن عامر قال: خرجنا على جنازة في باب دمشق ومعنا أبو أُمامة الباهلي، فلما صلى على الجنازة وأخذوا في دفنها. قال أبو أُمامة: أيها الناس إنكم قد أصبحتم وأمسيتم في منزل تقتسمون فيه الحسنات والسيئات، وتوشكون أن تظعنوا منه إلى منزل آخر وهو هذا ـ يشير إلى القبر ـ بيت الوحدة وبيت الظلمة وبيت الدود وبيت الضيق إلا ما وسع الله، ثم تنتقلون منه إلى مواطن يوم القيامة، فإنكم في بعض تلك المواطن حتى يغشى الناس أمر من الله، فتبيض وجوه وتسود وجوه، ثم تنتقلون منه إلى منزل آخر فيغشى الناس ظلمة شديدة، ثم يقسم النور فيعطى المؤمن نوراً، ويترك الكافر والمنافق فلا يعطيان شيئاً، وهو المثل الذي ضربه الله تعالى في كتابه فقال: ﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾﴾ [النور] فلا يستضيء الكافر والمنافق بنور المؤمن كما لا يستضيء الأعمى ببصر البصير، ويقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا ﴿ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا﴾ وهي خدعة الله التي يخدع بها المنافقين حيث قال: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٢] فيرجعون إلى المكان الذي قسم فيه النور فلا يجدون شيئاً، فينصرفون إليهم وقد ضرب بينهم ﴿بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ﴾ الآية[٣].

يقول سليم بن عامر: فما يزال المنافق مغتراً حتى يقسم النور ويميز الله بين المنافق والمؤمن[٤].

ثم قال: حدثنا أبي، حدثنا يحيى بن عثمان، حدثنا ابن حيوة، حدثنا أرطأة بن المنذر، حدثنا

---

(١) أخرجه الحاكم من طريق الليث بن سعد عن يزيد بن أبي حبيب به وصححه الحاكم ووافقه الذهبي. (المستدرك ٢/ ٤٧٨).

(٢) أخرجه الطبري بسند ضعيف فيه إبهام شيخه بلفظ: «كتبهم قال الله: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الانشقاق: ٧]».

(٣) أخرجه الحاكم من طريق صفوان بن عمرو به وصححه ووافقه الذهبي (المستدرك ٢/ ٤٠٠ ـ ٤٠١).

(٤) هذا القول تتمه لرواية ابن أبي حاتم لم يرد في رواية الحاكم.

يوسف بن الحجاج، عن أبي أُمامة قال: يبعث الله ظلمة يوم القيامة فما من مؤمن ولا كافر يرى كفه حتى يبعث الله بالنور إلى المؤمنين بقدر أعمالهم فيتبعهم المنافقون فيقولون: ﴿ٱنظُرُونَا نَقۡتَبِسۡ مِن نُّورِكُمۡ﴾[١].

وقال العوفي والضحاك وغيرهما، عن ابن عباس: بينما الناس في ظلمة إذ بعث الله نوراً، فلما رأى المؤمنون النور توجهوا نحوه، وكان النور دليلاً من الله إلى الجنة، فلما رأى المنافقون المؤمنين قد انطلقوا اتبعوهم فأظلم الله على المنافقين فقالوا: حينئذٍ ﴿ٱنظُرُونَا نَقۡتَبِسۡ مِن نُّورِكُمۡ﴾ فإنا كنا معكم في الدنيا قال المؤمنون: ﴿ٱرۡجِعُواْ وَرَآءَكُمۡ﴾ من حيث جئتم من الظلمة فالتمسوا هنالك النور[٢].

وقال أبو القاسم الطبراني: حدثنا الحسن بن عرفة بن علوية القطان، حدثنا إسماعيل بن عيسى العطار، حدثنا إسحاق بن بشر بن حذيفة، حدثنا ابن جريج، عن ابن أبي مليكة، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله يدعو الناس يوم القيامة بأسمائهم ستراً منه على عباده، وأما عند الصراط فإن الله تعالى يعطي كل مؤمن نوراً وكل منافق نوراً، فإذا استووا على الصراط سلب الله نور المنافقين والمنافقات، فقال المنافقون: ﴿ٱنظُرُونَا نَقۡتَبِسۡ مِن نُّورِكُمۡ﴾ وقال المؤمنون: ﴿رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا﴾ [التحريم: ٨] فلا يذكر عند ذلك أحد أحداً»[٣].

وقوله تعالى: ﴿فَضُرِبَ بَيۡنَهُم بِسُورٖ لَّهُۥ بَابُۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحۡمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلۡعَذَابُ﴾ قال الحسن وقتادة: هو حائط بين الجنة والنار[٤].

وقال عبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم: هو الذي قال الله تعالى: ﴿وَبَيۡنَهُمَا حِجَابٌ﴾[٥] [الأعراف: ٤٦] وهكذا روي عن مجاهد رحمه الله[٦] وغير واحد وهو الصحيح ﴿بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحۡمَةُ﴾ أي: الجنة وما فيها ﴿وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلۡعَذَابُ﴾ أي: النار، قاله قتادة وابن زيد وغيرهما[٧].

قال ابن جرير: وقد قيل: إن ذلك السور سور بيت المقدس عند وادي جهنم. ثم قال: حدثنا ابن البرقي، حدثنا عمرو بن أبي سلمة، عن سعيد، عن عطية بن قيس، عن أبي العوام مؤذن بيت المقدس قال: سمعت عبد الله بن عمرو يقول: إن السور الذي ذكره الله في القرآن ﴿فَضُرِبَ بَيۡنَهُم بِسُورٖ لَّهُۥ بَابُۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحۡمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلۡعَذَابُ﴾ وهو السور الشرقي باطنه المسجد وما يليه وظاهره وادي جهنم[٨]. ثم روي عن عبادة بن الصامت وكعب الأحبار وعلي بن الحسين زين

---

(١) يوسف بن حجاج لم أعرف من هو؟ ويتقوىٰ بسابقه، فإنه طرف من سابقه.
(٢) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به، وطريق الضحاك عن ابن عباس منقطع لأنه لم يلقاه، ولكن يشهد له ما سبق.
(٣) أخرجه الطبراني بسنده ومتنه (المعجم الكبير ١١/ ١٢٢ ح١١٢٤٢) وسنده ضعيف جداً لأن إسحاق بن بشر متروك (مجمع الزوائد ١٠/ ٣٩٥).
(٤) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.
(٥) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن عبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم.
(٦) أخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.
(٧) أخرجهما الطبري بالسندين المتقدمين الصحيحين عن قتادة وابن زيد.
(٨) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وأخرجه الحاكم من طريق سعيد بن عبد العزيز عن عطية بن قيس به وصححه =

العابدين نحو ذلك[١]، وهذا محمول منهم على أنهم أرادوا بهذا تقريب المعنى ومثالاً لذلك، لا أن هذا هو الذي أريد من القرآن هذا الجدار المعين نفسه ونفس المسجد، وما وراءه من الوادي المعروف بوادي جهنم، فإن الجنة في السمٰوات في أعلى عليين والنار في الدركات أسفل سافلين.

وقول كعب الأحبار: إن الباب المذكور في القرآن هو باب الرحمة الذي هو أحد أبواب المسجد، فهذا من إسرائيلياته وترهاته، وإنما المراد بذلك السور يضرب يوم القيامة ليحجز بين المؤمنين والمنافقين فإذا انتهى إليه المؤمنون دخلوه من بابه، فإذا استكملوا دخولهم أغلق الباب وبقي المنافقون من ورائه في الحيرة والظلمة والعذاب كما كانوا في الدار الدنيا في كفر وجهل وشك وحيرة.

﴿يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ﴾ أي: ينادي المنافقون المؤمنين أما كنا معكم في الدار الدنيا نشهد معكم الجمعات ونصلي معكم الجماعات، ونقف معكم بعرفات، ونحضر معكم الغزوات ونؤدي معكم سائر الواجبات؟ ﴿قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ أي: فأجاب المؤمنون المنافقين قائلين: بلى قد كنتم معنا ﴿وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ﴾ قال بعض السلف: أي: فتنتم أنفسكم باللذات والمعاصي[٢]. والشهوات وتربصتم؛ أي: أخرتم التوبة من وقت إلى وقت.

وقال قتادة: ﴿وَتَرَبَّصْتُمْ﴾ بالحق وأهله ﴿وَٱرْتَبْتُمْ﴾ أي: بالبعث بعد الموت ﴿وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ﴾ أي: قلتم: سيغفر لنا وقيل: غرتكم الدنيا ﴿حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ أي: ما زلتم في هذا حتى جاءكم الموت ﴿وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ أي: الشيطان قال قتادة: كانوا على خدعة من الشيطان والله ما زالوا عليها حتى قذفهم الله في النار[٣]. ومعنى هذا الكلام من المؤمنين للمنافقين أنكم كنتم معنا؛ أي: بأبدان لا نية لها ولا قلوب معها، وإنما كنتم في حيرة وشك فكنتم تراؤون الناس ولا تذكرون الله إلا قليلاً.

قال مجاهد: كان المنافقون مع المؤمنين أحياء يناكحونهم ويغشونهم ويعاشرونهم، وكانوا معهم أمواتاً ويعطون النور جميعاً يوم القيامة، ويطفأ النور من المنافقين إذا بلغوا السورُ ويماز بينهم حينئذٍ[٤].

= ووافقه الذهبي (المستدرك ٤/ ٦٠١) وأخشىٰ أن هذا الخبر من الزاملتين اللتين جاء بها عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، وفيها ما فيها من الإسرائيليات، وسيأتي ما يؤكد ذلك.

(١) أخرجه الحاكم من طريق محمد بن ميمون عن بلال بن عبد الله مؤذن بيت المقدس عن عبادة بن الصامت. بنحوه وصححه الحاكم وتعقبه الذهبي بقوله: قلت: بل منكر، وآخره باطل لأنه ما اجتمع عبادة برسول الله ﷺ هناك، ثم من هو ابن ميمون وشيخه؟ وفي نسخة أبي مسهر عن سعيد عن زياد بن أبي سودة قال: رئي عبادة على سور بيت المقدس يبكي وقال: من ها هنا أخبرنا رسول الله ﷺ رأىٰ جهنم. فهذا المرسل أجود. (المستدرك ٢/ ٤٧٩). وأخرجه الطبري من قول كعب الأحبار وهو معروف برواية الإسرائيليات، وقد أكدّ الحافظ ابن كثير إنه من إسرائيلياته.

(٢) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٣) أخرجه الطبري بالسند الصحيح السابق.

(٤) أخرجه الطبري وآدم بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.

وهذا القول من المؤمنين لا ينافي قولهم الذي أخبر الله تعالى به عنهم حيث يقول، وهو أصدق القائلين: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ ﴿٤٧﴾﴾ [المدثر] فهذا إنما خرج منهم على وجه التقريع لهم والتوبيخ.

ثم قال تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [المدثر] كما قال هٰهنا: ﴿فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: لو جاء أحدكم اليوم بملء الأرض ذهباً ومثله معه ليفتدي به من عذاب الله ما قبل منه. وقوله: ﴿مَأْوَاكُمُ النَّارُ﴾ أي: هي مصيركم وإليها منقلبكم.

وقوله: ﴿هِيَ مَوْلَاكُمْ﴾ أي: هي أولى بكم من كل منزل على كفركم وارتيابكم وبئس المصير.

﴿۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿١٦﴾ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾﴾.

يقول تعالى: أما آن للمؤمنين أن تخشع قلوبهم لذكر الله؛ أي: تلين عند الذكر والموعظة وسماع القرآن فتفهمه وتنقاد له وتسمع له وتطيعه. قال عبد الله بن المبارك: حدثنا [صالح المري][(١)]، عن قتادة، عن ابن عباس أنه قال: إن الله استبطأ قلوب المؤمنين فعاتبهم على رأس ثلاث عشرة من نزول القرآن فقال: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ الآية، رواه ابن أبي حاتم، عن الحسن بن محمد بن الصباح، عن حسين المروزي، عن ابن المبارك به[(٢)].

ثم قال هو ومسلم: حدثنا يونس بن عبد الأعلى، أخبرنا ابن وهب، أخبرني عمرو بن الحارث، عن سعيد بن أبي هلال؛ يعني: الليثي، عن عون بن عبد الله، عن أبيه، عن ابن مسعود ﷺ قال: ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله بهذه الآية ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ الآية، إلا أربع سنين[(٣)]، كذا رواه مسلم في آخر الكتاب، وأخرجه النسائي عند تفسير هذه الآية عن هارون بن سعيد الأيلي، عن ابن وهب به[(٤)]. وقد رواه ابن ماجه من حديث موسى بن يعقوب الزمعي، عن أبي حازم، عن عامر بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه مثله[(٥)]، فجعله من مسند ابن الزبير، لكن رواه البزار في مسنده من طريق موسى بن يعقوب، عن أبي حازم، عن

---

(١) كذا في (حم) و(مح)، وفي الأصل صحف إلى: صالح المدني.

(٢) سنده ضعيف لضعف صالح المري، وقتادة لم يسمع من ابن عباس ﷺ، ومتنه مخالف لما في الصحيح كما يلي.

(٣) أخرجه الإمام مسلم بسنده ومتنه (الصحيح، التفسير، باب في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الحديد: ١٦] ح٣٠٢٧).

(٤) السنن الكبرى، التفسير، باب قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا . . .﴾ (ح٥٦٨).

(٥) سنن ابن ماجه، الزهد، باب الحزن والبكاء (ح٤١٩٢). وحسنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (ح٣٣٨٠).

عامر، عن ابن الزبير، عن ابن مسعود... فذكره[(١)].

وقال سفيان الثوري: عن المسعودي، عن القاسم قال: ملَّ أصحاب رسول الله ﷺ مَلَّة فقالوا: حدثنا يا رسول الله، [فأنزل الله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ [يوسف: ٣] قال: ثم ملُّوا مَلَّة فقالوا: حدثنا يا رسول الله][(٢)] فنزلت ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ﴾ [الزمر: ٢٣] ثم ملّوا مَلَّة فقالوا: حدثنا يا رسول الله، فأنزل الله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾[(٣)].

وقال قتادة: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ ذُكر لنا أن شداد بن أوس كان يروي عن رسول الله ﷺ قال: «إن أول ما يرفع من الناس الخشوع»[(٤)].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ نهى الله تعالى المؤمنين أن يتشبهوا بالذين حملوا الكتاب من قبلهم من اليهود والنصارى، لما تطاول عليهم الأمد بدلوا كتاب الله الذي بأيديهم واشتروا به ثمناً قليلاً ونبذوه وراء ظهورهم، وأقبلوا على الآراء المختلفة والأقوال المؤتفكة، وقلدوا الرجال في دين الله واتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله، فعند ذلك قست قلوبهم فلا يقبلون موعظة ولا تلين قلوبهم بوعد ولا وعيد.

﴿وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ أي: في الأعمال فقلوبهم فاسدة وأعمالهم باطلة كما قال تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ [المائدة: ١٣] أي: فسدت قلوبهم فقست وصار من سجيتهم تحريف الكلم عن مواضعه وتركوا الأعمال التي أمروا بها، وارتكبوا ما نهوا عنه، ولهذا نهى الله المؤمنين أن يتشبهوا بهم في شيء من الأمور الأصلية والفرعية.

وقد قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا هشام بن عمار، حدثنا شهاب بن خراش، حدثنا حجاج بن دينار، عن منصور بن المعتمر، عن الربيع بن عميلة الفزاري قال: حدثنا عبد الله بن مسعود حديثاً ما سمعت أعجب إليَّ منه إلا شيئاً من كتاب الله أو شيئاً قاله النبي ﷺ قال: «إن بني إسرائيل لما طال عليهم الأمد فقست قلوبهم اخترعوا كتاباً من عند أنفسهم استهوته قلوبهم واستحلته ألسنتهم واستلذته، وكان الحق يحول بينهم وبين كثير من شهواتهم فقالوا: تعالوا ندع بني إسرائيل إلى كتابنا هذا، فمن تابعنا عليه تركناه ومن كره أن يتابعنا قتلناه، ففعلوا ذلك وكان فيهم رجل فقيه، فلما رأى ما يصنعون عمد إلى ما يعرف من كتاب الله فكتبه في شيء لطيف ثم

---

(١) مسند البزار ٤/ ٢٧٥ ح١٤٤٣، وأخرجه الحاكم من طريق موسىٰ بن يعقوب به وصححه ووافقه الذهبي (المستدرك ٢/ ٤٧٩).

(٢) زيادة من (حم) و(ح).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسير سورة يوسف آية ٣ من طريق محمد بن أبي عمر العدني عن سفيان عن المسعودي به. والمسعودي هو عبد الرحمٰن بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الكوفي: صدوق اختلط قبل موته، وضابطه أن من سمع منه ببغداد فبعد الاختلاط. (التقريب ص٣٤٤).

(٤) أخرجه الطبري بسند رجاله ثقات لكنه مرسل، وأخرجه أبو الشيخ من طريق قتادة عن الحسن عن شداد (طبقات أصبهان ٣/ ١٦٤) وسنده منقطع لأن الحسن لم يسمع من شداد.

أدرجه، فجعله في قرن ثم علّق ذلك القرن في عنقه، فلما أكثروا القتل قال بعضهم لبعض: يا هؤلاء إنكم أفشيتم القتل في بني إسرائيل فادعوا فلاناً فاعرضوا عليه كتابكم، فإنه إن تبعكم فسيتابعكم بقية الناس وإن أبى فاقتلوه، فدعوا فلاناً ذلك الفقيه قالوا: أتؤمن بما في كتابنا هذا، قال: وما فيه؟ اعرضوه عليَّ؟ فعرضوه عليه إلى آخره، ثم قالوا: أتؤمن بما في كتابنا هذا؟ قال: نعم آمنت بما في هذا، وأشار بيده إلى القرن فتركوه فلما مات فتشوه فوجدوه مُتَعلِّقاً ذلك القرن، فوجدوا فيه ما يعرف من كتاب الله فقال بعضهم لبعض: يا هؤلاء ما كنا نسمع هذا أصابه فتنة، فافترقت بنو إسرائيل على اثنين وسبعين ملة، وخير مللهم ملّة أصحاب ذي القرن» قال ابن مسعود: وإنكم أوشك بكم إن بقيتم أو بقي من بقي منكم أن تروا أموراً تنكرونها لا تستطيعون لها غيراً، فبحسب المرء منكم أن يعلم الله من قلبه أنه لها كاره[١].

وروى أبو جعفر الطبري، حدثنا ابن حميد، حدثنا جرير، عن مغيرة، عن أبي معشر، عن إبراهيم قال: جاء عتريس بن عرقوب إلى ابن مسعود فقال: يا أبا عبد الله هلك من لم يأمر بالمعروف وينه عن المنكر، فقال عبد الله. هلك من لم يعرف قلبه معروفاً ولم ينكر قلبه منكراً. إن بني إسرائيل لما طال عليهم الأمد وقست قلوبهم اخترعوا كتاباً من بين أيديهم وأرجلهم استهوته قلوبهم واستحلته ألسنتهم، وقالوا: نعرض بني إسرائيل على هذا الكتاب، فمن آمن به تركناه، ومن كفر به قتلناه، قال فجعل رجل منهم كتاب الله في قرن ثم جعل القرن بين ثندوتيه[٢]، فلما قيل له: أتؤمن بهذا؟ قال: آمنت به ويومئ إلى القرن بين ثندوتيه، وما لي لا أؤمن بهذا الكتاب؟ فمن خير مللهم اليوم مِلَّة صاحب القرن[٣].

وقوله تعالى: ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ١٧﴾ فيه إشارة إلى أن الله تعالى يلين القلوب بعد قسوتها ويهدي الحيارى بعد ضلتها، ويفرج الكروب بعد شدتها، فكما يحيي الأرض الميتة المجدبة الهامدة بالغيث الهتان الوابل، كذلك يهدي القلوب القاسية ببراهين القرآن والدلائل، ويولج إليها النور بعد أن كانت مقفلة لا يصل إليها الواصل، فسبحان الهادي لمن يشاء بعد الضلال، والمضلُّ لمن أراد بعد الكمال، الذي هو لما يشاء فعَّال، وهو الحكيم العدل في جميع الفِعال، اللطيف الخبير الكبير المتعال.

﴿إِنَّ ٱلۡمُصَّدِّقِينَ وَٱلۡمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقۡرَضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا يُضَٰعَفُ لَهُمۡ وَلَهُمۡ أَجۡرٞ كَرِيمٞ ١٨ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمۡ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ وَنُورُهُمۡۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ١٩﴾.

يخبر تعالى عما يثيب به المصدقين والمصدقات بأموالهم على أهل الحاجة والفقر والمسكنة

---

(١) في سنده هشام بن عمار صدوق كبر فصار يتلقن. (التقريب ص٥٧٣) وشهاب بن خراش: صدوق يخطئ. (التقريب ص٢٦٩).

(٢) كذا في (ح) و(حم) وتفسير الطبري، وفي الأصل وردت من غير نقط، والثندوتان للرجل كالثديين للمرأة.

(٣) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده ضعيف لضعف ابن حميد وهو محمد بن حميد الرازي، وضعف أبي معشر وهو نجيح.

﴿وَأَقْرَضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ أي: دفعوه بنية خالصة ابتغاء مرضاة الله لا يريدون جزاءً ممن أعطوه ولا شكوراً، ولهذا قال: ﴿يُضَٰعَفُ لَهُمْ﴾ أي: يقابل لهم الحسنة بعشر أمثالها، ويزاد على ذلك إلى سبعمائة ضعف، وفوق ذلك ﴿وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ أي: ثواب جزيل حسن ومرجع صالح ومآب كريم.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ﴾ هذا تمام لجملة وصف المؤمنين بالله ورسله بأنهم صديقون.

قال العوفي، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ﴾ هذه مفصولة ﴿وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾(١).

وقال أبو الضحى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ﴾ ثم استأنف الكلام فقال: ﴿وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ﴾(٢). وهكذا قال مسروق والضحاك ومقاتل بن حيان وغيرهم(٣).

وقال الأعمش: عن أبي الضحى، عن مسروق، عن عبد الله بن مسعود في قوله تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ قال: هم ثلاثة أصناف(٤): يعني المصدقين والصديقين والشهداء، كما قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النساء: ٦٩] ففرق بين الصديقين والشهداء فدل على أنهما صنفان ولا شك أن الصديق أعلى مقاماً من الشهيد، كما رواه الإمام مالك بن أنس رحمه الله في كتابه الموطأ عن صفوان بن سليم، عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: «إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما تتراءون الكوكب الدري الغابر في الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم» قال: يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم قال: «بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين»(٥). اتفق البخاري ومسلم على إخراجه من حديث مالك به(٦).

وقال آخرون: بل المراد من قوله تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ فأخبر عن المؤمنين بالله ورسله بأنهم صديقون وشهداء، حكاه ابن جرير، عن مجاهد(٧)، ثم قال ابن جرير: حدثني صالح بن حرب أبو معمر، حدثنا إسماعيل بن يحيى، حدثنا ابن عجلان، عن زيد بن أسلم، عن البراء بن عازب قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مؤمنو أمتي شهداء» قال: ثم تلا النبي ﷺ هذه الآية ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ﴾(٨). هذا حديث غريب.

---

(١) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به، ويتقوىٰ بما يليه

(٢) أخرجه الطبري بسند ضعيف فيه ابن حميد المتقدم ذكره قبل الرواية السابقة.

(٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق أبي الضحىٰ عن مسروق، وأخرجه الطبري بسند ضعيف فيه إبهام شيخه.

(٤) سنده صحيح.

(٥) سنده صحيح.

(٦) صحيح البخاري، بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة (ح٣٢٥٦) وصحيح مسلم، الجنة وصفة نعيمها، باب ترائي أهل الجنة أهل الغرف. . (ح٢٨٣١).

(٧) أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد بلفظ: «بالإيمان علىٰ أنفسهم بالله».

(٨) سنده ضعيف لضعف إسماعيل بن يحيىٰ. (التقريب ص١١٠).

وقال أبو إسحاق: عن عمرو بن ميمون في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمۡ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ وَنُورُهُمۡۖ﴾ قال: يجيئون يوم القيامة معاً كالأصبعين.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمۡ﴾ أي: في جنات النعيم كما جاء في الصحيحين: «إن أرواح الشهداء في حواصل طير خضر تسرح في الجنة حيث شاءت ثم تأوي إلى تلك القناديل فاطلع عليهم ربك اطلاعة فقال: ماذا تريدون؟! فقالوا: نحب أن تردنا إلى الدار الدنيا فنقاتل فيك فنقتل كما قتلنا أول مرة، فقال: إني قد قضيت أنهم إليها لا يرجعون»[(١)].

وقوله تعالى: ﴿لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ وَنُورُهُمۡۖ﴾ أي: لهم عند الله أجر جزيل ونور عظيم يسعى بين أيديهم وهم في ذلك يتفاوتون بحسب ما كانوا في الدار الدنيا من الأعمال كما قال الإمام أحمد، حدثنا يحيى بن إسحاق، حدثنا ابن لهيعة، عن عطاء بن دينار، عن أبي يزيد الخولاني قال: سمعت فضالة بن عبيد يقول: سمعت عمر بن الخطاب يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الشهداء أربعة: رجل مؤمن جيد الإيمان لقي العدو فصدق الله فقتل فذاك الذي ينظر الناس إليه هكذا» ورفع رأسه حتى سقطت قلنسوة رسول الله ﷺ أو قلنسوة عمر، «والثاني: مؤمن لقي العدو فكأنما يضرب ظهره بشوك الطلح جاءه سهم غرب فقتله فذاك في الدرجة الثانية، والثالث: رجل مؤمن خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً لقي العدو فصدق الله حتى قتل فذاك في الدرجة الثالثة، والرابع: رجل مؤمن أسرف على نفسه إسرافاً كثيراً لقي العدو فصدق الله حتى قتل فذاك في الدرجة الرابعة»[(٢)]. وهكذا رواه علي بن المديني، عن أبي داود الطيالسي، عن ابن المبارك، عن ابن لهيعة، وقال هذا إسناد مصري صالح[(٣)]، ورواه الترمذي من حديث ابن لهيعة وقال: حسن غريب[(٤)].

وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ﴾ لما ذكر السعداء ومآلهم عطف بذكر الأشقياء وبيَّن حالهم.

﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ۝٢٠ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ۝٢١﴾.

يقول تعالى موهناً أمر الحياة الدنيا ومحقراً لها: ﴿أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ﴾ أي: إنما حاصل أمرها عند أهلها هذا، كما قال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلۡبَنِينَ وَٱلۡقَنَٰطِيرِ ٱلۡمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلۡفِضَّةِ وَٱلۡخَيۡلِ ٱلۡمُسَوَّمَةِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ

---

(١) تقدم تخريجه في تفسير سورة الواقعة آية ٨٩.

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ١/ ٢٩٣ ح١٥٠) وضعف سنده محققوه، لجهاله أبي يزيد الخولاني.

(٣) أخرجه عبد الله بن المبارك عن ابن لهيعة به (الجهاد رقم ١٢٦).

(٤) سنن الترمذي، فضائل الجهاد، باب ما جاء في الشهداء عند الله (ح١٦٤٤).

﴿وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ۝١٤﴾ [آل عمران] ثم ضرب تعالى مثل الحياة الدنيا في أنها زهرة فانية ونعمة زائلة فقال: ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ﴾ وهو المطر الذي يأتي بعد قنوط الناس كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِن بَعْدِ مَا قَنَطُوا﴾ [الشورى: ٢٨].

وقوله تعالى: ﴿أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ﴾ أي: يعجب الزراع نبات ذلك الزرع الذي نبت بالغيث، وكما يعجب الزراع ذلك كذلك تعجب الحياة الدنيا الكفار، فإنهم أحرص شيء عليها وأميل الناس إليها ﴿ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا﴾ أي: يهيج ذلك الزرع فتراه مصفراً بعد ما كان خضراً نضراً، ثم يكون بعد ذلك كله حطاماً؛ أي: يصير يبساً متحطماً، هكذا الحياة الدنيا تكون أولاً شابة ثم تكتهل ثم تكون عجوزاً شوهاء، والإنسان يكون كذلك في أول عمره وعنفوان شبابه غضاً طرياً لين الأعطاف، بهي المنظر، ثم إنه يشرع في الكهولة فتتغير طباعه ويفقد بعض قواه، ثم يكبر فيصير شيخاً كبيراً ضعيف القوى، قليل الحركة يعجزه الشيء اليسير كما قال تعالى: ﴿۞ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ۝٥٤﴾ [الروم] ولما كان هذا المثل دالاً على زوال الدنيا وانقضائها وفراغها لا محالة، وأن الآخرة كائنة لا محالة، حذر من أمرها ورغب فيما فيها من الخير فقال: ﴿وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ أي: وليس في الآخرة الآتية القريبة إلا إما هذا وإما هذا: إما عذاب شديد، وإما مغفرة من الله ورضوان.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ أي: هي متاع فانٍ غارّ لمن ركن إليه، فإنه يغتر بها وتعجبه حتى يعتقد أنه لا دار سواها ولا معاد وراءها، وهي حقيرة قليلة بالنسبة إلى دار الآخرة.

قال ابن جرير: حدثنا علي بن حرب الموصلي، حدثنا المحاربي، حدثنا محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها، اقرؤوا: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾»[1]. وهذا الحديث ثابت في الصحيح بدون هذه الزيادة والله أعلم.

وقال الإمام أحمد: حدثنا ابن نمير ووكيع كلاهما عن الأعمش، عن شقيق، عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «للجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله والنار مثل ذلك»[2]. انفرد بإخراجه البخاري في الرقاق من حديث الثوري، عن الأعمش به[3].

ففي هذا الحديث دليل على اقتراب الخير والشر من الإنسان، وإذا كان الأمر كذلك فلهذا حثه الله تعالى على المبادرة إلى الخيرات من فعل الطاعات وترك المحرمات التي تكفر عنه الذنوب والزلات وتحصل له الثواب والدرجات فقال تعالى: ﴿سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ

---

(١) أخرجه الطبري بسنده ومتنه دون الزيادة في قوله: اقرؤوا ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ وهو حديث صحيح تقدم تخريجه في تفسير سورة آل عمران آية ١٨٥.

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ١/٤٤٢). وسنده صحيح.

(٣) صحيح البخاري، الرقاق، باب الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله.. (ح٦٤٨٨).

عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ والمراد جنس السماء والأرض كما قال تعالى في الآية الأخرى: ﴿۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ [آل عمران] وقال هٰهنا: ﴿أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ أي: هذا الذي أهلهم الله له هو من فضله ومنَّه عليهم وإحسانه إليهم، كما قدمناه في الصحيح أن فقراء المهاجرين قالوا: يا رسول الله ذهب أهل الدثور بالأجور بالدرجات العلى والنعيم المقيم قال: «وما ذاك؟» قالوا: يصلون كما نصلي، ويصومون كما نصوم، ويتصدقون ولا نتصدق، ويعتقون ولا نعتق. قال: «أفلا أدلكم على شيء إذا فعلتموه سبقتم من بعدكم ولا يكون أحد أفضل منكم إلا من صنع مثل ما صنعتم تسبحون وتكبرون وتحمدون دبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين» قال: فرجعوا فقالوا: سمع إخواننا أهل الأموال ما فعلنا ففعلوا مثله، فقال رسول الله ﷺ: «ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء»[١].

﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِۗ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٤﴾﴾.

يخبر تعالى عن قدره السابق في خلقه قبل أن يبرأ البرية فقال: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ﴾ أي: في الآفاق وفي أنفسكم ﴿إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾ أي: من قبل أن نخلق الخليقة ونبرأ النسمة.

وقال بعضهم: من قبل أن نبرأها عائد على النفوس.

وقيل: عائد على المصيبة، والأحسن عوده على الخليقة والبرية لدلالة الكلام عليها كما قال ابن جرير: حدثني يعقوب، حدثني ابن علية، عن منصور بن عبد الرحمٰن قال: كنت جالساً مع الحسن فقال رجل سلهُ عن قوله تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾ فسألته عنها فقال: سبحان الله ومن يشك في هذا؟ كل مصيبة بين السماء والأرض ففي كتاب الله من قبل أن يبرأ النسمة[٢].

وقال قتادة: ما أصاب من مصيبة في الأرض قال: هي السنون يعني الجدب ﴿وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ﴾ يقول: الأوجاع والأمراض[٣]، قال: وبلغنا أنه ليس أحد يصيبه خدش عود ولا نكبة قدم ولا خلجان عرق إلا بذنب، وما يعفو الله عنه أكثر[٤].

وهذه الآية الكريمة العظيمة من أدل دليل على القدرية نفاة العلم السابق - قبحهم الله.

وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو عبد الرحمٰن، حدثنا حيوة وابن لهيعة قالا: حدثنا أبو هانئ

---

(١) صحيح البخاري، الأذان، باب الذكر بعد الصلاة (ح٨٤٣) وصحيح مسلم، المساجد، باب استحباب الذكر بعد الصلاة (ح٥٩٥).

(٢) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده حسن.

(٣) أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة.

(٤) الأثر تتمة لسابقه لكن هذه التتمة فيها ضعف لأن قتادة. رواه بلاغاً.

الخولاني أنه سمع أبا عبد الرحمٰن الحبلي يقول: سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قدر الله المقادير قبل أن يخلق السمٰوات والأرض بخمسين ألف سنة»[(١)]. ورواه مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن وهب وحيوة بن شريح ونافع بن زيد، ثلاثتهم عن أبي هانئ به، وزاد ابن وهب: «وكان عرشه على الماء»[(٢)]. ورواه الترمذي وقال حسن صحيح[(٣)].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ أي: إن علمه تعالى الأشياء قبل كونها وكتابته لها طبق ما يوجد في حينها سهل على الله ﷻ؛ لأنه يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن، ولو كان كيف كان يكون.

وقوله تعالى: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ أي: أعلمناكم بتقدم علمنا وسبق كتابتنا للأشياء قبل كونها، وتقديرنا الكائنات قبل وجودها، لتعلموا أن ما أصابكم لم يكن ليخطئكم وما أخطأكم لم يكن ليصيبكم، فلا تأسوا على ما فاتكم لأنه لو قدر شيء لكان ﴿وَلَا تَفْرَحُوا بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ أي: جاءكم، وتفسير آتاكم؛ أي: أعطاكم وكلاهما متلازم؛ أي: لا تفخروا على الناس بما أنعم الله به عليكم، فإن ذلك ليس بسعيكم ولا كدكم، وإنما هو عن قدر الله ورزقه لكم فلا تتخذوا نعم الله أشراً وبَطراً تفخرون بها على الناس، ولهذا قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ أي: مختال في نفسه متكبر فخور؛ أي: على غيره.

وقال عكرمة: ليس أحد إلا هو يفرح ويحزن ولكن اجعلوا الفرح شكراً والحزن صبراً[(٤)].

ثم قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ﴾ أي: يفعلون المنكر ويحضُّون الناس عليه ﴿وَمَن يَتَوَلَّ﴾ أي: عن أمر الله وطاعته ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ كما قال موسى ﵇: ﴿إِن تَكْفُرُوٓا أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٨].

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾﴾.

يقول تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ أي: بالمعجزات، والحجج الباهرات، والدلائل القاطعات ﴿وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ وهو النقل الصدق ﴿وَٱلْمِيزَانَ﴾ وهو العدل، قاله مجاهد وقتادة وغيرهما[(٥)]، وهو الحق الذي تشهد به العقول الصحيحة المستقيمة المخالفة للآراء السقيمة كما قال تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ [هود: ١٧] وقال تعالى: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم: ٣٠] وقال تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ﴿٧﴾﴾ [الرحمٰن]

---

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٢/١٦٩). وسنده صحيح.

(٢) صحيح مسلم، القدر، باب حجاج آدم وموسىٰ ﵉ (ح٢٦٥٣).

(٣) أخرجه الترمذي من طريق حيوة به (السنن، القدر، باب رقم ١٨ ح٢١٥٦).

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة عن وكيع عن سفيان عن سماك البكري عن عكرمة عن ابن عباس (المصنف ١٣/ ٣٧٣) وأخرجه الحاكم من طريق ابن أبي شيبة به، وصححه ووافقه الذهبي. (المستدرك ٢/٤٧٩).

(٥) أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة.

ولهذا قال في هذه الآية: ﴿لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ أي: بالحق والعدل وهو اتباع الرسل فيما أخبروا به وطاعتهم فيما أمروا به، فإن الذي جاءوا به هو الحق الذي ليس وراءه حق كما قال: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام: ١١٥] أي: صدقاً في الأخبار وعدلاً في الأوامر والنواهي، ولهذا يقول المؤمنون إذا تبوأوا غرف الجنات، والمنازل العاليات، والسرر المصفوفات: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾ [الأعراف: ٤٣].

وقوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ أي: وجعلنا الحديد رادعاً لمن أبى الحق وعانده بعد قيام الحجة عليه، ولهذا أقام رسول الله ﷺ بمكة بعد النبوة ثلاث عشرة سنة توحى إليه السور المكية، وكلها جدال مع المشركين وبيان وإيضاح للتوحيد وبينات ودلالات، فلما قامت الحجة على من خالف، شرع الله الهجرة وأمرهم بالقتال بالسيوف وضرب الرقاب والهام لمن خالف القرآن وكذب به وعانده، وقد روى الإمام أحمد وأبو داود من حديث عبد الرحمٰن بن ثابت بن ثوبان، عن حسان بن عطية، عن أبي المنيب الجرشي الشامي، عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «بُعثت بالسيف بين يدي الساعة حتى يعبد الله وحده لا شريك له، وجعل رزقي تحت ظل رمحي، وجعل الذلة والصغار على من خالف أمري ومن تشبه بقوم فهو منهم»[١]. ولهذا قال تعالى: ﴿فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ يعني: السلاح كالسيوف والحراب والسنان والنصال والدروع ونحوها ﴿وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾ أي: في معايشهم كالسكة والفأس والقدوم والمنشار والإزميل والمجرفة والآلات التي يستعان بها في الحراثة والحياكة والطبخ والخبز، وما لا قوام للناس بدونه وغير ذلك.

قال علباء بن أحمد: عن عكرمة، عن ابن عباس قال: ثلاثة أشياء نزلت مع آدم: السندان والكلبتان والميقعة يعني: المطرقة، ورواه ابن جرير وابن أبي حاتم[٢]، وقوله تعالى: ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ﴾ أي: من نيته في حمل السلاح نصرة الله ورسوله ﴿إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ أي: هو قوي عزيز ينصر من نصره من غير احتياج منه إلى الناس، وإنما شرع الجهاد ليبلو بعضكم ببعض.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٢٧﴾﴾.

يخبر تعالى أنه منذ بعث نوحاً عليه السلام لم يرسل بعده رسولاً ولا نبياً إلا من ذريته وكذلك إبراهيم عليه السلام خليل الرحمٰن، لم ينزل من السماء كتاباً ولا أرسل رسولاً ولا أوحى إلى بشر من

---

(١) تقدم تخريجه في تفسير سورة سورة البقرة آية ١٠٤.

(٢) أخرجه الطبري من طريق علباء بن أحمر به، وسنده ضعيف لأن فيه ابن حميد وهو محمد بن حميد الرازي: ضعيف.

بعده إلا وهو من سلالته، كما قال تعالى في الآية الأخرى: ﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾ حتى كان آخر أنبياء بني إسرائيل عيسى ابن مريم الذي بشر من بعده بمحمد صلوات الله وسلامه عليهما، ولهذا قال تعالى: ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ﴾ وهو الكتاب الذي أوحاه الله إليه ﴿وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ﴾ وهم الحواريون ﴿رَأْفَةً﴾ أي: رقة وهي الخشية ﴿وَرَحْمَةً﴾ بالخلق.

وقوله: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا﴾ أي: ابتدعها أمة النصارى ﴿مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ﴾ أي: ما شرعناها لهم وإنما هم التزموها من تلقاء أنفسهم.

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ﴾ فيه قولان:

(أحدهما): أنهم قصدوا بذلك رضوان الله، قاله سعيد بن جبير وقتادة[(١)].

(والآخر): ما كتبنا عليهم ذلك إنما كتبنا عليهم ابتغاء رضوان الله.

وقوله تعالى: ﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ أي: فما قاموا بما التزموا حق القيام، وهذا ذمٌّ لهم من وجهين:

(أحدهما): في الابتداع في دين الله ما لم يأمر به الله.

(والثاني): في عدم قيامهم بما التزموا مما زعموا أنه قربة يقربهم إلى الله ﷻ.

وقد قال ابن أبي حاتم: حدثنا إسحاق بن أبي حمزة أبو يعقوب الرازي، حدثنا السري بن عبد ربه، حدثنا بكير بن معروف، عن مقاتل بن حيان، عن القاسم بن عبد الرحمٰن بن عبد الله بن مسعود، عن أبيه، عن جده ابن مسعود قال: قال لي رسول الله ﷺ: «يا ابن مسعود» قلت: لبيك يا رسول الله. قال: «هل علمت أن بني إسرائيل افترقوا على ثنتين وسبعين فرقة؟ لم ينج منها إلا ثلاث فرق، قامت بين الملوك والجبابرة بعد عيسى ابن مريم ﵇، فدعت إلى دين الله ودين عيسى ابن مريم، فقاتلت الجبابرة فقتلت فصبرت ونجت، ثم قامت طائفة أخرى لم تكن لها قوة بالقتال، فقامت بين الملوك والجبابرة فدعوا إلى دين الله ودين عيسى ابن مريم فقتلت وقطعت بالمناشير وحرقت بالنيرات فصبرت ونجت، ثم قامت طائفة أخرى لم يكن لها قوة بالقتال ولم تطق القيام بالقسط، فلحقت بالجبال فتعبدت وترهبت وهم الذين ذكر الله تعالى: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ﴾»[(٢)].

وقد رواه ابن جرير بلفظ آخر من طريق أخرى فقال: حدثنا يحيى بن أبي طالب، حدثنا داود بن المحبر، حدثنا الصعق بن حزن، حدثنا عقيل الجعدي، عن أبي إسحاق الهمداني، عن سويد بن غفلة، عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «اختلف من كان قبلنا على ثلاث وسبعين فرقة نجا منهم ثلاث وهلك سائرهم» وذكر نحو ما تقدم وفيه «﴿فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ﴾ هم الذين آمنوا بي وصدقوني ﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ وهم الذين كذبوني

---

(١) أخرجه عبد الرزاق والطبري بسند صحيح من طريق معمر عن قتادة.

(٢) في سنده بكير بن معروف وهو: صدوق فيه لين. (التقريب ص١٢٨) ويتقوىٰ بالروايات التالية على رأي الحافظ ابن كثير كما يلي.

وخالفوني»[١]. ولا يقدح في هذه المتابعة لحال داود بن المحبر فإنه أحد الوضاعين للحديث، ولكن قد أسنده أبو يعلى عن شيبان بن فروخ، عن الصعق بن حزن به مثل ذلك[٢]، فقوي الحديث من هذا الوجه.

وقال ابن جرير وأبو عبد الرحمٰن النسائي واللفظ له: أخبرنا الحسين بن حريث، حدثنا الفضل بن موسى، عن سفيان بن سعيد، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان ملوك بعد عيسى عليه السلام بدلت التوراة والإنجيل فكان منهم مؤمنون يقرأون التوراة والإنجيل، فقيل لملوكهم ما نجد شيئاً أشد من شتم يشتموناه هؤلاء إنهم يقرأون: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤] هذه الآيات مع ما يعيبوننا به من أعمالنا في قراءتهم فادعهم فليقرأوا كما نقرأ وليؤمنوا كما آمنا، فدعاهم فجمعهم وعرض عليهم القتل أو يتركوا قراءة التوراة والإنجيل إلا ما بدلوا منها، فقالوا: ما تريدون إلى ذلك دعونا، فقالت طائفة منهم: ابنوا لنا أسطوانة ثم ارفعونا إليها ثم أعطونا شيئاً نرفع به طعامنا وشرابنا فلا نردّ عليكم، وقالت طائفة: دعونا نسيح في الأرض ونهيم ونشرب كما يشرب الوحش، فإن قدرتم علينا في أرضكم فاقتلونا، وقالت طائفة: ابنو لنا دوراً في الفيافي ونحتفر الآبار ونحرث البقول فلا نردّ عليكم ولا نمر بكم، وليس أحد من القبائل إلا له حميم فيهم، ففعلوا ذلك، فأنزل الله تعالى: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾.

والآخرون قالوا: نتعبد كما تعبد فلان ونسيح كما ساح فلان ونتخذ دوراً كما اتخذ فلان، وهم على شركهم لا علم لهم بإيمان الذين اقتدوا بهم، فلما بعث الله النبي ﷺ ولم يبق إلا القليل انحطَّ منهم رجل من صومعته، وجاء سائح من سياحته، وصاحب الدير من ديره فآمنوا به وصدقوه فقال الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ﴾ [الحديد: ٢٨] أجرين بإيمانهم بعيسى ابن مريم وتصديقهم بالتوراة والإنجيل، وبإيمانهم بمحمد ﷺ وتصديقهم به قال: ﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ﴾ [الحديد: ٢٨] القرآن واتباعهم النبي ﷺ قال: ﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ الذين يتشبهون بكم ﴿أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾[٣]. هذا السياق فيه غرابة، وسيأتي تفسير هاتين الآيتين على غير هذا، والله أعلم.

وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي: حدثنا أحمد بن عيسى، حدثنا عبد الله بن وهب، حدثني سعيد بن عبد الرحمٰن بن أبي العمياء أن سهل بن أبي أُمامة حدثه أنه دخل هو وأبوه على أنس بن

---

(١) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده ضعيف لضعف داود بن المحبر، وضعف عقيل الجعدي، ولكن داود بن المحبر توبع كما سيأتي ويبقىٰ ضعف عقيل، فقد أخرجه الحاكم من طريق عبد الرحمٰن بن المبارك عن الصعق بن حزن عن عقيل به وصححه الحاكم وتعقبه الذهبي بأن عقيل الجعدي منكر الحديث. (المستدرك ٢/ ٤٨٠).

(٢) وفي سنده أيضاً شيخ الصعق وهو عقيل.

(٣) أخرجه النسائي والطبري بسنده ومتنه (السنن الكبرىٰ، التفسير، سورة الحديد، ح١١٥٠٣). وفي سنديهما عطاء بن السائب وهو صدوق اختلط. (التقريب ص٣٩١).

مالك بالمدينة زمان عمر بن عبد العزيز وهو أمير، وهو يصلي صلاة خفيفة كأنها صلاة المسافر أو قريباً منها، فلمَّا سلم قال: يرحمك الله أرأيت هذه الصلاة المكتوبة أم شيء تنفلته؟ قال: إنها المكتوبة وإنها صلاة رسول الله ﷺ ما أخطأت إلا شيئاً سهوت عنه، إن رسول الله ﷺ كان يقول: «لا تشددوا على أنفسكم فيشدد الله عليكم، فإن قوماً شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم فتلك بقاياهم في الصوامع والديارات رهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم» ثم غدوا من الغد فقالوا: نركب فننظر ونعتبر، قال: نعم. فركبوا جميعاً فإذا هم بديار قُفر قد بادَ أهلها وانقرضوا وفنوا خاوية على عروشها، فقالوا: أتعرف هذه الديار؟ قال: ما أعرفني بها وبأهلها هؤلاء أهل الديار أهلكهم البغي والحسد، إن الحسد يطفئ نور الحسنات والبغي يصدق ذلك أو يكذبه، والعين تزني، والكف تزني، والقدم والجسد واللسان والفرج يصدق ذلك أو يكذبه[(١)].

وقال الإمام أحمد: حدثنا يعمر، حدثنا عبد الله، أخبرنا سفيان، عن زيد العمِّي، عن أبي إياس، عن أنس بن مالك أن النبي ﷺ قال: «لكل نبي رهبانية ورهبانية هذه الأُمة الجهاد في سبيل الله ﷻ»[(٢)]. ورواه الحافظ أبو يعلى، عن عبد الله بن محمد بن أسماء، عن عبد الله بن المبارك به ولفظه: «لكل أُمة رهبانية ورهبانية هذه الأُمة الجهاد في سبيل الله»[(٣)].

وقال الإمام أحمد: حدثنا حسين ـ هو ابن محمد ـ حدثنا ابن عياش يعني: إسماعيل، عن الحجاج بن مروان الكلاعي وعقيل بن مُدرك السلمي، عن أبي سعيد الخدري ﵁ أن رجلاً جاءه فقال: أوصني، فقال: سألت عما سألت عنه رسول الله ﷺ من قبلك، أوصيك بتقوى الله فإنه رأس كل شيء، وعليك بالجهاد فإنه رهبانية الإسلام، وعليك بذكر الله وتلاوة القرآن فإنه روحك في السماء وذكرك في الأرض[(٤)]. تفرد به أحمد، والله أعلم.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾ لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾﴾.

قد تقدم في رواية النسائي، عن ابن عباس أنه حمل هذه الآية على مؤمني أهل الكتاب وأنهم يؤتون أجرهم مرتين كما في الآية التي في القصص[(٥)]، وكما في حديث الشعبي، عن أبي بردة، عن أبيه، عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين: رجل

---

(١) أخرجه أبو يعلىٰ بسنده ومتنه (المسند ٦/ ٣٦٥ ح٣٦٩٤) وحسنه محققه، وأخرجه أبو داود من طريق عبد الله بن وهب به. (السنن، الأدب، باب في الحسد ح٤٩٠٤) وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة (ح٣٤٦٨).

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٢١/ ٣١٧ ح١٣٨٠٧) وضعف سنده محققوه لضعف زيد العمي.

(٣) أخرجه أبو يعلىٰ من طريق زيد العمي أيضاً (المسند ٧/ ٢١٠ ح٤٢٠٤)، فسنده ضعيف، وضعفه محققه.

(٤) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (١٨/ ٢٩٨ ح١١٧٧٤) وضعف سنده محققوه لأن عقيل بن مدرك لم يدرك أبا سعيد.

(٥) آية ٥٤.

من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بي فله أجران، وعبد مملوك أدى حق الله وحق مواليه فله أجران، ورجل أدب أمته فأحسن تأديبها ثم أعتقها وتزوجها فله أجران» أخرجاه في الصحيحين[١]، ووافق ابن عباس على هذا التفسير الضحاك وعتبة بن أبي حكيم وغيرهما[٢] وهو اختيار ابن جرير.

وقال سعيد بن جبير: لما افتخر أهل الكتاب بأنهم يؤتون أجرهم مرتين أنزل الله تعالى عليه هذه الآية في حق هذه الأمة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ﴾ أي: ضعفين ﴿مِن رَّحْمَتِهِۦ﴾ وزادهم ﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ﴾ يعني: هدى يتبصر به من العمى والجهالة ويغفر لكم، ففضلهم بالنور والمغفرة. رواه ابن جرير عنه[٣].

وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾﴾ [الأنفال] وقال سعيد بن عبد العزيز: سأل عمر بن الخطاب حبراً من أحبار اليهود كم أفضل ما ضُعّفت لكم حسنة؟ قال كفل ثلاثمائة وخمسين حسنة، قال فحمد الله عمر على أنه أعطانا كفلين، ثم ذكر سعيد قول الله ﷻ: ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ﴾ قال سعيد: والكفلان في الجمعة مثل ذلك[٤]، رواه ابن جرير. ومما يؤيد هذا القول ما رواه الإمام أحمد: حدثنا إسماعيل، حدثنا أيوب، عن نافع، عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «مثلكم ومثل اليهود والنصارى كمثل رجل استعمل عمالاً فقال: من يعمل لي من صلاة الصبح إلى نصف النهار على قيراط قيراط؟ ألا فعملت اليهود، ثم قال: من يعمل لي من صلاة الظهر إلى صلاة العصر على قيراط قيراط؟ ألا فعملت النصارى، ثم قال: من يعمل لي من صلاة العصر إلى غروب الشمس على قيراطين قيراطين؟ ألا فأنتم الذين عملتم، فغضب النصارى واليهود وقالوا: نحن أكثر عملاً وأقل عطاءً قال: هل ظلمتكم من أجركم شيئاً؟ قالوا: لا، قال: فإنما هو فضلي أوتيه من أشاء»[٥].

قال أحمد: وحدثناه مؤمل، عن سفيان، عن عبد الله بن دينار، عن ابن عمر نحو حديث نافع عنه[٦] انفرد بإخراجه البخاري فرواه عن سليمان بن حرب، عن حماد، عن نافع به، وعن قتيبة، عن الليث، عن نافع بمثله[٧].

وقال البخاري: حدثني محمد بن العلاء، حدثنا أبو أسامة، عن [بُريدٍ][٨]، عن أبي بردة، عن

---

(١) تقدم تخريجه في تفسير سورة البقرة آية ٢٨٢.

(٢) أخرجه الطبري بسند ضعيف فيه إبهام شيخه عن الضحاك.

(٣) أخرجه الطبري مطولاً بسند ضعيف فيه ابن حميد وهو محمد بن حميد الرازي وهو ضعيف.

(٤) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده ضعيف لأن سعيد بن عبد العزيز لم يدرك عمر ﷺ، وهو من الطبقة السابعة وقد اختلط (التقريب ص٢٣٨).

(٥) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٢/ ٦) وسنده صحيح.

(٦) (المسند ٢/ ١١١).

(٧) صحيح البخاري، الإجارة، باب الإجارة إلى نصف النهار (ح٢٢٦٨).

(٨) كذا في (ح) و(حم) وصحيح البخاري، وفي الأصل صحف إلى: «يزيد».

أبي موسى، عن النبي ﷺ قال: «مثلُ المسلمين واليهود والنصارى كمثل رجل استعمل قوماً يعملون له عملاً يوماً إلى الليل على أجر معلوم، فعملوا إلى نصف النهار فقالوا: لا حاجة لنا في أجرك الذي شرطت لنا وما عملنا باطل، فقال لهم: لا تفعلوا أكملوا بقية عملكم وخذوا أجركم كاملاً، فأبوا وتركوا واستأجر آخرين بعدهم فقال: أكملوا بقية يومكم ولكم الذي شرطت لهم من الأجر، فعملوا حتى إذا كان حين صلوا العصر قالوا: ما عملنا باطل ولك الأجر الذي جعلت لنا فيه. فقال: أكملوا بقية عملكم فإنما بقي من النهار شيء يسير فأبوا. فاستأجر قوماً أن يعملوا له بقية يومهم فعملوا له بقية يومهم حتى غابت الشمس، فاستكملوا أجرة الفريقين كليهما، فذلك مثلهم ومثل ما قبلوا من هذا النور»[١]. انفرد به البخاري ولهذا قال تعالى: ﴿لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّن فَضْلِ اللَّهِ﴾ أي: ليتحققوا أنهم لا يقدرون على ردِّ ما أعطاه الله ولا إعطاء ما منع الله ﴿وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾.

قال ابن جرير: ﴿لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ﴾ أي: ليعلم، وقد ذكر عن ابن مسعود أنه قرأها (لكي يعلم)[٢] وكذا خطاب بن عبد الله، وسعيد بن جبير[٣]. قال ابن جرير: لأن العرب تجعل «لا» صلة في كل كلام دخل في أوله أو آخره جحد غير مصرح فالسابق كقوله: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾ [الأعراف: ١٢] ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ١٠٩] بالله ﴿وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٩٥﴾﴾[٤] [الأنبياء]. آخر تفسير سورة الحديد.

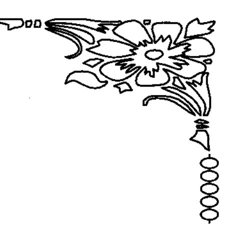
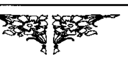
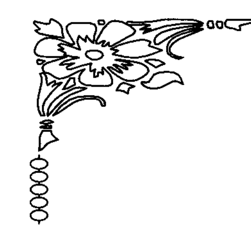
---

(١) أخرجه البخاري بسنده ومتنه (الصحيح، الإجارة، باب الإجارة من العصر إلى الليل ح٢٢٧١).

(٢) ذكره الطبري بنحوه، وهي قراءة شاذة تفسيرية.

(٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق أبي هارون الغنوي عن خطاب بن عبد الله، وأخرجه أيضاً بسند صحيح من طريق أبي المعلى عن سعيد بن جبير.

(٤) ذكره الطبري بنحوه.

سُورَةُ المُجَادَلَة

وهي مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ۝١﴾.

قال الإمام أحمد: حدثنا أبو معاوية، حدثنا الأعمش، عن تميم بن سلمة، عن عروة، عن عائشة قالت: الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات، لقد جاءت المجادلة إلى النبي ﷺ تكلمه وأنا في ناحية البيت ما أسمع ما تقول، فأنزل الله ﷻ: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ إلى آخر الآية[١]، وهكذا رواه البخاري في كتاب التوحيد تعليقاً فقال: وقال الأعمش، عن تميم بن سلمة، عن عروة، عن عائشة فذكره[٢]. وأخرجه النسائي وابن ماجه وابن أبي حاتم وابن جرير من غير وجه عن الأعمش به[٣]. وفي رواية لابن أبي حاتم، عن الأعمش، عن تميم بن سلمة، عن عروة، عن عائشة أنها قالت: تبارك الذي أوعى سمعه كل شيء، إني لأسمع كلام خولة بنت ثعلبة ويخفى علي بعضه وهي تشتكي زوجها إلى رسول الله ﷺ، وهي تقول: يا رسول الله أكل مالي وأفنى شبابي ونثرت له بطني حتى إذا كبر سني وانقطع ولدي ظاهر مني، اللَّهم إني أشكو إليك، قالت: فما برحت حتى نزل جبريل بهذه الآية ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ قالت: وزوجها أوس بن الصامت.

وقال ابن لهيعة، عن أبي الأسود، عن عروة هو أوس بن الصامت: وكان أوس امرءاً به لمم، فكان إذا أخذه لممه واشتد به يظاهر من امرأته، وإذا ذهب لم يقل شيئاً فأتت رسول الله ﷺ تستفتيه في ذلك وتشتكي إلى الله، فأنزل الله ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ الآية. وهكذا روى هشام بن عروة، عن أبيه أن رجلاً كان به لمم فذكر مثله[٤].

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي: حدثنا موسى بن إسماعيل أبو سلمة، حدثنا جرير يعني ابن

---

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٦/٤٦) وسنده صحيح.

(٢) أخرجه البخاري تعليقاً ووصله الحافظ ابن حجر برواية الإمام أحمد السابقة، وأخرجه الحافظ ابن حجر بسنده من طريق الأعمش به. (تغليق التعليق ٥/٣٣٨، ٣٣٩).

(٣) سنن النسائي، الطلاق، باب الظهار (ح٨/١٦٨) وسنن ابن ماجه، المقدمة، باب فيما أنكرت الجهمية (ح١٨٨) وتفسير الطبري من عدة طرق.

(٤) أخرجه الطبري من طريق أبان العطار عن هشام بن عروة به، ويشهد له سابقه.

حازم قال: سمعت أبا يزيد يحدث قال: لقيت امرأة عمر يقال لها: خولة بنت ثعلبة، وهو يسير مع الناس فاستوقفته فوقف لها ودنا منها وأصغى إليها رأسه، ووضع يديه على منكبيها حتى قضت حاجتها وانصرفت، فقال له رجل: يا أمير المؤمنين حبست رجالات قريش على هذه العجوز، قال: ويحك وتدري من هذه؟ قال: لا. قال: هذه امرأة سمع الله شكواها من فوق سبع سموات، هذه خولة بنت ثعلبة، والله لو لم تنصرف عني إلى الليل ما انصرفت عنها حتى تقضي حاجتها إلا أن تحضر صلاة فأصليها ثم أرجع إليها حتى تقضي حاجتها[1]. هذا منقطع بين أبي يزيد وعمر بن الخطاب وقد روي من غير هذا الوجه.

وقال ابن أبي حاتم أيضاً: حدثنا المنذر بن شاذان، حدثنا يعلى، حدثنا زكريا، عن عامر قال: المرأة التي جادلت في زوجها خولة بنت الصامت، وأُمها: معاذة[2] التي أنزل الله فيها ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾ [النور: ٣٣][3] صوابه: خولة امرأة أوس بن الصامت.

﴿الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَائِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾﴾.

قال الإمام أحمد: حدثنا سعد بن إبراهيم ويعقوب قالا: حدثنا أبي، حدثنا محمد بن إسحاق، حدثني معمر بن عبد الله بن حنظلة، عن يوسف بن عبد الله بن سلام، عن خويلة بنت ثعلبة قالت: فيَّ واللهِ وفي أوس بن الصامت أنزل الله صدر سورة المجادلة، قالت: كنت عنده وكان شيخاً كبيراً قد ساء خلقه، قالت: فدخل علي يوماً فراجعته بشيء، فغضب فقال: أنت عليَّ كظهر أمي. قالت: ثم خرج فجلس في نادي قومه ساعة، ثم دخل علي فإذا هو يريدني عن نفسي قالت: قلت: كلّا، والذي نفس خويلة بيده لا تخلص إلي، وقد قلت ما قلت، حتى يحكم الله ورسوله فينا بحكمه، قالت: فواثبني، فامتنعت منه فغلبته بما تغلب به المرأة الشيخ الضعيف فألقيته عني، قالت: ثم خرجت إلى بعض جاراتي فاستعرت منها ثياباً، ثم خرجت حتى جئت إلى رسول الله ﷺ فجلست بين يديه، فذكرت له ما لقيت منه وجعلت أشكو إليه ما ألقى من سوء خلقه، قالت: فجعل رسول الله ﷺ يقول: «يا خويلة ابن عمك شيخ كبير فاتقي الله فيه».

قالت: فوالله ما برحت حتى نزل فيَّ قرآن، فتغشى رسول الله ﷺ ما كان يتغشاه ثم سُرِّيَ عنه فقال لي: «يا خويلة قد أنزل الله فيك وفي صاحبك قرآنا»، ثم قرأ عليَّ ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿١﴾﴾ [المجادلة] إلى قول

(١) سنده ضعيف لأن أبا يزيد لم يسمع من عمر رضي الله عنه.
(٢) قال الحافظ ابن حجر: وتسمية أمها غريب. (فتح الباري ١٣/ ٣٧٤).
(٣) سنده مرسل.

تعالى: ﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ قالت: فقال لي رسول الله ﷺ: «مريه فليعتق رقبة» قالت: فقلت يا رسول الله ما عنده ما يعتق، قال: «فليصم شهرين متتابعين» قالت: فقلت والله إنه لشيخ كبير ما به من صيام قال: «فليطعم ستين مسكيناً وسقاً من تمر» قالت: فقلت والله يا رسول الله ما ذاك عنده، قالت: فقال رسول الله ﷺ: «فإنا سنعينه بعَرَقٍ من تمر» قالت: فقلت يا رسول الله وأنا سأعينه بعَرَقٍ آخر قال: «قد أصبتِ وأحسنتِ فاذهبي فتصدقي به عنه ثم استوصي بابن عمك خيراً» قالت: ففعلت[١].

ورواه أبو داود في كتاب الطلاق من سننه من طريقين عن محمد بن إسحاق بن يسار به[٢]، وعنده خولة بنت ثعلبة ويقال فيها: خولة بنت مالك بن ثعلبة، وقد تُصغَّر فيقال: خويلة، ولا منافاة بين هذه الأقوال فالأمر فيها قريب والله أعلم. هذا هو الصحيح في سبب نزول هذه السورة، فأما حديث سلمة بن صخر فليس فيه أنه كانت سبب النزول ولكن أمر بما أنزل الله في هذه السورة، من العتق أو الصيام أو الإطعام، كما قال الإمام أحمد: حدثنا يزيد بن هارون، أخبرنا محمد بن إسحاق، عن محمد بن عمرو بن عطاء، عن سليمان بن يسار، عن سلمة بن صخر الأنصاري قال: كنت امرأً قد أوتيت من جماع النساء ما لم يؤت غيري، فلما دخل رمضان ظاهرت من امرأتي حتى ينسلخ رمضان فرقاً من أن أصيب في ليلتي شيئاً فأتتابع في ذلك إلى أن يدركني النهار وأنا لا أقدر أن أنزع، فبينما هي تخدمني من الليل إذ تكشف لي منها شيء فوثبت عليها، فلما أصبحت غدوت على قومي فأخبرتهم خبري وقلت: انطلقوا معي إلى النبي ﷺ فأخبره بأمري، فقالوا: لا والله لا نفعل نتخوف أن ينزل فينا، أو يقول فينا رسول الله ﷺ مقالة علينا عارها، ولكن اذهب أنت، فاصنع ما بدا لك.

قال: فخرجت حتى أتيت النبي ﷺ فأخبرته خبري فقال لي: «أنت بذاك» فقلت: أنا بذاك فقال: «أنت بذاك» فقلت: أنا بذاك قال: «أنت بذاك» قلت: نعم، ها أنا ذا فأمض في حكم الله ﷻ فإني صابر له قال: «أعتق رقبة» قال: فضربت صفحة رقبتي بيدي وقلت: لا والذي بعثك بالحق ما أصبحت أملك غيرها، قال: «فصم شهرين متتابعين» قلت: يا رسول الله وهل أصابني ما أصابني إلا في الصيام؟ قال: «فتصدق» فقلت: والذي بعثكَ بالحق لقد بتنا ليلتنا هذه وحشَى ما لنا عشاء، قال: «اذهب إلى صاحب صدقة بني رزيق فقل له فليدفعها إليك فأطعم عنك منها وسقاً من تمر ستين مسكيناً ثم استعن بسائره عليك وعلى عيالك» قال: فرجعت إلى قومي فقلت: وجدت عندكم الضيق وسوء الرأي، ووجدت عند رسول الله ﷺ السعة والبركة قد أمر لي بصدقتكم فادفعوها إليَّ فدفعوها إليَّ[٣]، وهكذا رواه أبو داود وابن ماجه واختصره الترمذي وحسنه، وظاهر السياق أن هذه القصة كانت بعد قصة أوس بن

---

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٤٥/٣٠٢ ح٢٧٣١٩) وضعف سنده محققوه لجهالة معمر بن عبد الله بن حنظلة فلم يرو عنه سوىٰ محمد بن إسحاق.

(٢) سنن أبي داود، الطلاق، باب في الظهار (ح٢٢١٤)، وسنده كسابقه، وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح١٩٣٤).

(٣) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٢٦/٣٤٧ ـ ٣٤٩ ح١٦٤٢١) وصححه محققوه بطرقه وشواهده.

الصامت وزوجته خويلة بنت ثعلبة، كما دلَّ عليه سياق تلك وهذه بعد التأمل.

قال خُصيف: عن مجاهد، عن ابن عباس: أول من ظاهر من امرأته أوس بن الصامت أخو عبادة بن الصامت، وامرأته خولة بنت ثعلبة بن مالك، فلما ظاهر منها خشيت أن يكون ذلك طلاقاً، فأتت رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله، إن أوساً ظاهر مني، وإنّا إن افترقنا هلكنا وقد نثرت بطني منه وقدمت صحبته، وهي تشكو ذلك وتبكي ولم يكن جاء في ذلك شيء، فأنزل الله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [المجادلة: ١] إلى قوله تعالى: ﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ فدعاه رسول الله ﷺ فقال: «أتقدر على رقبة تعتقها»(١) قال: لا والله يا رسول الله ما أقدر عليها. قال: فجمع له رسول الله ﷺ حتى أعتق عنه ثم راجع أهله(٢). رواه ابن جرير ولهذا ذهب ابن عباس والأكثرون إلى ما قلناه والله أعلم.

فقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم﴾ أصل الظهار مشتق من الظهر، وذلك أن الجاهلية كانوا إذا ظاهر أحدهم من امرأته قال لها: أنت عليَّ كظهر أُمي ثم في الشرع كان الظهار في سائر الأعضاء قياساً على الظهر، وكان الظهار عند الجاهلية طلاقاً فأرخص الله لهذه الأُمة وجعل فيه كفارة ولم يجعله طلاقاً كما كانوا يعتمدونه في جاهليتهم، هكذا قال غير واحد من السلف.

قال ابن جرير: حدثنا أبو كريب، حدثنا عبيد الله بن موسى، عن أبي حمزة، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: كان الرجل إذا قال لامرأته في الجاهلية أنت علي كظهر أمي حرمت عليه فكان أول من ظاهر في الإسلام أوس، وكان تحته ابنة عمّ له يقال لها: خويلة بنت ثعلبة، فظاهر منها فأسقط في يديه، وقال ما أراك إلا قد حرمت علي وقالت له مثل ذلك، قال: فانطلقي إلى رسول الله ﷺ فأتت رسول الله ﷺ فوجدت عنده ماشطة تمشط رأسه فقال: «يا خويلة» ما أمرنا في أمرك بشيء، فأنزل الله على رسوله فقال: «يا خويلة أبشري» قالت: خيراً، فقرأ عليها ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ﴾ [المجادلة: ١] إلى قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا﴾ قالت: وأي رقبة لنا والله ما يجد رقبة غيري قال: ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ﴾ قالت: والله لولا أنه يشرب في اليوم ثلاث مرات لذهب بصره قال: ﴿فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا﴾ قالت: من أين؟ ما هي إلا أكلة إلي مثلها، قال: فدعا بشطر وشق ثلاثين صاعاً والوسق ستون صاعاً فقال: ليطعم ستين مسكيناً وليراجعك(٣). وهذا إسناد قوي وسياق غريب، وقد روي عن أبي العالية نحو هذا.

---

(١) سنن أبي داود، الطلاق، باب في الظهار (ح٢٢١٣) وسنن ابن ماجه، الطلاق، باب في الظهار (ح٢٠٦٢) وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح١٩٣٣)، وسنن الترمذي، التفسير باب ومن سورة المجادلة (ح٣٢٩٥).

(٢) أخرجه الطبري من طريق عبد العزيز بن عبد الرحمٰن الأُموي عن خصيف به، وفي سنده عبد العزيز الأموي وهو متهم (ينظر الجرح والتعديل ٥/ ٣٨٨) لكنه يتقوىٰ بما سبق من الشواهد.

(٣) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده ضعيف لضعف أبي حمزة وهو ثابت بن أبي صفية وهو رافضي أيضاً. (التقريب ص١٣٢). وأخرجه البزار كما في كشف الأستار (ح١٥١٣) وقال البزار: وأبو حمزة لين الحديث، وقد خالف في روايته ومتن حديثه الثقات في أمر الظهار.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا محمد بن عبد الرحمٰن [الهروي][(١)]، حدثنا علي بن العاصم، عن داود بن أبي هند، عن أبي العالية قال: كانت خولة بنت دليج تحت رجل من الأنصار، وكان ضرير البصر فقيراً سيء الخلق، وكان طلاق أهل الجاهلية إذا أراد رجل أن يطلق امرأته قال: أنت عليَّ كظهر أُمي، وكان لها منه عَيّل أو عَيّلان فنازعته يوماً في شيء فقال: أنت علي كظهر أمي، فاحتملت عليها ثيابها حتى دخلت على النبي ﷺ وهو في بيت عائشة، وعائشة تغسل شقَّ رأسه فقدمت عليه ومعها عَيّلها، فقالت: يا رسول الله إن زوجي ضرير البصر فقير لا شيء له سيء الخلق، وإني نازعته في شيء، فغضب فقال: أنت عليَّ كظهر أمي ولم يرد به الطلاق، ولي منه عَيّل أو عَيّلان فقال: «ما أعلمك إلا قد حرمت عليه».

فقالت: أشكو إلى الله ما نزل بي أنا وصبيتي، قالت: ودارت عائشة فغسلت شق رأسه الآخر، فدارت معها فقالت: يا رسول الله زوجي ضرير البصر فقير سيء الخلق وإن لي منه عيل أو عيلان وإني نازعته في شيء فغضب وقال: أنت عليَّ كظهر أمي ولم يرد به الطلاق، قالت: فرفع إلي رأسه وقال: «ما أعلمك إلا قد حرمت عليه» فقالت: أشكو إلى الله ما نزل بي أنا وصبيتي قال: ورأت عائشة وجه النبي ﷺ تغير، فقالت لها: وراءك فتنحت، فمكث رسول الله ﷺ في غشيانه ذلك ما شاء الله، فلما انقطع الوحي قال: يا عائشة أين المرأة فدعتها، فقال لها رسول الله ﷺ: «اذهبي فأتني بزوجك» فانطلقت تسعى، فجاءت به فإذا هو كما قالت ضرير البصر فقير سيء الخلق.

فقال النبي ﷺ: «أستعيذ بالله السميع العليم ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ﴿قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوۡجِهَا﴾ [المجادلة: ١] إلى قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمۡ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ﴾ قال النبي ﷺ: «أتجد رقبة تعتقها من قبل أن تمسها» قال: لا، قال: «أفلا تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين؟» قال: والذي بعثك بالحق إني إذا لم آكل المرتين والثلاث يكاد يعشو بصري. قال: «أفتستطيع أن تطعم ستين مسكيناً؟» قال: لا، إلا أن تعينني. قال: فأعانه رسول الله ﷺ فقال: «أطعم ستين مسكيناً» قال: وحول الله الطلاق فجعله ظهاراً[(٢)]، ورواه ابن جرير، عن ابن المثنى، عن عبد الأعلى، عن داود سمعت أبا العالية فذكر نحوه بأخصر من هذا السياق[(٣)]، وقال سعيد بن جبير: كان الإيلاء والظهار من طلاق الجاهلية، فوقت الله الإيلاء أربعة أشهر وجعل في الظهار الكفارة، رواه ابن أبي حاتم بنحوه، وقد استدل الإمام مالك على أن الكافر لا يدخل في هذه الآية بقوله منكم فالخطاب للمؤمنين، وأجاب الجمهور بأن هذا خرج مخرج الغالب فلا مفهوم له، واستدل الجمهور عليه بقوله: ﴿مِن﴾ على أن الأمة لا ظهار منها ولا تدخل في هذا الخطاب.

وقوله تعالى: ﴿مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمۡۖ إِنۡ أُمَّهَٰتُهُمۡ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔي وَلَدۡنَهُمۡۚ﴾ أي: لا تصير المرأة بقول الرجل أنتِ عليَّ كأمي أو مثل أمي أو كظهر أُمي وما أشبه ذلك، لا تصير أُمه بذلك إنما أُمه التي

---

(١) زيادة من (ح) و(حم).
(٢) سنده مرسل ويشهد له ما سبق من الصحيح.
(٣) أخرجه الطبري عن ابن المثنىٰ به، وحكمه كسابقه.

ولدته، ولهذا قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًاۚ﴾ أي: كلاماً فاحشاً باطلاً ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾ أي: عما كان منكم في حال الجاهلية، وهكذا أيضاً عما خرج من سبق اللسان، ولم يقصد إليه المتكلم، كما رواه أبو داود أن رسول الله ﷺ سمع رجلاً يقول لامرأته يا أختي، فقال: «أختك هي؟» فهذا إنكار، ولكن لم يحرمها عليه بمجرد ذلك لأنه لم يقصده، ولو قصده لحرمت عليه لأنه لا فرق على الصحيح بين الأم وبين غيرها من سائر المحارم من أخت وعمة وخالة وما أشبه ذلك.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ﴾ اختلف السلف والأئمة في المراد بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ﴾ فقال بعض الناس: العود هو أن يعود إلى لفظ الظهار فيكرره، وهذا القول باطل وهو اختيار ابن حزم وقول داود، وحكاه أبو عمر بن عبد البر، عن [بكير][1] بن الأشج والفراء وفرقة من أهل الكلام.

وقال الشافعي: هو أن يمسكها بعد المظاهرة زماناً يمكنه أن يطلق فيه فلا يطلق.

وقال أحمد بن حنبل: هو أن يعود إلى الجماع أو يعزم عليه فلا تحل له حتى يكفر بهذه الكفارة.

وقد حُكي عن مالك أنه العزم على الجماع والإمساك، وعنه أنه الجماع.

وقال أبو حنيفة: هو أن يعود إلى الظهار بعد تحريمه ورفع ما كان عليه أمر الجاهلية، فمتى ظاهر الرجل من امرأته فقد حرمها تحريماً لا يرفعه إلا الكفارة، وإليه ذهب أصحابه والليث بن سعد.

وقال ابن لهيعة: حدثني عطاء، عن سعيد بن جبير ﴿ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ﴾ يعني يريدون أن يعودوا في الجماع الذي حرموه على أنفسهم[2].

وقال الحسن البصري: يعني الغشيان في الفرج، وكان لا يرى بأساً أن يغشى فيما دون الفرج قبل أن يُكفِّر[3].

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّاۚ﴾ والمس: النكاح[4]، وكذا قال عطاء والزهري وقتادة ومقاتل بن حيان.

وقال الزهري: ليس له أن يقبلها ولا يمسها حتى يُكفِّر.

وقد روى أهل السنن من حديث عكرمة، عن ابن عباس أن رجلاً قال: يا رسول الله، إني ظاهرت من امرأتي فوقعت عليها قبل أن أكفر. فقال: «ما حملك على ذلك يرحمك الله» قال: رأيت خلخالها في ضوء القمر. قال: «فلا تقربها حتى تفعل ما أمرك الله ﷻ[5]»، وقال

---

(١) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل صحف إلى: «بكر».
(٢) سنده حسن لأن ابن لهيعة يرويه من نسخة عطاء بن دينار لتفسير سعيد بن جبير.
(٣) أخرجه الطبري من طريق أشعث عن الحسن، وأخرجه عبد الرزاق من طريق هشام عن الحسن بنحوه، وهذان الطريقان يقوي أحدهما الآخر.
(٤) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق علي به مطولاً.
(٥) سنن أبي داود، الطلاق، باب في الظهار (ح٢٢٢٣)، وسنن الترمذي، الطلاق، باب في المظاهر =

الترمذي: حسن غريب صحيح، ورواه أبو داود والنسائي من حديث عكرمة مرسلاً، قال النسائي: وهو أولى بالصواب.

وقوله تعالى: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ أي: فإعتاق رقبة كاملة من قبل أن يتماسا، فههنا الرقبة مطلقة غير مقيدة بالإيمان وفي كفارة القتل مقيدة بالإيمان، فحمل الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ ما أطلق ههنا على ما قيد هناك لاتحاد الموجب وهو عتق الرقبة، واعتضد في ذلك بما رواه عن مالك بسنده عن معاوية بن الحكم السلمي في قصة الجارية السوداء، وأن رسول الله ﷺ قال: «أعتقها فإنها مؤمنة» وقد رواه أحمد في مسنده في صحيحه[١].

وقال الحافظ أبو بكر البزار: حدثنا يوسف بن موسى، حدثنا عبد الله بن نمير، عن إسماعيل بن يسار، عن عمرو بن دينار، عن طاوس، عن ابن عباس: قال: أتى رسول الله ﷺ رجل فقال إني ظاهرت من امرأتي ثم وقعت عليها قبل أن أكفر، فقال رسول الله ﷺ: «ألم يقل الله تعالى: ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا﴾» قال: أعجبتني، قال: «أمسك حتى تكفر»[٢]. ثم قال البزار: لا يروى عن ابن عباس بأحسن من هذا، وإسماعيل بن مسلم تكلم فيه وروى عنه جماعة كثيرة من أهل العلم، وفيه من الفقه أنه لم يأمره إلا بكفارة واحدة.

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦ﴾ أي: تزجرون به ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ أي: خبير بما يصلحكم عليم بأحوالكم.

وقوله تعالى: ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا﴾ قد تقدمت الأحاديث الآمرة بهذا على الترتيب كما ثبت في الصحيحين في قصة الذي جامع امرأته في رمضان[٣].

﴿ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ أي: شرعنا هذا لهذا. وقوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ﴾ أي: محارمه فلا تنتهكوها.

وقوله تعالى: ﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي: الذين لم يؤمنوا ولا التزموا بأحكام هذه الشريعة، لا تعتقدوا أنهم ناجون من البلاء كلا ليس الأمر كما زعموا بل لهم عذاب أليم؛ أي: في الدنيا والآخرة.

= (ح١١٩٩) وسنن النسائي، الطلاق، باب الظهار ٦/١٦٧، وسنن ابن ماجه، الطلاق، باب المجامع يظاهر قبل أن يكفِّر (ح٢٠٦٥)، وحسنه الحافظ ابن حجر (فتح الباري ٩/٤٣٣) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح١٩٤٣).

(١) الموطأ، العتق والولاء، باب ما يجوز من العتق في الرقاب الواجبة (٢/ ٥٩٥ ح٨) والمسند ٥/٤٤٧، وصحيح مسلم، المساجد، باب تحريم الكلام في الصلاة ونسخ ما كان من إباحته (ح٥٣٧).

(٢) أخرجه الحاكم من طريق إسماعيل بن مسلم به، وقال الحاكم: لم يحتج الشيخان بإسماعيل. وقال الذهبي: إسماعيل: واهٍ. (المستدرك ٢/ ٢٠٤).

(٣) أخرجه الشيخان من حديث أبي هريرة رضي الله عنه (صحيح البخاري، الصوم، باب إذا جامع في رمضان ولم يكن له شيء وتصدق عليه فليكفِّر ح١٩٣٦) وصحيح مسلم، الصيام، باب تغليظ تحريم الجماع في نهار رمضان على الصائم (ح١١١١).

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُوا۟ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ وَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾﴾.

يخبر تعالى عمَّن شاقوا الله ورسوله وعاندوا شرعه ﴿كُبِتُوا۟ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ أي: أهينوا ولُعنوا وأُخزوا كما فعل بمن أشبههم ممن قبلهم ﴿وَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾ أي: واضحات لا يعاندها ولا يخالفها إلا كافر فاجر مكابر ﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ أي: في مقابلة ما استكبروا عن اتباع شرع الله والانقياد له والخضوع لديه.

ثم قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا﴾ وذلك يوم القيامة يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد ﴿فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟﴾ أي: فيخبرهم بالذي صنعوا من خير وشر. ﴿أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ﴾ أي: ضبطه الله وحفظه عليهم وهم قد نسوا ما كانوا عملوا ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ أي: لا يغيب عنه شيء ولا يخفى ولا ينسى شيئاً، ثم قال تعالى مخبراً عن إحاطة علمه بخلقه واطلاعه عليهم وسماعه كلامهم، ورؤيته مكانهم حيث كانوا وأين كانوا فقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ﴾ أي: من سرٍّ ثلاثة ﴿إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟﴾ أي: مطلع عليهم يسمع كلامهم وسرَّهم ونجواهم ورسله أيضاً مع ذلك تكتب ما يتناجون به مع علم الله به وسمعه له، كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾﴾ [التوبة] وقال: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [الزخرف] ولهذا حكى غير واحد الإجماع على أن المراد بهذه الآية معية علمه تعالى ولا شك في إرادة ذلك، ولكن سمعه أيضاً مع علمه بهم محيط بهم وبصره نافذ فيهم فهو ﷻ مطلع على خلقه لا يغيب عنه من أمورهم شيء، ثم قال تعالى: ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾.

وقال الإمام أحمد: افتتح الآية بالعلم واختتمها بالعلم.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُوا۟ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَيَتَنَٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ ۚ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا ۖ فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَنَٰجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾﴾.

قال ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُوا۟ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ﴾ قال اليهود[1]، وكذا قال مقاتل بن حيان وزاد: كان بين النبي ﷺ وبين اليهود موادعة، وكانوا إذا مرَّ

(١) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح به.

بهم الرجل من أصحاب النبي ﷺ جلسوا يتناجون بينهم حتى يظن المؤمن أنهم يتناجون بقتله أو بما يكره المؤمن، فإذا رأى المؤمن ذلك خشيهم فترك طريقه عليهم، فنهاهم النبي ﷺ عن النجوى فلم ينتهوا وعادوا إلى النجوىٰ، فأنزل الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُوا۟ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ﴾[١]. وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا إبراهيم بن المنذر الخزامي، حدثني سفيان بن حمزة، عن كثير بن زيد، عن رُبيح بن عبد الرحمٰن بن أبي سعيد الخدري، عن أبيه، عن جده قال: كنا نتناوب رسول الله ﷺ نبيت عنده يطرقه من الليل أمر وتبدو له حاجة فلما كانت ذات ليلة كثر أهل النوب والمحتسبون حتى كنا أندية نتحدث، فخرج علينا رسول الله ﷺ فقال: «ما هذه النجوى؟ ألم تنهوا عن النجوى؟» قلنا: تبنا إلى الله يا رسول الله، إنا كنا في ذكر المسيح فرقاً منه. فقال: «ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي منه؟» قلنا: بلى يا رسول الله! قال: «الشرك الخفي أن يقوم الرجل يعمل لمكان رجل»[٢]. هذا إسناد غريب وفيه بعض الضعفاء.

وقوله تعالى: ﴿وَيَتَنَٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ﴾ أي: يتحدثون فيما بينهم ﴿بِٱلْإِثْمِ﴾ وهو ما يختص بهم ﴿وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ وهو ما يتعلق بغيرهم، ومنه معصية الرسول ومخالفته يصرون عليها ويتواصون بها وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ﴾.

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا ابن نمير، عن الأعمش، عن مسروق، عن عائشة قالت: دخل على رسول الله ﷺ يهود فقالوا السام عليك يا أبا القاسم فقالت عائشة: وعليكم السام قالت: فقال رسول الله ﷺ: «يا عائشة إن الله لا يحب الفحش ولا التفحش» قلت: ألا تسمعهم يقولون السام عليك؟ فقال رسول الله ﷺ: «أو ما سمعت أقول وعليكم» فأنزل الله تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ﴾[٣]. وفي رواية في الصحيح أنها قالت لهم: عليكم السام والذام واللعنة[٤]، وأن رسول الله ﷺ قال: «إنه يُستجاب لنا فيهم، ولا يُستجاب لهم فينا».

وقال ابن جرير: حدثنا بشر، حدثنا يزيد، حدثنا سعيد، عن قتادة، عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ بينما هو جالس مع أصحابه إذ أتى عليهم يهودي، فسلم عليهم فرَدُّوا عليه فقال نبي الله ﷺ: «هل تدرون ما قال؟» قالوا: سلَّم يا رسول الله. قال: «بل قال: سام عليكم» أي: تسامون دينكم. قال رسول الله ﷺ: «ردُّوه» فردُّوه عليه فقال نبي الله «أقلت: سام عليكم؟» قال: نعم، فقال رسول الله ﷺ: «إذا سلَّم عليكم أحد من أهل الكتاب فقولوا: عليك»[٥]. أي: عليك

---

(١) عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم وهو معضل.

(٢) أخرجه الإمام أحمد من طريق كثير بن زيد به (المسند ١٧/ ٣٥٤، ٣٥٥ ح١١٢٥٢) وضعف سنده محققوه لضعف كثير بن زيد ورُبيح بن عبد الرحمٰن.

(٣) سنده صحيح وأخرجه مسلم من طريق مسلم أبي الضحىٰ عن مسروق عن عائشة بنحوه (الصحيح، السلام، باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام ح٢١٦٥).

(٤) أخرجه الشيخان بدون لفظ: والذام. (صحيح البخاري، الدعوات، باب الدعاء على المشركين ح٦٣٩٥، وصحيح مسلم، السلام، باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام (ح٢١٦٤).

(٥) سنده صحيح.

ما قلت، وأصل حديث أنس مخرج في الصحيح[1]. وهذا الحديث في الصحيح عن عائشة بنحوه[2].

وقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ﴾ أي: يفعلون هذا ويقولون ما يحرفون من الكلام وإيهام السلام، وإنما هو شتم في الباطن، ومع هذا يقولون في أنفسهم لو كان هذا نبياً لعذبنا الله بما نقول له في الباطن لأن الله يعلم ما نسرُّه، فلو كان هذا نبياً حقاً لأوشك أن يعاجلنا الله بالعقوبة في الدنيا[3]، فقال الله تعالى: ﴿حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ﴾ أي: جهنم كفايتهم في الدار الآخرة ﴿يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾.

وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الصمد، حدثنا حماد، عن عطاء بن السائب، عن أبيه، عن عبد الله بن عمر، أن اليهود كانوا يقولون لرسول الله ﷺ: سامٌ عليكم، ثم يقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول؟ فنزلت هذه الآية: ﴿وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾. إسناد حسن ولم يخرجوه.

وقال العوفي، عن ابن عباس ﴿وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ﴾ قال: كان المنافقون يقولون لرسول الله ﷺ إذا حيوه: سامٌ عليك.

قال الله تعالى: ﴿حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾[4].

ثم قال الله تعالى مؤدباً عباده المؤمنين أن لا يكونوا مثل الكفرة والمنافقين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَنَٰجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَٰجَوْاْ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ﴾ أي: كما يتناجى به الجهلة من كفرة أهل الكتاب ومن مالأهم على ضلالهم من المنافقين ﴿وَتَنَٰجَوْاْ بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ أي: فيخبركم بجميع أعمالكم وأقوالكم التي قد أحصاها عليكم وسيجزيكم بها.

قال الإمام أحمد: حدثنا بهز وعفان قالا: أخبرنا همام، عن قتادة، عن صفوان بن محرز قال: كنت آخِذاً بيد ابن عمر إذ عرض له رجل فقال: كيف سمعت رسول الله ﷺ يقول في النجوى يوم القيامة؟ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله يدني المؤمن فيضع عليه كنفه ويستره من الناس ويقرره بذنوبه ويقول له: أتعرف ذنب كذا؟ أتعرف ذنب كذا؟ أتعرف ذنب كذا؟ حتى إذا قرره بذنوبه ورأى في نفسه أنه قد هلك قال: فإني قد سترتها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم ثم يعطى كتاب حسناته، وأما الكفار والمنافقون فيقول الأشهاد: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود: ١٨]»[5]. أخرجاه في الصحيحين من حديث قتادة[6].

---

(١) صحيح البخاري، استتابة المرتدين، باب إذا عرَّض الذمي... (ح٦٩٢٦).

(٢) تقدم تخريجه عن عائشة في الروايات قبل السابقة.

(٣) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٢/ ١٧٠)، وحسن سنده الحافظ ابن كثير. وقال الهيثمي إسناده جيد (مجمع الزوائد ٧/ ١٥٧).

(٤) أخرجه الطبري بسنده ضعيف من طريق العوفي به، ويتقوىٰ بسابقه.

(٥) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٢/ ٧٤) وسنده صحيح.

(٦) صحيح البخاري، التفسير، باب ﴿وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ ...﴾ [هود: ١٨] (ح٤٦٨٥)، وصحيح مسلم، التوبة، باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله (ح٢٧٦٨).

ثم قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾﴾ أي: إنما النجوى وهي: المُسارّة حيث يتوهم مؤمن بها سوءاً ﴿مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ يعني: إنما يصدر هذا من المتناجين عن تسويل الشيطان وتزيينه ﴿لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ أي: ليسوءهم وليس ذلك بضارهم شيئاً إلا بإذن الله، ومن أحسَّ من ذلك شيئاً فليستعذ بالله وليتوكل على الله، فإنه لا يضره شيء بإذن الله.

وقد وردت السنة بالنهي عن التناجي حيث يكون في ذلك تأذ على مؤمن، كما قال الإمام أحمد: حدثنا وكيع وأبو معاوية قالا: حدثنا الأعمش، عن أبي وائل، عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون صاحبهما فإن ذلك يحزنه»[(١)]. أخرجاه من حديث الأعمش[(٢)]. وقال عبد الرزاق: حدثنا معمر، عن أيوب، عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجىٰ اثنان دون الثالث إلا بإذنه فإن ذلك يحزنه»[(٣)]. انفرد بإخراجه مسلم، عن أبي الربيع وأبي كامل، كلاهما عن حماد بن زيد، عن أيوب به[(٤)].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا۟ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُوا۟ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُوا۟ فَٱنشُزُوا۟ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾.

يقول تعالى مؤدباً عباده المؤمنين وآمراً لهم أن يحسن بعضهم إلى بعض في المجالس: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا۟ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ﴾ وقُرئ (في المجلس)[(٥)].

﴿فَٱفْسَحُوا۟ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ وذلك أن الجزاء من جنس العمل كما جاء في الحديث الصحيح: «من بنى لله مسجداً بنى الله له بيتاً في الجنة»[(٦)] وفي الحديث الآخر: «ومن يسَّر على مُعسِّر يسَّر الله عليه في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه»[(٧)] ولهذا أشباه كثيرة، ولهذا قال تعالى: ﴿فَٱفْسَحُوا۟ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ قال قتادة: نزلت هذه الآية في مجالس الذكر، وذلك أنهم كانوا إذا رأوا أحدهم مقبلاً ضنُّوا بمجالسهم عند رسول الله ﷺ، فأمرهم الله تعالى أن يفسح بعضهم لبعض[(٨)].

وقال مقاتل بن حيان: أُنزلت هذه الآية يوم الجمعة، وكان رسول الله ﷺ يومئذ في الصُّفة

---

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ١/ ٤٣١) وسنده صحيح.

(٢) صحيح البخاري، الاستئذان، باب إذا كانوا أكثر من ثلاثة فلا بأس بالمسارَّة والمناجاة (ح٦٢٩٠) وصحيح مسلم، السلام، باب تحريم مناجاة الإثنين دون الثالث بغير رضاه (ح٢١٨٤).

(٣) أخرجه عبد الرزاق بسنده ومتنه (المصنف ١١/ ٢٦ رقم ١٩٨٠٦) وسنده صحيح.

(٤) صحيح مسلم، الباب السابق (ح٢١٨٣).

(٥) وهي قراءة متواترة.

(٦) أخرجه البخاري ومسلم من حديث عثمان ﷺ (صحيح البخاري، الصلاة، باب من بنىٰ لله مسجداً ح٤٥٠، وصحيح مسلم، المساجد، باب فضل بناء المساجد والحث عليها ح٥٣٣).

(٧) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ (الصحيح، الذكر، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن ح٢١٩٩).

(٨) أخرجه الطبري من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة وسنده مرسل.

وفي المكان ضيق، وكان يكرم أهل بدر من المهاجرين والأنصار، فجاء ناس من أهل بدر وقد سبقوه إلى المجالس، فقاموا حيال رسول الله ﷺ فقالوا: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، فردَّ النبي ﷺ عليهم، ثم سلَّموا على القوم بعد ذلك فردُّوا عليهم، فقاموا على أرجلهم ينتظرون أن يوسع لهم، فعرف النبي ﷺ ما يحملهم على القيام فلم يفسح لهم، فشقَّ ذلك على النبي ﷺ فقال: لمن حوله من المهاجرين والأنصار من غير أهل بدر: «قُم يا فلان وأنت يا فلان» فلم يزل يقيمهم بعدة النفر الذين هُم قيام بين يديه من المهاجرين والأنصار أهل بدر، فشقَّ ذلك على من أقيم من مجلسه وعرف النبي ﷺ الكراهة في وجوههم، فقال المنافقون: ألستم تزعمون أن صاحبكم هذا يعدل بين الناس؟ والله ما رأيناه قد عدل على هؤلاء، إن قوماً أخذوا مجالسهم وأحبوا القرب من نبيهم، فأقامهم وأجلس من أبطأ عنه، فبلغنا أن رسول الله ﷺ قال: «رحم الله رجلاً يفسح لأخيه» فجعلوا يقومون بعد ذلك سراعاً فيفسح القوم لإخوانهم، ونزلت هذه الآية يوم الجمعة[١]. رواه ابن أبي حاتم.

وقد قال الإمام أحمد والشافعي: حدثنا سفيان، عن أيوب، عن نافع، عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه فيجلس فيه، ولكن تفسَّحوا وتوسَّعوا». وأخرجاه في الصحيحين من حديث نافع به[٢].

وقال الشافعي: أخبرنا عبد المجيد، عن ابن جريج قال: قال سليمان بن موسى، عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال: «لا يقيمن أحدكم أخاه يوم الجمعة ولكن ليقل: افسحوا»[٣]. على شرط السنن ولم يخرجوه.

وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الملك بن عمرو، حدثنا فليح، عن أيوب، عن عبد الرحمٰن بن أبي صعصعة، عن يعقوب بن أبي يعقوب، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه ثم يجلس فيه ولكن افسحوا يفسح الله لكم»[٤]. ورواه أيضاً عن [سُريج][٥] بن يونس ويونس بن محمد المؤدب، عن فليح به ولفظه: «لا يقوم الرجل للرجل من مجلسه، ولكن افسحوا يفسح الله لكم»[٦]. تفرد به أحمد.

وقد اختلف الفقهاء في جواز القيام للوارد إذا جاء على أقوال: فمنهم من رخص في ذلك

---

(١) عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم، وسنده ضعيف لأنه معضل.

(٢) صحيح البخاري، الاستئذان، باب ﴿إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا۟ فِى ٱلْمَجَـٰلِسِ فَٱفْسَحُوا۟ ...﴾ [المجادلة: ١١] (ح٦٢٧٠) وصحيح مسلم، السلام، باب تحريم إقامة الإنسان من موضعه المباح الذي سبق إليه (ح٢١٧٧).

(٣) أخرجه الإمام الشافعي (المسند رقم ٦٦٥) وفي سنده سليمان بن موسىٰ صدوق في حديثه بعض لين، وخولط قبل موته. (التقريب ص٢٥٥) وخالف ما في الصحيحين بتقييده بيوم الجمعة.

(٤) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ١٦/ ٤٥٣ ح١٠٧٧٦) وقال محققوه: صحيح لغيره، وهذا إسناد حسن.

(٥) سُريج: كذا في المسند وفي النسخ الخطية صحف إلى: «شريح».

(٦) أخرجه الإمام أحمد عن سُريج عن فليح به (المسند ١٦/ ١٨٦ ح١٠٢٦٦) وقال محققوه: صحيح لغيره، وهذا إسناد حسن، وأخرجه أيضاً عن يونس عن فليح به (المسند ١٤/ ١٧٢ ح٨٤٦٢) وقال محققوه: إسناده حسن.

محتجاً بحديث: «قوموا إلى سيدكم»[١]، ومنهم من منع من ذلك محتجاً بحديث: «من أحب أن يتمثل له الرجال قياماً فليتبوأ مقعده من النار»[٢]، ومنهم من فصل فقال: يجوز عند القدوم من سفر وللحاكم في محل ولايته، كما دلَّ عليه قصة سعد بن معاذ، فإنه لما استقدمه النبي حاكماً في بني قريظة فرآه مقبلاً قال للمسلمين: «قوموا إلى سيدكم» وما ذاك إلا ليكون أنفذ لحكمه والله أعلم. فأما اتخاذه ديدناً فإنه من شعار العجم، وقد جاء في السنن أنه لم يكن شخص أحب إليهم من رسول الله ﷺ، وكان إذا جاء لا يقومون له لما يعلمون من كراهته لذلك[٣].

وفي الحديث المروي في السنن أن رسول الله ﷺ كان يجلس حيث انتهى به المجلس، ولكن حيث يجلس يكون صدر ذلك المجلس، فكان الصحابة ﷺ يجلسون منه على مراتبهم، فالصديق يجلسه عن يمينه وعمر عن يساره، وبين يديه غالباً عثمان وعلي لأنهما كانا ممن يكتب الوحي، وكان يأمرهما بذلك كما رواه مسلم من حديث الأعمش، عن عمارة بن عُمير، عن أبي معمر، عن أبي مسعود أن رسول الله ﷺ كان يقول: «ليليني منكم أولو الأحلام والنهى ثم الذين يلونهم، ثم الذي يلونهم»[٤]. وما ذاك إلا ليعقلوا عنه ما يقوله صلوات الله وسلامه عليه، ولهذا أمر أولئك النفر بالقيام ليجلس الذين وردوا من أهل بدر، إما لتقصير أولئك في حق البدريين أو ليأخذ البدريون من العلم نصيبهم، كما أخذ أولئك قبلهم أو تعليماً بتقديم الأفاضل إلى الأمام.

وقال الإمام أحمد: حدثنا وكيع، عن الأعمش، عن عمارة بن عمير التيمي، عن أبي معمر، عن أبي مسعود قال: كان رسول الله ﷺ يمسح مناكبنا في الصلاة ويقول: «استووا ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم، ليليني منكم أولو الأحلام والنهى ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم» قال أبو مسعود: فأنتم اليوم أشد اختلافاً[٥]، وكذا رواه مسلم وأهل السنن إلا الترمذي من طرق عن الأعمش به[٦]، وإذا كان هذا أمره لهم في الصلاة أن يليه العقلاء منهم والعلماء فبطريق الأولى أن يكون ذلك في غير الصلاة.

وروى أبو داود من حديث معاوية بن صالح، عن أبي الزاهرية، عن كثير بن مرة، عن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «أقيموا الصفوف وحاذوا بين المناكب وسدوا الخلل ولينوا بأيدي إخوانكم ولا تذروا فرجات للشياطين ومن وصل صفاً وصله الله، ومن قطع صفاً قطعه الله»[٧]. ولهذا كان أُبي بن كعب سيد القراء إذا انتهى إلى الصف الأول انتزع منه رجلاً

---

(١) أخرجه الشيخان من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ. (صحيح البخاري، الجهاد، باب إذا نزل العدو على حكم رجل ح٣٠٤٣، وصحيح مسلم، الجهاد، باب جواز قتال من نقض العهد ح١٧٦٨).

(٢) أخرجه أبو داود من حديث معاوية ﷺ (السنن، الأدب، باب في قيام الرجل للرجل ح٥٢٢٩)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح٤٣٥٧).

(٣) أخرجه الترمذي من حديث أنس ﷺ (السنن، الاستئذان، باب ما جاء في كراهية قيام الرجل للرجل ح٢٧٥٦) وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (ح٢٢١١).

(٤) أخرجه مسلم من حديث ابن مسعود ﷺ (الصحيح، الصلاة، باب تسوية الصفوف وإقامتها. ح٤٣٢/١٢٣).

(٥) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه. (المسند ٤/ ١٢٢) وسنده صحيح.

(٦) صحيح مسلم، الصلاة، باب تسوية الصفوف (ح٤٣٢).

(٧) سنن أبي داود، الصلاة، باب تسوية الصفوف (ح٦٦٦) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح٦٢٠).

يكون من أفناد الناس[١]، ويدخل هو في الصف المتقدم ويحتج بهذا الحديث: «ليليني منكم أولو الأحلام والنهى»[٢] وأما عبد الله بن عمر فكان لا يجلس في المكان الذي يقوم له صاحبه عنه عملاً بمقتضى ما تقدم من روايته الحديث الذي أوردناه، ولنقتصر على هذا المقدار من الأنموذج المتعلق بهذه الآية، وإلا فبسطه يحتاج إلى غير هذا الموضع.

وفي الحديث الصحيح: بينا رسول الله ﷺ جالس إذ أقبل ثلاثة نفر، فأما أحدهم فوجد فرجة في الحلقة فدخل فيها، وأما الآخر فجلس وراء الناس، وأدبر الثالث ذاهباً فقال رسول الله ﷺ: «ألا أنبئكم بخبر الثلاثة، أما الأول فآوى إلى الله فآواه الله، وأما الثاني فاستحيا فاستحيا الله منه، وأما الثالث فأعرض فأعرض الله عنه»[٣].

وقال الإمام أحمد: حدثنا عتاب بن زياد، أخبرنا عبد الله، أخبرنا أُسامة بن زيد، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال: «لا يحلُّ لرجل أن يفرق بين اثنين إلا بإذنهما»[٤]. ورواه أبو داود والترمذي من حديث أُسامة بن زيد الليثي به، وحسنه الترمذي[٥].

وقد روي عن ابن عباس والحسن البصري وغيرهما أنهم قالوا في قوله تعالى: ﴿إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُواْ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ يعني: في مجالس الحرب[٦]. قالوا: ومعنى قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ﴾ أي: انهضوا للقتال.

وقال قتادة: ﴿وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ﴾ أي: إذا دعيتم إلى خير فأجيبوا[٧].

وقال مقاتل: إذا دعيتم إلى الصلاة فارتفعوا إليها.

وقال عبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم: كانوا إذا كانوا عند النبي ﷺ في بيته فأرادوا الانصراف، أحبَّ كل منهم أن يكون هو آخرهم خروجاً من عنده، فربما يشقُّ ذلك عليه، ﷺ وقد تكون له الحاجة فأُمروا أنهم إذا أُمروا بالانصراف أن ينصرفوا[٨] كقوله تعالى: ﴿وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُواْ فَٱرْجِعُواْ﴾ [النور: ٢٨].

وقوله تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ أي: لا

---

(١) إفناد الناس: أي فرقاً من الناس فرادىٰ بلا إمام. (النهاية ٣/ ٤٧٥).

(٢) تقدم تخريجه قبل روايتين.

(٣) أخرجه الشيخان من حديث أبي واقد الليثي ﷺ. (صحيح البخاري، العلم، باب من قعد حيث ينتهي به المجلس ح٦٦، وصحيح مسلم، السلام، باب من أتىٰ مجلساً فوجد فرجة فجلس فيها ح٢١٧٦).

(٤) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ١١/ ٥٧٦، ٥٧٧ ح٦٩٩٩) وحسن سنده محققوه.

(٥) سنن أبي داود، الأدب، باب في تنزيل الناس منازلهم (ح٤٨٤٥)، وسنن الترمذي، الأدب، باب ما جاء في كراهية الجلوس بين رجلين بغير إذنهما (ح٥٧٥٣) وقال الألباني: حسن صحيح (صحيح سنن أبي داود ح٤٠٥٤).

(٦) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي عن ابن عباس، وأخرجه أيضاً الطبري بسند صحيح من طريق قتادة عن الحسن.

(٧) أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح من طريق معمر عن قتادة.

(٨) أخرجه الطبري بسند رجاله ثقات من طريق ابن وهب عن ابن زيد بنحوه، وسنده ضعيف لأنه معضل.

تعتقدوا أنه إذا أفسح أحد منكم لأخيه إذا أقبل أو إذا أمر بالخروج فخرج، أن يكون ذلك نقصاً في حقه بل هو رفعة ورتبة عند الله، والله تعالى لا يضيع ذلك له، بل يجزيه بها في الدنيا والآخرة، فإن من تواضع لأمر الله رفع الله قدره ونشر ذكره، ولهذا قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ أي: خبير بمن يستحق ذلك وبمن لا يستحقه.

وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو كامل، حدثنا إبراهيم، حدثنا ابن شهاب، عن أبي الطفيل عامر بن واثلة، أن نافع بن عبد الحارث لقي عمر بن الخطاب بعسفان، وكان عمر استعمله على مكة، فقال له عمر: من استخلفت على أهل الوادي؟ قال: استخلفت عليهم ابن أبزى رجل من موالينا، فقال عمر: استخلفت عليهم مولى؟ فقال: يا أمير المؤمنين إنه قارئ لكتاب الله عالم بالفرائض قاضٍ، فقال عمر رضي الله عنه: أما إن نبيكم ﷺ قد قال: «إن الله يرفع بهذا الكتاب قوماً ويضع به آخرين»[١]. وهكذا رواه مسلم من غير وجه عن الزهري به[٢]، وروي من غير وجه عن عمر بنحوه، وقد ذكرت فضل العلم وأهله وما ورد في ذلك من الأحاديث مستقصاة في شرح كتاب العلم من صحيح البخاري، ولله الحمد والمنة.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا الزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾﴾.

يقول تعالى آمراً عباده المؤمنين إذا أراد أحدهم أن يناجي رسول الله ﷺ؛ أي: يسارّه فيما بينه وبينه، أن يقدم بين يدي ذلك صدقة تطهره وتزكيه وتؤهله لأن يصلح لهذا المقام، ولهذا قال تعالى: ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ﴾ ثم قال تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ تَجِدُوا﴾ أي: إلا من عجز عن ذلك لفقره ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ فما أمر بها إلا من قدر عليها. ثم قال تعالى: ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ﴾ أي: أخفتم من استمرار هذا الحكم عليكم من وجوب الصدقة قبل مناجاة الرسول ﴿فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا الزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ فنسخ وجوب ذلك عنهم، وقد قيل: إنه لم يعمل بهذه الآية قبل نسخها سوى علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

قال ابن أبي نجيح، عن مجاهد قال: نُهوا عن مناجاة النبي ﷺ حتى يتصدقوا فلم يناجه إلا علي بن أبي طالب قدم ديناراً صدقة تصدق به، ثم ناجى النبي ﷺ، فسأله عن عشر خصال ثم أُنزلت الرخصة[٣]، وقال ليث بن أبي سُليم: عن مجاهد قال علي رضي الله عنه: آية في كتاب الله عز وجل لم يعمل بها أحد قبلي ولا يعمل بها أحد بعدي، كان عندي دينار فصرفته بعشرة دراهم، فكنت إذا

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه. (المسند ١/ ٣٥) وسنده صحيح.
(٢) صحيح مسلم، صلاة المسافرين، باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه (ح٨١٧).
(٣) أخرجه الطبري من طريق ابن أبي نجيح به بدون: فسأله عن عشر خصال، وسنده ضعيف لأن مجاهداً لم يسمع من علي رضي الله عنه ولكنه يتقوى بالرواية الموصولة التي أخرجها الحاكم من طريق مجاهد عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن علي رضي الله عنه بنحوه وصححه الحاكم ووافقه الذهبي. (المستدرك ٢/ ٤٨١، ٤٨٢).

ناجيت رسول الله ﷺ تصدقت بدرهم، فنسخت ولم يعمل بها أحد قبلي ولا يعمل بها أحد بعدي، ثم تلا هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗۚ﴾[١] الآية.

وقال ابن جرير: حدثنا ابن حميد، حدثنا مهران، عن سفيان، عن عثمان بن المغيرة، عن سالم بن أبي الجعد، عن علي بن علقمة الأنماري، عن علي ﷺ قال: قال النبي ﷺ: «ما ترى، دينار؟» قال: لا يطيقون. قال: «نصف دينار» قال: لا يطيقون. قال: «ما ترى»؟ قال: شعيرة. فقال له النبي ﷺ: «إنك لزهيد» قال: فنزلت ﴿ءَأَشۡفَقۡتُمۡ أَن تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَٰتٖۚ﴾ قال علي: فبي خفَّف الله عن هذه الأمة[٢].

ورواه الترمذي عن سفيان بن وكيع، عن يحيى بن آدم، عن عبيد الله الأشجعي، عن سفيان الثوري، عن عثمان بن المغيرة الثقفي، عن سالم بن أبي الجعد، عن علي بن علقمة الأنماري، عن علي بن أبي طالب قال: لما نزلت ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗۚ﴾ إلى آخرها قال لي النبي ﷺ: «ما ترى، دينار» قلت: لا يطيقونه وذكره بتمامه مثله، ثم قال: هذا حديث حسن غريب إنما نعرفه من هذا الوجه، ثم قال: ومعنى قوله: شعيرة، يعني: وزن شعيرة من ذهب[٣]. ورواه أبو يعلى، عن أبي بكر بن أبي شيبة، عن يحيى بن آدم به[٤].

وقال العوفي، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗۚ﴾ إلى ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾. كان المسلمون يقدمون بين يدي النجوى صدقة فلما نزلت الزكاة نسخ هذا[٥].

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس قوله: ﴿فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗۚ﴾ وذلك أن المسلمين أكثروا المسائل على رسول الله ﷺ حتى شقّوا عليه، فأراد الله أن يخفف عن نبيه ﷺ، فلما قال ذلك جَبُن كثير من المسلمين وكفُّوا عن المسألة، فأنزل الله بعد هذا ﴿ءَأَشۡفَقۡتُمۡ أَن تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَٰتٖۚ فَإِذۡ لَمۡ تَفۡعَلُواْ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ فوسع الله عليهم ولم يضيق[٦].

وقال عكرمة والحسن البصري في قوله تعالى: ﴿فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗۚ﴾ نسختها الآية التي بعدها ﴿ءَأَشۡفَقۡتُمۡ أَن تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَٰتٖۚ ...﴾ إلى آخرها[٧].

وقال سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة ومقاتل بن حيان: سأل الناس رسول الله ﷺ حتى أحفوه

---

(١) أخرجه الطبري من طريق ليث به، وفيه العلة السابقة وليث فيه مقال، ويتقوىٰ برواية الحاكم السابقة.

(٢) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وفي سنده علي بن علقمة: مقبول (التقريب ص٤٠٤)، وسنده ضعيف.

(٣) أخرجه الترمذي بسنده ومتنه (السنن، التفسير، باب ومن سورة المجادلة ح٣٣٠٠) وسنده كسابقه، وضعفه الألباني في ضعيف سنن الترمذي (ح٦٥٢).

(٤) مسند أبي يعلىٰ ١/ ٣٢٢ (ح٤٠٠) وفي سنده أيضاً علي بن علقمة.

(٥) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به، ويشهد له ما تقدم في رواية الحاكم، وما يليه.

(٦) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة به.

(٧) أخرجه الطبري بسند فيه ابن حميد وهو محمد بن حميد الرازي: ضعيف ولكنه يتقوىٰ إذ توبع في رواية ابن الجوزي فقد أخرجه بسند حسن من طريق عكرمة عن ابن عباس. (نواسخ القرآن ص٤٧٩).

بالمسألة فقطعهم الله بهذه الآية، فكان الرجل منهم إذا كانت له الحاجة إلى نبي الله ﷺ فلا يستطيع أن يقضيها حتى يقدم بين يديه صدقة، فاشتد ذلك عليهم، فأنزل الله الرخصة بعد ذلك ﴿فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[١].

وقال معمر، عن قتادة ﴿إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً﴾ إنها منسوخة ما كانت إلا ساعة من نهار[٢]. وهكذا روى عبد الرزاق: أخبرنا معمر، عن أيوب، عن مجاهد قال علي: ما عمل بها أحد غيري حتى نُسخت، وأحسبه قال: وما كانت إلا ساعة[٣].

﴿۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٦﴾ لَّن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا ۚ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٧﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ ۚ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٨﴾ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ ۚ أُولَٰئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ ۚ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٩﴾﴾.

يقول الله تعالى منكراً على المنافقين في موالاتهم الكفار في الباطن. وهم في نفس الأمر لا معهم ولا مع المؤمنين كما قال تعالى: ﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَا إِلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَلَا إِلَىٰ هَٰؤُلَاءِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾﴾ [النساء] وقال هٰهنا: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِم﴾ يعني: اليهود الذين كان المنافقون يمالؤونهم ويوالونهم في الباطن.

ثم قال تعالى: ﴿مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ﴾ أي: هؤلاء المنافقون ليسوا في الحقيقة منكم أيها المؤمنون، ولا من الذين يوالونهم وهم اليهود، ثم قال تعالى: ﴿وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ يعني: المنافقين يحلفون على الكذب، وهم عالمون بأنهم كاذبون فيما حلفوا وهي اليمين الغموس، ولا سيما في مثل حالهم اللعين عياذاً بالله منه، فإنهم كانوا إذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا، وإذا جاؤوا الرسول حلفوا له بالله إنهم مؤمنون، وهم في ذلك يعلمون أنهم يكذبون فيما حلفوا به؛ لأنهم لا يعتقدون صدق ما قالوه وإن كان في نفس الأمر مطابقاً، ولهذا شهد الله بكذبهم في أيمانهم وشهادتهم لذلك.

ثم قال تعالى: ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾﴾ أي: أرصد الله لهم على هذا الصنيع العذاب الأليم على أعمالهم السيئة وهي موالاة الكافرين ونصحهم ومعاداة المؤمنين، وغشهم، ولهذا قال تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: أظهروا الإيمان وأبطنوا الكفر واتقوا بالأيمان الكاذبة، فظنَّ كثير ممن لا يعرف حقيقة أمرهم صدقهم فاغترَّ بهم، فحصل بهذا صدٌّ عن سبيل الله لبعض الناس ﴿فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ أي: في مقابلة ما امتهنوا من الحلف باسم الله العظيم في الأيمان الكاذبة الحانثة.

---

(١) أخرجه الطبري من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة ورجاله ثقات لكنه مرسل وذكر الرخصة يتقوىٰ بسابقه، وعزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم عن مقاتل، وسنده معضل.

(٢) أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة.

(٣) أخرجه عبد الرزاق بسنده ومتنه، وسنده صحيح.

ثم قال تعالى: ﴿لَّن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ أي: لن يدفع ذلك عنهم بأساً إذا جاءهم ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ ثم قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا﴾ أي: يحشرهم يوم القيامة عن آخرهم فلا يغادر منهم أحداً ﴿فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾ أي: يحلفون بالله ﷻ أنهم كانوا على الهدى والاستقامة كما كانوا يحلفون للناس في الدنيا؛ لأن من عاش على شيء مات عليه وبعث عليه، ويعتقدون أن ذلك ينفعهم عند الله كما كان ينفعهم عند الناس، فيجرون عليهم الأحكام الظاهرة ولهذا قال: ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾ أي: حلفهم بذلك لربهم ﷻ.

ثم قال تعالى منكراً عليهم حسبانهم: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾ فأكَّد الخبر عنهم بالكذب.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا ابن نفيل، حدثنا زهير، عن سماك بن حرب، حدثني سعيد بن جبير، أن ابن عباس حدثه أن النبي ﷺ كان في ظل حجرة من حجره وعنده نفر من المسلمين قد كاد يقلص عنهم الظلّ قال: «إنه سيأتيكم إنسان ينظر بعيني شيطان فإذا أتاكم فلا تكلموه» فجاء رجل أزرق فدعاه رسول الله فكلمه فقال: «علامَ تشتمني أنتَ وفلان وفلان» نفر دعاهم بأسمائهم، قال: فانطلق الرجل فدعاهم، فحلفوا له واعتذروا إليه، قال فأنزل الله ﷻ: ﴿فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾(1).

وهكذا رواه الإمام أحمد من طريقين عن سماك به، ورواه ابن جرير، عن محمد بن المثنى، عن غُندُر، عن شعبة، عن سماك به نحوه، وأخرجه أيضاً من حديث سفيان الثوري، عن سماك بنحوه(2). إسناد جيد ولم يخرجوه، وحال هؤلاء كما أخبر الله تعالى عن المشركين حيث يقول: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ۚ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الأنعام].

ثم قال تعالى: ﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ﴾ أي: استحوذ على قلوبهم الشيطان حتى أنساهم أن يذكروا الله ﷻ، وكذلك يصنع بمن استحوذ عليه، ولهذا قال أبو داود: حدثنا أحمد بن يونس، حدثنا زائدة، حدثنا [السائب بن حُبيش](3)، عن معدان بن أبي طلحة اليعمري، عن أبي الدرداء قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من ثلاثة في قرية ولا بدو لا تقام فيهم الصلاة إلا قد استحوذ عليهم الشيطان، فعليك بالجماعة فإنما يأكل الذئب القاصية» قال زائدة: قال السائب: يعني الصلاة في الجماعة(4).

ثم قال تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ يعني: الذين استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله ثم قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾.

---

(1) سنده حسن وأخرجه الإمام أحمد من طريق شعبة عن سماك به (المسند ٤/ ٤٨ ح٢١٤٧) وحسن سنده محققوه، وأخرجه الحاكم من طريق سماك به وصححه ووافقه الذهبي. (المستدرك ٢/ ٤٨٢).

(2) أخرجه الطبري من هذه الطرق، وحكمه كسابقه.

(3) كذا في (ح) و(حم) وسنن أبي داود، وفي الأصل صُحف إلى: «السائب بن حنيس».

(4) أخرجه أبو داود بسنده ومتنه. (السنن، الصلاة، باب التشديد في ترك الجماعة ح٥٤٧) وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح٥١١).

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ ﴿٢١﴾ لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُۖ وَيُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾.

يقول تعالى مخبراً عن الكفار المعاندين المحادّين لله ورسوله؛ يعني: الذين هم في حدّ والشرع في حدّ؛ أي: مجانبون للحقّ مشاقون له هم في ناحية والهدى في ناحية ﴿أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡأَذَلِّينَ﴾ أي: في الأشقياء المبعدين المطرودين عن الصواب الأذلّين في الدنيا والآخرة. ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ﴾ أي: قد حكم وكتب في كتابه الأول وقدره الذي لا يخالف ولا يمانع ولا يبدل، بأن النصرة له ولكتابه ورسله وعباده المؤمنين في الدنيا والآخرة وأن العاقبة للمتقين كما قال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ ﴿٥١﴾ يَوۡمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعۡذِرَتُهُمۡۖ وَلَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٥٢﴾﴾ [غافر] وقال هٰهنا: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ ﴿٢١﴾﴾ أي: كتب القوي العزيز أنه الغالب لأعدائه، وهذا قدر محكم وأمر مبرم أن العاقبة والنصرة للمؤمنين في الدنيا والآخرة.

ثم قال تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡۚ﴾ أي: لا يوادّون المحادّين ولو كانوا من الأقربين كما قال تعالى: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَلَيۡسَ مِنَ ٱللَّهِ فِي شَيۡءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنۡهُمۡ تُقَىٰةٗۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ﴾ الآية [آل عمران: ٢٨].

وقال الله تعالى: ﴿قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ وَأَمۡوَٰلٌ ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٞ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ أَحَبَّ إِلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٖ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [التوبة] وقد قال سعيد بن عبد العزيز وغيره: أُنزلت هذه الآية ﴿لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ إلى آخرها في أبي عُبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح حين قتل أباه يوم بدر[١]، ولهذا قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين جعل الأمر شورى بعده في أولئك الستة رضي الله عنهم: ولو كان أبو عبيدة حياً لاستخلفته.

وقيل في قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ﴾: نزلت في أبي عُبيدة قتل أباه يوم بدر ﴿أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ﴾ في الصديق هم يومئذٍ بقتل ابنه عبد الرحمٰن ﴿أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ﴾ في مصعب بن عُمير، قتل

---

(١) عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم عن ابن شوذب، وسنده معضل وكذلك رواية سعيد بن عبد العزيز، وأخرجه الطبراني (المعجم الكبير ١/ ١٥٤ ح٣٦٠) والحاكم في (المستدرك ٣/ ٢٦٤) كلاهما من طريق عبد الله بن شوذب. وقال الحافظ ابن حجر: أخرجه الطبراني بسند جيد عن عبد الله بن شوذب. (الإصابة ٧/ ٩٣) ولكنه منقطع في عدم ذكر شيخ ابن شوذب ومن يليه.

أخاه عُبيد بن عُمير يومئذٍ ﴿أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ في عمر قتلَ قريباً له يومئذٍ أيضاً، وفي حمزة وعلي وعُبيدة بن الحارث قتلوا عُتبة وشَيبة والوليد بن عُتبة يومئذٍ، فالله أعلم.

قلت: ومن هذا القبيل حين استشار رسول الله المسلمين في أسارى بدر، فأشار الصديق بأن يفادوا فيكون ما يؤخذ منهم قوة للمسلمين، وهم بنو العم والعشيرة، ولعلَّ الله تعالى أن يهديهم.

وقال عمر: لا أرى ما رأى، يا رسول الله هل تمكِّنني من فلان قريب لعمر فأقتله، وتمكِّن علياً من عقيل وتمكِّن فلاناً من فلان ليعلم الله أنه ليست في قلوبنا موادة للمشركين القصة بكمالها[1].

وقوله تعالى: ﴿أُولَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ أي: من اتَّصف بأنه لا يوادّ من حادَّ الله ورسوله ولو كان أباه أو أخاه، فهذا ممن كتب الله في قلبه الإيمان؛ أي: كتب له السعادة وقررها في قلبه وزين الإيمان في بصيرته.

قال السدي: ﴿كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ﴾ جعل في قلوبهم الإيمان.

وقال ابن عباس: ﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ أي: قواهم.

وقوله تعالى: ﴿وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ كل هذا تقدم تفسيره غير مرة، وفي قوله تعالى: ﴿رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ سِرٌّ بديع، وهو أنه لما سخطوا على القرائب والعشائر في الله تعالى عوضهم الله بالرضا عنهم وأرضاهم عنه بما أعطاهم من النعيم المقيم والفوز العظيم والفضل العميم.

وقوله تعالى: ﴿أُولَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ أي: هؤلاء حزب الله؛ أي: عباد الله وأهل كرامته. وقوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ تنويه بفلاحهم وسعادتهم ونصرتهم في الدنيا والآخرة في مقابلة ما ذكر عن أولئك بأنهم حزب الشيطان ثم قال: ﴿أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾.

وقد قال ابن أبي حاتم: حدثنا هارون بن حميد الواسطي، حدثنا الفضل بن عنبسة، عن رجل قد سماه فقال: هو عبد الحميد بن سليمان ـ انقطع من كتابي ـ عن الذيال بن عباد قال: كتب أبو حازم الأعرج إلى الزهري: اعلم أن الجاه جاهان: جاه يجريه الله تعالى على أيدي أوليائه لأوليائه، وأنهم الخامل ذكرهم الخفية شخوصهم، ولقد جاءت صفتهم على لسان رسول الله ﷺ: «إن الله يحب الأخفياء الأتقياء الأبرياء الذين إذا غابوا لم يفتقدوا، وإذا حضروا لم يدعوا، قلوبهم مصابيح الهدى يخرجون من كل فتنة سوداء مظلمة»[2]. فهؤلاء أولياء الله تعالى الذين قال الله: ﴿أُولَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾.

وقال نعيم بن حماد: حدثنا محمد بن ثور، عن يونس، عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: «اللَّهم لا تجعل لفاجر ولا لفاسق عندي يداً ولا نعمة، فإني وجدت فيما أوحيته إليَّ ﴿لَّا تَجِدُ

---

(١) تقدم تخريجها في تفسير سورة الأنفال آية ٦٧.

(٢) سنده ضعيف لإرساله، ولبعضه شاهد في صحيح مسلم بلفظ: «إن الله يحب العبد التقي الغني الخفي». (صحيح مسلم، الزهد والرقائق ح٢٩٦٥).

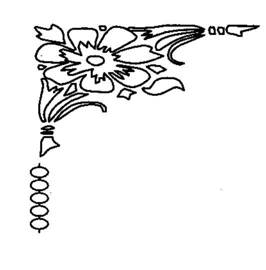
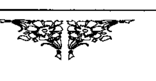
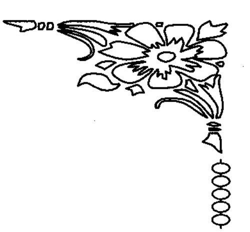
قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾»[١]. قال سفيان: يرون أنها نزلت فيمن يخالط السلطان[٢]. رواه أبو أحمد العسكري.

آخر تفسير سورة المجادلة، ولله الحمد والمنة.

وصلواته وسلامه على خير خلقه محمد وآله وصحبه وحزبه آمين.

(١) سنده ضعيف لإرساله أيضاً.

(٢) سنده ضعيف لأنه معضل.

سُورَةُ الحَشْرِ

وهي مدنية

[وكان ابن عباس يقول: سورة بني النضير][1].

قال سعيد بن المنصور: حدثنا هشيم، عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس سورة الحشر؟ قال: أنزلت في بني النضير[2]، ورواه البخاري ومسلم من وجه آخر عن هشيم به[3]، ورواه البخاري من حديث أبي عوانة، عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير: قال: قلت لابن عباس: سورة الحشر؟ قال: سورة بني النضير[4].

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ۖ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ۖ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ۝٢ وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَاۖ وَلَهُمْ فِي ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ۝٣ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٤ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَٰسِقِينَ ۝٥﴾.

يخبر تعالى أن جميع ما في السمٰوات وما في الأرض من شيء يسبح له ويمجده ويقدسه ويصلي له ويوحده كقوله تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْۗ﴾ [الإسراء: ٤٤].

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ أي: منيع الجناب ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ في قدره وشرعه.

وقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ يعني: يهود بني النضير. قاله ابن عباس ومجاهد والزهري وغير واحد[5]، كان رسول الله ﷺ لما قدم المدينة هادنهم وأعطاهم عهداً وذمة على أن لا يقاتلهم ولا يقاتلوه، فنقضوا العهد الذي كان بينهم وبينه فأحلَّ الله بهم بأسه الذي لا مردَّ له، وأنزل عليهم قضاءه الذي لا يصدّ، فأجلاهم النبي ﷺ وأخرجهم من

---

(١) زيادة من (حم). (٢) سنده صحيح.

(٣) صحيح البخاري، المغازي، باب حديث بني النضير (ح٤٠٢٩). وصحيح مسلم، التفسير (ح٣٠٣١).

(٤) المصدر السابق من صحيح البخاري (ح٤٨٨٣).

(٥) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد، وأخرجه عبد الرزاق والطبري أيضاً بسند صحيح من طريق معمر عن الزهري.

حصونهم الحصينة التي ما طمع فيها المسلمون وظنوا هم أنها مانعتهم من بأس الله، فما أغنى عنهم من الله شيئاً وجاءهم من الله ما لم يكن ببالهم، [وسيَّرهم][(١)] رسول الله ﷺ وأجلاهم من المدينة، فكان منهم طائفة ذهبوا إلى أذرعات من أعالي الشام، وهي أرض المحشر والمنشر، ومنهم طائفة ذهبوا إلى خيبر، وكان قد أنزلهم منها على أن لهم ما حملت إبلهم، فكانوا يخربون ما في بيوتهم من المنقولات التي لا يمكن أن تحمل معهم، ولهذا قال تعالى: ﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَـٰرِ﴾ أي: تفكروا في عاقبة من خالف أمر الله وخالف رسوله وكذب كتابه كيف يحلّ به من بأسه المخزي له في الدنيا مع ما يدخره له في الآخرة من العذاب الأليم.

قال أبو داود: حدثنا محمد بن داود وسفيان، حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر، عن الزهري، عن عبد الرحمٰن بن كعب بن مالك، عن رجل من أصحاب النبي ﷺ أن كفار قريش كتبوا إلى [ابن أُبي ومن][(٢)] كان معه يعبد الأوثان من الأوس، والخزرج، ورسول الله ﷺ يومئذٍ بالمدينة قبل وقعة بدر: إنكم آويتم صاحبنا وإنا نقسم بالله لنقاتلنه أو لنخرجنه أو لنسيرنَّ إليكم بأجمعنا حتى نقتل مقاتلتكم ونسبي نساءكم، فلما بلغ ذلك عبد الله بن أُبي ومن كان معه من عبدة الأوثان أجمعوا لقتال النبي ﷺ، فلما بلغ ذلك النبي ﷺ لقيهم فقال: «لقد بلغ وعيد قريش منكم المبالغ ما كانت تكيدكم بأكثر مما تريد أن تكيدوا به أنفسكم يريدون أن يقاتلوا أبناءكم وإخوانكم» فلما سمعوا ذلك من النبي تفرقوا، فبلغ ذلك كفار قريش فكتبت كفار قريش بعد وقعة بدر إلى اليهود: إنكم أهل الحلقة والحصون وإنكم لتقاتلن مع صاحبنا أو لنفعلن كذا وكذا، ولا يحول بيننا وبين خدم نسائكم شيء وهو الخلاخل، فلما بلغ كتابهم النبي ﷺ أيقنت بنو النضير بالغدر، فأرسلوا إلى النبي ﷺ: أخرج إلينا في ثلاثين رجلاً من أصحابك وليخرج منا ثلاثون [حبراً حتى نلتقي بمكان النصف، وليسمعوا منك فإن صدقوك وآمنوا بكَ آمنا بكَ][(٣)].

فلما كان الغد غدا عليهم رسول الله ﷺ بالكتائب فحصرهم فقال لهم: «إنكم والله لا تؤمنون عندي إلا بعهد تعاهدونني عليه»، فأبوا أن يعطوه عهداً فقاتلهم يومهم ذلك»، ثم غدا من الغد على بني قريظة بالكتائب وترك بني النضير ودعاهم إلى أن يعاهدوه فعاهدوه، فانصرف عنهم وغدا إلى بني النضير بالكتائب، فقاتلهم حتى نزلوا على الجلاء، فجلتْ بنو النضير واحتملوا ما أقلّت الإبل من أمتعتهم وأبواب بيوتهم وخشبها، وكان نخل بني النضير لرسول الله ﷺ خاصة أعطاه الله إياها وخصَّه بها فقال تعالى: ﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ﴾ [الحشر: ٦] يقول بغير قتال، فأعطى النبي ﷺ أكثرها للمهاجرين قسمها بينهم وقسم منها لرجلين من الأنصار، وكانا ذوي حاجة ولم يقسم من الأنصار غيرهما، وبقي منها صدقة رسول الله ﷺ التي في أيدي بني فاطمة[(٤)].

---

(١) كذا في (ح) وفي الأصل صحف إلى: «وسرهم».
(٢) كذا في (حم) وسنن أبي داود، وفي الأصل حُرِّف إلى: «ابن أم رب».
(٣) كذا في (حم)، وفي الأصل بياض.
(٤) أخرجه أبو داود بسنده ومتنه. (السنن، الخراج والإمارة، باب في خبر النضير ح٣٠٠٤) وصحح سنده =

ولنذكر ملخص غزوة بني النضير على وجه الاختصار وبالله المستعان.

وكان سبب ذلك فيما ذكره أصحاب المغازي والسير أنه لما قُتل أصحاب بئر معونة من أصحاب رسول الله ﷺ وكانوا سبعين، وأفلتَ منهم عمرو بن أُمية الضمري، فلما كان في أثناء الطريق راجعاً إلى المدينة قتل رجلين من بني عامر، وكان معهما عهد من رسول الله ﷺ وأمان لم يعلم به عمرو، فلما رجع أخبر رسول الله ﷺ فقال له رسول الله ﷺ: «لقد قتلت رجلين لأديَّنهما»[1] وكان بين بني النضير وبني عامر حلف وعهد، فخرج رسول الله ﷺ إلى بني النضير ليستعينهم في دية ذينك الرجلين، وكانت منازل بني النضير ظاهر المدينة على أميال منها شرقيها.

وقال محمد بن إسحاق بن يسار في كتابه السيرة: ثم خرج رسول الله ﷺ إلى بني النضير يستعينهم في دية ذينك القتيلين من بني عامر الذين قتلهما عمرو بن أُمية الضمري للجوار الذي كان رسول الله ﷺ عقد لهما فيما حدثني يزيد بن رومان، وكان بين بني النضير وبني عامر عقد وحلف، فلما أتاهم رسول الله ﷺ يستعينهم في دية ذينك القتيلين قالوا: نعم يا أبا القاسم نُعينك على ما أحببت مما استعنت بنا عليه، ثم خلا بعضهم ببعض فقالوا: إنكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه - ورسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم إلى جنب جدار من بيوتهم - فمَن رجل يعلو على هذا البيت فيلقي عليه صخرة فيريحنا منه؟ فانتدب لذلك عمرو بن جحش بن كعب أحدهم فقال: أنا لذلك، فصعد ليلقي عليه صخرة كما قال ورسول الله ﷺ في نفر من أصحابه فيهم أبو بكر وعمر وعلي ﷺ فأتى رسول الله ﷺ الخبر من السماء بما أراد القوم، فقام وخرج راجعاً إلى المدينة.

فلما استلبث النبي ﷺ أصحابه قاموا في طلبه فلقوا رجلاً مقبلاً من المدينة، فسألوه عنه، فقال رأيته داخلاً المدينة، فأقبل أصحاب رسول الله ﷺ حتى انتهوا إليه، فأخبرهم الخبر بما كانت يهود أرادت من الغدر به، وأمر رسول الله ﷺ بالتهيؤ لحربهم والمسير إليهم، ثم سار حتى نزل بهم فتحصنوا منه في الحصون، فأمر رسول الله ﷺ بقطع النخل والتحريق فيها، فنادوه: أن يا محمد قد كنت تنهى عن الفساد في الأرض وتعيبه على من يصنعه، فما بال قطع النخل وتحريقها؟ وقد كان رهط من بني عوف بن الخزرج منهم عبد الله بن أُبي ابن سلول، ووديعة، ومالك بن أبي قوقل، وسويد، وداعس قد بعثوا إلى بني النضير أن اثبتوا وتمنعوا، فإنا لن نسلمكم إن قوتلتم قاتلنا معكم، وإن خرجتم خرجنا معكم، فتربصوا ذلك من نصرهم فلم يفعلوا فقذف الله في قلوبهم الرعب، فسألوا رسول الله ﷺ أن يجليهم ويكفَّ عن دمائهم على أن لهم ما حملت الإبل من أموالهم إلا الحلقة ففعل، فاحتملوا من أموالهم ما استقلت به الإبل، فكان الرجل منهم يهدم بيته عن إيجاف بابه فيضعه على ظهر بعيره فينطلق به، فخرجوا إلى خيبر، ومنهم من سار إلى الشام وخلوا الأموال لرسول الله ﷺ، فكانت لرسول الله ﷺ خاصة يضعها حيث يشاء، فقسمها على المهاجرين الأولين دون الأنصار إلا سهل بن حنيف وأبا دُجانة

= الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح٢٥٩٥).

(١) ينظر: السيرة النبوية لابن هشام ٢/١٩٠.

ـ سماك بن خرشة ـ ذكرا فقراً فأعطاهما رسول الله ﷺ، قال: ولم يسلم من بني النضير إلا رجلان: يامين بن عمرو بن كعب عمُّ عمرو بن جحاش، وأبو سعد بن وهب أسلما على أموالهما فأحرزاها.

قال ابن إسحاق: وقد حدثني بعض آل يامين أن رسول الله ﷺ قال ليامين: «ألم ترَ ما لقيت من ابن عمك وما هم به من شأني» فجعل يامين بن عمرو لرجل جعلاً على أن يقتل عمرو بن جحاش فقتله فيما يزعمون.

قال ابن إسحاق: ونزل في بني النضير سورة الحشر بأسرها[(١)]، وهكذا روى يونس بن بكير، عن ابن إسحاق بنحو ما تقدم.

فقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ يعني: بني النضير ﴿مِن دِيَـٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ﴾.

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا ابن أبي عمر، حدثنا سفيان، عن أبي سعد، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: من شكَّ في أن أرض المحشر هٰهنا؛ يعني: الشام فليقرأ هذه الآية ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ مِن دِيَـٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ﴾ قال لهم رسول الله ﷺ: «اخرجوا» قالوا: إلى أين؟ قال: «إلى أرض المحشر»[(٢)].

وحدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا أبو أسامة، عن عوف، عن الحسن قال: لما أجلى رسول الله ﷺ بني النضير قال: «هذا أول الحشر وأنا على الأثر»[(٣)]. ورواه ابن جرير، عن بُندار، عن ابن أبي عدي، عن عوف، عن الحسن به[(٤)].

وقوله تعالى: ﴿مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟﴾ أي: في مدة حصاركم لهم وقصرها وكانت ستة أيام مع شدة حصونهم ومنعتها، ولهذا قال تعالى: ﴿وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟﴾ أي: جاءهم من أمر الله ما لم يكن لهم في بال كما قال تعالى في الآية الأخرى: ﴿قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَـٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [النحل].

وقوله تعالى: ﴿وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ﴾ أي: الخوف والهلع والجزع وكيف لا يحصل لهم ذلك وقد حاصرهم الذي نصر بالرعب مسيرة شهر صلوات الله وسلامه عليه؟

وقوله: ﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ قد تقدم تفسير ابن إسحاق لذلك، وهو نقض ما استحسنوه من سقوفهم وأبوابهم وتَحَمُّلها على الإبل، وكذلك قال عروة بن الزبير وعبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم وغير واحد[(٥)].

---

(١) ينظر: السيرة النبوية ٢/ ١٩٠، ١٩١. وسنده معضل، وله شواهد تأتي في الروايات التالية.

(٢) سنده ضعيف لضعف أبي سعد وهو البقال، (مجمع الزوائد ١٠/٣٤٦).

(٣) رجال ثقات لكنه مرسل.

(٤) أخرجه الطبري عن بندار به، وسنده كسابقه.

(٥) أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن الزهري بنحوه، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد، وهذه المراسيل يقوي بعضها بعضاً.

وقال مقاتل بن حيان: كان رسول الله ﷺ يقاتلهم فإذا ظهر على درب أو دار هدم حيطانها ليتسع المكان للقتال، وكان اليهود إذا علَوا مكاناً أو غلبوا على درب أو دار نقبوا من أدبارها ثم حصنوها ودبروها، يقول الله تعالى: ﴿فَٱعْتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ﴾(١).

وقوله: ﴿وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا﴾ أي: لولا أن كتب الله عليهم هذا الجلاء وهو النفي من ديارهم وأموالهم لكان لهم عند الله عذاب آخر من القتل والسبي ونحو ذلك، قاله الزهري، عن عروة والسدي وابن زيد(٢)؛ لأن الله قد كتب عليهم أنه سيعذبهم في الدار الدنيا مع ما أعد لهم في الدار الآخرة من العذاب في نار جهنم.

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا عبد الله بن صالح كاتب الليث، حدثني الليث، عن عقيل، عن ابن شهاب قال: أخبرني عروة بن الزبير قال: ثم كانت وقعة بني النضير، وهم طائفة من اليهود على رأس ستة أشهر من وقعة بدر، وكان منزلهم بناحية من المدينة فحاصرهم رسول الله ﷺ حتى نزلوا على الجلاء، وأن لهم ما أقلّت الإبل من الأموال والأمتعة إلا الحلقة وهي السلاح، فأجلاهم رسول الله ﷺ قبل الشام، قال: والجلاء كُتب عليهم في آي من التوراة، وكانوا من سبط لم يصبهم الجلاء قبل ما سلط عليهم رسول الله ﷺ، وأنزل الله فيهم ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ إلى قوله: ﴿وَلِيُخْزِيَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾(٣).

وقال عكرمة: ﴿ٱلْجَلَآءَ﴾ القتل، وفي رواية عنه الفناء.

وقال قتادة: ﴿ٱلْجَلَآءَ﴾ خروج الناس من البلد إلى البلد(٤).

وقال الضحاك: أجلاهم إلى الشام، وأعطى كل ثلاثة بعيراً وسقاء، فهذا الجلاء.

وقد قال الحافظ أبو بكر البيهقي: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، أخبرنا أحمد بن كامل القاضي، حدثنا محمد بن سعيد العوفي، حدثني أبي، عن عمي، حدثنا أبي، عن جدي، عن ابن عباس، قال: كان النبي ﷺ قد حاصرهم حتى بلغ منهم كل مبلغ، فأعطوه ما أراد منهم فصالحهم على أن يحقن لهم دماءهم وأن يخرجهم من أرضهم ومن ديارهم وأوطانهم، وأن يسيِّرهم إلى أذرعات الشام، وجعل لكل ثلاثة منهم بعيراً وسقاء، والجلاء إخراجهم من أرضهم إلى أرض أخرى(٥).

وروي أيضاً من حديث يعقوب بن محمد الزهري، عن إبراهيم بن جعفر، عن محمود بن محمد بن [مسلمة](٦)، عن أبيه، عن جده، عن محمد بن مسلمة أن رسول الله ﷺ بعثه إلى بني النضير، وأمره أن يؤجلهم في الجلاء ثلاثة أيام(٧).

---

(١) أخرجه البيهقي عن مقاتل بن حيان. (دلائل النبوة ٣/ ٣٥٨) وسنده معضل.
(٢) أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن الزهري.
(٣) سنده حسن لكنه مرسل ويتقوىٰ بالسابق واللاحق.
(٤) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.
(٥) أخرجه البيهقي (دلائل النبوة ٣/ ٣٥٩) وسنده ضعيف.
(٦) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل صحف إلى: «مسلم».
(٧) أخرجه البيهقي (دلائل النبوة ٣/ ٣٦٠) في سنده محمود بن محمد بن مسلمة سكت عنه ابن أبي حاتم. =

وقوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ﴾ أي: حتم لازم لا بدّ لهم منه.

وقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ أي: إنما فعل الله بهم ذلك وسلط عليهم رسوله وعباده المؤمنين؛ لأنهم خالفوا الله ورسوله وكذبوا بما أنزل الله على رسله المتقدمين في البشارة بمحمد ﷺ، وهم يعرفون ذلك كما يعرفون أبناءهم. ثم قال: ﴿وَمَن يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ ﴿٥﴾﴾ اللين نوع من التمر وهو جيد.

قال أبو عبيدة: وهو ما خالف العجوة والبرني من التمر[(١)].

وقال كثيرون من المفسرين: اللينة ألوان التمر سوى العجوة[(٢)].

قال ابن جرير: هو جميع النخل ونقله عن مجاهد وهو[(٣)] البويرة أيضاً، وذلك أن رسول الله ﷺ لما حاصرهم أمر بقطع نخيلهم إهانة لهم وإرهاباً وإرعاباً لقلوبهم، فروى محمد بن إسحاق، عن يزيد بن رومان، وقتادة ومقاتل بن حيان أنهم قالوا: [فبعث بنو النضير][(٤)] يقولون لرسول الله ﷺ: إنك تنهى عن الفساد فما بالك تأمر بقطع الأشجار؟ فأنزل الله هذه الآية الكريمة؛ أي: ما قطعتم من لينة وما تركتم من الأشجار فالجميع بإذنه ومشيئته وقدره ورضاه، وفيه نكاية بالعدو وخزي لهم، وإرغام لأنوفهم[(٥)].

وقال مجاهد: نهى بعض المهاجرين بعضاً عن قطع النخل، وقالوا: إنما هي مغانم المسلمين، فنزل القرآن بتصديق من نهى عن قطعه وتحليل من قطعه من الإثم، وإنما قطعه وتركه بإذنه[(٦)]، وقد روي نحو هذا مرفوعاً، فقال النسائي: أخبرنا الحسن بن محمد، عن عفان، حدثنا حفص بن غياث، حدثنا حبيب بن أبي عمرة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس في قوله: ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ ﴿٥﴾﴾ قال: يستنزلونهم من حصونهم وأمروا بقطع النخل، فحاك في صدورهم، فقال المسلمون: قطعنا بعضاً وتركنا بعضاً فلنسألن رسول الله ﷺ هل لنا فيما قطعنا من أجر؟ وهل علينا فيما تركنا من وزر؟ فأنزل الله ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ﴾[(٧)].

= (الجرح والتعديل ٨/ ٢٩٠).

(١) ذكره أبو عبيدة. (مجاز القرآن ٢/ ٢٥٦).

(٢) أخرجه الطبري وابن أبي شيبة بسند حسن من طريق داود عن عكرمة (المصنف ١٢/ ٣٩٣).

(٣) ذكره الطبري وأخرجه هو وآدم بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد بلفظ: نخلة، قال: نهى بعض المهاجرين بعضاً عن قطع النخل.

(٤) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل بياض.

(٥) ذكره ابن هشام (السيرة ٢/ ١٩١)، وأخرجه البيهقي من طريق ابن إسحاق عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن حزم (دلائل النبوة ٣/ ٣٥٥)، وأخرجه الطبري بسند رجاله ثقات عن قتادة لكنه مرسل وهذان المرسلان يقوي أحدهما الآخر.

(٦) تقدم تخريجه قبل الرواية السابقة.

(٧) أخرجه النسائي بسنده ومتنه (السنن الكبرى، التفسير، باب ﴿وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ﴾ [الحشر: ٥] ح١١٥٧٤) وسنده صحيح.

وقال الحافظ أبو يعلى في مسنده: حدثنا سفيان بن وكيع، حدثنا حفص، عن ابن جريج، عن سليمان بن موسى، عن جابر، وعن أبي الزبير، عن جابر، قال: رخصَّ لهم في قطع النخل ثم شدَّد عليهم، فأتوا النبي ﷺ فقالوا: يا رسول الله علينا إثم فيما قطعنا أو علينا وزر فيما تركنا، فأنزل الله ﷻ: ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾[(١)].

وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرحمٰن، حدثنا سفيان، عن موسى بن عقبة، عن نافع، عن ابن عمر، أن رسول الله ﷺ قطع نخل بني النضير وحرَّقَ[(٢)]، وأخرجه صاحبا الصحيح من رواية موسى بن عقبة بنحوه[(٣)]، ولفظ البخاري من طريق عبد الرزاق، عن ابن جريج، عن موسى بن عقبة، عن نافع، عن ابن عمر، قال: حاربت النضير وقريظة فأجلى بني النضير وأقرَّ قريظة ومَنَّ عليهم حتى حارب قريظة، فقتل من رجالهم وسبى وقسم نساءهم وأولادهم وأموالهم بين المسلمين إلا بعضهم لحقوا بالنبي ﷺ فأمنَّهم وأسلموا، وأجلى يهود المدينة كلهم بني قينقاع، وهم رهط عبد الله بن سلام ويهود بني حارثة وكل يهود بالمدينة[(٤)]، ولهما أيضاً عن قتيبة، عن الليث بن سعد، عن نافع، عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ حرَّق نخل بني النضير وقطع، وهي: [البويرة][(٥)]، [فأنزل الله ﷻ فيه ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِيَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾﴾[(٦)].

وللبخاري رحمه الله من رواية جويرية ابن أسماء، عن نافع، عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ حرق نخل بني النضير وقطع البويرة][(٧)] ولها يقول حسان بن ثابت رضي الله عنه:

وهـان عـلـى سـراة بـنـي لـؤي ... تـحـريـق بـالـبـويـرة مـسـتـطـير

فأجابه أبو سفيان بن الحارث يقول:

أدام الله ذلـك مـن صـنـيـع ... وحـرَّق فـي نـواحـيـهـا الـسـعـير

سـتـعـلـم أيـنـا مـنـهـا بـنـزه ... وتـعـلـم أي أرضـيـنـا نـضـيـرُ[(٨)]

كذا رواه البخاري ولم يذكره ابن إسحاق.

وقال محمد بن إسحاق: وقال كعب بن مالك يذكر إجلاء بني النضير وقتل ابن الأشرف:

---

(١) أخرجه أبو يعلىٰ (المسند ٤/ ١٣٥ ح٢١٨٩) وسنده ضعيف لضعف سفيان بن وكيع (مجمع الزوائد ٧/ ١٢٥) وفيه مخالفة لرواية الصحيح في قوله: ثم شدد عليهم.

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه. (المسند ٢/ ٧) وسنده صحيح.

(٣) صحيح البخاري، الجهاد، باب حرق الدور والنخيل (ح٣٠٢١)، وصحيح مسلم، الجهاد، باب جواز قطع أشجار الكفار (ح١٧٤٦/ ٣٠).

(٤) صحيح البخاري، المغازي، باب حديث بني النضير (ح٤٠٢٨).

(٥) كذا في (ح) و(حم) وصحيح البخاري، وفي الأصل صحفت إلى: «البريدة».

(٦) صحيح البخاري، التفسير، باب ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ﴾ [الحشر: ٥] (ح٤٨٨٤)، وصحيح مسلم، الجهاد والسير، باب جواز قطع أشجار الكفار (ح١٧٤٦/ ٢٩).

(٧) زيادة من (ح) و(حم).

(٨) أخرجه البخاري من طريق حبان عن جويرية بن أسماء به. (الصحيح، المغازي، باب حديث بني النضير ح٤٠٣٢).

لقد خزيت بغدرتها الحبَور[١] كذلك الدهر ذو صرف يدور
وذلك أنهم كفروا برب عظيم أمره أمر كبير
وقد أوتوا معاً فهماً وعلماً وجاءهم من الله النذير
نذير صادق أدّى كتاباً وآيات مبينة تنير
فقالوا ما أتيت بأمر صدق وأنت بمنكر منا جدير
فقال بلى لقد أديت حقاً يصدقني به الفهم الخبير
فمن يتبعه يُهدَ لكل رشد ومن يكفر به يجز الكفور
فلما أشربوا غدراً وكفراً وجد بهم عن الحق النفور
أرى الله النبي برأي صدق وكان الله يحكم لا يجور
فأيده وسلطه عليهم وكان نصيره نعم النصير
فغودر منهم وكعب صريعاً فذلّت بعد مصرعه النضير
على الكفين ثم وقد علته بأيدينا مشهرة ذكور[٢]
بأمر محمد إذ دس ليلاً إلى كعب أخا كعب يسير
فما كره فأنزله بمكرٍ ومحمود أخو ثقة جسور
فتلك بنو النضير بدار سوء أبارهم بما اجترموا المبير
غداة أتاهم وفي الزحف رهواً رسول الله وهو بهم بصير
وغسان الحماة موازروه على الأعداء وهو لهم وزير
فقال السلم ويحكُم فصدوا [وحالف][٣] أمرهم كذب وزور
فذاقوا غبّ أمرهم وبالاً لكل ثلاثة منهم بعير
وأجلوا عامدين لقينقاع وغودر منهمو نخل ودور[٤]

قال: وكان مما قيل من الأشعار في بني النضير قول ابن القيم العبسي، ويقال: قالها قيس بن بحر بن طريف، قال ابن هشام الأشجعي:

أهلي فداء لامرئ غير هالك أجلى اليهود بالحسى المزنَّم
يقيلون في جَمر العضاة وبدلوا أهيضب عوداً بالودي[٥] المكمم
فإن يك ظني صادقاً بمحمد يروا خيله بين الصلا ويَرمَرم[٦]
يؤم بها عمرو بن بهثة إنهم عدوا ما حيّ صديق كمجرم
عليهنَّ أبطال مساعير في الوغر يهزّون أطراف الوشيج[٧] المقوم
وكل رقيق الشفرتين مهندٍ تورثن من أزمان عاد وجرهم
فمن مبلغ عني قريشاً رسالة فهل بعدهم في المجد من متكرم

---

(١) أي: علماء اليهود.
(٢) أي: سيوف مسلولة من أغمادها.
(٣) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل صحف إلى: «وحالة».
(٤) ينظر السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ١٩٩.
(٥) أي: صغار النخل.
(٦) الصلا ويرمرم: موضعان.
(٧) أي: الرماح.

بــأن أخــاكــم فــاعــلــمــنّ مــحــمــداً | تــلــيــدُ الــنــدى بــيــن الــحــجــون وزمــزم
فــديــنــوا لــه بــالــحــق تــجــســم أمــوركــم | وتــســمــوا مــن الــدنــيــا إلــى كــل مــعــظــم
نــبــي تــلاقــتــه مــن الله رحــمــة | ولا تــســألــوه أمــر غــيــب مــرجــم
فــقــد كــان فــي بــدر لــعــمــري عــبــرة | لــكــم يــا قــريــش والــقــلــيــب الــمــلــمــم
غــداة أتــى فــي الــخــزرجــيــة عــامــداً | إلــيــكــم مــطــيــعــاً لــلــعــظــيــم الــمــكــرم
مُــعَــانــاً بــروح الــقــدس يــنــكــي عــدوه | رســولاً مــن الــرحــمٰــن حــقــاً بــمــعــلــم
رســولاً مــن الــرحــمٰــن يــتــلــو كــتــابــه | فــلــمــا أنــار الــحــق لــم يــتــلــعــثــم
أرى أمــره يــزدادُ فــي كــل مــوطــن | عــلــواً لأمــر حــمُّــه الله مــحــكــم[(١)]

وقد أورد ابن إسحاق رحمه الله هٰهنا أشعاراً كثيرة فيها آداب ومواعظ وحكم وتفاصيل للقصة، تركنا باقيها اختصاراً واكتفاء بما ذكرناه، ولله الحمد والمنة.

قال ابن إسحاق: كانت وقعة بني النضير بعد [وقعة أحد وبعد بئر معونة.

وحكى البخاري عن الزهري، عن عروة أنه قال: كانت وقعة بني النضير][(٢)] بعد بدر بستة أشهر[(٣)].

﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٦ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٧﴾.

يقول تعالى مبيناً ما الفيء وما صفته وما حكمه، فالفيء: كل مال أخذ من الكفار من غير قتال ولا إيجاف خيل ولا ركاب، كأموال بني النضير هذه فإنها مما لم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب؛ أي: لم يقاتلوا الأعداء فيها بالمبارزة والمصاولة بل نزل أولئك من الرعب الذي ألقى الله في قلوبهم من هيبة رسول الله ﷺ، فأفاءه على رسوله، ولهذا تصرَّف فيه كما يشاء فردَّه على المسلمين في وجوه البر والمصالح التي ذكرها الله ﷻ في هذه الآيات فقال تعالى: ﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ﴾ أي: من بني النضير ﴿فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ﴾ يعني: الإبل ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ أي: هو قدير لا يغالب ولا يمانع، بل هو القاهر لكل شيء.

ثم قال تعالى: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ﴾ أي: جميع البلدان التي تفتح هكذا فحكمها حكم أموال بني النضير ولهذا قال تعالى: ﴿فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ...﴾ إلى آخرها والتي بعدها فهذه مصارف أموال الفيء ووجوهه.

---

(١) المصدر السابق ٢/ ١٩٥. (٢) زيادة من (ح) و(حم).
(٣) أخرجه البخاري معلقاً، وقال الحافظ ابن حجر: وصله عبد الرزاق في مصنفه عن معمر عن الزهري أتم من هذا. (فتح الباري ٧/ ٣٢٩، ٣٣٠).

قال الإمام أحمد: حدثنا سفيان، عن عمرو ومعمر، عن الزهري، عن مالك بن أوس بن الحدثان، عن عمر ﷺ قال: كانت أموال بني النضير مما أفاء الله على رسوله مما لو يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب، فكانت لرسول الله ﷺ خالصة، فكان ينفق على أهله منها نفقة سنته، وقال مرة: قوت سنته وما بقي جعله في الكراع والسلاح في سبيل الله ﷻ[١]، هكذا أخرجه أحمد هٰهنا مختصراً، وقد أخرجه الجماعة في كتبهم إلا ابن ماجه من حديث سفيان، عن عمرو بن دينار، عن الزهري به[٢]، وقد رويناه مطولاً.

وقال أبو داود ﷺ: حدثنا الحسن بن علي ومحمد بن يحيى بن فارس المعنى واحد قالا: حدثنا بشر بن عمر الزهراني، حدثني مالك بن أنس، عن ابن شهاب، عن مالك بن أوس قال: أرسل إليَّ عمر بن الخطاب ﷺ حين تعالى النهار فجئته فوجدته جالساً على سرير مفضياً إلى رماله[٣]، فقال حين دخلت عليه: يا مالك إنه قد دفَّ[٤] أهل أبيات من قومك، وقد أمرت فيهم بشيء فاقسم فيهم، قلت: لو أمرت غيري بذلك. فقال: خذه، فجاءه يرفا[٥] فقال: يا أمير المؤمنين هل لك في عثمان بن عفان وعبد الرحمٰن بن عوف والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص؟ قال: نعم.

فأذن لهم فدخلوا، ثم جاءه يرفا فقال: يا أمير المؤمنين هل لك في العباس وعلي؟ قال: نعم، فأذن لهما فدخلا فقال العباس: يا أمير المؤمنين اقض بيني وبين هذا يعني: علياً، فقال بعضهم: أجل يا أمير المؤمنين اقضِ بينهما وأرحهما، قال مالك بن أوس: خُيل إليَّ أنهما قدما أولئك النفر لذلك، فقال عمر ﷺ اتئدا ثم أقبل على أولئك الرهط فقال: أنشدكم بالله الذي بإذنه تقوم السماء والأرض هل تعلمون أن رسول الله ﷺ قال: «لا نورث، ما تركنا صدقة»؟ قالوا: نعم. ثم أقبل على علي والعباس فقال: أنشدكما بالله الذي بإذنه تقوم السماء والأرض هل تعلمان أن رسول الله ﷺ قال: «لا نورث، ما تركنا صدقة»؟ فقالا: نعم. فقال: إن الله خص رسوله بخاصة لم يخص بها أحداً من الناس فقال تعالى: ﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾﴾ فكان الله تعالى أفاء على رسوله أموال بني النضير، فوالله ما استأثر بها عليكم ولا أحرزها دونكم، فكان رسول الله ﷺ يأخذ منها نفقة سنة أو نفقته ونفقة أهله سنة، ويجعل ما بقي أسوة[٦] المال.

ثم أقبل على أولئك الرهط فقال: أنشدكم بالله الذي بإذنه تقوم السماء والأرض هل تعلمون ذلك؟ قالوا: نعم. ثم أقبل على علي والعباس فقال: أنشدكما بالله الذي بإذنه تقوم السماء

---

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ١/ ٢٥) وسنده صحيح.

(٢) صحيح البخاري، الجهاد، باب المجن ومن يترَّس بترس صاحبه (ح٢٩٠٤) وصحيح مسلم، الجهاد، باب حكم الفيء (ح١٧٥٧)، وسنن أبي داود، الخراج، باب في صفايا رسول الله ﷺ (ح٢٩٦٥)، وسنن الترمذي، الجهاد، باب ما جاء في الفيء (ح١٧١٩)، وسنن النسائي، قسم الفيء ٧/ ١٣٢.

(٣) أي: موصلاً جسده إلى رماله، ورمال السرير: ما ينسج في وجهه بالسعف.

(٤) أي: جاءوا مسرعين. (٥) هو اسم غلام لعمر ﷺ.

(٦) أي: يجعله لا ينفرد به أحد.

والأرض هل تعلمان ذلك؟ قالا: نعم. فلما توفي رسول الله ﷺ قال أبو بكر: أنا ولي رسول الله ﷺ، فجئت أنت وهذا إلى أبي بكر تطلب أنت ميراثك من ابن أخيك ويطلب هذا ميراث امرأته من أبيها، فقال أبو بكر ﷺ: قال رسول الله ﷺ: «لا نورث، ما تركنا صدقة» والله يعلم إنه لصادق بار راشد تابع للحق فوليها أبو بكر، فلما توفي قلت أنا ولي رسول الله ﷺ وولي أبي بكر فوليتها ما شاء الله أن أليها، فجئت أنت وهذا وأنتما جميع وأمركما واحد فسألتمانيها، فقلت إن شئتما فأنا أدفعها إليكما على أن عليكما عهد الله أن تلياها بالذي كان رسول الله ﷺ يليها، فأخذتماها مني على ذلك ثم جئتماني لأقضي بينكما بغير ذلك، واللهِ لا أقضي بينكما بغير ذلك حتى تقوم الساعة فإن عجزتما عنها فردَّاها إليَّ(١). أخرجوه من حديث [الزَّهري](٢) به(٣).

قال الإمام أحمد: حدثنا عارم وعفان قالا: أخبرنا معتمر سمعت أبي يقول: حدثنا أنس بن مالك، عن رسول الله ﷺ قال: إن الرجل كان يجعل له من ماله النخلات أو كما شاء الله حتى فتحت عليه قريظة والنضير. قال: فجعل يرد بعد ذلك، قال: وإن أهلي أمروني أن آتي النبيَّ ﷺ فأسأله الذي كان أهله أعطوه أو بعضه، وكان نبي الله ﷺ قد أعطاه أُم أيمن أو كما شاء الله قال: فسألت النبي ﷺ فأعطانيهن، فجاءت أُم أيمن فجعلت الثوب في عنقي وجعلت تقول: كلا والله الذي لا إله إلا هو لا يعطيكهن وقد أعطانيهن، أو كما قالت، فقال نبي الله: «لك كذا وكذا». قال: وتقول: كلَّا والله. قال: ويقول: «لك كذا وكذا» قال: وتقول: كلَّا واللهِ، قال: «ويقول لك كذا وكذا» قال: حتى أعطاها حسبت أنه قال: عشرة أمثاله أو قال قريباً من عشرة أمثاله، أو كما قال(٤). رواه البخاري ومسلم من طرق عن معتمر(٥) به.

وهذه المصارف المذكورة في هذه الآية هي المصارف المذكورة في خمس الغنيمة، وقد قدمنا الكلام عليها في سورة الأنفال بما أغنى عن إعادته هٰهنا، ولله الحمد.

وقوله تعالى: ﴿كَيۡ لَا يَكُونَ دُولَةَۢ بَيۡنَ ٱلۡأَغۡنِيَآءِ مِنكُمۡۚ﴾ أي: جعلنا هذه المصارف لمال الفيء كيلا يبقى مأكلة يتغلب عليها الأغنياء ويتصرفون فيها بمحض الشهوات والآراء، ولا يصرفون منه شيئاً إلى الفقراء.

وقوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ﴾ أي: مهما أمركم به فافعلوه ومهما نهاكم عنه فاجتنبوه، فإنه إنما يأمر بخير وإنما ينهى عن شر.

---

(١) أخرجه أبو داود بسنده ومتنه (السنن، الخراج والإمارة، باب في صفايا رسول الله ﷺ ح٢٩٦٣) وسنده صحيح.

(٢) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل صُحف إلى: «الترمذي».

(٣) صحيح البخاري، فرض الخمس، باب فرض الخمس (ح٣٠٩٤) وصحيح مسلم، الجهاد، باب حكم الفيء (ح١٧٥٧)، وسنن الترمذي، السير، باب ما جاء في تركة رسول الله ﷺ (ح١٦١٠) والسنن الكبرىٰ للنسائي، التفسير، باب (ما أفاء على الله مع رسوله) (ح١١٥٧٥).

(٤) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٣/ ٢١٩) وسنده صحيح.

(٥) صحيح البخاري، المغازي، باب مرجع النبي ﷺ من الأحزاب (ح٤١٢٠) وصحيح مسلم، الجهاد، باب ردّ المهاجرين إلى الأنصار منائحهم من الشجر والثمر... (ح١٧٧١).

قال ابن أبي حاتم: حدثنا يحيى بن أبي طالب، حدثنا عبد الوهاب، حدثنا سعيد، عن قتادة، عن الحسن العرني، عن يحيى بن الجزار، عن مسروق قال: جاءت امرأة إلى ابن مسعود قالت: بلغني أنك تنهى عن الواشمة والواصلة، أشيء وجدته في كتاب الله تعالى أو عن رسول الله ﷺ؟ قال: بلى شيء وجدته في كتاب الله وعن رسول الله ﷺ. قالت: والله لقد تصفحت ما بين دفتي المصحف فما وجدت فيه الذي تقول. قال: فما وجدت فيه: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾؟ قالت: بلى. قال: فإني سمعت رسول الله ﷺ ينهى عن الواصلة والواشمة والنامصة، قالت: فلعله في بعض أهلك، قال: فادخلي فانظري، فدخلت فنظرت ثم خرجت قالت: ما رأيت بأساً، فقال لها: أما حفظت وصية العبد الصالح ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ﴾[١] [هود: ٨٨].

وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرحمٰن، حدثنا سفيان، عن منصور، عن علقمة، عن عبد الله هو: ابن مسعود قال: لعن الله الواشمات والمستوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن، المغيرات خلق الله ﷻ، قال فبلغ امرأة من بني أسد في البيت يقال لها: أُم يعقوب، فجاءت إليه فقالت بلغني أنك قلت كيت وكيت، قال: ما لي لا ألعن من لعن رسول الله ﷺ وفي كتاب الله تعالى، فقالت: إني لأقرأ ما بين لوحيه فما وجدته، فقال: إن كنت قرأته فقد وجدته أما قرأت ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾؟ قالت: بلى. قال: فإن رسول الله ﷺ نهى عنه. قالت: إني لأظن أهلك يفعلونه، قال: اذهبي فانظري فذهبت فلم ترَ من حاجتها شيئاً، فجاءت فقالت: ما رأيت شيئاً، قال: لو كان كذا لما تجامعنا[٢]. أخرجاه في الصحيحين من حديث سفيان الثوري[٣].

وقد ثبت في الصحيحين أيضاً عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إذا أمرتكم بأمر فائتوا منه ما استطعتم، وما نهيتكم عنه فاجتنبوه»[٤].

وقال النسائي: أخبرنا أحمد بن سعيد، حدثنا يزيد، حدثنا منصور بن حيان، عن سعيد بن جبير، عن ابن عمر وابن عباس أنهما شهدا على رسول الله ﷺ أنه نهى عن الدباء والحنتم والنقير والمزفت، ثم تلا رسول الله ﷺ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾[٥].

وقوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ أي: اتقوه في امتثال أوامره وترك زواجره، فإنه شديد العقاب لمن عصاه وخالف أمره وأباه وارتكب ما عنه زجره ونهاه.

---

(١) السند فيه اضطراب من قتادة إلى مسروق، ويشهد له ما يليه.

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ١/ ٤٣٣) وسنده صحيح.

(٣) صحيح البخاري، التفسير، باب ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ [الحشر: ٧] (ح٤٨٨٦) وصحيح مسلم، اللباس، تحريم فعل الواصلة والمستوصلة (ح٢١٢٥).

(٤) صحيح البخاري، الاعتصام، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ (ح٧٢٨٨)، وصحيح مسلم، الفضائل، باب توقير رسول الله ﷺ ح١٣٣٧).

(٥) أخرجه النسائي بسنده ومتنه. (السنن الكبرىٰ، التفسير، باب ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ ح١١٥٧٨)، وسنده صحيح.

﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾.

يقول تعالى مُبيّناً حال الفقراء المستحقين لمال الفيء أنهم ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾ أي: خرجوا من ديارهم وخالفوا قومهم ابتغاء مرضاة الله ورضوانه ﴿وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ أي: هؤلاء الذين صدقوا قولهم بفعلهم وهؤلاء هم سادات المهاجرين. ثم قال تعالى مادحاً للأنصار ومبيّناً فضلهم وشرفهم وكرمهم، وعدم حسدهم وإيثارهم مع الحاجة فقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ أي: سكنوا دار الهجرة من قبل المهاجرين وآمنوا قبل كثير منهم.

قال عمر: وأوصي الخليفة بعدي بالمهاجرين الأولين أن يعرف لهم حقهم ويحفظ لهم كرامتهم، وأوصيه بالأنصار خيراً الذين تبوءوا الدار والإيمان من قبل، أن يقبل من محسنهم وأن يعفو عن مسيئهم(١). رواه البخاري هٰهنا أيضاً.

وقوله: ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾ أي: من كرمهم وشرف أنفسهم يحبون المهاجرين ويواسونهم بأموالهم.

قال الإمام أحمد: حدثنا يزيد، حدثنا حميد، عن أنس قال: قال المهاجرون: يا رسول الله ما رأينا مثل قوم قدمنا عليهم أحسن مواساة في قليل ولا أحسن بذلاً في كثير، لقد كفونا المؤونة وأشركونا في المهنأ، حتى لقد خشينا أن يذهبوا بالأجر كله. قال: «لا ما أثنيتم عليهم ودعوتم الله لهم»(٢). لم أره في الكتب من هذا الوجه.

وقال البخاري: حدثنا عبد الله بن محمد، حدثنا سفيان، عن يحيى بن سعيد سمع أنس بن مالك حين خرج معه إلى الوليد قال: دعا النبي ﷺ الأنصار أن يقطع لهم البحرين. قالوا: لا إلا أن تقطع لإخواننا من المهاجرين مثلها قال: «إما لا فاصبروا حتى تلقوني فإنه سيصيبكم بعدي أثرة»(٣). تفرد به البخاري من هذا الوجه.

وقال البخاري: حدثنا الحكم بن نافع، أخبرنا شعيب، حدثنا أبو الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة قال: قالت الأنصار اقسم بيننا وبين إخواننا النخيل، قال: لا. فقالوا: أتكفوننا المؤنة ونشرككم في الثمرة. قالوا: سمعنا وأطعنا(٤). تفرد به دون مسلم. ﴿وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ

---

(١) أخرجه البخاري بسنده عن عمر ﷺ. (الصحيح، التفسير، باب ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ﴾ [الحشر: ٩] ح٤٨٨٨).

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٢٠/ ٣٦٠، ٣٦١ ح١٣٠٧٥) وصحح سنده محققوه.

(٣) أخرجه البخاري بسنده ومتنه (الصحيح، مناقب الأنصار، باب قول النبي ﷺ للأنصار: «اصبروا حتى تلقوني على الحوض» ح٣٧٩٤).

(٤) أخرجه البخاري بسنده ومتنه (الصحيح، الحرث والمزارعة، باب إذا قال: اكفني مؤونة النحل وغيره.. ح٢٣٢٥).

حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ﴾ أي: ولا يجدون في أنفسهم حسداً للمهاجرين فيما فضلهم الله به من المنزلة والشرف والتقديم في الذكر والرتبة.

قال الحسن البصري: ﴿وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً﴾ يعني: الحسد[١] ﴿مِّمَّآ أُوتُواْ﴾.

قال قتادة: يعني: فيما أُعطى إخوانهم. وكذا قال ابن زيد[٢].

ومما يستدل به على هذا المعنى ما رواه الإمام أحمد حيث قال:

حدثنا عبد الرزاق، حدثنا معمر، عن الزهري، عن أنس قال: كنا جلوساً مع رسول الله ﷺ فقال: «يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة» فطلع رجل من الأنصار تنطف لحيته من وضوئه قد علق نعليه بيده الشمال، فلما كان الغد قال رسول الله ﷺ: مثل ذلك، فطلع ذلك الرجل مثل المرة الأولى، فلما كان في اليوم الثالث قال رسول الله ﷺ: مثل مقالته أيضاً، فطلع ذلك الرجل على مثل حاله الأولى، فلما قام رسول الله ﷺ تبعه عبد الله بن عمرو بن العاص فقال: إني لاحيت[٣] أبي، فأقسمت أني لا أدخل عليه ثلاثاً، فإن رأيت أن تؤويني إليك حتى تمضي [فعلت][٤] قال: «نعم».

قال أنس: فكان عبد الله يحدث أنه بات معه تلك الليالي الثلاث فلم يره يقوم من الليل شيئاً غير أنه إذا تعار تقلب على فراشه ذكر الله وكبر حتى يقوم لصلاة الفجر قال عبد الله: غير أني لم أسمعه يقول إلا خيراً، فلما مضت الليالي الثلاث وكدت أن أحتقر عمله، قلت يا عبد الله لم يكن بيني وبين أبي غضب ولا هجرة، ولكن سمعت رسول الله ﷺ يقول لك ثلاث مرات: «يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة» فطلعت أنت الثلاث المرات، فأردت أن آوي إليك لأنظر ما عملك فأقتدي به، فلم أرك تعمل كبير عمل، فما الذي بلغ بك ما قال رسول الله ﷺ؟ قال: ما هو إلا ما رأيت، فلما وليت دعاني فقال: ما هو إلا ما رأيت غير أني لا أجد في نفسي لأحد من المسلمين غشاً ولا أحسد أحداً على خير أعطاه الله إياه. قال عبد الله: فهذه التي بلغت بك، وهي التي لا تطاق[٥]، ورواه النسائي في اليوم والليلة عن سويد بن نصر، عن ابن المبارك، عن معمر به[٦]، وهذا إسناد صحيح على شرط الصحيحين لكن رواه عقيل وغيره عن الزهري عن رجل عن أنس[٧]، فالله أعلم.

وقال عبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ﴾ يعني: مما أوتوا المهاجرين، قال: وتكلم في أموال بني النضير بعض من تكلم في

---

(١) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق أبي رجاء عن الحسن.

(٢) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

(٣) أي: نازعت.

(٤) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل بياض.

(٥) سنده صحيح وصححه الحافظ ابن كثير.

(٦) السنن الكبرىٰ، عمل اليوم والليلة، باب ما يقول إذا انتبه من منامه (ح١٠٦٩٩).

(٧) قال الحافظ ابن حجر: وذكر البيهقي في «الشعب»: أن شعيباً رواه عن الزهري، حدثنىٰ من لا اتهم، عن أنس.. ورويناه في «مكارم الأخلاق» وفي عدة أمكنة عن عبد الرزاق. وقد ظهر أنه معلول. (النكت الظراف ١/ ٣٩٥).

الأنصار فعاتبهم الله في ذلك فقال تعالى: ﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡهُمۡ فَمَآ أَوۡجَفۡتُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ خَيۡلٖ وَلَا رِكَابٖ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ۝٦﴾ قال: وقال رسول الله ﷺ: «إن إخوانكم قد تركوا الأموال والأولاد وخرجوا إليكم» فقالوا: أموالنا بيننا قطائع، فقال رسول الله ﷺ: «أو غير ذلك» قالوا: وما ذاك يا رسول الله؟ قال: «هم قوم لا يعرفون العمل فتكفونهم وتقاسمونهم الثمر» فقالوا: نعم يا رسول الله[١].

وقوله تعالى: ﴿وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ﴾ يعني: حاجة؛ أي: يقدمون المحاويج على حاجة أنفسهم ويبدءون بالناس قبلهم في حال احتياجهم إلى ذلك.

وقد ثبت في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أفضل الصدقة جهد المقلّ»[٢] وهذا المقام أعلى من حال الذين وصف الله تعالى: ﴿وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ [الإنسان: ٨].

وقوله: ﴿وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ [البقرة: ١٧٧] فإن هؤلاء تصدقوا وهم يحبون ما تصدقوا به، وقد لا يكون لهم حاجة إليه ولا ضرورة به، وهؤلاء آثروا على أنفسهم مع خصاصتهم وحاجتهم إلى ما أنفقوه، ومن هذا المقام تصدق الصديق رضي الله عنه بجميع ماله، فقال له رسول الله ﷺ: «ما أبقيت لأهلك؟» فقال رضي الله عنه: أبقيت لهم الله ورسوله[٣]، وهكذا الماء الذي عرض على عكرمة وأصحابه يوم اليرموك فكل منهم يأمر بدفعه إلى صاحبه، وهو جريح مثقل أحوج ما يكون إلى الماء، فردَّه الآخر إلى الثالث فما وصل إلى الثالث حتى ماتوا عن آخرهم، ولم يشربه أحد منهم رضي الله عنهم وأرضاهم.

وقال البخاري: حدثنا يعقوب بن إبراهيم بن كثير، حدثنا أبو أسامة، حدثنا فضيل بن غزوان، حدثنا أبو حازم الأشجعي، عن أبي هريرة قال: أتى رجل لرسول الله ﷺ فقال يا رسول الله أصابني الجهد، فأرسل إلى نسائه فلم يجد عندهن شيئاً، فقال النبي ﷺ: «ألا رجل يضيف هذه الليلة رحمه الله» فقام رجل من الأنصار فقال: أنا يا رسول الله، فذهب إلى أهله فقال لامرأته: هذا ضيف رسول الله ﷺ لا تدخريه شيئاً، فقالت: والله ما عندي إلا قوت الصبية. قال: فإذا أراد الصبية العشاء فنوميهم، وتعالي فأطفئ السراج ونطوي بطوننا الليلة، ففعلت ثم غدا الرجل على رسول الله ﷺ فقال: «لقد عجب الله عز وجل - أو ضحك - من فلان وفلانة» فأنزل الله تعالى: ﴿وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ﴾[٤]. وكذا رواه البخاري في موضع آخر ومسلم والترمذي والنسائي من طرق عن فضيل بن غزوان[٥]، وفي رواية لمسلم تسمية هذا الأنصاري

---

(١) أخرجه الطبري بسنده عن عبد الرحمٰن بن زيد، وسنده ضعيف لأنه معضل، وعبد الرحمٰن بن زيد: ضعيف.

(٢) أخرجه أبو داود من حديث عبد الله بن حبشي الخثعمي (السنن، الصلاة ح١٤٤٩) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح١٢٨٦).

(٣) أخرجه الترمذي من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه. (السنن، المناقب، باب مناقب أبي بكر الصديق ح٣٩٣٩) وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي (ح٢٩٠٢).

(٤) أخرجه البخاري بسنده ومتنه (الصحيح، التفسير، باب ﴿وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ [الحشر: ٩] ح٤٨٨٩).

(٥) صحيح البخاري، مناقب الأنصار، باب قول الله عز وجل: ﴿وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ (ح٣٧٩٨) وصحيح مسلم، الأشربة، باب إكرام الضيف وفضل إيثاره (ح٢٠٥٤/١٧٢). وسنن الترمذي، التفسير، باب ومن سورة الحشر (ح٣٣٠١)، والسنن الكبرىٰ للنسائي، التفسير، باب ﴿وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ (ح١١٥٨٢).

بأبي طلحة ﵁[١].

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ أي: من سلم من الشح فقد أفلح وأنجح. قال أحمد: حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا داود بن قيس الفراء، عن عبيد الله بن مقسم، عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال: «إياكم والظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشحَّ فإن الشحَّ أهلك مَن كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلُّوا محارمهم»[٢]. انفرد بإخراجه مسلم فرواه عن القعنبي، عن داود بن قيس به[٣].

وقال الأعمش وشعبة: عن عمرو بن مرة، عن عبد الله بن الحارث، عن زهير بن الأقمر، عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الفحش فإن الله لا يحب الفحش ولا التفحش، وإياكم والشحّ فإنه أهلك من كان قبلكم، أمرهم بالظلم فظلموا، وأمرهم بالفجور ففجروا، وأمرهم بالقطيعة فقطعوا» ورواه أحمد وأبو داود من طريق شعبة والنسائي من طريق الأعمش، كلاهما عن عمرو بن مرة به[٤].

وقال الليث: عن يزيد بن الهاد، عن سهيل بن أبي صالح، عن صفوان بن أبي يزيد، عن القعقاع بن اللجلاج، عن أبي هريرة أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «لا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في جوف عبد أبداً، ولا يجتمع الشحَّ والإيمان في قلب عبد أبداً»[٥].

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا عبدة بن سليمان، أخبرنا ابن المبارك، حدثنا المسعودي، عن جامع بن شداد، عن الأسود بن هلال قال: جاء رجل إلى عبد الله فقال: يا أبا عبد الرحمٰن إني أخاف أن أكون قد هلكت، فقال له عبد الله: وما ذاك؟ قال: سمعت الله يقول: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ وأنا رجل شحيح لا أكاد أن أخرج من يدي شيئاً، فقال عبد الله: ليس ذلك بالشحِّ الذي ذكره الله في القرآن، إنما الشحُّ الذي ذكر الله في القرآن أن تأكل مال أخيك ظلماً، ولكن ذاك البخل وبئس الشيء البخل[٦].

وقال سفيان الثوري: عن طارق بن عبد الرحمٰن، عن سعيد بن جبير، عن أبي الهيّاج الأسدي قال: كنت أطوف بالبيت فرأيت رجلاً يقول: اللَّهم قني شُحَّ نفسي لا يزيد على ذلك، فقلت له، فقال: إني إذا وقيت شحّ نفسي لم أسرق ولم أزن ولم أفعل، وإذا الرجل عبد الرحمٰن بن

---

(١) صحيح مسلم، الباب السابق (ح٢٠٥٤/ ١٧٣).

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٣/ ٣٢٣) وسنده صحيح.

(٣) صحيح مسلم، البر والصلة، باب تحريم الظلم (ح٢٥٧٨).

(٤) أخرجه الإمام أحمد عن ابن أبي عدي عن شعبة به كاملاً. (المسند ١١/ ٢٦ ح٦٤٨٧) وصحح سنده محققوه، وأخرجه أبو داود السنن، الزكاة، باب في الشح (ح١٦٩٨)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح١٤٨٩) وأخرجه النسائي في السنن الكبرىٰ، التفسير، باب ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ﴾ [الحشر: ٩] (ح١١٥٨٣).

(٥) أخرجه النسائي من طريق الليث به (السنن، الجهاد، باب فضل من عمل في سبيل الله على قدمه ٧/ ١٣) وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي (ح٢٩١٠)، وأخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي (المستدرك ٢/ ٧٢).

(٦) سنده حسن، وأخرجه الطبري من طريق المسعودي به.

عوف ﷺ. رواه ابن جرير(١).

وقال ابن جرير: حدثني محمد بن إسحاق، حدثنا سليمان بن عبد الرحمٰن الدمشقي، حدثنا إسماعيل بن عياش، حدثنا مجمع بن جارية الأنصاري، عن عمه: يزيد بن جارية، عن أنس بن مالك، عن رسول الله ﷺ قال: «بَرِئ من الشحِّ من أدّى الزكاة، وقرى الضيف، وأعطى في [النائبة»](٢)(٣).

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ هؤلاء هم: القسم الثالث ممن يستحق فقراؤهم من مال الفيء وهم: المهاجرون ثم الأنصار ثم التابعون لهم بإحسان كما قال في آية براءة ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠] فالتابعون لهم بإحسان هم المتبعون لآثارهم الحسنة وأوصافهم الجميلة الداعون لهم في السرِّ والعلانية، ولهذا قال تعالى في هذه الآية الكريمة: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ﴾ أي: قائلين ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا﴾ أي: بغضاً وحسداً ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ وما أحسن ما استنبط الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ من هذه الآية الكريمة أن الرافضي الذي يسبُّ الصحابة ليس له في مال الفيء نصيب، لعدم اتصافه بما مدح الله به هؤلاء في قولهم: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا موسى بن عبد الرحمٰن المسروقي، حدثنا محمد بن بشر، حدثنا إسماعيل بن إبراهيم بن مهاجر، عن أبيه، عن عائشة أنها قالت: أمروا أن يستغفروا لهم فسبوهم ثم قرأت هذه الآية ﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾(٤) الآية.

وقال إسماعيل بن علية، عن عبد الملك بن عمير، عن مسروق، عن عائشة قالت: أمرتم بالاستغفار لأصحاب محمد ﷺ فسببتموهم، سمعت نبيكم ﷺ يقول: «لا تذهب هذه الأمة حتى يلعن آخرها أولها» رواه البغوي(٥).

وقال أبو داود: حدثنا مسدد حدثنا إسماعيل بن إبراهيم، حدثنا أيوب، عن الزهري قال: قال عمر ﷺ: ﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ﴾ [الحشر: ٦] قال

---

(١) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده حسن.

(٢) كذا في (ح) والطبري وفي الأصل بلفظ: «النابية».

(٣) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده ضعيف لأن إسماعيل بن عياش الحمصي صدوق في روايته عن أهل بلده، مُخلط في غيرهم. (التقريب ص١٠٩) ويروي هنا عن غير أهل بلده وهو مجمع بن جارية وهو من المدينة وليس من حمص.

(٤) سنده ضعيف لضعف إسماعيل بن إبراهيم، وأبوه فيه لين. (التقريب ص٩٤ وص١٠٥).

(٥) أخرجه البغوي من طريق إسماعيل بن عُليَّة به. (معالم التنزيل ٣٢١/٤) ولشطره الأول الموقوف شاهد في صحيح مسلم (الصحيح، التفسير ح٣٠٢٢).

الزهري: قال عمر رضي الله عنه: هذه لرسول الله ﷺ خاصة وقرى عربية فدك، وكذا مما أفاء الله على رسوله من أهل القرى، فللَّه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل، وللفقراء المهاجرين الذي أخرجوا من ديارهم وأموالهم. ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالْإِيمَنَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ ﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ فاستوعبت هذه الآية الناس فلم يبق أحد من المسلمين إلا له فيها حق. قال أيوب: - أو قال: حظّ - إلا بعض من تملكون من أرقائكم[1]. كذا رواه أبو داود وفيه انقطاع.

وقال ابن جرير: حدثنا ابن عبد الأعلى، حدثنا ابن أبو ثور، عن معمر، عن أيوب، عن عكرمة بن خالد، عن مالك بن أوس بن الحدثان قال: قرأ عمر بن الخطاب: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَكِينِ﴾ حتى بلغ ﴿عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٦٠] ثم قال: هذه لهؤلاء، ثم قرأ ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى الْقُرْبَى﴾ الآية [الأنفال: ٤١]. ثم قال: هذه لهؤلاء، ثم قرأ ﴿مَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى الْقُرْبَى﴾ [الحشر: ٧] حتى بلغ ﴿لِلْفُقَرَاءِ﴾ ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالْإِيمَنَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ ﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ ثم قال: استوعبت هذه المسلمين عامة وليس أحد إلا له فيها حق ثم قال: لئن عشت ليأتين الراعي وهو بسرو حِمير نصيبه فيها لم يعرق فيها جبينه[2].

﴿۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَنِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٢﴾ لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ لَا يُقَتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾ كَمَثَلِ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٥﴾ كَمَثَلِ الشَّيْطَنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَنِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَلَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَلِدَيْنِ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَؤُا الظَّلِمِينَ ﴿١٧﴾﴾.

يخبر تعالى عن المنافقين كعبد الله بن أُبي وأضرابه حين بعثوا إلى يهود بني النضير يعدونهم النصر من أنفسهم فقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَنِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ﴾ قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَذِبُونَ﴾ أي: لكاذبون فيما وعدوهم به إما لأنهم قالوا لهم قولاً، ومن نيتهم أن لا يفوا لهم به، وإما لأنهم لا يقع منهم الذي قالوه، ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَئِن قُوتِلُوا لَا يَنصُرُونَهُمْ﴾ أي: لا يقاتلون معهم ﴿وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ﴾ أي: قاتلوا معهم ﴿لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾ وهذه بشارة مستقلة بنفسها، كقوله تعالى: ﴿لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ اللَّهِ﴾ أي: يخافون

(١) أخرجه أبو داود بسنده ومتنه (السنن، الخراج والإمارة، باب في تدوين العطاء ح٢٩٦٦) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح٢٥٧٠)، وفي سنده الزهري لم يسمع من عمر رضي الله عنه كما قرر الإمام أحمد بن حنبل (ينظر المراسيل لابن أبي حاتم ص١٩٠) وهذا التصحيح لعله بالشواهد والطرق.

(٢) سنده ضعيف لضعف عكرمة بن خالد وهو ابن سلمة بن العاص المخزومي. (التقريب ص٣٩٦).

منكم أكثر من خوفهم من الله ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً﴾ [النساء: ٧٧] ولهذا قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ ثم قال تعالى: ﴿لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭ﴾ يعني: أنهم من جبنهم وهلعهم لا يقدرون على مواجهة جيش الإسلام بالمبارزة والمقاتلة بل إما في حصون أو من وراء جدر محاصرين فيقاتلون للدفع عنهم ضرورة.

ثم قال تعالى: ﴿بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ﴾ أي: عداوتهم فيما بينهم شديدة، كما قال تعالى: ﴿وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ [الأنعام: ٦٥] ولهذا قال تعالى: ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾ أي: تراهم مجتمعين فتحسبهم مؤتلفين وهم مختلفون غاية الاختلاف.

قال إبراهيم النخعي: يعني أهل الكتاب والمنافقين ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾ ثم قال تعالى: ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٥﴾﴾.

قال مجاهد والسدي ومقاتل بن حيان: يعني كمثل ما أصاب كفار قريش يوم بدر[(١)].

وقال ابن عباس: كمثل الذين من قبلهم يعني يهود بني قينقاع[(٢)]، وكذا قال قتادة ومحمد بن إسحاق، وهذا القول أشبه بالصواب فإن يهود بني قينقاع كان رسول الله ﷺ قد أجلاهم قبل هذا.

وقوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ﴾ يعني: مثل هؤلاء اليهود في اغترارهم بالذين وعدوهم النصر من المنافقين وقول المنافقين لهم لئن قوتلتم لننصرنكم، ثم لما حقت الحقائق وجد بهم الحصار والقتال، تخلوا عنهم وأسلموهم للهلكة، مثالهم في هذا كمثل الشيطان إذ سول للإنسان - والعياذ بالله - الكفر، فإذا دخل فيما سول له تبرأ منه وتنصل وقال: ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

وقد ذكر بعضهم هٰهنا قصة لبعض عباد بني إسرائيل هي كالمثال لهذا المثل، لا أنها المرادة وحدها بالمثل، بل هي منه مع غيرها من الوقائع المشاكلة لها، فقال ابن جرير: حدثنا خلاد بن أسلم، أخبرنا النضر بن شميل، أخبرنا شعبة، عن أبي إسحاق، سمعت عبد الله بن نهيك قال: سمعت علياً رضي الله عنه يقول إن راهباً تعبَّد ستين سنة، وإن الشيطان أراده فأعياه فعمد إلى امرأة فأجنها، ولها إخوة فقال لإخوتها: عليكم بهذا القسِّ فيداويها، قال: فجاؤوا بها إليه فداواها وكانت عنده، فبينما هو يوماً عندها إذ أعجبته فأتاها فحملت، فعمد إليها فقتلها فجاء إخوتها، فقال الشيطان للراهب: أنا صاحبك إنك أعييتني أنا صنعت هذا بك فأطعني أنجك مما صنعت بك، فاسجد لي سجدة، فسجد له، فلما سجد له قال: إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين، فذلك قوله: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾﴾[(٣)].

---

(١) أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.

(٢) أخرجه الطبري بسند فيه عنعنة ابن إسحاق، وفيه ابن حميد وهو محمد بن حميد الرازي وهو ضعيف.

(٣) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وأخرجه عبد الرزاق من طريق أبي إسحاق به، وسنده صحيح، وأخرجه الحاكم من طريق عبد الرزاق به وفيه ورد اسم حميد بن عبد الله بدلاً من عبد الله بن نهيك وصححه الحاكم ووافقه الذهبي. (المستدرك ٢/ ٤٨٤، ٤٨٥).

وقال ابن جرير: حدثني يحيى بن إبراهيم المسعودي، حدثنا أبي، عن أبيه، عن جده، عن الأعمش، عن عمارة، عن عبد الرحمٰن بن يزيد، عن عبد الله بن مسعود في هذه الآية ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾﴾ قال: كانت امرأة ترعى الغنم وكان لها أربعة إخوة، وكانت تأوي بالليل إلى صومعة راهب، قال: فنزل الراهب ففجر بها فحملت، فأتاه الشيطان فقال له: اقتلها ثم ادفنها، فإنك رجل مصدق يسمع قولك، فقتلها ثم دفنها قال: فأتى الشيطان إخوتها في المنام، فقال لهم: إن الراهب صاحب الصومعة فجر بأختكم، فلما أحبلها قتلها ثم دفنها في مكان كذا وكذا، فلما أصبحوا قال رجل منهم: والله لقد رأيت البارحة رؤيا ما أدري أقصها عليكم أم أترك؟ قالوا: لا بل قصها علينا. قال فقصَّها فقال الآخر: وأنا والله لقد رأيت ذلك، فقال الآخر: وأنا والله لقد رأيت ذلك، قالوا: فوالله ما هذا إلا لشيء قال: فانطلقوا فاستعدوا ملكهم على ذلك الراهب، فأتوه فأنزلوه ثم انطلقوا به فلقيه الشيطان، فقال: إني أنا الذي أوقعتك في هذا ولن ينجيك منه غيري، فاسجد لي سجدة واحدة وأنجيك مما أوقعتك فيه، قال: فسجد له، فلما أتوا به ملكهم تبرأ منه وأخذ فقتل(١). وكذا روي عن ابن عباس وطاوس ومقاتل بن حيان نحو ذلك، واشتهر عند كثير من الناس أن هذا العابد هو برصيصا. فالله أعلم.

وهذه القصة مخالفة لقصة جُريج العابد فإن جُريجاً اتهمته امرأة بَغي بنفسها، وادعت أن حملها منه ورفعت أمرها إلى ولي الأمر فأمر به فأنزل من صومعته وخربت صومعته وهو يقول: ما لكم ما لكم؟ قالوا: يا عدو الله فعلت بهذه المرأة كذا وكذا، فقال جُريج: اصبروا ثم أخذ ابنها وهو صغير جداً، ثم قال: يا غلام من أبوك؟ قال: أبي الراعي، وكانت قد أمكنته من نفسها فحملت منه، فلما رأى بنو إسرائيل ذلك عظموه كلُّهم تعظيماً بليغاً، وقالوا: نعيد صومعتك من ذهب، قال: لا بل أعيدوها من طين كما كانت(٢).

وقوله تعالى: ﴿فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَا﴾ أي: فكان عاقبة الأمر بالكفر والفاعل له ومصيرهما إلى نار جهنم خالدين فيها ﴿وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي: جزاء كل ظالم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١٩﴾ لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾﴾.

قال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن عون بن أبي جُحَيفة، عن المنذر بن جرير، عن أبيه قال: كنا عند رسول الله ﷺ في صدر النهار، قال: فجاءه قوم حفاة عراة محتابي النمار أو العباء متقلدي السيوف، عامتهم من مُضر بل كلهم من مُضر، فتغير وجه رسول الله ﷺ لما رأى بهم من الفاقة، قال: فدخل ثم خرج، فأمر بلالاً فأذن وأقام الصلاة

---

(١) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، ويشهد له سابقه.

(٢) أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. (الصحيح، أحاديث الأنبياء، باب قول الله: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا﴾ [مريم: ١٦] ح٣٤٣٦) وهذه القصة غير القصة السابقة.

فصلى ثم خطب فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ . . .﴾ [النساء: ١] إلى آخر الآية، وقرأ الآية التي في الحشر ﴿وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ تصدق رجل من ديناره من درهمه من ثوبه من صاع بره من صاع تمره حتى قال: «ولو بشق تمرة» قال: فجاء رجل من الأنصار بصرة كادت كفه تعجز عنها، بل قد عجزت، ثم تتابع الناس حتى رأيت كومين من طعام وثياب، حتى رأيت رسول الله ﷺ يتهلَّل وجهه كأنه مُذْهَبة، فقال رسول الله ﷺ: «من سنَّ في الإسلام سُنَّة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سنَّ في الإسلام سُنَّة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من غير أن ينقص من أوزارهم شيء»[(١)]. انفرد بإخراجه مسلم من حديث شعبة بإسناده مثله[(٢)]، فقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ أمر بتقواه وهو يشمل فعل ما به أمر وترك ما عنه زجر.

وقوله تعالى: ﴿وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ أي: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وانظروا ماذا ادخرتم لأنفسكم من الأعمال الصالحة ليوم معادكم وعرضكم على ربكم ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ تأكيد ثانٍ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ أي: اعلموا أنه عالم بجميع أعمالكم وأحوالكم، لا تخفى عليه منكم خافية ولا يغيب من أموركم جليل ولا حقير.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾ أي: لا تنسوا ذكر الله تعالى: فينسيكم العمل لمصالح أنفسكم التي تنفعكم في معادكم، فإن الجزاء من جنس العمل، ولهذا قال تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ أي: الخارجون عن طاعة الله الهالكون يوم القيامة الخاسرون يوم معادهم، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾﴾ [المنافقون].

وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني: حدثنا أحمد بن عبد الوهاب بن [نجدة][(٣)] الحوطي، حدثنا المغيرة، حدثنا جرير بن عثمان، عن نعيم بن نمحة قال: كان في خطبة أبي بكر الصديق رضي الله عنه: أما تعلمون أنكم تغدون وتروحون لأجل معلوم، فمن استطاع أن يقضي الأجل وهو في عمل الله عز وجل فليفعل، ولن تنالوا ذلك إلا بالله عز وجل، إن قوماً جعلوا آجالهم لغيرهم فنهاكم الله أن تكونوا أمثالهم ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾ أين: من تعرفون من إخوانكم؟ قدموا على ما قدموا في أيام سلفهم وخلوا بالشقوة والسعادة، وأين الجبارون الأولون الذين بنوا المدائن وحصنوها بالحوائط؟ قد صاروا تحت الصخر والآبار، هذا كتاب الله لا تفنى عجائبه فاستضيئوا منه ليوم ظلمة، واستضيئوا بسنائه وبيانه، إن الله تعالى أثنى على زكريا وأهل بيته فقال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠] لا خير في قول لا يُراد به وجه الله، ولا خير في مال لا ينفق في سبيل الله، ولا خير فيمن يغلب جهله حلمه، ولا خير فيمن يخاف في الله لومة لائم[(٤)]. هذا

---

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٤/ ٣٥٨) وسنده صحيح.

(٢) صحيح مسلم، الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة (ح١٠١٧).

(٣) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل صحف إلى: «محمد».

(٤) أخرجه الطبراني بسنده ومتنه (المعجم الكبير ١/ ٦٠ ح٣٩) وقد حكم الحافظ ابن كثير بجودة سنده.

إسناد جيد ورجاله كلهم ثقات، وشيخ جرير بن عثمان وهو نعيم بن نمحة لا أعرفه بنفي ولا إثبات، غير أن أبا داود السجستاني قد حكم بأن شيوخ جرير كلهم ثقات، وقد روي لهذه الخطبة شواهد من وجوه أُخر، والله أعلم.

وقوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِيٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِۚ﴾ أي: لا يستوي هؤلاء وهؤلاء في حكم الله تعالى يوم القيامة، كما قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الجاثية] وقال تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلْمُسِىٓءُۚ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [غافر] وقال تعالى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾﴾ [ص] في آيات أخر دالات على أن الله تعالى يكرم الأبرار ويهين الفجار، ولهذا قال تعالى هٰهنا: ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾ أي: الناجون المسلمون من عذاب الله ﷻ.

﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾.

يقول تعالى معظماً لأمر القرآن ومبيناً علو قدره، وأنه ينبغي أن تخشع له القلوب وتتصدع عند سماعه، لما فيه من الوعد الحق والوعيد الأكيد: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِۚ﴾ أي: فإذا كان الجبل في غلظته وقساوته لو فهم هذا القرآن فتدبر ما فيه لخشع وتصدع من خوف الله ﷻ، فكيف يليق بكم يا أيها البشر أن لا تلين قلوبكم وتخشع وتتصدع من خشية الله، وقد فهمتم عن الله أمره وتدبرتم كتابه؟ ولهذا قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

قال العوفي، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا﴾ إلى آخرها يقول: لو أني أنزلتُ هذا القرآن على جبل حملته إياه لتصدع وخشع من ثقله ومن خشية الله، فأمر الله الناس إذا نزل عليهم القرآن أن يأخذوه بالخشية الشديدة والتخشع، ثم قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[١] وكذا قال قتادة وابن جرير[٢].

وقد ثبت في الحديث المتواتر أن رسول الله ﷺ لما عمل له المنبر، وقد كان يوم الخطبة يقف إلى جانب جذع من جذوع المسجد، فلما وضع المنبر أول ما وضع وجاء النبي ﷺ ليخطب فجاوز الجذع إلى نحو المنبر، فعند ذلك حنَّ الجذع وجعل يئنُ كما يئن الصبي الذي يسكت لما كان يسمع من الذكر والوحي عنده[٣]، ففي بعض روايات هذا الحديث قال الحسن البصري بعد

---

(١) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به، ومعناه صحيح.
(٢) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة بمعناه.
(٣) أخرجه البخاري (الصحيح، المناقب، باب علامات النبوة ح٣٥٨٣، ٣٥٨٥).

إيراده: فأنتم أحق أن تشتاقوا إلى رسول الله ﷺ من الجذع وهكذا هذه الآية الكريمة إذا كانت الجبال الصمُّ لو سمعت كلام الله وفهمته لخشعت وتصدعت من خشيته، فكيف بكم وقد سمعتم وفهمتم؟ وقد قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ الآية [الرعد: ٣١]. وقد تقدم أن معنى ذلك؛ أي: لكان هذا القرآن، وقد قال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٧٤].

ثم قال تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾﴾ أخبر تعالى أنه الذي لا إله إلا هو فلا ربَّ غيره ولا إله للوجود سواه، وكل ما يعبد من دونه فباطل، وأنه عالم الغيب والشهادة؛ أي: يعلم جميع الكائنات المشاهدات لنا والغائبات عنا، فلا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء من جليل وحقير وصغير وكبير حتى الذرّ في الظلمات.

وقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ قد تقدم الكلام على ذلك في أول التفسير بما أغنى عن إعادته هٰهنا، والمراد أنه ذو الرحمة الواسعة الشاملة لجميع المخلوقات، فهو رحمٰن الدنيا والآخرة ورحيمهما، وقد قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦] وقال تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ٥٤] وقال تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [يونس].

ثم قال تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ﴾ أي: المالك لجميع الأشياء المتصرف فيها بلا ممانعة ولا مدافعة.

وقوله تعالى: ﴿ٱلْقُدُّوسُ﴾ قال وهب بن منبه: أي الطاهر.

وقال مجاهد وقتادة: أي: المبارك(١).

وقال ابن جريج: تقدسه الملائكة الكرام ﴿ٱلسَّلَٰمُ﴾ أي: من جميع العيوب والنقائص لكماله في ذاته وصفاته وأفعاله.

وقوله تعالى: ﴿ٱلْمُؤْمِنُ﴾ قال الضحاك عن ابن عباس: أي: [أمن خلقه من](٢) أن يظلمهم(٣).

وقال قتادة: أمن بقوله أنه حق(٤).

وقال ابن زيد: صدق عباده المؤمنين في إيمانهم به(٥).

وقوله تعالى: ﴿ٱلْمُهَيْمِنُ﴾.

قال ابن عباس وغير واحد: أي: الشاهد على خلقه بأعمالهم(٦)، بمعنى هو رقيب عليهم

---

(١) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة.

(٢) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل بياض. (٣) سنده ضعيف لأن الضحاك لم يلق ابن عباس.

(٤) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٥) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد بنحوه.

(٦) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس بلفظ: «الشهيد».

كقوله: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ شَهِيدٌ﴾ [البروج: ٩]. وقوله: ﴿ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ﴾ [يونس: ٤٦] وقوله: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسِۭ بِمَا كَسَبَتْۗ﴾ الآية [الرعد: ٣٣].

وقوله تعالى: ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾ أي: الذي قد عزَّ كل شيء فقهره وغلب الأشياء فلا ينال جنابه لعزته وعظمته وجبروته وكبريائه، ولهذا قال تعالى: ﴿ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُۚ﴾ أي: الذي لا تليق الجبرية إلا له ولا التكبر إلا لعظمته، كما تقدم في الصحيح: «العظمة إزاري والكبرياء ردائي فمن نازعني واحداً منهما عذبته»[(١)].

وقال قتادة: ﴿ٱلْجَبَّارُ﴾ الذي جبر خلقه على ما يشاء[(٢)].

وقال ابن جرير: ﴿ٱلْجَبَّارُ﴾ المصلح أمور خلقه المتصرف فيهم بما فيه صلاحهم[(٣)]. وقال قتادة: ﴿ٱلْمُتَكَبِّرُۚ﴾ يعني: عن كل شر[(٤)]، ثم قال تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ وقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُۖ﴾ الخلق التقدير والبرء هو [الفري][(٥)]، وهو التنفيذ وإبراز ما قدره وقرره إلى الوجود وليس كل من قدر شيئاً ورتبه يقدر على تنفيذه وإيجاده سوى الله ﷻ. قال الشاعر[(٦)] يمدح آخر:

ولأنت تفري ما خلقت … وبعض القوم يخلق ثم لا يفري

أي: أنت تنفذ ما خلقت؛ أي: قدرت، بخلاف غيرك فإنه لا يستطيع ما يريد، فالخلق التقدير والفري التنفيذ، ومنه يقال: قدر الجلّاد ثم فرى؛ أي: قطع على ما قدره بحسب ما يريده.

وقوله تعالى: ﴿ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُۖ﴾ أي: الذي أراد شيئاً قال له كن فيكون على الصفة التي يريد، والصورة التي يختار كقوله تعالى: ﴿فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝٨﴾ [الإنفطار] ولهذا قال: ﴿ٱلْمُصَوِّرُۖ﴾ أي: الذي ينفذ ما يريد إيجاده على الصفة التي يريدها.

وقوله تعالى: ﴿لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰۚ﴾ قد تقدم الكلام على ذلك في سورة الأعراف[(٧)]. ونذكر الحديث المروي في الصحيحين عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ: «إن لله تعالى تسعة وتسعين اسماً، مائة إلا واحداً، من أحصاها دخل الجنة وهو وتر يحب الوتر». وتقدم سياق الترمذي وابن ماجه له عن أبي هريرة أيضاً وزاد بعد قوله: «وهو وتر يحب الوتر». واللفظ للترمذي: «هو الله الذي لا إله إلا هو الرحمٰن، الرحيم، الملك، القدوس، السلام، المؤمن، المهيمن، العزيز، الجبار، المتكبر، الخالق، البارئ، المصور، الغفار، القهار، الوهاب، الرزاق، الفتاح، العليم، القابض، الباسط، الخافض، الرافع، المعز، المذل، السميع، البصير، الحكم، العدل، اللطيف، الخبير، الحليم، العظيم، الغفور، الشكور، العلي، الكبير، الحفيظ، المقيت،

---

(١) أخرجه مسلم (الصحيح، البر والصلة، باب تحريم الكبر ح٢٦٢٠).

(٢) أخرجه عبد الرزاق والطبري بسند صحيح من طريق معمر عن قتادة.

(٣) ذكره الطبري.

(٤) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٥) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل صحف إلى: «الذي».

(٦) هو زهير بن أبي سلمى يمدح هرم بن سنان، والبيت في ديوانه ص٩٤.

(٧) آية ١٨٠.

الحسيب، الجليل، الكريم، الرقيب، المجيب، الواسع، الحكيم، الودود، المجيد، الباعث، الشهيد، الحق، الوكيل، القوي، المتين، الولي، الحميد، المحصي، المبدئ، المعيد، المحيي، المميت، الحي، القيوم، الواجد، الماجد، الواحد، الصمد، القادر، المقتدر، المقدم، المؤخر، الأول، الآخر، الظاهر، الباطن، الوالي، المتعالي، البر، التواب، المنتقم، العفو، الرؤوف، مالك الملك، ذو الجلال والإكرام، المقسط، الجامع، الغني، المغني، المعطي، المانع، الضار، النافع، النور، الهادي، البديع، الباقي، الوارث، الرشيد، الصبور». وسياق ابن ماجه بزيادة ونقصان وتقديم وتأخير، وقد قدمنا ذلك مبسوطاً مطولاً بطرقه وألفاظه بما أغنى عن إعادته هٰهنا[١].

وقوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ كقوله تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء] وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ أي: فلا يُرام جنابه ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ في شرعه وقدره.

وقد قال الإمام أحمد: حدثنا أبو أحمد الزبيري، حدثنا خالد يعني: ابن طهمان [أبو العلاء][٢] الخفاف، حدثنا نافع بن أبي نافع، عن معقل بن يسار، عن النبي ﷺ قال: «من قال حين يصبح ثلاث مرات: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، ثم قرأ ثلاث آيات من آخر سورة الحشر وكَّل الله به سبعين ألف مَلَك يصلون عليه حتى يُمسي، وإن مات في ذلك اليوم مات شهيداً، ومن قالها حين يُمسي كان بتلك المنزلة»[٣]. ورواه الترمذي عن محمود بن غيلان، عن أبي أحمد الزبيري به. وقال غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه[٤].

آخر تفسير سورة الحشر.

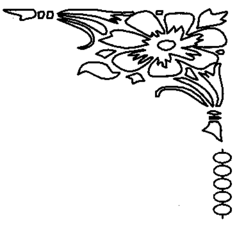
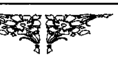
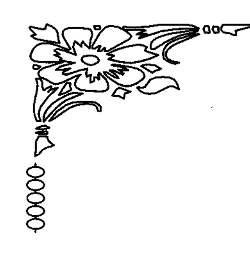
---

(١) تقدم تخريجه في تفسير سورة الأعراف آية ١٨٠.

(٢) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل صحف إلى: «أبو المعلا».

(٣) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٣٣/ ٤٢١ ح٢٠٣٠٦) وضعفه محققوه لضعف خالد بن طهمان.

(٤) أخرجه الترمذي بسنده ومتنه (السنن، ثواب القرآن، باب فضل آخر سورة الحشر ح٢٩٢٣) وسنده ضعيف. كسابقه.

سُورَةُ المُمْتَحَنَة

وهي مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ ۙ أَن تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى ۚ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ ۚ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١﴾ إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا۟ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾ لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ ۚ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣﴾﴾.

كان سبب نزول صدر هذه السورة الكريمة قصة حاطب بن أبي بلتعة، وذلك أن حاطباً هذا كان رجلاً من المهاجرين، وكان من أهل بدر أيضاً، وكان له بمكة أولاد ومال ولم يكن من قريش أنفسهم، بل كان حليفاً لعثمان، فلما عزم رسول الله ﷺ على فتح مكة لما نقض أهلها العهد، فأمر النبي ﷺ المسلمين بالتجهيز لغزوهم وقال: «اللَّهم عَمِّ عليهم خبرنا»[1] فعمِد حاطب هذا فكتب كتاباً وبعثه مع امرأة من قريش إلى أهل مكة، يعلمهم بما عزم عليه رسول الله ﷺ من غزوهم، ليتخذ بذلك عندهم يداً، فأطلع الله تعالى على ذلك رسول الله ﷺ استجابة لدعائه، فبعث في أثر المرأة فأخذ الكتاب منها، وهذا بين في هذا الحديث المتفق على صحته.

قال الإمام أحمد: حدثنا سفيان عن عمه، أخبرني حسن بن محمد بن علي، أخبرني عبد الله بن أبي رافع وقال مرة: إن عبيد الله بن أبي رافع أخبره أنه سمع علياً رضي الله عنه يقول: بعثني رسول الله ﷺ أنا والزبير والمقداد فقال: «انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ[2] فإن بها ظعينة[3] معها كتاب فخذوه منها، فانطلقنا تعادي بنا خيلنا حتى أتينا الروضة، فإذا نحن بالظعينة قلنا: أخرجي الكتاب، قالت: ما معي كتاب، قلنا لتخرجن الكتاب أو لتلقين الثياب، قال: فأخرجت الكتاب من عقاصها[4]، فأخذنا الكتاب فأتينا به رسول الله ﷺ فإذا فيه من حاطب بن أبي بلتعة إلى أناس من المشركين بمكة، يخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «يا حاطب ما هذا؟»

---

(١) أخرجه الطبراني في (المعجم الكبير ٢٣/ ٤٣٥) بسند ضعيف فيه يحيىٰ بن سليمان بن نضلة وهو ضعيف (مجمع الزوائد ٦/ ١٦٧) والقصة سردها ابن هشام (السيرة النبوية ٤/ ٨٥٢).

(٢) روضة خاخ: موضع على اثني عشر ميلاً من المدينة. والميل ثلاثة آلاف ذراع أو أربعة آلاف ذراع. (المقادير في الفقه الإسلامي ص٧٠).

(٣) أي: امرأة.

(٤) أي: من ذوائبها المضفورة.

قال: لا تعجل عليَّ إني كنت امرأً ملصقاً في قريش ولم أكن من أنفسهم، وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون أهليهم بمكة، فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم، أن أتخذ فيهم يداً يحمون بها قرابتي، وما فعلت ذلك كفراً ولا ارتداداً عن ديني ولا رضاً بالكفر بعد الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: «إنه صدقكم».

فقال عمر: دعني أضرب عنق هذا المنافق، فقال رسول الله ﷺ: «إنه قد شهد بدراً وما يدريك لعل الله اطلع إلى أهل بدر، فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم»[١]. وهكذا أخرجه الجماعة إلا ابن ماجه من غير وجه عن سفيان بن عيينة به[٢]، وزاد البخاري في كتاب المغازي: فأنزل الله السورة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾[٣] وقال في كتاب التفسير: قال عمرو: ونزلت فيه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ وقال: لا أدري الآية في الحديث أو قال عمرو[٤]. قال البخاري: قال علي يعني: ابن المديني: قيل لسفيان في هذا نزلت ﴿لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ فقال سفيان: هذا في حديث الناس حفظته من عمرو، ما تركت منه حرفاً ولا أدري أحداً حفظه غيري[٥].

وقد أخرجاه في الصحيحين من حديث حصين بن عبد الرحمٰن، عن سعد بن عبيدة، عن أبي عبد الرحمٰن السلمي، عن علي قال: بعثني رسول الله ﷺ وأبا مرثد والزبير بن العوام وكلنا فارس، وقال: انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن بها امرأة من المشركين معها كتاب من حاطب بن أبي بلتعة إلى المشركين، فأدركناها تسير على بعير لها حيث قال رسول الله ﷺ فقلنا: الكتاب؟ فقالت: ما معي كتاب، فأنخناها فالتمسنا فلم نرَ كتاباً، فقلنا: ما كذب رسول الله ﷺ لتخرجن الكتاب أو لنجردنك، فلما رأت الجدَّ أهوت إلى حجزتها وهي محتجزة بكساء فأخرجته، فانطلقنا بها إلى رسول الله ﷺ فقال عمر: يا رسول الله قد خان الله ورسوله والمؤمنين فدعني فلأضرب عنقه فقال النبي ﷺ: «ما حملك على ما صنعت؟» قال حاطب: والله ما بي إلا أن أكون مؤمناً بالله ورسوله ﷺ، أردت أن تكون لي عند القوم يد يدفع الله بها عن أهلي ومالي وليس أحد من أصحابك إلا له هناك من عشيرته من يدفع الله به عن أهله وماله، فقال: «صدق لا تقولوا له إلا خيراً».

فقال عمر: إنه قد خان الله ورسوله والمؤمنين فدعني فلأضرب عنقه، فقال: «أليس من أهل بدر؟ فقال: لعل الله قد اطلع إلى أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة ـ أو قد غفرت لكم ـ» فدمعت عينا عمر وقال: الله ورسوله، أعلم[٦]. هذا لفظ البخاري في المغازي في غزوة بدر.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ١/ ٧٩) وسنده صحيح.

(٢) صحيح البخاري، الجهاد، باب الجاسوس (ح٣٠٠٧) وصحيح مسلم، فضائل الصحابة، باب من فضائل أهل بدر ﷺ (ح٢٤٩٤).

(٣) صحيح البخاري، المغازي، باب غزوة الفتح (ح٤٢٧٤).

(٤) صحيح البخاري، التفسير، باب ﴿لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ [الممتحنة: ١] (ح٤٨٩٠).

(٥) المصدر السابق بعد الحديث رقم ٤٨٩٠ مباشرة.

(٦) أخرجه البخاري من طريق عبد الله بن إدريس عن حصين بن عبد الرحمٰن به (الصحيح، المغازي، باب فضل من شهد بدراً ح٣٩٨٣).

وقد روي من وجه آخر، عن علي قال ابن أبي حاتم: حدثنا علي بن الحسن [الهسنجاني][(١)]، حدثنا عبيد بن يعيش، حدثنا إسحاق بن سليمان الرازي، عن أبي سنان هو: سعيد بن سنان، عن عمرو بن مرة الجملي، عن أبي البحتري الطائي، عن الحارث، عن علي قال: لما أراد النبي ﷺ أن يأتي مكة أسرَّ إلى أناس من أصحابه أنه يريد مكة منهم حاطب بن أبي بلتعة، وأفشى في الناس أنه يريد خيبر، قال: فكتب حاطب بن أبي بلتعة إلى أهل مكة أن رسول الله ﷺ يريدكم، فأخبر رسول الله ﷺ، قال: فبعثني رسول الله ﷺ وأبا مرثد وليس منا رجل إلا وعنده فرس فقال: «ائتوا روضة خاخ، فإنكم ستلقون بها امرأة معها كتاب فخذوه منها».

فانطلقنا حتى رأيناها بالمكان الذي ذكر رسول الله ﷺ فقلنا لها: هاتِ الكتاب. فقالت: ما معي كتاب، فوضعنا متاعها وفتشناها فلم نجده في متاعها، فقال أبو مرثد: لعله أن لا يكون معها، فقلت: ما كذب رسول الله ﷺ ولا كذبنا، فقلنا لها: لتخرجنه أو لنعرينك. فقالت: أما تتقون الله! ألستم مسلمين! فقلنا: لتخرجنه أو لنعرينك. قال عمرو بن مرة: فأخرجته من حجزتها. وقال حبيب بن أبي ثابت: أخرجته من قبلها، فأتينا به رسول الله ﷺ فإذا الكتاب من حاطب بن أبي بلتعة، فقام عمر فقال: يا رسول الله خان الله ورسوله، فائذن لي فلأضرب عنقه، فقال رسول الله ﷺ: «أليس قد شهد بدراً؟» قالوا: بلى، وقال عمر: بلى ولكنه قد نكث وظاهر أعداءك عليك، فقال رسول الله ﷺ: «فلعلَّ الله اطَّلع إلى أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم إني بما تعملون بصير» ففاضت عينا عمر وقال: الله ورسوله أعلم فأرسل، رسول الله ﷺ إلى حاطب فقال: «يا حاطب ما حملك على ما صنعت؟» فقال: يا رسول الله إني كنت امرأً ملصقاً في قريش، وكان لي بها مال وأهل ولم يكن من أصحابك أحد إلا وله بمكة من يمنع أهله وماله، فكتبت بذلك إليهم والله يا رسول الله إني لمؤمن بالله ورسوله، فقال رسول الله ﷺ: «صدق حاطب فلا تقولوا لحاطب إلا خيراً» قال حبيب بن أبي ثابت: فأنزل الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾[(٢)] . الآية وهكذا رواه ابن جرير، عن ابن حميد، عن مهران، عن أبي سنان سعيد بن سنان بإسناده مثله[(٣)].

وقد ذكر ذلك أصحاب المغازي والسير فقال محمد بن إسحاق بن يسار في السيرة: حدثني محمد بن جعفر بن الزبير، عن عروة بن الزبير وغيره من علمائنا قال: لما أجمع رسول الله ﷺ المسير إلى مكة، كتب حاطب بن أبي بلتعة كتاباً إلى قريش يخبرهم بالذي أجمع عليه رسول الله ﷺ من الأمر في السير إليهم ثم أعطاه امرأة، زعم محمد بن جعفر أنها من مزينة، وزعم غيره أنها سارة مولاة لبني عبد المطلب وجعل لها جعلاً على أن تبلغه لقريش، فجعلته في رأسها ثم فتلت عليه قرونها، ثم خرجت به، وأتى رسول الله ﷺ الخبر من السماء بما صنع حاطب، فبعث علي بن أبي طالب والزبير بن العوام فقال: «أدركا امرأة قد كتب معها حاطب كتاباً إلى قريش يحذرهم ما قد أجمعنا له من أمرهم».

---

(١) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل: صحف إلى: «الهجاني».
(٢) سنده ضعيف لضعف الحارث وهو الأعور الكوفي كما في التقريب، ولبعضه شواهد تقدمت في الصحيح.
(٣) أخرجه الطبري عن ابن حميد به، وسنده كسابقه.

فخرجا حتى أدركاها بالحليفة، حليفة بني أبي أحمد، فاستنزلاها بالحليفة فالتمسا في رحلها فلم يجدا شيئاً، فقال لها علي بن أبي طالب: إني أحلف بالله ما كذب رسول الله وما كذبنا، ولتخرجن لنا هذا الكتاب أو لنكشفنك. فلما رأت الجدَّ منه قالت: أعرض، فأعرض فحلّت قرون رأسها فاستخرجت الكتاب منها فدفعته إليه، فأتى به رسول الله ﷺ، فدعا رسول الله ﷺ حاطباً فقال: «يا حاطب ما حملك على هذا؟» فقال: يا رسول الله أما والله إني لمؤمن بالله وبرسوله ما غيرت ولا بدلت ولكني كنت امرأً ليس لي في القوم من أهل ولا عشيرة، وكان لي بين أظهرهم ولد وأهل فصانعتهم عليهم، فقال عمر بن الخطاب: يا رسول الله دعني فلأضرب عنقه فإن الرجل قد نافق، فقال رسول الله ﷺ: «وما يدريك يا عمر؟ لعل الله قد اطلع إلى أصحاب بدر يوم بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم» فأنزل الله ﷻ في حاطب: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾ إلى قوله: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾[١] إلى آخر القصة، وروى معمر، عن الزهري، عن عروة نحو ذلك[٢]، وهكذا ذكر مقاتل بن حيان أن هذه الآيات نزلت في حاطب بن أبي بلتعة أنه بعث سارة مولاة بني هاشم، وأنه أعطاها عشرة دراهم، وأن رسول الله ﷺ بعث في أثرها عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما فأدركاها بالجحفة وذكر تمام القصة كنحو ما تقدم[٣].

وعن السدي قريباً منه، وهكذا قال العوفي، عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وغير واحد أن هذه الآيات نزلت في حاطب بن أبي بلتعة[٤].

فقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ﴾ يعني: المشركين والكفار الذين هم محاربون لله ولرسوله وللمؤمنين الذين شرع الله عداوتهم ومصارمتهم ونهى أن يتخذوا أولياء وأصدقاء وأخلاء كما قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١] وهذا تهديد شديد ووعيد أكيد وقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾﴾ [المائدة] وقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَـٰنًا مُّبِينًا ﴿١٤٤﴾﴾ [النساء] وقال تعالى: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ [آل عمران: ٢٨] ولهذا قبل رسول الله ﷺ عذر حاطب، لما ذكر أنه إنما فعل ذلك مصانعة لقريش لأجل ما كان له عندهم من الأموال والأولاد.

ويذكر هٰهنا الحديث الذي رواه الإمام أحمد: حدثنا مصعب بن سلام، حدثنا الأجلح، عن

---

(١) أخرجه الطبري من طريق ابن إسحاق به وذكره ابن هشام. (السيرة النبوية ٤/٨٥٨) وسنده مرسل.

(٢) أخرجه الطبري من طريق معمر به، وهو مرسل أيضاً.

(٣) سنده معضل.

(٤) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به، ويتقوىٰ بما سبق، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد بنحوه، وسنده مرسل ويتقوىٰ بما سبق.

قيس بن أبي مسلم، عن ربعي بن خراش سمعت حذيفة يقول: ضرب لنا رسول الله ﷺ أمثالاً واحداً وثلاثة وخمسة وسبعة وتسعة وأحد عشر، قال: فضرب لنا منها مثلاً وترك سائرها قال: «إن قوماً كانوا أهل ضعف ومسكنة قاتلهم أهل تجبر وعداء فأظهر الله أهل الضعف عليهم فعمدوا إلى عدوهم فاستعملوهم وسلطوهم، فأسخطوا الله عليهم إلى يوم يلقونه»[١].

وقوله تعالى: ﴿يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ﴾ هذا مع ما قبله من التهييج على عداوتهم وعدم موالاتهم لأنهم أخرجوا الرسول وأصحابه من بين أظهرهم كراهة لما هم عليه من التوحيد وإخلاص العبادة لله وحده، ولهذا قال تعالى: ﴿أَن تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ﴾ أي: لم يكن لكم عندهم ذنب إلا إيمانكم بالله رب العالمين كقوله تعالى: ﴿وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝٨﴾ [البروج] وكقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ [الحج: ٤٠].

وقوله تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَـٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى﴾ أي: إن كنتم كذلك فلا تتخذوهم أولياء، إن كنتم خرجتم مجاهدين في سبيلي باغين لمرضاتي عنكم، فلا توالوا أعدائي وأعداءكم وقد أخرجوكم من دياركم وأموالكم حنقاً عليكم وسخطاً لدينكم.

وقوله تعالى: ﴿تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ﴾ أي: تفعلون ذلك وأنا العالم بالسرائر والضمائر والظواهر ﴿وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ۝١ إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا۟ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ﴾ أي: لو قدروا عليكم لما اتقوا فيكم من أذى ينالونكم به بالمقال والفعال ﴿وَوَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ﴾ أي: ويحرصون على أن لا تنالوا خيراً فهم عداوتهم لكم كامنة وظاهرة فكيف توالون مثل هؤلاء؟ وهذا تهييج على عداوتهم أيضاً.

وقوله تعالى: ﴿لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُكُمْ ۚ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٣﴾ أي: قراباتكم لا تنفعكم عند الله إذا أراد الله بكم سوءاً، ونفعهم لا يصل إليكم إذا أرضيتموهم بما يسخط الله، ومن وافق أهله على الكفر ليرضيهم فقد خاب وخسر وضلَّ عمله، ولا ينفعه عند الله قرابته من أحد، ولو كان قريباً إلى نبي من الأنبياء.

قال الإمام أحمد: حدثنا عفان، حدثنا حماد، عن ثابت، عن أنس أن رجلاً قال: يا رسول الله أين أبي؟ قال: «في النار»، فلما قفى دعاه فقال: «إن أبي وأباك في النار»[٢]. ورواه مسلم وأبو داود من حديث حماد بن سلمة به[٣].

﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ۝٤ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٥ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ ۚ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ۝٦﴾.

يقول تعالى لعباده المؤمنين الذين أمرهم بمصارمة الكافرين وعداوتهم ومجانبتهم والتبري

---

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٣٨/٤٤٨ ح٢٣٤٦٣) وضعف سنده محققوه.
(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٣/٢٦٨) وسنده صحيح.
(٣) صحيح مسلم، الإيمان، باب بيان أن من مات على الكفر فهو في النار (ح٣٤٧).

منهم: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ أي: وأتباعه الذين آمنوا معه ﴿إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ﴾ أي: تبرأنا منكم ﴿وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ﴾ أي: بدينكم وطريقكم ﴿وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا﴾ يعني: وقد شرعت العداوة والبغضاء من الآن بيننا وبينكم، ما دمتم على كفركم فنحن أبداً نتبرأ منكم ونبغضكم ﴿حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ أي: إلى أن توحدوا الله فتعبدوه وحده لا شريك له وتخلعوا ما تعبدون معه من الأوثان والأنداد.

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾ أي: لكم في إبراهيم وقومه أسوة حسنة تتأسون بها إلا في استغفار إبراهيم لأبيه، فإنه إنما كان عن موعدة وعدها إياه، فلما تبيَّن له أنه عدو لله تبرأ منه، وذلك أن بعض المؤمنين كانوا يدعون لآبائهم الذين ماتوا على الشرك ويستغفرون لهم ويقولون: إن إبراهيم كان يستغفر لأبيه، فأنزل الله ﷻ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾﴾ [التوبة].

وقال تعالى في هذه الآية: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ﴾ أي: ليس لكم في ذلك أسوة؛ أي: في الاستغفار للمشركين، هكذا قال ابن عباس ومجاهد وقتادة ومقاتل بن حيان والضحاك وغير واحد[١].

ثم قال تعالى مخبراً عن قول إبراهيم والذين معه حين فارقوا قومهم وتبرءوا منهم، فلجأوا إلى الله وتضرعوا إليه فقالوا: ﴿رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ أي: توكلنا عليك في جميع الأمور وسلمنا أمورنا إليك وفوضناها إليك وإليك المصير؛ أي: المعاد في الدار الآخرة ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾.

قال مجاهد: معناه: لا تعذبنا بأيديهم ولا بعذاب من عندك فيقولوا: لو كان هؤلاء على حق ما أصابهم[٢] هذا، وكذا قال الضحاك.

وقال قتادة: لا تظهرهم علينا فيفتتنونا بذلك يرون أنهم إنما ظهروا علينا لحق هم عليه[٣]، واختاره ابن جرير.

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: لا تسلطهم علينا فيفتنونا[٤].

وقوله تعالى: ﴿وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ أي: واستر ذنوبنا عن غيرك واعف عنها فيما بيننا وبينك ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ﴾ أي: الذي لا يضام من لاذ بجنابك ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ في أقوالك

---

(١) أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد، وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة.
(٢) أخرجه آدم والطبري كسابقه.
(٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة.
(٤) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة، عن ابن عباس.

وأفعالك وشرعك وقدرك ثم قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ﴾ وهذا تأكيد لما تقدم ومستثنى منه ما تقدم أيضاً لأن هذه الأسوة المثبتة هٰهنا هي الأول بعينها.

وقوله تعالى: ﴿لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ﴾ تهييج إلى ذلك لكل مُقر بالله والمعاد، وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ﴾ أي: عما أمر الله به ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ كقوله تعالى: ﴿إِن تَكْفُرُوٓا۟ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٨].

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: الغني الذي قد كمل في غناه وهو الله، هذه صفته لا تنبغي إلا له ليس له كفء وليس كمثله شيء سبحان الله الواحد القهار الحميد المستحمد إلى خلقه؛ أي: هو المحمود في جميع أقواله وأفعاله لا إله غيره ولا ربَّ سواه.

﴿۞ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً وَٱللَّهُ قَدِيرٌ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٧ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٨ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝٩﴾.

يقول تعالى لعباده المؤمنين بعد أن أمرهم بعداوة الكافرين: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً﴾ أي: محبة بعد البغضة، ومودَّة بعد النفرة، وألفة بعد الفرقة ﴿وَٱللَّهُ قَدِيرٌ﴾ أي: على ما يشاء من الجمع بين الأشياء المتنافرة والمتباينة والمختلفة، فيؤلف بين القلوب بعد العداوة والقساوة فتصبح مجتمعة متفقة، كما قال تعالى ممتناً على الأنصار: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا﴾ الآية [آل عمران: ١٠٣] وكذا قال لهم النبي ﷺ: «ألم أجدكم ضُلّالاً فهداكم الله بي، وكنتم متفرقين فألفكم الله بي؟»[(١)] وقال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٦٢ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝٦٣﴾ [الأنفال] وفي الحديث: «أحبب حبيبك هوناً ما، فعسى أن يكون بغيضك يوماً ما، وأبغض بغيضك هوناً ما فعسى أن يكون حبيبك يوماً ما»[(٢)].

وقال الشاعر[(٣)]:

وقد يجمع الله الشتيتين بعدما   يظنان كلَّ الظنِّ أن لا تلاقيا

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ أي: يغفر للكافرين كفرهم إذا تابوا منه وأنابوا إلى ربهم

---

(١) تقدم تخريجه في سورة التوبة آية ٧٤.

(٢) أخرجه الترمذي من حديث أبي هريرة ﷺ ثم قال: حديث غريب لا نعرفه بهذا الإسناد إلا من هذا الوجه، وقد روي هذا الحديث عن أيوب بإسناد غير هذا، رواه الحسن بن أبي جعفر بإسناده عن علي عن النبي ﷺ، والصحيح عن علي موقوف قوله. (السنن، البر، باب ما جاء في الاقتصاد في الحب والبغض ح١٩٩٨).

(٣) هو قيس بن الملّوح كما في ديوانه ص٣١٥.

وأسلموا له، وهو الغفور الرحيم بكل من تاب إليه من أي ذنب كان.

وقد قال مقاتل بن حيان: إن هذه الآية نزلت في أبي سفيان صخر بن حرب، فإن رسول الله ﷺ تزوج ابنته، فكانت هذه مودَّة ما بينه وبينه، وفي هذا الذي قاله مقاتل نظر، فإن رسول الله ﷺ تزوج بأم حبيبة بنت أبي سفيان قبل الفتح، وأبو سفيان إنما أسلم ليلة الفتح بلا خلاف[١]، وأحسن من هذا ما رواه ابن أبي حاتم حيث قال: قرى على محمد بن عزيز، حدثني سلامة، حدثني عقيل، حدثني ابن شهاب أن رسول الله ﷺ استعمل أبا سفيان صخر بن حرب على بعض اليمن، فلما قُبض رسول الله ﷺ أقبل فلقي ذا الخمار مرتداً فقاتله، فكان أول من قاتل في الردَّة وجاهد عن الدين، قال ابن شهاب: وهو ممن أنزل الله فيه ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً﴾[٢] الآية.

وفي صحيح مسلم، عن ابن عباس أن أبا سفيان قال: يا رسول الله ثلاث أعطنيهن قال: «نعم» قال: تأمرني أقاتل الكفار كما كنت أقاتل المسلمين، قال: «نعم» قال: ومعاوية تجعله كاتباً بين يديك، قال: «نعم» قال: وعندي أحسن العرب وأجمله أُم حبيبة بنت أبي سفيان أزوجكها[٣] الحديث، وقد تقدم الكلام عليه.

وقوله تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ﴾ أي: يعاونوا على إخراجكم؛ أي: لا ينهاكم عن الإحسان إلى الكفرة الذين لا يقاتلونكم في الدين كالنساء والضعفة منهم ﴿أَن تَبَرُّوهُمْ﴾ أي: تحسنوا إليهم ﴿وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ﴾ أي: تعدلوا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾.

قال الإمام أحمد: حدثنا أبو معاوية، حدثنا هشام بن عروة، عن فاطمة بنت المنذر، عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: قدمت أُمي وهي مشركة في عهد قريش إذ عاهدوا، فأتيت النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله إن أُمي قدمت وهي راغبة أفأصلها؟ قال: «نعم صلي أمك»[٤]. أخرجاه[٥]. وقال الإمام أحمد: حدثنا عارم، حدثنا عبد الله بن المبارك، حدثنا مصعب بن ثابت، حدثنا عامر بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه قال: قدمت قتيلة على ابنتها أسماء بنت أبي بكر بهدايا ضِبَاب وقرظ[٦] وسمن وهي مشركة، فأبت أسماء أن تقبل هديتها وأن تدخلها بيتها. فسألت عائشة النبي ﷺ، فأنزل الله تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾ إلى آخر الآية. فأمرها أن تقبل هديتها وأن تدخلها بيتها[٧].

وهكذا رواه ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث مصعب بن ثابت به[٨]، وفي رواية لأحمد

---

(١) سنده معضل. (٢) سنده مرسل.

(٣) صحيح مسلم، فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي سفيان بن حرب (ح٢٥٠١).

(٤) أخرجه الإمام أحمد عن سفيان عن هشام به (المسند ٤٤/ ٤٨٢ ح٢٦٩١٣) وسنده صحيح.

(٥) أخرجه الشيخان من طريق أبي أسامة عن هشام به. (صحيح البخاري، الهبة، باب الهدية للمشركين ح٢٦٢٠) وصحيح مسلم، الزكاة، باب فضل النفقة والصدقة على الأقربين (ح١٠٠٣/ ٥٠).

(٦) هو ورق يدبغ به.

(٧) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه وزيادة في بيان نسب قتيلة. (المسند ٢٦/ ٣٧ ح١٦١١١) وضعف سنده محققوه لضعف مصعب بن ثابت.

(٨) أخرجه الطبري من طريق مصعب، وحكمه كسابقه.

ولابن جرير قتيلة بنت عبد العزى بن عبد أسعد من بني مالك بن حسل[١]، وزاد ابن أبي حاتم في المدة التي كانت بين قريش ورسول الله ﷺ.

وقال أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار: حدثنا عبد الله بن شبيب، حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا أبو قتادة العدوي، عن ابن أخي الزهري، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة وأسماء أنهما قالتا: قدمت علينا أمنا المدينة وهي مشركة في الهدنة التي كانت بين رسول الله ﷺ وبين قريش فقلنا: يا رسول الله إن أُمنا قدمت علينا المدينة وهي راغبة أفنصلها؟ قال: «نعم فصلاها؟» ثم قال: وهذا الحديث لا نعلمه يروى عن الزهري، عن عروة، عن عائشة إلا من هذا الوجه[٢].

قلت: وهو منكر بهذا السياق لأن أم عائشة هي: أُم رومان وكانت مسلمة مهاجرة وأم أسماء غيرها كما هو مصرح باسمها في هذه الأحاديث المتقدمة، والله أعلم.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ قد تقدم تفسير ذلك في سورة الحجرات وأورد الحديث الصحيح: «المقسطون على منابر من نور عن يمين العرش، الذين يعدلون في حكمهم وأهاليهم وما وَلوا»[٣].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ﴾ أي: إنما ينهاكم عن موالاة هؤلاء الذين ناصبوكم بالعداوة فقاتلوكم وأخرجوكم وعاونوا على إخراجكم ينهاكم الله ﷻ عن موالاتهم ويأمركم بمعاداتهم، ثم أكَّد الوعيد على موالاتهم فقال: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ كقوله تعالى: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ [المائدة].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ ۖ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ ۖ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ۖ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُوا۟ ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۚ وَلَا تُمْسِكُوا۟ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ وَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ ۖ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ وَإِن فَاتَكُمْ شَىْءٌ مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ إِلَى ٱلْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَـَٔاتُوا۟ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَٰجُهُم مِّثْلَ مَآ أَنفَقُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾﴾.

تقدم في سورة الفتح في ذكر صلح الحديبية الذي وقع بين رسول الله ﷺ وبين كفار قريش فكان فيه: على أن لا يأتيك مِنَّا رجل وإن كان على دينك إلا رددته إلينا، وفي رواية: على أنه لا يأتيك منا أحد وإن كان على دينك إلا رددته إلينا، وهذا قول عروة والضحاك وعبد الرحمٰن بن زيد والزهري ومقاتل بن حيان والسدي[٤]، فعلى هذه الرواية تكون هذه الآية مخصصة للسنة،

---

(١) المصدر قبل السابق.

(٢) أخرجه البزار بسنده ومتنه، وضعفه الحافظ ابن حجر ونقل عن الهيثمي قوله: حديث أسماء في الصحيح، وأُم عائشة غير أُم أسماء. (مختصر زوائد مسند البزار ٢/ ٢٤١ ح١٧٨٤).

(٣) تقدم تخريجه في تفسير سورة الحجرات آية ٩.

(٤) أخرجه الطبري والبيهقي (السنن الكبرىٰ ٩/ ٢٢٨) من طريق ابن إسحاق عن الزهري عن عروة بن الزبير، =

وهذا من أحسن أمثلة ذلك وعلى طريقة بعض السلف ناسخة، فإن الله ﷻ أمر عباده المؤمنين إذا جاءهم النساء مهاجرات أن يمتحنوهن، فإن علموهن مؤمنات فلا يرجعوهن إلى الكفار لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن، وقد ذكرنا في ترجمة عبد الله بن أبي أحمد بن جحش من المسند الكبير من طريق أبي بكر بن أبي عاصم، عن محمد بن يحيى الذهلي، عن يعقوب بن محمد، عن عبد العزيز بن عمران، عن مجمع بن يعقوب، عن حنين بن أبي لبانة، عن عبد الله بن أبي أحمد قال: هاجرت أم كلثوم بنت عُقبة بن أبي مُعيط في الهجرة فخرج أخواها عمارة والوليد حتى قدما على رسول الله ﷺ، فكلماه فيها أن يردَّها إليهما فنقض الله العهد بينه وبين المشركين في النساء خاصة، فمنعهم أن يردُّوهن إلى المشركين وأنزل الله آيات الامتحان(١).

قال ابن جرير: حدثنا أبو كريب، حدثنا يونس بن بكير، عن قيس بن الربيع، عن الأغر بن الصباح، عن خليفة بن حصين، عن أبي نصر الأسدي قال: سئل ابن عباس كيف كان امتحان رسول الله ﷺ النساء؟ قال: كان يمتحنهن بالله ما خرجت من بغض زوج، وبالله ما خرجت رغبة عن أرض إلى أرض، وبالله ما خرجت التماس دنيا، وبالله ما خرجت إلا حباً لله ولرسوله، ثم رواه من وجه آخر عن الأغر بن الصباح به(٢)، وكذا رواه البزار من طريقه وذكر فيه أن الذي كان يحلفهن عن أمر رسول الله ﷺ له عمر بن الخطاب.

وقال العوفي، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ﴾ وكان امتحانهن أن يشهدنَّ أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبد الله ورسوله(٣).

وقال مجاهد: ﴿فَٱمْتَحِنُوهُنَّ﴾ فاسألوهن عما جاء بهن، فإذا كان جاء بهن غضب على أزواجهن أو سخطة أو غيره ولم يؤمن فارجعوهن إلى أزواجهن(٤).

وقال عكرمة: يقال لها: ما جاء بك إلا حب الله ورسوله، وما جاء بك عشق رجل منا ولا فرار من زوجك فذلك قوله: ﴿فَٱمْتَحِنُوهُنَّ﴾(٥).

وقال قتادة: كانت محنتهن أن يستحلفن بالله ما أخرجكن النشوز وما أخرجكن إلا حب الإسلام وأهله وحرص عليه، فإذا قلن ذلك قبل ذلك منهن(٦).

= وهو مرسل وأخرجه ابن سعد من قول الزهري. (الطبقات الكبرىٰ ٨/ ٢٣١)، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن عبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم بنحوه، وهذه الروايات يقوي بعضها بعضاً.

(١) ذكره الحافظ ابن كثير في جامع المسانيد ٧/ ٢٤٣، وأخرجه ابن الأثير من طريق أبي بكر بن أبي عاصم به (أسد الغابة ٣/ ٦٧) وسنده ضعيف لضعف عبد العزيز بن عمران. (التقريب ص٣٥٨).

(٢) أخرجه الطبري بسنديهما ومتنه، وسنده ضعيف لأن أبا نصر الأسدي: مجهول (التقريب ص٦٧٨). وهو لم يسمع من ابن عباس، فقد أخرجه البزار من الطريق نفسه، وصرح الحافظ ابن حجر بالانقطاع. (مختصر زوائد مسند البزار ٢/ ١١٢ ح١٥١٧).

(٣) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به.

(٤) أخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.

(٥) أخرجه الطبري بسند فيه ابن حميد وهو محمد بن حميد الرازي وهو ضعيف.

(٦) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

وقوله تعالى: ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ﴾ فيه دلالة على أن الإيمان يمكن الاطلاع عليه يقيناً.

وقوله تعالى: ﴿لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾ هذه الآية هي التي حرمت المسلمات على المشركين وقد كان جائزاً في ابتداء الإسلام أن يتزوج المشرك المؤمنة، ولهذا كان أبو العاص بن الربيع زوج ابنة النبي ﷺ زينب ﵂، قد كانت مسلمة وهو على دين قومه، فلما وقع في الأسارى يوم بدر بعثت امرأته زينب في فدائه بقلادة لها كانت لأمها خديجة فلما رآها رسول الله ﷺ رقَّ لها رقة شديدة وقال للمسلمين: «إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها فافعلوا» ففعلوا فأطلقه رسول الله ﷺ على أن يبعث ابنته إليه، فوفَّى له بذلك وصدقه فيما وعده وبعثها إلى رسول الله ﷺ مع زيد بن حارثة ﵁[١]، فأقامت بالمدينة من بعد وقعة بدر. وكانت سنة اثنتين إلى أن أسلم زوجها أبو العاص بن الربيع سنة ثمان فردَّها عليه بالنكاح الأول، ولم يحدث لها صداقاً.

كما قال الإمام أحمد: حدثنا يعقوب، حدثنا أبي، حدثنا ابن إسحاق، حدثني داود بن الحصين، عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ ردَّ ابنته زينب على أبي العاص، وكانت هجرتها قبل إسلامه بست سنين على النكاح الأول ولم يحدث شهادة ولا صداقاً[٢]. ورواه أبو داود والترمذي وابن ماجه. ومنهم من يقول بعد سنتين، وهو صحيح؛ لأن إسلامه كان بعد تحريم المسلمات على المشركين بسنتين وقال الترمذي: ليس بإسناده بأس ولا نعرف وجه هذا الحديث ولعله جاء من حفظ داود بن الحصين، وسمعت عبد بن حميد يقول: سمعت يزيد بن هارون يذكر عن ابن إسحاق هذا الحديث وحديث ابن الحجاج يعني ابن أرطاة، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده أن رسول الله ﷺ ردّ ابنته على أبي العاص بن الربيع بمهر جديد ونكاح جديد، فقال يزيد: حديث ابن عباس أجود إسناداً والعمل على حديث عمرو بن شعيب[٣]، ثم قلت: وقد روى حديث الحجاج بن أرطاة، عن عمرو بن شعيب الإمام أحمد والترمذي وابن ماجه وضعفه الإمام أحمد وغير واحد[٤]، والله أعلم.

وأجاب الجمهور عن حديث ابن عباس بأن ذلك كان قضية عين، يحتمل أنه لم تنقض عدتها منه لأن الذي عليه الأكثرون أنها متى انقضت العدة ولم يسلم انفسخ نكاحها منه.

وقال آخرون: بل إذا انقضت العدة هي بالخيار، إن شائت أقامت على النكاح واستمرت، وإن شاءت فسخته وذهبت فتزوجت وحملوا عليه حديث ابن عباس، والله أعلم.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (المسند ٦/ ٢٧٦) وأبو داود من حديث عائشة ﵂ (السنن، الجهاد، باب في فداء الأسير بالمال ح٢٦٩٢). وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح٢٣٤١).

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٤/ ١٩٥ ح٢٣٦٦) وحسن سنده محققوه.

(٣) سنن أبي داود، الطلاق، باب إلى متىٰ ترد عليه امرأته إذا أسلم بعدها (ح٢٢٤٠) وسنن الترمذي، النكاح، باب ما جاء في الزوجين المشركين يسلم أحدهما (ح١١٤٣، ١١٤٤) وسنن ابن ماجه، النكاح، باب الزوجين يسلم أحدهما قبل الآخر (ح٢٠٠٩)، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (ح١٦٣٥).

(٤) (المسند ٢/ ٢٠٧)، وسنن الترمذي (ح١١٤٤)، وسنن ابن ماجه (ح٢٠١٠).

وقوله تعالى: ﴿وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُوا۟ۚ﴾ يعني: أزواج المهاجرات من المشركين ادفعوا إليهم الذي غرموه عليهن من الأصدقة، قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة والزهري وغير واحد.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّۚ﴾ يعني: إذا أعطيتموهن أصدقتهن فانكحوهن؛ أي: تزوجوهن بشرطه من انقضاء العدة والولي وغير ذلك.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُمْسِكُوا۟ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ﴾ تحريم من الله ﷻ على عباده المؤمنين نكاح المشركات والاستمرار معهن.

وفي الصحيح عن الزهري، عن عروة، عن المسور ومروان بن الحكم أن رسول الله ﷺ لما عاهد كفار قريش يوم الحديبية، جاءه نساء من المؤمنات فأنزل الله ﷻ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَـٰتُ مُهَـٰجِرَٰتٍ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَا تُمْسِكُوا۟ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ﴾ فطلّق عمر بن الخطاب يومئذٍ امرأتين تزوج إحداهما معاوية بن أبي سفيان والأخرى صفوان بن أُمية[١].

وقال ابن ثور: عن معمر، عن الزهري: أُنزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ وهو بأسفل الحديبية حين صالحهم، على أنه من أتاه منهم ردَّه إليهم، فلما جاء النساء نزلت هذه الآية وأمره أن يردَّ الصداق إلى أزواجهن، وحكم على المشركين مثل ذلك إذا جاءتهم امرأة من المسلمين أن يردوا الصداق إلى أزواجهن وقال: ﴿وَلَا تُمْسِكُوا۟ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ﴾[٢].

وهكذا قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وقال: وإنما حكم الله بينهم بذلك لأجل ما كان بينهم وبينهم من العهد[٣].

وقال محمد بن إسحاق، عن الزهري: طلّق عمر يومئذٍ قريبة بنت أبي أُمية بن المغيرة. فتزوجها معاوية وأُم كلثوم بنت عمرو بن جرول الخزاعية، وهي أُم عبيد الله فتزوجها أبو جهم بن حذيفة بن غانم رجل من قومه وهما على شركهما، وطلّق طلحة بن عبيد الله أروى بنت ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، فتزوجها بعده خالد بن سعيد بن العاص[٤].

وقوله تعالى: ﴿وَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقُوا۟ۚ﴾ أي: وطالبوا بما أنفقتم على أزواجكم اللاتي يذهبن إلى الكفار إن ذهبن وليطالبوا بما أنفقوا على أزواجهم اللاتي هاجرن إلى المسلمين.

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِۖ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْۚ﴾ أي: في الصلح واستثناء النساء منه والأمر بهذا كله هو حكم الله يحكم به بين خلقه ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ أي: عليم بما يصلح عباده حكيم في ذلك.

ثم قال تعالى: ﴿وَإِن فَاتَكُمْ شَىْءٌ مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ إِلَى ٱلْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَـَٔاتُوا۟ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَٰجُهُم مِّثْلَ مَآ أَنفَقُوا۟ۚ﴾ قال مجاهد وقتادة: هذا في الكفار الذين ليس لهم عهد إذا فَرَّت إليهم امرأة، ولم يدفعوا إلى زوجها شيئاً، فإذا جاءت منهم امرأة لا يدفع إلى زوجها شيء حتى يدفع إلى زوج الذاهبة

---

(١) أخرجه البخاري من طريق معمر عن الزهري مطولاً. (الصحيح، الشروط، باب الشروط في الجهاد ح٢٧٣١، ٢٧٣٢).

(٢) أخرجه الطبري عن ابن عبد الأعلى عن ابن ثور به، ورجاله ثقات لكنه مرسل. ويتقوىٰ بما سبق.

(٣) أخرجه الطبري بسند رجاله ثقات، لكنه معضل ويتقوىٰ بما سبق.

(٤) ذكره ابن هشام (السيرة النبوية ٣/ ٧٩٠) وسنده مرسل.

إليهم مثل نفقته عليها[١].

وقال ابن جرير: حدثنا يونس، حدثنا ابن وهب، أخبرني يونس، عن الزهري قال: أقرَّ المؤمنون بحكم الله فأدوا به من نفقات المشركين التي أنفقوا على نسائهم، وأبى المشركون أن يقرُّوا بحكم الله فيما فرض عليهم من أداء نفقات المسلمين[٢]، فقال الله تعالى للمؤمنين به ﴿وَإِن فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُم مِّثْلَ مَا أَنفَقُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾﴾.

فلو أنها ذهبت بعد هذه الآية امرأة من أزواج المؤمنين إلى المشركين، ردَّ المؤمنون إلى زوجها النفقة التي أنفق عليها من العقب الذي بأيديهم الذي أُمروا أن يردوه على المشركين من نفقاتهم، التي أنفقوا على أزواجهم اللاتي آمنَّ وهاجرنَّ، ثم ردُّوا إلى المشركين فضلاً إن كان بقي لهم، والعقب ما كان بقي من صداق نساء الكفار حين آمن وهاجرن.

وقال العوفي، عن ابن عباس في هذه الآية؛ يعني: إن لحقت امرأة رجل من المهاجرين بالكفار أمر له رسول الله ﷺ أنه يعطي مثل ما أنفق من الغنيمة[٣]، وهكذا قال مجاهد[٤]: ﴿فَعَاقَبْتُمْ﴾ أصبتم غنيمة من قريش أو غيرهم ﴿فَآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُم مِّثْلَ مَا أَنفَقُوا﴾ يعني: مهر مثلها. وهكذا قال مسروق وإبراهيم وقتادة ومقاتل والضحاك وسفيان بن حسين والزهري أيضاً[٥]. وهذا لا ينافي الأول لأنه إن أمكن الأول فهو الأولى وإلا فمن الغنائم اللاتي تؤخذ من أيدي الكفار، وهذا أوسع وهو اختيار ابن جرير، ولله الحمد والمنة.

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ ۙ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾.

قال البخاري: حدثنا إسحاق، حدثنا يعقوب بن إبراهيم، حدثنا ابن أخي ابن شهاب، عن عمه قال: أخبرني عروة أن عائشة زوج النبي ﷺ أخبرته أن رسول الله ﷺ كان يمتحن من هاجر إليه من المؤمنات بهذه الآية ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ﴾ إلى قوله: ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ قال عروة: قالت عائشة فمن أقرَّ بهذا الشرط من المؤمنات قال لها رسول الله: «قد بايعتكِ» كلاماً ولا واللهِ ما مسَّت يده يد امرأة في المبايعة قط، وما يبايعهن إلا بقوله: «قد بايعتك على ذلك»[٦]. هذا لفظ البخاري.

---

(١) أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة.

(٢) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، ورجاله ثقات لكنه مرسل.

(٣) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به، ويتقوىٰ بما يليه.

(٤) أخرجه عبد الرزاق والطبري بسند صحيح من طريق معمر عن ابن أبي نجيح عن مجاهد.

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة بسند صحيح من طريق مسلم بن صبيح عن مسروق. (المصنف ٣/ ٤٣٢) وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٦) أخرجه البخاري بسنده ومتنه (الصحيح، التفسير، باب ﴿إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ﴾ [الممتحنة: ١٠] ح٤٨٩١).

وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرحمٰن بن مهدي، حدثنا سفيان، عن محمد بن المنكدر، عن أميمة بنت رُقيقة قالت: أتيت رسول الله ﷺ في نساء لنبايعه، فأخذ علينا ما في القرآن أن لا نشرك بالله شيئاً، الآية وقال: «فيما استطعتن وأطقتن» قلنا: الله ورسوله أرحم بنا من أنفسنا، قلنا: يا رسول الله ألا تصافحنا؟ قال: «إني لا أصافح النساء، إنما قولي لامرأة واحدة كقولي لمائة امرأة»[(١)]. هذا إسناد صحيح. وقد رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث سفيان بن عيينة[(٢)]، والنسائي أيضاً من حديث الثوري ومالك بن أنس، كلهم عن محمد بن المنكدر عن أميمة به، وقال الترمذي: حسن صحيح لا نعرفه إلا من حديث محمد بن المنكدر، وقد رواه أحمد أيضاً من حديث محمد بن إسحاق، عن محمد بن المنكدر، عن أُميمة به وزاد: ولم يصافح منا امرأة[(٣)]، وكذا رواه ابن جرير من طريق موسى بن عقبة، عن محمد بن المنكدر به[(٤)].

ورواه ابن أبي حاتم من حديث أبي جعفر الرازي، عن محمد بن المنكدر، حدثتني أُميمة بنت رقيقة وكانت أخت خديجة خالة فاطمة من فِيها إلى فيَّ فذكره[(٥)(٦)].

وقال الإمام أحمد: حدثنا يعقوب، حدثنا أبي، عن ابن إسحاق، حدثني سليط بن أيوب بن الحكم بن سليم، عن أُمه سلمى بنت قيس، وكانت إحدى خالات رسول الله ﷺ وقد صلت معه القبلتين، وكانت إحدى نساء بني عدي بن النجار قالت: جئت رسول الله ﷺ نبايعه في نسوة من الأنصار، فلما شرط علينا ألا نشرك بالله شيئاً ولا نسرق ولا نزني ولا نقتل أولادنا ولا نأتي ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا ولا نعصيه في معروف قال: «ولا تغششن أزواجكن» قالت: فبايعناه ثم انصرفنا فقلت لامرأة منهن ارجعي فسلي رسول الله ﷺ ما غشَّ أزواجنا؟ قالت: فسألته فقال: «تأخذ ماله فتحابي به غيره»[(٧)].

وقال الإمام أحمد: حدثنا إبراهيم بن أبي العباس، حدثنا عبد الرحمٰن بن عثمان بن إبراهيم بن محمد بن حاطب، حدثني أبي، عن أُمه عائشة بنت قُدامة يعني: ابن مظعون قالت: أنا مع أُمي رائطة ابنة سفيان الخزاعية والنبي ﷺ يبايع النسوة ويقول: «أبايعكن على أن لا تشركن بالله شيئاً ولا تسرقن ولا تزنين ولا تقتلن أولادكن ولا تأتين ببهتان تفترينه بين أيديكن وأرجلكن، ولا تعصينني في معروف ـ قلن: نعم ـ فيما استطعتن» فكنَّ يقلن وأقول معهن وأُمي تقول لي: أي بنية: نعم، فكنت أقول كما يقلن[(٨)].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٦/٣٥٧) وصحح سنده الحافظ ابن كثير.

(٢) سنن الترمذي، السير، باب ما جاء في بيعة النساء (ح١٥٩٧) وسنن النسائي، البيعة، باب بيعة النساء ٧/ ١٤٩ وسنن ابن ماجه، الجهاد، باب بيعة النساء (ح٢٨٧٤) وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (ح١٣٠٠) وصحيح سنن ابن ماجه (ح٢٣٢٣).

(٣) (المسند ٦/٣٥٧).

(٤) أخرجه الطبري من طريق موسىٰ بن عقبة به.

(٥) قوله: من فيها إلى فيَّ، اصطلاح يدل على ضبط السماع ثم ضبط الأداء.

(٦) سنده ضعيف لأن أبا جعفر الرازي صدوق سيء الحفظ.

(٧) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه. (المسند ٤٥/١٠٣ ـ ١٠٤ ح٢٧١٣٣)، وضعف سنده محققوه.

(٨) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٤٦/٦١٨ ح٢٧٠٦٢) وقال محققوه: صحيح لغيره. اهـ. والأضبط أن يقال: حسن لغيره. لأن سنده ضعيف كما ذكروه، وبالشواهد والطرق يرقىٰ إلى الحسن لغيره.

وقال البخاري: حدثنا أبو معمر، حدثنا عبد الوارث، حدثنا أيوب، عن حفصة بنت سيرين، عن أم عطية قالت: بايعنا رسول الله ﷺ فقرأ علينا ﴿لَّا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا﴾ ونهانا عن النياحة فقبضت امرأة يدها قالت: أسعدتني فلانة فأريد أن أجزيها، فما قال لها رسول الله ﷺ شيئاً، فانطلقت ورجعت فبايعها[١]، ورواه مسلم[٢].

وفي رواية: فما وفَّى منهن امرأة غيرها وغير أُم سليم ابنة ملحان، وللبخاري عن أُم عطية قالت: أخذ علينا رسول الله ﷺ عند البيعة أن لا نَنوح، فما وفَّت منا امرأة غير خمسة نسوة. أُم سليم وأُم العلاء وابنة أبي سبرة امرأة معاذ وامرأتان أو ابنة أبي سبرة وامرأة معاذ وامرأة أخرى، وقد كان رسول الله ﷺ يتعاهد النساء بهذه البيعة يوم العيد، كما قال البخاري: حدثنا محمد بن عبد الرحيم، حدثنا هارون بن معروف، حدثنا عبد الله بن وهب، أخبرني ابن جريج أن الحسن بن مسلم أخبره عن طاوس، عن ابن عباس قال: شهدت الصلاة يوم الفطر مع رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان، فكلهم يصليها قبل الخطبة ثم يخطب بعد، فنزل نبي الله ﷺ فكأني أنظر إليه حين يجلس الرجال بيده، ثم أقبل يشقهم حتى أتى النساء مع بلال فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ﴾ حتى فرغ من الآية كلها، ثم قال حين فرغ: «أنتنَّ على ذلك؟»[٣] فقالت امرأة واحدة ولم يجبه غيرها: نعم يا رسول الله، لا يدري الحسن من هي، قال: فتصدقن، قال: وبسط بلال ثوبه فجعلن يلقين الفتح والخواتيم في ثوب بلال[٤].

وقال الإمام أحمد: حدثنا خلف بن الوليد، حدثنا ابن عياش، عن سليمان بن سليم، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده قال: جاءت أُميمة بنت رقيقة إلى رسول الله تبايعه على الإسلام فقال: «أبايعك على أن لا تشركي بالله شيئاً ولا تسرقي ولا ترقي ولا تزني ولا تقتلي ولدك ولا تأتي ببهتان تفترينه بين يديك ورجليك، ولا تنوحي، ولا تبرجي تبرج الجاهلية الأولى»[٥].

وقال الإمام أحمد: حدثنا سفيان، عن الزهري، عن أبي إدريس الخولاني، عن عُبادة بن الصامت قال: كنا عند رسول الله ﷺ في مجلس فقال: تبايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئاً ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم ـ قرأ الآية التي أخذت على النساء: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ﴾ فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب به فهو كفارة له، ومن أصاب من ذلك شيئاً فستره الله عليه فهو إلى الله إن شاء غفر له وإن شاء عذبه[٦]. أخرجاه في الصحيحين[٧].

---

(١) أخرجه البخاري بسنده ومتنه. (الصحيح، التفسير، باب ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ﴾ [الممتحنة: ١٢] ح٤٨٩٢).

(٢) صحيح مسلم، الجنائز، باب التشديد في النياحة (ح٩٣٦).

(٣) صحيح البخاري، الجنائز، باب ما ينهىٰ من النوح والبكاء (ح١٣٠٦).

(٤) أخرجه البخاري بسنده ومتنه (الصحيح، التفسير، باب ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ﴾ ح٤٨٩٥).

(٥) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ١١/ ٤٣٧ ح٦٨٥٠) وحسن سنده محققوه.

(٦) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند / ٣٥١، ٣٥٢ ح٢٢٦٧٨) وصحح سنده محققوه.

(٧) أخرجه الشيخان من طريق الزهري به (صحيح البخاري، الإيمان باب رقم ١١ ح١٨) وصحيح مسلم، الحدود، باب الحدود كفارات لأهلها (ح١٧٠٩).

وقال محمد بن إسحاق: عن يزيد بن أبي حبيب، عن مرثد بن عبد الله اليزني، عن أبي عبد الله عبد الرحمٰن بن عسيلة الصنابحي، عن عبادة بن الصامت قال: كنتُ فيمن حضر العقبة الأولى، وكنا اثني عشر رجلاً فبايعنا رسول الله ﷺ على بيعة النساء، وذلك قبل أن يفرض الحرب على أن لا نشرك بالله شيئاً ولا نسرق ولا نزني، ولا نقتل أولادنا ولا نأتي ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا ولا نعصيه في معروف، وقال: «فإن وفيتم فلكم الجنة»[١] رواه ابن أبي حاتم.

وقد روى ابن جرير من طريق العوفي، عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ أمر عمر بن الخطاب فقال: «قل لهنَّ إن رسول الله ﷺ يبايعكن على أن لا تشركن بالله شيئاً» وكانت هند بنت عتبة بن ربيعة التي شقت بطن حمزة متنكرة في النساء فقالت: إني إن أتكلم يعرفني وإن عرفني قتلني، وإنما تنكرت فَرَقاً[٢] من رسول الله ﷺ، فسكت النسوة اللاتي مع هند وأبين أن يتكلمن فقالت هند وهي متنكرة: كيف تقبل من النساء شيئاً لم تقبله من الرجال؟

ففطن إليها رسول لله ﷺ وقال لعمر: «قل لهنَّ ولا يسرقن» قالت هند: والله إني لأصيب من أبي سفيان الهنات ما أدري أيحلهنَّ لي أم لا؟ قال أبو سفيان: ما أصبت من شيء مضى أو قد بقي فهو لك حلال، فضحك رسول الله ﷺ وعرفها فدعاها، فأخذت بيده فعاذت به فقال: «أنت هندِ؟» قالت: عفا الله عما سلف، فصرف عنها رسول الله ﷺ فقال: «ولا يزنين» فقالت: يا رسول الله، وهل تزني امرأة حرة؟ قال: «لا والله ما تزني الحرة، قال: ولا يقتلن أولادهن» قالت هند: أنت قتلتهم يوم بدر فأنت وهم أبصر، قال: ﴿وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ﴾ قال: ﴿وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ﴾ قال: منعهن أن ينحن، وكان أهل الجاهلية يمزقن الثياب ويخدشن الوجوه ويقطعن الشعور، ويدعون بالويل والثبور[٣]. وهذا أثر غريب وفي بعضه نكارة والله أعلم، فإن أبا سفيان وامرأته لما أسلما لم يكن رسول الله يخيفهما بل أظهرا الصفاء والودَّ له، وكذلك كان الأمر من جانبه ﷺ لهما.

وقال مقاتل بن حيان: أنزلت هذه الآية يوم الفتح، بايع رسول الله ﷺ الرجال على الصفا، وعمر بايع النساء تحتها عن رسول الله ﷺ فذكر بقيته كما تقدم وزاد: فلما قال: ولا تقتلن أولادكن. قالت هند: ربيناهم صغاراً فقتلتموهم كباراً، فضحك عمر بن الخطاب حتى استلقى. رواه ابن أبي حاتم[٤]. وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا نصر بن علي، حدثتني غبطة بنت سليمان، حدثتني عمتي، عن جدتها، عن عائشة قالت: جاءت هند بنت عتبة إلى رسول الله ﷺ لتبايعه فنظر إلى يدها فقال: «اذهبي فغيري يدك» فذهبت فغيرتها بحناء ثم جاءت فقال: «أبايعك على أن لا تشركي بالله شيئاً» فبايعته وفي يدها سواران من ذهب، فقالت: ما تقول في هذين السوارين؟ فقال: «جمرتان من نار جهنم»[٥].

---

(١) ذكره ابن هشام (السيرة ٢/ ٢٩٥) ويتقوىٰ بما سبق.

(٢) أي: خوفاً.

(٣) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق عطية العوفي به.

(٤) سنده ضعيف لإعضاله.

(٥) أخرجه أبو يعلىٰ من طريق نصر بن علي به (المسند ٨/ ١٩٤ ح٤٧٥٤) قال الهيثمي: وفيه من لم أعرفهن. =

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا ابن فضيل، عن حصين، عن عامر هو: الشعبي قال: بايع رسول الله ﷺ النساء وفي يده ثوب قد وضعه على كفه ثم قال: «ولا تقتلن أولادكن» فقالت امرأة: تقتل آباءهم وتوصينا بأولادهم؟ قال، وكان بعد ذلك إذا جاء النساء يبايعنه جمعهنَّ فعرض عليهنَّ، فإذا أقررنَّ رجعنَّ[1]، فقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ﴾ أي: من جاءك منهن يبايع على هذه الشروط فبايعها ﴿عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ﴾ أموال الناس الأجانب، فأما إذا كان الزوج مقصراً في نفقتها فلها أن تأكل من ماله بالمعروف ما جرت به عادة أمثالها، وإن كان من غير علمه عملاً بحديث هند بنت عتبة أنها قالت: يا رسول الله، إن أبا سفيان رجل شحيح لا يعطيني من النفقة ما يكفيني ويكفي بني، فهل عليَّ جناح إن أخذت من ماله بغير علمه؟ فقال رسول الله ﷺ: «خذي من ماله بالمعروف ما يكفيك ويكفي بنيك» أخرجاه في الصحيحين[2].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَزْنِينَ﴾ كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾﴾ [الإسراء] وفي حديث سَمُرة: ذكر عقوبة الزناة بالعذاب الأليم في نار الجحيم[3].

وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة قالت: جاءت فاطمة بنت عتبة تبايع رسول الله ﷺ فأخذ عليها ﴿أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ﴾ الآية، قال: فوضعت يدها على رأسها حياء فأعجبه ما رأى منها، فقالت عائشة: أقري أيتها المرأة فوالله ما بايعنا إلا على هذا، قالت: فنعم إذاً، فبايعها بالآية[4].

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا بن فضيل، عن حصين، عن عامر هو: الشعبي قال: بايع رسول الله ﷺ النساء وعلى يده ثوب قد وضعه على كفه ثم قال: «ولا تقتلن أولادكن» فقالت امرأة: تقتل آباءهم وتوصي بأولادهم؟ قال: وكان بعد ذلك إذا جاءت النساء يبايعنه جمعهنَّ فعرض عليهنَّ، فإذا أقررنَّ رجعنَّ[5].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ﴾ وهذا يشمل قتله بعد وجوده كما كان أهل الجاهلية يقتلون أولادهم خشية الإملاق ويعمّ قتله وهو جنين، كما قد يفعله بعض الجهلة من النساء تطرح نفسها لئلا تحبل إما لغرض فاسد أو ما أشبهه.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ﴾ قال ابن عباس: يعني لا يلحقن بأزواجهن غير أولادهم[6]. وكذا قال مقاتل. ويؤيد هذا الحديث الذي رواه أبو داود: حدثنا

= (مجمع الزوائد ٦/ ٤٠) وأخرجه أبو داود من طريق غبطه به مختصراً (السنن، كتاب الترجل، ح٤١٦٥) وضعفه الألباني في ضعيف سنن أبي داود (ح٨٩٤).

(١) سنده ضعيف لإرساله.

(٢) صحيح البخاري، البيوع، باب من أجرى أمر الأمصار على ما يتعارفون بينهم (ح٢٢١١) وصحيح مسلم، الأقضية، باب قضية هند (ح١٧١٤).

(٣) أخرجه البخاري مطولاً. (الصحيح، التعبير، باب تعبير الرؤيا بعد صلاة الصبح ح٧٠٤٧).

(٤) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٦/ ١٥١). وسنده صحيح.

(٥) سنده ضعيف لإرساله.

(٦) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس.

أحمد بن صالح، حدثنا ابن وهب. حدثنا عمرو يعني: ابن الحارث، عن ابن الهاد، عن عبد الله بن يونس، عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة أنه سمع رسول الله ﷺ يقول حين نزلت آية الملاعنة: «أيما امرأة أدخلت على قوم من ليس منهم فليست من الله في شيء ولن يدخلها الله الجنة، وأيما رجل جحد ولده وهو ينظر إليه احتجب الله منه وفضحه على رؤوس الأولين والآخرين»(١).

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾ يعني فيما أمرتهن به من معروف ونهيتهن عنه من منكر.

قال البخاري: حدثنا عبد الله بن محمد، حدثنا وهب بن جرير، حدثنا أبي قال: سمعت الزبير، عن عكرمة، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾ قال: إنما هو شرط شرطه الله للنساء(٢).

وقال ميمون بن مهران: لم يجعل الله طاعة لنبيه إلا في المعروف والمعروف طاعة.

وقال ابن زيد: أمر الله بطاعة رسوله وهو خيرة الله من خلقه في المعروف(٣).

وقد قال غيره عن ابن عباس وأنس بن مالك وسالم بن أبي الجعد وأبي صالح وغير واحد: نهاهن يومئذٍ عن النوح(٤)، وقد تقدم حديث أم عطية في ذلك أيضاً.

وقال ابن جرير: حدثنا بشر، حدثنا يزيد، حدثنا سعيد، عن قتادة في هذه الآية ذكر لنا أن النبي ﷺ أخذ عليهن النياحة ولا تحدثن الرجال إلا رجلاً منكن محرماً، فقال عبد الرحمٰن بن عوف: يا رسول الله إن لنا أضيافاً وإنا نغيب عن نسائنا فقال رسول الله ﷺ: «ليس أولئك عنيت، ليس أولئك عنيت»(٥).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زرعة، حدثنا إبراهيم بن موسى الفراء، أخبرنا ابن أبي زائدة، حدثني مبارك، عن الحسن قال: كان فيما أخذ النبي ﷺ ألا تحدثن الرجال إلا أن تكون ذات محرم، فإن الرجل لا يزال يحدث المرأة حتى يمذي بين فخذيه(٦).

وقال ابن جرير: حدثنا ابن حميد، حدثنا هارون، عن عمرو، عن عاصم، عن ابن سيرين، عن أُم عطية الأنصارية قالت: كان فيما اشترط علينا رسول الله من المعروف حين بايعناه أن لا ننوح، فقالت امرأة من بني فلان: إن بني فلان أسعدوني فلا حتى أجزيهم، فانطلقت فأسعدتهم ثم جاءت فبايعت، قالت: فما وفى منهن غيرها وغير أُم سليم ابنة ملحان أُم أنس بن مالك(٧).

---

(١) أخرجه أبو داود بسنده ومتنه. (السنن، الطلاق، باب التغليظ في الانتفاء ح٢٢٦٣) وضعفه الألباني في ضعيف سنن أبي داود (ح٤٩٧).

(٢) أخرجه البخاري بسنده ومتنه (الصحيح، التفسير، باب ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ﴾ [الممتحنة: ١٢] ح٤٨٩٣).

(٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

(٤) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق منصور عن سالم بن أبي الجعد، وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة.

(٥) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، ورجاله ثقات لكنه مرسل، لأن قتادة لم يسمع من عبد الرحمٰن بن عوف.

(٦) سنده حسن.

(٧) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وأخرجه الإمام أحمد من طريق هشام وحبيب عن ابن سيرين به (المسند ٤٥/ ٢٨٧ ح٢٧٣٠٨) وصحح سنده محققوه.

وقد روى البخاري هذا الحديث من طريق حفصة بنت سيرين، عن أُم عطية نسيبة الأنصارية ﵂[١]. وقد روي نحوه من وجه آخر أيضاً قال ابن جرير: حدثنا أبو كريب، حدثنا أبو نعيم، حدثنا عمر بن فروخ القتاب، حدثني مصعب بن نوح الأنصاري قال: أدركت عجوزاً لنا كانت فيمن بايع رسول الله ﷺ، قالت: فأتيته لأبايعه فأخذ علينا فيما أخذ أن لا تنحن، فقالت عجوز: يا رسول الله إن أناساً قد كانوا أسعدوني على مصائب أصابتني، وإنهم قد أصابتهم مصيبة فأنا أريد أسعدهم قال: «فانطلقي فكافئيهم» فانطلقت فكافأتهم ثم إنها أتته فبايعته، وقال: هو المعروف الذي قال الله ﷻ: ﴿وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾[٢].

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أحمد بن منصور الرمادي، حدثنا القعنبي، حدثنا الحجاج بن صفوان، عن أُسيد بن أبي أسيد البراد، عن امرأة من المبايعات قالت: كان فيما أخذ علينا رسول الله ﷺ: أن لا نعصيه في معروف أن لا نخمش وجهاً، ولا ننشر شعراً، ولا نشق جيباً، ولا ندعوا ويلاً[٣].

وقال ابن جرير: حدثنا أبو كريب، حدثنا وكيع، عن يزيد مولى الصهباء، عن شهر بن حوشب، عن أم سلمة، عن رسول الله ﷺ في قول الله تعالى: ﴿وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾ قال: النوح[٤]، ورواه الترمذي في التفسير عن عبد بن حميد، عن أبي نعيم، وابن ماجه، عن أبي بكر بن أبي شيبة، عن وكيع كلاهما، عن يزيد بن عبد الله الشيباني مولى الصهباء به وقال الترمذي: حسن غريب[٥].

وقال ابن جرير: حدثنا محمد بن سنان القزاز، حدثنا إسحاق بن إدريس، حدثنا إسحاق بن عثمان أبو يعقوب، حدثني إسماعيل بن عبد الرحمٰن بن عطية، عن جدته أُم عطية قالت: لما قدم رسول الله ﷺ جمع نساء الأنصار في بيت ثم أرسل إلينا عمر بن الخطاب ﵁، فقام على الباب وسلم علينا فرددن أو فرددنا ﵇، ثم قال: أنا رسولُ رسولِ الله ﷺ إليكن قالت فقلنا: مرحباً برسول الله وبرسول رسول الله، فقال: تبايعن على أن لا تشركن بالله شيئاً ولا تسرقن ولا تزنين، قالت: فقلنا نعم، قالت فمدَّ يده من خارج الباب أو البيت ومددنا أيدينا من داخل البيت ثم قال: اللَّهم اشهد، قالت: وأمرنا في العيدين أن نخرج فيه الحُيَّض والعواتق ولا جمعة علينا، ونهانا عن اتباع الجنائز قال إسماعيل: فسألت جدتي عن قوله تعالى: ﴿وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾ قالت: النياحة[٦].

---

(١) تقدم في تفسير هذه الآية من رواية الشيخين.

(٢) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده ضعيف لجهالة مصعب بن نوح الأنصاري. (الجرح والتعديل ٨/ ٣٠٧).

(٣) سنده ضعيف لأن أُسيد بن أبي أُسيد لم يسمع من الصحابية.

(٤) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده ضعيف لضعف شهر.

(٥) سنن الترمذي، التفسير، باب ومن سورة الممتحنة (ح٣٣٠٤) وسنن ابن ماجه، الجنائز، باب النهي عن النياحة (ح١٥٧٩). وحسنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (ح١٢٨٣).

(٦) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده ضعيف لأن إسماعيل بن عبد الرحمٰن بن عطية: مقبول (التقريب ص١٠٨) ومحمد بن سنان القزاز: ضعيف. (التقريب ص٤٨٢).

وفي الصحيحين من طريق الأعمش، عن عبد الله بن مرة، عن مسروق، عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس منا من ضرب الخدود وشقَّ الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية»[١].

وفي الصحيحين أيضاً عن أبي موسى أن رسول الله ﷺ بريء من الصالقة والحالقة والشاقة[٢][٣].

وقال الحافظ أبو يعلى: حدثنا هدبة بن خالد، حدثنا أبان بن يزيد، حدثنا يحيى بن أبي كثير أن زيداً حدثه أن أبا سلام حدثه أن أبا مالك الأشعري حدثه أن رسول الله ﷺ قال: «أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن: الفخر في الأحساب والطعن في الأنساب والاستسقاء بالنجوم والنياحة على الميت، وقال: النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب»[٤]. ورواه مسلم في صحيحه منفرداً به من حديث أبان بن يزيد العطار به[٥].

وعن أبي سعيد أن رسول الله ﷺ لعن النائحة والمستمعة، رواه أبو داود[٦].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا۟ مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ ﴿١٣﴾﴾.

ينهى تبارك وتعالى عن موالاة الكافرين في آخر هذه السورة كما نهى عنها في أولها فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ يعني: اليهود والنصارى وسائر الكفار ممن غضب الله عليه ولعنه واستحق من الله الطرد والإبعاد، فكيف توالونهم وتتخذونهم أصدقاء وأخلاء وقد يئسوا من الآخرة؛ أي: من ثواب الآخرة ونعيمها في حكم الله ﷻ؟

وقوله تعالى: ﴿كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ﴾ فيه قولان:

أحدهما: كما يئس الكفار الأحياء من قراباتهم الذين في القبور أن يجتمعوا بهم بعد ذلك لأنهم لا يعتقدون بعثاً ولا نشوراً، فقد انقطع رجاؤهم منهم فيما يعتقدونه.

قال العوفي، عن ابن عباس: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ إلى آخر السورة يعني من مات من الذين كفروا فقد يئس الأحياء من الذين كفروا أن يرجعوا إليهم أو يبعثهم الله ﷻ[٧].

---

(١) صحيح البخاري، الجنائز، باب ليس منا من ضرب الخدود (ح١٢٩٧) وصحيح مسلم، الإيمان، باب تحريم ضرب الخدود (ح١٦٥).

(٢) الصالقة هي: التي ترفع صوتها، والحالقة: التي تحلق شعرها، والشاقة: التي تشق الجيوب.

(٣) صحيح البخاري، الجنائز، باب ما ينهىٰ عن الحلق عند المصيبة (ح١٢٩٦) وصحيح مسلم، الباب السابق (ح١٦٧).

(٤) أخرجه أبو يعلىٰ بسنده ومتنه (المسند ٣/١٤٨ ح١٥٧٧) وسنده صحيح.

(٥) صحيح مسلم، الجنائز، باب التشديد في النياحة (ح٩٣٤).

(٦) أخرجه أبو داود من طريق عطية العوفي عن أبي سعيد (السنن، الجنائز، باب في النوح ح٣١٢٨)، وسنده ضعيف لضعف عطية.

(٧) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به.

وقال الحسن البصري: ﴿كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ﴾ قال: الكفار الأحياء قد يئسوا من الأموات[١].

وقال قتادة: كما يئس الكفار أن يرجع إليهم أصحاب القبور الذين ماتوا[٢]. وكذا قال الضحاك[٣]، رواهن ابن جرير.

والقول الثاني: معناه: كما يئس الكفار الذين هم في القبور من كل خير، قال الأعمش: عن أبي الضحى، عن مسروق، عن ابن مسعود ﴿كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ﴾ قال: كما يئس هذا الكافر إذا مات وعاين ثوابه واطلع عليه[٤]، وهذا قول مجاهد وعكرمة ومقاتل وابن زيد والكلبي ومنصور[٥]، وهو اختيار ابن جرير رَحِمَهُ اللهُ.

آخر تفسير سورة الممتحنة، ولله الحمد والمنة.

---

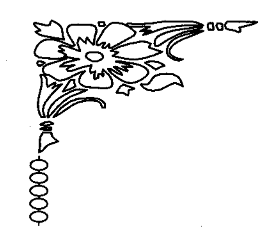
(١) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق منصور بن زاذان عن الحسن.

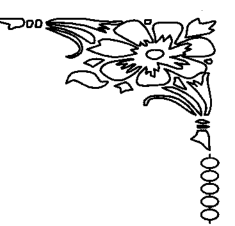
(٢) أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة.

(٣) أخرجه الطبري بسند ضعيف فيه إبهام شيخه، ويتقوىٰ بما سبق.

(٤) سنده صحيح.

(٥) أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق الحكم عن مجاهد، وأخرجه ابن أبي شيبة بسند صحيح من طريق سماك عن عكرمة (المصنف ١٣/ ٥٧١) وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.





سُورَةُ الصَّفِّ

وهي مدنية

قال الإمام أحمد: حدثنا يحيى بن آدم، حدثنا ابن المبارك، عن الأوزاعي، عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلمة، وعن عطاء بن يسار، عن أبي سلمة، عن عبد الله بن سلام قال: تذاكرنا أيكم يأتي رسول الله ﷺ، فيسأله أي الأعمال أحبّ إلى الله؟ فلم يقم أحد منا، فأرسل رسول الله ﷺ إلينا رجلاً، فجمعنا، فقرأ علينا هذه السورة يعني: سورة الصف كلها[(١)]. هكذا رواه الإمام أحمد. وقال ابن أبي حاتم: حدثنا العباس بن الوليد بن مَزْيد البيروتي قراءة، قال أخبرني أبي، سمعت الأوزاعي، حدثني يحيى بن أبي كثير، حدثني أبو سلمة بن عبد الرحمٰن، حدثني عبد الله بن سلام أن أناساً من أصحاب رسول الله ﷺ قالوا: لو أرسلنا إلى رسول الله نسأله عن أحبِّ الأعمال إلى الله ﷻ، فلم يذهب إليه أحد منا وهبنا أن نسأله عن ذلك، قال: فدعا رسول الله ﷺ أولئك النفر رجلاً رجلاً حتى جمعهم، ونزلت فيهم هذه السورة ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ﴾ الصف. قال عبد الله بن سلام: فقرأها علينا رسول الله ﷺ كلَّها.

قال أبو سلمة: وقرأها علينا عبد الله بن سلام كلها.

قال يحيى بن أبي كثير: وقرأها علينا أبو سلمة كلها. قال الأوزاعي: وقرأها علينا يحيى بن أبي كثير كلها، قال أبي وقرأها علينا الأوزاعي كلها، وقد رواه الترمذي، عن عبد الله بن عبد الرحمٰن الدارمي، حدثنا محمد بن كثير، عن الأوزاعي، عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلمة، عن عبد الله بن سلام قال: قعدنا نفراً من أصحاب رسول الله ﷺ فتذاكرنا فقلنا: لو نعلم أي الأعمال أحبّ إلى الله ﷻ لعملناه، فأنزل الله تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢﴾ قال عبد الله بن سلام: فقرأها علينا رسول الله ﷺ. قال أبو سلمة: فقرأها علينا ابن سلام، قال يحيى: فقرأها علينا أبو سلمة، قال ابن كثير: فقرأها علينا الأوزاعي، قال عبد الله: فقرأها علينا ابن كثير[(٢)]. ثم قال الترمذي، وقد خولف محمد بن كثير في إسناد هذا الحديث عن الأوزاعي، فروى ابن المبارك عن الأوزاعي، عن يحيى بن أبي كثير، عن هلال بن أبي ميمونة، عن عطاء بن يسار، عن عبد الله بن سلام أو عن أبي سلمة، عن عبد الله بن سلام[(٣)].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٣٩/ ٢٠٥ ح٢٣٧٨٨) وصحح سنده محققوه.

(٢) سنده صحيح وأخرجه الإمام أحمد عن يعمر عن عبد الله بن المبارك عن الأوزاعي به. (المسند ٣٩/ ٢٠٦ ح٢٣٧٨٩) وصحح سنده محققوه.

(٣) سنن الترمذي، التفسير، باب ومن سورة الصف (ح٣٣٠٦) وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (ح٢٦٣٦).

قلت: وهكذا رواه الإمام أحمد، عن يَعمَر، عن ابن المبارك به[١]، قال الترمذي وروى الوليد بن مسلم هذا الحديث عن الأوزاعي نحو رواية محمد بن كثير.

قلت: وكذا رواه الوليد بن يزيد، عن الأوزاعي كما رواه ابن كثير.

قلتُ: وقد أخبرني بهذا الحديث الشيخ المسند أبو العباس أحمد بن أبي طالب الحجار قراءة عليه، وأنا أسمع، أخبرنا أبو المُنَّجا عبد الله بن عمر بن اللتي، أخبرنا أبو الوقت عبد الأول بن عيسى بن شعيب السجزي قال: أخبرنا أبو الحسن بن عبد الرحمٰن بن المظفر بن محمد بن داود الداودي، أخبرنا أبو محمد عبد الله بن أحمد بن حمويه السرخسي، أخبرنا عيسى بن عمران السمرقندي. أخبرنا الإمام الحافظ أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمٰن الدارمي بجميع مسنده، أخبرنا محمد بن كثير عن الأوزاعي فذكر بإسناده مثله[٢]، وتسلسل لنا قراءتها إلى شيخنا أبي العباس الحجار ولم يقرأها لأنه كان أُمياً، وضاق الوقت عن تلقينها إياه ولكن أخبرني الحافظ الكبير أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، أخبرنا القاضي تقي الدين بن سليمان بن الشيخ أبي عمر، أخبرنا أبو المُنَّجا بن اللَّتِّي، فذكره بإسناده وتسلسل لي من طريقه وقرأها عليَّ بكمالها، ولله الحمد والمنة.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٣ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ۝٤﴾.

قد تقدم الكلام على قوله تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١﴾ غير مرة بما أغنى عن إعادته. وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢﴾ إنكار على من يعد وعداً أو يقول قولاً لا يفي به، ولهذا استدل بهذه الآية الكريمة من ذهب من علماء السلف إلى أنه يجب الوفاء بالوعد مطلقاً، سواء ترتب عليه عزم الموعود أم لا، واحتجوا أيضاً من السنة بما ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «آية المنافق ثلاث: إذا وعد أخلف، وإذا حدث كذب، وإذا أؤتمن خان»[٣].

وفي الحديث الآخر في الصحيح: «أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً ومن كانت فيه واحدة منهن كانت فيه خصلة من نفاق حتى يدعها» فذكر منهن إخلاف الوعد[٤]، وقد استقصينا الكلام

---

(١) تقدم تخريجه في الرواية قبل السابقة.

(٢) أخرجه الدارمي عن محمد بن كثير عن الأوزاعي به. (السنن، الجهاد، باب الجهاد في سبيل الله أفضل الأعمال ٢/ ٢٠٠)، وأخرجه الحاكم من طريق الأوزاعي به وصححه ووافقه الذهبي (المستدرك ٢/ ٦٩) قال الحافظ ابن حجر: وقد وقع لنا سماع هذه السورة مسلسلاً في حديث ذكر في أوله سبب نزولها، وإسناده صحيح. (فتح الباري ٨/ ٦٤١).

(٣) تقدم تخريجه في تفسير سورة البقرة آية ١٧٧.

(٤) أخرجه الشيخان من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، (صحيح البخاري، الإيمان، باب علامة =

على هذين الحديثين في أول شرح البخاري ولله الحمد والمنة، ولهذا أكّد الله تعالى هذا الإنكار عليهم بقوله تعالى: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾﴾.

وقد روى الإمام أحمد وأبو داود، عن عبد الله بن عامر بن ربيعة قال: أتانا رسول الله ﷺ وأنا صبي فذهبت لأخرج لألعب فقالت أمي: يا عبد الله تعالَ أعطك. فقال لها رسول الله ﷺ: «وما أردت أن تعطيه؟» قالت: تمراً. فقال: «أما إنك لو لم تفعلي كتبت عليك كذبة»[(١)].

وذهب الإمام مالك رحمه الله تعالى إلى أنه إذا تعلق بالوعد غرم على الموعود وجب الوفاء به كما لو قال لغيره تزوج ولك علي كل يوم كذا فتزوج وجب عليه أن يعطيه ما دام كذلك؛ لأنه تعلق به حق آدمي وهو مبني على المضايقة، وذهب الجمهور إلى أنه لا يجب مطلقاً، وحملوا الآية على أنها نزلت حين تمنوا فريضة الجهاد عليهم فلما فرض نكل عنه بعضهم كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓا۟ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ۚ وَقَالُوا۟ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ ۗ قُلْ مَتَـٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾ أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ [النساء].

وقال تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ ۖ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ ۙ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ﴾ الآية [محمد: ٢٠]. وهكذا هذه الآية معناها كما قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾﴾ قال: كان ناس من المؤمنين قبل أن يفرض الجهاد يقولون: لوددنا أن الله ﷻ: دلّنا على أحبِّ الأعمال إليه فنعمل به، فأخبر الله نبيه أن أحبَّ الأعمال إيمان به لا شك فيه، وجهاد أهل معصيته الذين خالفوا الإيمان ولم يقرُّوا به، فلما نزل الجهاد كره ذلك ناس من المؤمنين وشقَّ عليهم أمره فقال الله ﷻ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾﴾[(٢)] وهذا اختيار ابن جرير.

وقال مقاتل بن حيان: قال المؤمنون: لو نعلم أحب الأعمال إلى الله لعملنا به، فدلَّهم الله على أحبِّ الأعمال إليه فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا﴾ فبيَّن لهم فابتلوا يوم أُحد بذلك، فولوا عن النبي ﷺ مدبرين، فأنزل الله في ذلك: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾، وقال: أحبكم إلي من قاتل في سبيلي[(٣)].

ومنهم من يقول: أنزلت في شأن القتال، يقول الرجل: قاتلت ولم يقاتل، وطعنت ولم يطعن، وضربت ولم يضرب، وصبرت ولم يصبر[(٤)].

وقال قتادة والضحاك: نزلت توبيخاً لقوم كانوا يقولون قتلنا وضربنا وطعنا وفعلنا، ولم يكونوا

= المنافق ح٣٤، وصحيح مسلم، الإيمان، باب بيان خصال المنافق ح١٠٦).

(١) أخرجه أبو داود (السنن، الأدب، باب في التشديد في الكذب ح٤٩٩١) وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح٤١٧٦)، وأخرجه الإمام أحمد (المسند ٢٤/ ٤٧٠ ح١٥٧٠٢) وقال محققوه: حسن لغيره.

(٢) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق علي به.

(٣) عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم، وسنده ضعيف لإعضاله.

(٤) أخرجه عبد الرزاق عن معمر عن قتادة، ورجاله ثقات لكنه مرسل.

فعلوا ذلك[١].

وقال ابن زيد: نزلت في قوم من المنافقين كانوا يعدون المسلمين النصر ولا يفون لهم بذلك[٢].

وقال مالك، عن زيد بن أسلم: ﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ قال: في الجهاد[٣].

وقال ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ إلى قوله: ﴿كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ﴾ فما بين ذلك في نفر من الأنصار فيهم عبد الله بن رواحة قالوا في مجلس لو نعلم أي الأعمال أحب إلى الله لعملنا بها حتى نموت فأنزل الله تعالى هذا فيهم، فقال عبد الله بن رواحة: لا أبرح حبيساً في سبيل الله حتى أموت، فقُتل شهيداً[٤].

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا فروة بن أبي المغراء، حدثنا علي بن مسهر، عن داود بن أبي هند، عن أبي حرب بن أبي الأسود الديلي، عن أبيه قال: بعث أبو موسى إلى قراء أهل البصرة، فدخل عليه منهم ثلاثمائة رجل كلهم قد قرأ القرآن، فقال: أنتم قراء أهل البصرة وخيارهم. وقال: كنا نقرأ سورة كنا نشبهها بإحدى المسبحات فأنسيناها غير أني قد حفظت منها ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢﴾ فتكتب شهادة في أعناقكم فتسألون عنها يوم القيامة[٥]، ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ۝٤﴾ فهذا إخبار من الله تعالى بمحبته عباده المؤمنين إذا صفوا مواجهين لأعداء الله في حومة الوغى، يقاتلون في سبيل الله من كفر بالله لتكون كلمة الله هي العليا ودينه هو الظاهر العالي على سائر الأديان.

قال الإمام أحمد: حدثنا علي بن عبد الله، حدثنا هشيم، أخبرنا مجالد، عن أبي الودَّاك، عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة يضحك الله إليهم: الرجل يقوم من الليل، والقوم إذا صفوا للصلاة، والقوم إذا صفوا للقتال»[٦]. ورواه ابن ماجه من حديث مجالد، عن أبي الودَّاك جبر بن نوف به[٧].

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا أبو نعيم الفضل بن دكين، حدثنا الأسود يعني: ابن شيبان، حدثني يزيد بن عبد الله بن الشخير قال: قال مطرف: كان يبلغني عن أبي ذرٍّ حديث كنت أشتهي لقاءه فلقيته، فقلت: يا أبا ذرّ كان يبلغني عنك حديث فكنت أشتهي لقاءك، فقال: لله أبوك فقد لقيت فهات، فقلت: كان يبلغني عنك أنك تزعم أن رسول الله ﷺ حدثكم أن الله يبغض ثلاثة ويحب ثلاثة، قال: أجل فلا إخالني أكذب على خليلي ﷺ قلت: فمن هؤلاء الثلاثة الذين يحبهم الله ﷻ؟ فقال: رجل غزا في سبيل الله خرج محتسباً مجاهداً فلقي العدو فقتل وأنتم

---

(١) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة بنحوه، وأخرجه أيضاً بسند ضعيف عن الضحاك فيه إبهام شيخ الطبري.

(٢) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد بنحوه.

(٣) سنده صحيح.

(٤) أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد لكنه مرسل.

(٥) سنده صحيح.

(٦) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ١٨/ ٢٨٤ ح١١٧٦١) وضعف سنده محققوه لضعف مجالد.

(٧) سنن ابن ماجه، المقدمة، باب فيما أنكرت الجهمية (ح٢٠٠) وسنده كسابقه.

تجدونه في كتاب الله المنزل ثم قرأ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ۝﴾[١]. وذكر الحديث هكذا أورد هذا الحديث من هذا الوجه بهذا السياق، وهذا اللفظ واختصره، وقد أخرجه الترمذي والنسائي من حديث شعبة، عن منصور بن المعتمر، عن ربعي بن حراش، عن زيد بن ظبيان، عن أبي ذرٍّ بأبسط من هذا السياق وأتم[٢]، وقد أوردناه في موضع آخر ولله الحمد.

وعن كعب الأحبار أنه قال: يقول الله تعالى لمحمد ﷺ: «عبدي المتوكل المختار ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويغفر، مولده بمكة، وهجرته بطابة، وملكه الشام، وأمته الحمادون يحمدون الله على كل حال، وفي كل منزلة لهم دوي كدوي النحل في جو السماء بالسحر، يوضون أطرافهم ويأتزرون على أنصافهم صفهم في القتال مثل صفهم في الصلاة» ثم قرأ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ۝﴾ «رعاة الشمس يصلون الصلاة حيث أدركتهم لو على ظهر دابة»[٣]. رواه ابن أبي حاتم.

وقال سعيد بن جبير في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا﴾ قال: كان رسول الله ﷺ لا يقاتل العدو إلا أن يصافهم[٤]، وهذا تعليم من الله للمؤمنين. قال: وقوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾ أي: ملتصق بعضه في بعض من الصف في القتال.

وقال مقاتل بن حيان: ملتصق بعضه إلى بعض[٥].

وقال ابن عباس: ﴿كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾ مثبت لا يزول ملصق بعضه ببعض[٦].

وقال قتادة: ﴿كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾ ألم تر إلى صاحب البنيان كيف لا يحب أن يختلف بنيانه؟ فكذلك الله ﷻ لا يحب أن يختلف أمره وإن الله صفَّ المؤمنين في قتالهم، وصفَّهم في صلاتهم، فعليكم بأمر الله فإنه عصمة لمن أخذ به[٧]، أورد ذلك كله ابن أبي حاتم.

وقال ابن جرير: حدثني سعيد بن عمرو السكوني، حدثنا بقية بن الوليد، عن أبي بكر بن أبي مريم، عن يحيى بن جابر الطائي، عن أبي بحرية قال: كانوا يكرهون القتال على الخيل ويستحبون القتال على الأرض لقول الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ۝﴾ قال: وكان أبو بحرية يقول: إذا رأيتموني ألتفت في الصف فجئوا[٨] في لحيي[٩].

---

(١) سنده صحيح.

(٢) سنن الترمذي، صفة الجنة، باب ثلاثة يحبهم الله (ح٥٧٠)، وقال الترمذي: والصحيح ما روي عن شعبة وغيره عن منصور عن ربعي بن خراش عن زيد بن ظبيان عن أبي ذر عن النبي ﷺ. وضعفه الألباني في ضعيف سنن الترمذي (ح٤٧١).

(٣) سنده ضعيف لإرساله ولأوله شواهد تقويه.

(٤) سنده ضعيف لإرساله.

(٥) معناه صحيح.

(٦) عزاه السيوطي إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٧) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٨) أي: ادفعوا.

(٩) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده ضعيف لضعف أبي بكر بن أبي مريم. (التقريب ص٦٢٣).

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ۝٥ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝٦﴾.

يقول تعالى مخبراً عن عبده ورسوله وكليمه موسى بن عمران ﷺ أنه قال لقومه: ﴿لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾ أي: لم توصلون الأذى إلي وأنتم تعلمون صدقي فيما جئتكم به من الرسالة. وفي هذا تسلية لرسول الله ﷺ فيما أصابه من الكفار من قومه وغيرهم، وأمر له بالصبر ولهذا قال: «رحمة الله على موسى: لقد أوذي بأكثر من هذا فصبر»[١] وفيه نهي للمؤمنين أن ينالوا من النبي ﷺ أو يوصلوا إليه أذى كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟ ۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ۝٦٩﴾ [الأحزاب] وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ﴾ أي: فلما عدلوا عن اتباع الحق مع علمهم به أزاغ الله قلوبهم عن الهدى وأسكنها الشك والحيرة والخذلان كما قال تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ۝١١٠﴾ [الأنعام] وقال تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ۝١١٥﴾ [النساء] ولهذا قال تعالى في هذه الآية ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ يعني: التوراة قد بشرت بي وأنا مصداق ما أخبرت عنه، وأنا مبشر بمن بعدي وهو الرسول النبي الأمي العربي المكي أحمد. فعيسى ﷺ هو خاتم أنبياء بني إسرائيل، وقد أقام في ملأ بني إسرائيل مبشراً بمحمد وهو أحمد خاتم الأنبياء والمرسلين الذي لا رسالة بعده ولا نبوة، وما أحسن ما أورد البخاري الحديث الذي قال فيه: حدثنا أبو اليمان، حدثنا شعيب، عن الزهري قال: أخبرني محمد بن جبير بن مطعم، عن أبيه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن لي أسماء أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحي الذي يمحو الله به الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وأنا العاقب». ورواه مسلم من حديث الزهري به نحوه[٢].

وقال أبو داود الطيالسي: حدثنا المسعودي، عن عمرو بن مرة، عن أبي عبيدة، عن أبي موسى قال: سمى لنا رسول الله ﷺ نفسه أسماء منها ما حفظنا فقال: «أنا محمد وأنا أحمد والحاشر والمقفي ونبي الرحمة والتوبة والملحمة»[٣]. ورواه مسلم من حديث الأعمش، عن عمرو بن مرة به[٤]، وقد قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ﴾ الآية [الأعراف: ١٥٧]، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ

---

(١) تقدم تخريجه في تفسير سورة الأحزاب آية ٦٩.
(٢) تقدم تخريجه في تفسير سورة الأحزاب آية ٤٠.
(٣) أخرجه أبو داود الطيالسي بسنده ومتنه بدون نبي الرحمة (المسند ص٦٧ رقم ٤٩٢)، وسنده حسن.
(٤) أخرجه مسلم من طريق الأعمش به وفيه «نبي الرحمة» بدلاً من «نبي الملحمة». (الصحيح، الفضائل، باب في أسمائه ﷺ ح٢٣٥٥).

﴿وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ [آل عمران] قال ابن عباس: ما بعث الله نبياً إلا أخذ عليه العهد لئن بعث محمد وهو حي ليتبعنه وأخذ عليه أن يأخذ على أُمته لئن بعث محمد وهم أحياء ليتبعنه وينصرنه.

وقال محمد بن إسحاق: حدثني ثور بن يزيد، عن خالد بن معدان، عن أصحاب رسول الله ﷺ أنهم قالوا: يا رسول الله أخبرنا عن نفسك قال: «دعوة أبي إبراهيم، وبشرى عيسى، ورأت أمي حين حملت بي كأنه خرج منها نور أضاءت له قصور بُصرى من أرض الشام»(١). وهذا إسناد جيد وروي له شواهد من وجوه أخر، فقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرحمٰن بن مهدي، حدثنا معاوية بن صالح، عن سعيد بن سويد الكلبي، عن عبد الأعلى بن هلال السلمي، عن العرباض بن سارية قال: قال رسول الله ﷺ: «إني عند الله لخاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته وسأنبئكم بأول ذلك دعوة أبي إبراهيم وبشارة عيسى بي ورؤيا أُمي التي رأت، وكذلك أُمهات النبيين يرين»(٢).

وقال أحمد أيضاً: حدثنا أبو النضر، حدثنا الفرج بن فضالة، حدثنا لقمان بن عامر قال: سمعت أبا أُمامة قال: قلت يا رسول الله ما كان بدء أمرك؟ قال: «دعوة أبي إبراهيم وبشرى عيسى ورأت أمي أنه يخرج منها نور أضاءت له قصور الشام»(٣).

وقال أحمد أيضاً: حدثنا حسن بن موسى، سمعت خُديجاً أخا زهير بن معاوية، عن أبي إسحاق، عن عبد الله بن عتبة، عن عبد الله بن مسعود قال: بعثنا رسول الله ﷺ إلى النجاشي ونحن نحو من ثمانين رجلاً منهم عبد الله بن مسعود وجعفر وعبد الله بن [عرفطة](٤) وعثمان بن مظعون وأبو موسى، فأتوا النجاشي وبعثت قريش عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد بهدية، فلما دخلا على النجاشي سجدا له ثم ابتدراه عن يمينه وعن شماله ثم قالا له: إن نفراً من بني عمنا نزلوا أرضك ورغبوا عنا وعن ملتنا قال: فأين هم؟ قالا: هم في أرضك فابعث إليهم فبعث إليهم، فقال جعفر: أنا خطيبكم اليوم، فاتبعوه فسلم ولم يسجد فقالوا له: ما لك لا تسجد للملك. قال: إنا لا نسجد إلا لله ﷻ قال: وما ذاك؟ قال: إن الله بعث إلينا رسوله فأمرنا أن لا نسجد لأحد إلا لله ﷻ وأمرنا بالصلاة والزكاة.

قال عمرو بن العاص: فإنهم يخالفوك في عيسى ابن مريم، قال: ما تقولون في عيسى ابن مريم وأمه؟ قال: نقول كما قال الله ﷻ: هو كلمة الله وروحه ألقاها إلى العذراء البتول التي لم يسمها بشر ولم يعترضها ولد، قال: فرفع عوداً من الأرض ثم قال: يا معشر الحبشة والقسيسين

---

(١) ذكره ابن هشام (السيرة النبوية ١/١٠٧) وجود سنده الحافظ ابن كثير وساق له بعض الشواهد، وأخرجه الحاكم من طريق ابن إسحاق به، وصححه ووافقه الذهبي. (المستدرك ٢/ ٦٠٠).

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٤/ ١٢٧) وفي سنده سعيد بن سويد ونقل الحافظ ابن حجر عن البخاري إنه لم يصح حديثه، أي هذا الحديث، وعن ابن حبان والحاكم أنهما صححاه. (تعجيل المنفعة ص١٥٢). ويشهد ما يليه.

(٣) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٣٦/ ٥٩٥ ح٢٢٢٦١) وقال محققوه: صحيح لغيره، وهذا إسناد ضعيف.اهـ. ولو قالوا: حسن لغيره لكان أحسن. وحسنه الهيثمي بالشواهد (مجمع الزوائد ٨/ ٢٢٥).

(٤) كذا في المسند، وفي الأصل (ح) و(حم): بياض.

والرهبان والله ما يزيدون على الذي نقول فيه ما يساوي هذا، مرحباً بكم وبمن جئتم من عنده، أشهد أنه رسول الله وأنه الذي نجد في الإنجيل وأنه الذي بشر به عيسى ابن مريم انزلوا حيث شئتم، والله لولا ما أنا فيه من الملك لأتيته حتى أكون أنا أحمل نعليه وأوضئه، وأمر بهدية الآخرين فُردَّت إليهما، ثم تعجل عبد الله بن مسعود حتى أدرك بدراً، وزعم أن النبي ﷺ استغفر له حين بلغه موته[(١)].

قد رويت هذه القصة عن جعفر وأم سلمة رضي الله عنهما وموضع ذلك كتاب السيرة والمقصد أن الأنبيا عليهم السلام لم تزل تنعته وتحكيه في كتبها على أممها وتأمرهم باتباعه ونصره وموازرته إذا بعث، وكان ما اشتهر الأمر في أهل الأرض على لسان إبراهيم الخليل والد الأنبياء بعده حين دعا لأهل مكة أن يبعث الله فيهم رسولاً منهم، وكذا على لسان عيسى ابن مريم، ولهذا قالوا: أخبرنا عن بدء أمرك يعني في الأرض قال: «دعوة أبي إبراهيم وبشارة عيسى ابن مريم ورؤيا أمي التي رأت»؛ أي: ظهر في أهل مكة أثر ذلك، [والإرهاص][(٢)] فذكره صلوات الله وسلامه عليه.

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ قال ابن جريج وابن جرير: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم﴾ أحمد؛ أي: المبشر به في الأعصار المتقادمة المنوه بذكره في القرون السالفة. لما ظهر أمره وجاء بالبينات، قال الكفرة والمخالفون: ﴿هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾﴾.

يقول تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ﴾ أي: لا أحد أظلم ممن يفتري الكذب على الله ويجعل له أنداداً وشركاء وهو يدعى إلى التوحيد والإخلاص، ولهذا قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ ثم قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾ أي: يحاولون أن يردُّوا الحق بالباطل، ومثلهم في ذلك كمثل من يريد أن يطفئ شعاع الشمس بفيه، وكما أن هذا مستحيل كذاك ذلك مستحيل، ولهذا قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾﴾ وقد تقدم الكلام على هاتين الآيتين في سورة براءة بما فيه كفاية، ولله الحمد والمنة.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾﴾.

تقدم في حديث عبد الله بن سلام أن الصحابة رضي الله عنهم أرادوا أن يسألوا رسول الله ﷺ عن أحبِّ

---

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٧/ ٤٠٨، ٤٠٩ ح٤٤٠٠) وضعف سنده محققوه، وحسن سنده الحافظ ابن حجر (فتح الباري ٧/ ١٧٩) وجود سنده الحافظ ابن كثير (البداية ٣/ ٦٩).

(٢) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل بياض.

الأعمال إلى الله ﷻ ليفعلوه، فأنزل الله تعالى هذه السورة[١] ومن جملتها هذه الآية ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ١٠﴾ ثم فسر هذه التجارة العظيمة التي لا تبور، التي هي محصلة للمقصود ومزيلة للمحذور فقال تعالى: ﴿تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ١١﴾ أي: من تجارة الدنيا والكدِّ لها والتصدي لها وحدها، ثم قال تعالى: ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ أي: إن فعلتم ما أمرتكم به ودللتكم عليه غفرت لكم الزلات وأدخلتكم الجنات والمساكن الطيبات والدرجات العاليات، ولهذا قال تعالى: ﴿وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ ثم قال تعالى: ﴿وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ﴾ أي: وأزيدكم على ذلك زيادة تحبونها وهي ﴿نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ﴾ أي: إذا قاتلتم في سبيله ونصرتم دينه تكفل الله بنصركم، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ٧﴾ [محمد] وقال تعالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠].

وقوله تعالى: ﴿وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ﴾ أي: عاجل، فهذه الزيادة هي خير الدنيا موصول بنعيم الآخرة لمن أطاع الله ورسوله ونصر الله ودينه، ولهذا قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّۦنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ ۖ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُواْ ظَٰهِرِينَ ١٤﴾.

يقول تعالى آمراً عباده المؤمنين أن يكونوا أنصار الله في جميع أحوالهم بأقوالهم وأفعالهم وأنفسهم وأموالهم وأن يستجيبوا لله ولرسوله كما استجاب الحواريون لعيسى حين قال: ﴿مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ﴾ أي: من معيني في الدعوة إلى الله ﷻ؟ ﴿قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ﴾ وهم أتباع عيسى ﵇ ﴿نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ۖ﴾ أي: نحن أنصارك على ما أرسلت به وموازروك على ذلك، ولهذا بعثهم دعاة إلى الناس في بلاد الشام في الإسرائيليين واليونانيين، وهكذا كان رسول الله ﷺ يقول في أيام الحج: «من رجل يؤويني حتى أبلغ رسالة ربي فإن قريشاً قد منعوني أن أبلغ رسالة ربي»[٢] حتى قيَّض الله ﷻ له الأوس والخزرج من أهل المدينة فبايعوه ووازروه، وشارطوه أن يمنعوه من الأسود والأحمر إن هو هاجر إليهم، فلما هاجر إليهم بمن معه من أصحابه، وفَّوا له بما عاهدوا الله عليه، ولهذا سماهم الله ورسوله الأنصار، وصار ذلك علماً عليهم رضي الله عنهم وأرضاهم.

وقوله تعالى: ﴿فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ ۖ﴾ أي: لما بلغ عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام رسالة ربه إلى قومه وآزره من وازره من الحواريين، اهتدت طائفة من بني إسرائيل بما جاءهم به وضلت طائفة، فخرجت عما جاءهم به وجحدوا نبوته ورموه وأمه بالعظائم، وهم اليهود عليهم لعائن الله المتتابعة إلى يوم القيامة، وغلَت فيه طائفة ممن اتبعه حتى

---

(١) تقدم في بداية تفسير هذه السورة الكريمة.

(٢) أخرجه أبو داود من حديث جابر بن عبد الله ﵄ (السنن، السنة، باب في القرآن ح٤٧٣٤) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح٣٩٦٠) وأخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي (المستدرك ٢/ ٦٢٤) وحسنه الحافظ ابن حجر (فتح الباري ٧/ ٦٣).

رفعوه فوق ما أعطاه الله من النبوة، وافترقوا فرقاً وشيعاً فمن قائل منهم: إنه ابن الله، وقائل: إنه ثالث ثلاثة: الأب والابن وروح القدس، ومن قائل: إنه الله، وكل هذه الأقوال مفصلة في سورة النساء. وقوله تعالى: ﴿فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ﴾ أي: نصرناهم على من عاداهم من فرق النصارى.

﴿فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ﴾ أي: عليهم، وذلك ببعثة محمد ﷺ، كما قال الإمام أبو جعفر بن جرير رحمه الله: حدثني أبو السائب، حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن المنهال يعني ابن عمرو، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: لما أراد الله عز وجل أن يرفع عيسى إلى السماء خرج إلى أصحابه وهم في بيت اثنا عشر رجلاً من عين في البيت ورأسه يقطر ماء فقال: إن منكم من يكفر بي اثنتي عشرة مرة بعد أن آمن بي، قال: ثم قال أيكم يلقى عليه شبهي فيقتل مكاني ويكون معي في درجتي؟ قال: فقام شاب من أحدثهم سناً فقال: أنا. فقال له: اجلس. ثم عاد عليهم فقام الشاب فقال: أنا، فقال له: اجلس ثم أعاد عليهم فقام الشاب فقال أنا، فقال: نعم أنت ذاك.

قال: فألقي عليه شبه عيسى ورفع عيسى عليه السلام من روزنة في البيت إلى السماء قال: وجاء الطلب من اليهود فأخذوا شبيهه فقتلوه وصلبوه وكفر به بعضهم اثنتي عشرة مرة بعد أن آمنوا به، فتفرقوا فيه ثلاث فرق، فقالت فرقة: كان الله فينا ما شاء ثم صعد إلى السماء وهؤلاء اليعقوبية.

وقالت فرقة: كان فينا ابن الله ما شاء الله ثم رفعه إليه وهؤلاء النسطورية.

وقالت فرقة: كان فينا عبد الله ورسوله ما شاء الله ثم رفعه الله إليه وهؤلاء المسلمون، فتظاهرت الكافرتان على المسلمة فقتلوها فلم يزل الإسلام طامساً حتى بعث الله محمداً ﷺ ﴿فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ﴾ يعني: الطائفة التي كفرت من بني إسرائيل في زمن عيسى، والطائفة التي آمنت في زمن عيسى ﴿فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ﴾ بإظهار محمد ﷺ دينهم على دين الكفار[١]. ﴿فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ﴾ هذا لفظه في كتابه عند تفسير هذه الآية الكريمة، وهكذا رواه النسائي عند تفسير هذه الآية من سننه عن أبي كريب محمد بن العلاء، عن أبي معاوية بمثله سواء[٢]، فأمة محمد ﷺ لا يزالون ظاهرين على الحق حتى يأتي أمر الله وهم كذلك، وحتى يقاتل آخرهم الدجال مع المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام كما وردت بذلك الأحاديث الصحاح، والله أعلم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

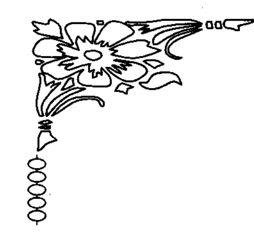
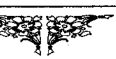
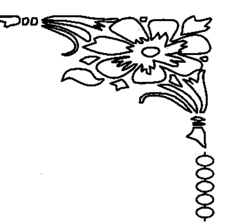
[آخر تفسير سورة الصف][٣].

---

(١) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، أخرجه ابن أبي شيبة عن أبي معاوية به (المصنف ١١/٥٤٦) وأخرجه ابن أبي حاتم عن أحمد بن سنان عن أبي معاوية به، وصحح سنده الحافظ ابن كثير (البداية والنهاية ٢/١٠٨).

(٢) السنن الكبرىٰ، التفسير، باب قوله تعالى: ﴿فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ...﴾ [الصف: ١٤] (ح١١٥٩١) وسنده صحيح كسابقه.

(٣) زيادة من (حم).

سُورَةُ الجُمُعَةِ

وهي [مدنية](١)

عن ابن عباس وأبي هريرة رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في صلاة الجمعة بسورة الجمعة والمنافقين، رواه مسلم في صحيحه(٢).

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٢﴾ وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣﴾ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٤﴾﴾.

يخبر تعالى أنه يسبح له ما في السماوات وما في الأرض؛ أي: من جميع المخلوقات ناطقها وجامدها، كما قال تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ [الإسراء: ٤٤] ثم قال تعالى: ﴿الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ﴾ أي: هو مالك السماوات والأرض المتصرف فيهما بحكمه، وهو ﴿الْقُدُّوسِ﴾؛ أي: المنزه عن النقائص الموصوف بصفات الكمال ﴿الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ تقدم تفسيرهما غير مرة.

وقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ﴾ الأميون هم العرب، كما قال تعالى: ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ [آل عمران: ٢٠] وتخصيص الأميين بالذكر لا ينفي من عداهم، ولكن المِنَّة عليهم أبلغ وأكثر، كما قال تعالى في قوله: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ [الزخرف: ٤٤] وهو ذكر لغيرهم يتذكرون به، وكذا قال تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ [الشعراء] وهذا وأمثاله لا ينافي قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨] وقوله: ﴿لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩] وقوله تعالى إخباراً عن القرآن ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ﴾ [هود: ١٧] إلى غير ذلك من الآيات الدالة على عموم بعثته، صلوات الله وسلامه عليه، إلى جميع الخلق أحمرهم وأسودهم، وقد قدمنا تفسير ذلك في سورة الأنعام بالآيات والأحاديث الصحيحة، ولله الحمد والمنة.

وهذه الآية هي مصداق إجابة الله لخليله إبراهيم، حين دعا لأهل مكة أن يبعث الله فيهم

---

(١) زيادة من (حم) و(ح).

(٢) صحيح مسلم، الجمعة، باب ما يقرأ في يوم الجمعة (ح٨٧٩، ٨٨٠).

رسولاً منهم، يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة، فبعثه الله ﷻ وله الحمد والمنة على حين فترة من الرسل وطموس من السبل، وقد اشتدت الحاجة إليه، وقد مقت الله أهل الأرض عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب؛ أي: نزراً يسيراً [ممن تمسك][1] بما بعث الله به عيسى ابن مريم عليه السلام، ولهذا قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ۝٢﴾ وذلك أن العرب كانوا قديماً متمسكين بدين إبراهيم الخليل عليه السلام، فبدلوه وغيَّروه وقلبوه وخالفوه واستبدلوا بالتوحيد شركاً وباليقين شكاً، وابتدعوا أشياء لم يأذن بها الله، وكذلك أهل الكتاب قد بدَّلوا كتبهم وحرفوها وغيروها وأولوها، فبعث الله محمداً صلوات الله وسلامه عليه بشرع عظيم كامل شامل لجميع الخلق، فيه هدايتهم والبيان لجميع ما يحتاجون إليه من أمر معاشهم ومعادهم، والدعوة لهم إلى ما يقربهم إلى الجنة ورضا الله عنهم، والنهي عما يقربهم إلى النار وسخط الله تعالى، حاكم فاصل لجميع الشبهات والشكوك والريب في الأصول والفروع، وجمع له تعالى وله الحمد والمنة جميع المحاسن ممن كان قبله وأعطاه ما لم يعط أحداً من الأولين ولا يعطيه أحداً من الآخرين، فصلوات الله وسلامه عليه دائماً إلى يوم الدين.

وقوله تعالى: ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٣﴾ قال الإمام أبو عبد الله البخاري رحمه الله تعالى: حدثنا عبد العزيز بن عبد الله، حدثنا سليمان بن بلال، عن ثور، عن أبي الغيث، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: كنا جلوساً عند النبي ﷺ فأنزلت عليه سورة الجمعة: ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ ۚ﴾ قالوا: من هم يا رسول الله؟ فلم يراجعهم حتى سُئل ثلاثاً، وفينا سلمان الفارسي، فوضع رسول الله ﷺ يده على سلمان الفارسي ثم قال: «لو كان الإيمان عند الثريا لناله رجال ـ أو رجل ـ من هؤلاء»[2]. ورواه مسلم والترمذي والنسائي وابن أبي حاتم وابن جرير من طرق، عن ثور بن زيد الديلي، عن سالم أبي الغيث، عن أبي هريرة به[3]، ففي هذا الحديث دليل على أن هذه السورة مدنية وعلى عموم بعثته ﷺ إلى جميع الناس؛ لأنه فسر قوله تعالى: ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ﴾ بفارس، ولهذا كتب كتبه إلى فارس والروم وغيرهم من الأمم، يدعوهم إلى الله ﷻ وإلى اتباع ما جاء به، ولهذا قال مجاهد وغير واحد في قوله تعالى: ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ ۚ﴾ قال: هم الأعاجم وكل من صدق النبي ﷺ من غير العرب[4].

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا إبراهيم بن العلاء الزبيدي، حدثنا الوليد بن مسلم، حدثنا أبو محمد عيسى بن موسى، عن أبي حازم، عن سهل بن سعد الساعدي قال: قال

---

(١) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل بياض.

(٢) أخرجه البخاري بسنده ومتنه (الصحيح، التفسير، سورة الجمعة ح٤٨٩٧).

(٣) صحيح مسلم، فضائل الصحابة، باب فضائل فارس (ح٢٥٤٦) وسنن الترمذي، التفسير، باب ومن سورة الجمعة (ح٣٣٠٧) وتفسير الطبري.

(٤) أخرجه الطبري من طريق ليث بن أبي سليم عن مجاهد بلفظ: «الأعاجم»، وأخرجه الطبري أيضاً بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح بلفظ: «من ردف الإسلام من الناس كلهم». وليث فيه مقال والرواية الأخرى تقويه.

رسول الله ﷺ: «إن في أصلاب أصلاب أصلاب رجال ونساء من أمتي يدخلون الجنة بغير حساب» ثم قرأ: ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُواْ بِهِمْ﴾ يعني بقية من بقي من أمة محمد ﷺ. وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ أي: ذو العزة والحكمة في شرعه وقدره، وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ۝٤﴾ يعني: ما أعطاه الله محمداً ﷺ من النبوة العظيمة، وما خصَّ به أُمته من بعثته ﷺ إليهم[1].

﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٥ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٦ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ۝٧ قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٨﴾.

يقول تعالى ذامّاً لليهود الذين أعطوا التوراة وحملوها للعمل بها ثم لم يعملوا بها: مثلهم في ذلك كمثل الحمار يحمل أسفاراً؛ أي: كمثل الحمار إذا حمل كتباً لا يدري ما فيها، فهو يحملها حملاً حسياً ولا يدري ما عليه، وكذلك هؤلاء في حملهم الكتاب الذي أوتوه حفظوه لفظاً ولم يتفهموه ولا عملوا بمقتضاه، بل أوّلوه وحرفوه وبدلوه فهم أسوأ حالاً من الحمير؛ لأن الحمار لا فهم له، وهؤلاء لهم فهوم لم يستعملوها، ولهذا قال تعالى في الآية الأخرى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩] وقال تعالى هٰهنا: ﴿بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾. وقال الإمام أحمد رحمه الله: حدثنا ابن نمير، عن مجالد، عن الشعبي، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «من تكلم يوم الجمعة والإمام يخطب فهو كمثل الحمار يحمل أسفاراً، والذي يقول له: أنصت ليس له جمعة»[2]. ثم قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٦﴾ أي: إن كنتم تزعمون أنكم على هدى، وأن محمداً وأصحابه على ضلالة، فادعوا بالموت على الضال من الفئتين ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾؛ أي: فيما تزعمونه.

قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ أي: بما يعملون لهم من الكفر والظلم والفجور ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ وقد قدمنا الكلام في سورة البقرة على هذه المباهلة لليهود، حيث قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٩٤ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ۝٩٥ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ۝٩٦﴾ [البقرة]، وقد أسلفنا الكلام هناك، وبينا أن المراد أن يدعوا على الضلال من أنفسهم أو خصومهم كما تقدمت مباهلة النصارى في آل عمران ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ

---

(١) أخرجه الطبراني من طريق الوليد بن مسلم به (المعجم الكبير ٦/ ٢٠١) قال الهيثمي: إسناده جيد (مجمع الزوائد ١٠/ ٤٠٨).

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٢/ ١٨٤) وسنده ضعيف.

بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٦١﴾﴾ [آل عمران] ومباهلة المشركين في سورة مريم ﴿قُلْ مَن كَانَ فِى ٱلضَّلَـٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَـٰنُ مَدًّا﴾ [مريم: ٧٥].

وقد قال الإمام أحمد: حدثنا إسماعيل بن يزيد الرقي، أبو زيد، حدثنا فرات عن عبد الكريم بن مالك الجزري، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: قال أبو جهل لعنه الله: إن رأيت محمداً عند الكعبة لآتينه حتى أطأ على عنقه، قال: فقال رسول الله ﷺ: «لو فعل لأخذته الملائكة عياناً، ولو أن اليهود تمنوا الموت لماتوا ورأوا مقاعدهم من النار، ولو خرج الذين يباهلون رسول الله ﷺ لرجعوا لا يجدون أهلاً ولا مالاً»(١). رواه البخاري والترمذي والنسائي من حديث عبد الرزاق، عن معمر، عن عبد الكريم، قال البخاري وتبعه عمرو بن خالد، عن عبيد الله بن عمرو، عن عبد الكريم، ورواه النسائي أيضاً عن عبد الرحمٰن بن عبيد الله الحلبي، عن عبيد الله بن عمرو الرقي به أتم(٢).

وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَـٰقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾ كقوله تعالى في سورة النساء: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ [النساء: ٧٨] وفي معجم الطبراني من حديث معاذ بن محمد الهذلي، عن يونس، عن الحسن، عن سَمُرة مرفوعاً: «مثل الذي يفرُّ من الموت كمثل الثعلب تطلبه الأرض بدين، فجاء يسعى حتى إذا أعيا وانبهر دخل جحره فقالت له الأرض: يا ثعلب ديني، فخرج له حصاص، فلم يزل كذلك حتى تقطعت عنقه فمات»(٣).

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُوا۟ ٱلْبَيْعَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾﴾.

إنما سميت الجمعة جمعة لأنها مشتقة من الجمع، فإن أهل الإسلام يجتمعون فيه في كل أسبوع مرة بالمعابد الكبار، وفيه كمل جميع الخلائق فإنه اليوم السادس من الستة التي خلق الله فيها السمٰوات والأرض، وفيه خلق آدم وفيه أدخل الجنة، وفيه أخرج منها وفيه تقوم الساعة، وفيه ساعة لا يوافقها عبد مؤمن يسأل الله فيها خيراً إلا أعطاه إياه، كما ثبتت بذلك الأحاديث الصحاح.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا الحسن بن عرفة، حدثنا عبيدة بن حميد، عن منصور، عن أبي معشر، عن إبراهيم، عن علقمة، عن قرثع الضبي، حدثنا سلمان قال: قال أبو القاسم ﷺ: «يا سلمان ما يوم الجمعة؟» قلت: الله ورسوله أعلم. فقال رسول الله ﷺ: «يوم الجمعة يوم جمع الله

---

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ١/٢٤٨) وسنده صحيح.

(٢) صحيح البخاري، التفسير، باب ﴿كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ ...﴾ (ح٤٩٥٨) وسنن الترمذي، التفسير، باب ومن سورة ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾ (ح٣٣٤٥) السنن الكبرى للنسائي، التفسير، باب سورة العلق (ح١١٦٨٥).

(٣) أخرجه الطبراني بسنده ومتنه (المعجم الكبير ٧/٢٦٨ ح٦٩٢٢) وضعفه العقيلي (الضعفاء الكبير ٤/٢٠٠)، وابن الجوزي (العلل المتناهية ٢/٤٠٥)، والهيثمي (مجمع الزوائد ٢/٣٢٣).

فيه أبواكم ـ أو أبوكم ـ»[(١)] وقد روي عن أبي هريرة من كلامه نحو هذا فالله أعلم.

وقد كان يقال له في اللغة القديمة: يوم العروبة، وثبت أن الأُمم قبلنا أمروا به فضلوا عنه، واختار اليهود يوم السبت الذي لم يقع فيه خلق آدم، واختار النصارى يوم الأحد الذي ابتدئ فيه الخلق، واختار الله لهذه الأمة يوم الجمعة الذي أكمل الله فيه الخليقة كما أخرجه البخاري ومسلم من حديث عبد الرزاق، عن معمر، عن همام بن منبه قال: هذا ما حدثنا أبو هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «نحن الآخرون السابقون يوم القيامة، بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا، ثم إن هذا يومهم الذي فرض الله عليهم فاختلفوا فيه فهدانا الله له، فالناس لنا فيه تبع، اليهود غداً والنصارى بعد غد»[(٢)]. لفظ البخاري وفي لفظ لمسلم «أضلَّ الله عن الجمعة من كان قبلنا، فكان لليهود يوم السبت، وكان للنصارى يوم الأحد، فجاء الله بنا فهدانا الله ليوم الجمعة، فجعل الجمعة والسبت والأحد، وكذلك هم تبع لنا يوم القيامة نحن الآخرون من أهل الدنيا، والأولون يوم القيامة المقضي بينهم قبل الخلائق»[(٣)].

وقد أمر الله المؤمنين بالاجتماع لعبادته يوم الجمعة فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ أي: اقصدوا واعمدوا واهتموا في سيركم إليها، وليس المراد بالسعي هٰهنا المشي السريع وإنما هو الاهتمام بها كقوله تعالى: ﴿وَمَنۡ أَرَادَ ٱلۡأٓخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعۡيَهَا وَهُوَ مُؤۡمِنٞ﴾ [الإسراء: ١٩] وكان عمر بن الخطاب وابن مسعود رضي الله عنهما يقرآنها فامضوا إلى ذكر الله[(٤)] فأما المشي السريع إلى الصلاة فقد نهي عنه لما أخرجاه في الصحيحين، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «إذا سمعتم الإقامة فامشوا إلى الصلاة وعليكم السكينة والوقار ولا تسرعوا، فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا»[(٥)] لفظ البخاري.

وعن أبي قتادة قال: بينما نحن نصلي مع النبي ﷺ إذ سمع جلبة رجال، فلما صلى قال: «ما شأنكم؟» قالوا: استعجلنا إلى الصلاة قال: «فلا تفعلوا، إذا أتيتم الصلاة فامشوا وعليكم السكينة فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا»[(٦)] أخرجاه.

وقال عبد الرزاق: أخبرنا معمر، عن الزهري، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أقيمت الصلاة فلا تأتوها تسعون ولكن ائتوها تمشون، وعليكم

---

(١) أخرجه الإمام أحمد من طريق مغير عن أبي معشر به بنحوه. (المسند ٣٩/ ١٣٣ ح٢٣٧٢٩) وصححه محققوه، وأخرجه الحاكم من طريق منصور به وصححه ووافقه الذهبي. (المستدرك ١/ ٢٧٧).

(٢) أخرجه البخاري مختصراً على مطلعه (الصحيح، التعبير، باب النفخ في المنام ح٧٠٣٦) وأخرجه مسلم كاملاً (الصحيح، الجمعة، باب هداية هذه الأُمة ليوم الجمعة ح٨٥٥).

(٣) المصدر السابق (ح٨٥٦).

(٤) أخرجه الطبري بأسانيد يقوي بعضها بعضاً عن عمر رضي الله عنه، وأخرجه ابن أبي شيبة (الصمنف ٢/ ١٥٧)، والطبري بسند رجاله ثقات عن إبراهيم النخعي عن ابن مسعود لكنه منقطع فإن إبراهيم لم يسمع من ابن مسعود. والقراءة شاذة تفسيرية. وللمزيد ينظر (فتح الباري ٨/ ٦٤٢).

(٥) صحيح البخاري، الأذان، باب لا يسعىٰ إلى الصلاة وليأت بالسكينة والوقار (ح٦٣٦) وصحيح مسلم، المساجد، باب استحباب إتيان الصلاة بوقار وسكينة (ح٦٠٢).

(٦) صحيح البخاري، الأذان، باب قول الرجل فاتتنا الصلاة (ح٦٣٥) وصحيح مسلم، الباب السابق (ح٦٠٣).

السكينة والوقار فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا»[١]. رواه الترمذي من حديث عبد الرزاق كذلك، وأخرجه من طريق يزيد بن زريع، عن معمر، عن الزهري، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة بمثله[٢].

قال الحسن: أما والله ما هو بالسعي على الأقدام، ولقد نُهوا أن يأتوا الصلاة إلا وعليهم السكينة والوقار، ولكن بالقلوب والنية والخشوع[٣].

وقال قتادة في قوله: ﴿فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾: يعني أن تسعى بقلبك وعملك وهو المشي إليها[٤]، وكان يتأول قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ﴾ [الصافات: ١٠٢] أي: المشي معه، وروي عن محمد بن كعب وزيد بن أسلم وغيرهما نحو ذلك[٥].

ويستحب لمن جاء إلى الجمعة أن يغتسل قبل مجيئه إليها، لما ثبت في الصحيحين عن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «إذا جاء أحدكم الجمعة فليغتسل»[٦].

ولهما عن أبي سعيد ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «غسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم»[٧]. وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «حق الله على كل مسلم أن يغتسل في كل سبعة أيام، يغسل رأسه وجسده» رواه مسلم[٨].

وعن جابر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «على كل رجل مسلم في كل سبعة أيام غسل يوم وهو يوم الجمعة» رواه أحمد والنسائي وابن حبان[٩].

وقال الإمام أحمد: حدثنا يحيى بن آدم، حدثنا ابن المبارك، عن الأوزاعي، عن حسان بن عطية، عن أبي الأشعث الصنعاني، عن أوس بن أوس الثقفي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من غَسَّل واغتسل يوم الجمعة وبكَّر وابتكر ومشى ولم يركب، ودنا من الإمام واستمع ولم يلغُ، كان له بكل خطوة أجر سنة صيامها وقيامها»[١٠]. وهذا الحديث له طرق وألفاظ، وقد أخرجه أهل السنن الأربعة وحسنه الترمذي[١١].

---

(١) أخرجه عبد الرزاق بسنده ومتنه (المصنف ٢/ ٢٨٨ رقم ٣٤٠٤) وسنده صحيح.

(٢) سنن الترمذي، الصلاة، باب ما جاء في المشي إلى المسجد. (ح٣٢٨) وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (ح٢٧٠).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة بسند حسن من طريق عباد بن راشد عن الحسن (المصنف ٢/ ٦٤).

(٤) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٥) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد بن أسلم.

(٦) صحيح البخاري، الجمعة، باب فضل الغسل يوم الجمعة (ح٨٧٧) وصحيح مسلم، الجمعة (ح٨٤٤).

(٧) صحيح البخاري، الباب السابق (ح٨٧٩)، وصحيح مسلم، الجمعة، باب وجوب غسل الجمعة على كل بالغ من الرجال (ح٨٤٦).

(٨) صحيح مسلم، الجمعة، باب الطيب والسواك يوم الجمعة (ح٨٤٩).

(٩) (المسند ٣/ ٣٠٤)، وسنن النسائي، الجمعة، باب إيجاب الغسل يوم الجمعة ٣/ ٩٣ والإحسان ٤/ ٢١ ح١٢١٩ ويشهد له سابقه.

(١٠) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٢٦/ ٩٤ ح١٦١٧٣) وصحح سنده محققوه.

(١١) سنن أبي داود، الطهارة، باب في الغسل يوم الجمعة (ح١٨) وسنن الترمذي، الصلاة، باب ما جاء في =

وعن أبي هريرة ﷺ قال: إن رسول الله ﷺ قال: «من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة ثم راح في الساعة الأولى فكأنما قرب بدنة، ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة، ومن راح في الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشاً أقرن، ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة، ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة، فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر» أخرجاه[١].

ويستحب له أن يلبس أحسن ثيابه ويتنظف ويتسوك وينتظف ويتطهر. وفي حديث أبي سعيد المتقدم «غسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم والسواك وأن يمس من طيب أهله».

وقال الإمام أحمد: حدثنا يعقوب، حدثنا أبي، عن محمد بن إسحاق، حدثني محمد بن إبراهيم التيمي، عن عمران بن أبي يحيى، عن عبد الله بن كعب بن مالك، عن أبي أيوب الأنصاري: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من اغتسل يوم الجمعة ومس من طيب أهله إن كان عنده ولبس من أحسن ثيابه ثم خرج حتى يأتي المسجد فيركع إن بدا له ولم يؤذ أحداً، ثم أنصت إذا خرج إمامه حتى يصلي كانت كفارة لما بينها وبين الجمعة الأخرى»[٢].

وفي سنن أبي داود وابن ماجه، عن عبد الله بن سلام ﷺ، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول على المنبر: «ما على أحدكم لو اشترى ثوبين ليوم الجمعة سوى ثوبي مهنته»[٣].

وعن عائشة ﷺ أن رسول الله ﷺ خطب الناس يوم الجمعة، فرأى عليهم ثياب النمار فقال: «ما على أحدكم إن وجد سعة أن يتخذ ثوبين لجمعته سوى ثوبي مهنته» رواه ابن ماجه[٤].

وقوله تعالى: ﴿إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ﴾ المراد بهذا النداء هو النداء الثاني الذي كان يفعل بين يدي رسول الله ﷺ إذا خرج فجلس على المنبر، فإنه كان حينئذٍ يؤذن بين يديه فهذا هو المراد، فأما النداء الأول الذي زاده أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ، فإنما كان هذا لكثرة الناس كما رواه البخاري ﷺ حيث قال: حدثنا آدم ـ هو: ابن أبي إياس ـ، حدثنا ابن أبي ذئب، عن الزهري، عن السائب بن يزيد قال: كان النداء يوم الجمعة أوله إذا جلس الإمام على المنبر على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر، فلما كان عثمان بعد زمن وكَثُر الناس، زاد النداء الثاني على الزوراء[٥]. يعني يؤذن به على الدار التي تسمى بالزوراء، وكانت أرفع دار بالمدينة بقرب المسجد.

= فضل الغسل يوم الجمعة (ح٤٩٦) وسنن النسائي، الجمعة، باب فضل غسل يوم الجمعة ٣/ ٩٥، وسنن ابن ماجه، الإقامة، باب ما جاء في الغسل يوم الجمعة (ح١٠٨٧) وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (ح٨٩١).

(١) صحيح البخاري، الجمعة، باب فضل الجمعة (ح٨٨١) وصحيح مسلم، الجمعة، باب الطيب والسواك يوم الجمعة (ح٨٥٠).

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٣٨/ ٥٤٧ ح٢٣٥٧١) وقال محققوه: صحيح لغيره.

(٣) سنن أبي داود، الصلاة، باب اللبس للجمعة (ح١٠٧٨) وسنن ابن ماجه، الإقامة، باب ما جاء في الزينة يوم الجمعة (ح١٠٩٥) وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (ح٨٩٨).

(٤) المصدر السابق (ح١٠٩٦) وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (ح٨٩٩).

(٥) أخرجه البخاري بسنده ومتنه (الصحيح، الجمعة، باب الأذان يوم الجمعة ح٩١٢).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا أبو نعيم، حدثنا محمد بن راشد المكحولي، عن مكحول أن النداء كان في الجمعة مؤذن واحد، حين يخرج الإمام ثم تقام الصلاة وذلك النداء الذي يحرم عنده الشراء والبيع إذا نودي به، فأمر عثمان ﷺ أن ينادي قبل خروج الإمام حتى يجتمع الناس[1]. وإنما يؤمر بحضور الجمعة الرجال الأحرار دون العبيد والنساء والصبيان، ويعذر المسافر والمريض وقيّم المريض وما أشبه ذلك من الأعذار، كما هو مقرر في كتب الفروع.

وقوله تعالى: ﴿وَذَرُوا۟ ٱلْبَيْعَ﴾ أي: اسعوا إلى ذكر الله واتركوا البيع إذا نودي للصلاة، ولهذا اتفق العلماء ﷺ على تحريم البيع بعد النداء الثاني، واختلفوا هل يصح إذا تعاطاه متعاط أم لا؟ على قولين: وظاهر الآية عدم الصحة كما هو مقرر في موضعه، والله أعلم.

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أي: ترككم البيع وإقبالكم إلى ذكر الله وإلى الصلاة خير لكم؛ أي: في الدنيا والآخرة إن كنتم تعلمون. وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ﴾ أي: فرغ منها ﴿فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ لما حجر عليهم في التصرف بعد النداء وأمرهم بالاجتماع أذن لهم بعد الفراغ في الانتشار في الأرض والابتغاء من فضل الله، كما كان عراك بن مالك ﷺ إذا صلى الجمعة انصرف فوقف على باب المسجد فقال: اللّهم إني أجبت دعوتك وصليت فريضتك وانتشرت كما أمرتني فارزقني من فضلك وأنت خير الرازقين، رواه ابن أبي حاتم.

وروي عن بعض السلف أن قال: من باع واشترى في يوم الجمعة بعد الصلاة بارك الله له سبعين مرة لقول الله تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ أي: في حال بيعكم وشرائكم وأخذكم وإعطائكم اذكروا الله ذكراً كثيراً، ولا تشغلكم الدنيا عن الذي ينفعكم في الدار الآخرة، ولهذا جاء في الحديث: «من دخل سوقاً من الأسواق فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، كتب الله له ألف ألف حسنة ومُحي عنه ألف ألف سيئة»[2].

وقال مجاهد: لا يكون العبد من الذاكرين الله كثيراً حتى يذكر الله قائماً وقاعداً، ومضطجعاً.

﴿وَإِذَا رَأَوْا۟ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا ۚ قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ ۚ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١﴾﴾.

يعاتب تبارك وتعالى على ما كان وقع من الانصراف عن الخطبة يوم الجمعة إلى التجارة التي قدمت المدينة يومئذٍ فقال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا۟ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا﴾ أي: على المنبر تخطب، هكذا ذكره غير واحد من التابعين، منهم أبو العالية والحسن وزيد بن

---

(١) سنده حسن.

(٢) أخرجه الإمام أحمد من حديث عمر ﷺ. (المسند ١/ ٤١١ ح٣٢٧) وقال محققوه: إسناده ضعيف جداً، عمرو بن دينار قهرمان آل الزبير منكر الحديث. اهـ. ومن هذا الطريق أخرجه الترمذي (السنن، الدعوات، باب ما يقول إذا دخل السوق ح٣٤٢٤) وابن ماجه (السنن، التجارات، باب الأسواق ودخولها ح٢٢٣٥)، وأخرجه الحاكم وصححه وتعقبه الذهبي باب مسروق بن المرزبان ليس بحجة. (المستدرك ١/ ٥٣٩).

أسلم وقتادة[١].

وزعم مقاتل بن حيان أن التجارة كانت لدحية بن خليفة قبل أن يسلم، وكان معها طبل فانصرفوا إليها وتركوا رسول الله ﷺ قائماً على المنبر إلا القليل منهم[٢]، وقد صحَّ بذلك الخبر[٣] فقال الإمام أحمد: حدثنا ابن إدريس، عن حُصين، عن سالم بن أبي الجعد، عن جابر قال: قدمت عير مرة المدينة، ورسول الله ﷺ يخطب فخرج الناس وبقي اثنا عشر رجلاً فنزلت ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا﴾[٤]. أخرجاه في الصحيحين من حديث سالم به[٥].

وقال الحافظ أبو يعلى: حدثنا زكريا بن يحيى، حدثنا هشيم، عن حصين، عن سالم بن أبي الجعد وأبي سفيان، عن جابر بن عبد الله قال: بينما النبي ﷺ يخطب يوم الجمعة، فقدمت عير إلى المدينة فابتدرها أصحاب رسول الله ﷺ، حتى لم يبقَ مع رسول الله ﷺ إلا اثنا عشر رجلاً فقال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده لو تتابعتم حتى لم يبق منكم أحد لسال بكم الوادي ناراً» ونزلت هذه الآية ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا﴾ وقال: كان في الاثني عشر الذين ثبتوا مع رسول الله ﷺ: أبو بكر وعمر رضي الله عنهما[٦].

وفي قوله تعالى: ﴿وَتَرَكُوكَ قَائِمًا﴾ دليل على أن الإمام يخطب يوم الجمعة قائماً. وقد روى مسلم في صحيحه عن جابر بن سمرة قال: كانت للنبي ﷺ خطبتان يجلس بينهما يقرأ القرآن ويذكر الناس[٧]، ولكن هٰهنا شيء ينبغي أن يعلم وهو: أن هذه القصة قد قيل إنها كانت لما كان رسول الله ﷺ يقدم الصلاة يوم الجمعة على الخطبة، كما رواه أبو داود في كتاب المراسيل، حدثنا محمود بن خالد، عن الوليد، أخبرني أبو معاذ بن معروف أنه سمع مقاتل بن حيان يقول: كان رسول الله ﷺ يصلي يوم الجمعة قبل الخطبة مثل العيدين، حتى إذا كان يوم والنبي ﷺ يخطب، وقد صلى الجمعة، فدخل رجل فقال: إن دحية بن خليفة قد قدم بتجارة؛ يعني: فانفضّوا ولم يبق معه إلا نفر يسير[٨].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ﴾ أي: الذي عند الله من الثواب في الدار الآخرة ﴿خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ أي: لمن توكل عليه وطلب الرزق في وقته.

آخر تفسير سورة الجمعة، ولله الحمد والمنة.

---

(١) أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن الحسن، وأخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد بن أسلم وهذه المراسيل يقوي بعضها بعضاً.

(٢) أخرجه البيهقي بسند ضعيف معضل عن مقاتل بن حيان. (الجامع لشعب الإيمان رقم ٦٤٩٥)، وهو مخالف لما سيأتي في الصحيحين إذ ليس فيهما ذكر الطبل.

(٣) أي: الخبر الذي ورد عن الصحابي جابر رضي الله عنه التابعين وليس عن مقاتل بن حيان وهو من اتباع التابعين.

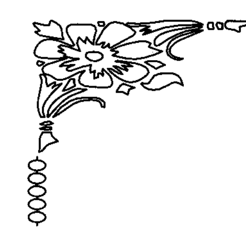
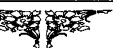
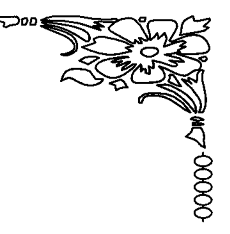
(٤) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٣/٣١٣) وسنده صحيح.

(٥) صحيح البخاري، البيوع، باب قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا﴾ [الجمعة: ١١] (ح٤٨٩٩) وصحيح مسلم، الجمعة، باب في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا﴾ (ح٨٦٣).

(٦) أخرجه أبو يعلىٰ بسنده ومتنه (المسند ٣/٤٦٨ ح١٩٧٩) وصحح سنده محققه.

(٧) صحيح مسلم، الجمعة، باب ذكر الخطبتين قبل الصلاة (ح٨٦٣).

(٨) أخرجه أبو داود بسنده ومتنه (المراسيل ص١٠٤ رقم ٦٢ وسنده ضعيف لأنه معضل).

سُورَةُ المُنَافِقُونَ

وهي مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴿١﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ ۞ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا۟ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾﴾.

يقول تعالى مخبراً عن المنافقين أنهم إنما يتفوهون بالإسلام إذا جاءوا النبي ﷺ، فأما في باطن الأمر فليسوا كذلك بل على الضد من ذلك، ولهذا قال تعالى: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾ أي: إذا حضروا عندك واجهوك بذلك، وأظهروا لك ذلك، وليس كما يقولون، ولهذا اعترض بجملة مخبرة أنه رسول الله فقال: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ﴾.

ثم قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ أي: فيما أخبروا به وإن كان مطابقاً للخارج؛ لأنهم لم يكونوا يعتقدون صحة ما يقولون ولا صدقه، ولهذا كذبهم بالنسبة إلى اعتقادهم.

وقوله تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: اتقوا الناس بالأيمان الكاذبة والحلفان الآثمة ليصدَّقوا فيما يقولون، فاغترَّ بهم من لا يعرف جلية أمرهم، فاعتقدوا أنهم مسلمون، فربما اقتدى بهم فيما يفعلون وصدقهم فيما يقولون، وهم من شأنهم أنهم كانوا في الباطن لا يألون الإسلام وأهله خبالاً، فحصل بهذا القدر ضرر كبير على كثير من الناس، ولهذا قال تعالى: ﴿فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ ولهذا كان الضحاك بن مزاحم يقرؤها اتخذوا إيمانهم جنة[(١)]؛ أي: تصديقهم الظاهر جنة؛ أي: تقية يتقوى به القتل[(٢)]، والجمهور يقرؤها ﴿أَيْمَٰنَهُمْ﴾ جمع يمين، [وقوله][(٣)]: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾﴾ أي: إنما قدر عليهم النفاق لرجوعهم عن الإيمان إلى الكفران، واستبدالهم الضلالة بالهدى، فطبع الله على قلوبهم فهم لا يفقهون؛ أي: فلا يصل إلى قلوبهم هدى ولا يخلص إليها خير، فلا تعي ولا تهتدي.

---

(١) قراءة «إيمانهم» شاذة تفسيرية.

(٢) أخرجه الطبري بسند فيه إبهام شيخه، عن الضحاك بنحوه.

(٣) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل بياض.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُواْ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ﴾ أي: وكانوا أشكالاً حسنة وذوي فصاحة وألسنة، وإذا سمعهم السامع يصغي إلى قولهم لبلاغتهم، وهم مع ذلك في غاية الضعف والخور والهلع والجزع والجبن، ولهذا قال تعالى: ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾ أي: كلما وقع أمر أو كائنة أو خوف يعتقدون لجبنهم أنه نازل بهم كما قال تعالى: ﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَآءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُوْلَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُواْ فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾﴾ [الأحـــزاب] فهم جَهَامات وصور بلا معاني، ولهذا قال تعالى: ﴿هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَٰتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ أي: كيف يصرفون عن الهدى إلى الضلال؟ وقد قال الإمام أحمد: حدثنا يزيد، حدثنا عبد الملك بن قدامة الجمحي، عن إسحاق بن بكر بن أبي الفرات، عن سعيد بن أبي سعيد المقبري، عن أبيه، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إن للمنافقين علامات يعرفون بها: تحيتهم لعنة وطعامهم نهبة وغنيمتهم غلول ولا يقربون المساجد إلا هُجراً، ولا يأتون الصلاة إلا دَبْراً، مستكبرين لا يألفون ولا يؤلفون، خُشب بالليل، صُخُب بالنهار» وقال يزيد بن مرة: سخب بالنهار[1].

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْاْ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الْفَٰسِقِينَ ﴿٦﴾ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ الْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ الْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾.

يقول تعالى مخبراً عن المنافقين عليهم لعائن الله أنهم ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْاْ رُءُوسَهُمْ﴾ أي: صدوا وأعرضوا عما قيل لهم استكباراً عن ذلك واحتقاراً لما قيل لهم، ولهذا قال تعالى: ﴿وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾ ثم جازاهم على ذلك فقال تعالى: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الْفَٰسِقِينَ ﴿٦﴾﴾ كما قال في سورة براءة، وقد تقدم الكلام على ذلك وإيراد الأحاديث المروية هنالك[2].

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا ابن أبي عمر العدني قال: قال سفيان: ﴿لَوَّوْاْ رُءُوسَهُمْ﴾ قال ابن أبي عمر: وحوّل سفيان وجهه على يمينه ونظر شزراً ثم قال: هو هذا[3]. وقد ذكر غير واحد من السلف أن هذا السياق كله نزل في عبد الله بن أُبي بن سلول كما سنورده قريباً إن شاء الله تعالى، وبه الثقة وعليه التكلان. وقد قال محمد بن إسحاق في السيرة: ولما قدم رسول الله ﷺ المدينة؛ يعني: مرجعه من أحد، وكان عبد الله بن أبي بن سلول كما حدثني ابن شهاب الزهري له مقام يقومه كل جمعة، لا ينكر شرفاً له من نفسه ومن قومه، وكان فيهم شريفاً،

---

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ١٣/ ٣٠٢، ٣٠٣ ح٧٩٢٦) وضعف سنده محققوه لضعف عبد الملك بن قدامة، وجهالة إسحاق بن بكر بن أبي الفرات.

(٢) تقدم في تفسير سورة التوبة آية ١١٣، ١١٤.

(٣) سنده صحيح.

إذا جلس النبي ﷺ يوم الجمعة وهو يخطب الناس قام فقال: أيها الناس، هذا رسول الله ﷺ بين أظهركم، أكرمكم الله به وأعزكم به فانصروه وعزروه واسمعوا له وأطيعوا، ثم يجلس حتى إذا صنع يوم أُحد ما صنع؛ يعني: مرجعه بثلث الجيش ورجع الناس، قام يفعل ذلك كما كان يفعله، فأخذ المسلمون بثيابه من نواحيه وقالوا: اجلس، أي عدو الله لست لذلك بأهل وقد صنعت ما صنعت، فخرج يتخطى رقاب الناس وهو يقول: والله لكأنما قلت بجراً أن قمت أشدد أمره، فلقيه رجال من الأنصار بباب المسجد فقالوا: ويلك ما لك؟ قال: قمت أشدد أمره فوثب علي رجال من أصحابه يجذبونني ويعنفونني، لكأنما قلت بجراً أن قمت أشدد أمره. قالوا: ويلك ارجع يستغفر لك رسول الله ﷺ، فقال: والله ما أبتغي أن يستغفر لي(١).

وقال قتادة والسدي: أنزلت هذه الآية في عبد الله بن أُبي، وذلك أن غلاماً من قرابته انطلق إلى رسول الله ﷺ، فحدثه بحديث عنه وأمر شديد، فدعاه رسول الله ﷺ فإذا هو يحلف بالله ويتبرأ من ذلك، وأقبلت الأنصار على ذلك الغلام فلاموه وعزلوه، وأنزل الله فيه ما تسمعون، وقيل لعدو الله: لو أتيت رسول الله ﷺ فجعل يلوي رأسه؛ أي: لست فاعلاً(٢).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا أبو الربيع الزهراني، حدثنا حماد بن زيد، حدثنا أيوب، عن سعيد بن جبير أن رسول الله ﷺ كان إذا نزل منزلاً لم يرتحل حتى يصلي فيه، فلما كانت غزوة تبوك بلغه أن عبد الله بن أُبي بن سلول قال: ليخرجن الأعز منها الأذل، فارتحل قبل أن ينزل آخر النهار، وقيل لعبد الله بن أُبي: ائت النبي ﷺ حتى يستغفر لك، فأنزل الله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾ إلى قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْا۟ رُءُوسَهُمْ﴾(٣) وهذا إسناد صحيح إلى سعيد بن جبير. وقوله: إن ذلك كان في غزوة تبوك فيه نظر بل ليس بجيد، فإن عبد الله بن أُبي بن سلول لم يكن ممن خرج في غزوة تبوك، بل رجع بطائفة من الجيش، وإنما المشهور عند أصحاب المغازي والسير أن ذلك في غزوة المريسيع، وهي غزوة بني المصطلق.

وقال يونس بن بكير، عن ابن إسحاق: حدثني محمد بن يحيى بن حبان وعبد الله بن أبي بكر وعاصم بن عمر بن قتادة في قصة بني المصطلق، فبينما رسول الله ﷺ مقيم هناك اقتتل على الماء جهجاه بن سعيد الغفاري، وكان أجيراً لعمر بن الخطاب وسنان بن وبر.

قال ابن إسحاق: فحدثني محمد بن يحيى بن حبان قال: ازدحما على الماء فاقتتلا، فقال سنان: يا معشر الأنصار، وقال الجهجاه: يا معشر المهاجرين، وزيد بن أرقم ونفر من الأنصار عند عبد الله بن أُبي، فلما سمعها قال: قد ثاورونا في بلادنا، والله ما مثلنا وجلابيب قريش هذه إلا كما قال القائل: سمّن كلبك يأكلك، والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، ثم أقبل على من عنده من قومه وقال: ما صنعتم بأنفسكم، أحللتموهم بلادكم، وقاسمتموهم

---

(١) سنده ضعيف لأنه مرسل، وذكره ابن هشام (السيرة النبوية ٢/ ١٠٥)، ويتقوىٰ بالمراسيل التالية.

(٢) أخرجه عبد الرزاق بسند رجاله ثقات عن معمر عن قتادة لكنه مرسل، وأخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند رجاله ثقات من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد لكنه مرسل، وهذان المرسلان يقوي أحدهما الآخر، ويتقوىٰ أيضاً بالروايات المرسلة والموصولة التالية.

(٣) رجاله ثقات لكنه مرسل، ويتقوىٰ بسابقه ولاحقه.

أموالكم، أما والله لو كففتم عنهم لتحولوا عنكم من بلادكم إلى غيرها، فسمعها زيد بن أرقم رضي الله عنه فذهب بها إلى رسول الله ﷺ: وهو غليم عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فأخبره الخبر، فقال عمر رضي الله عنه: يا رسول الله مُر عباد بن بشر فليضرب عنقه، قال رسول الله ﷺ: «فكيف إذا تحدث الناس يا عمر أن محمداً يقتل أصحابه، لا، ولكن ناد يا عمر الرحيل» فلما بلغ عبد الله بن أُبي أن ذلك قد بلّغ رسول الله ﷺ أتاه فاعتذر إليه، وحلف بالله ما قال، ما قال عليه زيد بن أرقم، وكان عند قومه بمكان فقالوا: يا رسول الله عسى أن يكون هذا الغلام أوهم ولم يثبت ما قال الرجل.

وراح رسول الله ﷺ مهجراً في ساعة كان لا يروح فيها، فلقيه أُسيد بن الحضير رضي الله عنه فسلم عليه بتحية النبوة ثم قال: والله لقد رحت في ساعة منكرة ما كنت تروح فيها، فقال رسول الله ﷺ: «أما بلغك ما قال صاحبك ابن أُبي؟ زعم أنه إذا قدم المدينة سيخرج الأعز منها الأذل» قال: فأنت يا رسول الله العزيز وهو الذليل. ثم قال: ارفق به يا رسول الله، فوالله لقد جاء الله بك وإنا لننظم له الخرز لنتوجّه، فإنه ليرى أن قد سلبته ملكاً، فسار رسول الله ﷺ بالناس حتى أمسوا وليلته حتى أصبحوا، وصدر يومه حتى اشتد الضحى ثم نزل بالناس ليشغلهم عما كان من الحديث، فلم يأمن الناس أن وجدوا مسَّ الأرض فناموا ونزلت سورة المنافقين[(١)].

وقال الحافظ أبو بكر البيهقي: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، أخبرنا أبو بكر بن إسحاق أخبرنا بشر بن موسى، حدثنا الحميدي، حدثنا سفيان، حدثنا عمر بن دينار، سمعت جابر بن عبد الله يقول: كنا مع رسول الله ﷺ في غزاة فكسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار: فقال الأنصاري: يا للأنصار! وقال المهاجري يا للمهاجرين فقال رسول الله ﷺ: «ما بال دعوى الجاهلية؟ دعوها فإنها منتنة».

وقال عبد الله بن أُبي بن سلول: وقد فعلوها، والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، قال جابر: وكان الأنصار بالمدينة أكثر من المهاجرين حين قدم رسول الله ﷺ، ثم كثر المهاجرون بعد ذلك، فقال عمر: دعني أضرب عنق هذا المنافق، فقال النبي ﷺ: «دعه لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه»[(٢)]. ورواه الإمام أحمد، عن حسين بن محمد المروزي، عن سفيان بن عيينة، ورواه البخاري، عن الحميدي ومسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة وغيره عن سفيان به نحوه[(٣)].

وقال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن الحكم، عن محمد بن كعب القرظي، عن زيد بن أرقم قال: كنت مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك فقال عبد الله بن أُبي: لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، قال: فأتيت النبي ﷺ فأخبرته، قال: فحلف

---

(١) أخرجه البيهقي من طريق ابن إسحاق عن محمد بن يحيىٰ. (دلائل النبوة ٤/ ٥٢، ٥٣) وذكره ابن هشام في السيرة ٢/ ٢٩٠ ـ ٢٩٢. وسنده مرسل لكنه ورد عن عدة رواة ويتقوىٰ بالروايات الموصولة التالية.

(٢) أخرجه البيهقي (دلائل النبوة ٤/ ٥٣) وسنده صحيح.

(٣) مسند الإمام أحمد ٣/ ٣٩٢، وصحيح البخاري، التفسير باب ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾ [المنافقون: ٨] (ح٤٩٠٧) وصحيح مسلم، البر والصلة، باب نصر الأخ ظالماً أو مظلوماً (ح٢٥٨٤).

عبد الله بن أُبي أنه لم يكن شيء من ذلك، قال: فلامني قومي وقالوا: ما أردت إلى هذا؟ قال: فانطلقت فنمت كئيباً حزيناً، قال: فأرسل إلي نبي الله ﷺ فقال: «إن الله قد أنزل عذرك وصدقك» قال: فنزلت هذه الآية ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْۗ﴾ حتى بلغ ﴿لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّۚ﴾[1] ورواه البخاري عند هذه الآية، عن آدم بن أبي إياس، عن شعبة، ثم قال: وقال ابن أبي زائدة، عن الأعمش، عن عمرو، عن ابن أبي ليلى، عن زيد، عن النبي ﷺ[2]، ورواه الترمذي والنسائي عندها أيضاً من حديث شعبة به[3].

طريق أخرى عن زيد:

قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حدثنا يحيى بن آدم ويحيى بن أبي بكير قالا: حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق قال: سمعت زيد بن أرقم، وقال ابن أبي بكير، عن زيد بن أرقم قال: خرجت مع عمي في غزاة فسمعت عبد الله بن أُبي بن سلول يقول لأصحابه: لا تنفقوا على من عند رسول الله ﷺ ولئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، فذكرت ذلك لعمي فذكره عمي لرسول الله ﷺ، فأرسل إلي رسول الله ﷺ فحدثته، فأرسل إلى عبد الله بن أُبي بن سلول وأصحابه فحلفوا بالله ما قالوا، فكذبني رسول الله ﷺ وصدقه فأصابني هم لم يصبني مثله قط، وجلست في البيت فقال عمي: ما أردت إلا أن كذبك رسول الله ﷺ ومقتك! قال حتى أنزل الله ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾ قال: فبعث إلي رسول الله ﷺ فقرأها رسول الله ﷺ ثم قال: «إن الله قد صدقك»[4].

ثم قال أحمد أيضاً: حدثنا حسن بن موسى، حدثنا زهير، حدثنا أبو إسحاق أنه سمع زيد بن أرقم يقول: خرجنا مع رسول الله ﷺ في سفر فأصاب الناس شدة فقال عبد الله بن أُبي لأصحابه: لا تنفقوا على من عند رسول الله ﷺ حتى ينفضوا من حوله، وقال لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، فأتيت النبي ﷺ فأخبرته بذلك فأرسل إلى عبد الله بن أُبي فسأله، فاجتهد يمينه ما فعل فقالوا: كذب زيد يا رسول الله، فوقع في نفسي مما قالوا فأنزل الله تصديقي ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾ قال: ودعاهم رسول الله ﷺ ليستغفر لهم فلووا رؤوسهم. وقوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌۖ﴾ [المنافقون: ٤] قال: كانوا رجالاً أجمل شيء[5]، وقد رواه البخاري ومسلم والنسائي من حديث زهير ورواه البخاري أيضاً والترمذي من حديث إسرائيل كلاهما عن أبي إسحاق عمرو بن عبد الله السبيعي الهمداني الكوفي، عن زيد به[6].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٤/٣٦٨) وسنده صحيح.

(٢) صحيح البخاري، التفسير، باب قوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ...﴾ [المنافقون: ٣] (ح٤٩٠٢).

(٣) سنن الترمذي، التفسير، باب ومن سورة المنافقون (ح٣٣١٤)، والسنن الكبرىٰ للنسائي، التفسير، سورة المنافقون (ح١١٥٩٤).

(٤) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٤/٣٧٣) وسنده صحيح.

(٥) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٤/٣٧٣) وسنده صحيح.

(٦) صحيح البخاري، التفسير، باب ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْۖ ...﴾ [المنافقون: ٤] (ح٤٩٠٣) وصحيح مسلم، صفات المنافقين (ح٢٧٧٢)، والسنن الكبرىٰ للنسائي، التفسير، باب ﴿لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّۚ﴾ [المنافقون: ٨] (ح١١٥٩٨).

طريق أخرى عن زيد:

قال أبو عيسى الترمذي: حدثنا عبد بن حميد، حدثنا عبيد الله بن موسى، عن إسرائيل، عن السدي، عن أبي سعيد الأزدي، قال: حدثنا زيد بن أرقم قال: غزونا مع رسول الله ﷺ، وكان معنا أناس من الأعراب، فكنا نبتدر الماء وكان الأعراب يسبقوننا إليه فسبق أعرابي أصحابه ليملأ الحوض ويجعل حوله حجارة ويجعل النطع عليه حتى يجيء أصحابه، قال: فأتى رجل من الأنصار الأعرابي فأرخى زمام ناقته لتشرب، فأبى أن يدعه فانتزع حجراً فغاض الماء، فرفع الأعرابي خشبته فضرب بها رأس الأنصاري فشجه، فأتى عبد الله بن أُبي رأس المنافقين فأخبره، وكان من أصحابه فغضب عبد الله بن أُبي ثم قال: لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا من حوله؛ يعني: الأعراب، وكانوا يحضرون رسول الله ﷺ عند الطعام، فقال عبد الله لأصحابه: إذا انفضُّوا من عند محمد فائتوا محمداً بالطعام فليأكل هو ومن معه، ثم قال لأصحابه: لئن رجعتم إلى المدينة فليخرج الأعز منها الأذل.

قال زيد: وأنا ردف عمي، قال فسمعت عبد الله بن أُبي يقول ما قال: فأخبرت عمي فانطلق فأخبر رسول الله ﷺ فأرسل إليه رسول الله ﷺ فحلف وجحد، قال فصدقه رسول الله ﷺ وكذبني، قال: فجاء إلي عمي فقال: ما أردت إلا أن مقتك رسول الله ﷺ وكذبك والمسلمون، قال: فوقع علي من الغمِّ ما لم يقع على أحد قط، قال: فبينما أنا أسير مع رسول الله ﷺ في سفر، وقد خفقت برأسي من الهمِّ، إذ أتاني رسول الله ﷺ فعرك أذني وضحك في وجهي، فما كان يسرني أن لي بها الخلد في الدنيا، ثم إن أبا بكر لحقني وقال: ما قال لك رسول الله ﷺ؟ قلت: ما قال شيئاً إلا أنه عرك أذني وضحك في وجهي، فقال: أبشر ثم لحقني عمر فقلت له مثل قولي لأبي بكر، فلما أن أصبحنا قرأ رسول الله ﷺ سورة المنافقين[(١)]. انفرد بإخراجه الترمذي وقال: هذا حديث حسن صحيح. وهكذا رواه الحافظ البيهقي، عن الحاكم [عن أبي العباس محمد بن أحمد المحبوبي، عن سعيد بن مسعود عن][(٢)] عبيد الله بن موسى به، وزاد بعد قوله سورة المنافقين ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾ [المنافقون: ١] حتى بلغ ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْ﴾ حتى بلغ ﴿لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾.

وقد روى عبد الله بن لهيعة، عن أبي الأسود عروة بن الزبير في المغازي، وكذا ذكر موسى بن عقبة في مغازيه أيضاً هذه القصة بهذا السياق، ولكن جعلا الذي بلّغ رسول الله ﷺ كلام عبد الله بن أُبي بن سلول إنما هو أوس بن أرقم من بني الحارث بن الخزرج، فلعله مبلغ آخر أو تصحيف من جهة السمع والله أعلم.

وقد قال ابن أبي حاتم رحمه الله: حدثنا محمد بن عزيز الأيلي، حدثني سلامة، حدثني عقيل،

---

(١) أخرجه الترمذي بسنده ومتنه (السنن، التفسير، باب ومن سورة المنافقون ح٣٣١٣) وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (ح٢٦٤٠)، وأخرجه الحاكم من طريق عبيد الله بن موسىٰ به وصححه ووافقه الذهبي. (المستدرك ٢/ ٤٨٨ ـ ٤٨٩) وأخرجه البيهقي عن الحاكم به (دلائل النبوة ٤/ ٥٤).

(٢) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل بياض.

أخبرني محمد بن مسلم أن عروة بن الزبير وعمرو بن ثابت الأنصاري[١] أخبراه أن رسول الله ﷺ غزا غزوة المريسيع، وهي التي هدم رسول الله ﷺ فيها مناة الطاغية التي كانت بين قفا المشلل وبين البحر، فبعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد فكسر مناة، فاقتتل رجلان في غزوة رسول الله ﷺ تلك أحدهما من المهاجرين والآخر من بهز، وهم حلفاء الأنصار، فاستعلى الرجل الذي من المهاجرين على البهزي فقال البهزي: يا معشر الأنصار، فنصره رجال من الأنصار، وقال المهاجري: يا معشر المهاجرين، فنصره رجال من المهاجرين حتى كان بين أولئك الرجال من المهاجرين والرجال من الأنصار شيء من القتال، ثم حجز بينهم فانكفأ كل منافق أو رجل في قلبه مرض إلى عبد الله بن أُبي بن سلول فقال: قد كنت ترجى وتدفع فأصبحت لا تضر ولا تنفع، قد تناصرت علينا الجلابيب وكانوا يدعون كل حديث الهجرة الجلابيب، فقال عبد الله بن أُبي عدو الله: والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل.

قال مالك بن الدخشن وكان من المنافقين: ألم أقل لكم لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا، فسمع بذلك عمر بن الخطاب فأقبل يمشي حتى أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله ائذن لي في هذا الرجل الذي قد أفتن الناس أضرب عنقه، يريد عمر عبد الله بن أُبي، فقال رسول الله ﷺ لعمر: «أو قاتله أنت إن أمرتك بقتله؟» قال عمر: نعم والله لئن أمرتني بقتله لأضربن عنقه، فقال رسول الله ﷺ: «اجلس» فأقبل أُسيد بن حضير وهو أحد الأنصار ثم أحد بني عبد الأشهل حتى أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله ائذن لي في هذا الرجل الذي قد أفتن الناس أضرب عنقه، فقال رسول الله ﷺ: «أو قاتله أنت إن أمرتك بقتله؟» قال: نعم والله لئن أمرتني بقتله لأضربن بالسيف تحت قرط أذنيه، فقال رسول الله ﷺ: «اجلس» ثم قال رسول الله ﷺ: «آذنوا بالرحيل» فهجَّر بالناس فسار يومه وليلته والغد حتى متع النهار، ثم نزل ثم هجر بالناس مثلها حتى صبح بالمدينة في ثلاث سارها من قفا المشلل. فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة أرسل إلى عمر فدعاه فقال له رسول الله ﷺ: «أي عمر أكنت قاتله لو أمرتك بقتله؟» قال عمر: نعم، فقال رسول الله ﷺ: «والله لو قتلته يومئذٍ لأرغمت أنوف رجال لو أمرتهم اليوم بقتله امتثلوه، فيتحدث الناس أني قد وقعت على أصحابي فأقتلهم صبراً» وأنزل الله ﷻ: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟﴾ إلى قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ﴾ الآية[٢]. وهذا سياق غريب وفيه أشياء نفيسة لا توجد إلا فيه.

وقال محمد بن إسحاق بن يسار: حدثني عاصم بن عمر بن قتادة أن عبد الله بن عبد الله بن أُبي لما بلغه ما كان من أمر أبيه أتى رسول الله فقال: يا رسول الله إنه بلغني أنك تريد قتل عبد الله بن أُبي فيما بلغك عنه، فإن كنت فاعلاً فمرني به فأنا أحمل إليك رأسه، فوالله لقد علمت الخزرج ما كان لها من رجل أبر بوالده مني، إني أخشى أن تأمر به غيري فيقتله فلا

---

(١) كذا في الأصول. قال الحافظ ابن حجر: صوابه عمر بن ثابت الأنصاري (التقريب ص٤١٩).

(٢) سنده ضعيف لإرساله ولبعضه شواهد تقدم ذكرها.

تدعني نفسي أنظر إلى قاتل عبد الله بن أُبي يمشي في الناس فأقتله فأقتل مؤمناً بكافر فأدخل النار، فقال رسول الله ﷺ: «بل نترفق به ونحسن صحبته ما بقي معنا»[(١)].

وذكر عكرمة وابن زيد وغيرهما أن الناس لما قفلوا راجعين إلى المدينة وقف عبد الله بن عبد الله هذا على باب المدينة، واستلَّ سيفه فجعل الناس يمرون عليه، فلما جاء أبوه عبد الله بن أُبي قال له ابنه: وراءك! فقال: ما لك ويلك؟ فقال: والله لا تجوز من هٰهنا حتى يأذن لك رسول الله ﷺ فإنه العزيز وأنت الذليل، فلما جاء رسول الله ﷺ وكان إنما يسير ساقة فشكا إليه عبد الله بن أُبي ابنه، فقال ابنه عبد الله: والله يا رسول الله لا يدخلها حتى تأذن له، فأذن له رسول الله ﷺ فقال: أما إذا أذن لك رسول الله ﷺ فجز الآن[(٢)].

وقال أبو بكر عبد الله بن الزبير الحميدي في مسنده: حدثنا سفيان بن عيينة، حدثنا أبو هارون المدني قال: قال عبد الله بن أُبي بن سلول لأبيه: والله لا تدخل المدينة أبداً حتى تقول: رسول الله ﷺ الأعز وأنا الأذل، قال وجاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إنه بلغني أنك تريد أن تقتل أبي فوالذي بعثك بالحق، ما تأملت وجهه قط هيبة له، ولئن شئت أن آتيك برأسه لأتيتك فإني أكره أن أرى قاتل أبي[(٣)].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ۝٩ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝١٠ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ۝١١﴾.

يقول تعالى آمراً لعباده المؤمنين بكثرة ذكره، وناهياً لهم عن أن تشغلهم الأموال والأولاد عن ذلك، ومخبراً لهم بأنه من الْتَهَىٰ بمتاع الحياة الدنيا وزينتها عما خلق له من طاعة ربه وذكره، فإنه من الخاسرين الذين يخسرون أنفسهم وأهليهم يوم القيامة، ثم حثهم على الإنفاق في طاعته فقال: ﴿وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝١٠﴾ فكل مفرط يندم عند الاحتضار ويسأل طول المدة ولو شيئاً يسيراً ليستعتب ويستدرك ما فاته وهيهات، كان ما كان وأتى ما هو آت، وكل بحسب تفريطه، أما الكفار فكما قال تعالى: ﴿وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوۡمَ يَأۡتِيهِمُ ٱلۡعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رَبَّنَآ أَخِّرۡنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ نُّجِبۡ دَعۡوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَۗ أَوَلَمۡ تَكُونُوٓاْ أَقۡسَمۡتُم مِّن قَبۡلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٖ ۝٤٤﴾ [إبراهيم] وقال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ۝٩٩ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ۝١٠٠﴾ [المؤمنون].

---

(١) ذكره ابن هشام وسنده مرسل ويتقوىٰ بالمراسيل التالية (السيرة النبوية ٢/ ٢٩٢).

(٢) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق إبراهيم بن الحكم عن أبيه عن عكرمة، وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد، وهذه المراسيل تتقوىٰ ببعضها وبما سبق.

(٣) أخرجه الحميدي بسنده ومتنه (المسند ٢/ ٥٢٠ ح١٢٤٠) وسنده مرسل، ويشهد له ما تقدم.

ثم قال تعالى: ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾﴾ أي: لا ينظر أحداً بعد حلول أجله. وهو أعلم وأخبر بمن يكون صادقاً في قوله وسؤاله ممن لورد لعاد إلى شر مما كان عليه ولهذا قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

وقال أبو عيسى الترمذي: حدثنا عبد بن حميد، حدثنا جعفر بن عون، حدثنا أبو جناب الكلبي، عن الضحاك بن مزاحم، عن ابن عباس قال: من كان له مال يبلغه حج بيت ربه أو تجب عليه فيه زكاة فلم يفعل سأل الرجعة عند الموت، فقال رجل: يا ابن عباس اتق الله فإنما يسأل الرجعة الكفار، فقال: سأتلو عليك بذلك قرآناً ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾ وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ قال: فما يوجب الزكاة؟ قال: إذا بلغ المال مائتين فصاعداً، قال: فما يوجب الحج؟ قال: الزاد والبعير[(١)].

ثم قال: حدثنا عبد بن حميد، حدثنا عبد الرزاق، عن الثوري، عن يحيى بن أبي حية وهو: أبو جناب الكلبي، عن الضحاك، عن ابن عباس، عن النبي ﷺ بنحوه ثم قال: وقد رواه سفيان بن عيينة وغيره عن أبي جناب، عن الضحاك، عن ابن عباس من قوله وهو أصح، وضعف أبا جناب الكلبي[(٢)].

قلت: ورواية الضحاك، عن ابن عباس فيها انقطاع والله أعلم.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا ابن نفيل، حدثنا سليمان بن عطاء، عن مسلمة الجهني، عن عمه يعني: أبا مشجعة بن ربعي، عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: ذكرنا عند رسول الله ﷺ الزيادة في العمر فقال: «إن الله لا يؤخر نفساً إذا جاء أجلها، وإنما الزيادة في العمر أن يرزق الله العبد ذرية صالحة يدعون له فيلحقه دعاؤهم في قبره»[(٣)].

آخر تفسير سورة المنافقين.

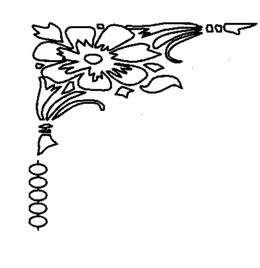
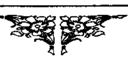
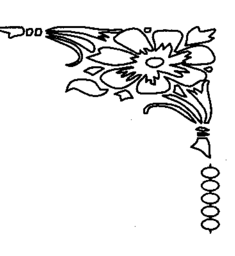
ولله الحمد والمنة، وصلىٰ الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، آمين.

---

(١) أخرجه الترمذي بسنده ومتنه (السنن، التفسير، باب ومن سورة المنافقون ح٣٣١٦) وسنده ضعيف لضعف أبي جناب الكلبي، والضحاك لم يلق ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) الحديث تتمه لسابقه.

(٣) سنده ضعيف جداً فيه سليمان بن عطاء وهو منكر الحديث كما في التقريب، ومتنه مخالف لما في الصحيح أن الزيادة في العمر غير ما ذكر في هذه الرواية.

سُورَةُ التَّغَابُنِ

وهي مدنية [وقيل: مكية](١)

قال الطبراني: حدثنا محمد بن هارون بن محمد بن بكار الدمشقي، حدثنا العباس بن الوليد الخلال، حدثنا الوليد بن الوليد، حدثنا ابن ثوبان، عن عطاء بن أبي رباح، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من مولود يولد إلا مكتوب في تشبيك رأسه خمس آيات من سورة التغابن»(٢) أورده ابن عساكر في ترجمة الوليد بن صالح(٣) وهو غريب جداً بل منكر.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ① هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ② خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ③ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ④﴾.

هذه السورة هي آخر المسبحات، وقد تقدم الكلام على تسبيح المخلوقات لبارئها ومالكها، ولهذا قال: ﴿لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ﴾ أي: هو المتصرف في جميع الكائنات المحمود على جميع ما يخلق ويقدره.

وقوله: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ أي: مهما أراد كان بلا ممانع ولا مدافع وما لم يشأ لم يكن.

وقوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾ أي: هو الخالق لكم على هذه الصفة وأراد منكم ذلك فلا بدّ من وجود مؤمن وكافر، وهو البصير بمن يستحق الهداية ممن يستحق الضلال وهو شهيد على أعمال عباده، وسيجزيهم بها أتمَّ الجزاء، ولهذا قال: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

ثم قال: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾ أي: بالعدل والحكمة، ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ أي: أحسن أشكالكم كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ⑥ ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ

---

(١) زيادة من (ح).

(٢) أخرجه الطبراني بسنده ومتنه (المعجم الأوسط ح٩٠٣٢٩) وسنده ضعيف جداً لأن الوليد بن الوليد يروي عن ابن ثوبان الغرائب والعجائب. (ينظر المجروحين لابن حبان ٣/ ٨١) وضعفه الحافظ ابن كثير.

(٣) أخرجه ابن عساكر من طريق الطبراني به (تاريخ دمشق ١٧/ل٨٣١) وسنده كسابقه.

﴿فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝٨﴾ [الانفطار] وكقوله: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ قَرَارٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَصَوَّرَكُمۡ فَأَحۡسَنَ صُوَرَكُمۡ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِۚ﴾ الآية [غافر: ٦٤] وقوله: ﴿وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾ أي: المرجع والمآب.

ثم أخبر تعالى عن علمه بجميع الكائنات السمائية والأرضية والنفسية فقال: ﴿يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَيَعۡلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعۡلِنُونَۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝٤﴾.

﴿أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُ فَذَاقُواْ وَبَالَ أَمۡرِهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ۝٥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأۡتِيهِمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرٞ يَهۡدُونَنَا فَكَفَرُواْ وَتَوَلَّواْۖ وَّٱسۡتَغۡنَى ٱللَّهُۚ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٞ ۝٦﴾.

يقول تعالى مخبراً عن الأمم الماضين وما حلَّ بهم من العذاب والنكال في مخالفة الرسل والتكذيب بالحق فقال: ﴿أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُ﴾ أي: خبرهم وما كان من أمرهم ﴿فَذَاقُواْ وَبَالَ أَمۡرِهِمۡ﴾ أي: وخيم تكذيبهم، ورديء أفعالهم، وهو ما حلَّ بهم في الدنيا من العقوبة، والخزي ﴿وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ أي: في الدار الآخرة مضاف إلى هذا الدنيوي ثم علَّل ذلك فقال: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأۡتِيهِمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ أي: بالحجج والدلائل والبراهين ﴿فَقَالُوٓاْ أَبَشَرٞ يَهۡدُونَنَا﴾ أي: استبعدوا أن تكون الرسالة في البشر، وأن يكون هداهم على يدي بشر مثلهم ﴿فَكَفَرُواْ وَتَوَلَّواْۖ﴾ أي: كذبوا بالحق ونكلوا عن العمل ﴿وَّٱسۡتَغۡنَى ٱللَّهُۚ﴾ أي: عنهم ﴿وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٞ﴾.

﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ۝٧ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلۡنَاۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ۝٨ يَوۡمَ يَجۡمَعُكُمۡ لِيَوۡمِ ٱلۡجَمۡعِۖ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلتَّغَابُنِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ۝٩ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ۝١٠﴾.

يقول تعالى مخبراً عن الكفار والمشركين والملحدين أنهم يزعمون أنهم لا يبعثون ﴿قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ﴾ أي: لتُخبرنَّ بجميع أعمالكم جليلها وحقيرها صغيرها وكبيرها ﴿وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾ أي: بعثكم ومجازاتكم.

وهذه هي الآية الثالثة التي أمر الله رسوله ﷺ أن يقسم بربه ﷻ على وقوع المعاد ووجوده فالأولى في سورة يونس: ﴿۞ وَيَسۡتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَۖ قُلۡ إِي وَرَبِّيٓ إِنَّهُۥ لَحَقّٞۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ ۝٥٣﴾ والثانية في سورة سبأ ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأۡتِينَا ٱلسَّاعَةُۖ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأۡتِيَنَّكُمۡ﴾ والآية الثالثة هي هذه ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ۝٧﴾.

ثم قال تعالى: ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلۡنَاۚ﴾ يعني: القرآن ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾ أي: فلا تخفى عليه من أعمالكم خافية.

وقوله: ﴿يَوۡمَ يَجۡمَعُكُمۡ لِيَوۡمِ ٱلۡجَمۡعِۖ﴾ وهو يوم القيامة سمي بذلك لأنه يجمع فيه الأولون والآخرون في صعيد واحد يسمعهم الداعي وينفذهم البصر كما قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّجۡمُوعٞ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّشۡهُودٞ﴾ [هود: ١٠٣] وقال تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡأَوَّلِينَ وَٱلۡأٓخِرِينَ ۝٤٩ لَمَجۡمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ ۝٥٠﴾ [الواقعة].

وقوله: ﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِۗ﴾ قال ابن عباس: هو اسم من أسماء يوم القيامة(١)، وذلك أن أهل الجنة يغبنون أهل النار، وكذا قال قتادة ومجاهد(٢).

وقال مقاتل بن حيان: لا غبن أعظم من أن يدخل هؤلاء إلى الجنة ويذهب بأولئك إلى النار.

قلت: وقد فسر ذلك بقوله تعالى: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝٩ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ۝١٠﴾ وقد تقدم تفسير مثل هذا غير مرة.

﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝١١ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ۝١٢ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١٣﴾.

يقول تعالى مخبراً بما أخبر به في سورة الحديد: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآۚ﴾ [الحديد: ٢٢] وهكذا قال هٰهنا: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ﴾ قال ابن عباس: بأمر الله يعني: عن قدره ومشيئته(٣).

﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ أي: ومن أصابته مصيبة فعلم أنها بقضاء الله وقدره فصبر واحتسب واستسلم لقضاء الله هدى الله قلبه وعوضه عما فاته من الدنيا هدى في قلبه ويقيناً صادقاً، وقد يخلف عليه ما كان أخذ منه أو خيراً منه.

قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥۚ﴾ يعني: يهد قلبه لليقين فيعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه(٤).

وقال الأعمش: عن أبي ظبيان قال: كنا عند علقمة فقرئ عنده هذه الآية ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥۚ﴾ فسئل عن ذلك فقال: هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم(٥). رواه ابن جرير وابن أبي حاتم في تفسيريهما.

وقال سعيد بن جبير ومقاتل بن حيان: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥۚ﴾ يعني: يسترجع يقول: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦].

وفي الحديث المتفق عليه: «عجباً للمؤمن لا يقضي الله له قضاء إلا كان خيراً له إن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له، وإن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن»(٦).

---

(١) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس.

(٢) أخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة.

(٣) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس بمعناه.

(٤) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس.

(٥) أخرجه عبد الرزاق والطبري بسند صحيح من طريق الأعمش به.

(٦) تقدم تخريجه في تفسير سورة الأعراف آية ٩٥.

وقال أحمد: حدثنا حسن، حدثنا ابن لهيعة، حدثنا الحارث بن يزيد، عن علي بن رباح أنه سمع جنادة بن أبي أُمية يقول: سمعت عبادة بن الصامت يقول: إن رجلاً أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله أي العمل أفضل؟ قال: «إيمان بالله وتصديق به وجهاد في سبيل الله». قال: أريد أهون من هذا يا رسول الله. قال: «لا تتهم الله في شيء قضى لك به»[١]. لم يخرجوه.

وقوله: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ أمر بطاعة الله ورسوله فيما شرع وفعل ما به أمر وترك ما عنه نهى وزجر، ثم قال: ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ أي: إن نكلتم عن العمل فإنما عليه ما حمل من البلاغ وعليكم ما حملتم من السمع والطاعة.

قال الزهري: من الله الرسالة وعلى الرسول البلاغ، وعلينا التسليم[٢]. ثم قال تعالى مخبراً أنه الأحد الصمد الذي لا إله غيره فقال: ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾﴾ فالأول خبر عن التوحيد، ومعناه معنى الطلب؛ أي: وحدوا الإلهية له وأخلصوها لديه وتوكلوا عليه كما قال تعالى: ﴿رَّبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾﴾ [المزمل].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَاللَّهُ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾ إِن تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾.

يقول تعالى مخبراً عن الأزواج والأولاد أن منهم من هو عدو الزوج والولد بمعنى أنه يلتهي به عن العمل الصالح كقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩﴾﴾ [المنافقون] ولهذا قال هٰهنا: ﴿فَاحْذَرُوهُمْ﴾.

قال ابن زيد: يعني على دينكم[٣].

وقال مجاهد: ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ﴾ قال: يحمل الرجل على قطيعة الرحم أو معصية ربه فلا يستطيع الرجل مع حبه إلا أن يطيعه[٤].

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا محمد بن خلف العسقلاني، حدثنا الفريابي، حدثنا إسرائيل، حدثنا سماك بن حرب، عن عكرمة، عن ابن عباس وسأله رجل عن هذه الآية ﴿يَا أَيُّهَا

---

(١) أخرجه الإمام بسنده ومتنه (المسند ٣٧/ ٣٩٠ ح٢٢٧١٧) قال محققوه: حديث محتمل للتحسين، وهذا إسناد ضعيف من أجل ابن لهيعة.

(٢) أخرجه البخاري معلقاً بصيغة الجزم، وقال الحافظ ابن حجر: هذا وقع في قصة أخرجها الحميدي في «النوادر»، ومن طريقه الخطيب، قال الحميدي: حدثنا سفيان قال: قال رجل للزهري: يا أبا بكر قول النبي ﷺ: «ليس منا من شقَّ الجيوب» ما معناه؟ فقال الزهري: من الله العلم، وعلى رسوله البلاغ، وعلينا التسليم. (فتح الباري ١٣/ ٥٠٤).

(٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

(٤) أخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد وفي آخره بلفظ: «إلا أن يقطعه».

ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ﴾ قال: فهؤلاء رجال أسلموا من مكة، فأرادوا أن يأتوا رسول الله ﷺ، فأبى أزواجهم وأولادهم أن يدعوهم، فلما أتوا رسول الله ﷺ رأوا الناس قد فقهوا في الدين فهموا أن يعاقبوهم، فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿وَإِن تَعۡفُواْ وَتَصۡفَحُواْ وَتَغۡفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾[١] وكذا رواه الترمذي، عن محمد بن يحيى، عن الفريابي وهو محمد بن يوسف به. وقال حسن صحيح ورواه ابن جرير والطبراني من حديث إسرائيل به[٢]، وروي من طريق العوفي، عن ابن عباس نحوه[٣] وهكذا قال عكرمة مولاه سواء.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ١٥﴾ يقول تعالى: إنما الأموال والأولاد فتنة؛ أي: اختبار وابتلاء من الله تعالى لخلقه ليعلم من يطيعه ممن يعصيه. وقوله: ﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ﴾ أي: يوم القيامة أجر عظيم كما قال: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلۡبَنِينَ وَٱلۡقَنَٰطِيرِ ٱلۡمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلۡفِضَّةِ وَٱلۡخَيۡلِ ٱلۡمُسَوَّمَةِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ وَٱلۡحَرۡثِۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلۡمَـَٔابِ ١٤﴾ [آل عمران] والتي بعدها.

قال الإمام أحمد: حدثنا زيد بن الحباب، حدثني حسين بن واقد، حدثني عبد الله بن بُريدة، سمعت أبا بُريدة يقول: كان رسول الله ﷺ يخطب فجاء الحسن والحسين رضي الله عنهما عليهما قميصان أحمران يمشيان ويعثران، فنزل رسول الله ﷺ من المنبر فحملهما فوضعهما بين يديه ثم قال: «صدق الله ورسوله، ﴿إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞۚ﴾، نظرت إلى هذين الصبيين يمشيان ويعثران، فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما»[٤] ورواه أهل السنن من حديث حسين بن واقد به، وقال الترمذي: حسن غريب إنما نعرفه من حديثه[٥].

وقال الإمام أحمد: حدثنا شُريح بن النعمان، حدثنا هشيم، أخبرنا مجالد، عن الشعبي، حدثنا الأشعث بن قيس قال: قدمت على رسول الله ﷺ في وفد كِندة فقال لي: «هل لك ولد؟» قلت: غلام ولد لي في مخرجي إليك من ابنة جَمْد، ولوددت أن بمكانه سبع القوم. فقال: «لا تقولن ذلك، فإن فيهم قرة عين وأجراً إذا قبضوا»، ثم قال: «ولئن قلت ذاك إنهم لمجبنة محزنة[٦]، إنهم لمجبنة محزنة»[٧]. تفرد به أحمد.

---

(١) سنده حسن.

(٢) سنن الترمذي، التفسير، باب ومن سورة التغابن (ح٣٣١٤) والمعجم الكبير للطبراني ١١/ ٢٧٥ (ح١١٧٢٠). وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي (ح٢٦٤٢).

(٣) سنده ضعيف ويتقوىٰ بسابقه فقد تبع العوفي في الرواية السابقة.

(٤) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٣٧/ ٩٩، ١٠٠ ح٢٢٩٩٥) وقال محققوه: إسناده قوي.

(٥) سنن أبي داود، الصلاة، باب الإمام يقطع الخطبة (ح١١٠٩) وسنن الترمذي، المناقب، باب مناقب الحسن والحسين (ح٣٧٧٦) وسنن النسائي، الجمعة، باب نزول الإمام عن المنبر قبل فراغه من الخطبة ٣/ ١٩٢ وسنن ابن ماجه، اللباس، باب لبس الأحمر للرجال (ح٣٦٠٠). وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (ح٢٩٠٠).

(٦) قال البغوي: أراد أن الرجل إذا كثر ولده بخل بماله إبقاءً عليهم، وجبن عن الحروب استبقاءً لنفسه. (شرح السنة ١٣/ ٢٦).

(٧) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٣٦/ ١٦١ ح٢١٨٤٠) وقال محققوه: حديث صحيح، وهذا إسناد =

وقال الحافظ أبو بكر البزار: حدثنا محمود بن بكر، حدثنا أبي، عن عيسى، عن ابن أبي ليلى، عن عطية، عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «الولد ثمرة القلوب، وإنهم مجبنة محزنة». ثم قال: لا نعرفه إلا بهذا الإسناد[١].

وقال الطبراني: حدثنا هاشم بن مرثد، حدثنا محمد بن إسماعيل بن عياش، حدثني أبي، حدثني ضمضم بن زرعة، عن شريح بن عبيد، عن أبي مالك الأشعري، أن رسول الله ﷺ قال: «ليس عدوك الذي إن قتلته كان فوزاً لك وإن قتلك دخلت الجنة، ولكن الذي لعله عدو لك ولدك الذي خرج من صلبك ثم أعدى عدو لك مالك الذي ملكت يمينك»[٢].

وقوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ أي: جهدكم وطاقتكم كما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم، وما نهيتكم عنه فاجتنبوه»[٣]. وقد قال بعض المفسرين كما رواه مالك، عن زيد بن أسلم إن هذه الآية ناسخة للتي في آل عمران وهي قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران][٤].

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زرعة، حدثني يحيى بن عبد الله بن بكير، حدثني ابن لهيعة، حدثني عطاء هو ابن دينار، عن سعيد بن جبير في قوله: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ قال: لما نزلت هذه الآية اشتد على القوم العمل فقاموا حتى ورمت عراقيبهم وتقرَّحت جباههم، فأنزل الله تعالى هذه الآية تخفيفاً على المسلمين: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ فنسخت الآية الأولى[٥].

وروى عن أبي العالية وزيد بن أسلم وقتادة والربيع بن أنس والسدي ومقاتل بن حيان نحو ذلك[٦].

وقوله: ﴿وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا﴾ أي: كونوا منقادين لما يأمركم الله به ورسوله، ولا تحيدوا عنه يمنة ولا يسرة، ولا تقدموا بين يدي الله ورسوله، ولا تتخلفوا عما به أمرتم، ولا تركبوا ما عنه زجرتم.

وقوله: ﴿وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ﴾ أي: وابذلوا مما رزقكم الله على الأقارب والفقراء

= ضعيف، مجالد وهو ابن سعيد الهمداني ضعيف. اهـ. ولو قالوا: حسن لغيره لكان أحسن.

(١) أخرجه البزار بسنده ومتنه وتعليقه (المسند ٢/ ٢٤٧ ح١٧٩٧) وسنده ضعيف لضعف عطية وهو العوفي. (مجمع الزوائد ٨/ ١٥٨).

(٢) أخرجه الطبراني (المعجم الكبير ٣/ ٢٩٤ ح٣٤٤٥) وسنده ضعيف لضعف رواية إسماعيل بن عياش عن أبيه كما في التقريب.

(٣) تقدم تخريجه في تفسير سورة الحشر آية ٧.

(٤) سنده صحيح لكنه مرسل ويتقوىٰ بما يليه من المراسيل.

(٥) سنده حسن لكنه مرسل ويتقوىٰ بالمراسيل السابقة واللاحقة.

(٦) أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة لكنه مرسل، وبقية الآثار عن أبي العالية والربيع بن أنس ومقاتل بن حيان وزيد بن أسلم والسدي تقدم ذكرها في تفسير سورة آل عمران آية ١٠٢.

والمساكين وذوي الحاجات، وأحسنوا إلى خلق الله كما أحسن الله إليكم، يكن خيراً لكم في الدنيا والآخرة، وإن لا تفعلوا يكن شراً لكم في الدنيا والآخرة.

وقوله: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ تقدم تفسيره في سورة الحشر[1]، وذكر الأحاديث الواردة في معنى هذه الآية بما أغنى عن إعادته هٰهنا ولله الحمد والمنة.

وقوله تعالى: ﴿إِن تُقْرِضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ أي: مهما أنفقتم من شيء فهو يخلفه ومهما تصدقتم من شيء فعليه جزاؤه ونزل ذلك منزلة القرض له كما ثبت في الصحيح أن الله تعالى يقول: «من يقرض غير ظلوم ولا عديم»[2] ولهذا قال تعالى: ﴿يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ﴾ كما تقدم في سورة البقرة ﴿فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ [البقرة: ٢٤٥].

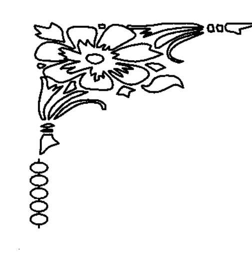
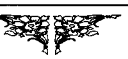
ويغفر لكم أي: ويكفر عنكم السيئات ولهذا قال: ﴿وَٱللَّهُ شَكُورٌ﴾ أي: يجزي على القليل بالكثير ﴿حَلِيمٌ﴾ أي: يصفح ويغفر ويستر ويتجاوز عن الذنوب والزلات والخطايا والسيئات ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾ تقدم تفسيره غير مرة.

آخر تفسير سورة التغابن، ولله الحمد والمنة.

---

(١) في الآية رقم ٩.

(٢) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ. (الصحيح، صلاة المسافرين، باب الترغيب في الدعاء والذكر آخر الليل ح٧٥٨/ ١٧١).

سُورَةُ الطَّلَاقِ

وهي مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا (١)﴾.

خوطب النبي ﷺ أولاً تشريفاً وتكريماً، ثم خاطب الأمة تبعاً فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ وقال ابن أبي حاتم: حدثنا محمد بن ثواب بن سعيد الهباري، حدثنا أسباط بن محمد، عن سعيد، عن قتادة، عن أنس قال: طلَّق رسول الله ﷺ حفصة فأتت أهلها، فأنزل الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ فقيل له: راجعها فإنها صوامة قوامة، وهي من أزواجك ونسائك في الجنة[١]. ورواه ابن جرير، عن ابن بشار، عن عبد الأعلى، عن سعيد، عن قتادة فذكره مرسلاً[٢]. وقد ورد من غير وجه أن رسول الله ﷺ طلَّق حفصة ثم راجعها.

وقال البخاري: حدثنا يحيى بن بكير، حدثنا الليث، حدثني عقيل، عن ابن شهاب، أخبرني سالم أن عبد الله بن عمر أخبره أنه طلَّق امرأة له وهي حائض، فذكر عمر لرسول الله ﷺ فتغيَّظ رسول الله ﷺ منه ثم قال له: «ليراجعها ثم يمسكها حتى تطهر، ثم تحيض فتطهر، فإن بدا له أن يطلقها فليطلقها طاهراً قبل أن يمسَّها، فتلك العدة التي أمر بها الله ﷻ»[٣]. هكذا رواه البخاري هٰهنا وقد رواه في مواضع من كتابه ومسلم ولفظه: «فتلك العدة التي أمر الله أن يطلق لها النساء»[٤]. ورواه أصحاب الكتب والمسانيد من طريق متعددة وألفاظ كثيرة ومواضع استقصائها كتب الأحكام.

---

(١) في سنده أسباط بن محمد ثقة لكن فيه ضعف يسير (تهذيب التهذيب ١/ ٢١١) وقد أخرجه من هو أوثق منه مرسلاً كما في رواية الطبري التالية، فقد أخرجه عبد الأعلىٰ بن عبد الأعلى عن سعيد عن قتادة مرسلاً، وهو أرجح.

(٢) أخرجه الطبري عن ابن بشار به، ورجاله ثقات لكنه مرسل.

(٣) أخرجه البخاري بسنده ومتنه (الصحيح، التفسير، سورة الطلاق باب رقم١ ح٤٩٠٨).

(٤) أخرجه مسلم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما (الصحيح، الطلاق، باب تحريم طلاق الحائض بغير رضاها ح١٤٧١).

وأمسُّ لفظ يورد هٰهنا ما رواه مسلم في صحيحه من طريق ابن جريج، أخبرني أبو الزبير، أنه سمع عبد الرحمٰن بن أيمن مولى عَزَّة يسأل ابن عمر وأبو الزبير يسمع ذلك، كيف ترى في الرجل طلق امرأته حائضاً؟ فقال: طلق ابن عمر امرأته حائضاً على عهد رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «ليراجعها». فردَّها. وقال: إذا طهرت فليطلق أو يمسك. قال ابن عمر: وقرأ النبي ﷺ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾[١].

وقال الأعمش: عن مالك بن الحارث، عن عبد الرحمٰن بن يزيد، عن عبد الله في قوله: ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ قال: الطهر من غير جماع[٢]. وروي عن ابن عمر وعطاء ومجاهد والحسن وابن سيرين وقتادة وميمون بن مهران ومقاتل بن حيان مثل ذلك وهو رواية عن عكرمة والضحاك[٣].

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ قال: لا يطلقها وهي حائض، ولا في طهر قد جامعها فيه، ولكن يتركها حتى إذا حاضت وطهرت طلقها تطليقة[٤].

وقال عكرمة: ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ العدة: الطهر، والقرء: الحيضة أن يطلقها حبلى مستبيناً حملها ولا يطلقها وقد طاف عليها ولا يدري حبلى هي أم لا.

ومن هٰهنا أخذ الفقهاء أحكام الطلاق، وقسموه إلى طلاق سنة وطلاق بدعة، فطلاق السنة أن يطلقها طاهرة من غير جماع أو حاملاً قد استبان حملها، والبدعي هو أن يطلقها في حال الحيض أو في طهر قد جامعها فيه ولا يدري أحملت أم لا؟ وطلاق ثالث لا سنة فيه ولا بدعة وهو طلاق الصغيرة والآيسة وغير المدخول بها، وتحرير الكلام في ذلك وما يتعلق به مستقصى في كتب الفروع والله ﷻ أعلم.

وقوله: ﴿وَأَحْصُوا۟ ٱلْعِدَّةَ﴾ أي: احفظوها واعرفوا ابتداءها وانتهاءها، لئلا تطول العدة على المرأة فتمتنع من الأزواج ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ﴾ أي: في ذلك.

وقوله: ﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ﴾ أي: في مدة العدة لها حق السكنى على الزوج ما دامت معتدة منه، فليس للرجل أن يخرجها ولا يجوز لها أيضاً الخروج لأنها معتقلة لحق الزوج أيضاً.

وقوله: ﴿إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾ أي: لا يخرجن من بيوتهن إلا أن ترتكب المرأة فاحشة

---

(١) أخرجه مسلم من طريق حجاج بن محمد عن ابن جريج به بلفظ: «أو ليمسك». (الصحيح، الطلاق، باب تحريم طلاق الحائض بغير رضاها ح١٤٧١/ ١٤).

(٢) أخرجه عبد الرزاق والطبري بسند صحيح من طريق الثوري عن الأعمش به.

(٣) قول ابن عمر تقدم مرفوعاً، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد، وأخرجه ابن أبي شيبة بسند صحيح من طريق عبد الرحمن بن يزيد عن ابن مسعود (المصنف ٥/ ٣) وأخرجه ابن أبي شيبة أيضاً بسند حسن من طريق هشام عن ابن سيرين والحسن. (المصدر السابق ٥/ ٢)، وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة.

(٤) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق علي به.

مبينة فتخرج من المنزل والفاحشة المبينة تشمل الزنا كما قاله ابن مسعود وابن عباس وسعيد بن المسيب والشعبي والحسن وابن سيرين ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير أبو قلابة وأبو صالح والضحاك وزيد بن أسلم وعطاء الخراساني والسدي وسعيد بن أبي هلال وغيرهم[١].

وتشمل ما إذا نشزت المرأة أو بذت على أهل الرجل وآذتهم في الكلام والفعال كما قاله أُبي بن كعب وابن عباس[٢] وعكرمة وغيرهم. وقوله: ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ﴾ أي: شرائعه ومحارمه ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ﴾ أي: يخرج عنها ويتجاوزها إلى غيرها ولا يأتمر بها فقد ظلم نفسه؛ أي: بفعل ذلك.

وقوله: ﴿لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾ أي: إنما أبقينا المطلقة في منزل الزوج في مدة العدة لعل الزوج يندم على طلاقها ويخلق الله تعالى في قلبه رجعتها فيكون ذلك أيسر وأسهل.

قال الزهري: عن عبيد الله بن عبد الله، عن فاطمة بنت قيس في قوله: ﴿لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾ قالت: هي الرجعة[٣]. وكذا قال الشعبي وعطاء وقتادة والضحاك ومقاتل بن حيان والثوري[٤].

ومن هٰهنا ذهب من ذهب من السلف ومن تابعهم كالإمام أحمد بن حنبل رحمهم الله تعالى إلى أنه لا تجب السكنى للمبتوتة؛ أي: المقطوعة وكذا المتوفى عنها زوجها، واعتمدوا أيضاً على حديث فاطمة بنت قيس الفهرية حين طلقها زوجها أبو عمرو بن حفص آخر ثلاث تطليقات وكان غائباً عنها باليمن، فأرسل إليها بذلك فأرسل إليها وكيله بشعير يعني نفقة فتسخطته فقال: والله ليس لكي علينا نفقة، فأتت رسول الله ﷺ فقال: «ليس لك عليه نفقة»[٥]. ولمسلم ولا «سكنى»، وأمرها أن تعتد في بيت أم شريك، ثم قال: «تلك امرأة يغشاها أصحابي اعتدِّي عند ابن أم مكتوم، فإنه رجل أعمى تضعين ثيابك» الحديث[٦].

وقد رواه الإمام أحمد من طريق أخرى بلفظ آخر فقال: حدثنا يحيى بن سعيد، حدثنا مجالد،

---

(١) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي عن ابن عباس، ويشهد له ما أخرجه الحاكم من قول ابن عمر وصححه ووافقه الذهبي (المستدرك ٢/ ٤٩١)، وأخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة عن الحسن، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي وهب عن ابن زيد، وأخرجه عبد الرزاق والطبري بسند ضعيف من طريق صالح بن مسلم عن عامر الشعبي وصالح بن مسلم هو ابن رومان وهو ضعيف (التقريب ص٥٤٥) ويشهد له ما تقدم.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (المصنف ٤/ ١٧٤) والطبري بسند حسن من طريق محمد بن إبراهيم عن ابن عباس.

(٣) أخرجه عبد الرزاق والطبري بسند صحيح من طريق معمر عن الزهري به (مصنف عبد الرزاق رقم ١٢٠٢٤).

(٤) أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة، وأخرجه ابن أبي شيبة بسند صحيح من طريق ابن علية عن أيوب عن عكرمة، (المصنف ٥/ ٢٦٢) وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق أيوب عن الحسن.

(٥) أخرجه مسلم بنحوه (الصحيح، باب المطلقة ثلاثاً ح١٤٨٠/ ٤١).

(٦) المصدر السابق (١٤٨٠/ ٤٢).

حدثنا عامر قال: قدمت المدينة فأتيت فاطمة بنت قيس فحدثتني أن زوجها طلقها على عهد النبي ﷺ، فبعثه رسول الله ﷺ في سرية قالت: فقال لي أخوه: اخرجي من الدار. فقلت: إن لي نفقة وسكنى حتى يحلّ الأجل. قال: لا. قالت: فأتيت رسول الله ﷺ فقلت: إن فلاناً طلقني وإن أخاه أخرجني ومنعني السكنى والنفقة فقال له: «ما لك ولابنة آل قيس». قال: يا رسول الله إن أخي طلقها ثلاثاً جميعاً. قالت: فقال رسول الله ﷺ: «انظري يا بنت آل قيس إنما النفقة والسكنى للمرأة على زوجها ما كانت له عليها رجعة، فإذا لم يكن له عليها رجعة فلا نفقة ولا سكنى اخرجي فانزلي على فلانة»، ثم قال: «إنه يتحدث إليها انزلي على ابن أم مكتوم فإنه أعمى لا يراك»[(١)]. وذكر تمام الحديث.

وقال أبو القاسم الطبراني: حدثنا أحمد بن عبد الله البزار التُّستري، حدثنا إسحاق بن إبراهيم الصواف، حدثنا بكر بن بكار، حدثنا سعيد بن يزيد البجلي، حدثنا عامر الشعبي أنه دخل على فاطمة بنت قيس أخت الضحاك بن قيس القرشي وزوجها أبو عمرو بن حفص بن المغيرة المخزومي فقالت: إن أبا عمرو بن حفص أرسل إلي وهو منطلق في جيش إلى اليمن بطلاقي، فسألت أولياءه النفقة علي والسكنى فقالوا: ما أرسل إلينا في ذلك شيئاً ولا أوصانا به، فانطلقت إلى رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله إن أبا عمرو بن حفص أرسل إلي بطلاقي فسألت أولياءه السكنى والنفقة علي فقال أولياؤه: لم يرسل إلينا في ذلك بشيء. فقال رسول الله ﷺ: «إنما السكنى والنفقة للمرأة إذا كان لزوجها عليها رجعة فإذا كانت لا تحلّ له حتى تنكح زوجاً غيره فلا نفقة لها ولا سكنى»[(٢)]. وكذا رواه النسائي عن أحمد بن يحيى الصوفي، عن أبي نعيم الفضل بن دكين، عن سعيد بن يزيد[(٣)] وهو الأحمسي البجلي الكوفي قال أبو حاتم الرازي: وهو شيخ يروى عنه.

﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَٰدَةَ لِلَّهِ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ إِنَّ اللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾﴾.

يقول تعالى: إذا بلغت المعتدات أجلهن أي: شارفن على انقضاء العدة وقاربن ذلك ولكن لم تفرغ العدة الكلية، فحينئذٍ إما أن يعزم الزوج على إمساكها وهو رجعتها إلى عصمة نكاحه والاستمرار بها على ما كانت عليه عنده بمعروف؛ أي: محسناً إليها في صحبتها، وإما أن يعزم

---

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده بنحوه (المسند ٦/ ٣٧٣) وسنده ضعيف لضعف مجالد، ويتقوىٰ بالشاهد الصحيح السابق في صحيح مسلم.

(٢) أخرجه الطبراني (المعجم الكبير ٢٤/ ٣٨٢ ح٩٤٨)، وأخرجه النسائي من طريق الفضل بن دكين عن سعيد بن يزيد به. (السنن، الطلاق، باب الرخصة في ذلك ٦/ ١٤٤ وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي ح٣١٨٨).

(٣) الجرح والتعديل ٤/ ٧٤.

على مفارقتها بمعروف؛ أي: من غير مقابحة ولا مشاتمة ولا تعنيف بل يطلقها على وجه جميل وسبيل حسن.

وقوله: ﴿وَأَشْهِدُوا۟ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ أي: على الرجعة إذا عزمتم عليها كما رواه أبو داود وابن ماجه، عن عمران بن حصين أنه سئل عن الرجل يطلق المرأة ثم يقع بها ولم يشهد على طلاقها ولا على رجعتها، فقال: طلقت لغير سنة، وراجعت لغير سنة، وأشهد على طلاقها وعلى رجعتها ولا تعد[١].

وقال ابن جريج: كان عطاء يقول: ﴿وَأَشْهِدُوا۟ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ قال: لا يجوز في نكاح ولا طلاق ولا رجاع إلا شاهدا عدل كما قال الله ﷻ إلا أن يكون من عذر.

وقوله: ﴿ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ أي: هذا الذي أمرناكم به من الإشهاد وإقامة الشهادة إنما يأتمر به من يؤمن بالله واليوم الآخر، وأنه شرع هذا ومن يخاف عقاب الله في الدار الآخرة.

ومن هٰهنا ذهب الشافعي في أحد قوليه إلى وجوب الإشهاد في الرجعة كما يجب عنده في ابتداء النكاح، وقد قال بهذا طائفة من العلماء، ومن قال بهذا يقول: إن الرجعة لا تصح إلا بالقول ليقع الإشهاد عليها.

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ أي: ومن يتق الله فيما أمره به وترك ما نهاه عنه يجعل له من أمره مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب؛ أي: من جهة لا تخطر بباله.

قال الإمام أحمد: حدثنا يزيد، أخبرنا كهمس بن الحسن، حدثنا أبو السليل، عن أبي ذرٍّ قال: جعل رسول الله ﷺ يتلو عليَّ هذه الآية ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ حتى فرغ من الآية ثم قال: «يا أبا ذرٍّ لو أن الناس كلهم أخذوا بها كفتهم». قال: فجعل يتلوها ويرددها عليَّ حتى نعست، ثم قال: «يا أبا ذرّ كيف تصنع إذا أخرجت من المدينة؟» قلت: إلى السعة والدعة أنطلق فأكون حمامة من حمام مكة. قال: «كيف تصنع إذا خرجت من مكة؟». قال: قلت: إلى السعة والدعة إلى الشام والأرض المقدسة قال: «وكيف تصنع إذا خرجت من الشام؟» قلت: إذاً والذي بعثك بالحق أضع سيفي على عاتقي. قال: «أو خير من ذلك؟» قلت: أو خير من ذلك؟ قال: «تسمع وتطيع وإن كان عبداً حبشياً»[٢].

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أحمد بن منصور الرمادي، حدثنا علي بن عبيد، حدثنا زكريا، عن عامر، عن [شُتير][٣] بن شَكل قال: سمعت عبد الله بن مسعود يقول: إن أجمع آية في القرآن

(١) سنن أبي داود، الطلاق، باب الرجل يراجع ولا يشهد (ح٢١٨٦) وسنن ابن ماجه، الطلاق، باب الرجعة (ح٢٠٢٥) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح١٩١٥).

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٣٥/٤٣٦ ح٢١٥٥١) وضعف سنده محققوه لأن أبا السليل لم يدرك أبا ذرٍّ.

(٣) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل صحف إلى: «شتل».

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾ [النحل: ٩٠] وإن أكبر آية في القرآن فرجاً ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾[١].

وفي المسند: حدثني مهدي بن جعفر، حدثنا الوليد بن مسلم، عن الحكم بن مصعب، عن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، عن أبيه، عن جده عبد الله بن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «من أكثر من الاستغفار جعل الله له من كلِّ همٍّ فرجاً، ومن كل ضيق مخرجاً، ورزقه من حيث لا يحتسب»[٢].

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾ يقول: ينجيه من كل كرب في الدنيا والآخرة ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾[٣].

وقال الربيع بن خثيم: ﴿يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾ أي: من كل شيء ضاق على الناس[٤].

وقال عكرمة: من طلق كما أمره الله يجعل له مخرجاً[٥]. وكذا روي عن ابن عباس والضحاك[٦].

وقال ابن مسعود ومسروق: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾ يعلم أن الله إن شاء أعطى وإن شاء منع ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ أي: من حيث لا يدري[٧].

وقال قتادة: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ أي: من شبهات الأمور والكرب عند الموت، ويرزقه من حيث لا يحتسب من حيث لا يرجو ولا يأمل.

وقال السدي: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ﴾ يطلق للسنة ويراجع للسنة وزعم أن رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ يقال له عوف بن مالك الأشجعي كان له ابن، وأن المشركين أسروه فكان فيهم، وكان أبوه يأتي رسول الله ﷺ فيشكو إليه مكان ابنه وحاله التي هو بها وحاجته، فكان رسول الله ﷺ يأمره بالصبر ويقول له: إن الله سيجعل لك فرجاً، فلم يلبث بعد ذلك إلا يسيراً أن انفلت ابنه من أيدي العدو، فمر بغنم من أغنام العدو فاستقاها فجاء بها إلى أبيه وجاء معه [بغنم][٨] قد أصابه من المغنم، فنزلت فيه هذه الآية ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾[٩] رواه ابن جرير.

---

(١) سنده جيد.
(٢) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد وجادة عن أبيه عن مهدي بن جعفر الرملي به. (المسند ٤/ ١٠٤ ح٢٢٣٤) وضعف سنده محققوه لجهالة الحكم بن مصعب.
(٣) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق علي به.
(٤) أخرجه ابن أبي شيبة (المصنف ١٤/ ٣٧١) والطبري من طريق الربيع بن المنذر عن أبيه عن الربيع بن خثيم. والربيع بن المنذر سكت عنه البخاري وابن أبي حاتم.
(٥) أخرجه الطبري بسند فيه ابن حميد وهو محمد بن حميد الرازي وهو ضعيف، ويشهد له ما يليه.
(٦) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس بنحوه.
(٧) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق مسروق عن ابن مسعود مختصراً. وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق أبي الضحىٰ عن مسروق.
(٨) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل بياض.
(٩) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق أسباط عن السدي وسنده مرسل.

وروي أيضاً من طريق سالم بن أبي الجعد مرسلاً نحوه[١].

وقال الإمام أحمد: حدثنا وكيع، حدثنا سفيان، عن عبد الله بن عيسى، عن عبد الله بن أبي الجعد، عن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ: «إن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه، ولا يرد القدر إلا الدعاء، ولا يزيد في العمر إلا البر»[٢] رواه النسائي وابن ماجه من حديث سفيان وهو الثوري به[٣].

وقال محمد بن إسحاق: جاء مالك الأشجعي إلى رسول الله ﷺ فقال له: أُسر ابني عوف. فقال له رسول الله ﷺ: «أرسل إليه أن رسول الله يأمرك أن تكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله»، وكانوا قد شدوه بالقد فسقط القد عنه فخرج فإذا هو بناقة لهم فركبها وأقبل، فإذا بسرح القوم الذين كانوا قد شدوه فصاح بهم فاتبع أولها آخرها فلم يفجأ أبويه إلا وهو ينادي بالباب فقال أبوه: عوف ورب الكعبة! فقالت أمه: واسوأتاه وعوف [كيف يقدم][٤] بما هو فيه من القد؟ فاستبقا الباب والخادم فإذا هو عوف قد ملأ الفناء إبلاً، فقصَّ على أبيه أمره وأمر الإبل فقال أبوه: قفا حتى آتي رسول الله ﷺ فأسأله عنها، فأتى رسول الله ﷺ فأخبره بخبر عوف وخبر الإبل، فقال له رسول الله ﷺ: اصنع بها ما أحببت وما كنت صانعاً بمالك ونزل: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ﴾[٥] رواه ابن أبي حاتم.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا علي بن الحسين، حدثنا محمد بن علي بن الحسن بن شقيق، حدثنا إبراهيم بن الأشعث، حدثنا الفضيل بن عياض، عن هشام بن حسان، عن عمران بن حصين قال: قال رسول الله ﷺ: «من انقطع إلى الله كفاه الله كل مؤونة، ورزقه من حيث لا يحتسب، ومن انقطع إلى الدنيا وكله إليها»[٦].

وقوله: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ﴾ قال الإمام أحمد: حدثنا ليث، حدثنا قيس بن الحاج، عن حنش الصنعاني، عن عبد الله بن عباس أنه حدثه أنه ركب خلف رسول الله ﷺ يوماً فقال له رسول الله ﷺ: «يا غلام إني معلمك كلمات احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده

---

(١) أخرجه الطبري من طريق عمار الدهني عن سالم بن أبي الجعد، وسنده مرسل. وأخرجه الحاكم من طريق سالم بن أبي الجعد عن جابر وصححه وتعقبه الذهبي بقوله: بل منكر فيه عباد بن يعقوب رافضي وعبيد بن كثير العامري متروك (المستدرك ٢/ ٤٩٢).

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٣٧/ ٦٨ ح٢٢٣٨٦) وقال محققوه: حسن لغيره دون قوله: «إن الرجل ليُحرم الرزق بالذنب يُصيبه».

(٣) سنن ابن ماجه، الفتن، باب العقوبات (ح٤٠٢٠) وحسنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (ح٣٢٤٨) وعزاه المزي إلى النسائي في السنن الكبرىٰ، كتاب الرقاق. (تحفة الأشراف ٢/ ١٣٣) وأخرجه الحاكم من طريق الثوري به كما في رواية الإمام أحمد السابقة، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي. (المستدرك ١/ ٤٩٣).

(٤) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل بياض.

(٥) سنده ضعيف لانقطاعه بين ابن إسحاق ومالك الأشجعي.

(٦) سنده ضعيف لضعف إبراهيم بن الأشعث. (مجمع الزوائد ١٠/ ٣٠٦) وأخرجه الطبراني من طريق إبراهيم بن الأشعث به. (المعجم الصغير ١/ ١١٦).

تجاهك، وإذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف».

وقد رواه الترمذي من حديث الليث بن سعد وابن لهيعة به وقال: حسن صحيح[١].

وقال الإمام أحمد: حدثنا وكيع، حدثنا بشير بن سلمان، عن سيار أبي الحكم، عن طارق بن شهاب، عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «من نزل به حاجة فأنزلها بالناس كان قَمِناً[٢] أن لا تسهل حاجته، ومن أنزلها بالله تعالى أتاه الله برزق عاجل أو بموت آجل»[٣]. ثم رواه عن عبد الرزاق، عن سفيان، عن بشير، عن سيار أبي حمزة ثم قال: وهو الصواب، وسيار أبو الحكم لم يحدث عن طارق.

وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦ﴾ أي: منفذ قضاياه وأحكامه في خلقه بما يريده ويشاؤه ﴿قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا﴾ كقوله: ﴿وَكُلُّ شَيۡءٍ عِندَهُۥ بِمِقۡدَارٍ﴾ [الرعد: ٨].

﴿وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسۡنَ مِنَ ٱلۡمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمۡ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشۡهُرٖ وَٱلَّٰٓـِٔي لَمۡ يَحِضۡنَۚ وَأُوْلَٰتُ ٱلۡأَحۡمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا ٤ ذَٰلِكَ أَمۡرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيۡكُمۡۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعۡظِمۡ لَهُۥٓ أَجۡرًا ٥﴾.

يقول تعالى مبيناً لعدة الآيسة وهي التي قد انقطع عنها المحيض لكبرها إنها ثلاثة أشهر عوضاً عن الثلاثة قروء في حق من تحيض كما دلَّت على ذلك آية البقرة[٤] كذا الصغار اللائي لم يبلغن سن الحيض؛ أي: عدتهن كعدة الآيسة ثلاثة أشهر ولهذا قال تعالى: ﴿وَٱلَّٰٓـِٔي لَمۡ يَحِضۡنَۚ﴾.

وقوله: ﴿إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ﴾ فيه قولان:

أحدهما: وهو قول طائفة من السلف كمجاهد والزهري وابن زيد؛ أي: إن رأين دماً وشككتم في كونه حيضاً أو استحاضة وارتبتم فيه[٥].

والقول الثاني: ﴿إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ﴾ في حكم عدتهن ولم تعرفوه فهو ثلاثة أشهر وهذا مروي عن سعيد بن جبير وهو اختيار ابن جرير وهو أظهر في المعنى واحتج عليه بما رواه عن أبي كريب وابن السائب قالا: حدثنا ابن إدريس، أخبرنا مُطرِّف، عن عمرو بن سالم قال: قال أُبي بن كعب: يا رسول الله إن عِدَداً من عِدَد النساء لم تذكر في الكتاب الصغار والكبار وأولات الأحمال قال فأنزل الله ﷺ: ﴿وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسۡنَ مِنَ ٱلۡمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمۡ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشۡهُرٖ

---

(١) تقدم تخريجه في تفسير سورة الزمر آية ٣٨.

(٢) أي: جديراً. (ينظر: النهاية ٤/ ١١١).

(٣) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٦/ ٢٢٤ ح٣٦٩٦) قال محققوه: إسناده حسن على خطأ في اسم أحد رواته، سبار هذا هو أبو حمزة. .اهـ. وقد نبه الحافظ ابن كثير على ذلك بعد الحديث مباشرة.

(٤) آية رقم ٢٢٨.

(٥) أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد، وأخرجه عبد الرزاق والطبري بسند صحيح من طريق معمر عن الزهري، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

﴿وَٱلَّٰٓـِٔي لَمۡ يَحِضۡنَۚ وَأُوْلَٰتُ ٱلۡأَحۡمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ﴾[(١)] ورواه ابن أبي حاتم بأبسط من هذا السياق فقال: حدثنا أبي، حدثنا يحيى بن المغيرة، أخبرنا جرير، عن مُطرِّف، عن عمر بن سالم[(٢)]، عن أُبي ابن كعب قال: قلت لرسول الله ﷺ: إن ناساً من أهل المدينة لما أنزلت هذه الآية التي في البقرة في عدة النساء قالوا: لقد بقي من عدة النساء عدد لم يذكر في القرآن الصغار والكبار اللائي قد انقطع منهن الحيض وذوات الحمل. قال: فأنزلت التي في النساء القصرى: ﴿وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسۡنَ مِنَ ٱلۡمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمۡ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشۡهُرٖ وَٱلَّٰٓـِٔي لَمۡ يَحِضۡنَۚ﴾[(٣)].

وقوله: ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلۡأَحۡمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ﴾ يقول تعالى ومن كانت حاملاً فعدتها بوضعه، ولو كان بعد الطلاق أو الموت بفواق [ناقة][(٤)] في قول جمهور العلماء من السلف والخلف: كما هو نصُّ هذه الآية الكريمة وكما وردت به السنة النبوية، وقد روي عن علي وابن عباس رضي الله عنهم أنهما ذهبا في المتوفى عنها زوجها أنها تعتدُّ بأبعد الأجلين من الوضع أو الأشهر عملاً بهذه الآية والتي في سورة البقرة[(٥)].

وقال البخاري: حدثنا [سعد][(٦)] بن حفص، حدثنا شيبان، عن يحيى، قال أخبرني أبو سلمة قال: جاء رجل إلى ابن عباس وأبو هريرة جالس فقال: أفتني في امرأة ولدت بعد زوجها بأربعين ليلة. فقال ابن عباس: آخر الأجلين. قلت أنا: ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلۡأَحۡمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ﴾ قال أبو هريرة: أنا مع ابن أخي يعني أبا سلمة فأرسل ابن عباس غلامه كريباً إلى أُم سلمة يسألها فقالت: قتل زوج سُبيعة الأسلمية وهي حبلى فولدت بعد موته بأربعين ليلة، فخطبت فأنكحها رسول الله ﷺ وكان أبو السنابل فيمن خطبها[(٧)]. هكذا أورد البخاري هذا الحديث هٰهنا مختصراً، وقد رواه هو ومسلم وأصحاب الكتب مطولاً من وجوه أُخر[(٨)].

وقال الإمام أحمد: حدثنا حماد بن أسامة، أخبرنا هشام، عن أبيه، عن المسور بن مخرمة أن سُبيعة الأسلمية توفي عنها زوجها وهي حامل فلم يمكث إلا ليالي حتى وضعت، فلما تعلّت من نفاسها خُطبت، فاستأذنت رسول الله ﷺ في النكاح، فأذن لها أن تنكح فنُكحت[(٩)]. ورواه البخاري في صحيحه ومسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه من طرق عنها، كما قال مسلم بن الحجاج: حدثني أبو الطاهر، أخبرنا ابن وهب، حدثني يونس بن يزيد، عن ابن شهاب، حدثني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة أن أباه كتب إلى عمر بن عبد الله بن الأرقم الزهري يأمره أن يدخل على سُبيعة بنت الحارث الأسلمية، فيسألها عن حديثها وعمّا قال لها رسول الله ﷺ حين استفتته، فكتب عمر بن

---

(١) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وفي سنده عمرو بن سالم وهو أبو عثمان الأنصاري: مقبول (التقريب ص٦٥٧) ولم يتابع، وسنده ضعيف.

(٢) قيل عمر بن سالم وقيل عمرو بن سالم (التقريب ص٦٥٧).

(٣) سنده ضعيف كسابقه.

(٤) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل بياض.

(٥) آية ٢٢٨.

(٦) كذا في صحيح البخاري، وفي الأصل و(ح) صحف بلفظ: «سعيد».

(٧) أخرجه البخاري بسنده ومتنه (الصحيح، التفسير، باب ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلۡأَحۡمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ﴾ [الطلاق: ٤] ح٤٩٠٩).

(٨) سيأتي أحد الوجوه بعد الرواية التالية.

(٩) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٣١/ ٢٣٥ ح١٨٩١٨) وصحح سنده محققوه.

عبد الله يخبره أن سُبيعة أخبرته أنها كانت تحت سعد بن خولة وكان ممن شهد بدراً، فتوفي عنها في حجة الوداع وهي حامل فلم تنشب أن وضعت حملها بعد وفاته فلما تعلت من نفاسها تجملت للخطاب فدخل عليها أبو السنابل بن بعكك فقال لها: ما لي أراك متجملة لعلك ترجين النكاح! إنك والله ما أنت بناكح حتى تمر عليك أربعة أشهر وعشر. قالت سُبيعة: فلما قال لي ذلك جمعت عليّ ثيابي حين أمسيت فأتيت رسول الله ﷺ فسألته عن ذلك، فأفتاني بأني قد حللت حين وضعت حملي وأمرني بالتزوج إن بدا لي[١]. هذا لفظ مسلم ورواه البخاري مختصراً ثم قال البخاري بعد روايته الحديث الأول عند هذه الآية: وقال سليمان بن حرب وأبو النعمان، حدثنا حماد بن زيد، عن أيوب، عن محمد هو ابن سيرين قال: كنت في حلقة فيها عبد الرحمٰن بن أبي ليلى وكان أصحابه يعظمونه فذكر آخر الأجلين فحدثت بحديث سُبيعة بنت الحارث، عن عبد الله بن عتبة قال فضمز[٢] لي بعض أصحابه، قال محمد: ففطنت له فقلت: إني لجريء أن أكذب على عبد الله وهو في ناحية الكوفة. قال: فاستحيا وقال: لكن عمه لم يقل ذلك، فلقيت أبا عطية مالك بن عامر فسألته فذهب يحدثني بحديث سُبيعة فقلت: هل سمعت عن عبد الله فيها شيئاً؟ فقال: كنا عند عبد الله فقال: أتجعلون عليها التغليظ ولا تجعلون عليها الرخصة؟ فنزلت سورة النساء القصرى بعد الطولى ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾[٣] ورواه ابن جرير من طريق سفيان بن عيينة وإسماعيل ابن علية، عن أيوب به مختصراً ورواه النسائي في التفسير عن محمد بن عبد الأعلى، عن خالد بن الحارث، عن ابن عون، عن محمد بن سيرين... فذكره[٤].

وقال ابن جرير: حدثني زكريا بن يحيى بن أبان المصري، حدثنا سعيد بن أبي مريم، حدثنا محمد بن جعفر، حدثني ابن شبرمة الكوفي، عن إبراهيم، عن علقمة بن قيس أن عبد الله بن مسعود قال: من شاء لاعنته ما نزلت ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ إلا بعد آية المتوفى عنها زوجها قال: وإذا وضعت المتوفى عنها زوجها فقد حلّت. يريد بآية المتوفى عنها زوجها ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ [البقرة: ٢٣٤] وقد رواه النسائي من حديث سعيد بن أبي مريم[٥] به.

ثم قال ابن جرير: حدثنا أحمد بن مَنيع، حدثنا محمد بن عبيد، حدثنا إسماعيل بن خالد، عن الشعبي قال: ذكر عند ابن مسعود آخر الأجلين، فقال: من شاء قاسمته بالله أن هذه الآية التي في النساء القصرى نزلت بعد الأربعة الأشهر والعشر، ثم قال: أجل الحامل أن تضع ما في بطنها[٦].

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أحمد بن سنان الواسطي، حدثنا عبد الرحمٰن بن مهدي، عن

---

(١) أخرجه مسلم بسنده ومتنه (الصحيح، الطلاق، باب انقضاء عدة المتوفىٰ عنها زوجها ح١٤٨٤).

(٢) أي: أشار إليه أن أسكت. (فتح الباري ٨/ ٦٥٥).

(٣) أخرجه البخاري بسنده ومتنه (الصحيح، التفسير، باب ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: ٤] ح٤٩١٠).

(٤) تفسير الطبري والسنن الكبرىٰ للنسائي، التفسير، باب ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا﴾ [البقرة: ٢٣٤] (ح١١٠٤٣).

(٥) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وأخرجه النسائي من طريق سعيد بن أبي مريم به (السنن الكبرىٰ ح٥٧١٦) وسنده صحيح.

(٦) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، ويشهد له سابقه ولاحقه.

سفيان، عن الأعمش، عن أبي الضحى، عن مسروق قال: بلغ ابن مسعود أن علياً رضي الله عنه يقول: آخر الأجلين. فقال: من شاء لاعنته فإن التي في النساء القصرى نزلت بعد البقرة ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ ورواه أبو داود وابن ماجه من حديث أبي معاوية، عن الأعمش[(١)].

وقال عبد الله ابن الإمام أحمد: حدثني محمد بن أبي بكر المقدمي، أخبرنا عبد الوهاب الثقفي، حدثني المثنى، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن عبد الله بن عمرو، عن أُبي بن كعب قال: قلت للنبي ﷺ: ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ المطلقة ثلاثاً أو المتوفى عنها زوجها؟ فقال: «هي للمطلقة ثلاثاً وللمتوفى عنها»[(٢)]. هذا حديث غريب جداً بل منكر لأن في إسناده المثنى بن الصباح وهو متروك الحديث بمرة ولكن رواه ابن أبي حاتم بسند آخر فقال حدثنا محمد بن داود السماني، حدثنا عمرو بن خالد يعني: الحراني، حدثنا ابن لهيعة، عن عمرو بن شعيب، عن سعيد بن المسيب، عن أُبي بن كعب أنه لما نزلت هذه الآية قال لرسول الله ﷺ: لا أدري أمشتركة أم مبهمة؟ قال رسول الله ﷺ: «أية آية»؟ قال: ﴿أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ المتوفى عنها والمطلقة؟ قال: «نعم»[(٣)]. وكذا رواه ابن جرير، عن أبي كريب، عن موسى بن داود، عن ابن لهيعة به[(٤)]. ثم رواه عن أبي كريب أيضاً عن مالك بن إسماعيل، عن ابن عيينة، عن عبد الكريم بن أبي المخارق أنه حدث عن أُبي بن كعب قال: سألت رسول الله ﷺ عن ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ قال: أجل كل حامل أن تضع ما في بطنها»[(٥)]. عبد الكريم هذا ضعيف ولم يدرك أُبياً.

وقوله: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا﴾ أي: يسهل له أمره وييسره عليه ويجعل له فرجاً قريباً ومخرجاً عاجلاً. ثم قال: ﴿ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ﴾ أي: حكمه وشرعه أنزله إليكم بواسطة رسول الله ﷺ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا﴾ أي: يذهب عه المحذور ويجزل له الثواب على العمل اليسير.

﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا۟ عَلَيْهِنَّ ۚ وَإِن كُنَّ أُو۟لَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا۟ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۖ وَأْتَمِرُوا۟ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ ۖ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ ۝٦ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ۝٧﴾.

يقول تعالى آمراً عباده إذا طلق أحدهم المرأة أن يسكنها في منزل حتى تنقضي عدتها فقال:

---

(١) سنن أبي داود، الطلاق، باب في عدة الحامل (ح٢٣٠٧)، وسنن ابن ماجه، الطلاق، باب الحامل إذا توفي عنها زوجها (ح٢٠٣٠) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح٢٠٢٢).

(٢) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد بسنده ومتنه في زوائده. (المسند ٣٥/ ٣٤ ح٢١١٠٨) وضعفه محققوه لضعف المثنىٰ بن الصباح.

(٣) سنده ضعيف بسبب ما قيل في ابن لهيعة.

(٤) أخرجه الطبري عن أبي كريب به، وسنده كسابقه.

(٥) أخرجه عبد الرزاق والطبري من طريق عبد الكريم به (المصنف رقم ١١٧١٧) وسنده منقطع لعدم سماع عبد الكريم من أُبي رضي الله عنه.

﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم﴾ أي: عندكم من وجدكم قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد يعني: سعتكم[(١)]. حتى قال قتادة: إن لم تجد إلا جنب بيتك فأسكنها فيه[(٢)].

وقوله: ﴿وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا۟ عَلَيْهِنَّ﴾ قال مقاتل بن حيان: يعني يضاجرها لتفتدي منه بمالها أو تخرج من مسكنه.

وقال الثوري، عن منصور، عن أبي الضحى ﴿وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا۟ عَلَيْهِنَّ﴾ قال: يطلقها فإذا بقي يومان راجعها[(٣)].

وقوله: ﴿وَإِن كُنَّ أُو۟لَـٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا۟ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ قال كثير من العلماء منهم: ابن عباس وطائفة من السلف وجماعات من الخلف هذه في البائن إن كانت حاملاً أنفق عليها حتى تضع حملها[(٤)]، قالوا: بدليل أن الرجعية تجب نفقتها سواء كانت حاملاً أو حائلاً.

وقال آخرون: بل السياق كله في الرجعيات[(٥)]، وإنما نصَّ على الإنفاق على الحامل وإن كانت رجعية؛ لأن الحمل تطول مدته غالباً فاحتيج إلى النصِّ على وجوب الإنفاق إلى الوضع لئلا يتوهم أنه إنما تجب النفقة بمقدار مدة العدة.

ثم اختلف العلماء هل النفقة لها بواسطة الحمل أم للحمل وحده؟ على قولين منصوصين عن الشافعي وغيره ويتفرع عليها مسائل كثيرة مذكورة في علم الفروع.

وقوله: ﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ﴾ أي: إذا وضعن حملهن وهن طوالق فقد بنَّ بانقضاء عدتهن، ولها حينئذٍ أن ترضع الولد ولها أن تمتنع منه، ولكن بعد أن تغذيه باللبأ، وهو باكورة اللبن الذي لا قوام للمولود غالباً إلا به، فإن أرضعت استحقت أجر مثلها، ولها أن تعاقد أباه أو وليه على ما يتفقان عليه من أجرة، ولهذا قال تعالى: ﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾.

وقوله: ﴿وَأْتَمِرُوا۟ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ﴾ أي: ولتكن أموركم فيما بينكم بالمعروف من غير إضرار ولا مضارة كما قال تعالى في سورة البقرة: ﴿لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ﴾ [٢٣٣].

وقوله تعالى: ﴿وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ﴾ أي: وإن اختلف الرجل والمرأة فطلبت المرأة في أجرة الرضاع كثيراً ولم يجبها الرجل إلى ذلك أو بذل الرجل قليلاً ولم توافقه عليه فليسترضع له غيرها، فلو رضيت الأم بما استؤجرت به الأجنبية فهي أحق بولدها.

وقوله تعالى: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ﴾ أي: لينفق على المولود والده ووليه بحسب قدرته ﴿وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا﴾ كقوله: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

روى ابن جرير: حدثنا ابن حميد، حدثنا حكام، عن أبي سنان قال سأل عمر بن الخطاب،

---

(١) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي عن ابن عباس، ويتقوىٰ بخبر مجاهد الذي أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عنه.

(٢) أخرجه عبد الرزاق والطبري بسند صحيح من طريق معمر عن قتادة.

(٣) سنده صحيح.

(٤) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس بنحوه.

(٥) أخرجه الطبري بأسانيد يقوي بعضها بعضاً عن إبراهيم النخعي بنحوه.

عن أبي عبيدة فقيل إنه يلبس الغليظ من الثياب، ويأكل أخشن الطعام فبعث إليه بألف دينار، وقال للرسول: انظر ما يصنع بها إذا هو أخذها فما لبث أن لبس اللين من الثياب، وأكل أطيب الطعام فجاءه الرسول فأخبره فقال رحمه الله تعالى تأول هذه الآية ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ﴾[1].

وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني في معجمه الكبير: حدثنا هاشم بن مرثد الطبراني، حدثنا محمد بن إسماعيل بن عياش، أخبرني أبي، أخبرني ضمضم بن زرعة، عن شريح بن عبيد بن أبي مالك الأشعري واسمه: الحارث قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة نفر كان لأحدهم عشرة دنانير، فتصدق منها بدينار، وكان لآخر عشر أواق فتصدق منها بأوقية، وكان لآخر مائة أوقية فتصدق منها بعشر أواق»، فقال رسول الله ﷺ: «هم في الأجر سواء كل قد تصدق بعشر ماله»، قال الله تعالى: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ﴾[2]. هذا حديث غريب من هذا الوجه.

وقوله: ﴿سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾، وعد منه تعالى ووعده حق لا يخلفه وهذا كقوله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾﴾ [الشرح].

وقد روى الإمام أحمد حديثاً يحسن أن نذكره ههنا فقال: حدثنا هاشم بن القاسم، حدثنا عبد الحميد بن بهرام، حدثنا شهر بن حوشب قال: قال أبو هريرة: بينما رجل وامرأة له في السلف الخالي لا يقدران على شيء فجاء الرجل من سفره فدخل على امرأته جائعاً قد أصابته مسغبة شديدة، فقال لامرأته: عندك شيء؟ قالت: نعم أبشر أتانا رزق الله، فاستحثها فقال: ويحك ابتغي إن كان عندك شيء، قالت: نعم هنيهة ترجو رحمة الله حتى إذا طال عليه الطوى قال: ويحك قومي فابتغي إن كان عندك شيء فائتيني به فإني قد بلغت وجهدت فقالت: نعم الآن نفتح التنور فلا تعجل فلما أن سكت عنها ساعة وتحينت أن يقول لها قالت من عند نفسها: لو قمت فنظرت إلى تنوري فقامت فنظرت إلى تنورها ملآن من جنوب الغنم ورحييها تطحنان فقامت إلى الرحى فنفضتها واستخرجت ما في تنورها من جنوب الغنم. قال أبو هريرة: فوالذي نفس أبي القاسم بيده هو قول محمد ﷺ: لو أخذت ما في رحييها ولم تنفضها لطحنتها إلى يوم القيامة[3].

وقال في موضع آخر: حدثنا أبو عامر، حدثنا أبو بكر، عن هشام، عن محمد وهو: ابن سيرين، عن أبي هريرة قال: دخل رجل على أهله فلما رأى ما بهم من الحاجة خرج إلى البرية، فلما رأته امرأته قامت إلى الرحى فوضعتها وإلى التنور فسجرته، ثم قالت: اللَّهم ارزقنا، فنظرت فإذا الجفنة قد امتلأت، قال: وذهبت إلى التنور فوجدته ممتلئاً، قال: فرجع الزوج فقال: أصبتم بعدي شيئاً قالت امرأته: نعم من ربنا فأم إلى الرحى فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال النبي ﷺ: أما إنه

---

(١) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده ضعيف لعدم سماع أبي سنان من عمر ﷺ، وابن حميد هو محمد بن حميد الرازي: ضعيف.

(٢) أخرجه الطبراني بسنده ومتنه (المعجم الكبير ٣/ ٣٣١ ح٣٤٣٩) وسنده ضعيف لضعف رواية محمد بن إسماعيل بن عياش عن أبيه كما في التقريب (وينظر مجمع الزوائد ٣/ ١١٤).

(٣) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ١٥/ ٢٧٦ ح٩٤٦٤). وضعف سنده محققوه لضعف شهر بن حوشب.

لو لم ترفعها لم تزل تدور إلى يوم القيامة[١].

﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴿٩﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ رَّسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا ﴿١١﴾﴾.

يقول تعالى متوعداً لمن خالف أمره وكذب رسله وسلك غير ما شرعه ومخبراً عما حلَّ بالأمم السالفة بسبب ذلك فقال: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ﴾ أي: تمردت وطغت واستكبرت عن اتِّباع أمر الله ومتابعة رسله ﴿فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا﴾ أي: منكراً فظيعاً. ﴿فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا﴾ أي: غب مخالفتها وندموا حيث لا ينفعهم الندم ﴿وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ أي: في الدار الآخرة مع ما عجل لهم من العذاب في الدنيا.

ثم قال بعد ما قصَّ من خبر هؤلاء: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ أي: الأفهام المستقيمة، لا تكونوا مثلهم فيصيبكم ما أصابهم يا أولي الألباب ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ أي: صدقوا بالله ورسوله ﴿قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا﴾ يعني: القرآن كقوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحجر].

وقوله: ﴿رَّسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ﴾ قال بعضهم رسولاً منصوب على أنه بدل اشتمال وملابسة لأن الرسول هو الذي بلغ الذكر.

وقال ابن جرير: الصواب أن الرسول ترجمة عن الذكر[٢]؛ يعني: تفسيراً له ولهذا قال: ﴿رَّسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ﴾ أي: في حال كونها بينة واضحة جلية ﴿لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ كقوله: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [إبراهيم: ١] وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧] [أي: من ظلمات الكفر والجهل إلى نور الإيمان والعلم، وقد سمَّى الله تعالى الوحي الذي أنزله نوراً لما يحصل به من الهدى كما سمّاه روحاً لما يحصل به من حياة القلوب، فقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾﴾ [الشورى][٣] وقوله: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا﴾ قد تقدم تفسير مثل هذا غير مرة بما أغنى عن إعادته.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾.

يقول تعالى مخبراً عن قدرته التامة وسلطانه العظيم ليكون ذلك باعثاً على تعظيم ما شرع من

---

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٢/ ٤٢١). وفي سنده أبو بكر وهو ابن عياش فيه مقال: (ينظر ميزان الاعتدال ٤/ ٥٠٠).

(٢) ذكره الطبري بنحوه.

(٣) ما بين معقوفين لا يوجد في النسخ الخطية لدي، وقد أضيفت من طبعة الحلبي التي اعتمدت مخطوطة دار الكتب التي لم أظفر بها.

الدين القويم ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ﴾ كقوله تعالى إخباراً عن نوح أنه قال لقومه: ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۝١٥﴾ [نوح] وقوله تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ﴾ [الإسراء: ٤٤].

وقوله: ﴿وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ أي: سبعاً أيضاً كما ثبت في الصحيحين: «من ظلم قيد شبر من الأرض طوقه من سبع أرضين»[(١)] وفي صحيح البخاري «خسف به إلى سبع أرضين»[(٢)] وقد ذكرت طرقه وألفاظه وعزوه في أول البداية والنهاية عند ذكر خلق الأرض ولله الحمد والمنة.

ومن حمل ذلك على سبعة أقاليم فقد أبعد النجعة، وأغرق في النزع، وخالف القرآن والحديث بلا مستند، وقد تقدم في سورة الحديد عند قوله: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾ [٣] ذكر الأرضين السبع وبُعد ما بينهن، وكثافة كل واحدة منهن خمسمائة عام، وهكذا قال ابن مسعود وغيره، وكذا في الحديث الآخر: «ما السماوات السبع وما فيهن وما بينهن والأرضون السبع وما فيهن وما بينهن في الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة»[(٣)].

وقال ابن جرير: حدثنا عمرو بن علي، حدثنا وكيع، حدثنا الأعمش، عن إبراهيم بن مهاجر، عن مجاهد، عن ابن عباس في قوله: ﴿سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ قال: لو حدثتكم بتفسيرها لكفرتم، وكفركم تكذيبكم بها[(٤)].

وحدثنا ابن حميد، حدثنا يعقوب بن عبد الله بن سعد القمي والأشعري، عن جعفر بن أبي المغيرة الخزاعي، عن سعيد بن جبير قال: قال رجل لابن عباس: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ الآية فقال ابن عباس: ما يؤمنك إن أخبرتك بها فتكفر[(٥)].

وقال ابن جرير: حدثنا عمرو بن علي ومحمد بن المثنى قالا: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن عمرو بن مرة، عن أبي الضحى، عن ابن عباس في هذه الآية ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ قال عمرو: قال في كل أرض مثل إبراهيم ونحو ما على الأرض من الخلق.

وقال ابن المثنى في حديثه: في كل سماء إبراهيم[(٦)].

وروى البيهقي في كتاب «الأسماء والصفات» هذا الأثر عن ابن عباس بأبسط من هذا فقال: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، حدثنا أحمد بن يعقوب، حدثنا عبيد بن غنام النخعي، أخبرنا علي بن حكيم، حدثنا شريك، عن عطاء بن السائب، عن أبي الضحى، عن ابن عباس أنه قال: ﴿ٱللَّهُ

---

(١) أخرجه الشيخان من حديث عائشة رضي الله عنها. (صحيح البخاري، المظالم، باب إثم من ظلم شيئاً في الأرض ح٢٤٥٣) وصحيح مسلم، البيوع، باب تحريم الظلم وغصب الأرض (ح١٦١٢).

(٢) أخرجه البخاري من حديث ابن عمر رضي الله عنهما (الصحيح، الباب السابق ح٢٤٥٤).

(٣) تقدم تخريجه في تفسير سورة الرعد آية ٢.

(٤) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وفي سنده إبراهيم بن مهاجر فيه مقال (التقريب ص٩٤).

(٥) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وفي سنده ابن حميد وهو محمد بن حميد الرازي: ضعيف.

(٦) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وأخرجه الحاكم من طريق آدم بن أبي إياس عن شعبة به، وصححه ووافقه الذهبي. (المستدرك ٢/ ٤٩٣). وصححه البيهقي كما سيأتي بعد الرواية الآتية.

ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ قال: سبع أرضين في كل أرض نبي كنبيكم، وآدم كآدم، ونوح كنوح، وإبراهيم كإبراهيم، وعيسى كعيسى[(١)].

ثم رواه البيهقي من حديث شعبة، عن عمر بن مرة، عن أبي الضحى، عن ابن عباس في قول الله ﷻ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ قال: في كل أرض نحو إبراهيم عليه السلام[(٢)]. ثم قال البيهقي: إسناد هذا عن ابن عباس صحيح. وهو شاذ بمرة لا أعلم لأبي الضحى عليه متابعاً، والله أعلم.

قال الإمام أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا القرشي في كتابه «التفكر والاعتبار»: حدثني إسحاق بن حاتم المدائني، حدثنا يحيى بن سليمان، عن عثمان بن أبي دهرش قال: بلغني أن رسول الله ﷺ انتهى إلى أصحابه وهم سكوت لا يتكلمون فقال: «ما لكم لا تتكلمون؟» فقالوا: نتفكر في خلق الله ﷻ قال: «فكذلك فافعلوا تفكروا في خلق الله ولا تتفكروا فيه، فإن بهذا المغرب أرضاً بيضاء نورها بياضها ـ أو قال: بياضها نورها ـ مسيرة الشمس أربعين يوماً بها خلق من خلق الله تعالى لم يعصوا الله طرفة عين قط». قالوا: فأين الشيطان عنهم؟ قال: «ما يدرون خلق الشيطان أم لم يخلق»، قالوا: أمن ولد آدم؟ قال: «لا يدرون خلق آدم أم لم يخلق»[(٣)]. وهذا حديث مرسل وهو منكر جداً وعثمان بن أبي دهرس ذكره ابن أبي حاتم في كتابه فقال: روي عن رجل من آل الحكم بن أبي العاص، وعنه سفيان بن عيينة ويحيى بن سليم الطائفي وابن المبارك سمعت أبي يقول ذلك[(٤)].

آخر [تفسير سورة][(٥)] الطلاق.

---

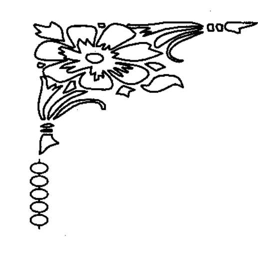
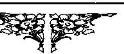
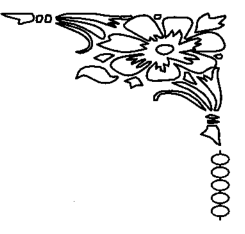
(١) أخرجه البيهقي بسنده ومتنه. (الأسماء والصفات رقم ٨٣١) وسنده ضعيف فيه شريك وعطاء بن السائب وكلاهما فيهما مقال.

(٢) أخرجه البيهقي (المصدر السابق رقم ٨٥١) وتقدم تخريجه وتصحيح الحاكم والذهبي قبل الرواية السابقة.

(٣) ضعفه الحافظ ابن كثير سنداً ومتناً، وقوله: «تفكروا في خلق الله ولا تتفكروا فيه» له شاهد صحيح تقدم.

(٤) الجرح والتعديل ٦/١٤٩.

(٥) زيادة من (ح).

سُورَةُ التَّحْرِيمِ

وهي مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ ۖ تَبْتَغِى مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١﴾ قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَـٰنِكُمْ ۚ وَٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾ وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِىُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ ۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَـٰذَا ۖ قَالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٣﴾ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ۖ وَإِن تَظَـٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَـٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَـٰتٍ مُّؤْمِنَـٰتٍ قَـٰنِتَـٰتٍ تَـٰٓئِبَـٰتٍ عَـٰبِدَٰتٍ سَـٰٓئِحَـٰتٍ ثَيِّبَـٰتٍ وَأَبْكَارًا ﴿٥﴾﴾.

اختلف في سبب نزول صدر هذه السورة فقيل: نزلت في شأن مارية، وكان رسول الله ﷺ قد حرمها فنزل قوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ ۖ تَبْتَغِى مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ﴾ الآية.

قال أبو عبد الرحمٰن النسائي: أخبرنا إبراهيم بن يونس بن محمد، حدثنا أبي، حدثنا حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أنس أن رسول الله ﷺ كانت له أمة يطؤها، فلم تزل به عائشة وحفصة حتى حرمها، فأنزل الله ﷻ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ...﴾ إلى آخر الآية(١).

وقال ابن جرير: حدثني ابن عبد الرحيم البرقي، حدثنا ابن أبي مريم، حدثنا أبو غسان، حدثني زيد بن أسلم أن رسول الله ﷺ أصاب أم إبراهيم في بيت بعض نسائه فقالت: أي رسول الله في بيتي وعلى فراشي؟ فجعلها عليه حراماً، قالت: أي رسول الله كيف يحرم عليك الحلال؟ فحلف لها بالله لا يصيبها، فأنزل الله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ﴾ قال زيد بن أسلم: فقوله: أنت عليَّ حرام لغو(٢)، وهكذا روى عبد الرحمٰن بن زيد عن أبيه(٣).

وقال ابن جرير أيضاً: حدثنا يونس، حدثنا ابن وهب، عن مالك، عن زيد بن أسلم قال: قال لها: أنت عليَّ حرام، والله لا أطؤكِ(٤).

---

(١) أخرجه النسائي بسنده ومتنه. (السنن الكبرى، التفسير باب قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ﴾ [التحريم: ١] ح١١٦٠٧) وأخرجه الحاكم من طريق سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس. وصححه ووافقه الذهبي. (المستدرك ٢/٤٩٣).

(٢) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده ضعيف لإرسال زيد.

(٣) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده ضعيف لضعف عبد الرحمٰن بن زيد.

(٤) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده ضعيف لإرسال زيد.

وقال سفيان والثوري وابن علية، عن داود بن أبي هند، عن الشعبي، عن مسروق قال: آلى رسول الله ﷺ وحرَّم، فعوتب في التحريم، وأُمر بالكفارة في اليمين[١]. رواه ابن جرير وكذا روي عن قتادة وغيره عن الشعبي نفسه[٢] وكذا قال غير واحد من السلف منهم الضحاك والحسن وقتادة ومقاتل بن حيان، وروىٰ العوفي عن ابن عباس القصة مطولة[٣].

وقال ابن جرير: حدثنا سعيد بن يحيى، حدثنا أبي، حدثنا محمد بن إسحاق، عن الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله، عن ابن عباس قال: قلت لعمر بن الخطاب: من المرأتان؟ قال: عائشة وحفصة، وكان بدء الحديث في شأن أم إبراهيم مارية أصابها النبي ﷺ في بيت حفصة في نوبتها فوجدت حفصة، فقالت: يا نبي الله لقد جئت إلي شيئاً ما جئت إلى أحد من أزواجك في يومي وفي دوري وعلى فراشي، قال: ألا ترضين أن أحرمها فلا أقربها؟ قالت: بلى فحرمها، وقال لها: لا تذكري ذلك لأحد فذكرته لعائشة، فأظهره الله عليه فأنزل الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ﴾ الآيات كلها فبلغنا أن رسول الله ﷺ كفَّر عن يمينه وأصاب جاريته[٤].

وقال الهيثم بن كليب في مسنده: حدثنا أبو قلابة عبد الملك بن الرقاشي، حدثنا مسلم بن إبراهيم، حدثنا جرير بن حازم، عن أيوب، عن نافع، عن ابن عمر، عن عمر قال: قال النبي ﷺ لحفصة: «لا تخبري أحداً، وإن أم إبراهيم عليَّ حرام». فقالت: أتحرم ما أحلَّ لك؟ قال: فوالله لا أقربها. قال: فلم يقربها حتى أخبرت عائشة، قال: فأنزل الله: ﴿قَدۡ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمۡ تَحِلَّةَ أَيۡمَٰنِكُمۡۚ﴾[٥]. وهذا إسناد صحيح ولم يخرجه من أحد من أصحاب الكتب الستة، وقد اختاره الضياء المقدسي في كتابه المستخرج[٦].

وقال ابن جرير أيضاً: حدثني يعقوب بن إبراهيم، حدثنا ابن عُليَّة، حدثنا هشام الدستوائي، قال: كتب إليَّ يحيى يحدث، عن يعلى بن حكيم، عن سعيد بن جبير أن ابن عباس كان يقول: في الحرام يمين تكفرها. وقال ابن عباس: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ﴾ [الأحزاب: ٢١][٧]، يعني: أن رسول الله ﷺ حرَّم جاريته فقال الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ﴾ إلى قوله: ﴿قَدۡ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمۡ تَحِلَّةَ أَيۡمَٰنِكُمۡۚ﴾ فكفر يمينه فصيَّر الحرام يميناً. ورواه البخاري عن معاذ بن فضالة عن هشام هو الدستوائي عن يحيى هو ابن أبي كثير، عن ابن حكيم وهو: يعلى، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس: في الحرام يمين تكفر.

---

(١) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده ضعيف لإرسال مسروق.

(٢) أخرجه الطبري وهو مرسل أيضاً.

(٣) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به.

(٤) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده ضعيف لعنعنة ابن إسحاق.

(٥) في سنده عبد الملك بن محمد الرقاشي صدوق يخطئ تغير حفظه لما سكن بغداد (التقريب ص٣٦٥).

(٦) أخرجه الضياء المقدسي من طريق الهيثم بن كليب به. (المختارة ٥/ ٦٩، ٧٠ ح١٦٩٤، ١٦٩٥).

(٧) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده صحيح، وأخرجه مسلم من طريق ابن عُليَّة به (الصحيح، الطلاق، باب وجوب الكفارة على من حرّم امرأته ولم ينو الطلاق ح١٤٧٣).

وقال ابن عباس: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[(١)] [الأحزاب: ٢١]. ورواه مسلم من حديث هشام الدستوائي به[(٢)].

وقال النسائي: أخبرنا عبد الله بن عبد الصمد بن علي، حدثنا مخلد هو: ابن يزيد، حدثنا سفيان، عن سالم، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: أتاه رجل فقال: إني جعلت امرأتي عليَّ حراماً. قال: كذبت ليست عليك بحرام ثم تلى هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ﴾ عليك أغلظ الكفارات عتق رقبة[(٣)]. تفرد به النسائي من هذا الوجه بهذا اللفظ.

وقال الطبراني: حدثنا محمد بن زكريا، حدثنا عبد الله بن رجاء، حدثنا إسرائيل، عن مسلم، عن مجاهد، عن ابن عباس في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ﴾ قال: حرم رسول الله ﷺ سريته[(٤)].

ومن هٰهنا ذهب من ذهب من الفقهاء ممن قال: بوجوب الكفارة على من حرَّم جاريته أو زوجته أو طعاماً أو شراباً أو ملبساً أو شيئاً من المباحات، وهو مذهب الإمام أحمد وطائفة.

وذهب الشافعي إلا أنه لا تجب الكفارة فيما عدا الزوجة والجارية إذا حرم عينيهما أو أطلق التحريم فيهما في قول، فأما إذا نوى بالتحريم طلاق الزوجة أو عتق الأمة نفذ فيهما.

وقال ابن أبي حاتم: حدثني أبو عبد الله الظهراني، أخبرنا حفص بن عمر العدني، أخبرنا الحكم بن أبان، أخبرنا عكرمة، عن ابن عباس قال: نزلت هذه الآية ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ﴾ في المرأة التي وهبت نفسها للنبي ﷺ[(٥)]. وهذا قول غريب.

والصحيح أن ذلك كان في تحريمه العسل كما قال البخاري عند هذه الآية: حدثنا إبراهيم بن موسى، أخبرنا هشام بن يوسف، عن ابن جريج، عن عطاء، عن عبيد بن عمير، عن عائشة قالت: كان النبي ﷺ يشرب عسلاً عند زينب بنت جحش، ويمكث عندها فتواطأت أنا وحفصة على أيتنا دخل عليها فلتقل له: أكلت مغافير إني أجد منك ريح مغافير، قال: «لا ولكني كنت أشرب عسلاً عند زينب بنت جحش فلن أعود له، وقد حلفت لا تخبري بذلك أحداً»[(٦)] ﴿تَبْتَغِى مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَۚ﴾ هكذا أورد هذا الحديث هٰهنا بهذا اللفظ.

وقال في كتاب الأيمان والنذور: حدثنا الحسن بن محمد، حدثنا الحجاج، عن ابن جريج قال: زعم عطاء أنه سمع عبيد بن عمير يقول: سمعت عائشة تزعم أن رسول الله ﷺ كان يمكث عند زينب بنت جحش ويشرب عندها عسلاً، فتواطأتُ أنا وحفصة أن أيتنا دخل عليها النبي ﷺ

---

(١) أخرجه البخاري بسنده ومتنه (الصحيح، التفسير، باب ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ ...﴾ [التحريم: ١] ح٤٩١١).

(٢) تقدم عزوه قبل الرواية السابقة.

(٣) أخرجه النسائي بسنده ومتنه (السنن، الطلاق، باب تأويل قوله ﷻ ﴿لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ﴾ ٦/ ١٥١) وسنده حسن.

(٤) أخرجه الطبراني بسنده ومتنه (المعجم الكبير ١١/ ٨٦ ح١١٨٣٠) وسنده ضعيف لضعف مسلم وهو ابن كيسان الضبي روىٰ عن مجاهد، وروى عنه إسرائيل. (تهذيب التهذيب ١٠/ ١٣٥).

(٥) سنده ضعيف لضعف حفص بن عمر العدني كما في التقريب.

(٦) أخرجه البخاري بسنده ومتنه. (الصحيح، التفسير، باب ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ ...﴾ ح٤٩١٢).

فلتقل: إني أجد منك ريح مغافير أكلت مغافير؟ فدخل على إحداهما النبي ﷺ فقالت ذلك، فقال: «لا بل شربت عسلاً عند زينب بنت جحش ولن أعود له»، فنزلت: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ﴾ إلى ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ لعائشة وحفصة: ﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا﴾ لقوله: بل شربت عسلاً.

وقال إبراهيم بن موسى، عن هشام: ولن أعود له وقد حلفت فلا تخبري بذلك أحداً[١].

وهكذا رواه في كتاب الطلاق بهذا الإسناد ولفظه قريب منه[٢]. ثم قال: المغافير شبيه بالصمغ يكون في الرمث فيه حلاوة. أغفر الرمث إذا ظهر فيه، واحدها مغفور ويقال: مغافير[٣]، وهكذا قال الجوهري قال: وقد يكون المغفور أيضاً للعشر والثمام والسَّلم والطلح قال: والرِمث بالكسر مرعى من مراعي الإبل، وهو من الحمض قال: العرافط: شجر من العضاه ينضج المغفور منه.

وقد روى مسلم هذا الحديث في كتاب الطلاق من صحيحه عن محمد بن حاتم، عن حجاج، عن ابن جريج، أخبرني عطاء، عن عبيد بن عمير، عن عائشة به ولفظه كما أورده البخاري في الأيمان والنذور[٤]، ثم قال البخاري في كتاب الطلاق: حدثنا فروة بن أبي المغراء، حدثنا علي بن مُسهر، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ يحب الحلوى والعسل، وكان إذا انصرف من العصر دخل على نسائه، فيدنو من إحداهن فدخل على حفصة بنت عمر فاحتبس أكثر ما كان يحتبس، فَغِرْتُ، فسألت عن ذلك فقيل لي: أهدت لها امرأة من قومها عُكة[٥] عسل فسقت النبي ﷺ منه شربة فقلت: أما والله لنحتالن له فقلت لسودة بنت زمعة إنه سيدنو منك فإذا دنا منك فقولي: أكلت مغافير فإنه سيقول لك: لا. فقولي له ما هذه الريح التي أجد؟ فإنه سيقول لك: سقتني حفصة شربة عسل، فقولي: جَرَسَت نحله العُرفُط، وسأقول ذلك، وقولي له أنت يا صفية ذلك. قالت: تقول سودة: فوالله ما هو إلا أن قام على الباب، فأردت أن أناديه بما أمرتني فرقاً منك فلما دنا منها قالت له سودة: يا رسول الله أكلت مغافير؟ قال: «لا» قالت: فما هذه الريح التي أجد منك؟ قال: «سقتني حفصة شربة عسل». قالت: جَرَست نحله العرفط، فلما دار إليَّ قلت: نحو ذلك، فلما دار إلى صفية قالت له مثل ذلك، فلما دار إلى حفصة قالت له: يا رسول الله ألا أسقيك منه؟ قال: «لا حاجة لي فيه». قلت: تقول سودة والله لقد حرمناه. قلت لها: اسكتي[٦]. وهذا لفظ البخاري وقد رواه مسلم عن سويد بن سعيد، عن علي بن مسهر به، وعن أبي كريب وهارون بن عبد الله والحسن بن بشر ثلاثتهم عن أبي أسامة حماد بن أسامة، عن هشام بن عروة به. وعنده قالت: وكان رسول الله ﷺ

---

(١) أخرجه البخاري بسنده ومتنه (الصحيح، الأيمان والنذور، باب إذا حرم طعاماً ح٦٦٩١).
(٢) صحيح البخاري، الطلاق، باب ﴿لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ﴾ [التحريم: ١]؟ (ح٥٢٦٧).
(٣) هذا النص لم أجده في صحيح البخاري.
(٤) أخرجه مسلم بسنده ومتنه. (الصحيح، الطلاق، باب وجوب الكفارة على من حرّم امرأته ولم ينو الطلاق ح١٤٧٤).
(٥) أي: الإناء.
(٦) أخرجه البخاري بسنده ومتنه (الصحيح، الطلاق، باب ﴿لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ﴾؟ ح٥٢٦٨).

يشتد عليه أن يوجد منه الريح يعني الريح الخبيثة، ولهذا قلنَّ له: أكلت مغافير لأن ريحها فيه شيء، فلما قال: «بل شربت عسلاً» قلن: جَرَست نحُلُه العرفط[١]. أي: رعت نحله شجر العرفط الذي صمغه المغافير، فلهذا ظهر ريحه في العسل الذي شربته.

قال الجوهري: جرست النحل العرفط تجرس إذا أكلته، ومنه قيل: للنحل جوارس.

قال الشاعر:

تَظلّ على الثمراء منها جَوارسُ

وقال: الجَرْس والجِرْس: الصوت الخفي، ويقال: سمعت جرس الطير إذا سمعت صوت مناقيرها على شيء تأكله، وفي الحديث فيسمعون جرس طير الجنة. قال الأصمعي كنت في مجلس شعبة قال: فيسمعون جرش طير الجنة بالشين، فقلت: جرس. فنظر إليَّ فقال: خذوها عنه فإنه أعلم بهذا منا[٢].

والغرض أن هذا السياق فيه أن حفصة هي الساقية للعسل وهو من طريق هشام بن عروة، عن أبيه، عن خالته، عن عائشة وفي طريق ابن جريج، عن عطاء، عن عبيد بن عمير، عن عائشة أن زينب بنت جحش هي التي سقته العسل، وأن عائشة وحفصة تواطأتا وتظاهرتا عليه فالله أعلم.

وقد يقال: إنهما واقعتان ولا بُعد في ذلك إلا أن كونها سبباً لنزول هذه الآية فيه نظر والله أعلم.

ومما يدل على أن عائشة وحفصة رضي الله عنهما هما المتظاهرتان الحديث الذي رواه الإمام أحمد في مسنده حيث قال: حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر، عن الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله بن أبي ثور، عن ابن عباس قال: لم أزل حريصاً على أن أسأل عمر عن المرأتين من أزواج النبي ﷺ اللّتين قال الله تعالى: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ حتى حج عمر وحججت معه، فلما كان ببعض الطريق عدل عمر وعدلت معه بالإداوة فتبرَّز ثم أتاني فسكبت على يديه، فتوضأ فقلت: يا أمير المؤمنين من المرأتان من أزواج النبي ﷺ اللتان قال الله تعالى: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾؟ فقال عمر: واعجباً لك يا ابن عباس. قال الزهري: كره والله ما سأله عنه ولم يكتمه قال: هي عائشة وحفصة.

قال: ثم أخذ يسوق الحديث قال: كنا معشر قريش قوماً نغلب النساء، فلما قدمنا المدينة وجدنا قوماً تغلبهم نساؤهم فطفق نساؤنا يتعلمن من نسائهم قال: وكان منزلي في دار بني أُمية بن زيد بالعوالي، قال: فغضبت يوماً على امرأتي فإذا هي تراجعني، فأنكرت أن تراجعني فقالت: ما تنكر أن أراجعك فوالله إن أزواج رسول الله ﷺ ليراجعنه وتهجره إحداهن اليوم إلى الليل. قال: فانطلقت فدخلت على حفصة فقلت: أتراجعين رسول الله ﷺ؟ قالت: نعم. قلت: وتهجره إحداكن اليوم إلى الليل؟ قالت: نعم. قلت: قد خاب من فعل ذلك منكنّ وخسر، أفتأمن إحداكن أن يغضب الله عليها لغضب رسوله؟ فإذا هي قد هلكت، لا تراجعي رسول الله ﷺ ولا تسأليه شيئاً وسليني من مالي ما بدا لكي ولا يغرنك إن كانت جارتك هي أوسم؛ أي: أجمل

---

(١) صحيح مسلم، الباب السابق (ح١٤٧٤/ ٢١).
(٢) ينظر: الصحاح للجوهري ٢/ ٩٠٨.

وأحب إلى رسول الله ﷺ منك يريد عائشة. قال: وكان لي جار من الأنصار وكنا نتناوب النزول إلى رسول الله ﷺ ينزل يوماً وأنزل يوماً، فيأتيني بخبر الوحي وغيره وآتيه بمثل ذلك قال: وكنا نتحدث أن غسان تنعل الخيل لتغزونا فنزل صاحبي يوماً ثم أتى عشاء فضرب بابي ثم ناداني فخرجت إليه فقال: حدث أمر عظيم فقلت: وما ذاك أجاءت غسان؟ قال: لا بل أعظم من ذلك وأطول طلَّق رسول الله ﷺ نساءه، فقلت: قد خابت حفصة وخسرت قد كنت أظن هذا كائناً حتى إذا صليت الصبح شددت علي ثيابي ثم نزلت، فدخلت على حفصة وهي تبكي فقلت: أطلقكنَّ رسول الله ﷺ؟ فقالت: لا أدري هو هذا معتزل في هذه المشربة، فأتيت غلاماً له أسود فقلت: استأذن لعمر، فدخل الغلام ثم خرج إليَّ فقال: ذكرتك له فصمت، فانطلقت حتى أتيت المنبر فإذا عنده رهط جلوس يبكي بعضهم، فجلست عنده قليلاً ثم غلبني ما أجد، فأتيت الغلام فقلت: استأذن لعمر، فدخل ثم خرج إليّ فقال: قد ذكرتك له فصمت فخرجت فجلست إلى المنبر ثم غلبني ما أجد، فأتيت الغلام فقلت: استأذن لعمر فدخل ثم خرج إلي فقال: قد ذكرتك له فصمت، فوليت مدبراً فإذا الغلام يدعوني فقال: ادخل قد أذن لك، فدخلت فسلمت على رسول الله ﷺ فإذا هو متكئ على رمل حصير.

قال الإمام أحمد: وحدثناه يعقوب في حديث صالح قال: رمال حصير قد أثر في جنبه، فقلت: أطلقت يا رسول الله نسائك؟ فرفع إليَّ رأسه فقال: «لا». فقلت: الله أكبر لو رأيتنا يا رسول الله وكنا معشر قريش قوماً نغلب النساء، فلما قدمنا المدينة وجدنا قوماً تغلبهم نساؤهم فطفق نساؤنا يتعلمن من نسائهم، فغضبت على امرأتي يوماً فإذا هي تراجعني فأنكرت أن تراجعني فقالت: ما تنكر أن أراجعك فوالله إن أزواج النبي ﷺ ليراجعنه وتهجره إحداهن اليوم إلى الليل، فقلت: قد خاب من فعل ذلك منكن وخسرت أفتأمن إحداكن أن يغضب الله عليها لغضب رسوله فإذا هي قد هلكت؟ فتبسم رسول الله ﷺ، فقلت: يا رسول الله قد دخلت على حفصة فقلت: لا يغرنك إن كانت جارتك هي أوسم أو أحب إلى رسول الله ﷺ منك، فتبسم أخرى فقلت: أستأنس يا رسول الله؟ قال: نعم. فجلست فرفعت رأسي في البيت، فوالله ما رأيت في البيت شيئاً يرد البصر إلا أهبة ثلاثة فقلت: ادع الله يا رسول الله أن يوسع على أمتك فقد وسع على فارس والروم، وهم لا يعبدون الله فاستوى جالساً وقال: أفي شك أنت يا ابن الخطاب؟ أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في الحياة الدنيا. فقلت: استغفر لي يا رسول الله، وكان أقسم أن لا يدخل عليهن شهراً من شدة موجدته عليهنَّ حتى عاتبه الله ﷻ[1].

وقد رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي من طرق عن الزهري به[2].

وأخرجه الشيخان من حديث يحيى بن سعيد الأنصاري، عن عبيد بن حنين، عن ابن عباس قال: مكثت سنة أريد أن أسأل عمر بن الخطاب عن آية، فما أستطيع أن أسأله هيبة له حتى خرج حاجاً فخرجت معه، فلما رجعنا وكنا ببعض الطريق عدل إلى الأراك لحاجة له قال:

---

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه وطوله (المسند ١/ ٣٤٦، ٣٥٠ ح٢٢٢) وصحح سنده محققوه.

(٢) صحيح البخاري، المظالم، باب الغرفة والعُلِّيَّة المشرفة وغير المشرفة في السطوح وغيرها (ح٢٤٦٨) وصحيح مسلم، الطلاق، باب في الإيلاء واعتزال النساء وتخييرهن (ح١٤٧٩/ ٣٤).

فوقفت حتى فرغ ثم سرت معه فقلت: يا أمير المؤمنين من اللتان تظاهرتا على النبي ﷺ؟ هذا لفظ البخاري ولمسلم من المرأتان اللتان؟ قال الله تعالى: ﴿وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ﴾ قال: عائشة وحفصة. ثم ساق الحديث[١] بطوله ومنهم من اختصره.

وقال مسلم أيضاً: حدثني زهير بن حرب، حدثنا عمر بن يونس الحنفي، حدثنا عكرمة بن عمار، عن سماك بن الوليد أبي زميل، حدثني عبد الله بن عباس، حدثني عمر بن الخطاب قال: لما اعتزل نبي الله ﷺ نساءه دخلت المسجد فإذا الناس ينكتون بالحصى ويقولون: طلّق رسول الله ﷺ نساءه وذلك قبل أن يؤمر بالحجاب، فقلت: لأعلمنَّ ذلك اليوم فذكر الحديث في دخوله على عائشة وحفصة ووعظه إياهما إلى أن قال: فدخلت فإذا أنا برباح غلام رسول الله ﷺ على أسكفة المشربة فناديت فقلت: يا رباح استأذن لي على رسول الله ﷺ فذكر نحو ما تقدم إلى أن قال: فقلت: يا رسول الله ما يشق عليك من أمر النساء، فإن كنت طلقتهن فإن الله معك وملائكته وجبريل وميكال وأنا وأبو بكر والمؤمنون معك، وقلما تكلمت وأحمد الله بكلام إلا رجوت أن يكون الله يصدق قولي فنزلت هذه الآية آية التخيير: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبۡدِلَهُۥٓ أَزۡوَٰجًا خَيۡرًا مِّنكُنَّ﴾ ﴿وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوۡلَىٰهُ وَجِبۡرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾ فقلت: أطلقتهن؟ قال: «لا». فقمت على باب المسجد فناديت بأعلى صوتي: لم يطلق نساءه ونزلت هذه الآية: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٌ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ﴾ [النساء: ٨٣] فكنت أنا استنبطت ذلك الأمر[٢].

وكذا قال سعيد بن جبير وعكرمة ومقاتل بن حيان والضحاك وغيرهم ﴿وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ﴾: أبو بكر وعمر: زاد الحسن البصري: وعثمان.

وقال [ليث بن أبي][٣] سُليم، عن مجاهد ﴿وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ﴾ قال: علي بن أبي طالب[٤].

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا علي بن الحسين، حدثنا محمد بن أبي عمر، حدثنا محمد بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين، قال: أخبرني رجل ثقة يرفعه إلى علي قال: قال رسول الله ﷺ في قوله: ﴿وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ﴾ قال: هو علي بن أبي طالب[٥]. إسناده ضعيف وهو منكر جداً.

وقال البخاري: حدثنا عمرو بن عون، حدثنا هشيم، عن حميد، عن أنس قال: قال عمر اجتمع نساء النبي ﷺ في الغيرة عليه فقلت لهن: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبۡدِلَهُۥٓ أَزۡوَٰجًا خَيۡرًا مِّنكُنَّ﴾ فنزلت هذه الآية[٦].

وقد تقدم أنه وافق القرآن في أماكن منها في نزول الحجاب، ومنها في أسارى بدر، ومنها

---

(١) صحيح البخاري، التفسير، باب ﴿تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ ...﴾ [التحريم: ١] (ح٤٩١٣) وصحيح مسلم، الباب السابق (ح١٤٧٩/٣٣).

(٢) المصدر السابق ح١٤٧٩/ ٣٠.

(٣) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل بياض.

(٤) في سنده ليث فيه مقال.

(٥) سنده ضعيف لإبهام الراوي عن علي رضي الله عنه، وضعفه الحافظ ابن كثير.

(٦) أخرجه البخاري بسنده ومتنه (الصحيح، التفسير، باب ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ ...﴾ [التحريم: ١] ح٤٩١٦).

قوله: لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى فأنزل الله تعالى: ﴿وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥].

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا الأنصاري، حدثنا حميد، عن أنس قال: قال عمر بن الخطاب: بلغني شيء كان بين أمهات المؤمنين وبين النبي ﷺ، فاستقريتهن أقول: لتكفنَّ عن رسول الله ﷺ أو ليبدلنه الله أزواجاً خيراً منكن، حتى أتيت على آخر أمهات المؤمنين فقالت: يا عمر أما في رسول الله ما يعظ نساءه حتى تعظهنّ، فأمسكتُ، فأنزل الله ﷻ: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا ﴿٥﴾﴾[(١)].

وهذه المرأة التي ردَّته عمَّا كان فيه من وعظ النساء هي أُم سلمة كما ثبت ذلك في صحيح البخاري.

وقال الطبراني: حدثنا إبراهيم بن نائلة الأصبهاني، حدثنا إسماعيل البجلي، حدثنا أبو عوانة، عن أبي سنان، عن الضحاك، عن ابن عباس في قوله: ﴿وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا﴾ قال: دخلت حفصة على النبي ﷺ في بيتها وهو يطأ مارية فقال لها رسول الله ﷺ: «لا تخبري عائشة حتى أبشرك ببشارة إن أباك يلي الأمر من بعد أبي بكر إذا أنا متُّ»، فذهبت حفصة فأخبرت عائشة، فقالت عائشة لرسول الله ﷺ: من أنبأك هذا؟ قال: ﴿نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ﴾» فقالت عائشة: لا أنظر إليك حتى تحرم مارية فحرمها فأنزل الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ﴾[(٢)] إسناده فيه نظر، وقد تبين مما أوردناه تفسير هذه الآيات الكريمات ومعنى قوله: ﴿مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ﴾ ظاهر.

وقوله: ﴿سَائِحَاتٍ﴾ أي: صائمات، قاله أبو هريرة وعائشة وابن عباس وعكرمة ومجاهد وسعيد بن جبير وعطاء ومحمد بن كعب القرظي وأبو عبد الرحمٰن السلمي وأبي مالك وإبراهيم النخعي والحسن وقتادة والضحاك والربيع بن أنس والسدي وغيرهم[(٣)].

وتقدم في حديث مرفوع عند قوله: ﴿السَّائِحُونَ﴾ في سورة براءة ولفظه سياحة هذه الأمة الصيام[(٤)].

وقال زيد بن أسلم وابنه عبد الرحمٰن: ﴿سَائِحَاتٍ﴾ أي: مهاجرات وتلا عبد الرحمٰن: ﴿السَّائِحُونَ﴾ [التوبة: ١١٢][(٥)]. أي: المهاجرون. والقول الأول أولى، والله أعلم.

---

(١) هذا السند فيه اضطراب أرىٰ فيه انقطاعاً بين الأنصاري وحميد، وابن أبي حاتم ليس كعادته أن يذكر الرجل بنسبة مبهمة كذكر الأنصاري دون ذكر اسم.

(٢) أخرجه الطبراني (المعجم الكبير ١٢/١١٧ ح١٢٦٤٠) وسنده ضعيف لأن الضحاك لم يلق ابن عباس، وإسماعيل البجلي ضعيف (مجمع الزوائد ٥/١٨١).

(٣) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق عطية العوفي عن ابن عباس، ويتقوىٰ بما أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة بلفظه. وتقدم تخريجه عن جمع من السلف المفسرين في تفسير سورة التوبة آية ١١٢.

(٤) تقدم تخريجه في تفسير سورة التوبة آية ١١٢.

(٥) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن عبد الرحمٰن بن زيد بنحوه.

وقوله تعالى: ﴿ثَيِّبَٰتٖ وَأَبۡكَارٗا﴾ أي: منهن ثيبات ومنهن أبكاراً ليكون ذلك أشهى إلى النفس فإن التنوع يبسط النفس ولهذا قال: ﴿ثَيِّبَٰتٖ وَأَبۡكَارٗا﴾.

وقال أبو القاسم الطبراني في معجمه الكبير: حدثنا أبو بكر بن صدقة، حدثنا محمد بن محمد بن مرزوق، حدثنا عبد الله بن أبي أُمية، حدثنا عبد القدوس، عن صالح بن حيان، عن ابن بُريدة عن أبيه ﴿ثَيِّبَٰتٖ وَأَبۡكَارٗا﴾ قال: وعد الله نبيه ﷺ في هذه الآية أن يزوجه بالثيب آسية امرأة فرعون، وبالبكر مريم بنت عمران(١).

وذكر الحافظ ابن عساكر في ترجمة مريم عليها السلام من طريق سويد بن سعيد، حدثنا محمد بن صالح بن عمر، عن الضحاك ومجاهد، عن ابن عمر قال: جاء جبريل إلى رسول الله ﷺ فمرت خديجة فقال: إن الله يقرئها السلام ويبشرها ببيت في الجنة من قصب بعيد عن اللهب لا نصب فيه ولا صخب، من لؤلؤة [جوفاء بين](٢) بيت مريم عمران وبيت آسية بنت مزاحم(٣).

ومن حديث أبي بكر الهذلي، عن عكرمة، عن ابن عباس أن النبي ﷺ دخل على خديجة وهي في الموت فقال: يا خديجة إذا لقيت ضرائرك فأقرئيهن مني السلام. فقالت: يا رسول الله وهل تزوجت قبلي؟ قال: «لا»، ولكن الله زوجني مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون وكلثم أخت موسى(٤). ضعيف أيضاً.

وقال أبو يعلى: حدثنا إبراهيم ابن عرعرة، حدثنا عبد النور بن عبد الله، حدثنا يوسف بن شعيب، عن أبي أُمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «أعلمت أن الله زوجني في الجنة مريم بنت عمران وكلثم أخت موسى وآسية امرأة فرعون»، فقلت: هنيئاً لك يا رسول الله. وهذا أيضاً ضعيف وروي مرسلاً عن ابن أبي داود(٥).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ۝٦ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَعۡتَذِرُواْ ٱلۡيَوۡمَۖ إِنَّمَا تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ۝٧ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥۖ نُورُهُمۡ يَسۡعَىٰ بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ۝٨﴾.

قال سفيان الثوري، عن منصور، عن رجل، عن علي رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ

---

(١) سنده ضعيف لضعف صالح بن حيان وهو القرشي الكوفي روىٰ عن ابن بريدة. (تهذيب التهذيب ٤/ ٣٨٦).

(٢) زيادة من طبعة البابي الحلبي التي اعتمد فيها نسخة دار الكتب. وفي الأصل و(حم) بياض.

(٣) أخرجه ابن عساكر (تاريخ دمشق، تراجم النساء ص٣٨٣) وسنده ضعيف لضعف سويد بن سعيد (تهذيب التهذيب ٤/ ٢٢٥ ـ ٢٧٢).

(٤) أخرجه ابن عساكر (المصدر السابق ص٣٨٤) وسنده ضعيف جداً لأن أبا بكر الهذلي متروك كما في التقريب. وضعفه الحافظ ابن كثير.

(٥) سنده ضعيف جداً لأن عبد النور كذاب (الضعفاء الكبير للعقيلي ٤/ ٤٥٩).

﴿وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ يقول: أدبوهم وعلموهم[(١)].

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ يقول: اعملوا بطاعة الله، واتقوا معاصي الله، وأمروا أهلكم بالذكر ينجيكم الله من النار[(٢)].

وقال مجاهد: ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ قال: اتقوا الله وأوصوا أهليكم بتقوى الله[(٣)].

وقال قتادة: تأمرهم بطاعة الله، وتنهاهم عن معصية الله، وأن تقوم عليهم بأمر الله وتأمرهم به وتساعدهم عليه، فإذا رأيت لله معصية ردعتهم عنها وزجرتهم عنها. وهكذا قال الضحاك ومقاتل: حق المسلم أن يعلم أهله من قرابته وإمائه وعبيده ما فرض الله عليهم وما نهاهم الله عنه[(٤)].

وفي معنى هذه الآية الحديث الذي رواه أحمد وأبو داود والترمذي من حديث عبد الملك بن الربيع بن سبرة، عن أبيه، عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: «مُروا الصبي بالصلاة إذا بلغ سبع سنين، فإذا بلغ عشر سنين فاضربوه عليها» هذا لفظ أبي داود.

وقال الترمذي: هذا حديث حسن[(٥)].

وروى أبو داود من حديث عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، عن رسول الله ﷺ مثل ذلك[(٦)].

قال الفقهاء: وهكذا في الصوم ليكون ذلك تمريناً له على العبادة لكي يبلغ وهو مستمر على العبادة والطاعة ومجانبة المعاصي وترك المنكر، والله الموفق.

وقوله: ﴿وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ وقودها: أي حطبها الذي يلقى فيه جثث بني آدم ﴿وَٱلْحِجَارَةُ﴾ قيل: المراد بها: الأصنام التي كانت تعبد لقوله: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾﴾ [الأنبياء] وقال ابن مسعود ومجاهد وأبو جعفر الباقر والسدي: هي حجارة من كبريت[(٧)]، زاد مجاهد: أنتن من الجيفة.

[وروى ذلك ابن أبي حاتم رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: حدثنا أبي، حدثنا عبد الرحمٰن بن سنان المنقري][(٨)]، حدثنا عبد العزيز يعني: ابن أبي رواد قال: بلغني أن رسول الله ﷺ تلا هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ وعنده بعض أصحابه وفيهم شيخ فقال الشيخ: يا رسول الله حجارة جهنم كحجارة الدنيا؟ فقال النبي ﷺ: «والذي نفسي بيده لصخرة من صخر

---

(١) أخرجه الطبري من طريق الثوري به، وسنده ضعيف لإبهام الراوي عن علي رضي الله عنه، وقد أخرجه الحاكم موصولاً من طريق ربعي عن علي وصححه ووافقه الذهبي (المستدرك ٢/ ٤٩٤).

(٢) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق علي به.

(٣) أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.

(٤) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٥) أخرجه الإمام أحمد عن زيد بن الحباب عن عبد الملك بن الربيع به وحسنه محققوه. (المسند ٢٤/ ٥٦ ح١٥٣٣٩) وأخرجه أبو داود (السنن، الصلاة، باب متىٰ يؤمر الغلام بالصلاة ح٤٩٤) والترمذي (السنن، الصلاة، باب متىٰ يؤمر الصبي بالصلاة ح٤٠٧) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح٤٦٥).

(٦) المصدر السابق (ح٤٩٥).

(٧) تقدم تخريجه في تفسير سورة البقرة آية ٢٤.

(٨) زيادة من (ح) و(حم).

جهنم أعظم من جبال الدنيا كلها». قال: فوقع الشيخ مغشياً عليه، فوضع النبي ﷺ يده على فؤاده فإذا هو حي فناداه قال: يا شيخ قل: لا إله إلا الله، فقالها فبشره بالجنة قال: فقال أصحابه: يا رسول الله أمن بيننا؟ قال: «نعم يقول الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ﴾[1] [إبراهيم: ١٤]» هذا حديث مرسل غريب. وقوله: ﴿عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ﴾ أي: طباعهم غليظة قد نزعت من قلوبهم الرحمة بالكافرين بالله، ﴿شِدَادٌ﴾ أي: تركيبهم في غاية الشدة والكثافة والمنظر المزعج كما قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا سلمة بن شبيب، حدثنا إبراهيم بن الحكم بن أبان، حدثنا أبي، عن عكرمة أنه قال: إذا وصل أول أهل النار إلى النار وجدوا على الباب أربع مئة ألف من خزنة جهنم سود وجوههم كالحة أنيابهم قد نزع الله من قلوبهم الرحمة، ليس في قلب واحد منهم مثقال ذرة من الرحمة لو طير الطير من منكب أحدهم لطار شهرين قبل أن يبلغ منكبه الآخر، ثم يجدون على الباب التسعة عشر، عرض صدر أحدهم سبعون خريفاً ثم يهوون من باب إلى باب خمس مئة سنة، ثم يجدون على كل باب منها مثل ما وجدوا على الباب الأول حتى ينتهوا إلى آخرها[2].

وقوله: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ أي: مهما أمرهم به تعالى يبادرون إليه لا يتأخرون عنه طرفة عين وهم قادرون على فعله ليس بهم عجز عنه، وهؤلاء هم الزبانية عياذاً بالله منهم.

وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَعْتَذِرُوا۟ ٱلْيَوْمَ ۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٧﴾ أي: يقال للكفرة يوم القيامة لا تعتذروا فإنه لا يقبل منكم ولا تجزون إلا ما كنتم تعملون وإنما تجزون اليوم بأعمالكم.

ثم قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ أي: توبة صادقة جازمة تمحو ما قبلها من السيئات وتلم شعث التائب وتجمعه وتكفه عما كان يتعاطاه من الدناءات.

قال ابن جرير: حدثنا ابن مثنى، حدثنا محمد، حدثنا شعبة، عن سماك بن حرب، سمعت النعمان بن بشير يخطب، سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ قال: يذنب الذنب ثم لا يرجع فيه[3].

وقال الثوري: عن سماك، عن النعمان، عن عمر قال: التوبة النصوح أن يتوب من الذنب ثم لا يعود فيه أو لا يريد أن يعود فيه[4].

وقال أبو الأحوص وغيره، عن سماك، عن النعمان سئل عمر عن التوبة النصوح فقال: أن يتوب الرجل من العمل السيئ ثم لا يعود إليه أبداً[5].

---

(١) سنده ضعيف لأنه معضل.
(٢) سنده ضعيف لضعف إبراهيم بن الحكم بن أبان. (التقريب ص٨٩).
(٣) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده حسن ويشهد له ما ثبت عن ابن مسعود رضي الله عنه.
(٤) أخرجه الطبري والحاكم من طريق الثوري به، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي. (المستدرك ٢/ ٤٩٥).
(٥) أخرجه الطبري من طريق أبي الأحوص به وسنده حسن.

وقال الأعمش، عن أبي إسحاق، عن أبي الأحوص، عن عبد الله: ﴿تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ قال: يتوب ثم لا يعود[١].

وقد روي هذا مرفوعاً فقال الإمام أحمد: حدثنا علي بن عاصم، عن إبراهيم الهجري، عن أبي الأحوص، عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «التوبة من الذنب يتوب منه ثم لا يعود فيه»[٢]. تفرد به أحمد من طريق إبراهيم بن مسلم الهجري وهو ضعيف والموقوف أصح، والله أعلم.

ولهذا قال العلماء: التوبة النصوح هو أن يقلع عن الذنب في الحاضر، ويندم على ما سلف منه في الماضي، ويعزم على أن لا يفعل في المستقبل، ثم إن كان الحق لآدمي ردَّه إليه بطريقه.

قال الإمام أحمد: حدثنا سفيان عن عبد الكريم أخبرني زياد بن أبي مريم عن [عبد الله بن معقل][٣] قال: دخلت مع أبي على عبد الله بن مسعود فقال: أنت سمعت النبي ﷺ يقول: «الندم توبة؟» قال: نعم. وقال مرة: نعم سمعته يقول: «الندمة توبة»[٤]. ورواه ابن ماجه عن هشام بن عمار، عن سفيان بن عيينة، عن عبد الكريم وهو ابن مالك الجزري به[٥].

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا الحسن بن عرفة، حدثني الوليد بن بُكير أبو خباب، عن عبد الله بن محمد العدوي، عن أبي سنان البصري، عن أبي قلابة، عن زرٍّ بن حبيش، عن أُبي بن كعب قال: قيل: لنا أشياء تكون في آخر هذه الأمة عند اقتراب الساعة منها: نكاح الرجل امرأته أو أمته في دبرها وذلك مما حرم الله ورسوله ويمقت الله عليه ورسوله، ومنها نكاح الرجل الرجل وذلك مما حرم الله ورسوله ويمقت الله عليه ورسوله، ومنها نكاح المرأة المرأة وذلك مما حرم الله ورسوله ويمقت الله عليه ورسوله، وليس لهؤلاء صلاة ما أقاموا على هذا حتى يتوبوا إلى الله توبة نصوحاً. قال زرٌّ: فقلت: لأُبي بن كعب: فما التوبة النصوح؟ فقال: سألت رسول الله ﷺ عن ذلك فقال: «هو الندم على الذنب حين يفرط منك فتستغفر الله بندامتك منه عند الحاضر ثم لا تعود إليه أبداً»[٦].

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا عمرو بن علي، حدثنا عباد بن عمرو، حدثنا أبو عمرو بن العلاء، سمعت الحسن يقول: التوبة النصوح أن تبغض الذنب كما أحببته، وتستغفر منه إذا ذكرته[٧]، فأما إذا حزم بالتوبة وصمم عليها فإنها تجبُّ ما قبلها من الخطيئات كما ثبت في

---

(١) أخرجه الطبري من طريق الأعمش به، وسنده صحيح. وأخرجه الحاكم من طريق عباية الأسدي عن ابن مسعود وصححه، قال الذهبي: عباية لا ذكر له في الكتب الستة (المستدرك ٢/ ٤٩٥).

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٧/ ٢٩٩ ح٤٢٦٤) وقال محققوه: إسناده ضعيف وقد روي مرفوعاً وموقوفاً، والصحيح وقفه.

(٣) كذا في المسند و(ح)، وفي الأصل صحف إلى: «عبد الله بن مغفل».

(٤) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٦/ ٣٧ ح٣٥٦٨) وحسن سنده محققوه.

(٥) سنن ابن ماجه (الزهد، باب ذكر التوبة ح٤٢٥٢) وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (ح٣٤٢٩)، وصحح سنده البوصيري (مصباح الزجاجة ٣/ ٣٠٨).

(٦) ذكره الحافظ ابن حجر وقال: سنده ضعيف جداً.

(٧) يشهد له ما ثبت من الروايات الصحيحة قبل السابقة.

الصحيح: «الإسلام يجب ما قبله، والتوبة تجب ما قبلها»[(١)].

وهل من شرط التوبة النصوح الاستمرار على ذلك إلى الممات كما تقدم في الحديث وفي الأثر: «ثم لا يعود فيه أبداً» أو يكفي العزم على أن لا يعود في تكفير الماضي بحيث لو وقع منه ذلك الذنب بعد ذلك لا يكون ذلك ضاراً في تكفير ما تقدم لعموم قوله ﷺ: «التوبة تجب ما قبلها؟» وللأول أن يحتج بما ثبت في الصحيح أيضاً: «من أحسن في الإسلام لم يؤاخذ بما عمل في الجاهلية، ومن أساء في الإسلام أخذ بالأول والآخر»[(٢)] فإذا كان هذا في الإسلام الذي هو أقوى من التوبة فالتوبة بطريق الأولى والله أعلم.

وقوله: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ وعسى من الله موجبة ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ﴾ أي: ولا يخزيهم معه يعني يوم القيامة ﴿نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ﴾ كما تقدم في سورة الحديد: ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ قال مجاهد والضحاك والحسن البصري وغيرهم: [هذا يقوله][(٣)] المؤمنون حين يرون يوم القيامة نور المنافقين قد طفئ[(٤)].

وقال محمد بن نصر المروزي: حدثنا محمد بن مقاتل المروزي، حدثنا ابن المبارك، أخبرنا ابن لهيعة، حدثني يزيد بن أبي حبيب، عن عبد الرحمٰن بن جبير بن نفير أنه سمع أبا ذرٍّ وأبا الدرداء قالا: قال رسول الله ﷺ: «أنا أول من يؤذن له في السجود يوم القيامة، وأول من يؤذن له برفع رأسه، فأنظر بين يدي، فأعرف أمتي من بين الأمم، وأنظر عن يميني فأعرف أمتي من بين الأمم، وأنظر عن شمالي فأعرف أمتي من بين الأمم. فقال رجل يا رسول الله كيف تعرف أمتك من بين الأمم؟ قال: «غرٌّ محجلون من آثار الطهور، ولا يكون أحد من الأمم كذلك غيرهم، وأعرفهم يؤتون كتبهم بأيمانهم، وأعرفهم بسيماهم في وجوههم من أثر السجود وأعرفهم بنورهم يسعى بين أيديهم»[(٥)].

وقال الإمام أحمد: حدثنا إبراهيم بن إسحاق الطالقاني، حدثنا ابن المبارك، عن يحيى بن حسان، عن رجل من بني كنانة قال: صليت خلف رسول الله ﷺ عام الفتح فسمعته يقول: «اللّٰهم لا تخزني يوم القيامة»[(٦)].

---

(١) تقدم تخريجه في تفسير سورة الأنفال آية ٣٨.
(٢) تقدم تخريجه في تفسير سورة الأنفال آية ٣٨.
(٣) زيادة من (ح) و(حم).
(٤) أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد، وأخرجه الحاكم والطبري من طريق مجاهد عن يزيد بن شجرة الرهاوي، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي. (المستدرك ٣/ ٤٩٤).
(٥) أخرجه المروزي بسنده ومتنه (تعظيم قدر الصلاة رقم ٢٦١) وسنده حسن لأن الراوي عن ابن لهيعة هو أحد العبادلة الذين رووا عن ابن لهيعة قبل احتراق كتبه. وأخرجه الإمام أحمد من طريق ابن لهيعة به دون ذكر أبي ذرٍّ. (المسند ٣٦/ ٦٥ ح٢١٧٣٧) قال محققوه: حسن لغيره دون قوله: «وأعرفهم أنهم يؤتون كتبهم...».اهـ.
وأخرجه الحاكم من طريق الليث بن سعد عن يزيد بن أبي حبيب به وصححه ووافقه الذهبي. (المستدرك ٢/ ٤٧٨).
(٦) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٢٩/ ٥٩٦ ح١٨٠٥٦) وصحح سنده محققوه.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَـٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ۝٩ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَـٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ۝١٠﴾.

يقول تعالى آمراً رسوله ﷺ بجهاد الكفار والمنافقين هؤلاء بالسلاح والقتال، وهؤلاء بإقامة الحدود عليهم: ﴿وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ أي: في الدنيا ﴿وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ أي: في الآخرة.

ثم قال تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ أي: في مخالطتهم المسلمين ومعاشرتهم لهم أن ذلك لا يجدي عنهم شيئاً ولا ينفعهم عند الله إن لم يكن الإيمان حاصلاً في قلوبهم، ثم ذكر المثل فقال: ﴿ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَـٰلِحَيْنِ﴾ أي: نبيين رسولين عندهما في صحبتهما ليلاً ونهاراً يؤاكلانهما ويضاجعانهما ويعاشرانهما أشد العشرة والاختلاط ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾ أي: في الإيمان لم يوافقاهما على الإيمان ولا صدقاهما في الرسالة، فلم يجد ذلك كله شيئاً، ولا دفع عنهما محذوراً، ولهذا قال: ﴿فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ أي: لكفرهما ﴿وَقِيلَ﴾ أي: للمرأتين: ﴿ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ﴾ وليس المراد بقوله: ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾ في فاحشة بل في الدين فإن نساء الأنبياء معصومات عن الوقوع في الفاحشة لحرمة الأنبياء كما قدمنا في سورة النور.

قال سفيان الثوري: عن موسى بن أبي عائشة، عن سليمان بن قتَّة سمعت ابن عباس يقول في هذه الآية: ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾ قال: ما زنتا، أما خيانة امرأة نوح فكانت تخبر أنه مجنون، وأما خيانة امرأة لوط فكانت تدلُّ قومها على أضيافه(١).

وقال العوفي، عن ابن عباس قال: كانت خيانتهما أنهما كانتا على عَورتيهما فكانت امرأة نوح تطلع على سرِّ نوح، فإذا آمن مع نوح أحد أخبرت الجبابرة من قوم نوح به، وأما امرأة لوط فكانت إذا أضاف لوط أحداً أخبرت به أهل المدينة ممن يعمل السوء(٢).

وقال الضحاك، عن ابن عباس: ما بغت امرأة نبي قط إنما كانت خيانتهما في الدين(٣)، وهكذا قال عكرمة وسعيد بن جبير والضحاك(٤) وغيرهم.

وقد استدل بهذه الآية الكريمة بعض العلماء على ضعف الحديث الذي يأثره كثير من الناس: «من أكل مع مغفور له غفر له» وهذا الحديث لا أصل له، وإنما يروى هذا عن بعض الصالحين أنه رأى النبي ﷺ في المنام فقال: يا رسول الله أنت قلت: «من أكل مع مغفور له غفر له؟» قال: لا ولكني الآن أقوله(٥).

---

(١) تقدم تخريجه في تفسير سورة هود آية ٤٦.

(٢) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به.

(٣) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق الضحاك به، والضحاك لم يلق ابن عباس.

(٤) أخرجه الطبري بسندين عن عكرمة يقوي أحدهما الآخر، وأخرجه أيضاً الطبري بسند جيد من طريق أبي معاوية البجلي عن سعيد بن جبير.

(٥) ذكره ابن القيم وقال: موضوع (المنار المنيف ص١٤٠) وأيده الألباني في السلسلة الضعيفة ١/ ٣٢٦ (ح٣١٥).

﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾﴾.

وهذا مثل ضربه الله للمؤمنين أنهم لا تضرهم مخالطة الكافرين إذا كانوا محتاجين إليهم كما قال تعالى: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً﴾ [آل عمران: ٢٨].

قال قتادة: كان فرعون أعتى أهل الأرض وأبعده، فوالله ما ضرَّ امرأته كفر زوجها حين أطاعت ربها ليعلموا أن الله تعالى حكم عدل لا يؤاخذ أحداً إلا بذنبه[١].

وقال جرير: حدثنا إسماعيل بن حفص الأُبلّيّ، حدثنا محمد بن جعفر، عن سليمان التيمي، عن أبي عثمان النهدي، عن سلمان قال: كانت امرأة فرعون تعذب في الشمس، فإذا انصرف عنها أظلتها الملائكة بأجنحتها، وكانت ترى بيتها في الجنة[٢]. ثم رواه عن عبيد بن محمد المحاربي، عن أسباط بن محمد، عن سليمان التيمي به[٣]. ثم قال ابن جرير: حدثني يعقوب بن إبراهيم، حدثنا ابن علية، عن هشام الدستوائي، حدثنا القاسم بن أبي بزة قال: كانت امرأة فرعون تسأل من غلب فيقال: غلب موسى وهارون فتقول: آمنت بربِّ موسى وهارون، فأرسل إليها فرعون فقال: انظروا أعظم صخرة تجدونها، فإن مضت على قولها فألقوها عليها، وإن رجعت عن قولها فإنها امرأتي، فلما أتوها رفعت بصرها إلى السماء، فأبصرت بيتها في الجنة فمضت على قولها وانتزعت روحها وألقيت الصخرة على جسد ليس فيه روح[٤] فقولها: ﴿رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ﴾ قالت العلماء: اختارت الجار قبل الدار، وقد ورد شيء من ذلك في حديث مرفوع: «ونجني من فرعون وعمله» أي: خلصني منه، فإني أبرأ إليك من عمله ﴿وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ وهذه المرأة هي آسية بنت مزاحم رضي الله عنها.

وقال أبو جعفر الرازي: عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية قال: كان إيمان امرأة فرعون من قبل إيمان امرأة خازن فرعون، وذلك أنها جلست تمشط ابنة فرعون فوقع المشط من يدها فقالت: تعس من كفر بالله فقالت لها بنت فرعون: ولك ربٌّ غير أبي؟ قالت: نعم ربي ورب أبيك ورب كل شيء الله. فلطمتها بنت فرعون وضربتها وأخبرت أباها، فأرسل إليها فرعون فقال: تعبدين رباً غيري؟ قالت: نعم ربي وربك ورب كل شيء الله وإياه أعبد، فعذبها فرعون وأوتد لها أوتاداً فشد يديها ورجليها وأرسل عليها الحيات، فكانت كذلك، فأتى عليها يوماً فقال: ما أنت منتهية؟ فقالت له: ربي وربك ورب كل شيء الله. فقال لها: إني ذابح ابنك في فيك إن لم تفعلي. فقالت له: اقضِ ما أنت قاضٍ، فذبح ابنها في فيها وإن روح ابنها بشرها

---

(١) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٢) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وأخرجه الحاكم من طريق يزيد بن هارون عن سليمان التيمي به وصححه ووافقه الذهبي. (المستدرك ٢/ ٤٩٦).

(٣) أخرجه الطبري عن عبيد به.

(٤) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده ضعيف لإرساله.

فقال لها: أبشري يا أمه فإن لك عند الله من الثواب كذا وكذا، فصبرت ثم أتى عليها فرعون يوماً آخر فقال لها مثل ذلك، فقالت له مثل ذلك، فذبح ابنها الآخر في فيها فبشرها روحه أيضاً، وقال لها: اصبري يا أمه فإن لك عند الله من الثواب كذا وكذا، قال: وسمعت امرأة فرعون كلام روح ابنها الأكبر ثم الأصغر فآمنت امرأة فرعون وقبض الله روح امرأة خازن فرعون، وكشف الغطاء عن ثوابها ومنزلتها وكرامتها في الجنة لامرأة فرعون حتى رأت فازدادت إيماناً ويقيناً وتصديقاً، فأطلع الله فرعون على إيمانها فقال للملأ: ما تعلمون من آسية بنت مزاحم؟ فأثنوا عليها. فقال لهم: إنها تعبد غيري! فقالوا له: اقتلها فأوتد لها أوتاداً فشد يديها ورجليها فدعت آسية ربها فقالت: ﴿رَبِّ ٱبْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي ٱلْجَنَّةِ﴾ فوافق ذلك أن حضرها فرعون فضحكت حين رأيت بيتها في الجنة، فقال فرعون: ألا تعجبون من جنونها إنا نعذبها وهي تضحك، فقبض الله روحها في الجنة ﵂.

وقوله تعالى: ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ أي: حفظته وصانته والإحصان هو العفاف والحرية فنفخنا فيه من روحنا أي: بواسطة الملك وهو جبريل، فإن الله بعثه إليها فتمثل لها في صورة بشر سوي وأمره الله تعالى أن ينفخ بفيه في جيب درعها، فنزلت النفخة فولجت في فرجها، فكان منه الحمل بعيسى ﵇[١]. ولهذا قال تعالى: ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ﴾ أي: بقدره وشرعه ﴿وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ﴾.

قال الإمام أحمد: حدثنا يونس، حدثنا داود بن أبي الفرات، عن علباء، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: خطَّ رسول الله ﷺ في الأرض أربعة خطوط، وقال: «أتدرون ما هذا؟». قالوا: الله ورسوله أعلم. فقال رسول الله ﷺ: «أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، ومريم ابنة عمران، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون»[٢].

وقد ثبت في الصحيحين من حديث شعبة بن عمرو بن مرة، عن مرة الهمداني، عن أبي موسى الأشعري، عن النبي ﷺ قال: «كَمُل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون، ومريم بنت عمران، وخديجة بنت خويلد، وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام»[٣].

وقد ذكرنا طرق هذه الأحاديث وألفاظها والكلام عليها في قصة عيسى ابن مريم ﵉ في كتابنا البداية والنهاية[٤]، ولله الحمد والمنة وذكرنا ما ورد من الحديث من أنها تكون هي وآسية بنت مزاحم من أزواجه ﵇ في الجنة عند قوله تعالى: ﴿ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا﴾[٥].

آخر تفسير سورة التحريم، ولله الحمد.

---

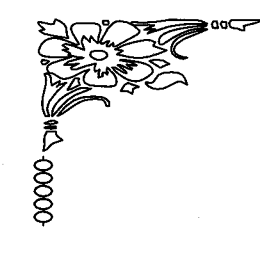
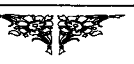
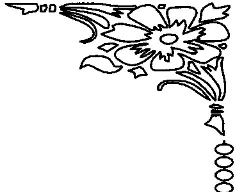
(١) سنده ضعيف لإرساله.

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٤/٤٠٩ ح٢٦٦٨) وصحح سنده محققوه، وأخرجه الحاكم من طريق داود بن أبي الفرات به وصححه ووافقه الذهبي (المستدرك ٢/٤٩٧).

(٣) صحيح البخاري، أحاديث الأنبياء، باب ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ﴾ [التحريم: ١١] (ح٣٤١١) وصحيح مسلم، فضائل الصحابة، باب فضائل خديجة أم المؤمنين ﵂ (ح٢٤٣١).

(٤) ٢/٥٥ ـ ٥٨.

(٥) آية ٥ من هذه السورة الكريمة.

سُورَةُ المُلْكِ

وهي مكية

قال الإمام أحمد: حدثنا حجاج بن محمد وابن جعفر؛ قالا: حدثنا شعبة، عن قتادة، عن عياش الجشمي، عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ قال: «إن سورة في القرآن ثلاثين آية شفعت لصاحبها حتى غُفر له: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾»(١). ورواه أهل السنن الأربعة من حديث شعبة به، وقال الترمذي: هذا حديث حسن(٢).

وقد روى الطبراني والحافظ الضياء المقدسي من طريق سلام بن مسكين، عن ثابت، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «سورة في القرآن خاصمت عن صاحبها حتى أدخلته الجنة: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾»(٣).

وقال الترمذي: حدثنا محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب، حدثنا يحيى بن عمرو بن مالك النكري، عن أبيه، عن أبي الجوزاء، عن ابن عباس قال: ضرب بعض أصحاب النبي ﷺ خباءه على قبر وهو لا يحسب أنه قبر، فإذا قبر إنسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها، فأتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ضربت خبائي على قبر وأنا لا أحسب أنه قبر، فإذا إنسان يقرأ سورة الملك ﴿تَبَٰرَكَ﴾ حتى ختمها، فقال رسول الله ﷺ: «هي المانعة، هي المنجية تنجيه من عذاب القبر»، ثم قال: هذا حديث غريب من هذا الوجه، وفي الباب عن أبي هريرة(٤).

ثم روى الترمذي أيضاً من طريق ليث بن أبي سُليم، عن أبي الزبير، عن جابر أن رسول الله ﷺ كان لا ينام حتى يقرأ ﴿الٓمٓ ۝ تَنزِيلُ﴾ [السجدة: ١، ٢] و﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾(٥).

---

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ١٤/ ٢٨ ح٨٢٧٦) وقال محققوه: حسن لغيره.اهـ. وصححه أحمد شاكر (المسند ح٨٢٥٩).

(٢) سنن أبي داود، الصلاة، باب في عد الآي (ح١٤٠٠)؛ وسنن الترمذي، ثواب القرآن، باب ما جاء في فضل سورة الملك (ح٢٨٩٣)؛ والسنن الكبرىٰ للنسائي، التفسير، باب سورة الملك (ح١١٦١٢)؛ وسنن ابن ماجه، الأدب، باب ثواب القرآن (ح٣٧٨٦)؛ وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (ح٣٠٥٣)؛ وأخرجه الحاكم من طريق قتادة به؛ وصححه ووافقه الذهبي (المستدرك ٢/ ٤٩٧).

(٣) أخرجه الطبراني (المعجم الصغير ١/ ١٧٦)؛ والمقدسي من طريق سلام به (المختارة ٥/ ١١٤ ح١٧٣٨) وحسنه محققه. وقال الهيثمي بعد عزوه للطبراني: ورجاله رجال الصحيح (مجمع الزوائد ٧/ ١٢٧).

(٤) أخرجه الترمذي بسنده ومتنه وتعليقه (السنن، فضائل القرآن، باب ما جاء في فضل سورة الملك ح٢٨٩٠).

(٥) أخرجه الترمذي ثم ضعفه بقوله: وروىٰ زهير قال: قلت لأبي الزبير: سمعت من جابر، فذكر هذا الحديث. فقال أبو الزبير: إنما أخبرنيه صفوان أو ابن صفوان، وكأن زهيراً أنكر أن يكون هذا الحديث عن أبي الزبير عن جابر. (المصدر السابق ح٢٨٩٢).

وقال ليث: عن طاوس يفضلان كل سورة في القرآن بسبعين حسنة[١].

وقال الطبراني: حدثنا محمد بن الحسين بن عجلان الأصبهاني، حدثنا سلمة بن شبيب، حدثنا إبراهيم بن الحكم بن أبان، عن أبيه، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «لوددت أنها في قلب كل إنسان من أُمتي» يعني: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾[٢]، هذا حديث غريب وإبراهيم ضعيف، وقد تقدم مثله في سورة يس.

وقد روى هذا الحديث عَبْدُ بن حميد في مسنده بأبسط من هذا فقال: حدثنا إبراهيم ابن الحكم، عن أبيه، عن عكرمة، عن ابن عباس أنه قال لرجل: ألا أتحفك بحديث تفرح به؟ قال: بلى. قال: اقرأ ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ وعلمها أهلك وجميع ولدك وصبيان بيتك وجيرانك، فإنها المنجية والمجادلة تجادل أو تخاصم يوم القيامة عند ربها لقارئها، وتطلب له [أن تُنجيه][٣] من عذاب النار، وينجى بها صاحبها من عذاب القبر. قال رسول الله ﷺ: «لوددت أنها في قلب كل إنسان من أمتي».

وقد روى الحافظ ابن عساكر في تاريخه في ترجمة أحمد بن نصر بن زياد أبي عبد الله القرشي النيسابوري المقريء الزاهد الفقيه أحد الثقات الذين روى عنهم البخاري ومسلم لكن في غير الصحيحين، وروى عنه الترمذي وابن ماجه وابن خزيمة وعليه تفقه في مذهب أبي عبيد بن حربويه وخلق سواهم، ساق بسنده من حديثه عن فرات بن السائب، عن الزهري، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «إن رجلاً ممن كان قبلكم مات وليس معه شيء من كتاب الله إلا «تبارك»، فلما وضع في حفرته أتاه الملك فثارت السورة في وجهه، فقال لها: إنك من كتاب الله، وأنا أكره مساءتك، وإني لا أملك لك ولا له ولا لنفسي ضراً ولا نفعاً، فإن أردتِ هذا به فانطلقي إلى الربِّ تبارك وتعالى فاشفعي له، فتنطلق إلى الربِّ فتقول: يا ربِّ إن فلاناً عمد إليّ ما بين كتابك، فتعلمني وتلاني أفتحرقه أنت بالنار وتعذبه وأنا في جوفه، فإن كنت فاعلاً ذاك به فامحني من كتابك، فيقول: ألا أراك غضبت فتقول: وحُقَّ لي أن أغضب. فيقول: اذهبي فقد وهبته لك وشفعتك فيه، قال: فتجيء الملك فيخرج خاسف البال لم يحلّ منه بشيء قال: فتجيء فتضع فاها على فيه، فتقول مرحباً بهذا الفم فربما تلاني، ومرحباً بهذا الصدر فربما وعاني، ومرحباً بهاتين القدمين فربما قامتا بي وتؤنسه في قبره مخافة الوحشة عليه». قال: فلما حدث بهذا رسول الله ﷺ لم يبق صغير ولا كبير ولا حرّ ولا عبد إلا تعلمها وسمَّاها رسول الله ﷺ: المنجية[٤].

قلت: وهذا حديث منكر جداً وفرات بن السائب هذا ضعفه الإمام أحمد ويحيى بن معين والبخاري وأبو حاتم والدارقطني وغير واحد. وقد ذكره ابن عساكر من وجه آخر عن الزهري من

---

(١) أخرجه الترمذي، وسنده مرسل. (المصدر السابق بعد ح٢٨٩٢).

(٢) أخرجه الطبراني (المعجم الكبير ١١/ ٢٤١ ح١١٦١٦) وسنده ضعيف لضعف إبراهيم بن الحكم بن أبان كما في التقريب وانظر: (مجمع الزوائد ٧/ ١٣٠).

(٣) كذا في (ح)، وفي الأصل بياض.

(٤) أخرجه ابن عساكر (تاريخ دمشق ٢/ل٢٥٦) وسنده ضعيف لضعف فرات بن السائب كما قرر ونقل الحافظ ابن كثير.

قوله مختصراً وروى البيهقي في كتاب «إثبات عذاب القبر»[(١)] عن ابن مسعود موقوفاً ومرفوعاً ما يشهد لهذا، وقد كتبناه في كتاب الجنائز من الأحكام الكبرى ولله الحمد والمنة.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ﴿٥﴾﴾.

يمجد تعالى نفسه الكريمة، ويخبر أنه بيده الملك؛ أي: هو المتصرف في جميع المخلوقات بما يشاء؛ لا معقب لحكمه، ولا يسأل عما يفعل لقهره وحكمته وعدله، ولهذا قال: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾.

ثم قال: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ﴾ واستدل بهذه الآية من قال: إن الموت أمر وجودي؛ لأنه مخلوق، ومعنى الآية أنه أوجد الخلائق من العدم ليبلوهم؛ أي: يختبرهم أيهم أحسن عملاً كما قال: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨] فسمى الحال الأول وهو العدم موتاً، وسمى هذه النشأة حياة، ولهذا قال: ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨].

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زرعة، حدثنا صفوان، حدثنا الوليد، حدثنا خُليد، عن قتادة في قوله: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ﴾ قال: كان رسول الله ﷺ يقول: «إن الله أذلَّ بني آدم بالموت، وجعل الدنيا دار حياة ثم دار موت، وجعل الآخرة دار جزاء ثم دار بقاء»[(٢)]. ورواه معمر، عن قتادة[(٣)].

وقوله: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ أي: خير عملاً؛ كما قال محمد بن عجلان: ولم يقل أكثر عملاً.

ثم قال: ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾ أي: هو العزيز العظيم المنيع الجناب، وهو مع ذلك غفور لمن تاب إليه وأناب، بعدما عصاه وخالف أمره وإن كان تعالى عزيزاً هو مع ذلك يغفر ويرحم ويصفح ويتجاوز.

ثم قال: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا﴾ أي: طبقة بعد طبقة، وهل هن متواصلات بمعنى أنهن علويات بعضهن على بعض أو متفاصلات بينهن خلاء؟

فيه قولان: أصحهما الثاني كما دلَّ على ذلك حديث الإسراء وغيره.

وقوله: ﴿مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ﴾ أي: بل هو مصطحب مستو ليس فيه اختلاف ولا

---

(١) أخرجه الحاكم من طريق زر بن حبيش عن ابن مسعود موقوفاً مختصراً؛ وصححه ووافقه الذهبي (المستدرك ٢/٤٩٨)؛ وأخرجه البيهقي من طريق مسروق عن ابن مسعود مختصراً (إثبات عذاب القبر رقم ٩٩).

(٢) سنده ضعيف لإرساله.

(٣) أخرجه الطبري من طريق معمر به، وسنده كسابقه.

تنافر ولا مخالفة ولا نقص ولا عيب ولا خلل؛ ولهذا قال: ﴿فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾ أي: انظر إلى السماء فتأملها هل ترى فيها عيباً أو نقصاً أو خللاً أو فطوراً؟

قال ابن عباس ومجاهد والضحاك والثوري وغيرهم في قوله تعالى: ﴿فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾: أي شقوق(١).

وعن السدي: ﴿هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾ أي: من خروق.

وقال ابن عباس في رواية: ﴿مِن فُطُورٍ﴾ أي: من وهاء(٢).

وقال قتادة: ﴿هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾ أي: هل ترى خللاً يا ابن آدم(٣)؟

وقوله: ﴿ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ﴾ قال قتادة: مرتين.

﴿يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا﴾ قال ابن عباس: ذليلاً(٤).

وقال مجاهد وقتادة: صاغراً(٥).

﴿وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ قال ابن عباس يعني: وهو كليل.

وقال مجاهد وقتادة والسدي: الحسير: المنقطع من الإعياء(٦).

ومعنى الآية: أنك لو كررت البصر مهما كررت لانقلب إليك؛ أي: لرجع إليك البصر خاسئاً عن أن يرى عيباً أو خللاً، وهو حسير أي: كليل قد انقطع من الإعياء من كثرة التكرر، ولا يرى نقصاً.

ولما نفى عنها في خلقها النقص بين كمالها وزينتها فقال: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ﴾ وهي الكواكب التي وضعت فيها من السيارات والثوابت.

وقوله: ﴿وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾ عاد الضمير في قوله: ﴿وَجَعَلْنَٰهَا﴾ على جنس المصابيح لا على عينها؛ لأنه لا يرمي بالكواكب التي في السماء بل بشهب من دونها، وقد تكون مستمدة منها والله أعلم.

وقوله: ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ﴾ أي: جعلنا للشياطين هذا الخزي في الدنيا وأعتدنا لهم عذاب السعير في الآخرة كما قال تعالى في أول الصافات: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ۝٦ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ۝٧ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ۝٨ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ۝٩ إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ۝١٠﴾ [الصافات] قال قتادة: إنما خلقت هذه النجوم لثلاث خصال: خلقها الله زينة للسماء ورجوماً للشياطين وعلامات يهتدى بها، فمن تأول

---

(١) عزاه السيوطي إلى الطبري وابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس، ولكن لم أجده في الطبري.

(٢) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق عطية العوفي عن ابن عباس.
بلفظ: الوهيُّ. والوهي هو: الشق.

(٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٤) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق سعيد بن أبي طلحة عن ابن عباس.

(٥) أخرجه الطبري وعبد الرزاق بسند صحيح من طريق معمر عن قتادة.

(٦) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة بلفظ: «مُعْيٍ».

فيها غير ذلك فقد قال برأيه وأخطأ حظه وأضاع نصيبه وتكلف ما لا علم له به.

رواه ابن جرير(١) وابن أبي حاتم.

﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٦﴾ إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١١﴾﴾.

يقول تعالى ﴿وَ﴾ أعتدنا للذين ﴿كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ أي: بئس المآل والمنقلب. ﴿إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا﴾ قال ابن جرير: يعني الصياح.

﴿وَهِيَ تَفُورُ﴾ قال الثوري: تغلي بهم كما يغلي الحَبُّ القليل في الماء الكثير.

وقوله: ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ﴾ أي: تكاد ينفصل بعضها من بعض من شدة غيظها عليهم وحنقها بهم ﴿كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾﴾ يذكر تعالى عدله في خلقه؛ وأنه لا يعذب أحداً إلا بعد قيام الحجة عليه وإرسال الرسول إليه كما قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥] وقال تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [الزمر: ٧١] وهكذا عادوا على أنفسهم بالملامة وندموا حيث لا تنفعهم الندامة فقالوا: ﴿لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ أي: لو كانت لنا عقول ننتفع بها أو نسمع ما أنزله الله من الحق لما كنا على ما نحن عليه من الكفر بالله والاغترار به، ولكن لم يكن لنا فهم نعي به ما جاءت به الرسل، ولا كان لنا عقل يرشدنا إلى اتباعهم؛ قال الله تعالى: ﴿فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١١﴾﴾.

قال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن عمرو بن مرة، عن أبي البختري الطائي قال: أخبرني من سمعه من رسول الله ﷺ أنه قال: «لن يهلك الناس حتى يعذروا من أنفسهم»(٢).

وفي حديث آخر: «لا يدخل أحد النار إلا وهو يعلم أن النار أولى به من الجنة»(٣).

---

(١) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٣٠/ ٢٢٢ ح١٨٢٨٩) وصحح سنده محققوه؛ وأخرجه أبو داود من طريق شعبة به (السنن، الملاحم، باب الأمر والنهي ح٤٣٤٧)؛ وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود ٣/ ٨٢٠؛ وحسنه البغوي (مشكاة المصابيح ٣/ ١٤٢٤ ح٥١٤٦)؛ وحسنه السيوطي (الجامع الصغير ٥/ ٣٠٤ ح٧٣٩٧).

(٣) أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعاً بلفظ: «لا يدخل أحد الجنة إلا أُريَ مقعده من النار لو أساء» (الصحيح، الرقاق، باب صفة الجنة والنار ح٦٥٦٩).

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ١٢ وَأَسِرُّواْ قَوۡلَكُمۡ أَوِ ٱجۡهَرُواْ بِهِۦٓۖ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ١٣ أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٤ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ذَلُولٗا فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ ١٥﴾.

يقول تعالى مخبراً عمّن يخاف مقام ربه فيما بينه وبينه إذا كان غائباً عن الناس فينكف عن المعاصي ويقوم بالطاعات حيث لا يراه أحد إلا الله تعالى بأن له مغفرة وأجر كبير أن تكفَّر عنه ذنوبه ويجازى بالثواب الجزيل كما ثبت في الصحيحين «سبعة يظلهم الله تعالى في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله، فذكر منهم رجلاً دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله، ورجلاً تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه»[1].

وقال الحافظ أبو بكر البزار في مسنده: حدثنا طالوت بن عباد، حدثنا الحارث بن عُبيد، عن ثابت، عن أنس قال: قالوا: يا رسول الله إنا نكون عندك على حال فإذا فارقناك كنا على غيره! قال: «كيف أنتم وربكم؟» قالوا: الله ربنا في السر والعلانية. قال: «ليس ذلكم النفاق». قال البزار: لم يروه عن ثابت إلا الحارث بن عُبيد فيما نعلمه[2].

ثم قال تعالى منبهاً على أنه مطلع على الضمائر والسرائر: ﴿وَأَسِرُّواْ قَوۡلَكُمۡ أَوِ ٱجۡهَرُواْ بِهِۦٓۖ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ١٣﴾ أي: بما يخطر في القلوب ﴿أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ﴾ أي: ألا يعلم الخالق وقيل: معناه ألا يعلم الله مخلوقه. والأول أولى لقوله: ﴿وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ﴾.

ثم ذكر نعمته على خلقه في تسخيره لهم الأرض وتذليله إياها لهم بأن جعلها قارة ساكنة لا تميد ولا تضطرب بما جعل فيها من الجبال، وأنبع فيها من العيون، وسلك من السبل، وهيأ فيها من المنافع ومواضع الزروع والثمار فقال: ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ذَلُولٗا فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا﴾ أي: فسافروا حيث شئتم من أقطارها، وترددوا في أقاليمها وأرجائها في أنواع المكاسب والتجارات، واعلموا أن سعيكم لا يجدي عليكم شيئاً إلا أن ييسره الله لكم ولهذا قال تعالى: ﴿وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ﴾ فالسعي في السبب لا ينافي التوكل كما قال الإمام أحمد: حدثنا أبو عبد الرحمن، حدثنا حيوة، أخبرني بكر بن عمرو أنه سمع عبد الله بن هُبيرة يقول أنه سمع أبا تميم الجيشاني يقول أنه سمع عمر بن الخطاب يقول أنه سمع رسول الله ﷺ يقول «لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً»[3]. رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث ابن هبيرة. وقال الترمذي: حسن صحيح[4].

---

(١) تقدم تخريجه في تفسير سورة البقرة آية ٢٧١.

(٢) أخرجه البزار بسنده ومتنه وتعليقه وقال الحافظ ابن حجر: والحارث له مناكير وإن أخرج له في الصحيح (مختصر زوائد مسند البزار ١/ ٦٦، ٦٧ ح١٠).

(٣) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ١/ ٣٣٢ ح٢٠٥) قال محققوه: إسناده قوي.

(٤) سنن الترمذي، الزهد، باب في التوكل على الله (ح٢٣٤٥)؛ وسنن ابن ماجه، الزهد، باب التوكل واليقين (ح٤١٦٤)؛ وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (ح٣٣٥٩).

فأثبت لها رواحاً وغدواً لطلب الرزق مع توكلها على الله ﷻ، وهو المسخِّر المسيِّر المسبِّب ﴿وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ﴾ أي: المرجع يوم القيامة.

قال ابن عباس ومجاهد والسدي وقتادة: ﴿مَنَاكِبِهَا﴾: أطرافها وفجاجها ونواحيها(١).

وقال ابن عباس وقتادة أيضاً: ﴿مَنَاكِبِهَا﴾: الجبال(٢).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا عمرو بن حكام الأزدي، حدثنا شعبة، عن قتادة، عن يونس بن جبير، عن بشير بن كعب أنه قرأ هذه الآية ﴿فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا﴾ فقال: لأُم ولد له: إن علمت ما مناكبها؟ فأنت عتيقة. فقالت: هي الجبال، فسأل أبا الدرداء فقال: هي الجبال(٣).

﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمۡ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗاۖ فَسَتَعۡلَمُونَ كَيۡفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ وَلَقَدۡ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلطَّيۡرِ فَوۡقَهُمۡ صَٰٓفَّٰتٖ وَيَقۡبِضۡنَۚ مَا يُمۡسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحۡمَٰنُۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءِۭ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾﴾.

وهذا أيضاً من لطفه ورحمته بخلقه أنه قادر على تعذيبهم، بسبب كفر بعضهم به وعبادتهم معه غيره وهو مع هذا يحلم ويصفح ويؤجل ولا يعجل كما قال: ﴿وَلَوۡ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهۡرِهَا مِن دَآبَّةٖ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗىۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرَۢا ﴿٤٥﴾﴾ [فاطر].

وقال ههنا: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾﴾ أي: تذهب وتجيء وتضطرب ﴿أَمۡ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗاۖ﴾ أي: ريحاً فيها حصباء تدمغكم كما قال: ﴿أَفَأَمِنتُمۡ أَن يَخۡسِفَ بِكُمۡ جَانِبَ ٱلۡبَرِّ أَوۡ يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗا ثُمَّ لَا تَجِدُواْ لَكُمۡ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾﴾ [الإسراء] وهكذا توعدهم ههنا بقوله: ﴿فَسَتَعۡلَمُونَ كَيۡفَ نَذِيرِ﴾ أي: كيف يكون إنذاري وعاقبة من تخلف عنه وكذب به.

ثم قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾ أي: من الأمم السالفة والقرون الخالية ﴿فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ أي: فكيف كان إنكاري عليهم ومعاقبتي لهم؛ أي: عظيماً شديداً أليماً.

ثم قال تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلطَّيۡرِ فَوۡقَهُمۡ صَٰٓفَّٰتٖ وَيَقۡبِضۡنَۚ﴾ أي: تارة يصففن أجنحتهن في الهواء وتارة تجمع جناحاً وتنشر جناحاً ﴿مَا يُمۡسِكُهُنَّ﴾ أي: في الجو ﴿إِلَّا ٱلرَّحۡمَٰنُۚ﴾ أي: بما سخر لهن من الهواء من رحمته ولطفه ﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءِۭ بَصِيرٌ﴾ أي: بما يصلح كل شيء من مخلوقاته، وهذه كقوله: ﴿أَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلطَّيۡرِ مُسَخَّرَٰتٖ فِي جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمۡسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [النحل].

---

(١) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق عطية العوفي عن ابن عباس؛ ويتقوىٰ بما أخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.

(٢) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس؛ وأخرجه الطبري وعبد الرزاق بسند صحيح من طريق معمر عن قتادة.

(٣) سنده ضعيف لضعف عمرو بن حكام (لسان الميزان ٤/ ٣٦٠). والتفسير يتقوىٰ بسابقه.

﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ۚ إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ ﴿٢٠﴾ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ ۚ بَل لَّجُّوا۟ فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾ أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٦﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ﴿٢٧﴾﴾.

يقول تعالى للمشركين الذين عبدوا معه غيره يبتغون عندهم نصراً ورزقاً منكراً عليهم فيما اعتقدوه ومخبراً لهم أنه لا يحصل لهم ما أملوه فقال: ﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ أي: ليس من دونه من ولي ولا واقٍ ولا ناصر لكم غيره ولهذا قال: ﴿إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ﴾.

ثم قال: ﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ﴾ أي: من هذا الذي إذا قطع الله عنكم رزقه يرزقكم بعده؟ أي: لا أحد يعطي ويمنع ويخلق ويرزق وينصر إلا الله ﷻ وحده لا شريك له؛ أي: وهم يعلمون ذلك ومع هذا يعبدون غيره ولهذا قال: ﴿بَل لَّجُّوا۟﴾ أي: استمروا في طغيانهم وإفكهم وضلالهم ﴿فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ﴾ أي: في معاندة واستكبار ونفور على أدبارهم عن الحق لا يسمعون له ولا يتبعونه.

ثم قال: ﴿أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾﴾ وهذا مثل ضربه الله للمؤمن والكافر، فالكافر مثله فيما هو فيه كمثل من يمشي مكباً على وجهه؛ أي: يمشي منحنياً لا مستوياً على وجهه؛ أي: لا يدري أين يسلك؟ ولا كيف يذهب؟ بل تائه حائر ضالّ أهذا أهدى ﴿أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا﴾ أي: منتصب القامة ﴿عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ أي: على طريق واضح بيّن، وهو في نفسه مستقيم وطريقه مستقيمة هذا مثلهم في الدنيا، وكذلك يكونون في الآخرة، فالمؤمن يحشر يمشي سوياً على صراط مستقيم مفض به إلى الجنة الفيحاء، وأما الكافر فإنه يحشر يمشي على وجهه إلى نار جهنم ﴿۞ ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾ بَلْ هُمُ ٱلْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [الصافات].

قال الإمام أحمد رحمه الله: حدثنا ابن نمير، حدثنا إسماعيل، عن نفيع قال: سمعت أنس ابن مالك يقول: قيل: يا رسول الله كيف يحشر الناس على وجوههم؟ فقال: «أليس الذي أمشاهم على أرجلهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم»(١)؟ وهذا الحديث مخرج في الصحيحين من طريق [يونس بن محمد، عن شيبان، عن قتادة، عن أنس به نحوه](٢).

---

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٢٠/ ١٣١ ح١٢٧٠٨) وقال محققوه: حديث صحيح، وهذا إسناد ضعيف جداً! ولو قالوا: متنه صحيح، أو له شواهد لكان أحسن.

(٢) في الأصول الخطية بياض واستدرك من الصحيحين فقد أخرجه الشيخان من طريق يونس بن محمد به. (صحيح البخاري، التفسير، سورة الفرقان باب ﴿ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ...﴾ [الفرقان: ٢٤] (ح٤٧٦٠)؛ وصحيح مسلم، صفات المنافقين، باب يحشر الكافر على وجهه ح٢٨٠٦).

وقوله: ﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ﴾ أي: ابتدأ خلقكم بعد أن لم تكونوا شيئاً مذكوراً ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ﴾ أي: العقول والإدراك ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ أي: قلما تستعملون هذه القوى التي أنعم الله بها عليكم في طاعته وامتثال أوامره وترك زواجره.

﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: بثكم ونشركم في أقطار الأرض وأرجائها مع اختلاف ألسنتكم في لغاتكم وألوانكم وحلاكم وأشكالكم وصوركم ﴿وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ أي: تجمعون بعد هذا التفرق والشتات، يجمعكم كما فرقكم ويعيدكم كما بدأكم.

ثم قال مخبراً عن الكفار المنكرين للمعاد المستبعدين وقوعه: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾﴾ أي: متى يقع هذا الذي تخبرنا بكونه من الاجتماع بعد هذا التفرق؟ ﴿قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي: لا يعلم وقت ذلك على التعيين إلا الله ﷻ، لكنه أمرني أن أخبركم أن هذا كائن وواقع لا محالة فاحذروه ﴿وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ أي: وإنما علي البلاغ وقد أديته إليكم.

قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ أي: لما قامت القيامة وشاهدها الكفار ورأوا أن الأمر كان قريباً لأن كل ما هو آت آت وإن طال زمنه، فلما وقع ما كذبوا به ساءهم ذلك لما يعلمون ما لهم هناك من الشر أي: فأحاط بهم ذلك وجاءهم من أمر الله ما لم يكن لهم في بال ولا حساب ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [الزمر] ولهذا يقال لهم على وجه التقريع والتوبيخ: ﴿هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ﴾ أي: تستعجلون.

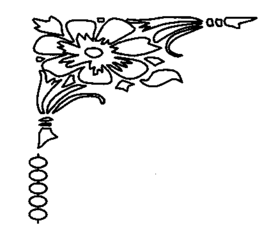
﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِىَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِىَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍۭ ﴿٣٠﴾﴾.

يقول تعالى: ﴿قُلْ﴾ يا محمد لهؤلاء المشركين بالله الجاحدين لنعمه ﴿أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِىَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِىَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ أي: خلِّصوا أنفسكم، فإنه لا منقذ لكم من الله إلا التوبة والإنابة والرجوع إلى دينه، ولا ينفعكم وقوع ما تتمنون لنا من العذاب والنكال، فسواء عذبنا الله أو رحمنا فلا مناص لكم من نكاله وعذابه الأليم الواقع بكم.

ثم قال: ﴿قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا﴾ أي: آمنا برب العالمين الرحمٰن الرحيم، وعليه توكلنا في جميع أمورنا كما قال: ﴿فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هود: ١٢٣] ولهذا قال: ﴿فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ أي: منا ومنكم ولمن تكون العاقبة في الدنيا والآخرة؟

ثم قال: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا﴾ أي: ذاهباً في الأرض إلى أسفل فلا يُنال بالفؤوس الحِداد ولا السواعد الشداد. والغائر: عكس النابع ولهذا قال: ﴿فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍۭ﴾ أي: نابع سائح جار على وجه الأرض؛ أي: لا يقدر على ذلك إلا الله ﷻ، فمن فضله وكرمه أن أنبع لكم المياه وأجراها في سائر أقطار الأرض، بحسب ما يحتاج العباد إليه من القلة والكثرة.

فله الحمد والمنة. آخر تفسير سورة الملك.




سُورَةُ ﴿نٓ﴾

وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ۝١ مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ ۝٢ وَإِنَّ لَكَ لَأَجۡرًا غَيۡرَ مَمۡنُونٖ ۝٣ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ۝٤ فَسَتُبۡصِرُ وَيُبۡصِرُونَ ۝٥ بِأَييِّكُمُ ٱلۡمَفۡتُونُ ۝٦ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ۝٧﴾.

قد تقدم الكلام على حروف الهجاء في أول سورة البقرة وأن قوله تعالى: ﴿نٓۚ﴾ كقوله: ﴿صٓۚ﴾ ﴿قٓۚ﴾ ونحو ذلك من الحروف المقطعة في أوائل السور، وتحرير القول في ذلك بما أغنى عن إعادته ههنا.

وقيل: المراد بقوله: ﴿نٓۚ﴾ حوت عظيم على تيار الماء العظيم المحيط وهو حامل للأرضين السبع كما قال الإمام أبو جعفر بن جرير: حدثنا ابن بشار، حدثنا يحيى، حدثنا سفيان هو: الثوري، حدثنا سليمان هو: الأعمش، عن أبي ظبيان، عن ابن عباس قال: أول ما خلق الله القلم قال: اكتب. قال: وماذا أكتب؟ قال: اكتب القدر، فجرى بما يكون من ذلك اليوم إلى قيام الساعة، ثم خلق النون ورفع بخار الماء، ففتقت منه السماء، وبسطت الأرض على ظهر النون، فاضطرب النون فمادت الأرض فأثبتت بالجبال فإنها لتفخر على الأرض(١). وكذا رواه ابن أبي حاتم، عن أحمد بن سنان، عن أبي معاوية، عن الأعمش به(٢). وهكذا رواه شعبة ومحمد بن فضيل ووكيع، عن الأعمش به. وزاد شعبة في روايته ثم قرأ: ﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ۝١﴾(٣) وقد رواه شريك، عن الأعمش، عن أبي ظبيان أو مجاهد، عن ابن عباس فذكر نحوه(٤). ورواه معمر، عن الأعمش أن ابن عباس قال: فذكره ثم قرأ: ﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ۝١﴾(٥) ثم قال ابن جرير: حدثنا ابن حميد، حدثنا جرير، عن عطاء، عن أبي الضحى، عن ابن عباس قال: إن أول شيء خلق ربي ﷻ القلم، ثم قال له: اكتب، فكتب ما هو كائن إلى أن

---

(١) أخرجه الطبري بسنده ومتنه؛ وأخرجه الحاكم من طريق جرير عن الأعمش به؛ وصححه ووافقه الذهبي. (المستدرك ٢/٤٩٨). وفيه غرائب وخصوصاً في آخره، ولعله من أخبار أهل الكتاب المسكوت عنها.

(٢) سنده ومتنه كسابقه.

(٣) أخرجه الطبري من هذه الطرق وبهذه الزيادة عن شعبة.

(٤) أخرجه الطبري وسنده ومتنه كسابقه.

(٥) أخرجه الطبري من طريق ابن ثور عن معمر به، وسنده ضعيف لأن الأعمش لم يسمع من ابن عباس.

تقوم الساعة، ثم خلق النون فوق الماء ثم كبس الأرض عليه[(١)].

وقد روى الطبراني ذلك مرفوعاً فقال: حدثنا أبو حبيب [زيد بن][(٢)] المهدي المروذي، حدثنا سعيد بن يعقوب الطالقاني، حدثنا مؤمل بن إسماعيل، حدثنا حماد بن زيد، عن عطاء بن السائب، عن أبي الضحى مسلم بن صُبيح، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أول ما خلق الله القلم والحوت. قال للقلم: اكتب. قال: ما أكتب؟ قال: كل شيء كائن إلى يوم القيامة ثم قرأ ﴿نٓ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ۝١﴾ فالنون الحوت، والقلم القلم»[(٣)].

حديث آخر في ذلك رواه ابن عساكر، عن أبي عبد الله مولى بني أمية، عن أبي صالح، عن أبي هريرة سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أول شيء خلقه الله القلم، ثم خلق النون وهي: الدواة ثم قال له: اكتب. قال: وما أكتب؟ قال: اكتب ما يكون أو ما هو كائن من عمل أو رزق أو أثر أو أجل، فكتب ذلك إلى يوم القيامة فذلك قوله: ﴿نٓ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ۝١﴾ ثم ختم على القلم فلم يتكلم إلى يوم القيامة، ثم خلق العقل، وقال: وعزتي لأكملنَّك [فيمن أحببت، ولأنقصنَّك ممن أبغضت]»[(٤)].

وقال ابن أبي نجيح: إن إبراهيم بن أبي بكر أخبره عن مجاهد قال: كان يقال: النون الحوت العظيم الذي تحت الأرض السابعة[(٥)].

وقد ذكر البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وجماعة من المفسرين أن على ظهر هذا الحوت صخرة سمكها كغلظ السماوات والأرض وعلى ظهرها ثور له أربعون ألف قرن، وعلى متنه الأرضون السبع وما فيهن وما بينهن[(٦)]. والله أعلم.

ومن العجيب أن بعضهم حمل على هذا المعنى الحديث الذي رواه الإمام أحمد: حدثنا إسماعيل، حدثنا حميد، عن أنس أن عبد الله بن سلام بلغه مقدم رسول الله ﷺ المدينة، فأتاه فسأله عن أشياء قال: إني سائلك عن أشياء لا يعلمها إلا نبي، قال: ما أول أشراط الساعة؟ وما أول طعام يأكله أهل الجنة؟ وما بال الولد ينزع إلى أبيه؟ وما بال الولد ينزع إلى أمه؟ قال: أخبرني بهنَّ جبريل آنفاً، قال ابن سلام: فذاك عدو اليهود من الملائكة. قال: أما أول أشراط الساعة فنار تحشرهم من المشرق إلى المغرب، وأول طعام يأكله أهل الجنة زيادة كبد الحوت، وأما الولد فإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد، وإذا سبق ماء المرأة ماء الرجل نزعت[(٧)].

---

(١) أخرجه الطبري بسند ومتنه؛ وأخرجه آدم بن أبي إياس من طريق ورقاء عن عطاء بن السائب به؛ وأخرجه عبد الله بن الإمام أحمد من طريق جرير به (السنة رقم ٨٧١). وسنده حسن، ويتقوىٰ بسابقه.

(٢) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل بياض.

(٣) أخرجه الطبراني (المعجم الكبير ١١/ ٤٣٣ ح١٢٢٢٧) في سنده مؤمل وعطاء وكلاهما فيهما مقال. قال الهيثمي: ومؤمل كثير الخطأ. (مجمع الزوائد ٧/ ١٣١).

(٤) في الأصل بياض والزيادة من رواية ابن عساكر (تاريخ دمشق ١٧/ل ٤٩٢) وهو حديث ضعيف قال ابن القيم: أحاديث العقل كلها كذب. (المنار المنيف ٩٦).

(٥) أخرجه الطبري من طريق ابن أبي نجيح به، وسنده ضعيف لإرساله، وهو من الإسرائيليات.

(٦) ذكره البغوي (معالم التنزيل ٤/ ٣٧٤) والخبر من الإسرائيليات الغريبة.

(٧) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٣/ ١٨٩) وسنده صحيح.

ورواه البخاري من طرق عن حميد[١]. ورواه مسلم أيضاً وله من حديث ثوبان مولى رسول الله ﷺ نحو هذا، وفي صحيح مسلم من حديث أبي أسماء الرحبي، عن ثوبان أن حبراً سأل رسول الله ﷺ عن مسائل، فكان منها أن قال: فما تحفتهم؟ ـ يعني أهل الجنة حين يدخلون الجنة ـ قال: زيادة كبد الحوت. قال: فما غذاؤهم على أثرها؟ قال: ينحر لهم ثور الجنة الذي كان يأكل من أطرافها. قال: فما شرابهم عليه؟ قال: من عين فيها تسمى سلسبيلاً[٢]. وقيل: المراد بقوله: ﴿نٓ﴾ لوح من نور.

قال ابن جرير: حدثنا الحسن بن شبيب المكتب، حدثنا محمد بن زياد الجزري، عن فرات بن أبي الفرات، عن معاوية بن قرة، عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١﴾ لوح من نور وقلم من نور يجري بما هو كائن إلى يوم القيامة[٣]. وهذا مرسل غريب.

وقال ابن جريج: أُخبرت أن ذلك القلم من نور طوله مئة عام[٤].

وقيل: المراد بقوله: ﴿نٓ﴾ دواة ﴿وَٱلْقَلَمِ﴾ القلم.

قال ابن جرير: حدثنا عبد الأعلى، حدثنا أبو ثور، عن معمر، عن الحسن وقتادة في قوله: ﴿نٓ﴾ قالا: هي الدواة[٥].

وقد روي في هذا حديث مرفوع غريب جداً فقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا هشام بن خالد، حدثنا الحسن بن يحيى، حدثنا أبو عبد الله مولى بني أُمية، عن أبي صالح، عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «خلق الله النون وهي: الدواة»[٦].

وقال ابن جرير: حدثنا ابن حميد، حدثنا يعقوب، حدثنا أخي عيسى بن عبد الله، حدثنا ثابت الثمالي، عن ابن عباس قال: إن الله خلق النون، وهي الدواة، وخلق القلم فقال: اكتب. قال: وما اكتب؟ قال: اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة من عمل معمول به بر أو فجور أو رزق مقسوم حلال أو حرام، ثم الزم كل شيء من ذلك من شأنه دخوله في الدنيا ومقامه فيها كم؟ وخروجه منها كيف؟ ثم جعل على العباد حفظة وللكتاب خزاناً، فالحفظة ينسخون كل يوم من الخزان عمل ذلك اليوم، فإذا فني الرزق وانقطع الأثر وانقضى الأجل أتت الحفظة الخزانة يطلبون عمل ذلك اليوم، فتقول لهم الخزنة: ما نجد لصاحبكم عندنا شيء. فترجع الحفظة فيجدونهم قد ماتوا[٧] قال: فقال ابن عباس ألستم قوماً عرباً تسمعون الحفظة يقولون: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجاثية: ٢٩]؟ وهل يكون الاستنساخ إلا من أصل؟

---

(١) صحيح البخاري، أحاديث الأنبياء، باب خلق آدم وذريته (ح٣٣٢٩).
(٢) أخرجه مسلم من طريق أبي سلام عن أبي أسماء الرحبي به مطولاً. (الصحيح، الحيض، باب بيان صفة مني الرجل. ح٣١٥).
(٣) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وضعف الحافظ ابن كثير لإرساله.
(٤) سنده ضعيف لأن ابن جريج لم يصرح بسنده.
(٥) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده صحيح.
(٦) استغربه الحافظ ابن كثير جداً، وذكره بصيغة التمريض لضعفه.
(٧) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده ضعيف لضعف ثابت الثمالي. (التقريب ص١٣٢).

وقوله تعالى: ﴿وَٱلْقَلَمِ﴾ الظاهر أنه جنس القلم الذي يكتب به كقوله: ﴿ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾ [العلق] فهو قسم منه تعالى، وتنبيه لخلقه على ما أنعم به عليهم من تعليم الكتابة التي بها تنال العلوم ولهذا قال: ﴿وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ قال ابن عباس ومجاهد وقتادة يعني: وما يكتبون[١].

وقال أبو الضحى، عن ابن عباس ﴿وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ أي: وما يعملون.

وقال السدي: ﴿يَسْطُرُونَ﴾ يعني: الملائكة وما تكتب من أعمال العباد[٢].

وقال آخرون: بل المراد ههنا بالقلم الذي أجراه الله بالقدر حين كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرضين بخمسين ألف عام.

وأوردوا في ذلك الأحاديث الواردة في ذكر القلم فقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد يحيى بن يحيى بن سعيد القطان ويونس بن حبيب قالا: حدثنا أبو داود الطيالسي، حدثنا عبد الواحد بن سليم السلمي، عن عطاء هو: ابن أبي رباح، حدثني الوليد بن عبادة بن الصامت قال: دعاني أبي حين حضره الموت فقال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أول ما خلق الله القلم فقال له: اكتب. قال: يا ربِّ وما أكتب؟ قال: اكتب القدر وما هو كائن إلى الأبد»[٣]. وهذا الحديث قد رواه الإمام أحمد من طرق عن الوليد بن عبادة، عن أبيه به[٤]. وأخرجه الترمذي من حديث أبي داود الطيالسي به وقال: حسن صحيح غريب، ورواه أبو داود في كتاب السنة من سننه عن جعفر بن مسافر، عن يحيى بن حسان، عن أبي رباح، عن إبراهيم بن أبي عبلة، عن أبي حفصة واسمه حُنيش بنُ شريح الحبشي الشامي، عن عبادة فذكره[٥].

وقال ابن جرير: حدثنا محمد بن عبد الله الطوسي، حدثنا علي بن الحسين بن شقيق، أنبأنا عبد الله بن المبارك، حدثنا رباح بن زيد، عن عمر بن حبيب، عن القاسم بن أبي بزة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس أنه كان يحدث أن رسول الله ﷺ قال: إن أول شيء خلقه الله القلم، فأمره فكتب كل شيء[٦]. غريب من هذا الوجه ولم يخرجوه.

وقال ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿وَٱلْقَلَمِ﴾ يعني: الذي كتب به الذكر[٧].

---

(١) أخرجه الحاكم من طريق أبي ظبيان عن ابن عباس؛ وصححه ووافقه الذهبي (المستدرك ٢/ ٤٩٩)؛ وأخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد؛ وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة.

(٢) عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٣) أخرجه الطيالسي عن عبد الواحد بن سليم به (المسند ص٧٩ رقم ٥٧٧)؛ وأخرجه الإمام أحمد والترمذي من طرق أخرىٰ ترقىٰ إلى تحسين الإسناد كما سيأتي.

(٤) أخرجه الإمام أحمد من طريق أيوب بن زياد عن عبادة بن الوليد بن عبادة به (المسند ٣٧/ ٣٨٠، ٣٨١ ح٢٢٧٠٦) وقال محققوه: حديث صحيح، وهذا إسناد حسن.

(٥) سنن الترمذي، القدر، باب رقم (١٧) (ح١٥٥)؛ وسنن أبي داود، السنة، باب في القدر (ح٤٧٠٠)؛ وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح٣٩٣٣)؛ وصححه الحافظ ابن حجر (ينظر كشف الخفاء ١/ ٢٦٣).

(٦) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وشيخ الطبري لم أجد له ترجمة لكن يشهد له سابقه.

(٧) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ أي: يكتبون كما تقدم.

وقوله: ﴿مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾﴾ أي: ولست ولله الحمد بمجنون كما يقوله الجهلة من قومك المكذبون بما جئتهم به من الهدى والحق المبين فنسبوك فيه إلى الجنون ﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾﴾ أي: بل إن لك الأجر العظيم والثواب الجزيل الذي لا ينقطع ولا يبيد على إبلاغك رسالة ربك إلى الخلق وصبرك على أذاهم.

ومعنى ﴿غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾ أي: غير مقطوع كقوله: ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود: ١٠٨] ﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ [التين: ٦] أي: غير مقطوع عنهم.

وقال مجاهد: ﴿غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾ أي: غير محسوب[١]، وهو يرجع إلى ما قلناه.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ قال العوفي عن ابن عباس: «وإنك لعلى دين عظيم» وهو الإسلام وكذلك قال مجاهد وأبو مالك السدي والربيع بن أنس وكذا قال الضحاك وابن زيد[٢]:

وقال عطية: لعلى أدب عظيم[٣].

وقال معمر، عن قتادة: سُئلت عائشة عن خلق رسول الله ﷺ قالت: كان خلقه القرآن، يقول سعيد: تقول كما هو: في القرآن[٤].

وقال سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة: قوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ ذُكر لنا أن سعد بن هشام سأل عائشة عن خُلق رسول الله ﷺ فقالت: ألست تقرأ القرآن؟ قال: بلى. قالت: فإن خلق رسول الله ﷺ كان القرآن[٥].

وقال عبد الرزاق، عن معمر، عن قتادة، عن زرارة بن أوفى، عن سعد بن هشام قال: سألتُ عائشة فقلت: أخبريني يا أُم المؤمنين عن خلق رسول الله ﷺ. فقالت: أتقرأ القرآن؟ فقلت: نعم. فقالت: كان خلقه القرآن[٦]. هذا مختصر من حديث طويل وقد رواه الإمام مسلم في صحيحه من حديث قتادة بطوله وسيأتي في سورة المزمل[٧] إن شاء الله تعالى، وبه الثقة.

وقال الإمام أحمد: حدثنا إسماعيل، حدثنا يونس، عن الحسن قال: سُئلت عائشة عن خلق

---

(١) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.
(٢) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي عن ابن عباس، ويتقوى بما أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس بلفظ: «دين عظيم»، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن ابن عباس بلفظ: «الدين».
(٣) أخرجه ابن المبارك (الزهد رقم ٦٧٨)؛ والطبري بسند حسن من طريق فضيل بن مرزوق عن عطية.
(٤) أخرجه عبد الرزاق والطبري من طريق معمر به، وسنده منقطع لأن قتادة لم يسمع من عائشة؛ وأخرجه الحاكم متصلاً من طريق قتادة عن زرارة بن أوفى عن سعد بن هشام بن عامر عن عائشة؛ وصححه ووافقه الذهبي (المستدرك ٢/٤٩٩).
(٥) أخرجه الطبري من طريق سعيد به، وفيه انقطاع وقد تقدم موصولاً.
(٦) تقدم تخريجه في رواية الحاكم قبل الرواية السابقة.
(٧) سيأتي في تفسير سورة المزمل آية ١ ـ ٩.

رسول الله ﷺ. فقالت: كان خلقه القرآن[١].

وقال الإمام أحمد: حدثنا أسود، حدثنا شريك، عن قيس بن وهب، عن رجل من بني سواد قال: سألت عائشة عن خلق رسول الله ﷺ. فقالت: أما تقرأ القرآن ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾؟ قال: قلت: حدثيني عن ذاك. قالت: صنعت له طعاماً، وصنعت له حفصة طعاماً، فقلت لجاريتي: اذهبي فإن جاءت هي بالطعام فوضعته قبل فاطرحي الطعام، قالت: فجاءت بالطعام قالت: فألقت الجارية فوقعت القصعة فانكسرت، وكان نطعٌ قالت: فجمعه رسول الله ﷺ وقال: اقتصوا أو اقتصي - شك أسود - ظرفاً مكان ظرفك، قالت: فما قال شيئاً[٢].

وقال ابن جرير: حدثنا عبيد بن آدم بن أبي أياس، حدثنا أبي، حدثنا المبارك بن فضالة، عن الحسن، عن سعد بن هشام قال: أتيت عائشة أم المؤمنين ﵂ فقلت لها: أخبريني بخلق النبي ﷺ. فقالت: كان خلقه القرآن، أما تقرأ ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾؟

وقد روى أبو داود والنسائي من حديث الحسن نحوه[٣].

وقال ابن جرير: حدثني يونس، أنبأنا ابن وهب، أخبرني معاوية بن صالح، عن أبي الزاهرية، عن جبير بن نفير قال: حججت فدخلت على عائشة ﵂، فسألتها عن خلق رسول الله ﷺ. فقالت: كان خلق رسول الله ﷺ القرآن[٤]. وهكذا رواه أحمد عن عبد الرحمٰن بن مهدي، ورواه النسائي في التفسير عن إسحاق بن منصور، عن عبد الرحمٰن بن مهدي، عن معاوية بن صالح به[٥].

ومعنى هذا أنه عليه الصلاة والسلام صار امتثال القرآن أمراً ونهياً سجية له وخلقاً تطبعه وترك طبعه الجبلي، فمهما أمره القرآن فَعَله، ومهما نهاه عنه تركه، هذا مع ما جبله الله عليه من الخلق العظيم من الحياء والكرم والشجاعة والصفح والحلم وكل خلق جميل كما ثبت في الصحيحين عن أنس قال: خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين، فما قال لي: أفٍ. قط، ولا قال: لشيء فعلته لَمَ فعلته؟ ولا لشيء لم أفعله: ألا فعلته[٦]؟ وكان ﷺ أحسن الناس خلقاً، ولا مسست خزاً ولا حريراً ولا شيئاً كان ألين من كفِّ رسول الله ﷺ ولا شممت مسكاً ولا عطراً كان أطيب من عرق رسول الله ﷺ.

وقال البخاري: حدثنا [أحمد بن سعيد أبو عبد الله][٧] حدثنا إسحاق بن منصور، حدثنا

---

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٤٣/ ١٥ ح٢٥٨١٣). وقال محققوه: حديث صحيح، وهذا إسناد فيه انقطاع، الحسن وهو البصري إنما سمعه من سعد بن هشام عن عائشة.

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٣٠٨/٤١ ح٢٤٨٠٠) وضعف سنده محققوه لإبهام الراوي عن عائشة ﵂.

(٣) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وتقدم تخريج الحاكم وتصحيحه قبل خمس روايات.

(٤) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده صحيح.

(٥) (المسند ٤٢/ ٣٥٣ ح٢٥٥٤٧) وصححه محققوه؛ وأخرجه النسائي في السنن الكبرى، التفسير، (ح١١١٣٨).

(٦) أخرجه مسلم من حديث أنس ﵁ بنحوه (الصحيح، الفضائل، باب كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقاً ح٢٣٠٩).

(٧) زيادة من صحيح البخاري.

إبراهيم بن يونس، عن أبيه، عن أبي إسحاق قال: سمعت البراء يقول: كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وجهاً، وأحسن الناس خلقاً، ليس بالطويل ولا بالقصير[(١)].

والأحاديث في هذا كثيرة ولأبي عيسى الترمذي في هذا كتاب «الشمائل» وقد قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق، حدثنا معمر، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة قالت: ما ضرب رسول الله ﷺ بيده خادماً له قط، ولا امرأة ولا ضرب بيده شيئاً قط إلا أن يجاهد في سبيل الله ولا خُيِّر بين شيئين قط إلا كان أحبهما إليه أيسرهما حتى يكون إثماً، فإذا كان إثماً كان أبعد الناس من الإثم، ولا انتقم لنفسه من شيء يؤتى إليه إلا إذا انتهكت حرمات الله فيكون هو ينتقم لله عز وجل[(٢)].

وقال الإمام أحمد: حدثنا سعيد بن منصور، حدثنا عبد العزيز بن محمد، عن محمد بن عجلان، عن القعقاع بن حكيم، عن أبي صالح، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق»[(٣)]. تفرد به.

وقوله تعالى: ﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ۝٥ بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ۝٦﴾ أي: فستعلم يا محمد وسيعلم مخالفوك ومكذبوك من المفتون الضال منك ومنهم وهذه كقوله تعالى: ﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ ۝٢٦﴾ [القمر] وكقوله: ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ: ٢٤] قال ابن جريج: قال ابن عباس في هذه الآية: ستعلم ويعلمون يوم القيامة[(٤)].

وقال العوفي، عن ابن عباس: ﴿بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ۝٦﴾ أي: الجنون[(٥)]. وكذا قال مجاهد وغيره[(٦)].

وقال قتادة وغيره: ﴿بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ۝٦﴾ أي: أولى بالشيطان[(٧)].

ومعنى المفتون ظاهر؛ أي: الذين قد أفتتن عن الحق وضلَّ عنه، وإنما دخلت الباء في قوله: ﴿بِأَييِّكُمُ﴾ لتدل على تضمين الفعل في قوله: ﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ۝٥﴾ وتقديره: فستعلم ويعلمون أو فستخبر ويخبرون بأيكم المفتون، والله أعلم.

ثم قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ۝٧﴾ أي: هو يعلم تعالى أي الفريقين منكم ومنهم هو المهتدي ويعلم الحزب الضال عن الحق.

---

(١) أخرجه البخاري بسنده ومتنه. (الصحيح، المناقب، باب صفة النبي ﷺ ح٣٥٤٩).
(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٤٣/١٠٩ ح٢٥٩٥٦) وصحح سنده محققوه.
(٣) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ١٤/٥١٢ ح٨٩٥٢) وصححه محققوه وقالوا: وهذا إسناد قوي.
(٤) سنده منقطع لأن ابن جريج لم يسمع من ابن عباس.
(٥) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به.
(٦) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق ليث عن مجاهد؛ وأخرجه الطبري أيضاً بسند ضعيف من طريق خُصيف عن مجاهد، وفي السندين ابن حميد وهو محمد بن حميد الرازي وهو ضعيف.
(٧) أخرجه عبد الرزاق والطبري بسند صحيح من طريق معمر عن قتادة؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد بلفظ: «الشيطان».

﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٨﴾ وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴿٩﴾ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾ سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ﴿١٦﴾﴾.

يقول تعالى: كما أنعمنا عليك وأعطيناك الشرع المستقيم والخلق العظيم ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٨﴾ وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴿٩﴾﴾ قال ابن عباس: لو ترخص لهم فيرخصون[١].

وقال مجاهد: ﴿وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ﴾ تركن إلى آلهتهم، وتترك ما أنت عليه من الحق[٢].

ثم قال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾﴾ وذلك أن الكاذب لضعفه ومهانته إنما يتقي بأيمانه الكاذبة التي يجترىء بها على أسماء الله تعالى واستعمالها في كل وقت في غير محلها.

قال ابن عباس: المهين: الكاذب[٣].

وقال مجاهد: هو الضعيف القلب[٤].

وقال الحسن: ﴿كُلَّ حَلَّافٍ﴾ مكابر مهين ضعيف[٥].

وقوله: ﴿هَمَّازٍ﴾ قال ابن عباس وقتادة: يعني: الاغتياب[٦].

﴿مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ﴾ يعني: الذي يمشي بين الناس ويحرش بينهم وينقل الحديث لفساد ذات البين، وهي: الحالقة.

وقد ثبت في الصحيحين من حديث مجاهد، عن طاوس، عن ابن عباس قال: مرَّ رسول الله ﷺ بقبرين فقال: «إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير، أما أحدهما فكان لا يستتر من البول، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة». الحديث. وأخرجه بقية الجماعة في كتبهم من طرق عن مجاهد به[٧].

وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو معاوية، حدثنا الأعمش، عن إبراهيم، عن همام، أن حذيفة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يدخل الجنة قتَّات»[٨]. رواه الجماعة إلا ابن ماجه من طرق عن إبراهيم به[٩].

وحدثنا عبد الرزاق، حدثنا الثوري، عن منصور، عن إبراهيم، عن همام، عن حذيفة قال:

---

(١) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس.
(٢) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.
(٣) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي عن ابن عباس بلفظ: «المهين»: الكذاب.
(٤) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.
(٥) أخرجه عبد الرزاق والطبري بسند صحيح من طريق معمر عن الحسن بلفظ: «كل مكثار في الحلف، مهين ضعيف».
(٦) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة بمعناه.
(٧) صحيح البخاري، الوضوء، باب ما جاء في غسل البول (ح٢١٨)؛ وصحيح مسلم، الطهارة، باب الدليل على نجاسة البول (ح٢٩٢).
(٨) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٥/ ٣٨٢) وسنده صحيح.
(٩) صحيح البخاري، الأدب، باب ما يكره من النميمة (ح٦٠٦٥)؛ وصحيح مسلم، الإيمان، باب بيان غلظ تحريم النميمة (ح١٦٨).

سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يدخل الجنة قتّات»؛ يعني: نمّاماً[١].

وحدثنا يحيى بن سعيد القطان ـ أبو سعيد الأحوال ـ، عن الأعمش، حدثني إبراهيم منذ نحو ستين سنة، عن همام بن الحارث قال: مرَّ رجل على حذيفة فقيل: إن هذا يرفع الحديث إلى الأمراء، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول أو قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يدخل الجنة قتّات»[٢].

وقال أحمد: حدثنا هشام، حدثنا مهدي، عن واصل الأحدب، عن أبي وائل قال: بلغ حذيفة رجل أنه ينم الحديث فقال: سمعت رسول الله ﷺ قال: «لا يدخل الجنة نمّام»[٣].

وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق، أنبأنا معمر، عن ابن خُثيم، عن شهر بن حوشب، عن أسماء بنت يزيد بن السكن، أن النبي ﷺ قال: «ألا أخبركم بخياركم؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: الذين إذا رؤوا ذُكر الله ﷻ، ثم قال: ألا أخبركم بشراركم؟ المشاءون بالنميمة المفسدون بين الأحبة الباغون للبُرآء العَنَت»[٤].

ورواه ابن ماجه، عن سويد بن سعيد، عن يحيى بن سليم، عن ابن خُثيم به[٥].

وقال الإمام أحمد: حدثنا سفيان، عن ابن أبي حسين، عن شهر بن حوشب، عن عبد الرحمن بن غنم يبلغ به النبي ﷺ: «خيار عباد الله الذين إذا رؤوا ذُكر الله، وشرار عباد الله المشاءون بالنميمة المفرقون بين الأحبة الباغون للبُرآء العَنَت»[٦].

وقوله: ﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾﴾ أي: يمنع ما عليه وما لديه من الخير، ﴿مُعْتَدٍ﴾ في تناول ما أحلَّ الله له؛ يتجاوز فيها الحد المشروع ﴿أَثِيمٍ﴾ أي: يتناول المحرمات.

وقوله: ﴿عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾﴾ أما العتل فهو: الفظ الغليظ الصحيح الجموع المنوع.

وقال الإمام أحمد: حدثنا وكيع وعبد الرحمن، عن سفيان، عن معبد بن خالد، عن حارثة بن وهب قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أنبئكم بأهل الجنة؟ كل ضعيف متضعف، لو أقسم على الله لأبره. ألا أنبئكم بأهل النار؟ كل عتل جواظ متكبر».

وقال وكيع: كل جواظ جعظري مستكبر[٧]. أخرجاه في الصحيحين وبقية الجماعة إلا أبا داود من حديث سفيان الثوري وشعبة كلاهما عن معبد بن خالد به[٨].

وقال الإمام أحمد أيضاً: حدثنا أبو عبد الرحمن، حدثنا موسى بن علي، قال: سمعت أبي

---

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٥/ ٣٨٩) وسنده صحيح.

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٥/ ٣٨٩) وسنده صحيح.

(٣) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٥/ ٣٩١) وسنده صحيح.

(٤) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٤٥/ ٥٧٧ ح٢٧٦٠١) وقال محققوه: حسن بشواهده.

(٥) سنن ابن ماجه، الزهد، باب من لا يؤبه له (ح٤١١٩)؛ وحسنه البوصيري (مصباح الزجاجة ٣/ ٢٧٣).

(٦) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٢٩/ ٥٢١ ح١٧٩٩٨) وقال محققوه: حسن بشواهده.

(٧) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٤/ ٣٠٦) وسنده صحيح.

(٨) صحيح البخاري، التفسير، باب ﴿عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾﴾ [القلم] (ح٤٩١٨)؛ وصحيح مسلم، الجنة، باب النار يدخلها الجبارون (ح٢٨٥٣).

يحدث عن عبد الله بن عمرو بن العاص، أن النبي ﷺ قال: عند ذكر أهل النار: «كل جعظري جواظ مستكبر، جماع مناع»[١]. تفرد به أحمد. قال أهل اللغة: الجعظري: الفظّ الغليظ، والجوّاظ: الجموع المنوع.

وقال الإمام أحمد: حدثنا وكيع، حدثنا عبد الحميد، عن شهر بن حوشب، عن عبد الرحمٰن ظبن غُنم قال: سئل رسول الله ﷺ عن العتل الزنيم. فقال: «هو الشديد الخلق المصحح، الأكول الشروب، الواجد الطعام والشراب، الظلوم للناس، رحيب الجوف»[٢].

وبهذا الإسناد قال رسول الله ﷺ: «لا يدخل الجنة الجواظ الجعظري والعتل الزنيم»[٣]. وقد أرسله أيضاً غير واحد من التابعين.

وقال ابن جرير: حدثنا ابن عبد الأعلى، حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن زيد بن أسلم قال: قال رسول الله ﷺ: «تبكي السماء على عبد أصح الله جسمه، وأرحبَ جوفه، وأعطاه من الدنيا مقضماً، فكان للناس ظلوما قال: فذلك العتل الزنيم»[٤]. وهكذا رواه ابن أبي حاتم من طريقين مرسلين. ونصَّ عليه غير واحد من السلف منهم مجاهد وعكرمة والحسن وقتادة وغيرهم أن العتل هو: المصحَّح الخلق، الشديد القوي في المأكل والمشرب، والمنكِّح وغير ذلك[٥].

وأما الزنيم فقال البخاري: حدثنا محمود، حدثنا عبيد الله، عن إسرائيل، عن أبي حصين، عن مجاهد، عن ابن عباس: ﴿عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ⑬﴾ قال: رجل من قريش له زنمة مثل زنمة[٦] الشاة[٧]؛ ومعنى هذا: أنه كان مشهوراً بالسوء كشهرة الشاة ذات الزنمة من بين أخواتها، وإنما الزنيم في لغة العرب هو الدَّعي في القوم قاله ابن جرير وغير واحد من الأئمة قال: ومنه قول حسان بن ثابت؛ يعني: يذم بعض كفار قريش:

وأنت زنيم نيط في آل هاشم   كما نِيط خلف الراكب القَدَح الفرد[٨]

---

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ١١/ ١٤٥ ح٦٥٨٠)؛ وصحح سنده محققوه.

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٢٩/ ٥١٦ ح١٧٩٩١)؛ وضعف سنده محققوه لضعف شهر بن حوشب.

(٣) المصدر السابق، وحكمه كسابقه. ويشهد له ما رواه أبو داود من حديث حارثة بن وهب ﷺ (السنن، الأدب، باب في حسن الخلق، ح٤٨٠١)؛ وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح٤٠١٦).

(٤) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده ضعيف لإرساله.

(٥) أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن الحسن بلفظ: «هو الفاحش اللئيم الضريبة»؛ أي: السجية. وهكذا أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة؛ وأخرجه الطبري بسند حسن من طريق منصور عن أبي رزين بلفظ: «الشديد»؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد بلفظ: شديد الأشَر، وأخرجه ابن أبي شيبة بسند جيد من طريق أبي الزبير عن عبيد بن عمير بلفظ: «الأكول الشروب القوي الشديد».

(٦) الزنمة: شيء يقطع من أذن البعير فيترك معلقاً. (لسان العرب ز ن م).

(٧) أخرجه البخاري بسنده ومتنه (الصحيح، التفسير، باب ﴿عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ⑬﴾ [القلم] ح٤٩١٧).

(٨) استشهد به الطبري، وهو في ديوان حسان ﷺ ص١١٨.

وقال آخر:

زنيم ليس يُعرفُ مَن أبوه   بغيُّ الأم ذو حسب لئيم[١]

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا عمار بن خالد الواسطي، حدثنا أسباط، عن هشام، عن عكرمة، عن ابن عباس في قوله: ﴿زَنِيمٍ﴾ قال: الدعيّ الفاحش اللئيم[٢]. ثم قال ابن عباس:

زنيم تَداعاه الرجال زيادة   كما زيد في عَرضِ الأديم[٣] الأكارع[٤][٥]

وقال العوفي، عن ابن عباس: الزنيم: الدعيّ ويقال: الزنيم: رجل كانت به زنمة يعرف بها، ويقال هو: الأخنس بن شريق الثقفي حليف بني زهرة، وزعم أناس من بني زهرة أن الزنيم: الأسود بن عبد يغوث الزهري وليس به[٦].

وقال ابن أبي نجيح، عن مجاهد، عن ابن عباس أنه زعم أن الزنيم الملحق النسب[٧].

وقال ابن أبي حاتم: حدثني يونس، حدثنا ابن وهب، حدثني سليمان بن بلال، عن عبد الرحمٰن بن حرملة، عن سعيد بن المسيب أنه سمعه يقول في هذه الآية ﴿عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾﴾ قال سعيد: هو الملصق بالقوم ليس منهم[٨].

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا عقبة بن خالد، عن عامر بن قدامة قال: سُئل عكرمة،عن الزنيم قال: هو ولد الزنا[٩].

وقال الحكم بن أبان، عن عكرمة في قوله تعالى: ﴿عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾﴾ قال: يعرف المؤمن من الكافر مثل الشاة الزنماء والزنماء من الشياه التي في عنقها هنتان معلقتان في حلقها.

وقال الثوري، عن جابر، عن الحسن، عن سعيد بن جبير قال: الزنيم الذي يعرف بالشر كما تعرف الشاة بزنمتها[١٠]، والزنيم الملصق. رواه ابن جرير[١١].

وروى أيضاً من طريق داود بن أبي هند، عن عكرمة، عن ابن عباس أنه قال في الزنيم: نعت فلم يعرف حتى قيل: زنيم قال: وكانت له زنمة في عنقه يعرف بها[١٢].

---

(١) استشهد به الطبري دون أن ينسبه إلى أحد.

(٢) سنده حسن، وأخرجه الطبري بسند حسن من طريق هشام عن عكرمة بلفظ: «الدعي».

(٣) أي: الجلد.

(٤) الأكارع: جمع كراع وهو في الدواب ما دون الكعب (لسان العرب ك ر ع)، والبيت عزاه ابن منظور إلىٰ الخطيم التميمي وهو شاعر جاهلي.

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة من طريق أبي عبد الرحمٰن عن ابن عباس. (المصنف ٦/ ١٨٢)، وأبو عبد الرحمٰن لم أعرف من هو؛ وورد في المصنف عن شيخ يكنىٰ أبا عبد الرحمٰن.

(٦) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي عن ابن عباس.

(٧) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح به.

(٨) أخرجه الطبري عن يونس به، وسنده حسن.   (٩) سنده حسن.

(١٠) أخرجه الحاكم من طريق أبي إسحاق، وهو السبيعي، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس؛ وصححه ووافقه الذهبي (المستدرك ٢/ ٤٩٩).

(١١) تقدم عن سعيد بن المسيب.

(١٢) أخرجه الطبري من طريق داود بن أبي هند به، وسنده حسن.

وقال آخرون: كان دعيّاً[(١)].

وقال ابن جرير: حدثنا أبو كريب، حدثنا ابن إدريس، عن أبيه، عن أصحاب التفسير قالوا: هو الذي تكون له زنمة الشاة[(٢)].

وقال الضحاك: كانت له زنمة في أصل أذنه[(٣)].

ويقال: هو اللئيم الملصق في النسب[(٤)].

وقال أبو إسحاق: عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس: هو المريب الذي يعرف بالشر[(٥)]. وقال مجاهد: الزنيم يُعرف بهذا الوصف كما تعرف الشاة[(٦)].

وقال أبو رزين: الزنيم علامة الكفر[(٧)].

وقال عكرمة: الزنيم الذي يعرف باللؤم كما تعرف الشاة بزنمتها[(٨)]. والأقوال في هذا كثيرة وترجع إلى ما قلناه وهو أن الزنيم هو المشهور بالشر الذي يعرف به من بين الناس، وغالباً ما يكون دعياً ولد زنا فإنه في الغالب يتسلط الشيطان عليه ما لا يتسلط على غيره كما جاء في الحديث: «لا يدخل الجنة ولد زنا»[(٩)]. وفي الحديث الآخر: «ولد الزنا شر الثلاثة إذا عمل بعمل أبويه»[(١٠)].

وقوله: ﴿أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ۝١٤ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٥﴾ يقول تعالى هذا مقابلة ما أنعم الله عليه من المال والبنين كفر بآيات الله ﷻ وأعرض عنها، وزعم أنها كذب مأخوذ من أساطير الأولين كقوله: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ۝١١ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ۝١٢ وَبَنِينَ شُهُودًا ۝١٣ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ۝١٤ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ۝١٥ كَلَّآ إِنَّهُۥ كَانَ لِءَايَٰتِنَا عَنِيدًا ۝١٦ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ۝١٧ إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ۝١٨ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۝١٩ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۝٢٠ ثُمَّ نَظَرَ ۝٢١ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ۝٢٢ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ۝٢٣ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ۝٢٤ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ۝٢٥﴾ [المدثر] قال الله تعالى: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ۝٢٦﴾ [المدثر] وقال تعالى ههنا: ﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ۝١٦﴾.

قال ابن جرير: سنبيِّن أمره بياناً واضحاً حتى يعرفوه ولا يخفى عليهم كما لا تخفى عليهم السمة على الخراطيم[(١١)]، وهكذا قال قتادة: ﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ۝١٦﴾ شين لا يفارقه

---

(١) تقدم تخريجه عن ابن عباس.

(٢) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده حسن.

(٣) أخرجه الطبري بسند ضعيف فيه إبهام شيخه.

(٤) تقدم تخريجه عن سعيد بن المسيب.

(٥) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق أبي إسحاق به.

(٦) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.

(٧) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق منصور عن أبي رزين.

(٨) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق خُصيف عن عكرمة.

(٩) أخرجه الإمام أحمد من طريق سالم بن أبي الجعد عن جابان عن عبد الله بن عمرو مرفوعاً (المسند ٢/ ٢٠٣)؛ وسنده ضعيف لجهالة جابان قال الذهبي: لا يُدرى من هو (ميزان الاعتدال ١/ ٣٧٧)؛ وذكره ابن الجوزي في الموضوعات (٣/ ١١١).

(١٠) أخرجه الإمام أحمد من حديث عائشة ﵂ (المسند ٤١/ ٢٩٧ ح٢٤٧٨٤) وقال محققوه: إسناده ضعيف جداً.

(١١) ذكره الطبري بنحوه.

آخر ما عليه[١].

وفي رواية عنه: ﴿سَنَسِمُهُۥ﴾ سيما على أنفه[٢]، وكذا قال السدي.

وقال العوفي، عن ابن عباس: ﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ﴿١٦﴾﴾ يقاتل يوم بدر فيخطم بالسيف في القتال.

وقال آخرون: سنسمه سمة أهل النار؛ يعني: نسوِّد وجهه يوم القيامة وعبر عن الوجه بالخرطوم وحكى ذلك كله أبو جعفر ابن جرير[٣]، ومال إلى أنه لا مانع من اجتماع الجميع عليه في الدنيا والآخرة[٤]، وهو متجه.

وقد قال ابن أبي حاتم في سورة ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ﴿١﴾﴾ [النبأ]: حدثنا أبي، حدثنا أبو صالح كاتب الليث، حدثني الليث، حدثني خالد بن سعيد، عن عبد الملك بن عبد الله، عن عيسى بن هلال الصدفي، عن عبد الله بن عمرو، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن العبد يكتب مؤمناً أحقاباً ثم أحقاباً ثم يموت والله عليه ساخط، وإن العبد يكتب كافراً أحقاباً ثم أحقاباً ثم يموت والله عليه راضٍ، ومن مات همَّازاً لمَّازاً ملقباً للناس كان علامته يوم القيامة أن يسمه الله على الخرطوم من كلا الشفتين»[٥].

﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوْا۟ مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ ٱغْدُوا۟ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَٱنطَلَقُوا۟ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوْا۟ عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓا۟ إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾.

هذا مثل ضربه الله تعالى لكفار قريش فيما أهدى إليهم من الرحمة العظيمة وأعطاهم من النعمة الجسيمة، وهو: بعثة محمد ﷺ إليهم، فقابلوه بالتكذيب والردِّ والمحاربة ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ﴾ أي: اختبرناهم ﴿كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ﴾ وهي: البستان المشتمل على أنواع الثمار والفواكه ﴿إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ﴾ أي: حلفوا فيما بينهم ليجذن ثمرها ليلاً لئلا يعلم بهم فقير ولا سائل، ليتوفر ثمرها عليهم ولا يتصدقوا منه بشيء ﴿وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾﴾ أي: فيما حلفوا به، ولهذا حنثهم الله في أيمانهم فقال تعالى: ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾﴾ أي: أصابتها آفة سماوية فأصبحت كالصريم قال ابن عباس أي: كالليل الأسود[٦].

---

(١) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٢) هذا لفظ الطبري؛ وأخرجه عبد الرزاق والطبري بسند صحيح بلفظ: «سنسم على أنفه».

(٣) ذكره الطبري بنحوه ونسبه بقوله: وقال بعضهم. (٤) لم أجد هذا عن الطبري.

(٥) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط من طريق الليث به، ثم قال: لا يروى عن عبد الله بن عمرو إلا بهذا الإسناد، تفرد به الليث. (ينظر مجمع البحرين ح٣٢٣٤).

(٦) أخرجه الطبري بسند فيه رجل مجهول.

وقال الثوري والسدي: مثل الزرع إذا حصد؛ أي: هشيماً يبساً.

وقال ابن أبي حاتم: ذُكر عن أحمد بن الصباح، أنبأنا بشر بن زاذان، عن عمر بن صبيح، عن ليث بن أبي سليم، عن عبد الرحمٰن بن سابط، عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «إياكم والمعاصي إن العبد ليذنب الذنب فيحرم به رزقاً قد كان هُيء له ثم تلا رسول الله ﷺ: ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ۝١٩ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ۝٢٠﴾ قد حُرموا خير جنتهم بذنبهم»[1].

﴿فَتَنَادَوْا۟ مُصْبِحِينَ ۝٢١﴾ أي: لما كان وقت الصبح نادى بعضهم بعضاً ليذهبوا إلى الجذاذ؛ أي: القطع ﴿أَنِ ٱغْدُوا۟ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ ۝٢٢﴾ أي: تريدون الصرام.

قال مجاهد: كان حرثهم[2] عنباً ﴿فَٱنطَلَقُوا۟ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ ۝٢٣﴾ أي: يتناجون فيما بينهم بحيث لا يسمعون أحداً كلامهم ثم فسر الله ﷻ عالم السر والنجوى ما كانوا يتخافتون به فقال تعالى: ﴿فَٱنطَلَقُوا۟ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ ۝٢٣ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ۝٢٤﴾ أي: يقول بعضهم لبعض: لا تمكنوا اليوم فقيراً يدخلها عليكم.

قال الله تعالى: ﴿وَغَدَوْا۟ عَلَىٰ حَرْدٍ﴾ أي: قوة وشدة.

وقال مجاهد: ﴿وَغَدَوْا۟ عَلَىٰ حَرْدٍ﴾ أي: جد[3].

وقال عكرمة: على غيظ[4].

وقال الشعبي: ﴿عَلَىٰ حَرْدٍ﴾ على المساكين[5].

وقال السدي: ﴿عَلَىٰ حَرْدٍ﴾ أي: كان اسم قريتهم حرد، فأبعد السدي في قوله هذا. ﴿قَٰدِرِينَ﴾ أي: عليها فيما يزعمون ويرومون فلما رأوها قالوا: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓا۟ إِنَّا لَضَآلُّونَ﴾ أي: فلما وصلوا إليها وأشرفوا عليها وهي على الحالة التي قال الله ﷻ قد استحالت عن تلك النضارة والزهرة وكثرة الثمار إلى أن صارت سوداء مُدْلَهِمَّة لا ينتفع بشيء منها، فاعتقدوا أنهم قد أخطأوا الطريق ولهذا قالوا: ﴿إِنَّا لَضَآلُّونَ﴾ أي: قد سلكنا إليها غير الطريق فتهنا عنها. قاله ابن عباس وغيره[6]، ثم رجعوا عما كانوا فيه وتيقنوا أنها هي فقالوا: ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ۝٢٧﴾ أي: بل هي هذه ولكن نحن لا حظَّ لنا ولا نصيب ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾ قال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة ومحمد بن كعب والربيع بن أنس والضحاك وقتادة: أي أعدلهم وخيرهم ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾[7].

---

(١) سنده ضعيف جداً لأن ابن أبي حاتم لم يذكر اسم شيخه، وكذلك في سنده عمر بن صبح متروك كذبه إسحاق بن راهويه. (التقريب ص٤١٤).

(٢) عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

(٣) أخرجه الطبري بسند ضعيف فيه جهالة الراوي عن مجاهد، ومعناه صحيح؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق أبي رجاء عن الحسن البصري.

(٤) عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

(٥) عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد.

(٦) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٧) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق سعيد بن أبي طلحة عن ابن عباس؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي نجيح عن مجاهد؛ وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة؛ وأخرجه الطبري بسند حسن من طريق جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير.

قال مجاهد والسدي وابن جريج: ﴿لَوۡلَا تُسَبِّحُونَ﴾ أي: لولا تستثنون[١].

قال السدي: وكان استثناؤهم في ذلك الزمان: تسبيحاً.

وقال ابن جرير: هو قول القائل: إن شاء الله[٢]، وقيل: معناه ﴿قَالَ أَوۡسَطُهُمۡ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ لَوۡلَا تُسَبِّحُونَ ۝٢٨﴾ أي: فهلا تسبحون الله وتشكرونه على ما أعطاكم وأنعم به عليكم ﴿قَالُواْ سُبۡحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ۝٢٩﴾ أتوا بالطاعة حيث لا تنفع وندموا واعترفوا حيث لا ينجع ولهذا قالوا: ﴿إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ فَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَلَٰوَمُونَ ۝٣٠﴾ أي: يلوم بعضهم بعضاً على ما كانوا أصروا عليه من نفع المساكين من حق الجذاذ، فما كان جواب بعضهم لبعض إلا الاعتراف بالخطيئة والذنب. ﴿قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ۝٣١﴾ أي: اعتدينا وبغينا وطغينا وجاوزنا الحد حتى أصابنا ما أصابنا ﴿عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبۡدِلَنَا خَيۡرٗا مِّنۡهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ﴾ قيل: رغبوا في بذلها لهم في الدنيا وقيل: احتسبوا ثوابها في الدار الآخرة، والله أعلم.

ثم قد ذكر بعض السلف أن هؤلاء قد كانوا من أهل اليمن؛ قال سعيد بن جبير: كانوا من قرية يقال لها: «ضروان» على ستة أميال من صنعاء، وقيل: كانوا من أهل الحبشة، وكان أبوهم قد خلف لهم هذه الجنة، وكانوا من أهل الكتاب وقد كان أبوهم يسير فيها سيرة حسنة، فكان ما يستغل منها يرد فيها ما تحتاج إليه ويدخر لعياله قوت سنتهم ويتصدق بالفاضل، فلما مات وورثه بنوه قالوا: لقد كان أبونا أحمق إذ كان يصرف من هذه شيئاً للفقراء، ولو أنا منعناهم لتوفر ذلك علينا، فلما عزموا على ذلك عوقبوا بنقيض قصدهم، فأذهب الله ما بأيديهم بالكلية رأس المال والربح والصدقة فلم يبق لهم شيء، قال الله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ ٱلۡعَذَابُۖ﴾ أي: هكذا عذاب من خالف أمر الله، وبخل بما أتاه الله وأنعم به عليه ومنع حق المسكين والفقير وذوي الحاجات وبدل نعمة الله كفراً ﴿وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ﴾ أي: هذه عقوبة الدنيا كما سمعتم وعذاب الآخرة أشقّ.

وقد ورد في حديث رواه الحافظ البيهقي من طريق جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، عن أبيه، عن جده أن رسول الله ﷺ نهى عن الجذاذ بالليل والحصاد بالليل[٣].

﴿إِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝٣٤ أَفَنَجۡعَلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ كَٱلۡمُجۡرِمِينَ ۝٣٥ مَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ ۝٣٦ أَمۡ لَكُمۡ كِتَٰبٞ فِيهِ تَدۡرُسُونَ ۝٣٧ إِنَّ لَكُمۡ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ۝٣٨ أَمۡ لَكُمۡ أَيۡمَٰنٌ عَلَيۡنَا بَٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ إِنَّ لَكُمۡ لَمَا تَحۡكُمُونَ ۝٣٩ سَلۡهُمۡ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ۝٤٠ أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَآءُ فَلۡيَأۡتُواْ بِشُرَكَآئِهِمۡ إِن كَانُواْ صَٰدِقِينَ ۝٤١﴾.

لما ذكر تعالى حال أهل الجنة الدنيوية وما أصابهم فيها من النقمة حين عصوا الله ﷻ وخالفوا أمره بيَّن أن لمن اتقاه وأطاعه في الدار الآخرة جنات النعيم التي لا تبيد ولا تفرغ ولا ينقضي نعيمها.

---

(١) أخرجه الطبري بسند ضعيف فيه ابن حميد وهو محمد بن حميد الرازي وهو ضعيف.

(٢) ذكره الطبري بنحوه.

(٣) أخرجه البيهقي من طريق جعفر بن محمد به (السنن الكبرىٰ ٤/ ١٣٣)، وسنده ضعيف لإرساله.

ثم قال تعالى: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾﴾ أي: أفنساوي بين هؤلاء وهؤلاء في الجزاء؟ كلا وربِّ الأرض والسماء ولهذا قال: ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾﴾ أي: كيف [تظنون][1] ذلك؟ ثم قال: ﴿أَمْ لَكُمْ كِتَٰبٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ يقول: أفبأيديكم كتاب منزل من السماء تدرسونه وتحفظونه وتتداولونه بنقل الخلف عن السلف متضمن حكماً مؤكداً كما تدعونه ﴿إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ عَلَيْنَا بَٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾﴾ أي: أمعكم عهود منا ومواثيق مؤكدة ﴿إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ﴾ أي: أنه سيحصل لكم ما تريدون وتشتهون ﴿سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ أي: قل لهم من هو المتضمن المتكفل بهذا؟ ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَآءُ﴾ أي: من الأصنام والأنداد ﴿فَلْيَأْتُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ﴾.

﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ فَذَرْنِى وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِى لَهُمْ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴿٤٥﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٦﴾ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤٧﴾﴾.

لما ذكر تعالى أن للمتقين عند ربهم جنات النعيم بيّن متى ذلك كائن وواقع فقال: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾﴾ يعني: يوم القيامة وما يكون فيه من الأهوال والزلازل والبلاء والامتحان والأمور العظام.

وقد قال البخاري ههنا: حدثنا آدم، حدثنا الليث، عن خالد بن يزيد، عن سعيد بن أبي هلال، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد الخدري قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «يكشف ربنا عن ساقه، فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة، ويبقى من كان يسجد في الدنيا رياء وسمعة، فيذهب ليسجد فيعود ظهره طبقاً واحداً»[2]. وهذا الحديث مخرج في الصحيحين وفي غيرهما من طرق، وله ألفاظ وهو حديث طويل مشهور.

وقد قال عبد الله بن المبارك، عن أُسامة بن زيد، عن عكرمة، عن ابن عباس ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ قال: هو يوم القيامة يوم كرب وشدة. رواه ابن جرير[3].

ثم قال: حدثنا ابن حميد، حدثنا مهران، عن سفيان، عن المغيرة، عن إبراهيم، عن ابن مسعود أو ابن عباس ـ الشك من ابن جرير ـ ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ قال: عن أمر عظيم كقول الشاعر:

وقامت الحرب عن ساق[4]

وقال ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ قال: شدة الأمر[5].

---

(١) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل بياض.

(٢) أخرجه البخاري بسنده ومتنه. (الصحيح، التفسير، باب ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ [القلم: ٤٢] ح٤٩١٩).

(٣) أخرجه عبد الله بن المبارك (الزهد رقم ٣٦١ من زوائد نعيم)؛ والحاكم وصححه ووافقه الذهبي. (المستدرك ٢/٤٩٩، ٥٠٠).

(٤) أخرجه الطبري بسنده عن ابن عباس من غير شك وبمتنه، وسنده ضعيف لضعف شيخ الطبري، وإبراهيم لم يسمع من ابن عباس. ويتقوىٰ بسابقه.

(٥) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح به.

وقال ابن عباس: هي أشد ساعة تكون في يوم القيامة.

وقال ابن جريج، عن مجاهد: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ قال: شدة الأمر وجده[١].

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس قوله: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ هو: الأمر الشديد الفظيع من الهول يوم القيامة[٢].

وقال العوفي، عن ابن عباس قوله: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ يقول حين يكشف الأمر وتبدو الأعمال وكشفه دخول الآخرة وكشف الأمر عنه[٣]. وكذا روى الضحاك وغيره عن ابن عباس أورد ذلك كله أبو جعفر بن جرير ثم قال: حدثني أبو زيد عمر بن شيبة، حدثنا هارون بن عمر المخزومي، حدثنا الوليد بن مسلم، حدثنا أبو سعيد روح بن جناح، عن مولى لعمر بن عبد العزيز، عن أبي بردة بن أبي موسى، عن أبيه، عن النبي ﷺ قال: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ يعني: عن نور عظيم يخرون له سجداً[٤]. ورواه أبو يعلى عن القاسم بن يحيى، عن الوليد بن مسلم به وفيه رجل مبهم[٥]. والله أعلم.

وقوله: ﴿خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾ أي: في الدار الآخرة بإجرامهم وتكبرهم في الدنيا، فعوقبوا بنقيض ما كانوا عليه، ولما دعوا إلى السجود في الدنيا فامتنعوا منه مع صحتهم وسلامتهم كذلك عوقبوا بعدم قدرتهم عليه في الآخرة إذا تجلى الرب ﷻ فيسجد له المؤمنون ولا يستطيع أحد من الكافرين ولا المنافقين أن يسجد بل يعود ظهر أحدهم طبقاً واحداً، كلما أراد أحدهم أن يسجد خرَّ لقفاه عكس السجود كما كانوا في الدنيا، بخلاف ما عليه المؤمنون.

ثم قال تعالى: ﴿فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ﴾ يعني: القرآن، وهذا تهديد شديد؛ أي: دعني وإياه مني ومنه أنا أعلم به كيف أستدرجه، وأمده في غيه، وانظره ثم آخذه أخذ عزيز مقتدر ولهذا قال تعالى: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: وهم لا يشعرون بل يعتقدون أن ذلك من الله كرامة وهو في نفس الأمر إهانة كما قال: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [المؤمنون] وقال: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الأنعام] ولهذا قال هٰهنا: ﴿وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴿٤٥﴾﴾ أي: وأؤخرهم وانظرهم وأمدهم، وذلك من كيدي ومكري بهم ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ﴾ أي: عظيم لمن خالف أمري، وكذب رسلي، واجترأ على معصيتي.

وفي الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن الله تعالى ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته، ثم قرأ ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾[٦] [هود]».

---

(١) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق ابن جريج به، ويتقوىٰ بسابقه.

(٢) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس.

(٣) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به، ويتقوىٰ بما سبق.

(٤) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده ضعيف جداً لأن روح بن جناح ضعيف وقد اتهمه ابن حبان. (التقريب ص٢١١).

(٥) مسند أبي يعلىٰ (١٣/ ٢٦٩ ح٧٢٨٣) وسنده ضعيف كسابقه.

(٦) تقدم تخريجه في تفسير سورة هود آية ١٠٢.

وقوله: ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٦﴾ أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤٧﴾﴾ تقدم تفسيرهما في سورة الطور[1]، والمعنى في ذلك أنك يا محمد تدعوهم إلى الله ﷻ بلا أجر تأخذه منهم بل ترجو ثواب ذلك عند الله تعالى وهم يكذبون بما جئتهم به بمجرد الجهل والكفر والعناد.

﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ لَّوْلَا أَن تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٥٢﴾﴾.

يقول تعالى: فاصبر يا محمد على قومك وتكذيبهم لك، فإن الله سيحكم لك عليهم ويجعل العاقبة لك ولأتباعك في الدنيا والآخرة ﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ﴾ يعني: ذا النون وهو: يونس بن متى عليه السلام حين ذهب مغاضباً على قومه، فكان من أمره ما كان من ركوبه في البحر والتقام الحوت له وشرود الحوت به في البحار وظلمات غمرات اليم، وسماعه تسبيح البحر بما فيه للعلي القدير الذي لا يردّ ما أنفذه من التقدير، فحينئذٍ نادى في الظلمات ﴿أَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧] قال الله تعالى: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنبياء] وقال تعالى: ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾﴾ [الصافات]. وقال هٰهنا: ﴿إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ قال ابن عباس ومجاهد والسدي: وهو مغموم[2].

وقال عطاء الخراساني وأبو مالك: مكروب.

وقد قدمنا في الحديث أنه لما قال: ﴿لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ خرجت الكلمة تحفُّ حول العرش فقالت الملائكة: يا ربِّ هذا صوت ضعيف معروف من بلاد غريبة. فقال الله تبارك وتعالى: أما تعرفون هذا؟ قالوا: لا. قال: هذا يونس. قالوا: يا ربِّ عبدك الذي لا يزال يرفع له عمل صالح ودعوة مجابة. قال: نعم. قالوا: أفلا ترحم ما كان يعمله في الرخاء، فتنجيه من البلاء؟ فأمر الله الحوت فألقاه بالعراء[3] ولهذا قال تعالى فاجتباه ربه فجعله من الصالحين.

وقد قال الإمام أحمد: حدثنا وكيع، حدثنا سفيان، عن الأعمش، عن أبي وائل، عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «لا ينبغي لأحد أن يقول: أنا خير من يونس بن متى»[4]. ورواه البخاري من حديث سفيان الثوري[5]. وهو في الصحيحين من حديث أبي هريرة[6].

---

(١) الآية ٤٠ و٤١.

(٢) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.

(٣) تقدم تخريجه في تفسير سورة الأنبياء آية ٨٧.

(٤) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ١/ ٣٩٠) وسنده صحيح.

(٥) صحيح البخاري. أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾﴾ [الصافات] (ح٣٤١٢).

(٦) المصدر السابق (ح٣٤١٦)؛ وصحيح مسلم، الفضائل، باب ذكر يونس عليه السلام (ح٢٣٧٦).

وقوله: ﴿وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ﴾ قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما: ﴿لَيُزْلِقُونَكَ﴾ لينفذونك بأبصارهم[١]؛ أي: يعينونك بأبصارهم بمعنى: يحسدونك لبغضهم إياك لولا وقاية الله لك وحمايته إياك منهم.

وفي هذه الآية دليل على أن العين إصابتها وتأثيرها حق بأمر الله ﷻ كما وردت بذلك الأحاديث المروية من طرق متعددة كثيرة.

حديث أنس بن مالك ﷺ:

قال أبو داود: حدثنا سليمان بن داود العتكي، حدثنا شريح، ح وحدثنا العباس العنبري، حدثنا يزيد بن هارون، أنبأنا شريك، عن العباس بن ذَريح، عن الشعبي قال العباس: عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «لا رقية إلا من عين أو حمة أو دم لا يرقأ» لم يذكر: العباس العين. وهذا لفظ سليمان[٢].

حديث بُريدة بن الحصيب ﷺ:

قال أبو عبد الله ابن ماجه: حدثنا محمد بن عبد الله بن نمير، حدثنا إسحاق بن سليمان، عن أبي جعفر الرازي، عن حُصين، عن الشعبي، عن بُريدة بن الحصيب قال: قال رسول الله ﷺ: «لا رقية إلا من عين أو حُمَّة»[٣] هكذا رواه ابن ماجه.

وقد أخرجه مسلم في صحيحه عن سعيد بن منصور، عن هشيم، عن حُصين بن عبد الرحمٰن، عن عامر الشعبي، عن بُريدة موقوفاً. وفيه قصة[٤]، وقد رواه شعبة، عن حصين، عن الشعبي، عن بُريدة قاله الترمذي[٥].

وروى هذا الحديث الإمام البخاري من حديث محمد بن فضيل، وأبو داود من حديث مالك بن مغول، والترمذي من حديث سفيان بن عيينة، ثلاثتهم عن حصين، عن عامر الشعبي، عن عمران بن حصين موقوفاً[٦].

حديث أبي ذر ـ جندب بن جنادة ـ ﷺ:

قال الحافظ أبو يعلى الموصلي: حدثنا إبراهيم بن محمد بن عرعرة، عن ابن البِرند السامي،

---

(١) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق علي بن أبي نجيح عن مجاهد.

(٢) أخرجه أبو داود بسنده ومتنه (السنن، الطب، باب ما رخص في الرقي ح٣٨٨٩)؛ وضعفه الألباني في ضعيف سنن أبي داود (ح٨٣٨).

(٣) أخرجه ابن ماجه بسنده ومتنه (السنن، الطب، باب ما رخص فيه من الرقي ح٣٥١٣)؛ وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (ح٢٨٣٢).

(٤) أخرجه مسلم عن سعيد بن منصور به مطولاً. (الصحيح، الإيمان، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ح٢٢٠).

(٥) سنن الترمذي، الطب، باب ما جاء في الرخصة في ذلك (ح٢٠٥٧).

(٦) صحيح البخاري، الطب، باب من اكتوىٰ أو كوىٰ غيره (ح٥٧٠٥)؛ وسنن أبي داود، الطب، باب ما جاء في الرقىٰ (ح٣٨٨٤)؛ وسنن الترمذي، الباب والحديث السابق.

حدثنا ديلم بن غزوان، حدثنا وهب بن أبي دبي، عن أبي حرب، عن أبي ذرٍّ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن العين لتولع الرجل بإذن الله، فيتصاعد حالقاً[١]، ثم يتردى منه». إسناد غريب ولم يخرجوه.

حديث حابس التميمي:

قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الصمد، حدثنا حرب، حدثنا يحيى بن أبي كثير، حدثني حية بن حابس التميمي، أن أباه أخبره أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «لا شيء في الهام والعين حق، وأصدق الطيرة الفأل»[٢].

وقد رواه الترمذي عن عمرو بن علي، عن أبي غسان يحيى بن كثير، عن علي بن المبارك، عن يحيى بن أبي كثير به ثم قال: غريب. قال وروى شيبان، عن يحيى بن أبي كثير، عن حية بن حابس، عن أبيه، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ[٣].

قلت: كذلك رواه الإمام أحمد، عن حسن بن موسى وحسين بن محمد، عن شيبان، عن حية حدثه، عن أبيه أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «لا بأس في الهام، والعين حق، وأصدق الطيرة الفأل»[٤].

حديث ابن عباس رضي الله عنه:

قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الله بن الوليد، عن سفيان، عن دويد، حدثني إسماعيل بن ثوبان، عن جابر بن زيد، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «العين حق العين حق حتى تستنزل الحالق»[٥] غريب.

طريق أخرى: قال مسلم في صحيحه: حدثنا عبد الله بن عبد الرحمٰن الدارمي، أخبرنا مسلم بن إبراهيم، حدثنا وهيب، عن ابن طاوس، عن أبيه، عن ابن عباس، عن النبي ﷺ قال: «العين حق ولو كان شيء سابق القدر سبقت العين، وإذا اغتسلتم فاغسلوا»[٦] انفرد به دون البخاري.

وقال عبد الرزاق: عن سفيان الثوري، عن منصور، عن المنهال بن عمرو، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يعوذ الحسن والحسين يقول: «أعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة»،

---

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه وزيادة: ثم يتردىٰ منه، (المسند ٣٥/ ٢٢٨ ح٢١٣٠٢) وضعف سنده محققوه؛ وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة بأن رجاله ثقات. (ح٨٨٩).

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٣٤/ ٢٨٠ ح٢٠٦٨٠) وقال محققوه: صحيح لغيره.

(٣) أخرجه الترمذي بسنده ومتنه وتعليقه (السنن، الطب، باب ما جاء أن العين حق والغسل لها ح٢٠٦١ ـ ٢٠٦٢) وضعفه الألباني في ضعيف سنن الترمذي (ح٣٥٨).

(٤) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٣٤/ ٢٨١ ح٢٠٦٨١) وقال محققوه: صحيح لغيره.

(٥) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٤/ ٤١٨ ح٢٦٨١) وقال محققوه: حسن لغيره، وهذا إسناد ضعيف.

(٦) صحيح مسلم، السلام، باب الطب والمرض والرقي (ح٢١٨٨).

ويقول: «هكذا كان إبراهيم يعوِّذ إسحاق وإسماعيل ﷺ»[١]. أخرجه البخاري [وأهل السنن][٢] من حديث المنهال به[٣].

حديث أبي أُمامة أسعد بن سهل بن حنيف رضي الله عنه:

قال ابن ماجه: حدثنا هشام بن عمار، حدثنا سفيان، عن الزهري، عن أبي أُمامة أسعد بن سهل بن حنيف قال: مرَّ عامر بن ربيعة بسهل بن حنيف وهو يغتسل فقال: لم أرَ كاليوم ولا جلد مخبأة، فما لبث أن لُبِطَ[٤] به، فأتي به رسول الله ﷺ فقيل له: أدرك [سهلاً صريعاً][٥]. قال: من تتهمون به؟ قالوا: عامر بن ربيعة. قال علامَ يقتل أحدكم أخاه إذا رأى أحدكم من أخيه ما يعجبه؟ فليدع له بالبركة ثم دعا بماء فأمر عامراً أن يتوضأ، فيغسل وجهه ويديه إلى المرفقين وركبتيه وداخلة إزاره، وأمره أن يصبَّ عليه، قال سفيان: قال معمر عن الزهري: وأمر أن يكفأ الإناء من خلفه[٦].

وقد رواه النسائي من حديث سفيان بن عيينة ومالك بن أنس كلاهما عن الزهري به. ومن حديث سفيان بن عيينة به أيضاً عن معمر، عن الزهري، عن أبي أُمامة: ويكفأ الإناء من خلفه. ومن حديث ابن أبي ذئب، عن الزهري، عن أبي أُمامة أسعد بن سهل بن حنيف، عن أبيه به، ومن حديث مالك أيضاً عن محمد بن أبي أُمامة بن سهل، عن أبيه به[٧].

حديث أبي سعيد الخدري:

قال ابن ماجه: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا سعيد بن سليمان، حدثنا عباد، عن الجريري، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد الخدري قال: «كان رسول الله ﷺ يتعوذ من أعين الجان وأعين الإنس، فلما نزلت المعوذتان أخذ بهما وترك ما سوى ذلك[٨]. ورواه الترمذي والنسائي من حديث سعيد بن إياس أبي مسعود الجريري به. وقال الترمذي حسن[٩].

حديث آخر عنه:

قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث، حدثني أبي، حدثني عبد العزيز بن صهيب، حدثني أبو نضرة، عن أبي سعيد أن جبريل أتى النبي ﷺ فقال: «اشتكيت يا محمد». قال: «نعم». قال: «بسم الله أرقيك، من كل شيء يؤذيك، من شر كل نفس وعين يشفيك،

---

(١) أخرجه عبد الرزاق بسنده ومتنه (المصنف ٤/ ٣٣٧ رقم ٧٩٨٨) وسنده صحيح.
(٢) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل بياض.
(٣) صحيح البخاري، أحاديث الأنبياء، باب رقم ١٠ (ح٣٢٧١).
(٤) أي: صُرع وسقط إلىٰ الأرض. (النهاية ٤/ ٢٢٦).
(٥) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل بياض.
(٦) أخرجه ابن ماجه بسنده ومتنه (السنن، الطب، باب العين ح٣٥٠٩) وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (ح٢٨٢٨).
(٧) السنن الكبرى للنسائي، الطب، باب وضوء العائن (ح٧٦١٧، ٧٦١٩).
(٨) أخرجه ابن ماجه بسنده ومتنه (السنن، الطب، باب من استرقىٰ من العين ح٣٥١١)؛ وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (ح٢٨٣٠).
(٩) سنن الترمذي، الطب، باب ما جاء في الرقية بالمعوذتين (ح٢٠٥٩) وسنن النسائي، الاستعاذة، باب الاستعاذة من عين الجان ٨/ ٢٧١.

بسم الله أرقيك»[١]. ورواه عن عفان، عن عبد الوارث مثله[٢]. ورواه مسلم وأهل السنن إلا أبا داود من حديث عبد الوارث[٣] به.

وقال الإمام أحمد أيضاً: حدثنا عفان، حدثنا وهيب، حدثنا داود، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد أو جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ اشتكى، فأتاه جبريل فقال: «بسم الله أرقيك من كل شيء يؤذيك، من كل حاسد وعين الله يشفيك»[٤] ورواه أيضاً عن محمد بن عبد الرحمٰن الطفاوي، عن داود، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد به[٥].

قال أبو زُرعة الرازي: روى عبد الصمد بن عبد الوارث، عن أبيه، عن عبد العزيز، عن أنس في معناه. وكلاهما صحيح.

حديث أبي هريرة رضي الله عنه:

قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق، أنبأنا معمر، عن همام بن منبه قال: هذا ما حدثنا أبو هريرة، عن رسول الله ﷺ قال: «إن العين حق»[٦] أخرجاه من حديث عبد الرزاق[٧]. وقال ابن ماجه: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا إسماعيل بن علية، عن الجريري، عن مضارب بن حزن، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «العين حق»[٨] تفرد به، ورواه أحمد، عن إسماعيل بن علية، عن سعيد الجريري[٩] به.

وقال الإمام أحمد: حدثنا ابن نمير، حدثنا ثور يعني: ابن يزيد، عن مكحول، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «العين حق، ويحضرها الشيطان وحسد ابن آدم»[١٠].

وقال أحمد: حدثنا خلف بن الوليد، حدثنا أبو معشر، عن محمد بن قيس سئل أبو هريرة هل سمعت رسول الله ﷺ يقول: الطيرة في ثلاث في المسكن والفرس والمرأة؟ قال: قلت إذا أقول على رسول الله ﷺ ما لم يقل، ولكني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أصدق الطيرة الفأل، والعين حق»[١١].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٣/ ٢٨) وسند صحيح.
(٢) المسند ٣/ ٥٦.
(٣) صحيح مسلم، السلاب، باب الطب والمرض والرقي (ح٢١٨٦).
(٤) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (١٨/ ٢٣٩ ح١١٧١٠) وصحح سنده محققوه.
(٥) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (١٨/ ١١١ ـ ١١٢ ح١١٥٥٧) وصحح سنده محققوه.
(٦) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٢/ ٣١٩) وسنده صحيح.
(٧) صحيح البخاري، الطب، باب العين حق (ح٥٧٤٠)؛ وصحيح مسلم، السلام، باب الطب والمرض والرقىٰ (ح٢١٨٧).
(٨) أخرجه ابن ماجه بسنده ومتنه، الطب، باب العين (ح٣٥٠٧)؛ وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (ح٢٨٢٦).
(٩) (المسند ٢/ ٤٨٧).
(١٠) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ١٥/ ٤١٧ ح٩٦٦٨) وضعف سنده محققوه للانقطاع بين مكحول وأبي هريرة، وأن قوله: «العين حق» فقط صحيح.
(١١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ١٣/ ٢٦٥ ح٧٨٨٣) وضعف سنده محققوه لضعف أبي معشر وهو نجيح بن عبد الرحمٰن السندي.

حديث أسماء بنت عميس:

قال الإمام أحمد: حدثنا سفيان، عن عمرو بن دينار، عن عروة بن عامر، عن عُبيد بن رفاعة الزرقي قال: قالت أسماء: يا رسول الله إن بني جعفر تصيبهم العين، أفأسترقي لهم؟ قال: «نعم». فلو كان شيء يسبق القدر لسبقته العين[(١)]. وكذا رواه الترمذي وابن ماجه من حديث سفيان بن عيينة به[(٢)]، ورواه الترمذي أيضاً والنسائي من حديث عبد الرزاق، عن معمر، عن أيوب، عن عروة بن دينار، عن عروة بن عامر، عن عبيد بن رفاعة، عن أسماء بنت عميس به. وقال الترمذي: حسن صحيح[(٣)].

حديث عائشة رضي الله عنها:

قال ابن ماجه: حدثنا علي بن أبي الحصيب، حدثنا وكيع، عن سفيان ومسعر، عن معبد بن خالد، عن عبد الله بن شداد، عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ أمرها أن تسترقي من العين[(٤)]. ورواه البخاري، عن محمد بن كثير، عن سفيان، عن معبد بن خالد به[(٥)].

وأخرجه مسلم من حديث سفيان ومسعر كلاهما عن معبد به[(٦)].

ثم قال ابن ماجه: حدثنا محمد بن بشار، حدثنا أبو هشام المخزومي، حدثنا وهيب، عن أبي واقد، عن أبي سلمة بن عبد الرحمٰن، عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «استعيذوا بالله، فإن العين حق»[(٧)]. تفرد به.

وقال أبو داود: حدثنا عثمان بن أبي شيبة، حدثنا الأعمش، عن إبراهيم، عن الأسود، عن عائشة قالت: «كان يؤمر العائن فيتوضأ ويغسل منه المعين»[(٨)].

قلت: كذلك رواه أحمد، عن حسن بن موسى وحسين بن محمد، عن سنان، أن ابن حيَّة حدثه، عن أبيه، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «لا [بأس في][(٩)] الهام، والعين حق، وأصدق الطيرة الفأل».

---

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٤٥/ ٤٦٢ ح٢٧٤٧٠) وحسن سنده محققوه.

(٢) سنن الترمذي، الطب، باب ما جاء في الرقية من العين (ح٢٠٥٩)؛ وسنن ابن ماجه، الطب، باب من استرقىٰ من العين (ح٣٥١٠)؛ وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (ح٢٨٢٩).

(٣) المصدر السابق؛ والسنن الكبرىٰ، الطب، باب رقية العين (ح٧٥٣٧).

(٤) أخرجه ابن ماجه بسنده ومتنه (السنن، الباب السابق ح٣٥١٢)؛ وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (ح٢٨٣١).

(٥) صحيح البخاري، الطب، باب رقية العين (ح٥٧٣٨).

(٦) صحيح البخاري، السلام، استحباب الرقية من العين (ح٢١٩٥).

(٧) أخرجه ابن ماجه بسنده ومتنه (السنن، الطب، باب العين ح٣٥٠٨)؛ وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه ٢٨٢٧.

(٨) أخرجه أبو داود بسنده ومتنه (السنن، الطب، باب ما جاء في الطب ح٣٨٨٠)؛ وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح٣٢٨٦).

(٩) كذا في المسند كما تقدم بعد حديث حابس التميمي فقد جاء بالإسناد والمتن نفسه فحكمه وتخريجه سواء، وفي الأصل بياض.

حديث سهل بن حنيف:

قال الإمام أحمد: حدثنا حسين بن محمد، حدثنا أبو أويس، حدثنا الزهري، عن أبي أُمامة بن سهل بن حنيف أن أباه حدثه أن رسول الله ﷺ خرج وساروا معه نحو مكة حتى إذا كانوا بشعب الخرَار من الجحفة اغتسل سهل بن حنيف، وكان رجلاً أبيض حسن الجسم والجلد، فنظر إليه عامر بن ربيعة أخو بني عدي بن كعب وهو يغتسل فقال: ما رأيت كاليوم ولا جلد مخبأة فلُبِط سهل، فأتي رسول الله ﷺ فقيل له: يا رسول الله هل لك في سهل؟ والله ما يرفع رأسه ولا يفيق. قال: هل تتهمون فيه من أحد؟ قالوا: نظر إليه عامر بن ربيعة، فدعا رسول الله ﷺ عامراً فتغيظ عليه، وقال علَام يقتل أحدكم أخاه هلّا إذا رأيت ما يعجبك بركت؟ ثم قال: اغتسل له فغسل وجهه ويديه ومرفقيه وركبتيه وأطراف رجليه وداخلة إزاره في قدح، ثم صبَّ ذلك الماء عليه فصبه رجل على رأسه وظهره من خلفه ثم يكفأ القدح وراءه، ففعل ذلك فراح سهل مع الناس ليس به بأس[(١)].

حديث عامر بن ربيعة:

قال الإمام أحمد في مسند عامر: حدثنا وكيع، حدثنا أبي، حدثنا عبد الله بن عيسى، عن أُمية بن هند بن سهل بن حنيف، عن عبد الله بن عامر قال: انطلق عامر بن ربيعة وسهل بن حنيف يريدان الغسل قال: فانطلقا يلتمسان الخمر قال: فوضع عامر جبة كانت عليه من صوف فنظرتُ إليه فأصبتُه بعيني، فنزل الماء ليغتسل قال: فسمعت له في الماء فرقعة فناديته ثلاثاً، فلم يجبني، فأتيت النبي ﷺ فأخبرته قال: فجاء يمشي فخاض الماء، فكأني أنظر إلى بياض ساقيه قال: فضرب صدره بيده ثم قال: اللَّهم اصرف عنه حرَّها وبردها ووصبها، قال: فقام فقال رسول الله ﷺ: «إذا رأى أحدكم من أخيه أو من نفسه أو من ماله ما يعجبه فليبرك، فإن العين حق»[(٢)].

حديث جابر:

قال الحافظ أبو بكر البزار في مسنده: حدثنا محمد بن معمر، حدثنا أبو داود، حدثنا طالب بن حبيب بن عمرو بن سهل الأنصاري - ويقال له: ابن الضجيع ضجيع حمزة رضي الله عنه -، حدثني عبد الرحمٰن بن جابر بن عبد الله، عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «أكثر من يموت من أمتي بعد كتاب الله وقضائه وقدره بالأنفس» قال البزار يعني: العين. قال: ولا نعلم يروي هذا الحديث عن النبي ﷺ إلا بهذا الإسناد[(٣)].

قلت: بل قد روي من وجه آخر عن جابر قال الحافظ أبو عبد الرحمٰن محمد بن المنذر الهروي المعروف «بشَكَّر» في كتاب «العجائب» وهو مشتمل على فوائد جليلة وغريبة: حدثنا الرهاوي، حدثنا يعقوب بن محمد، حدثنا علي بن أبي علي الهاشمي، حدثنا محمد بن المنكدر،

---

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٢٥/٣٥٦ ح١٥٩٨٠) وصححه محققوه.

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده بلفظ: «فليبركه، فإن العين حق» (المسند ٢٤/٤٦٥، ٤٦٦ ح١٥٧٠٠)، وقال محققوه: العين حق صحيح لغيره، وهذا إسناد ضعيف.

(٣) أخرجه البزار بسنده ومتنه وتعليقه (مختصر زوائد مسند البزار ١/٦٤٣، ٦٤٤ ح١١٦٤) قال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح خلا طالب بن حبيب بن عمرو، وهو: ثقة (مجمع الزوائد ٥/١٠٦).

عن جابر بن عبد الله، أن رسول الله ﷺ قال: «العين حق لتُورِد الرجل القبر والجَمل القِدر، وإن أكثر هلاك أمتي في العين»[١]. ثم رواه عن شعيب بن أيوب، عن معاوية بن هشام، عن سفيان، عن محمد بن المنكدر، عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «قد تدخل الرجل العين في القبر، وتدخل الجَمل القِدر»[٢] وهذا إسناد رجاله كلهم ثقات ولم يخرجوه.

حديث عبد الله بن عمرو:

قال الإمام أحمد: حدثنا قتيبة، حدثنا رشدين بن سعد، عن الحسن بن ثوبان، عن هشام بن أبي رقية، عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا حسد، والعين حق»[٣]. تفرد به أحمد.

حديث عن علي:

روى الحافظ ابن عساكر من طريق خيثمة بن سليمان الحافظ، حدثنا عبيد بن محمد الكشوري، حدثنا عبد الله بن عبد الله بن عبد ربه البصري، عن أبي رجاء، عن شعبة، عن أبي إسحاق، عن الحارث، [عن علي][٤] رضي الله عنه أن جبريل أتى النبي ﷺ فوافقه مغتماً فقال: يا محمد ما هذا الغمّ الذي أراه في وجهك؟ قال الحسن والحسين أصابتهما عين. قال: صدق بالعين، فإن العين حق أفلا عوذتهما بهؤلاء الكلمات قال: وما هن يا جبريل؟ قال: قل اللّهم ذا السلطان العظيم [والمن][٥] القديم ذا الوجه الكريم ولي الكلمات التامات والدعوات المستجابات عاف الحسن والحسين من أنفس الجن وأعين الإنس، فقالها النبي ﷺ فقاما يلعبان بين يديه، فقال النبي ﷺ: «عوذوا أنفسكم ونسائكم وأولادكم بهذا التعويذ فإنه لم يتعوذ المتعوذون بمثله»[٦].

قال الخطيب البغدادي: تفرد بروايته أبو رجاء محمد بن عبد الله الحيطي من أهل تُستَر، ذكره ابن عساكر في ترجمة طراد بن الحسين من تاريخه.

وقوله: ﴿وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ﴾ أي: يزدرونه بأعينهم ويؤذونه بألسنتهم ويقولون: ﴿إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ﴾ أي: لمجيئه بالقرآن. قال الله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٥٢﴾﴾.

آخر تفسير سورة نون، ولله الحمد والمنة، وصلواته وسلامه على خير خلقه محمد وآله وصحبه.

---

(١) أخرجه ابن عدي من طريق علي بن أبي علي به، وأعلّه بعليٍّ لأنه يروي أحاديث مناكير عن جابر. (الكامل ٥/ ١٨٥).

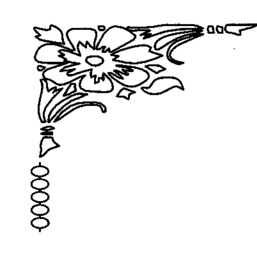
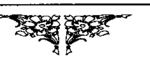
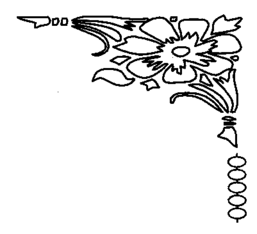
(٢) أخرجه ابن عدي من طريق شعيب بن أيوب، وقال: غريب من حديث الثوري، تفرد به معاوية. (الكامل ٦/ ٤٠٦).

(٣) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ١١/ ٦٤١ ح٧٠٧٠) قال محققوه: صحيح دون قوله: «ولا حسد» وهذا إسناد ضعيف لضعف رشدين بن سعد.

(٤) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل صحف إلى: «بن علي».

(٥) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل بياض.

(٦) أخرجه ابن عساكر (تاريخ دمشق ٨/ل٥٠٣) وسنده ضعيف لضعف الحارث وهو ابن عبد الله الأعور الكوفي الهمداني (التقريب ص١٤٦).

سُورَةُ الحَاقَّةِ

وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الْحَاقَّةُ ﴿١﴾ مَا الْحَاقَّةُ ﴿٢﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ ﴿٣﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ ﴿٤﴾ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾ وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ ﴿٩﴾ فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً ﴿١٠﴾ إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ ﴿١١﴾ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ ﴿١٢﴾﴾.

﴿الْحَاقَّةُ﴾ من أسماء يوم القيامة(١)؛ لأن فيها يتحقق الوعد والوعيد، ولهذا عظم الله أمرها فقال: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ ﴿٣﴾﴾ ثم ذكر تعالى إهلاكه الأمم المكذبين بها فقال تعالى: ﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾﴾ وهي الصيحة التي أسكتتهم والزلزلة التي أسكنتهم، هكذا قال قتادة الطاغية: الصيحة(٢)، وهو اختيار ابن جرير.

وقال مجاهد: الطاغية: الذنوب(٣)، وكذا قال الربيع بن أنس وابن زيد إنها الطغيان، وقرأ ابن زيد ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا ﴿١١﴾﴾(٤) [الشمس].

وقال السدي: ﴿فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ﴾ قال: يعني عاقر الناقة.

﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ﴾ أي: باردة. قال قتادة والسدي والربيع بن أنس والثوري: ﴿عَاتِيَةٍ﴾ أي: شديدة الهبوب(٥).

قال قتادة: عتت عليهم حتى نقبت عن أفئدتهم.

وقال الضحاك: ﴿صَرْصَرٍ﴾ باردة ﴿عَاتِيَةٍ﴾ عتت عليهم بغير رحمة ولا بركة(٦).

---

(١) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس.
(٢) أخرجه عبد الرزاق والطبري بسند صحيح من طريق معمر عن قتادة.
(٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.
(٤) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.
(٥) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد؛ وأخرجه أيضاً الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.
(٦) أخرجه الطبري بسند ضعيف فيه إبهام شيخه.

وقال علي وغيره: عتت على الخَزَنَة[١] فخرجت بغير حساب[٢].

﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ﴾ أي: سلطها عليهم ﴿سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾ أي: كوامل متتابعات مشائيم.

قال ابن مسعود وابن عباس ومجاهد وعكرمة والثوري وغيرهم: ﴿حُسُومًا﴾ متتابعات[٣].

وعن عكرمة والربيع بن خثيم: مشائيم عليهم كقوله تعالى: ﴿فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ﴾ [فصلت: ١٦].

قال الربيع: وكان أولها الجمعة[٤]. وقال غيره: الأربعاء، ويقال: إنها التي تسميها الناس الأعجاز، وكأن الناس أخذوا ذلك من قوله تعالى: ﴿فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ وقيل: لأنها تكون في عجز الشتاء، ويقال: أيام العجوز لأن عجوزاً من قوم عاد دخلت سرباً فقتلها الريح في اليوم الثامن، حكاه البغوي[٥]، والله أعلم.

قال ابن عباس: ﴿خَاوِيَةٍ﴾ خربة[٦]، وقال غيره: بالية؛ أي: جعلت الريح تضرب بأحدهم الأرض فيخر ميتاً على أُمِّ رأسه، فينشدخ رأسه وتبقى جثته هامدة كأنها قائمة النخلة إذا خرَّت بلا أغصان.

وقد ثبت في الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال: «نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور»[٧].

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا محمد بن يحيى بن الضريس العبدي، حدثنا ابن فضيل، عن مسلم، عن مجاهد، عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «ما فتح الله على عاد من الريح التي هلكوا بها إلا مثل موضع الخاتم، فمرت بأهل البادية فحملتهم ومواشيهم وأموالهم فجعلتهم بين السماء والأرض، فلما رأى ذلك أهل الحاضرة من عاد الريح وما فيها قالوا: هذا عارض ممطرنا، فألقت أهل البادية ومواشيهم على أهل الحاضرة»[٨].

وقال الثوري: عن ليث، عن مجاهد: الريح لها جناحان وذَنَب[٩].

﴿فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾﴾ أي: هل تحسُّ منهم من أحد من بقاياهم أو ممن ينتسب إليهم بل بادوا عن آخرهم ولم يجعل الله لهم خلفاً.

ثم قال تعالى: ﴿وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُۥ﴾ قُرِئَ[١٠] بكسر القاف؛ أي: ومن عنده ممن في زمانه من

---

(١) أي: من الملائكة.

(٢) أخرجه الطبري بسند ضعيف فيه إبهام الراوي عن علي رضي الله عنه.

(٣) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس؛ وأخرجه عبد الرزاق والطبري بسند صحيح من طريق أبي معمر عن ابن مسعود؛ وأخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي (المستدرك ٢/ ٥٠٠)؛ وأخرجه أبو الشيخ (العظمة رقم ٨١٣) والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد؛ وأخرجه الطبري بسند حسن من طريق سماك بن حرب عن عكرمة.

(٤) عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم.

(٥) ذكره البغوي بنحوه. (معالم التنزيل ٤/ ٣٨٦).

(٦) عزاه السيوطي إلى ابن المنذر.

(٧) تقدم تخريجه في تفسير سورة الأحزاب آية ٩.

(٨) أخرجه الطبراني من طريق محمد بن فضيل به (المعجم الكبير ١٢/ ٤٢١) وسنده ضعيف لضعف مسلم الملائي. (ينظر: مجمع الزوائد ٧/ ١١٣).

(٩) سنده ضعيف لضعف ليث وهو ابن أبي سُليم، ومتنه فيه غرابة.

(١٠) القراءتان متواترتان.

أتباعه من كفار القبط، وقرأ آخرون بفتحها[١]؛ أي: ومن قبله من الأُمم المشبهين له.

وقوله: ﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ﴾ وهم الأُمم المكذبون بالرسل ﴿بِٱلْخَاطِئَةِ﴾ بالفعلة الخاطئة وهي التكذيب بما أنزل الله.

قال الربيع: ﴿بِٱلْخَاطِئَةِ﴾ أي: بالمعصية.

وقال مجاهد: بالخطايا، ولهذا قال تعالى: ﴿فَعَصَوْا۟ رَسُولَ رَبِّهِمْ﴾ وهذا جنس؛ أي: كُلّ كذَّب رسول الله إليهم كما قال تعالى: ﴿كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ﴾ [ق: ١٤] ومن كذب برسول فقد كذب بالجميع كما قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾﴾ [الشعراء] ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾﴾ [الشعراء] ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾﴾ [الشعراء] وإنما جاء إلى كل أُمة رسول واحد ولهذا قال هٰهنا: ﴿فَعَصَوْا۟ رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً ﴿١٠﴾﴾ أي: عظيمة شديدة أليمة.

قال مجاهد: ﴿رَّابِيَةً﴾: شديدة[٢].

وقال السدي: مهلكة.

ثم قال تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ﴾ أي: زاد على الحد بإذن الله وارتفع على الوجود.

وقال ابن عباس وغيره: ﴿طَغَا ٱلْمَآءُ﴾: كَثُر[٣]، وذلك بسبب دعوة نوح عليه السلام على قومه حين كذبوه وخالفوه، فعبدوا غير الله فاستجاب الله له، وعمَّ أهل الأرض بالطوفان إلا من كان مع نوح في السفينة، فالناس كلهم من سلالة نوح وذريته.

وقال ابن جرير: حدثنا ابن حميد، حدثنا مهران، عن أبي سنان سعيد بن سنان، عن غير واحد، عن علي بن أبي طالب قال: لم تنزل قطرة من ماء إلا بكيل على يدي ملك، فلما كان يوم نوح أذِن للماء دون الخُزَّان[٤]، فطغى الماء على الخُزَّان، فخرج فذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ﴾ أي: زاد على الحدِّ بإذن الله ﴿حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ﴾ ولم ينزل شيء من الريح إلا بكيل على يدي ملك إلا يوم عاد فإنه أذن لها دون الخُزَّان فخرجت، فذلك قوله تعالى: ﴿بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾ أي: عتت على الخُزَّان[٥]، ولهذا قال تعالى ممتناً على الناس: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ﴿١١﴾﴾ وهي السفينة الجارية على وجه الماء ﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً﴾ عاد الضمير على الجنس لدلالة المعنى عليه؛ أي: وأبقينا لكم من جنسها ما تركبون على تيار الماء في البحار كما قال: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ﴾ [الزخرف]، وقال تعالى: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [يس] وقال قتادة: أبقى الله السفينة حتى أدركها أوائل هذه الأُمة[٦]، والأول أظهر ولهذا قال تعالى: ﴿وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾ أي: وتفهم هذه النعمة وتذكرها أُذن واعية.

---

(١) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.
(٢) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.
(٣) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس.
(٤) أي: الملائكة.
(٥) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده ضعيف لإبهام الراوي عن علي رضي الله عنه.
(٦) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

قال ابن عباس: حافظة[١]، سامعة[٢].

وقال قتادة: ﴿أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾ عقلت عن الله فانتفعت بما سمعت من كتاب الله[٣].

وقال الضحاك: ﴿وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾ سمعتها أذن ووعت[٤]؛ أي: من له سمع صحيح وعقل رجيح، وهذا عام في كل من فهم ووعى[٥].

وقد قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زرعة الدمشقي، حدثنا العباس بن الوليد بن صبيح الدمشقي، حدثنا زيد بن يحيى، حدثنا علي بن حوشب: سمعت مكحولاً يقول: لما نزل على رسول الله ﷺ ﴿وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾ قال رسول الله ﷺ: «سألت ربي أن يجعلها أذن علي»[٦].

قال مكحول: فكان علي يقول: ما سمعت من رسول الله ﷺ شيئاً قط فنسيته، وهكذا رواه ابن جرير، عن علي بن سهل، عن الوليد بن مسلم، عن علي بن حوشب، عن مكحول به، وهو حديث مرسل.

وقال ابن أبي حاتم أيضاً: حدثنا جعفر بن محمد بن عامر، حدثنا بشر بن آدم، حدثنا عبد الله بن الزبير أبو محمد يعني: والد أبي أحمد الزبيري، حدثني صالح بن الهيثم: سمعت بُريدة الأسلمي يقول: قال رسول الله ﷺ لعلي: «إني أُمرت أن أدنيك ولا أقصيك، وأن أعلمك، وأن تعي، وحُقَّ لك أن تعي» قال: فنزلت هذه الآية ﴿وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾[٧]. ورواه ابن جرير، عن محمد بن خلف، عن بشر بن آدم به. ثم رواه ابن جرير من طريق آخر عن أبي داود الأعمى، عن بُريدة به، ولا يصح أيضاً.

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴿١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴿١٧﴾ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾﴾.

يقول تعالى مخبراً عن أهوال يوم القيامة وأول ذلك نفخة الفزع ثم يعقبها نفخة الصعق حين يصعق من في السمٰوات ومن في الأرض إلا من شاء الله، ثم بعدها نفخة القيام لرب العالمين والبعث والنشور وهي هذه النفخة، وقد أكدها هٰهنا بأنها واحدة لأن أمر الله لا يخالف ولا يمانع ولا يحتاج إلى تكرار ولا تأكيد[٨].

---

(١) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس.

(٢) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق عطية العوفي عن ابن عباس، ويتقوىٰ بسابقه.

(٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٤) أخرجه الطبري بسند ضعيف فيه إبهام شيخه.

(٥) سنده ضعيف لإرساله، ومتنه فيه نكارة.

(٦) أخرجه الطبري عن علي بن سهل به، وحكمه كسابقه.

(٧) سنده ضعيف لضعف أبي محمد عبد الله بن الزبير والد أبي أحمد الزبيري؛ (الجرح والتعديل ٥/٥٦؛ وميزان الاعتدال ٢/٤٢٢)، وأكد الحافظ ابن كثير على ذلك بقوله: لا يصح.

(٨) أخرجه الطبري عن محمد بن خلف عن بشر بن آدم به، وسنده كسابقه.

وقال الربيع: هي النفخة الأخيرة. والظاهر ما قلناه، ولهذا قال هٰهنا: ﴿وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ﴿١٤﴾﴾ أي: فمدت مد الأديم العكاظي، وتبدلت الأرض غير الأرض ﴿فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾﴾ أي: قامت القيامة ﴿وَانشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾﴾ قال سماك: عن شيخ من بني أسد، عن علي قال: تنشق السماء من المجرة[١]، رواه ابن أبي حاتم.

وقال ابن جريج: هي كقوله: ﴿وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا ﴿١٩﴾﴾[٢] [النبأ].

وقال ابن عباس: متخرقة والعرش بحذائها[٣] ﴿وَالْمَلَكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا﴾ الملك اسم جنس؛ أي: الملائكة على أرجاء السماء.

قال ابن عباس: على ما لم يَهِ منها؛ أي: حافاتها[٤]، وكذا قال سعيد بن جبير والأوزاعي[٥].

وقال الضحاك: أطرافها.

وقال الحسن البصري: أبوابها.

وقال الربيع بن أنس في قوله: ﴿وَالْمَلَكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا﴾: يقول: على ما استدق من السماء ينظرون إلى أهل الأرض[٦].

وقوله تعالى: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾ أي: يوم القيامة يحمل العرش ثمانية من الملائكة، ويحتمل أن يكون المراد بهذا العرش العظيم أو العرش الذي يوضع في الأرض يوم القيامة لفصل القضاء، والله أعلم بالصواب.

وفي حديث عبد الله بن [عميرة][٧]، عن الأحنف بن قيس، عن العباس بن عبد المطلب في ذكر حملة العرش أنهم ثمانية أوعال[٨].

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد يحيى بن سعيد، حدثنا زيد بن الحباب، حدثني أبو السمح البصري، حدثنا أبو قبيل حيي بن هانئ أنه سمع عبد الله بن عمرو يقول: حملة العرش ثمانية ما بين موق أحدهم إلى مؤخر عينه مسيرة مائة عام[٩].

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي قال: كتب إليَّ أحمد بن حفص بن عبد الله النيسابوري، حدثني أبي، حدثنا إبراهيم بن طهمان، عن موسى بن عقبة، عن محمد بن المنكدر، عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «أذن لي أن أحدثكم عن ملك من حملة العرش بعد ما بين شحمة أذنه وعنقه بخفق الطير سبعمائة عام»[١٠] وهذا إسناد جيد رجاله كلهم ثقات، وقد رواه أبو داود في

---

(١) سنده ضعيف لإبهام الشيخ من بني أسد. (٢) وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر.
(٣) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق عطية العوفي عن ابن عباس.
(٤) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس.
(٥) ينظر سابقه. (٦) نسبه السيوطي إلى ابن المنذر.
(٧) كذا في ترجمته وسنن أبي داود، وفي الأصل: «عمرة»؛ وفي (ح) و(حم): «عمر» وكلاهما تصحيف.
(٨) تقدم تخريجه في تفسير سورة غافر آية ٧.
(٩) الخبر ظاهره من الإسرائيليات المسكوت عنها.
(١٠) صححه الألباني بدون قوله: «بخفق الطير» كما سيأتي في الحديث التالي.

كتاب السنة من سننه، حدثنا أحمد بن حفص بن عبد الله، حدثنا أبي، حدثنا إبراهيم بن طهمان، عن موسى بن عقبة، عن محمد بن المنكدر، عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال: «أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله تعالى من حملة العرش أن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام» هذا لفظ أبي داود[(١)].

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زرعة، حدثنا يحيى بن المغيرة، حدثنا جرير، عن أشعث، عن جعفر، عن سعيد بن جبير في قوله تعالى: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾ قال: ثمانية صفوف من الملائكة[(٢)]. قال: وروي عن الشعبي وعكرمة والضحاك وابن جريج مثل ذلك، وكذا روى السدي، عن [أبي][(٣)] مالك، عن ابن عباس: ثمانية صفوف[(٤)]، وكذا روى العوفي عنه[(٥)].

وقال الضحاك، عن ابن عباس: الكروبيون ثمانية أجزاء كل جزء منهم بعدة الإنس والجن والشياطين والملائكة[(٦)].

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾﴾ أي: تعرضون على عالم السر والنجوى الذي لا يخفى عليه شيء من أموركم بل هو عالم بالظواهر والسرائر والضمائر، ولهذا قال تعالى: ﴿لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾ وقد قال ابن أبي الدنيا: أخبرنا إسحاق بن إسماعيل، أخبرنا سفيان بن عيينة، عن جعفر بن برقان، عن ثابت بن الحجاج قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا، فإنه أخف عليكم في الحساب غداً أن تحاسبوا أنفسكم اليوم، وتزينوا للعرض الأكبر ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾﴾[(٧)].

وقال الإمام أحمد: حدثنا وكيع، حدثنا علي بن رفاعة، عن الحسن، عن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ: «يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات، فأما عرضتان فجدال ومعاذير، وأما الثالثة فعند ذلك تطير الصحف في الأيدي فآخذ بيمينه وآخذ بشماله»[(٨)]. ورواه ابن ماجه، عن أبي بكر بن أبي شيبة، عن وكيع به[(٩)]. وقد رواه الترمذي، عن أبي كريب، عن علي بن

---

(١) أخرجه أبو داود بسنده ومتنه (السنن، السنة، باب في الجهمية ح٤٧٢٧)؛ وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح٣٩٥٣).

(٢) سنده ضعيف لإرساله، ويشهد له ما سيأتي من قول ابن عباس.

(٣) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل بياض.

(٤) أخرجه الطبري من طريق السدي به، وأخرجه من طريق العوفي وعكرمة عن ابن عباس، وهذه الطرق يقوي بعضها بعضاً.

(٥) تقدم في سابقه.

(٦) سنده ضعيف لأن الضحاك لم يسمع من ابن عباس.

(٧) أخرجه ابن أبي الدنيا (محاسبة النفس رقم ٢) وسنده ضعيف لأن ثابت بن الحجاج لم يسمع من عمر رضي الله عنه. وقد أشار الحافظ ابن كثير إلى انقطاعه في مسند الفاروق ٢/٦١٨.

(٨) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه. (المسند ٣٢/٤٨٦ ح١٩٧١٥) وضعف سنده محققوه لأن الحسن لم يسمع من أبي موسىٰ.

(٩) سنن ابن ماجه، الزهد، باب ذكر البعث (ح٤٢٧٧)، وسنده كسابقه.

علي، عن الحسن، عن أبي هريرة به[١].

وقد روى ابن جرير، عن مجاهد بن موسى، عن يزيد، عن سليمان بن حيان، عن مروان الأصغر، عن أبي وائل، عن عبد الله قال: يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات: عرضتان معاذير وخصومات، والعرضة الثالثة تطير الصحف في الأيدي فآخذ بيمينه وآخذ بشماله[٢]، ورواه سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة مرسلاً مثله.

﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾﴾.

يخبر تعالى عن سعادة من يؤتى كتابه يوم القيامة بيمينه وفرحه بذلك، وأنه من شدة فرحه يقول لكل من لقيه: ﴿هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ﴾ أي: خذوا اقرؤوا كتابيه لأنه يعلم أن الذي فيه خير وحسنات محضة، لأنه ممن بدل الله سيئاته حسنات[٣].

قال عبد الرحمٰن بن زيد: معنى ﴿هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ﴾ أي: هاقرؤوا كتابيه و«أُم» زائدة كذا قال[٤]، والظاهر أنها بمعنى: هاكم.

وقد قال ابن أبي حاتم: حدثنا بشر بن مطر الواسطي، حدثنا يزيد بن هارون، أخبرنا عاصم الأحول، عن أبي عثمان قال: المؤمن يعطى كتابه بيمينه في ستر من الله فيقرأ سيئاته، فكلما قرأ سيئة تغير لونه حتى يمر بحسناته فيقرؤها فيرجع إليه لونه. ثم ينظر فإذا سيئاته قد بدلت حسنات، قال: فعند ذلك يقول: ﴿هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ﴾[٥].

وحدثنا أبي، حدثنا إبراهيم بن الوليد بن سلمة، حدثنا روح بن عبادة، حدثنا موسى بن عبيدة، أخبرني عبد الله بن عبد الله بن حنظلة غسيل الملائكة قال: إن الله يوقف عبده يوم القيامة فيبدي؛ أي: يظهر سيئاته في ظهر صحيفته، فيقول له: أنت عملت هذا؟ فيقول: نعم أي ربِّ، فيقول له: إني لم أفضحك به، وإني قد غفرت لك. فيقول عند ذلك: ﴿هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾﴾ حين نجا من فضيحته يوم القيامة[٦].

وقد تقدم في الصحيح حديث ابن عمر حين سئل عن النجوى فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يدني الله العبد يوم القيامة فيقرره بذنوبه كلها حتى إذا رأى أنه قد هلك، قال الله تعالى أني

---

(١) سنن الترمذي، صفة القيامة، باب ما جاء في العرض (ح٢٤٢٧)؛ وضعف سنده الألباني في ضعيف سنن الترمذي.

(٢) أخرجه الطبري بسنده ومتنه. وذكره الدارقطني من حديث أبي موسىٰ مرفوعاً وموقوفاً ثم قال: الموقوف هو الصحيح. (العلل ٧/ ٢٥١) فيكون هذا الموقوف الصحيح شاهداً لرواية الطبري.

(٣) أخرجه عبد الرزاق بسند رجاله ثقات عن معمر عن قتادة لكنه مرسل ويتقوىٰ بسابقه.

(٤) لم يقل به عبد الرحمٰن بن زيد، وقد أخرج الطبري بسند صحيح من طريق عبد الله بن وهب عن عبد الرحمٰن بن زيد بلفظ: «تعالوا».

(٥) سنده ضعيف لإرساله.

(٦) سنده ضعيف لضعف موسىٰ بن عبيدة وهو الربذي، ولإرساله.

سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم، ثم يعطى كتاب حسناته بيمينه، وأما الكافر والمنافق فيقول الأشهاد: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْۚ أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود: ١٨]»(١).

وقوله: ﴿إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهۡ ٢٠﴾ أي: قد كنت موقناً في الدنيا أن هذا اليوم كائن لا محالة كما قال: ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ﴾ [البقرة: ٤٦] قال الله تعالى: ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ ٢١﴾ أي: مرضية ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٖ ٢٢﴾ أي: رفيعة قصورها، حسان حورها، نعيمة دورها، دائم [حبورها](٢).

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا أبو عتبة الحسن بن علي بن مسلم السكوني، حدثنا إسماعيل بن عياش، عن سعيد بن يوسف، عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلام الأسود قال: سمعت أبا أُمامة قال: سأل رجل رسول الله ﷺ: هل يتزاور أهل الجنة؟ قال: «نعم إنه ليهبط أهل الدرجة العليا إلى أهل الدرجة السفلى فيحيونهم ويسلمون عليهم، ولا يستطيع أهل الدرجة السفلى يصعدون إلى الأعلين تقصر بهم أعمالهم»(٣).

وقد ثبت في الصحيح: «إن الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض»(٤).

وقوله تعالى: ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٞ ٢٣﴾ قال البراء بن عازب: أي: قريبة يتناولها أحدهم وهو نائم على سريره(٥)، وكذا قال غير واحد.

قال الطبراني، عن عبد الرزاق، عن سفيان الثوري، عن عبد الرحمٰن بن زياد بن أنعم، عن عطاء بن يسار، عن سلمان الفارسي قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يدخل أحد الجنة إلا بجواز: بسم الله الرحمٰن الرحيم، هذا كتاب من الله لفلان بن فلان أدخلوه جنة عالية قطوفها دانية»(٦). وكذا رواه الضياء في صفة الجنة من طريق سعدان بن سعيد، عن سليمان التيمي، عن أبي عثمان النهدي، عن سلمان، عن رسول الله ﷺ قال: «يعطى المؤمن جوازاً على الصراط: بسم الله الرحمٰن الرحيم، هذا كتاب من الله العزيز الحكيم لفلان أدخلوه جنة عالية قطوفها دانية»(٧).

وقوله تعالى: ﴿كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَآ أَسۡلَفۡتُمۡ فِي ٱلۡأَيَّامِ ٱلۡخَالِيَةِ ٢٤﴾ أي: يقال لهم ذلك تفضلاً عليهم وامتناناً وإنعاماً وإحساناً، وإلا فقد ثبت في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «اعملوا وسددوا وقاربوا، واعلموا أن أحداً منكم لن يدخله عمله الجنة» قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟

---

(١) تقدم تخريجه في الصحيحين في تفسير سورة هود آية ١٨.

(٢) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل صحفت إلى: «حورها».

(٣) سنده ضعيف لضعف سعيد بن يوسف (التقريب ص٢٤٣).

(٤) تقدم تخريجه في تفسير سورة النساء آية ٩٦.

(٥) أخرجه عبد بن حميد بسند صحيح من طريق إسرائيل عن أبي إسحاق عن البراء؛ وأخرجه ابن أبي حاتم بسند صحيح من طريق الثوري عن أبي إسحاق به (ينظر فتح الباري ٦/ ٣٢١).

(٦) أخرجه الطبراني من طريق عبد الرزاق به. (المعجم الكبير ٦/ ٢٧٢ ح٧٤٢٣) وسنده ضعيف لضعف عبد الرحمٰن بن زياد بن أنعم.

(٧) أخرجه ابن الجوزي من طريق سعدان بن سعيد وأعله به لأن سعدان بن سعيد مجهول. (العلل المتناهية ٢/ ٤٤٦).

قال: «ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل»[١].

﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ۜ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾ فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ ﴿٣٧﴾﴾.

وهذا إخبار عن حال الأشقياء إذا أعطي أحدهم كتابه في العرصات بشماله، فحينئذٍ يندم غاية الندم ﴿فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾﴾ قال الضحاك: يعني موتة لا حياة بعدها[٢]، وكذا قال محمد بن كعب والربيع والسدي.

وقال قتادة: تمنى الموت ولم يكن شيء في الدنيا أكره إليه منه[٣] ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ۜ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾﴾ أي: لم يدفع عني مالي ولا جاهي عذاب الله وبأسه، بل خلص الأمر إلي وحدي فلا معين لي ولا مجير، فعندها يقول الله ﷻ: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾﴾ أي: يأمر الزبانية أن تأخذه عنفاً من المحشر فتغله؛ أي: تضع الأغلال في عنقه ثم توردە إلى جهنم فتصليه إياها؛ أي: تغمره فيها.

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا أبو خالد، عن عمرو بن قيس، عن المنهال بن عمرو قال: إذا قال الله تعالى خذوه ابتدره سبعون ألف ملك، إن الملك منهم ليقول هكذا فيلقي سبعين ألفاً في النار[٤].

وروى ابن أبي الدنيا في الأهوال أنه يبتدره أربعمائة ألف ولا يبقى شيء إلا دقه، فيقول: ما لي ولك؟ فيقول: إن الربَّ عليك غضبان، فكل شيء غضبان عليك.

وقال الفضيل بن عياض: إذا قال الربُّ ﷻ: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾﴾ ابتدره سبعون ألف ملك أيهم يجعل الغل في عنقه ﴿ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾﴾ أي: اغمروه فيها[٥].

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾﴾ قال كعب الأحبار: كل حلقة منها قدر حديد الدنيا[٦].

وقال العوفي، عن ابن عباس وابن جريج: بذراع الملِك[٧].

وقال ابن جريج: قال ابن عباس: ﴿فَٱسْلُكُوهُ﴾ تدخل في أسته ثم تخرج من فيه، ثم ينظمون فيها كما ينظم الجراد في العود حين يُشوى[٨].

---

(١) تقدم تخريجه في تفسير سورة الدخان آية ٥١ ـ ٥٦.
(٢) أخرجه هناد بسند ضعيف من طريق جويبر عن الضحاك (الزهد رقم ٢٢٤).
(٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.
(٤) سنده ضعيف لإعضاله. (٥) سنده ضعيف كسابقه.
(٦) عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد وابن المنذر وغيرهما، والخبر من الإسرائيليات.
(٧) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق عطية العوفي به.
(٨) عزاه السيوطي إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم، وسنده ضعيف لأن ابن جريج لم يدرك ابن عباس ﭭ.

وقال العوفي، عن ابن عباس: يسلك في دبره حتى يخرج من منخريه حتى لا يقوم على رجليه(١).

وقال الإمام أحمد: حدثنا علي بن إسحاق، أخبرنا عبد الله، أخبرنا سعيد بن يزيد، عن أبي السمح، عن عيسى بن هلال الصدفي، عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «لو أن رصاصة مثل هذه ـ وأشار إلى جمجمة ـ أرسلت من السماء إلى الأرض، وهي مسيرة خمسمائة سنة، لبلغت الأرض قبل الليل، ولو أنها أرسلت من رأس السلسلة لسارت أربعين خريفاً الليل والنهار قبل أن تبلغ قعرها أو أصلها»(٢). وأخرجه الترمذي، عن سويد بن نصر، عن عبد الله بن المبارك به، وقال: هذا حديث حسن(٣).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾﴾ أي: لا يقوم بحق الله عليه من طاعته وعبادته ولا ينفع خلقه ويؤدي حقهم، فإن لله على العباد أن يوحدوه ولا يشركوا به شيئاً، وللعباد بعضهم على بعض حق الإحسان والمعاونة على البر والتقوى، ولهذا أمر الله بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وقبض النبي ﷺ وهو يقول: «الصلاة وما ملكت أيمانكم»(٤).

وقوله تعالى: ﴿فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ ﴿٣٧﴾﴾ أي: ليس له اليوم من ينقذه من عذاب الله تعالى لا حميم وهو القريب، ولا شفيع يطاع، ولا طعام له هٰهنا إلا من غسلين.

قال قتادة: هو شر طعام أهل النار(٥).

وقال الربيع والضحاك: هو شجرة في جهنم(٦).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا منصور بن أبي مزاحم، حدثنا أبو سعيد المؤدب، عن خُصيف، عن مجاهد، عن ابن عباس قال: ما أدري ما الغسلين؟ ولكني أظنه الزقوم(٧).

وقال شبيب بن بشر: عن عكرمة، عن ابن عباس قال: الغِسلين: الدم والماء يسيل من لحومهم(٨).

وقال علي بن أبي طلحة عنه: الغِسلين: صديد أهل النار.

---

(١) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به.

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه مع تقديم: أصلها على قعرها. (المسند ١١/٤٤٣، ٤٤٤ ح٦٨٥٦) وحسن سنده محققوه.

(٣) سنن الترمذي، صفة الجنة، باب ذكر السلسلة بالنار (ح٢٥٩١).

(٤) أخرجه ابن ماجه من حديث أنس بن مالك ﷺ (السنن، الوصايا، باب هل أوصى رسول الله ﷺ ح٢٦٩٧)، وأخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي (المستدرك ٣/٥٧)؛ وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (ح٢١٨٣).

(٥) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة بنحوه.

(٦) قول غريب والصحيح أن الزقوم هي شجرة في جهنم.

(٧) سنده ضعيف لأن خُصيف سيء الحفظ، وهو يخالف الروايتين التاليتين الثابتتين.

(٨) سنده حسن، ويتقوىٰ بما يليه.

﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَا تُبۡصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبۡصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَاعِرٖۚ قَلِيلٗا مَّا تُؤۡمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوۡلِ كَاهِنٖۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾﴾.

يقول تعالى مقسماً لخلقه بما يشاهدونه من آياته في مخلوقاته الدالة على كماله في أسمائه وصفاته، وما غاب عنهم مما لا يشاهدونه من المغيبات عنهم[1]: إن القرآن كلامه ووحيه وتنزيله على عبده ورسوله الذي اصطفاه لتبليغ الرسالة وأداء الأمانة فقال تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَا تُبۡصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبۡصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ﴿٤٠﴾﴾ يعني: محمداً ﷺ، أضافه إليه على معنى التبليغ؛ لأن الرسول من شأنه أن يبلغ عن المرسل ولهذا أضافه في سورة التكوير إلى الرسول الملكي ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٖ ثَمَّ أَمِينٖ ﴿٢١﴾﴾ وهذا جبريل ﷺ، ثم قال تعالى: ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجۡنُونٖ ﴿٢٢﴾﴾ يعني: محمداً ﷺ ﴿وَلَقَدۡ رَءَاهُ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡمُبِينِ ﴿٢٣﴾﴾ يعني: أن محمداً رأى جبريل على صورته التي خلقه الله عليها ﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ بِضَنِينٖ ﴿٢٤﴾﴾ أي: بمتهم، ﴿وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَيۡطَٰنٖ رَّجِيمٖ ﴿٢٥﴾﴾ [التكوير] وهكذا قال هٰهنا: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَاعِرٖۚ قَلِيلٗا مَّا تُؤۡمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوۡلِ كَاهِنٖۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾﴾ فأضافه الله تارة إلى قول الرسول الملكي وتارة إلى الرسول البشري؛ لأن كلاً منهما مبلغ عن الله ما استأمنه عليه من وحيه وكلامه، ولهذا قال تعالى: ﴿تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾﴾.

قال الإمام أحمد: حدثنا أبو المغيرة، حدثنا صفوان، حدثنا شريح بن عُبيد قال: قال عمر بن الخطاب: خرجت أتعرض رسول الله ﷺ قبل أن أُسلم، فوجدته قد سبقني إلى المسجد، فقمت خلفه، فاستفتح سورة الحاقة، فجعلت أعجب من تأليف القرآن قال: فقلت: هذا والله شاعر كما قالت قريش، قال، فقرأ ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَاعِرٖۚ قَلِيلٗا مَّا تُؤۡمِنُونَ ﴿٤١﴾﴾ قال: فقلت كاهن، قال: فقرأ ﴿وَلَا بِقَوۡلِ كَاهِنٖۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوۡ تَقَوَّلَ عَلَيۡنَا بَعۡضَ ٱلۡأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذۡنَا مِنۡهُ بِٱلۡيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعۡنَا مِنۡهُ ٱلۡوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ عَنۡهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾﴾ إلى آخر السورة قال: فوقع الإسلام في قلبي كل موقع[2].

فهذا من جملة الأسباب التي جعلها الله تعالى مؤثرة في هداية عمر بن الخطاب ﷺ، كما أوردنا كيفية إسلامه في سيرته المفردة، ولله الحمد.

﴿وَلَوۡ تَقَوَّلَ عَلَيۡنَا بَعۡضَ ٱلۡأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذۡنَا مِنۡهُ بِٱلۡيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعۡنَا مِنۡهُ ٱلۡوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ عَنۡهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُۥ لَتَذۡكِرَةٞ لِّلۡمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَنَعۡلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَسۡرَةٌ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلۡيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٥٢﴾﴾.

يقول تعالى: ﴿وَلَوۡ تَقَوَّلَ عَلَيۡنَا﴾ أي: محمد ﷺ لو كان كما يزعمون مفترياً علينا فزاد في الرسالة أو نقص منها، أو قال شيئاً من عنده فنسبه إلينا وليس كذلك لعاجلناه بالعقوبة، ولهذا قال تعالى:

---

(١) أخرجه الطبري بسنده ثابت من طريق علي به.

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ١/ ٢٦٢، ٢٦٣ ح١٠٧) وضعف سنده محققوه؛ لأن شريح بن عبيد لم يُدرك عمر ﷺ.

﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ۝٤٥﴾ قيل: معناه: لانتقمنا منه باليمين لأنها أشد في البطش، وقيل: لأخذنا منه بيمينه ﴿ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ۝٤٦﴾ قال ابن عباس: وهو نياط القلب[١]. وهو العرق الذي القلب معلق فيه، وكذا قال عكرمة وسعيد بن جبير والحكم وقتادة والضحاك، ومسلم البطين وأبو صخر حميد بن زياد[٢].

وقال محمد بن كعب: هو: القلب ومراقه وما يليه.

وقوله تعالى: ﴿فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ۝٤٧﴾ أي: فما يقدر أحد منكم أن يحجز بيننا وبينه إذا أردنا به شيئاً من ذلك. والمعنى في هذا بل هو صادق بار راشد لأن الله ﷻ مقرر له ما يبلغه عنه ومؤيد له بالمعجزات الباهرات والدلالات القاطعات.

ثم قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ۝٤٨﴾ يعني: القرآن كما قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾ [فصلت: ٤٤] ثم قال تعالى: ﴿وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ۝٤٩﴾ أي: مع هذا البيان والوضوح سيوجد منكم من يكذب بالقرآن. ثم قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَحَسْرَةٌ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٥٠﴾.

قال ابن جرير: وإن التكذيب لحسرة على الكافرين يوم القيامة[٣]. وحكاه عن قتادة بمثله[٤].

وروى ابن أبي حاتم من طريق السدي، عن أبي مالك ﴿وَإِنَّهُۥ لَحَسْرَةٌ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٥٠﴾ يقول: لندامة[٥]، ويحتمل عود الضمير على القرآن؛ أي: وإن القرآن والإيمان به لحسرة في نفس الأمر على الكافرين كما قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ۝٢٠٠ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ [الشعراء] وقال تعالى: ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ [سبأ: ٥٤] ولهذا قال هٰهنا: ﴿وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ ۝٥١﴾ أي: الخبر الصادق الحق الذي لا مرية فيه ولا شك ولا ريب، ثم قال تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ۝٥٢﴾ أي: الذي أنزل هذا القرآن العظيم.

آخر تفسير سورة الحاقة، ولله الحمد.

---

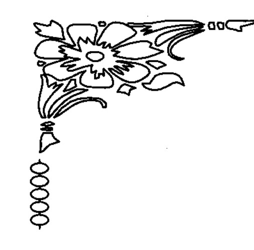
(١) أخرجه الطبري بأسانيد حسان وأسانيد يقوىٰ بعضها بعضاً، وأخرجه الحاكم عن ابن عباس بلفظ: «حبل القلب»، وصححه ووافقه الذهبي (المستدرك ٢/ ٥٠١).

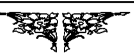
(٢) أخرجه الطبري بسندين عن سعيد بن جبير يقوي أحدهما الآخر؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن عبد الرحمٰن بن زيد وقول عكرمة عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد.

(٣) ذكره الطبري بلفظه.

(٤) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة بلفظ: «ذاكم يوم القيامة».

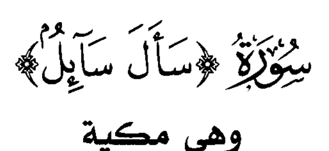
(٥) سنده حسن، ومعناه صحيح.





سُورَةُ ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ﴾

وهي مكية



﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ ۝١ لِّلۡكَٰفِرِينَ لَيۡسَ لَهُۥ دَافِعٞ ۝٢ مِّنَ ٱللَّهِ ذِي ٱلۡمَعَارِجِ ۝٣ تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥ خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ ۝٤ فَٱصۡبِرۡ صَبۡرٗا جَمِيلًا ۝٥ إِنَّهُمۡ يَرَوۡنَهُۥ بَعِيدٗا ۝٦ وَنَرَىٰهُ قَرِيبٗا ۝٧﴾.

﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ ۝١﴾ فيه تضمين دلَّ عليه حرف الباء كأنه مقدر: استعجل سائل بعذاب واقع كقوله تعالى: ﴿وَيَسۡتَعۡجِلُونَكَ بِٱلۡعَذَابِ وَلَن يُخۡلِفَ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ﴾ [الحج: ٤٧] أي: وعذابه واقع لا محالة.

قال النسائي: حدثنا بشر بن خالد، حدثنا أبو أسامة، حدثنا سفيان، عن الأعمش، عن المنهال بن عمرو، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ ۝١﴾ قال: النضر بن الحارث بن كِلدة[١]. وقال العوفي عن ابن عباس: ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ ۝١﴾ قال: «ذلك سؤال الكفار عن عذاب الله» وهو واقع بهم[٢]، قال ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ﴾ دعا داع بعذاب واقع يقع في الآخرة، قال: وهو قولهم: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلۡحَقَّ مِنۡ عِندِكَ فَأَمۡطِرۡ عَلَيۡنَا حِجَارَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئۡتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٖ﴾[٣] [الأنفال: ٣٢] وقال ابن زيد وغيره: ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ ۝١﴾ أي: وادٍ في جهنم يسيل يوم القيامة بالعذاب[٤]. وهذا القول ضعيف بعيد عن المراد، والصحيح الأول لدلالة السياق عليه.

وقوله تعالى: ﴿وَاقِعٖ ۝١ لِّلۡكَٰفِرِينَ﴾ أي: مرصد معد للكافرين.

وقال ابن عباس: ﴿وَاقِعٖ﴾: جاءٍ. ﴿لَيۡسَ لَهُۥ دَافِعٞ﴾ أي: لا دافع له إذا أراد الله كونه ولهذا قال تعالى: ﴿مِّنَ ٱللَّهِ ذِي ٱلۡمَعَارِجِ ۝٣﴾.

قال الثوري، عن الأعمش، عن رجل، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس في قوله تعالى:

---

(١) أخرجه النسائي بسنده ومتنه (السنن الكبرىٰ، التفسير، سورة المعارج ح١١٦٢٠)؛ وأخرجه الحاكم من طريق سفيان الثوري به وصححه ووافقه الذهبي. (المستدرك ٢/ ٥٠٢).

(٢) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به، ومعناه صحيح.

(٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.

(٤) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق ابن وهب عن ابن زيد قال بعض أهل العلم: هو وادٍ في جهنم يقال له: سائل.

﴿ذِى ٱلْمَعَارِجِ﴾ قال: ذو الدرجات[١]، وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ۝٣﴾ يعني: العلو والفواضل[٢].

وقال مجاهد: ﴿ذِى ٱلْمَعَارِجِ﴾ معارج السماء[٣].

وقال قتادة: ذي الفواضل والنعم[٤].

وقوله تعالى: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ قال عبد الرزاق: عن معمر، عن قتادة: ﴿تَعْرُجُ﴾ تصعد.

وأما الروح فقال أبو صالح: هم خلق من خلق الله يشبهون الناس وليسوا ناساً.

قلت: ويحتمل أن يكون المراد به: جبريل، ويكون من باب عطف الخاص على العام، ويحتمل أن يكون اسم جنس لأرواح بني آدم، فإنها إذا قبضت يصعد بها إلى السماء كما دل عليه حديث البراء[٥]، وفي الحديث الذي رواه الإمام أحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث المنهال، عن زاذان، عن البراء مرفوعاً الحديث بطوله في قبض الروح الطيبة قال فيه: «فلا يزال يصعد بها من سماء إلى سماء حتى ينتهي بها إلى السماء التي فيها الله»[٦] والله أعلم بصحته، فقد تكلم في بعض رواته ولكنه مشهور، وله شاهد في حديث أبي هريرة فيما تقدم من رواية الإمام أحمد والترمذي وابن ماجه من طريق ابن أبي ذئب، عن محمد بن عمرو بن عطاء، عن سعيد بن يسار عنه، وهذا إسناد رجاله على شرط الجماعة، وقد بسطنا لفظه عند قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ۝٢٧﴾ [إبراهيم].

وقوله تعالى: ﴿فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ فيه أربعة أقوال:

أحدها: أن المراد بذلك مسافة ما بين العرش العظيم إلى أسفل السافلين، وهو قرار الأرض السابعة، وذلك مسيرة خمسين ألف سنة، هذا ارتفاع العرش عن المركز الذي في وسط الأرض السابعة، وكذلك اتساع العرش من قطر إلى قطر مسيرة خمسين ألف سنة، وإنه من ياقوتة حمراء[٧] كما ذكره ابن أبي شيبة في كتاب «صفة العرش».

وقد قال ابن أبي حاتم عند هذه الآية: حدثنا أحمد بن سلمة، حدثنا إسحاق بن إبراهيم، أخبرنا حكام، عن عمر بن معروف، عن ليث، عن مجاهد، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ قال: منتهى أمره من أسفل الأرضين إلى منتهى أمره من فوق السمٰوات خمسين ألف سنة.

---

(١) أخرجه الطبري من طريق الثوري به، وسنده ضعيف لجهالة شيخ الأعمش.
(٢) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس.
(٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.
(٤) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة.
(٥) تقدم تخريجه في تفسير سورة إبراهيم آية ٢٧.
(٦) تقدم تخريجه في تفسير سورة إبراهيم آية ٢٧.
(٧) تقدم تخريجه في تفسير سورة يونس آية ٣.

﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحج: ٤٧] يعني: بذلك حين ينزل الأمر من السماء إلى الأرض، ومن الأرض إلى السماء في يوم واحد، فذلك مقداره ألف سنة؛ لأن ما بين السماء والأرض مقدار مسيرة خمسمائة عام(١).

وقد رواه ابن جرير، عن ابن حميد، عن حكام بن سالم، عن عمر بن معروف، عن ليث، عن مجاهد قوله، لم يذكر ابن عباس(٢).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا علي بن محمد الطنافسي، حدثنا إسحاق بن منصور، حدثنا نوح المؤدب، عن عبد الوهاب بن مجاهد، عن أبيه، عن ابن عباس قال: غلظ كل أرض خمسمائة عام، وبين كل أرض إلى أرض خمسمائة عام، فذلك سبعة آلاف عام، وغلظ كل سماء خمسمائة عام وبين السماء إلى السماء خمسمائة عام، فذلك أربعة ألف عام، وبين السماء السابعة وبين العرش مسيرة ستة وثلاثين ألف عام، فذلك قوله تعالى: ﴿فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾(٣).

القول الثاني: أن المراد بذلك مدة بقاء الدنيا منذ خلق الله هذا العالم إلى قيام الساعة، قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زرعة، أخبرنا إبراهيم بن موسى، أخبرنا ابن أبي زائدة، عن ابن جريج، عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ قال: الدنيا عمرها خمسون ألف سنة، وذلك عمرها يوم سماها الله ﷻ: يوماً ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ﴾ قال: اليوم الدنيا(٤).

وقال عبد الرزاق: أخبرنا معمر، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، وعن الحكم بن أبان، عن عكرمة: ﴿فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ قال: الدنيا من أولها إلى آخرها مقدار خمسين ألف سنة لا يدري أحد كم مضى؟ ولا كم بقي؟ إلا الله ﷻ(٥).

القول الثالث: أنه اليوم الفاصل بين الدنيا والآخرة وهو قول غريب جداً. قال ابن أبي حاتم: حدثنا أحمد بن محمد بن يحيى بن سعيد القطان، حدثنا بهلول بن المورق، حدثنا موسى بن عبيدة، أخبرني محمد بن كعب: ﴿فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ قال: هو يوم الفصل بين الدنيا والآخرة(٦).

القول الرابع: أن المراد بذلك يوم القيامة. قال ابن أبي حاتم: حدثنا أحمد بن سنان الواسطي، حدثنا عبد الرحمٰن بن مهدي، عن إسرائيل، عن سماك، عن عكرمة، عن ابن عباس ﴿فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ قال: يوم القيامة(٧). وإسناده صحيح، ورواه الثوري عن

---

(١) في سنده ليث وهو ابن أبي سُليم فيه مقال، وقد وصله هنا إلى ابن عباس، وفي رواية الطبري التالية بدون ذكر ابن عباس.
(٢) أخرجه الطبري بسنده ومتنه. وسنده كسابقه.
(٣) سنده ضعيف لضعف عبد الوهاب بن مجاهد وهو ابن جبير.
(٤) سنده ضعيف لانقطاعه فإن ابن جريج لم يسمع من مجاهد.
(٥) أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد، وبسند حسن من طريق معمر عن الحكم بن أبان عن عكرمة.
(٦) سنده ضعيف لضعف موسىٰ بن عبيدة وهو الربذي. (٧) صحح سنده الحافظ ابن كثير.

سماك بن حرب، عن عكرمة ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ يوم القيامة[١]، وكذا قال الضحاك وابن زيد[٢].

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾﴾ قال: [هو][٣] يوم القيامة جعله الله تعالى على الكافرين مقدار خمسين ألف سنة[٤]. وقد وردت أحاديث في معنى ذلك. قال الإمام أحمد: حدثنا الحسن بن موسى، حدثنا ابن لهيعة، حدثنا دراج، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد قال: قيل لرسول الله ﷺ: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ ما أطول هذا اليوم! فقال رسول الله: «والذي نفسي بيده إنه ليخفف على المؤمن حتى يكون أخفّ عليه من صلاة مكتوبة يصليها في الدنيا»[٥]. ورواه ابن جرير، عن يونس، عن ابن وهب، عن عمرو بن الحارث، عن دراج به[٦]، إلا أن دراجاً وشيخه أبا الهيثم ضعيفان، والله أعلم.

وقال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن قتادة، عن أبي عمر الغُداني قال: كنت عند أبي هريرة فمرَّ رجل من بني عامر بن صعصعة فقيل له: هذا أكثر عامري مالاً، فقال أبو هريرة، ردُّوه إليَّ فردُّوه فقال: نُبئت أنك ذو مال كثير. فقال العامري: إي والله إن لي لمائة حمراً، ومائة أدماً حتى عدَّ من ألوان الإبل وأفنان الرقيق ورباط الخيل، فقال أبو هريرة: إياك وأخفاف الإبل وأظلاف النعم، يردد ذلك عليه حتى جعل لون العامري يتغير فقال: ما ذاك يا أبا هريرة؟ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من كانت له إبل لا يعطي حقها في نجدتها[٧] ورسلها»[٨] قلنا: يا رسول الله ما نجدتها ورسلها؟ قال: «في عسرها ويسرها فإنها تأتي يوم القيامة كأغَذِّ[٩] ما كانت وأكثره وأسمنه وآشره، ثم يبطح لها بقاع قرقر[١٠] فتطؤه بأخفافها، فإذا جاوزته أخراها أعيدت عليه أولاها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يقضى بين الناس فيرى سبيله، وإذا كانت له بقر لا يعطي حقها في نجدتها ورسلها، فإنها تأتي يوم القيامة كأغذّ ما كانت وأكثره وأسمنه وآشره، ثم يبطح لها بقاع قرقر فتطؤه كل ذات ظلف بظلفها وتنطحه كل ذات قرن بقرنها، ليس فيها عقصاء ولا عضباء، إذا جاوزته أخراها أعيدت عليه أولاها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين الناس فيرى سبيله، وإذا كانت له غنم لا يعطي حقها في نجدتها ورسلها فإنها تأتي يوم القيامة كأغذّ ما كانت وأسمنه وآشره حتى يبطح لها بقاع قرقر فتطؤه كل ذات ظلف بظلفها وتنطحه كل ذات قرن بقرنها، ليس فيها عقصاء[١١] ولا

---

(١) سنده صحيح لكنه مرسل ويتقوىٰ بسابقه.

(٢) أخرجه الطبري بسند ضعيف فيه إبهام شيخه؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

(٣) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل بياض.

(٤) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس.

(٥) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٣/ ٧٥)؛ وسنده ضعيف كما قرر الحافظ ابن كثير وغيره.

(٦) أخرجه الطبري عن يونس به، وسنده كسابقه.

(٧) أي: الشدة.

(٨) أي: التأني.

(٩) كأغَذِّ: من الأغذاذ: أي: أسرع وأنشط.

(١٠) أي: المكان المستوي.

(١١) أي: الملتوية القرن.

عضباء[١] إذا جاوزته أخراها أعيدت عليه أولاها ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾، حتى يقضى بين الناس فيرى سبيله» فقال العامري: وما حق الإبل يا أبا هريرة؟ قال: أن تعطي الكريمة، وتمنح الغزيرة[٢] وتفقر الظهر[٣]، وتسقي الإبل وتطرق الفحل[٤]. وقد رواه أبو داود من حديث شعبة، والنسائي من حديث سعيد بن أبي عروبة كلاهما عن قتادة به[٥].

طريق أخرى لهذا الحديث: قال الإمام أحمد: حدثنا أبو كامل، حدثنا حماد، عن سهيل بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من صاحب كنز لا يؤدي حقه إلا جعل صفائح يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جبهته وجنبه وظهره، حتى يحكم الله بين عباده في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة مما تعدون، ثم يرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار». وذكر بقية الحديث في الغنم والإبل كما تقدم، وفيه: «الخيل لثلاثة: لرجل أجر، ولرجل ستر، وعلى رجل وزر» إلى آخره[٦]، ورواه مسلم في صحيحه بتمامه منفرداً به دون البخاري من حديث سهيل، عن أبيه، عن أبي هريرة[٧]. وموضع استقصاء طرقه وألفاظه في كتاب الزكاة من كتاب الأحكام، والغرض من إيراده هٰهنا قوله: «حتى يحكم الله بين عباده في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة».

وقد روى ابن جرير، عن يعقوب، عن ابن علية وعبد الوهاب، عن أيوب، عن ابن أبي مليكة قال: سأل رجل ابن عباس، عن قوله: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ فقال: ما يوم كان مقداره خمسين ألف سنة؟ قال: فاتهمه، فقال: إنما سألتك لتحدثني، قال: هما يومان ذكرهما الله، والله أعلم بهما، وأكره أن أقول في كتاب الله بما لا أعلم[٨].

وقوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ۝٥﴾ أي: اصبر يا محمد على تكذيب قومك لك واستعجالهم العذاب استبعاداً لوقوعه كقوله: ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ﴾ [الشورى: ١٨] ولهذا قال: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ۝٦﴾ أي: وقوع العذاب. وقيام الساعة يراه الكفرة بعيد الوقوع بمعنى مستحيل الوقوع ﴿وَنَرَاهُ قَرِيبًا ۝٧﴾ أي: المؤمنون يعتقدون كونه قريباً، وإن كان له أمد لا يعلمه إلا الله ﷻ، لكن كل ما هو آت فهو قريب وواقع لا محالة.

---

(١) أي: المكسورة القرن.

(٢) أي: الكثيرة اللّبن.

(٣) أي: تعيره للحمل والركوب.

(٤) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ١٦/ ٢٣٠، ٢٣١ ح١٠٣٥)، وقال محققوه: صحيح، وهذا إسناد ضعيف لجهالة أبي عمر الغداني.اهـ. ولو قالوا: حسن لغيره لكان أحسن.

(٥) سنن أبي داود، الزكاة، باب في حقوق المال (ح١٤٦٢)؛ وسنن النسائي، الزكاة، باب التغليظ في حبس الزكاة ٥/ ١٢؛ وحسنه الألباني بما بعده. صحيح سنن أبي داود (ح١٤٦٢).

(٦) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه وأطول (المسند ١٣/ ٧ - ٩ ح٧٥٦٣) وصحح سنده محققوه.

(٧) صحيح مسلم، الزكاة، باب إثم مانع الزكاة (ح٩٨٧).

(٨) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده صحيح.

﴿يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ ﴿٨﴾ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ﴿٩﴾ وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٠﴾ يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَـٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾ كَلَّآ ۖ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدْعُوا۟ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ ﴿١٨﴾﴾.

يقول تعالى العذاب واقع بالكافرين: ﴿يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ ﴿٨﴾﴾ قال ابن عباس ومجاهد وعطاء وسعيد بن جبير وعكرمة والسدي وغير واحد: أي: كدردي الزيت[١] ﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ﴿٩﴾﴾ أي: كالصوف المنفوش، قاله مجاهد وقتادة والسدي[٢]، وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ﴿٥﴾﴾ [القارعة].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٠﴾ يُبَصَّرُونَهُمْ﴾ أي: لا يسأل القريب قريبه عن حاله وهو يراه في أسوأ الأحوال فتشغله نفسه عن غيره.

قال العوفي، عن ابن عباس: يعرف بعضهم بعضاً ويتعارفون بينهم ثم يفر بعضهم من بعض بعد ذلك يقول الله تعالى: ﴿لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾﴾[٣] [عبس].

وهذه الآية الكريمة كقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ [لقمان: ٣٣] وكقوله تعالى: ﴿وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَىْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ﴾ [فاطر: ١٨] وكقوله: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [المؤمنون] وكقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَـٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾﴾ [عبس].

وقوله تعالى: ﴿يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَـٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾ كَلَّآ﴾ أي: لا يقبل منه فداء ولو جاء بأهل الأرض وبأعزّ ما يجده من المال ولو بملء الأرض ذهباً، أو من ولده الذي كان في الدنيا حشاشة كبده يودّ يوم القيامة إذا رأى الأهوال أن يفتدي من عذاب الله به ولا يقبل منه.

قال مجاهد والسدي: ﴿وَفَصِيلَتِهِ﴾ قبيلته وعشيرته[٤].

وقال عكرمة: فخذه الذي هو منهم.

وقال أشهب، عن مالك: فصيلته: أُمه.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهَا لَظَىٰ﴾ النار وشدة حرها ﴿نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾﴾ قال ابن عباس ومجاهد: جلدة الرأس[٥].

---

(١) تقدم تخريجه في تفسير سورة الكهف آية ٢٩، وسورة الدخان آية ٤٥؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد بلفظ: كعكر الزيت.

(٢) أخرجه الطبري بالسند المتقدم عن مجاهد؛ وأخرجه عبد الرزاق والطبري بسند صحيح من طريق معمر عن قتادة.

(٣) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به، ومعناه صحيح.

(٤) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد بلفظ: «قبيلته»؛ وأخرجه أيضاً بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة بلفظ: «عشيرته».

(٥) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد بلفظ: لجلود الرأس.

وقال العوفي، عن ابن عباس ﴿نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾﴾ الجلود والهام[(١)].

وقال مجاهد: ما دون العظم من اللحم[(٢)].

وقال سعيد بن جبير: للعصب والعقب.

وقال أبو صالح: ﴿نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾﴾ يعني: أطراف اليدين والرجلين، وقال أيضاً ﴿نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾﴾ لحم الساقين[(٣)].

وقال الحسن البصري وثابت البناني: ﴿نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾﴾ أي: مكارم وجهه.

وقال الحسن أيضاً: تحرق كل شيء فيه ويبقى فؤاده يصيح[(٤)].

وقال قتادة ﴿نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾﴾ أي: نزاعة لهامته ومكارم وجهه وخلقه وأطرافه[(٥)].

وقال الضحاك: تبري اللحم والجلد عن العظم حتى لا تترك منه شيئاً[(٦)].

وقال ابن زيد: «الشوى»: الأراب العظام[(٧)]، فقوله: «نزاعة» قال: تقطع عظامهم ثم تبَّدل جلودهم وخلقهم.

وقوله تعالى: ﴿تَدْعُواْ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ ﴿١٨﴾﴾ أي: تدعو النار إليها أبناءها الذين خلقهم الله لها، وقدَّر لهم أنهم في الدار الدنيا يعملون عملها، فتدعوهم يوم القيامة بلسان طلق ذَلِق ثم تلتقطهم من بين أهل المحشر كما يلتقط الطير الحبّ، وذلك أنهم كما قال الله ﷻ: كانوا ممن ﴿أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ﴾ أي: كذب بقلبه وترك العمل بجوارحه ﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ ﴿١٨﴾﴾ أي: جمع المال بعضه على بعض فأوعاه؛ أي: أوكاه ومنع حق الله منه من الواجب عليه في النفقات ومن إخراج الزكاة، وقد ورد في الحديث: «لا توعي فيوعي الله عليك»[(٨)].

وكان عبد الله بن عكيم لا يربط له كيساً ويقول: سمعت الله يقول: ﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ ﴿١٨﴾﴾.

وقال الحسن البصري: يا ابن آدم سمعت وعيد الله ثم أوعيت الدنيا[(٩)].

وقال قتادة في قوله: ﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ ﴿١٨﴾﴾ قال: كان جموعاً [قموماً][(١٠)] [للخبيث][(١١)].

---

(١) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به، ويشهد له ما يليه.
(٢) أخرجه الطبري بسند ضعيف فيه ابن حميد وهو محمد بن حميد الرازي: ضعيف.
(٣) أخرجه ابن أبي شيبة بسند صحيح من طريق إسماعيل بن أبي خالد عن أبي صالح.
(٤) أخرجه الطبري بسند جيد من طريق قرة عن الحسن.
(٥) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.
(٦) أخرجه الطبري بسند ضعيف فيه إبهام شيخه.
(٧) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.
(٨) تقدم تخريجه في تفسير سورة الإسراء آية ٢٩.
(٩) أخرجه ابن سعد (الطبقات الكبرىٰ ٦/ ١١٤)؛ والطبري كلاهما من طريق أبي قطن عن المسعودي عن الحكم عن عبد الله بن عكيم.
(١٠) كذا في (ح) و(حم) وفي الأصل بياض.
(١١) كذا في تفسير الطبري فقد أخرجه بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة. وفي الأصول الخطية صُحف إلى: «الحديث».

﴿۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾﴾.

يقول تعالى مخبراً عن الإنسان وما هو مجبول عليه من الأخلاق الدنيئة ﴿۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾﴾ ثم فسره بقوله: ﴿إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾﴾ أي: إذا مسّه الضر فزع وجزع وانخلع قلبه من شدة الرعب، وأيس أن يحصل له بعد ذلك خير ﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾﴾ أي: إذا حصلت له نعمة من الله بخل بها على غيره، ومنع حق الله تعالى فيها.

وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو عبد الرحمٰن، حدثنا موسى بن علي بن رباح، سمعت أبي يحدث عن عبد العزيز بن مروان بن الحكم قال: سمعت أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: «شر ما في رجل: شح هالع وجبن خالع»[(١)]. ورواه أبو داود، عن عبد الله بن الجراح، عن أبي عبد الرحمٰن المقري به[(٢)]. وليس لعبد العزيز عنده [سواه][(٣)].

ثم قال تعالى: ﴿إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾﴾ أي: الإنسان من حيث هو متصف بصفات الذم، إلا من عصمه الله ووفقه وهداه إلى الخير ويسر له أسبابه وهم المصلون.

﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾ قيل: معناه يحافظون على أوقاتها وواجباتها، قال ابن مسعود ومسروق وإبراهيم النخعي[(٤)].

وقيل: المراد بالدوام هٰهنا السكون والخشوع كقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾﴾ [المؤمنون] قاله عقبة بن عامر[(٥)]: ومنه الماء الدائم وهو الساكن الراكد، وهذا يدل على وجوب الطمأنينة في الصلاة فإن الذي لا يطمئن في ركوعه وسجوده ليس بدائم على صلاته؛ لأنه لم يسكن فيها ولم يدم بل ينقرها نقر الغراب فلا يفلح في صلاته.

وقيل: المراد بذلك الذين إذا عملوا عملاً داوموا عليه وأثبتوه كما جاء في الصحيح عن عائشة ﵂، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أحبُّ الأعمال إلى الله أدومها وإن قلَّ»[(٦)] وفي لفظ:

---

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ١٤/ ١٥ ح٨٢٦٣) وصحح سنده محققوه.

(٢) سنن أبي داود، الجهاد باب في الجرأة والجبن (ح٢٥١١)؛ وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح٢١٩٢).

(٣) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل بياض.

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة بسند حسن عن ابن مسعود (المصنف ١/ ٣٥٠)؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق منصور عن إبراهيم النخعي.

(٥) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق أبي الخير، وهو مرثد، عن عقبة بن نافع الجهني.

(٦) صحيح البخاري، اللباس، باب الجلوس على الحصير ونحوه (ح٥٨٦١).

«ما دام عليه صاحبه»[١] قالت: وكان رسول الله ﷺ إذا عمل عملاً داوم عليه[٢]، وفي لفظ أثبته[٣].

وقال قتادة في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾: ذُكر لنا أن دانيال عليه السلام نعتَ أُمة محمد ﷺ فقال: يصلون صلاة لو صلّاها قوم نوح ما غرقوا، أو قوم عاد ما أرسلت عليهم الريح العقيم، أو ثمود ما أخذتهم الصيحة، فعليكم بالصلاة فإنها خلق للمؤمنين حسن[٤].

وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾﴾ أي: في أموالهم نصيب مقرر لذوي الحاجات، وقد تقدم الكلام على ذلك في سورة الذاريات.

وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٢٦﴾﴾ أي: يوقنون بالمعاد والحساب والجزاء فهم يعملون عمل من يرجو الثواب ويخاف العقاب. ولهذا قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾﴾ أي: خائفون وجِلون ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾﴾ أي: لا يأمنه أحد ممن عقل عن الله أمره إلا بأمان من الله تبارك وتعالى.

وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٢٩﴾﴾ أي: يكفُّوها عن الحرام ويمنعونها أن توضع في غير ما أذن الله فيه؛ ولهذا قال تعالى: ﴿إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ﴾ أي: من الإماء ﴿فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٣١﴾﴾ وقد تقدم تفسير هذا في أول سورة ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾﴾ [المؤمنون] بما أغنى عن إعادته هٰهنا.

وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٣٢﴾﴾ أي: إذا اؤتمنوا لم يخونوا، وإذا عاهدوا لم يغدروا، وهذه صفات المؤمنين وضدها صفات المنافقين كما ورد في الحديث الصحيح: «آية المنافق ثلاث: إذا حدَّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان»[٥] وفي رواية: «إذا حدَّث كذب وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر»[٦].

وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ أي: محافظون عليها لا يزيدون فيها ولا ينقصون منها ولا يكتمونها ﴿وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ﴾ [البقرة: ٢٨٣].

ثم قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾﴾ أي: على مواقيتها وأركانها وواجباتها ومستحباتها، فافتتح الكلام بذكر الصلاة واختتمه بذكرها، فدل على الاعتناء بها والتنويه بشرفها كما تقدم في أول سورة ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾﴾ سواء ولهذا قال هناك: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾﴾ [المؤمنون] وقال هٰهنا: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ فِى جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾﴾ أي: مكرمون بأنواع الملاذ والمسار.

---

(١) صحيح البخاري، الإيمان، باب أحب الدين إلى الله أدومه (ح٤٣).

(٢) صحيح البخاري، الصوم، باب صوم شعبان (ح١٩٧٠).

(٣) صحيح مسلم، صلاة المسافرين، باب جامع صلاة الليل (ح٧٤٦/ ١٤١).

(٤) صحيح الطبري بسند رجاله ثقات لكنه مرسل.

(٥) تقدم تخريجه في تفسير سورة الصف آية ٢.

(٦) تقدم تخريجه في تفسير سورة المؤمنون آية ٨.

﴿فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ ﴿٣٦﴾ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾ أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾ كَلَّآ ۖ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٤١﴾ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾﴾.

يقول تعالى منكراً على الكفار الذين كانوا في زمن النبي ﷺ وهم مشاهدون له ولما أرسله الله به من الهدى وما أيده الله به من المعجزات الباهرات، ثم هم مع هذا كله فارُّون منه متفرقون عنه، شاردون يميناً وشمالاً فِرقاً فِرقاً، وشِيعاً شِيعاً، كما قال تعالى: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍۭ ﴿٥١﴾﴾ الآية [المدثر] وهذه مثلها فإنه قال تعالى: ﴿فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ ﴿٣٦﴾﴾ أي: فما لهؤلاء الكفار الذين عندك يا محمد مهطعين؟ أي: مسرعين نافرين منك، كما قال الحسن البصري: ﴿مُهْطِعِينَ﴾ أي: منطلقين(١).

﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾﴾ واحدها عزة؛ أي: متفرقين، وهو حال من مهطعين؛ أي: في حال تفرقهم واختلافهم كما قال الإمام أحمد في أهل الأهواء: فهم مخالفون للكتاب مختلفون في الكتاب متفقون على مخالفة الكتاب.

وقال العوفي، عن ابن عباس ﴿فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ ﴿٣٦﴾﴾، قال: قبلك ينظرون ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾﴾ قال: العزين: العِصب من الناس عن يمين وشمال معرضين يستهزئون به(٢).

وقال ابن جرير: حدثنا ابن بشار، حدثنا أبو عامر، حدثنا قُرَّة، عن الحسن في قوله: ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾﴾ أي: متفرقين يأخذون يميناً وشمالاً يقولون: ما قال هذا الرجل(٣)؟

وقال قتادة: ﴿مُهْطِعِينَ﴾ عامدين ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾﴾ أي: فِرقاً حول النبي ﷺ لا يرغبون في كتاب الله ولا في نبيه ﷺ(٤).

وقال الثوري وشعبة وعبثر بن القاسم وعيسى بن يونس ومحمد بن فضيل ووكيع ويحيى القطان وأبو معاوية، كلهم عن الأعمش، عن المسيب بن رافع، عن تميم بن طرفة، عن جابر بن سمرة أن رسول الله ﷺ خرج عليهم وهم حِلَق فقال: «ما لي أراكم عزين؟» رواه أحمد ومسلم وأبو داود والنسائي، وابن جرير من حديث الأعمش به(٥).

وقال ابن جرير: حدثنا محمد بن بشار، حدثنا مؤمل، حدثنا سفيان، عن عبد الملك بن عمير، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة ؓ أن رسول الله ﷺ خرج على أصحابه وهم حِلَق فقال: «ما لي أراكم عزين؟»(٦). وهذا إسناده جيد ولم أره في شيء من الكتب الستة من هذا الوجه.

---

(١) أخرجه الطبري بسند جيد من طريق أبي عامر عن قرة عن الحسن.

(٢) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به. (٣) أخرجه الطبري عن ابن بشار به، وسنده جيد.

(٤) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٥) المسند ٥/٩٣؛ وصحيح مسلم، الصلاة.

(٦) في سنده مؤمل وفي روايته عن سفيان مقال ولكنه توبع في الرواية السابقة من طرق أخرى، فيتقوىٰ ولهذا حكم عليه الحافظ ابن كثير بأن إسناده جيد.

وقوله تعالى: ﴿أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾ كَلَّآ﴾ أي: أيطمع هؤلاء والحالة هذه من فرارهم عن رسول الله ﷺ ونفارهم عن الحق أن يدخلوا جنات النعيم؟ كلَّا بل مأواهم جهنم.

ثم قال تعالى مقرراً لوقوع المعاد والعذاب بهم الذي أنكروا كونه واستبعدوا وجوده مستدلاً عليهم بالبداءة التي الإعادة أهون منها، وهم معترفون بها، فقال تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ﴾ أي: من المني الضعيف، كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾﴾ [المرسلات] وقال: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ﴿٩﴾ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴿١٠﴾﴾ [الطارق].

ثم قال تعالى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ﴾ أي: الذي خلق السمٰوات والأرض وجعل مشرقاً ومغرباً وسخر الكواكب تبدو من مشارقها وتغيب في مغاربها. وتقدير الكلام: ليس الأمر كما تزعمون أن لا معاد ولا حساب ولا بعث ولا نشور، بل كل ذلك واقع وكائن لا محالة، ولهذا أتى بلا في ابتداء القسم ليدل على أن المقسم عليه نفي، وهو مضمون الكلام وهو الردُّ على زعمهم الفاسد في نفي يوم القيامة. وقد شاهدوا من عظيم قدرة الله تعالى ما هو أبلغ من إقامة القيامة، وهو خلق السمٰوات والأرض وتسخير ما فيهما من المخلوقات من الحيوانات والجمادات وسائر صنوف الموجودات، ولهذا قال تعالى: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [غافر] وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾﴾ [الأحقاف] وقال تعالى في الآية الأخرى: ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس] وقال هٰهنا: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾ أي: يوم القيامة نعيدهم بأبدان خير من هذه فإن قدرته صالحة لذلك ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ أي: بعاجزين كما قال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ﴿٣﴾ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ ﴿٤﴾﴾ [القيامة] وقال تعالى: ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾﴾ [الواقعة] واختار ابن جرير ﴿عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾ أي: أمة تطيعنا ولا تعصينا وجعلها كقوله: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمْثَٰلَكُم﴾ [محمد: ٣٨] والمعنى الأول أظهر لدلالة الآيات الأخرى عليه، والله أعلم.

ثم قال تعالى: ﴿فَذَرْهُمْ﴾ أي: يا محمد ﴿يَخُوضُواْ وَيَلْعَبُواْ﴾ أي: دعهم في تكذيبهم وكفرهم وعنادهم ﴿حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ﴾ أي: فسيعلمون غب ذلك ويذوقون وباله ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾﴾ أي: يقومون من القبور إذا دعاهم الربُّ تبارك وتعالى لموقف الحساب ينهضون سراعاً كأنهم إلى نصب يوفضون.

قال ابن عباس ومجاهد والضحاك: إلى علم يسعون[1].

---

(١) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي عن ابن عباس، ويتقوىٰ بالآثار التالية: فقد أخرجه عبد الرزاق والطبري بسند صحيح من طريق معمر عن قتادة؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.

وقال أبو العالية ويحيى بن أبي كثير: إلى غاية يسعون إليها(١).

وقد قرأ الجمهور «إلى نَصْب» بفتح النون وإسكان الصاد وهو مصدر بمعنى المنصوب.

وقرأ الحسن البصري «نُصُب» بضم النون والصاد(٢) وهو الصنم؛ أي: كأنهم في إسراعهم إلى الموقف كما كانوا في الدنيا يهرولون إلى النصب إذا عاينوه، يوفضون يبتدرون أيهم يستلمه أول، وهذا مروي عن مجاهد ويحيى بن أبي كثير ومسلم البطين وقتادة والضحاك والربيع بن أنس وأبي صالح وعاصم بن بهدلة وابن زيد وغيرهم(٣).

وقوله تعالى: ﴿خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ﴾ أي: خاضعة ﴿تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾ أي: في مقابلة ما استكبروا في الدنيا عن الطاعة ﴿ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ﴾.

آخر تفسير سورة سأل سائل [ولله الحمد والمنة](٤).

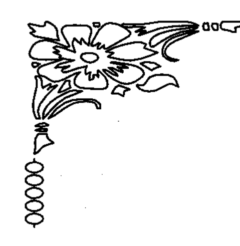
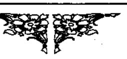
---

(١) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق عوف، وهو الأعرابي، عن أبي العالية؛ وأخرجه الطبري أيضاً بسند حسن من طريق أبي عمرو عن يحيىٰ بن أبي كثير.

(٢) القراءتان متواترتان.

(٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب، وهو عبد الله، عن ابن زيد، وهو عبد الرحمٰن، وأخرجه أيضاً بسند جيد من طريق قرّة عن الحسن، وهو البصري.

(٤) زيادة من (ح).

سُورَةُ نُوحٍ

وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝١ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٢ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ۝٣ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٤﴾.

يقول تعالى مخبراً عن نوح عليه السلام أنه أرسله إلى قومه آمراً له أن ينذرهم بأس الله قبل حلوله بهم، فإن تابوا وأنابوا رفع عنهم. ولهذا قال تعالى: ﴿أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝١ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٢﴾ أي: بين النذارة ظاهر الأمر واضحه، ﴿أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ﴾ أي: اتركوا محارمه واجتنبوا مآثمه ﴿وَأَطِيعُونِ﴾ فيما آمركم به وأنهاكم عنه ﴿يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ أي: إذا فعلتم ما آمركم به وصدقتم ما أرسلت به إليكم غفر الله لكم ذنوبكم، ومن - هٰهنا - قيل إنها زائدة، ولكن القول بزيادتها في الإثبات قليل، ومنه قول بعض العرب: قد كان من مطر، وقيل: إنها بمعنى عن تقديره يصفح لكم عن ذنوبكم، واختاره ابن جرير.

وقيل: إنها للتبعيض؛ أي: يغفر لكم الذنوب العظيمة التي وعدكم على ارتكابكم إياها الانتقام ﴿وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ﴾ أي: يمد في أعماركم ويدرأ عنكم العذاب الذي إن لم تجتنبوا ما نهاكم عنه أوقعه بكم.

وقد يستدل بهذه الآية من يقول: إن الطاعة والبر وصلة الرحم يزاد بها في العمر حقيقة كما ورد به الحديث: «صلة الرحم تزيد في العمر»[1] وقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أي: بادروا بالطاعة قبل حلول النقمة فإنه إذا أمر تعالى بكون ذلك لا يرد ولا يمانع، فإنه العظيم الذي قد قهر كل شيء، العزيز الذي دانت لعزته جميع المخلوقات.

---

(١) أخرجه الطبراني من حديث أبي أُمامة وأطول (المعجم الكبير ٨/ ٣١٢ ح٨٠١٤)؛ وحسنه المنذري (الترغيب والترهيب ١/ ٦٧٩)؛ وحسنه الهيثمي (مجمع الزوائد ٣/ ١١٨) وله شاهد في الصحيحين بلفظ: «من أحب أن يُبسط له في رزقه، ويُنسأله في أجله فليصل رحمه» تقدم تخريجه في تفسير سورة الإسراء آية ٢٦.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۝٥ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارًا ۝٦ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا ۝٧ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ۝٨ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ۝٩ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝١١ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ۝١٢ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ۝١٣ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ۝١٤ أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۝١٥ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ۝١٦ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ۝١٧ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ۝١٨ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ۝١٩ لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ۝٢٠﴾.

يخبر تعالى عن عبده ورسوله نوح عليه السلام أنه اشتكى إلى ربه عز وجل ما لقي من قومه، وما صبر عليهم في تلك المدة الطويلة التي هي ألف سنة إلا خمسين عاماً، وما بيّن لقومه ووضّح لهم ودعاهم إلى الرشد والسبيل الأقوم، فقال: ﴿رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا﴾ أي: لم أترك دعاءهم في ليل ولا نهار امتثالاً لأمرك وابتغاءً لطاعتك ﴿فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارًا ۝٦﴾ أي: كلما دعوتهم ليقتربوا من الحق فرُّوا منه وحادوا عنه ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ﴾ أي: سدُّوا آذانهم لئلا يسمعوا ما أدعوهم إليه كما أخبر تعالى عن كفار قريش: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ۝٢٦﴾ [فصلت].

﴿وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ﴾ قال ابن جُريج عن ابن عباس: تنكروا له لئلا يعرفهم[(١)].

وقال سعيد بن جبير والسدي: غطوا رؤوسهم لئلا يسمعوا ما يقول[(٢)]. ﴿وَأَصَرُّوا۟﴾ أي: استمروا على ما هم فيه من الشرك والكفر العظيم الفظيع[(٣)].

﴿وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا﴾ أي: واستنكفوا عن اتباع الحق والانقياد له ﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ۝٨﴾ أي: جهرة بين الناس ﴿ثُمَّ إِنِّيٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ﴾ أي: كلاماً ظاهراً بصوت عالٍ ﴿وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾ أي: فيما بيني وبينهم، فنوَّع عليهم الدعوة لتكون أنجع فيهم.

﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠﴾ أي: ارجعوا إليه وارجعوا عما أنتم فيه وتوبوا إليه من قريب فإنه من تاب إليه تاب عليه، ولو كانت ذنوبه مهما كانت في الكفر والشرك، ولهذا قال: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝١١﴾ أي: متواصلة الأمطار، ولهذا تستحب قراءة هذه السورة في صلاة الاستسقاء لأجل هذه الآية، وهكذا روي عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه صعد المنبر ليستسقي فلم يزد على الاستغفار وقراءة الآيات في الاستغفار ومنها هذه الآية ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝١١﴾ ثم قال: لقد طلبت الغيث [بمجادح][(٤)] السماء التي يستنزل بها المطر[(٥)].

---

(١) سنده ضعيف لأن ابن جريج لم يسمع من ابن عباس.

(٢) عزاه السيوطي إلى ابن المنذر عن ابن عباس؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

(٣) أخرجه الطبري بالسند المتقدم عن ابن زيد.

(٤) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل صحفت إلى: «بمجارح»، ومعناها النجوم.

(٥) أخرجه عبد الرزاق من طريق عامر الشعبي عن عمر (المصنف ٣/ ٨٧ رقم ٤٩٠٢) وسنده منقطع؛ لأن الشعبي لم يسمع من عمر.

وقال ابن عباس وغيره: يتبع بعضه بعضاً(١).

وقوله تعالى: ﴿وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾﴾ أي: إذا تبتم إلى الله واستغفرتموه وأطعتموه كثر الرزق عليكم أسقاكم من بركات السماء، وأنبت لكم من بركات الأرض وأنبت لكم الزرع، وأدَّر لكم الضرع وأمدكم بأموال وبنين؛ أي: أعطاكم الأموال والأولاد وجعل لكم جنات فيها أنواع الثمار وخللها بالأنهار الجارية بينها، هذا مقام الدعوة بالترغيب، ثم عدل بهم إلى دعوتهم بالترهيب فقال: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾﴾؟ أي: عظمة، قاله ابن عباس ومجاهد والضحاك(٢).

وقال ابن عباس: لا تعظمون الله حق عظمته(٣)؛ أي: لا تخافون من بأسه ونقمته ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾﴾ قيل: معناه: من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة، قاله ابن عباس وعكرمة وقتادة ويحيى بن رافع والسدي وابن زيد(٤).

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾﴾؟ أي: واحدة فوق واحدة وهل هذا يتلقى من جهة السمع فقط؟ أو هو من الأمور المدركة بالحسِّ مما علم من التسيير والكسوفات؟ فإن الكواكب السبعة السيارة يكسف بعضها بعضاً فأدناها القمر في السماء الدنيا، وهو يكسف ما فوقه، وعطارد في الثانية، والزهرة في الثالثة، والشمس في الرابعة، والمرِّيخ في الخامسة، والمشتري في السادسة، وزُحَل في السابعة، وأما بقية الكواكب وهي الثوابت ففي فلك ثامن يسمونه فلك الثوابت، والمتشرعون منهم يقولون هو: الكرسي، والفلك التاسع وهو الأطلس، والأثير عندهم الذي حركته على خلاف حركة سائر الأفلاك، وذلك أن حركته مبدأ الحركات وهي من المغرب إلى المشرق، وسائر الأفلاك عكسه من المشرق إلى المغرب ومعها يدور سائر الكواكب تبعاً، ولكن للسيارة حركة معاكسة لحركة أفلاكها فإنها تسير من المغرب إلى المشرق، وكل يقطع فلكه بحسبه، فالقمر يقطع فلكه في كل شهر مرة، والشمس في كل سنة مرة، وزُحل في كل ثلاثين سنة مرة، وذلك بحسب اتساع أفلاكها وإن كانت حركة الجميع في السرعة متناسبة.

هذا ملخص ما يقولونه في هذا المقام على اختلاف بينهم في مواضع كثيرة لسنا بصدد بيانها وإنما المقصود أن الله ﷻ: ﴿خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾﴾ أي: فاوت بينهما في الاستنارة فجعل كلّا منهما أنموذجاً على حدة ليعرف الليل والنهار بمطلع الشمس ومغيبها، وقدر للقمر منازل وبروجاً وفاوت نوره فتارة يزداد حتى يتناهى، ثم يشرع في النقص حتى يستتر ليدل على مضي الشهور والأعوام، كما قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾﴾ [يونس].

---

(١) معناه صحيح.

(٢) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد؛ وأخرجه الطبري بسند ضعيف فيه إبهام شيخه، ويتقوىٰ بسابقه.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة (المصنف ٨/١٩٨)؛ والطبري بسند حسن من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس.

(٤) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد؛ وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾﴾ هذا اسم مصدر والإتيان به هٰهنا أحسن ﴿ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا﴾ أي: إذا متم ﴿وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾ أي: يوم القيامة يعيدكم كما بدأكم أول مرة ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾﴾ أي: بسطها ومهّدها وقررها وثبتها بالجبال الراسيات الشُّمّ الشامخات ﴿لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾﴾ أي: خلقها لكم لتستقروا عليها وتسلكوا فيها أين شئتم من نواحيها وأرجائها وأقطارها، وكل هذا مما ينبههم به نوح عليه السلام على قدرة الله وعظمته في خلق السمٰوات والأرض ونعمه عليهم فيما جعل لهم من المنافع السماوية والأرضية، فهو الخالق الرزاق جعل السماء بناء والأرض مهاداً وأوسع على خلقه من رزقه، فهو الذي يجب أن يُعبدُ ويُوحد ولا يُشرك به أحد؛ لأنه لا نظير له ولا عديل ولا ندَّ ولا كفء، ولا صاحبة ولا ولد ولا وزير ولا مشير بل هو العلي الكبير.

﴿قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِى وَٱتَّبَعُوا۟ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا۟ كَثِيرًا ۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا ﴿٢٤﴾﴾.

يقول تعالى مخبراً عن نوح عليه السلام إنه أنهى إليه، وهو العليم الذي لا يعزب عنه شيء، أنه مع البيان المتقدم ذكره والدعوة المتنوّعة المشتملة على الترغيب تارة والترهيب أخرى أنهم عصوه وخالفوه وكذبوه، واتبعوا أبناء الدنيا ممن غفل عن أمر الله ومتع بمال وأولاد وهي في نفس الأمر استدراج وإنظار لا إكرام ولهذا قال: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا﴾ قرئ ﴿وَوَلَدُهُۥٓ﴾ بالضم وبالفتح[(١)] وكلاهما متقارب.

وقوله تعالى: ﴿وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾﴾ قال مجاهد: كباراً؛ أي: عظيماً[(٢)].

وقال ابن زيد: ﴿كُبَّارًا﴾؛ أي: كبيراً[(٣)]، والعرب تقول: أمر عجيب وعُجاب وعجّاب، ورجل حسان وحسّان، وجُمال وجُمّال بالتخفيف والتشديد[(٤)] بمعنى واحد، والمعنى في قوله تعالى: ﴿وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾﴾ أي: بأتباعهم في تسويلهم لهم أنهم على الحق والهدى كما يقولون لهم يوم القيامة ﴿بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا﴾ [سبأ: ٣٣] ولهذا قال هٰهنا: ﴿وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾﴾ وهذه أسماء أصنامهم التي كانوا يعبدونها من دون الله.

قال البخاري: حدثنا إبراهيم، حدثنا هشام، عن ابن جريج، وقال عطاء: عن ابن عباس: صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد: أما وَدّ فكانت لكلب بدومة الجندل،

---

(١) أي: بضم وفتح الواو الثانية، والقراءتان متواترتان.

(٢) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.

(٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

(٤) ذكره الطبري بلفظه.

وأما سُواع فكانت لهذيل، وأما يَغوث فكانت لمراد ثم لبني غطيف بالجُرف عند سبأ، وأما يعوق فكانت لهمدان، وأما نَسر فكانت لحمير لآل ذي كلاع، وهي أسماء رجال صالحين من قوم نوح ﷺ، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصاباً وسموها بأسمائهم، ففعلوا فلم تُعبد حتى إذا هلك أولئك ونُسخ العلم عبدت[١]، وكذا روي عن عكرمة والضحاك وقتادة وابن إسحاق نحو هذا[٢].

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: هذه أصنام كانت تعبد في زمن نوح[٣].

وقال ابن جرير: حدثنا ابن حميد، حدثنا مهران، عن سفيان، عن موسى، عن محمد بن قيس: ﴿وَيَعُوقَ وَنَسۡرٗا﴾ قال: كانوا قوماً صالحين بين آدم ونوح وكان لهم أتباع يقتدون بهم، فلما ماتوا قال: أصحابهم الذين كانوا يقتدون بهم: لو صوَّرناهم كان أشوق لنا إلى العبادة إذا ذكرناهم، فصوَّروهم، فلما ماتوا وجاء آخرون دبَّ إليهم إبليس فقال: إنما كانوا يعبدونهم وبهم يُسقَون المطر فعبدوهم[٤].

وروى الحافظ ابن عساكر في ترجمة شيث ﷺ من طريق إسحاق بن بشر قال: أخبرني جويبر ومقاتل، عن الضحاك، عن ابن عباس أنه قال: ولد لآدم ﷺ أربعون ولداً، عشرون غلاماً وعشرون جارية، فكان ممن عاش منهم هابيل وقابيل وصالح وعبد الرحمٰن الذي سماه: عبد الحارث[٥]، ووَدّ، وكان وَدّ يقال له: شيث ويقال له: هبة الله، وكان إخوته قد سوَّدوه، وولد له سواع ويغوث ويعوق ونسر[٦].

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا أبو عمرو الدوري، حدثني أبو إسماعيل المؤدب، عن عبد الله بن مسلم بن هرمز، عن أبي حزرة، عن عروة بن الزبير قال: اشتكى آدم ﷺ وعنده بنوه ود ويغوث وسواع ونسر قال: وكان وَدّ أكبرهم وأبرَّهم به[٧].

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أحمد بن منصور، حدثنا الحسن بن موسى، حدثنا يعقوب، عن أبي المطهر قال: ذُكروا عند أبي جعفر وهو قائم يصلي يزيد بن المهلب، قال: فلما انفتل من

---

(١) أخرجه البخاري بسنده ومتنه وبلفظ: وننسخ وهي رواية لجمهور رواة البخاري أما ما أثبته الحافظ ابن كثير فهو رواية أبي ذر الهروي والكشميهني (فتح الباري ٨/ ٦٦٩ مع صحيح البخاري، التفسير، باب ﴿وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ﴾ [نوح: ٢٣] ح٤٩٢٠).

(٢) أخرجه عبد الرزاق والطبري بسند صحيح من طريق معمر عن قتادة؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد مختصراً؛ وأخرجه الطبري بسند ضعيف فيه إبهام شيخه ويتقوىٰ برواية البخاري السابقة.

(٣) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق علي به.

(٤) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده ضعيف لإرساله ويتقوىٰ برواية البخاري السابقة.

(٥) لم يسم آدم هذا الاسم، وهذه الروايات وغيرها كلها ضعيفة، وهي من الإسرائيليات المخالفة للقرآن والسنة؛ لأن هذه التسمية فيها شرك، وآدم عليه الصلاة والسلام موحِّد ونبي مكلم.

(٦) سنده ضعيف لأن الضحاك لم يسمع ابن عباس ﷺ.

(٧) سنده ضعيف لإرساله.

صلاته قال: ذكرتم يزيد بن المهلب أما إنه قتل في أول أرض عبد فيها غير الله، قال: ثم ذكروا رجلاً مسلماً وكان محبباً في قومه فلما مات اعتكفوا حول قبره في أرض بابل وجزعوا عليه، فلما رأى إبليس جزعهم عليه تشبَّه في صورة إنسان، ثم قال: إني أرى جزعكم على هذا الرجل، فهل لكم أن أصور لكم مثله فيكون في ناديكم فتذكرونه؟ قالوا: نعم، فصوَّر لهم مثله، قال: ووضعوه في ناديهم وجعلوا يذكرونه، فلما رأى ما بهم من ذكره قال: هل لكم أن أجعل في منزل كل رجل منكم تمثالاً مثله فيكون له في بيته فتذكرونه؟ قالوا: نعم، قال: فمثَّل لكل أهل بيت تمثالاً مثله، فأقبلوا فجعلوا يذكرونه به، قال: وأدرك أبناؤهم فجعلوا يرون ما يصنعون به، قال: وتناسلوا ودرس أمر ذكرهم إياه حتى اتخذه إلهاً يعبدونه من دون الله أولاد أولادهم، فكان أول ما عبد من دون الله: الصنم الذي سموه وَدّاً[1].

وقوله تعالى: ﴿وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا﴾ يعني: الأصنام التي اتخذوها أضلوا بها خلقاً كثيراً، فإنه استمرت عبادتها في القرون إلى زماننا هذا في العرب والعجم وسائر صنوف بني آدم، وقد قال الخليل ﷺ في دعائه: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ﴾ [إبراهيم: ٣٥، ٣٦] وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا﴾ دعاء منه على قومه لتمردهم وكفرهم وعنادهم كما دعا موسى على فرعون وملئه في قوله: ﴿رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ [يونس: ٨٨] وقد استجاب الله لكل من النبيين في قومه، وأغرق أمته بتكذيبهم لما جاءهم به.

﴿مِّمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَنصَارًا ﴿٢٥﴾ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ رَّبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴿٢٨﴾﴾.

يقول تعالى: «مما خطاياهم» وقرئ ﴿خَطِيئَاتِهِمْ﴾[2] ﴿أُغْرِقُوا﴾ أي: من كثرة ذنوبهم وعتوهم وإصرارهم على كفرهم ومخالفتهم رسولهم ﴿أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا﴾ أي: نُقلوا من تيار البحار إلى حرارة النار ﴿فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَنصَارًا﴾ أي: لم يكن لهم مُعين ولا مُغيث ولا مُجير ينقذهم من عذاب الله كقوله تعالى: ﴿لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ﴾ [هود: ٤٣].

﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾﴾ أي: لا تترك على وجه الأرض منهم أحداً ولا دياراً وهذه من صيغ تأكيد النفي.

قال الضحاك: ﴿دَيَّارًا﴾ واحداً[3].

وقال السدي: الديّار: الذي يسكن الدار، فاستجاب الله له فأهلك جميع من على وجه الأرض من الكافرين حتى ولد نوح لصلبه الذي اعتزل عن أبيه، وقال: ﴿سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ﴾

---

(١) سنده ضعيف لإعضاله، ويشهد لبعضه ما تقدم في رواية البخاري السابقة.

(٢) القراءتان متواترتان.

(٣) عزاه السيوطي إلى ابن المنذر.

﴿قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ﴾ [هود: ٤٣].

وقال ابن أبي حاتم: قُرئ علىٰ يونس بن عبد الأعلى، أخبرنا ابن وهب، أخبرني شبيب بن سعيد، عن أبي الجوزاء، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: «لو رحم الله من قوم نوح أحداً لرحم امرأة لما رأت الماء حملت ولدها ثم صعدت الجبل، فلما بلغها الماء صعدت به منكبها، فلما بلغ الماء منكبها وضعت ولدها على رأسها، فلما بلغ الماء رأسها رفعت ولدها بيدها، فلو رحم الله منهم أحداً لرحم هذه المرأة». هذا حديث غريب ورجاله ثقات[(١)]، ونجى الله أصحاب السفينة الذين آمنوا مع نوح عليه السلام وهم الذين أمره الله بحملهم معه.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ﴾ أي: إنك إن أبقيت منهم أحداً أضلوا عبادك؛ أي: الذين تخلقهم بعدهم ﴿وَلَا يَلِدُوٓا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ أي: فاجراً في الأعمال كافر القلب وذلك لخبرته بهم ومكثه بين أظهرهم ألف سنة إلا خمسين عاماً، ثم قال: ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا﴾ قال الضحاك: يعني مسجدي[(٢)]، ولا مانع من حمل الآية على ظاهرها وهو أنه دعا لكل من دخل منزله وهو مؤمن، وقد قال الإمام أحمد: حدثنا أبو عبد الرحمٰن، حدثنا حيوة، أنبأنا سالم بن غيلان، أن الوليد بن قيس التجيبيّ، أخبره أنه سمع أبا سعيد الخدري أو عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «لا تصحب إلا مؤمناً ولا يأكل طعامك إلا تقي»[(٣)]. ورواه أبو داود والترمذي من حديث عبد الله بن المبارك، عن حيوة بن شريح به، ثم قال الترمذي: إنما نعرفه من هذا الوجه[(٤)].

وقوله تعالى: ﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ دعاء لجميع المؤمنين والمؤمنات وذلك يعم الأحياء منهم والأموات، ولهذا يستحب مثل هذا الدعاء اقتداء بنوح عليه السلام وبما جاء في الآثار والأدعية المشهورة المشروعة.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾ قال السدي: إلا هلاكاً.

وقال مجاهد: إلا خساراً[(٥)]؛ أي: في الدنيا والآخرة.

آخر تفسير سورة نوح عليه السلام، [ولله الحمد والمنة][(٦)].

---

(١) لكن رواية ابن وهب عن شبيب بن سعيد فيها مقال (التقريب ص٢٦٣)؛ فقد حدث عنه ابن وهب بأحاديث مناكير (تهذيب التهذيب ٤/ ٣٠٧)؛ وأخرجه الحاكم من طريق موسىٰ بن يعقوب الزمعي عن فائد مولىٰ عبيد الله بن علي بن أبي رافع أن إبراهيم بن عبد الرحمٰن بن عبد الله بن أبي ربيعة أخبره أن عائشة. فذكره وصححه، وتعقبه الذهبي بأن إسناده مظلم وموسىٰ ليس بذاك. (المستدرك ٢/ ٣٤٢).

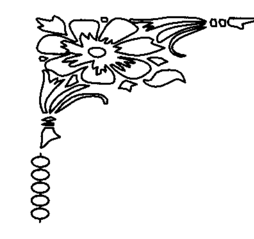
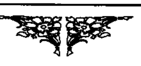
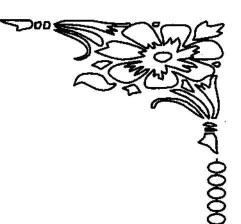
(٢) أخرجه الطبري بسندين عن الضحاك، يقوي أحدهما الآخر.

(٣) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (١٧/ ٤٣٧ ح١١٣٣٧) وحسن سنده محققوه.

(٤) سنن أبي داود، الأدب، باب من يؤمر أن يجالس (ح٤٨٣٢)؛ وسنن الترمذي، الزهد، ما جاء في صحبة المؤمن (ح٢٣٩٧)؛ وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح٤٠٤٥).

(٥) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.

(٦) زيادة من (حم).

سُورَةُ الجِنّ

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴿٢﴾ وَأَنَّهُۥ تَعَـٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَـٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾ وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا ﴿٤﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿٥﴾ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا۟ كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا ﴿٧﴾﴾.

يقول تعالى آمراً رسوله ﷺ أن يخبر قومه: أن الجن استمعوا القرآن، فآمنوا به وصدقوه وانقادوا له، فقال تعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ﴾ أي: إلى السداد والنجاح ﴿فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا﴾ وهذا المقام شبيه بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [الأحقاف: ٢٩] وقد قدمنا الأحاديث الواردة في ذلك بما أغنى عن إعادته ههنا.

وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَـٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا﴾ قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿جَدُّ رَبِّنَا﴾ أي: فعله وأمره وقدرته[١].

وقال الضحاك، عن ابن عباس: جد الله: آلاؤه وقدرته ونعمته على خلقه[٢]. وروي عن مجاهد وعكرمة: جلال ربنا[٣].

وقال قتادة: تعالى جلاله وعظمته وأمره[٤].

وقال السدي: تعالى أمر ربنا. وعن أبي الدرداء ومجاهد أيضاً وابن جريج: تعالى ذكره[٥].

وقال سعيد بن جبير: ﴿تَعَـٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا﴾ أي: تعالى ربنا، فأما ما رواه ابن أبي حاتم: حدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد المقرى، حدثنا سفيان، عن عمرو، عن عطاء، عن ابن عباس، قال: الجد أب، ولو علمت الجن أن في الإنس جدّاً ما قالوا: ﴿تَعَـٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا﴾. فهذا إسناد جيد، ولكن لست أفهم ما معنى هذا الكلام، ولعله قد سقط[٦] شيء، والله أعلم.

---

(١) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق علي به.

(٢) سنده ضعيف لأن الضحاك لم يلق ابن عباس، ويتقوىٰ بسابقه.

(٣) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق المعتمر بن سليمان عن أبيه عن عكرمة، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٤) أخرجه الطبري وعبد الرزاق بسند صحيح من طريق معمر عن قتادة.

(٥) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.

(٦) أرىٰ أنه لم يسقط شيء من التفسير، وأن هذا التفسير من ابن عباس رضي الله عنهما عَني بذلك: الجد الذي هو =

وقوله تعالى: ﴿مَا ٱتَّخَذَ صَـٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ أي: تعالى عن اتخاذ الصاحبة والأولاد؛ أي: قالت الجن: تنزه الربُّ جلَّ جلاله حين أسلموا وآمنوا بالقرآن عن اتخاذ الصاحبة والولد ثم قالوا: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا ﴿٤﴾﴾.

قال مجاهد وعكرمة وقتادة والسدي: ﴿سَفِيهُنَا﴾ يعنون: إبليس[١].

﴿شَطَطًا﴾ قال السدي عن أبي مالك: ﴿شَطَطًا﴾ أي: جوراً.

وقال ابن زيد: أي ظلماً كبيراً[٢].

ويحتمل أن يكون المراد بقولهم سفيهنا اسم جنس لكل من زعم أن لله صاحبة أو ولداً، ولهذا قالوا: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا﴾ أي: قبل إسلامه ﴿عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا﴾ أي: باطلاً وزوراً، ولهذا قالوا: ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿٥﴾﴾ أي: ما حسبنا أن الإنس والجنَّ يتمالؤون على الكذب على الله تعالى في نسبة الصاحبة والولد إليه، فلما سمعنا هذا القرآن وآمنا به علمنا أنهم كانوا يكذبون على الله في ذلك.

وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾﴾ أي: كنا نرى أن لنا فضلاً على الإنس؛ لأنهم كانوا يعوذون بنا إذا نزلوا وادياً أو مكاناً موحشاً من البراري وغيرها، كما كانت عادة العرب في جاهليتها يعوذون بعظيم ذلك المكان من الجان أن يصيبهم بشيء يسوؤهم، كما كان أحدهم يدخل بلاد أعدائه في جوار رجل كبير وذمامه وخفارته، فلما رأت الجن أن الإنس يعوذون بهم من خوفهم منهم زادوهم رهقاً؛ أي: خوفاً وإرهاباً وذعراً حتى بقوا أشد منهم مخافة وأكثر تعوذاً بهم، كما قال قتادة: ﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ أي: إثماً وازدادت الجن عليهم جراءة[٣].

وقال السدي: كان الرجل يخرج بأهله فيأتي الأرض فينزلها فيقول: أعوذ بسيد هذا الوادي من الجنِّ أن أضر أنا فيه أو مالي أو ولدي أو ماشيتي، قال قتادة: فإذا عاذ بهم من دون الله رهقتهم الجنّ الأذى عند ذلك.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد يحيى بن سعيد القطان، حدثنا وهب بن جرير، حدثنا أبي، حدثنا الزبير بن الخريت عن عكرمة قال: كان الجنُّ يفرقون من الإنس كما يفرق الإنس منهم أو أشد، فكان الإنس إذا نزلوا وادياً هرب الجنُّ، فيقول سيد القوم: نعوذ بسيد أهل هذا الوادي، فقال الجنُّ: نراهم يفرقُون[٤] منا كما نفرق منهم، فدنوا من الإنس فأصابوهم بالخبل والجنون، فذلك قول الله ﷻ: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾﴾

= أبو الأب وهو من جهلة الجن كما ذكر الطبري عن بعض المفسرين. ولكن هذا التفسير الوارد عن ابن عباس خلاف ما ثبت عنه من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: فعله وأمره وقدرته، وهو المناسب للسياق، وبه قال بعض التابعين كما تقدم، وهو الذي رجحه الإمام الطبري.

(١) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة، وأخرجه الطبري أيضاً بسند ضعيف فيه إبهام الراوي عن مجاهد.

(٢) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

(٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٤) أي: يخافون.

أي: إثماً[١]. وقال أبو العالية والربيع وزيد بن أسلم: ﴿رَهَقًا﴾ أي: خوفاً[٢].

وقال العوفي، عن ابن عباس: ﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ أي: إثماً، وكذا قال قتادة[٣].

وقال مجاهد: زاد الكفار طغياناً[٤].

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا فروة بن أبي المغراء الكندي، حدثنا القاسم بن مالك ـ يعني: المزني ـ عن عبد الرحمٰن بن إسحاق، عن أبيه، عن كردم بن أبي السائب الأنصاري قال: خرجت مع أبي من المدينة في حاجة وذلك أول ما ذكر رسول الله ﷺ بمكة، فآوانا المبيت إلى راعي غنم، فلما انتصف الليل جاء ذئب فأخذ حملاً من الغنم فوثب الراعي فقال: يا عامر الوادي جارك، فنادى مناد لا نراه يقول: يا سرحان[٥] أرسله. فأتى الحمل يشتد حتى دخل في الغنم لم تصبه كدمة. وأنزل الله تعالى على رسوله بمكة ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾﴾[٦]. ثم قال: وروي عن عبيد بن عمير ومجاهد وأبي العالية والحسن وسعيد بن جبير وإبراهيم النخعي نحوه[٧]. وقد يكون هذا الذئب الذي أخذ الحمل، وهو ولد الشاة، كان جنياً حتى يرهب الإنسي ويخاف منه، ثم ردَّه عليه لما استجار به ليضله ويهينه ويخرجه عن دينه، والله أعلم.

وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا۟ كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا ﴿٧﴾﴾ أي: لن يبعث الله بعد هذه المدة رسولاً، قاله الكلبي وابن جرير[٨].

﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَـٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَـٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾ وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾﴾.

يخبر تعالى عن الجن حين بعث الله رسوله محمداً ﷺ وأنزل عليه القرآن، وكان من حفظه له أن السماء مُلئت حرساً شديداً، وحُفَّت من سائر أرجائها، وطُردت الشياطين عن مقاعدها التي كانت تقعد فيها قبل ذلك؛ لئلا يسترقوا شيئاً من القرآن، فيلقوه على ألسنة الكهنة فيلتبس الأمر ويختلط ولا يُدرى مَن الصادق، وهذا من لطف الله تعالى بخلقه، ورحمته بعباده، وحفظه لكتابه

---

(١) سنده مرسل.

(٢) أخرجه الطبري بسند جيد من طريق أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس، وأخرجه الطبري أيضاً بسند صحيح من طريق ابن وهب عن عبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم.

(٣) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به، ويشهد له ما أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٤) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.

(٥) أي: الذئب.

(٦) أخرجه أبو الشيخ (العظمة ٥/ ١٦٦٤ رقم ١١٠٥) والطبراني (المعجم الكبير ١٩/ ١٩١ ح٤٣٠)، والعقيلي (الضعفاء الكبير ١/ ١٠١) كلهم من طريق القاسم بن مالك المدني به، وسنده ضعيف لضعف عبد الرحمٰن بن إسحاق كما في التقريب، ولضعف أبيه (المجروحين لابن حبان ١/ ١٣٣ وميزان الاعتدال ١/ ١٨٩).

(٧) القائل هو ابن أبي حاتم فإن من منهجه أن يذكر الموافقين من التابعين بحذف السند.

(٨) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن الكلبي.

العزيز، ولهذا قال الجنُّ: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ۝٨ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ۝٩﴾ أي: من يروم أن يسترق السمع يجد له شهاباً مرصداً له لا يتخطاه ولا يتعداه بل يمحقه اليوم ويهلكه. ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ۝١٠﴾ أي: ما ندري هذا الأمر الذي قد حدث في السماء، لا ندري أشرٌّ أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشداً؟ وهذا من أدبهم في العبارة حيث أسندوا الشرَّ إلى غير فاعل والخير أضافوه إلى الله ﷻ.

وقد ورد في الصحيح: «والشرُّ ليس إليك»[1] وقد كانت الكواكب يرمى بها قبل ذلك، ولكن ليس بكثير بل في الأحيان بعد الأحيان، كما في حديث [ابن عباس][2]: بينما نحن جلوس مع رسول الله ﷺ إذ رُمي بنجم فاستنار فقال: «ما كنتم تقولون في هذا؟» فقلنا: كنا نقول يولد عظيم، يموت عظيم فقال: «ليس كذلك، ولكن الله إذا قضى الأمر في السماء»[3] وذكر تمام الحديث وقد أوردناه في سورة سبأ بتمامه، وهذا هو السبب الذي حملهم على تطلب السبب في ذلك فأخذوا يضربون مشارق الأرض ومغاربها، فوجدوا رسول الله ﷺ يقرأ بأصحابه في الصلاة، فعرفوا أن هذا هو الذي حُفظت من أجله السماء، فآمن من آمن منهم وتمَّرد في طغيانه من بقي كما تقدم حديث ابن عباس في ذلك عند قوله في سورة الأحقاف: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ الآية [٢٩].

ولا شك أنه لما حدث هذا الأمر، وهو كثرة الشهب في السماء والرمي بها، هال ذلك الإنس والجن وانزعجوا له وارتاعوا لذلك، وظنوا أن ذلك لخراب العالم، كما قال السدي: لم تكن السماء تحرس إلا أن يكون في الأرض نبي أو دين لله ظاهر، فكانت الشياطين قبل محمد ﷺ قد اتخذت المقاعد في السماء الدنيا، يستمعون ما يحدث في السماء من أمر، فلما بعث الله محمداً ﷺ نبياً رسولاً رجموا ليلة من الليالي ففزع لذلك أهل الطائف فقالوا: هلك أهل السماء لما رأوا من شدة النار في السماء واختلاف الشُهب، فجعلوا يعتقون أرقاءهم ويسيبون مواشيهم، فقال لهم عبد ياليل بن عمير: ويحكم يا معشر أهل الطائف أمسكوا عن أموالكم وانظروا إلى معالم النجوم، فإن رأيتموها مستقرة في أمكنتها فلم يهلك أهل السماء، إنما هذا من أجل ابن أبي كبشة يعني: محمداً ﷺ، وإن نظرتم فلم تروها فقد هلك أهل السماء، فنظروا فرأوها فكفُّوا عن أقوالهم وفزعت الشياطين في تلك الليلة، فأتوا إبليس فحدثوه بالذي كان من أمرهم فقال: ائتوني من كل أرض بقبضة من تراب أشمُّها، فأتوه فشمَّ فقال: صاحبكم بمكة، فبعث سبعة نفر من جن نصيبين[4] فقدموا مكة فوجدوا نبي الله ﷺ قائماً يصلي في المسجد الحرام يقرأ القرآن، فدنوا منه حرصاً على القرآن حتى كادت كلاكلهم تصيبه، ثم أسلموا فأنزل الله تعالى أمرهم على رسوله ﷺ[5].

---

(١) أخرجه مسلم من حديث أمير المؤمنين علي ﷺ مطولاً. (الصحيح، صلاة المسافرين، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه ح٧٧١).

(٢) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل صحف إلى: «العباس».

(٣) تقدم تخريجه في تفسير سورة سبأ آية ٢٣.

(٤) تقع جنوب تركيا وشمال مدينة الموصل في العراق. (٥) رواية السدي ضعيفه لأنها مرسلة.

وقد ذكرنا هذا الفصل مستقصى في أول البعث من «كتاب السيرة» المطول، والله أعلم، ولله الحمد والمنة.

﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ﴿١١﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعۡجِزَ ٱللَّهَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَن نُّعۡجِزَهُۥ هَرَبًا ﴿١٢﴾ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعۡنَا ٱلۡهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦۖ فَمَن يُؤۡمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخۡسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾ وَأَنَّا مِنَّا ٱلۡمُسۡلِمُونَ وَمِنَّا ٱلۡقَٰسِطُونَۖ فَمَنۡ أَسۡلَمَ فَأُوْلَٰٓئِكَ تَحَرَّوۡاْ رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا ٱلۡقَٰسِطُونَ فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾ وَأَلَّوِ ٱسۡتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسۡقَيۡنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفۡتِنَهُمۡ فِيهِۚ وَمَن يُعۡرِضۡ عَن ذِكۡرِ رَبِّهِۦ يَسۡلُكۡهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾﴾.

يقول تعالى مخبراً عن الجن أنهم قالوا مخبرين عن أنفسهم: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَۖ﴾ أي: غير ذلك ﴿كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا﴾ أي: طرائق متعددة مختلفة وآراء متفرقة، قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد: ﴿كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا﴾ أي: منا المؤمن ومنا الكافر(١).

وقال أحمد بن سليمان النجاد في أماليه: حدثنا أسلم بن سهل بحشل، حدثنا علي بن الحسن بن سليمان وهو: أبو الشعثاء الحضرمي شيخ مسلم، حدثنا أبو معاوية قال: سمعت الأعمش يقول: تروَّح إلينا جني فقلت له: ما أحب الطعام إليكم؟ فقال الأرز، قال: فأتيناهم به، فجعلت أرى اللُّقم ترفع ولا أرى أحداً، فقلت فيكم من هذه الأهواء التي فينا؟ قال: نعم. فقلت: فما الرافضة فيكم؟ قال: شرُّنا(٢).

عرضت هذا الإسناد على شيخنا الحافظ أبي الحجاج المزي فقال: هذا إسناد صحيح إلى الأعمش.

وذكر الحافظ ابن عساكر في ترجمة العباس بن أحمد الدمشقي قال: سمعت بعض الجنِّ وأنا في منزل لي بالليل ينشد:

قلوبٌ بَراها الحبَّ حتى تعلقت ... مذاهبها في كل غرب وشارق
تهيم بحب الله والله ربها ... معلقة بالله دون الخلائق(٣)

وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعۡجِزَ ٱللَّهَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَن نُّعۡجِزَهُۥ هَرَبًا ﴿١٢﴾﴾ أي: نعلم أن قدرة الله حاكمة علينا وأنا لا نعجزه في الأرض، ولو أمعنا في الهرب فإنه علينا قادر لا يعجزه أحد منا ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعۡنَا ٱلۡهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦۖ﴾ يفتخرون بذلك وهو مفخر لهم وشرف رفيع وصفة حسنة.

وقولهم: ﴿فَمَن يُؤۡمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخۡسًا وَلَا رَهَقًا﴾ قال ابن عباس وقتادة وغيرهما: فلا يخاف أن ينقص من حسناته أو يحمل عليه غير سيئاته(٤) كما قال تعالى: ﴿فَلَا يَخَافُ ظُلۡمًا وَلَا هَضۡمًا﴾ [طه: ١١٢].

---

(١) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي عن ابن عباس، ومعناه صحيح وله شواهد تقويه كالآثار التالية: فقد أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

(٢) سنده صحيح كما قرر الإمام المزي. (٣) تاريخ دمشق (٨/ ل٨٨٧).

(٤) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة.

﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ﴾ أي: منا المسلم ومنا القاسط، وهو الجائر عن الحق الناكب عنه، بخلاف المقسط فإنه العادل ﴿فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ تَحَرَّوْاْ رَشَدًا﴾ أي: طلبوا لأنفسهم النجاة ﴿وَأَمَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾﴾ أي: وقوداً تسعر بهم.

وقوله تعالى: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَـٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَـٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ اختلف المفسرون في معنى هذا على قولين:

أحدهما: وأن لو استقام القاسطون على طريقة الإسلام وعدلوا إليها واستمروا عليها ﴿لَأَسْقَيْنَـٰهُم مَّآءً غَدَقًا﴾ أي: كثيراً، والمراد بذلك سعة الرزق، كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم﴾ [المائدة: ٦٦] وكقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَـٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦] وعلى هذا يكون معنى قوله: ﴿لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ أي: لنختبرهم، كما قال مالك، عن زيد بن أسلم: لنفتنهم لنبتليهم من يستمر على الهداية ممن يرتد إلى الغواية[١].

ذكر من قال بهذا القول:

قال العوفي، عن ابن عباس: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَـٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ﴾ يعني: بالاستقامة الطاعة[٢].

وقال مجاهد: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَـٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ﴾ قال: الإسلام[٣]. وكذا قال سعيد بن جبير وسعيد بن المسيب وعطاء والسدي ومحمد بن كعب القرظي[٤].

وقال قتادة: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَـٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ﴾ يقول: لو آمنوا كلهم لأوسعنا عليهم من الدنيا[٥].

وقال مجاهد: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَـٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ﴾ أي: طريقة الحق[٦]، وكذا قال الضحاك واستشهد على ذلك بالآيتين اللتين ذكرناهما[٧]، وكل هؤلاء أو أكثرهم قالوا في قوله: ﴿لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ أي: لنبتليهم به[٨].

وقال مقاتل: نزلت في كفار قريش حين مُنعوا المطر سبع سنين[٩].

والقول الثاني: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَـٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ﴾ الضلال ﴿لَأَسْقَيْنَـٰهُم مَّآءً غَدَقًا﴾ أي: لأوسعنا عليهم الرزق استدراجاً، كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَـٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الأنعام] وكقوله: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ

---

(١) سنده صحيح.

(٢) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به ومعناه صحيح، ويشهد له ما يليه.

(٣) أخرجه الطبري بأسانيد يقوي بعضها بعضاً عن مجاهد.

(٤) أخرجه الطبري بسند ضعيف فيه رجل مبهم عن سعيد بن جبير.

(٥) أخرجه عبد الرزاق الطبري بسند صحيح من طريق معمر عن قتادة.

(٦) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق عبيد الله بن أبي زياد عن مجاهد، وعبيد الله ليس بالقوي (التقريب ص٣٧١) وفيه ابن حميد وهو محمد بن حميد الرازي وهو ضعيف، ومعناه صحيح.

(٧) أخرجه الطبري بسند ضعيف فيه إبهام شيخه عن الضحاك بلفظ: «هذا مثل ضربه الله» كقوله: ثم ذكر الآيتين السابقتين اللتين استشهد بهما الحافظ ابن كثير.

(٨) هو تتمة للأثر السابق.

(٩) سنده ضعيف لأنه معضل.

وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [المؤمنون] وهذا قول أبي مِجلز لاحق بن حميد، فإنه قال في قوله تعالى: ﴿وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ﴾ أي: طريقة الضلالة[١]، رواه ابن جرير وابن أبي حاتم، وحكاه البغوي، عن الربيع بن أنس وزيد بن أسلم والكلبي وابن كيسان وله اتجاه[٢]، ويتأيد بقوله: ﴿لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾.

وقوله: ﴿وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾ أي: عذاباً مشقاً شديداً موجعاً مؤلماً، قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة وقتادة وابن زيد. ﴿عَذَابًا صَعَدًا﴾ أي: مشقة لا راحة معها[٣].

وعن ابن عباس: جبل في جهنم[٤]، وعن سعيد بن جبير: [بئر][٥] فيها.

﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾ قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَاغًا مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴿٢٣﴾ حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴿٢٤﴾﴾.

يقول تعالى آمراً عباده أن يوحدوه في محال عبادته ولا يُدعى معه أحد ولا يشرك به، كما قال قتادة في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ قال: كانت اليهود والنصارى إذا دخلوا كنائسهم وبيعهم أشركوا بالله، فأمر الله نبيه ﷺ أن يوحدوه وحده[٦].

وقال ابن أبي حاتم: ذكر علي بن الحسين، حدثنا إسماعيل بن بنت السدي، أخبرنا رجل سماه عن السدي، عن أبي مالك أو أبي صالح، عن ابن عباس في قوله: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ قال: لم يكن يوم نزلت هذه الآية في الأرض مسجد إلا المسجد الحرام ومسجد إيليا بيت المقدس[٧].

وقال الأعمش: قالت الجنُّ: يا رسول الله ائذن لنا فنشهد معك الصلوات في مسجدك، فأنزل الله تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ يقول: صلوا لا تخالطوا الناس[٨].

وقال ابن جرير: حدثنا ابن حميد، حدثنا مهران، حدثنا سفيان، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن [محمود][٩]، عن سعيد بن جبير ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ قال: قالت الجن لنبي الله ﷺ كيف لنا أن نأتي المسجد ونحن ناؤون؟ أي: بعيدون عنك، وكيف نشهد

---

(١) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق عمران بن حرير عن أبي مِجلز.
(٢) ذكره البغوي (معالم التنزيل ٤/ ٤٠٤).
(٣) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق عطية العوفي عن ابن عباس، ويتقوىٰ بما أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.
(٤) أخرجه هناد (الزهد رقم ٢٨٠) والطبري والحاكم بسند حسن من طريق سماك بن حرب عن عكرمة عن ابن عباس وصححه الحاكم ووافقه الذهبي. (المستدرك ٢/ ٥٠٤).
(٥) زيادة من (ح) و(حم).
(٦) أخرجه الطبري بسند رجاله ثقات لكنه مرسل.
(٧) سنده ضعيف لإبهام شيخ إسماعيل.
(٨) سنده ضعيف لأنه معضل.
(٩) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل صحف إلى: «محمول».

الصلاة ونحن ناؤون عنك؟ فنزلت ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾[١].

وقال سفيان: عن خُصيف، عن عكرمة: نزلت في المساجد كلها[٢].

وقال سعيد بن جبير: نزلت في أعضاء السجود[٣]؛ أي: هي لله فلا تسجدوا بها لغيره. وذكروا عند هذا القول الحديث الصحيح من رواية عبد الله بن طاوس، عن أبيه، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «أمرت أن أسجد على سبعة أعظم: على الجبهة ـ أشار بيده إلى أنفه ـ واليدين والركبتين وأطراف القدمين»[٤].

وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾﴾ قال العوفي عن ابن عباس يقول: لما سمعوا النبي ﷺ يتلو القرآن كادوا يركبونه من الحرص لما سمعوه يتلو القرآن ودنوا منه، فلم يعلم بهم حتى أتاه الرسول فجعل يقرئه ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾[٥] [الجن: ١] يستمعون القرآن. هذا قول، وهو مروي عن الزبير بن العوام رضي الله عنه.

وقال ابن جرير: حدثني محمد بن معمر، حدثنا أبو مسلم، عن أبي عوانة، عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: قال الجن لقومهم: ﴿لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ قال: لما رأوه يصلي وأصحابه يركعون بركوعه ويسجدون بسجوده، قال: عجبوا من طواعية أصحابه له قال: فقالوا لقومهم: ﴿لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾[٦]. وهذا قول ثانٍ، وهو مروي عن سعيد بن جبير أيضاً[٧].

وقال الحسن: لما قام رسول الله ﷺ يقول: لا إله إلا الله، ويدعو الناس إلى ربهم كادت العرب تلبد عليه جميعاً[٨].

وقال قتادة في قوله: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾﴾ قال: تلبدت الإنس والجن على هذا الأمر ليطفئوه، فأبى الله إلا أن ينصره ويمضيه ويظهره على من ناوأه[٩]. وهذا قول ثالث وهو مروي عن ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وقول ابن زيد[١٠]، وهو اختيار ابن

---

(١) أخرجه الطبري من طريق سفيان به، وسنده ضعيف لأنه مرسل.

(٢) أخرجه الطبري عن ابن حميد عن مهران عن سفيان به، وفي سنده خُصيف سيء الحفظ، وابن حميد هو محمد بن حميد الرازي وهو ضعيف، ومعناه صحيح.

(٣) فيه غرابة، والاستشهاد بالحديث الذي يليه لا يتناسب معه.

(٤) أخرجه الشيخان من طريق عبد الله بن طاوس به (صحيح البخاري، الأذان، باب السجود على الأنف ح٨١٢، وصحيح مسلم، الصلاة، باب أعضاء السجود والنهي عن كف الشعر والثوب ح٤٩٠).

(٥) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به.

(٦) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وأخرجه الترمذي (السنن، التفسير، باب ومن سورة الجن ح٣٣٢٣) والضياء المقدسي (المختارة ١٠/ ٧٤) كلاهما من طريق أبي عوانة به. وقال الترمذي: حسن صحيح. وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (ح٢٦٤٧).

(٧) أخرجه الطبري من طريق زياد عن سعيد بن جبير وسنده مرسل ويتقوىٰ بسابقه.

(٨) سنده مرسل ويشهد له ما سبق.

(٩) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة لكنه مرسل ويتقوىٰ بما سبق.

(١٠) تقدمت رواية ابن عباس، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

جرير، وهو الأظهر لقوله بعده: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّي وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٠﴾ أي: قال لهم الرسول لما آذوه وخالفوه وكذبوه وتظاهروا عليه ليبطلوا ما جاء به من الحق واجتمعوا على عداوته.

﴿إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّي﴾ أي: إنما أعبد ربي وحده لا شريك له وأستجير به وأتوكل عليه ﴿وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا﴾ وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ۝٢١﴾ أي: إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي وعبد من عباد الله ليس إلي من الأمر شيء في هدايتكم ولا غوايتكم، بل المرجع في ذلك كله إلى الله ﷻ، ثم أخبر عن نفسه أيضاً أنه لا يجيره من الله أحد؛ أي: لو عصيته فإنه لا يقدر أحد على إنقاذي من عذابه ﴿وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا﴾ قال: مجاهد وقتادة والسدي: لا ملجأ[1].

وقال قتادة أيضاً: ﴿قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ۝٢٢﴾ أي: لا نصير ولا ملجأ[2]. وفي رواية: لا ولي ولا موئل.

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ﴾ قال بعضهم: هو مستثنى من قوله: ﴿قُلْ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ۝٢١ إِلَّا بَلَٰغًا﴾ ويحتمل أن يكون استثناء من قوله: ﴿لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ﴾ أي: لا يجيرني منه ويخلصني إلا إبلاغي الرسالة التي أوجب أداءها علي، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧].

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ أي: أنا أبلغكم رسالة الله فمن يعصِ بعد ذلك فله جزاءً على ذلك نار جهنم، خالدين فيها أبداً؛ أي: لا محيد لهم عنها ولا خروج لهم منها.

وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْاْ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ۝٢٤﴾ أي: حتى إذا رأى هؤلاء المشركون من الجن والإنس ما يوعدون يوم القيامة، فسيعلمون يومئذٍ من أضعف ناصراً وأقل عدداً، هم أم المؤمنون الموحدون لله تعالى؟ أي: بل المشركون لا ناصر لهم بالكلية وهم أقل عدداً من جنود الله ﷻ.

﴿قُلْ إِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّىٓ أَمَدًا ۝٢٥ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ۝٢٧ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُواْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا ۝٢٨﴾.

يقول تعالى آمراً رسوله ﷺ أن يقول للناس إنه لا علم له بوقت الساعة ولا يدري أقريب وقتها أم بعيد؟ ﴿قُلْ إِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّىٓ أَمَدًا ۝٢٥﴾ أي: مدة طويلة، وفي هذه الآية الكريمة دليل على أن الحديث الذي يتداوله كثير من الجهلة من أنه عليه الصلاة والسلام لا يؤلف تحت الأرض[3]، كذب لا أصل له، ولم نره في شيء من الكتب، وقد كان ﷺ يسأل عن وقت الساعة فلا يجيب عنها، ولما تبدَّى له جبريل في صورة أعرابي كان فيما سأله أن قال: يا

---

(١) أخرجه عبد الرزاق والطبري بسند صحيح من طريق معمر عن قتادة.
(٢) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.
(٣) لا أصل له: انظر المقاصد الحسنة ص٤٤٣ والأسرار المرفوعة ص٣٥٣ وأجوبة الحافظ لتلاميذه ص٧٣.

محمد فأخبرني عن الساعة؟ قال: «ما المسؤول عنها بأعلم من السائل»[(١)]، ولما ناداه ذلك الأعرابي بصوت جهوري فقال: يا محمد متى الساعة؟ قال: «ويحك إنها كائنة فما أعددت لها؟» قال: أما إني لم أعد لها كثير صلاة ولا صيام ولكني أحب الله ورسوله قال: «فأنت مع من أحببت» قال أنس: فما فرح المسلمون بشيء فرحهم بهذا الحديث[(٢)].

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا محمد بن مضاء، حدثنا محمد بن حمير، حدثني أبو بكر بن أبي مريم، عن عطاء بن أبي رباح، عن أبي سعيد الخدري، عن النبي ﷺ قال: «يا بني آدم إن كنتم تعقلون فعدوا أنفسكم من الموتى، والذي نفسي بيده إنما توعدون لآت»[(٣)].

وقد قال أبو داود في آخر كتاب الملاحم: حدثنا موسى بن سهل، حدثنا حجاج بن إبراهيم، حدثنا ابن وهب، حدثني معاوية بن صالح، عن عبد الرحمٰن بن جبير، عن أبيه، عن أبي ثعلبة الخشني قال: قال رسول الله ﷺ: «لن يُعجز الله هذه الأُمة من نصف يوم»[(٤)]. انفرد به أبو داود ثم قال أبو داود: حدثنا عمرو بن عثمان، حدثنا أبو المغيرة، حدثني صفوان، عن شريح بن عبيد، عن سعد بن أبي وقاص، عن النبي ﷺ أنه قال: «إني لأرجو أن لا تعجز أُمتي عند ربها أن يؤخرهم نصف يوم» قيل لسعد: وكم نصف يوم؟ قال: خمسمائة عام[(٥)]. انفرد به أبو داود.

وقوله تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ هذا كقوله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ [البقرة: ٢٥٥] وهكذا قال ههنا إنه يعلم الغيب والشهادة وأنه لا يطلع أحد من خلقه على شيء من علمه إلا مما أطلعه تعالى عليه، ولهذا قال: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ وهذا يعمُّ الرسول الملكي والبشري. ثم قال تعالى: ﴿فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا﴾ أي: يخصه بمزيد معقبات من الملائكة يحفظونه من أمر الله ويساوقونه على ما معه من وحي الله، ولهذا قال: ﴿لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا ﴿٢٨﴾﴾.

وقد اختلف المفسرون في الضمير الذي في قوله: ﴿لِّيَعْلَمَ﴾ إلى من يعود؟

فقيل: إنه عائد على النبي ﷺ، وقال ابن جرير: حدثنا ابن حميد، حدثنا يعقوب القمي، عن جعفر، عن سعيد بن جبير في قوله: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾﴾ قال: أربعة حفظة من الملائكة مع جبريل

---

(١) تقدم تخريجه في تفسير سورة الأعراف آية ١٨٧.

(٢) أخرجه الشيخان من حديث أنس ﷺ (صحيح البخاري، الآداب، باب علامة الحب في الله ح٦١٧١، وصحيح مسلم، البر والصلة، باب المرء مع من أحب ح٢٦٣٩).

(٣) أخرجه أبو نعيم من طريق أبي بكر بن أبي مريم به (حلية الأولياء ٦/ ٩١) وسنده ضعيف لضعف أبي بكر بن أبي مريم. (التقريب ص٦٢٣).

(٤) أخرجه أبو داود بسنده ومتنه (السنن، الملاحم، باب قيام الساعة ح٤٣٤٩) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح٣٦٥٥).

(٥) المصدر السابق (ح٤٣٥٠) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح٣٦٥٦).

﴿لِيَعْلَمَ﴾ محمد ﷺ ﴿أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾[١] ورواه ابن أبي حاتم من حديث يعقوب القمي به. وهكذا رواه الضحاك والسدي ويزيد بن أبي حبيب.

وقال عبد الرزاق، عن معمر، عن قتادة: ﴿لِيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ﴾ قال: ليعلم نبي الله أن الرسل قد بلّغت عن الله وأن الملائكة حفظتها ودفعت عنها[٢]، وكذا رواه سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة[٣] واختاره ابن جرير.

وقيل غير ذلك كما رواه العوفي، عن ابن عباس في قوله: ﴿إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ﴿٢٧﴾﴾ قال: هي معقبات من الملائكة يحفظون النبي ﷺ من الشيطان حتى يتبين الذي أرسل به إليهم، وذلك حين يقول ليعلم أهل الشرك أن قد أبلغوا رسالات ربهم[٤]. وكذا قال ابن أبي نجيح عن مجاهد: ﴿لِيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ﴾ قال: ليعلم من كذب الرسل أن قد أبلغوا رسالات ربهم[٥]، وفي هذا نظر.

وقال البغوي: قرأ يعقوب «ليُعلم» بالضم؛ أي: ليعلم الناس أن الرسل قد أبلغوا[٦].

ويحتمل أن يكون الضمير عائداً إلى الله ﷻ، وهو قول حكاه ابن الجوزي في زاد المسير[٧]، ويكون المعنى في ذلك أنه يحفظ رسله بملائكته ليتمكنوا من أداء رسالاته ويحفظ ما ينزله إليهم من الوحي ليعلم أن قد أبلغوا رسالات بهم، ويكون ذلك كقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾ [البقرة: ١٤٣] وكقوله تعالى: ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ ﴿١١﴾﴾ [العنكبوت] إلى أمثال ذلك من العلم بأنه تعالى يعلم الأشياء قبل كونها قطعاً لا محالة، ولهذا قال بعد هذا: ﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾.

آخر تفسير سورة الجن، ولله الحمد والمنة.

---

(١) أخرجه الطبري بسنده ومتنه وزيادة: وما نزل جبريل بشيء من الوحي إلا ومعه أربعة حفظة من الملائكة. وسنده ضعيف لإرساله.

(٢) أخرجه عبد الرزاق بسنده ومتنه، وسنده صحيح.

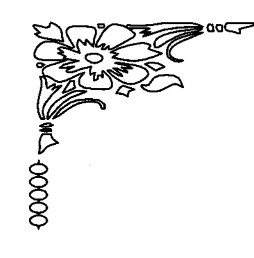
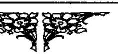
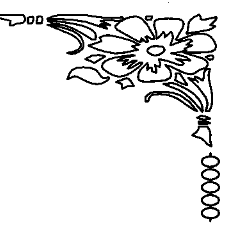
(٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة به.

(٤) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به، ويتقوىٰ بما يليه.

(٥) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح به.

(٦) ذكره البغوي (معالم التنزيل ٤/٤٠٦).

(٧) ذكر ابن الجوزي (زاد المسير ٨/٣٨٦) وذكره أيضاً البغوي كما في المصدر السابق.

سُورَةُ المُزَّمِّلِ

وهي مكية

قال الحافظ أبو بكر بن عمرو بن عبد الخالق البزار: حدثنا محمد بن موسى القطان الواسطي، حدثنا معلى بن عبد الرحمٰن، حدثنا شريك، عن عبد الله بن محمد بن عقيل، عن جابر قال: اجتمعت قريش في دار الندوة فقالوا: سموا هذا الرجل اسماً يصدّ الناس عنه، فقالوا: كاهن. قالوا: ليس بكاهن. قالوا: مجنون. قالوا: ليس بمجنون. قالوا: ساحر. قالوا: ليس بساحر، فتفرق المشركون على ذلك فبلغ ذلك النبي ﷺ فتزمل في ثيابه وتدثر فيها. فأتاه جبريل عليه السلام فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝١﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١﴾ [المدثر] ثم قال البزار: معلى بن عبد الرحمٰن قد حدّث عنه جماعة من أهل العلم واحتملوا حديثه لكنه تفرد بأحاديث لا يتابع عليها[1].

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝٢ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ۝٤ إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا ثَقِيلًا ۝٥ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡـٔٗا وَأَقۡوَمُ قِيلًا ۝٦ إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبۡحٗا طَوِيلٗا ۝٧ وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا ۝٨ رَّبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلٗا ۝٩﴾.

يأمر تعالى رسوله ﷺ أن يترك التزمل وهو التغطي في الليل وينهض إلى القيام لربه ﷻ كما قال تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝١٦﴾ [السجدة] وكذلك كان ﷺ ممتثلاً ما أمره الله تعالى به من قيام الليل، وقد كان واجباً عليه وحده كما قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ۝٧٩﴾ [الإسراء] وهٰهنا بيّن له مقدار ما يقوم فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝٢﴾ قال ابن عباس والضحاك والسدي: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝١﴾ يعني: يا أيها النائم.

وقال قتادة: المزمل في ثيابه[2].

وقال إبراهيم النخعي: نزلت وهو متزمل بقطيفة[3].

وقال شبيب بن بشر، عن عكرمة، عن ابن عباس ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝١﴾ قال: يا محمد زملت القرآن[4].

---

(١) أخرجه البزار بسنده ومتنه (مختصر زوائد مسند البزار ٢/ ١١٣ ح١٥٢١) وسنده ضعيف جداً لأن معلى بن عبد الرحمٰن متهم بالوضع (التقريب ص٥٤١) وينظر المصدر السابق فقد قال الحافظ ابن حجر: كذبوه. وينظر: (مجمع الزوائد ٧/ ١٣٠).

(٢) أخرجه عبد الرزاق والطبري بسند صحيح من طريق معمر عن قتادة.

(٣) عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم.

(٤) سنده حسن.

وقوله تعالى: ﴿نِّصْفَهُۥٓ﴾ بدل من الليل ﴿أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا أَوْ زِدْ عَلَيْهِ﴾ أي: أمرناك أن تقوم نصف الليل بزيادة قليلة أو نقصان قليل لا حرج عليك في ذلك.

وقوله تعالى: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ أي: اقرأه على تمهل فإنه يكون عوناً على فهم القرآن وتدبره. وكذلك كان يقرأ صلوات الله وسلامه عليه، قالت عائشة ﵂: كان يقرأ السورة فيرتلها حتى تكون أطول من أطول منها.

وفي صحيح البخاري، عن أنس أنه سئل عن قراءة رسول الله ﷺ فقال: كانت مدّاً ثم قرأ ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ يمدُّ بسم الله، ويمدُّ الرحمٰن، ويمدُّ الرحيم[(١)].

وقال ابن جريج، عن ابن أبي مليكة، عن أُم سلمة ﵂ أنها سُئلت عن قراءة رسول الله ﷺ فقالت: كانت يُقطِّع قراءته آية آية ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ [الفاتحة]. رواه أحمد وأبو داود والترمذي[(٢)].

وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرحمٰن، عن سفيان، عن عاصم، عن زرٍّ، عن عبد الله بن عمرو، عن النبي ﷺ قال: «يقال لقارئ القرآن: اقرأ وارق ورتِّل كما كنت ترتِّل في الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها»[(٣)]. ورواه أبو داود والترمذي والنسائي من حديث سفيان الثوري به، وقال الترمذي: حسن صحيح[(٤)].

وقد قدمنا في أول التفسير الأحاديث الدالة على استحباب الترتيل وتحسين الصوت بالقراءة كما جاء في الحديث: «زينوا القرآن بأصواتكم»[(٥)] و«ليس مِنَّا من لم يتغن بالقرآن»[(٦)] و«لقد أوتي هذا مزماراً من مزامير آل داود» يعني: أبا موسى، فقال أبو موسى: لو كنت أعلم أنك كنت تسمع قراءتي لحبرته لك تحبيراً[(٧)].

وعن ابن مسعود أنه قال: لا تنثروه نثر الرمل، ولا تهذُّوه هذّ الشعر، قفوا عند عجائبه، وحركوا به القلوب، ولا يكن همُّ أحدكم آخر السورة. رواه البغوي[(٨)].

وقال البخاري: حدثنا آدم، حدثنا شعبة، حدثنا عمرو بن مرة: سمعت أبا وائل قال: جاء

---

(١) تقدم تخريجه في تفسير البسملة. (٢) تقدم تخريجه في تفسير البسملة.

(٣) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ١١/ ٤٠٤ ح٦٧٩٩) وقال محققوه: صحيح لغيره.

(٤) سنن أبي داود، الصلاة، باب استحباب الترتيل في الصلاة (ح١٤٦٤)؛ وسنن الترمذي، ثواب القرآن، باب الذي ليس في بيته قرآن كالبيت الخرب (ح٢٩١٥)؛ والسنن الكبرىٰ، فضائل القرآن، باب الترتيل (ح٨٠٥٦)؛ وقال الألباني: حسن صحيح (صحيح سنن أبي داود ح١٣٠٠).

(٥) أخرجه البخاري تعليقاً ووصله في كتاب «خلق أفعال العباد ص٣٤» من حديث البزار ﵁؛ وكذا وصله أبو داود (السنن، الصلاة، باب استحباب الترتيل في القراءة ح١٤٦٨)؛ وكذا وصله الحاكم من طرق كثيرة عن البراء؛ وصححه ووافقه الذهبي (المستدرك ١/ ٥٧٢)؛ وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح١٣٠٣)؛ وأخرجه الدارقطني في الأفراد بسند حسن من حديث ابن عباس. (ينظر فتح الباري ١٣/ ٥١٩).

(٦) تقدم تخريجه في تفسير سورة الحجر آية ٨٧. (٧) تقدم تخريجه في تفسير سورة سبأ آية ١٠.

(٨) أخرجه البغوي من طريق إبراهيم عن علقمة عن ابن مسعود. (معالم التنزيل ٤/ ٤٠٧) ويشهد له حديث البخاري التالي.

رجل إلى ابن مسعود فقال: قرأت المفصَّل الليلة في ركعة. فقال هذّاً كهذِّ[١] الشعر لقد عرفت النظائر التي كان رسول الله ﷺ يقرن بينهن، فذكر عشرين سورة من المفصل سورتين في ركعة[٢].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝٥﴾ قال الحسن وقتادة: أي العمل به[٣].

وقيل: ثقيل وقت نزوله من عظمته[٤]، كما قال زيد بن ثابت رضي الله عنه: أنزل على رسول الله ﷺ وفخذه على فخذي، فكادت ترضُّ فخذي[٥].

وقال الإمام أحمد: حدثنا قتيبة، حدثنا ابن لهيعة، عن يزيد بن أبي حبيب، عن عمرو بن الوليد، عن عبد الله بن عمرو قال: سألت النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله هل تحسُّ بالوحي؟ فقال رسول الله ﷺ: «أسمع صلاصل ثم أسكت عند ذلك، فما من مرة يوحى إليَّ إلا ظننت أن نفسي تقبض»[٦]. تفرد به أحمد.

وفي أول صحيح البخاري، عن عبد الله بن يوسف، عن مالك، عن هشام، عن أبيه، عن عائشة رضي الله عنها: أن الحارث بن هشام سأل رسول الله ﷺ: كيف يأتيك الوحي؟ فقال: «أحياناً يأتي في مثل صلصلة الجرس وهو أشده علي فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال، وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول» قالت عائشة: ولقد رأيته ينزل عليه الوحي ﷺ في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه، وإن جبينه ليتفصد عرقاً[٧]، هذا لفظه.

وقال الإمام أحمد: حدثنا سليمان بن داود، أخبرنا عبد الرحمٰن، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة رضي الله عنها قالت: إن كان ليوحى إلى رسول الله ﷺ وهو على راحلته فتضرب بجرانها[٨][٩].

وقال ابن جرير: حدثنا ابن عبد الأعلى، حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن هشام بن عروة، عن أبيه أن النبي ﷺ كان إذا أوحي إليه وهو على ناقته وضعت جرانها، فما تستطيع أن تحرك حتى يسرى عنه[١٠]. وهذا مرسل، الجِران هو باطن العنق، واختار ابن جرير أنه ثقيل من الوجهين معاً، كما قال عبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم، كما ثقل في الدنيا ثقل يوم القيامة في الموازين[١١].

---

(١) الهذّ: سرعة القراءة.

(٢) أخرجه البخاري بسنده ومتنه وزيادة (الصحيح، الأذان، باب الجمع بين السورتين في الركعة ح٧٧٥) ولقد ذكر الحافظ ابن حجر عدة روايات تفصح عن السور النظائر (فتح الباري ٢/ ٢٥٩).

(٣) أخرجه عبد الرزاق والطبري بسند صحيح من طريق معمر عن قتادة، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق أبي رجاء عن الحسن.

(٤) ورد بذلك عدة أحاديث ثابتة (ينظر: المسند ٤١/ ٣٦٢ ح٢٤٨٦٨) مع الحاشية.

(٥) تقدم تخريجه في تفسير سورة النساء آية ٩٥.

(٦) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه، وضعف سنده محققوه. (المسند ١١/ ٦٤٢ ح٧٠٧١).

(٧) تقدم تخريجه في تفسير سورة الشورىٰ آية (٥). (٨) بكسر الجيم أي: باطن العنق.

(٩) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٤١/ ٣٦٢ ح٢٤٨٦٨) وحسن سنده محققوه؛ وأخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي (المستدرك ٢/ ٥٠٥).

(١٠) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده مرسل ويشهد له سابقه.

(١١) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن عبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡـًٔا وَأَقۡوَمُ قِيلًا ۝٦﴾ قال أبو إسحاق: عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس: نشأ، قام بالحبشية[(١)].

وقال عمر وابن عباس وابن الزبير: الليل كله ناشئة[(٢)]، وكذا قال مجاهد[(٣)] وغير واحد، يقال نشأ إذا قام من الليل وفي رواية عن مجاهد: بعد العشاء، وكذا قال أبو مِجلز وقتادة وسالم وأبو حازم ومحمد بن المنكدر[(٤)].

والغرض أن ناشئة الليل هي ساعاته وأوقاته وكل ساعة منه تسمى ناشئة وهي الآنات، والمقصود أن قيام الليل هو أشد مواطأة بين القلب واللسان وأجمع على التلاوة، ولهذا قال تعالى: ﴿هِيَ أَشَدُّ وَطۡـًٔا وَأَقۡوَمُ قِيلًا﴾ أي: أجمع للخاطر في أداء القراءة وتفهمها من قيام النهار؛ لأنه وقت انتشار الناس ولغط الأصوات وأوقات المعاش.

وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي: حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري، حدثنا أبو أسامة، حدثنا الأعمش، أن أنس بن مالك قرأ هذه الآية ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئاً وَأَصْوَبُ قِيلاً﴾ فقال له رجل: إنما نقرؤها ﴿وَأَقۡوَمُ قِيلًا﴾، فقال له: إن أصوب وأقوم وأهيأ وأشباه هذا واحد[(٥)].

ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبۡحٗا طَوِيلٗا ۝٧﴾ قال ابن عباس وعكرمة وعطاء بن أبي مسلم: الفراغ والنوم[(٦)].

وقال أبو العالية ومجاهد وأبو مالك والضحاك والحسن وقتادة والربيع بن أنس وسفيان الثوري: فراغاً طويلاً[(٧)].

وقال قتادة: فراغاً وبغية ومتقلباً[(٨)].

وقال السدي: ﴿سَبۡحٗا طَوِيلٗا﴾ تطوعاً كثيراً.

وقال عبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم في قوله تعالى: ﴿إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبۡحٗا طَوِيلٗا ۝٧﴾ قال: لحوائجك فأفرغ لدينك الليل، قال: وهذا حين كانت صلاة الليل فريضة ثم إن الله تبارك وتعالى منّ على عباده فخففها ووضعها وقرأ: ﴿قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝٢﴾ إلى آخر الآية، ثم قرأ ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعۡلَمُ

---

(١) أخرجه الطبري بعدة أسانيد صحيحة من طريق أبي إسحاق به، وأخرجه ابن أبي شيبة بسند حسن من عمرو بن شرحبيل عن عبد الله بن مسعود (المصنف ٧/ ١٥٩).

(٢) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي مليكة عن ابن عباس.

(٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.

(٤) أخرجه الطبري والبيهقي (السنن الكبرى ٣/ ٢٠) بسند حسن من طريق سليمان التيمي عن أبي مِجلز، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن الحسن البصري.

(٥) أخرجه أبو يعلىٰ بسنده ومتنه (المسند ٧/ ٨٨ ح٤٠٢٢)؛ وسنده ضعيف لأن الأعمش لم يسمع من أنس؛ (جامع التحصل ص٢٢٨) وضعفه محقق مسند أبي يعلىٰ، والقراءة بلفظ «وأصوب» شاذة تفسيرية.

(٦) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي عن ابن عباس.

(٧) أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق منصور عن مجاهد.

(٨) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ﴾ حتى بلغ ﴿فَٱقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾ [المزمل: ٢٠] وقال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ۝٧٩﴾ [الإسراء][1] وهذا الذي قاله كما قاله.

والدليل عليه ما رواه الإمام أحمد في مسنده حيث قال: حدثنا يحيى، حدثنا سعيد وهو: ابن أبي عروبة، عن قتادة، عن زرارة بن أوفى، عن سعيد بن هشام أنه طلّق امرأته ثم ارتحل إلى المدينة ليبيع عقاراً له بها، ويجعله في الكراع والسلاح ثم يجاهد الروم حتى يموت، فلقي رهطاً من قومه فحدثوه أن رهطاً من قومه ستة أرادوا ذلك على عهد رسول الله ﷺ فقال: «أليس لكم فيّ أسوة حسنة؟» فنهاهم عن ذلك فأشهدهم على رجعتها، ثم رجع إلينا فأخبرنا أنه أتى ابن عباس فسأله عن الوتر فقال: ألا أنبئك بأعلم أهل الأرض بوتر رسول الله ﷺ؟ قال: نعم، قال: ائت عائشة فسلها ثم ارجع إليّ فأخبرني بردِّها عليك. قال: فأتيت على حكيم بن أفلح فاستلحقته إليها فقال: ما أنا بقاربها إني نهيتها أن تقول في هاتين الشيعتين شيئاً فأبت فيها إلا مضياً، فأقسمتُ عليه، فجاء معي فدخلنا عليها فقالت: حكيم؟ وعرفته. قال: نعم. قالت: من هذا الذي معك؟ قال: سعيد بن هشام. قالت: من هشام؟ قال: ابن عامر: قالت: فترحمت عليه وقالت: نعم المرء كان عامراً. قلت: يا أُم المؤمنين أنبئيني عن خلُق رسول الله ﷺ؟ قالت: ألست تقرأ القرآن؟ قلت: بلى. قالت: فإن خلُق رسول الله ﷺ كان القرآن، فهممت أن أقوم ثم بدا لي قيام رسول الله ﷺ، قلت: يا أُم المؤمنين أنبئيني عن قيام رسول الله ﷺ. قالت: ألست تقرأ هذه السورة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١﴾؟ قلت: بلى. قالت: فإن الله افترض قيام الليل في أول هذه السورة، فقام رسول الله ﷺ وأصحابه حولاً حتى انتفخت أقدامهم، وأمسك الله خاتمتها في السماء اثني عشر شهراً، ثم أنزل الله التخفيف في آخر هذه السورة، فصار قيام الليل تطوعاً من بعد فريضة.

فهممت أن أقوم ثم بدا لي وتر رسول الله ﷺ فقلت: يا أُم المؤمنين أنبئيني عن وتر رسول الله ﷺ قالت: كنا نعد له سواكه وطهوره فيبعثه الله لما شاء أن يبعثه من الليل، فيتسوك ثم يتوضأ ثم يصلي ثمان ركعات ولا يجلس فيهن إلا عند الثامنة، فيجلس ويذكر ربه تعالى ويدعو ثم ينهض وما يسلم، ثم يقول ليصلي التاسعة ثم يقعد فيذكر الله وحده ثم يدعوه ثم يسلم تسليماً يسمعنا، ثم يصلي ركعتين وهو جالس بعد ما يسلم، فتلك إحدى عشرة ركعة يا بني، فلما أسنَّ رسول الله ﷺ وأخذه اللحم أوتر بسبع ثم صلى ركعتين وهو جالس بعد ما يسلم فتلك تسع يا بني، وكان رسول الله ﷺ إذا صلى صلاة أحب أن يداوم عليها، وكان إذا شغله عن قيام الليل نوم أو وجع أو مرض صلى من النهار اثنتي عشرة ركعة، ولا أعلم نبي الله ﷺ قرأ القرآن كله في ليلة حتى أصبح، ولا صام شهراً كاملاً غير رمضان. فأتيت ابن عباس فحدثته بحديثها، فقال: صدقت أما لو كنت أدخل عليها لأتيتها حتى تشافهني مشافهة[2]، هكذا رواه الإمام أحمد بتمامه، وقد أخرجه مسلم في صحيحه من حديث قتادة بنحوه[3].

---

(١) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن عبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم.

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٤٠/ ٣١٤ ـ ٣١٦ ح٢٤٢٦٩) وقال محققوه: إسناده صحيح.

(٣) صحيح مسلم، صلاة المسافرين، باب جامع صلاة الليل (ح٧٤٦).

طريق أخرى عن عائشة رضي الله عنها في هذا المعنى:

قال ابن جرير: حدثنا ابن وكيع، حدثنا زيد بن الحباب، وحدثنا ابن حميد، حدثنا مهران قالا جميعاً، واللفظ لابن وكيع، عن موسى بن عبيدة، حدثني محمد بن طحلاء، عن أبي سلمة، عن عائشة رضي الله عنها قالت: كنت أجعل لرسول الله ﷺ حصيراً يصلي عليه من الليل فتسامع الناس به فاجتمعوا فخرج كالمغضب، وكان بهم رحيماً، فخشي أن يكتب عليهم قيام الليل فقال: «أيها الناس اكلفوا من الأعمال ما تطيقون فإن الله لا يملّ من الثواب حتى تملوا من العمل وخير الأعمال ما ديم عليه» ونزل القرآن ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ﴾ حتى كان الرجل يربط الحبل ويتعلق، فمكثوا بذلك ثمانية أشهر فرأى الله ما يبتغون من رضوانه فرحمهم فردَّهم إلى الفريضة وترك قيام الليل[١].

ورواه ابن أبي حاتم من طريق موسى بن عبيدة الربذي وهو ضعيف، والحديث في الصحيح بدون زيادة نزول هذه السورة، وهذا السياق قد يوهم أن نزول هذا السورة بالمدينة وليس كذلك، وإنما هي مكية وقوله في هذا السياق إن بين نزول أولها وآخرها ثمانية أشهر. غريب، فقد تقدم في رواية أحمد أنه كان بينهما سنة.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا أبو أسامة، عن مسعر، عن سماك الحنفي، سمعت ابن عباس يقول: أول ما نزل أول المزمل كانوا يقومون نحواً من قيامهم في شهر رمضان، وكان بين أولها وآخرها قريب من سنة[٢]، وهكذا رواه ابن جرير، عن أبي كريب، عن أبي أسامة به[٣].

وقال الثوري ومحمد بن بشر العبدي، كلاهما عن مسعر، عن سماك، عن ابن عباس: كان بينهما سنة[٤]، وروى ابن جرير، عن أبي كريب، عن وكيع، عن إسرائيل، عن سماك، عن عكرمة، عن ابن عباس مثله[٥].

وقال ابن جرير: حدثنا ابن حميد، حدثنا مهران، عن سفيان، عن قيس بن وهب، عن أبي عبد الرحمٰن قال: لما نزلت ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١﴾ قاموا حولاً حتى ورمت أقدامهم وسوقهم حتى نزلت ﴿فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾ [المزمل: ٢٠] قال: فاستراح الناس[٦]. وكذا قال الحسن البصري والسدي.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زرعة، حدثنا عبيد الله بن عمر القواريري، حدثنا معاذ بن هشام، حدثنا أبي، عن قتادة، عن زرارة بن أوفى، عن سعيد بن هشام قال: فقلت - يعني

---

(١) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده ضعيف لضعف موسى بن عبيدة، كما قرر الحافظ ابن كثير في رواية ابن أبي حاتم التالية، ويتقوىٰ برواية الشيخين فقد أخرجاه مختصراً دون ذكر الآية. (صحيح البخاري، الأذان، باب صلاة الليل ح٧٣٠)؛ وصحيح مسلم، صلاة المسافرين، باب فضيلة العمل الدائم.. ح٧٨٢).

(٢) سنده صحيح.

(٣) أخرجه الطبري عن أبي كريب به، وسنده صحيح. (٤) سنده صحيح.

(٥) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده صحيح.

(٦) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده مرسل ويشهد له ما سبق.

لعائشة ـ أخبرينا عن قيام رسول الله ﷺ. قالت: ألست تقرأ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ﴾؟ قلت: بلى، قالت: فإنها كانت قيام رسول الله ﷺ وأصحابه حتى انتفخت أقدامهم وحبس آخرها في السماء ستة عشر شهراً ثم نزل[١].

وقال معمر، عن قتادة: ﴿قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ قاموا حولاً أو حولين حتى انتفخت سوقهم وأقدامهم، فأنزل الله تخفيفها بعد في آخر السورة[٢].

وقال ابن جرير: حدثنا ابن حميد، حدثنا يعقوب القمي، عن جعفر، عن سعيد ـ هو: ابن جبير ـ قال: لما أنزل الله تعالى على نبيه ﷺ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١﴾ قال: مكث النبي ﷺ على هذه الحال عشر سنين يقوم الليل كما أمره، وكانت طائفة من أصحابه يقومون معه فأنزل الله تعالى عليه بعد عشر سنين ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ﴾ إلى قوله: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [المزمل: ٢٠] فخفف الله تعالى عنهم بعد عشر سنين[٣]، ورواه ابن أبي حاتم، عن أبيه، عن عمرو بن رافع، عن يعقوب القمي به[٤].

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝٣﴾ فشق ذلك على المؤمنين ثم خفف الله تعالى عنهم ورحمهم فأنزل بعد هذا ﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ﴾ [المزمل: ٢٠] فوسع الله تعالى وله الحمد ولم يضيّق[٥].

وقوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ۝٨﴾ أي: أكثر من ذكره وانقطع إليه وتفرغ لعبادته إذا فرغت من أشغالك وما تحتاج إليه من أمور دنياك كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧﴾ [الشرح] أي: إذا فرغت من أشغالك فانصب في طاعته وعبادته لتكون فارغ البال، قاله ابن زيد بمعناه أو قريب منه.

قال ابن عباس ومجاهد وأبو صالح وعطية والضحاك والسدي: ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ أي: أخلص له العبادة[٦].

وقال الحسن: اجتهد وأبتل إليه نفسك[٧].

---

(١) أخرجه مسلم من طريق قتادة به بلفظ: «حولاً. بدلاً من ستة عشر شهراً» (الصحيح، صلاة المسافرين، باب جامع صلاة الليل ح٧٤٦).

(٢) أخرجه عبد الرزاق والطبري بسند رجاله ثقات لكنه مرسل ويشهد لقوله: حولاً رواية مسلم السابقة.

(٣) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده ضعيف لإرساله وضعف ابن حميد وهو محمد بن حميد الرازي، وقد توبع كما سيأتي في رواية ابن أبي حاتم لكن تبقىٰ علة الإرسال.

(٤) سنده ضعيف لإرساله.

(٥) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق علي به.

(٦) أخرجه الطبري بسندين يقوي أحدهما الآخر ويتقوىٰ بما يليه، فقد أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة، وأخرجه عبد بن حميد (كما في تغليق التعليق ٤/٣٤٩) وابن أبي شيبة (المصنف ١٣/٥٦٩) بسند صحيح من طريق منصور عن مجاهد.

(٧) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق أشعث عن الحسن، وأشعث هو ابن سوار الكندي وهو ضعيف (التقريب ص١١٣ وتهذيب التهذيب ١/٣٥٢، ٣٥٣).

وقال ابن جرير: يقال للعابد: متبتل، ومنه الحديث المروي: نهى عن التبتل[(١)] يعني: الانقطاع إلى العبادة وترك التزوج.

وقوله تعالى: ﴿رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ⑨﴾ أي: هو المالك المتصرف في المشارق والمغارب الذي لا إله إلا هو، وكما أفردته بالعبادة فأفرده بالتوكل فاتخذه وكيلاً كما قال تعالى في الآية الأخرى: ﴿فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هود: ١٢٣] وكقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ⑤﴾ [الفاتحة] وآيات كثيرة في هذا المعنى فيها الأمر بإفراد العبادة والطاعة لله وتخصيصه بالتوكل عليه.

﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ⑩ وَذَرْنِي وَٱلْمُكَذِّبِينَ أُو۟لِي ٱلنَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ⑪ إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ⑫ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ⑬ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ⑭ إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ⑮ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا ⑯ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ⑰ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا ⑱﴾.

يقول تعالى آمراً رسوله ﷺ بالصبر على ما يقوله مَن كذَّبه من سفهاء قومه، وأن يهجرهم هجراً جميلاً، وهو الذي لا عتاب معه، ثم قال له متهدداً لكفار قومه ومتوعداً، وهو العظيم الذي لا يقوم لغضبه شيء ﴿وَذَرْنِي وَٱلْمُكَذِّبِينَ أُو۟لِي ٱلنَّعْمَةِ﴾ أي: دعني والمكذبين المترفين أصحاب الأموال فإنهم على الطاعة أقدر من غيرهم وهم يطالبون من الحقوق بما ليس عند غيرهم ﴿وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا﴾ أي: رويداً كما قال: ﴿نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ㉔﴾ [لقمان]، ولهذا قال هٰهنا: ﴿إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا﴾ وهي القيود. قاله ابن عباس وعكرمة وطاوس ومحمد بن كعب وعبد الله بن بريدة وأبو عمران الجوني وأبو مجلز والضحاك وحماد بن أبي سليمان وقتادة والسدي وابن المبارك والثوري وغير واحد[(٢)].

﴿وَجَحِيمًا﴾ وهي السعير المضطرمة ﴿وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ﴾ قال ابن عباس: ينشب في الحلق فلا يدخل ولا يخرج[(٣)].

﴿وَعَذَابًا أَلِيمًا يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ﴾ أي: تزلزل ﴿وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا﴾ أي: تصير ككثبان الرمل بعد ما كانت حجارة صماء ثم إنها تنسف نسفاً فلا يبقى منها شيء إلا ذهب حتى تصير

---

(١) ذكره الطبري بنحوه والحديث أخرجه البخاري من حديث سعد بن أبي وقاص ﷺ (الصحيح، النكاح، باب ما يكره من التبتل ح٥٠٧٤).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (المصنف ٨/٢٨٨)؛ والطبري بسند جيد من طريق أبي عمرو الملائي عن عكرمة؛ وأخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند حسن من طريق مبارك، وهو ابن فضالة، عن الحسن البصري؛ وأخرجه أبو نعيم بسند حسن من طريق منصور عن مجاهد (حلية الأولياء ٣/٢٩٨)؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق الثوري عن حماد؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٣) أخرجه الطبري والحاكم بسند حسن من طريق شبيب بن بشر عن عكرمة عن ابن عباس؛ وصححه الحاكم وتعقبه الذهبي بقوله: شبيب ضعفوه. (المستدرك ٢/٥٠٤).

الأرض قاعاً صفصفاً لا ترى فيها عوجاً؛ أي: وادياً ولا أمتاً، أي: رابية، ومعناه: لا شيء ينخفض ولا شيء يرتفع.

ثم قال تعالى مخاطباً لكفار قريش والمراد سائر الناس: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ﴾ أي: بأعمالكم ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾﴾ قال ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدي والثوري: ﴿أَخْذًا وَبِيلًا﴾ أي: شديداً[(١)]؛ أي: فاحذروا أنتم أن تكذبوا هذا الرسول فيصيبكم ما أصاب فرعون، حيث أخذه الله أخذ عزيز مقتدر كما قال تعالى: ﴿فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْآخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ﴿٢٥﴾﴾ [النازعات] وأنتم أولى بالهلاك والدمار إن كذبتم رسولكم؛ لأن رسولكم أشرف وأعظم من موسى بن عمران، ويروى عن ابن عباس ومجاهد.

وقوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ﴿١٧﴾﴾ يحتمل أن يكون يوماً معمولاً لتتقون كما حكاه ابن جرير عن قراءة ابن مسعود «فكيف تخافون أيها الناس يوماً يجعل الولدان شيباً» إن كفرتم بالله ولم تصدقوا به[(٢)]؟ ويحتمل أن يكون معمولاً لكفرتم فعلى الأول كيف يحصل لكم أمان من يوم هذا الفزع العظيم إن كفرتم؟ وعلى الثاني كيف يحصل لكم تقوى إن كفرتم يوم القيامة وجحدتموه؟ وكلاهما معنى حسن، ولكن الأول أولى، والله أعلم.

ومعنى قوله: ﴿يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا﴾ أي: من شدة أهواله وزلازله وبلابله، وذلك حين يقول الله تعالى لآدم: ابعث بعث النار. فيقول: من كم؟ فيقول: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون إلى النار وواحد إلى الجنة.

قال الطبراني: حدثنا يحيى بن أيوب العلاف، حدثنا سعيد بن [أبي مريم][(٣)]، حدثنا نافع بن يزيد، حدثنا عثمان بن عطاء الخراساني، عن أبيه، عن عكرمة، عن ابن عباس ﷺ أن رسول الله ﷺ قرأ ﴿يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا﴾ قال: «ذلك يوم القيامة وذلك يوم يقول الله لآدم: قم فابعث من ذريتك بعثاً إلى النار، قال: من كم يا رب؟ قال من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون وينجو واحد». فاشتد ذلك على المسلمين وعرف ذلك رسول الله ﷺ ثم قال: حين أبصر ذلك في وجوههم «إن بني آدم كثير، وإن يأجوج ومأجوج من ولد آدم، وإنه لا يموت منهم رجل [حتى يُرىٰ][(٤)] لصلبه ألف رجل ففيهم وفي أشباههم جُنة لكم»[(٥)]. هذا حديث غريب وقد تقدم في أول سورة الحج ذكر هذه [الأحاديث][(٦)].

---

(١) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد؛ وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة.

(٢) ذكره الطبري تعليقاً وهي قراءة شاذة تفسيرية.

(٣) كذا في (حم) و(ح)، وفي الأصل صُحف إلى: «هزيم».

(٤) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل بياض.

(٥) أخرجه الطبراني (المعجم الكبير ١١/٣٦٦ ح١٢٠٣٤)، وسنده ضعيف لضعف عثمان بن عطاء الخراساني، (ينظر مجمع الزوائد ٧/ ١٣٠)، والتقريب ص٣٨٥ وعطاء الخراساني اختلط.

(٦) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل بياض.

وقوله تعالى: ﴿ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرُۢ بِهِۦ﴾ قال الحسن وقتادة: أي بسببه من شدته وهوله[١].

ومنهم من يعيد الضمير على الله تعالى: [ويروىٰ عن ابن عباس ومجاهد][٢][٣] وليس بقوي؛ لأنه لم يجر له ذكر ههنا.

وقوله تعالى: ﴿كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا﴾ أي: كان وعد هذا اليوم مفعولاً؛ أي: واقعاً لا محالة وكائناً لا محيد عنه.

﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿١٩﴾ ۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴿٢٠﴾﴾.

يقول تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ﴾ أي: السورة ﴿تَذْكِرَةٌ﴾ أي: يتذكر بها أولو الألباب، ولهذا قال تعالى: ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾ أي: ممن شاء الله تعالى هدايته كما قيده في السورة الأخرى ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾﴾ [الإنسان].

ثم قال: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ﴾ أي: تارة هكذا وتارة هكذا، وذلك كله من غير قصد منكم ولكن لا تقدرون على المواظبة على ما أمركم به من قيام الليل؛ لأنه يشق عليكم؛ ولهذا قال: ﴿وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ﴾ أي: تارة يعتدلان وتارة يأخذ هذا من هذا وهذا من هذا.

﴿عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ﴾ أي: الفرض الذي أوجبه عليكم ﴿فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ﴾ أي: من غير تحديد بوقت؛ أي: ولكن قوموا من الليل ما تيسر، وعبَّر عن الصلاة بالقراءة كما قال في سورة سبحان ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ﴾ [الإسراء: ١١٠] أي: بقراءتك ﴿وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ [الإسراء: ١١٠].

وقد استدل أصحاب الإمام أبي حنيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ بهذه الآية وهي قوله: ﴿فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ﴾ على أنه لا يجب تعين قراءة الفاتحة في الصلاة بل لو قرأ بها أو بغيرها من القرآن ولو بآية، أجزأه واعتضدوا بحديث المسيء صلاته الذي في الصحيحين: «ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن»[٤] وقد أجابهم الجمهور بحديث عبادة بن الصامت وهو في الصحيحين أيضاً أن

---

(١) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق أبي رجاء عن الحسن بلفظ: «موقرة مثقلة»؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة بلفظ: «مثقلة يوم القيامة».

(٢) زيادة من (حم).

(٣) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي عن ابن عباس بلفظ: «تشقق السماء حين ينزل الرحمٰن جلَّ وعزَّ»؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد بلفظ: «مثقلة به».

(٤) أخرجه الشيخان من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.(صحيح البخاري، باب أمر النبي ﷺ الذي لا يتم ركوعه بالإعادة ح٧٩٣؛ وصحيح مسلم، الأذان، باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة ح٣٩٧).

رسول الله ﷺ قال: «لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب»[١]، وفي صحيح مسلم، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «كل صلاة لا يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج فهي خداج غير تمام»[٢] وفي صحيح ابن خزيمة، عن أبي هريرة مرفوعاً: «لا تجزئ صلاة من لم يقرأ بأم القرآن»[٣].

وقوله تعالى: ﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: علم أن سيكون من هذه الأمة ذوو أعذار في ترك قيام الليل من مرضى لا يستطيعون ذلك، ومسافرين في الأرض يبتغون من فضل الله في المكاسب والمتاجر، وآخرين مشغولين بما هو الأهم في حقهم من الغزو في سبيل الله، وهذه الآية بل السورة كلها مكية ولم يكن القتال شرع بعد، فهي من أكبر دلائل النبوة لأنه من باب الإخبار بالمغيبات المستقبلة، ولهذا قال تعالى: ﴿فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾ أي: قوموا بما تيسر عليكم منه.

قال ابن جرير: حدثنا يعقوب، حدثنا ابن علية، عن أبي رجاء محمد، قال: قلت للحسن: يا أبا سعيد ما تقول في رجل قد استظهر القرآن كله عن ظهر قلبه ولا يقوم به إنما يصلي المكتوبة؟ قال: يتوسد القرآن لعن الله ذاك، قال الله تعالى للعبد الصالح: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ﴾ [يوسف: ٦٨] ﴿وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ﴾ [الأنعام: ٩١] قلت: يا أبا سعيد، قال الله تعالى: ﴿فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ﴾ قال: نعم ولو خمس آيات[٤].

وهذا ظاهر من مذهب الحسن البصري أنه كان يرى حقاً واجباً على حملة القرآن أن يقوموا ولو بشيء منه في الليل، ولهذا جاء في الحديث أن رسول الله ﷺ سئل عن رجل نام حتى أصبح، فقال: «ذاك رجل بال الشيطان في أذنه»[٥] فقيل معناه نام عن المكتوبة، وقيل: عن قيام الليل، وفي السنن «أوتروا يا أهل القرآن»[٦]، وفي الحديث الآخر: «من لم يوتر فليس منا»[٧] وأغرب من هذا ما حكي عن أبي بكر بن عبد العزيز من الحنابلة من إيجابه قيام شهر رمضان، فالله أعلم.

وقال الطبراني: حدثنا أحمد بن سعيد فرقد [الجدي]، حدثنا أبو أحمد محمد بن يوسف الزبيدي، حدثنا عبد الرحمٰن، عن محمد بن عبد الله بن طاوس من ولد طاوس، عن أبيه، عن

---

(١) تقدم تخريجه في فضل سورة الفاتحة. (٢) تقدم تخريجه في فضل سورة الفاتحة.

(٣) تقدم تخريجه في فضل سورة الفاتحة.

(٤) أخرجه الطبري بسنده بلفظ: «ولو خمسين آية». وسنده صحيح.

(٥) أخرجه الشيخان من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.
(صحيح البخاري، التهجد، باب إذا نام ولم يصلِّ بال الشيطان في أُذنه ح١١٤٤)؛ وصحيح مسلم، صلاة المسافرين، باب ما روي فيمن نام الليل أجمع حتىٰ أصبح ح٧٧٤).

(٦) أخرجه أبو داود من حديث علي رضي الله عنه، السنن، الصلاة، باب استحباب الوتر (ح١٤١٦)؛ وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح١٢٥٦).

(٧) أخرجه أبو داود من حديث بُريدة رضي الله عنه (السنن، الصلاة، باب فيمن لم يوتر ح١٤١٩)؛ وضعفه الألباني في ضعيف سنن أبي داود؛ وأخرجه الحاكم وصححه وتعقبه الذهبي بأن أبا المنيب العتكي عنده مناكير. (المستدرك ١/ ٣٠٥).

طاوس، عن ابن عباس، عن النبي ﷺ: ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾ قال: «مائة آية»[١]. وهذا حديث غريب جداً لم أره إلا في معجم الطبراني رحمه الله تعالى.

وقوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا الزَّكَوٰةَ﴾ أي: أقيموا صلاتكم الواجبة عليكم وآتوا الزكاة المفروضة، وهذا يدل لمن قال إن فرض الزكاة نزل بمكة لكن مقادير النصب والمخرج لم تبين إلا بالمدينة والله أعلم.

وقد قال ابن عباس وعكرمة ومجاهد والحسن وقتادة وغير واحد من السلف: إن هذه الآية نَسخت الذي كان الله قد أوجبه على المسلمين أولاً من قيام الليل[٢]، واختلفوا في المدة التي بينهما على أقوال كما تقدم، وقد ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال لذلك الرجل: «خمس صلوات في اليوم والليلة» قال: هل عليَّ غيرها؟ قال: «لا إلا أن تطوع»[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ يعني: من الصدقات، فإن الله يجازي على ذلك أحسن الجزاء وأوفره، كما قال تعالى: ﴿مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ [البقرة: ٢٤٥] وقوله تعالى: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾ أي: جميع ما تقدموه بين أيديكم فهو لكم حاصل وهو خير مما أبقيتموه لأنفسكم في الدنيا.

وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي: حدثنا أبو خيثمة، حدثنا جرير، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن الحارث بن سويد قال: قال عبد الله: قال رسول الله ﷺ: «أيكم ماله أحب إليه من مال وارثه؟» قالوا: يا رسول الله ما منا من أحد إلا ماله أحب إليه من مال وارثه قال: «اعلموا ما تقولون» قالوا: ما نعلم إلا ذلك يا رسول الله؟ قال: «إنما مال أحدكم ما قدم ومال وارثه ما أخر»[٤]. ورواه البخاري من حديث حفص بن غياث والنسائي من طريق أبي معاوية كلاهما عن الأعمش به[٥].

ثم قال تعالى: ﴿وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ أي: أكثروا من ذكره واستغفاره في أموركم كلها فإنه غفور رحيم لمن استغفره.

آخر تفسير سورة المزمل، ولله الحمد والمنة، وصلواته وسلامه على خير خلقه محمد وآله وصحبه.

---

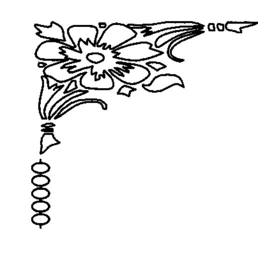
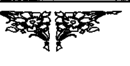
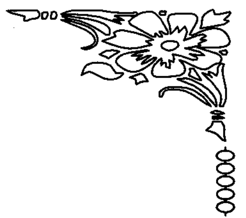
(١) أخرجه الطبراني (المعجم الكبير ١١/ ٢٩ ح١٠٩٤٠) وقال الهيثمي فيه عبد الرحمٰن بن طاوس، ولم أعرفه (مجمع الزوائد ٧/ ١٣٣).

(٢) أخرجه ابن الجوزي بسند حسن من طريق عكرمة عن ابن عباس، وأخرجه أيضاً بسند حسن من طريق مبارك، وهو ابن فضالة، عن الحسن، وهو مرسل ويتقوىٰ بسابقه (نواسخ القرآن ص٤٩٦ ـ ٤٩٨).

(٣) صحيح البخاري، الإيمان، باب الزكاة من الإسلام (ح٤٦)؛ وصحيح مسلم، الإيمان، باب بيان الصلوات التي هي أحد أركان الإسلام (ح١١).

(٤) أخرجه أبو يعلىٰ بسنده ومتنه (المسند ٩/ ٩٧ ح٥١٦٣) وسنده صحيح.

(٥) صحيح البخاري، الرقاق، باب ما قدم من ماله فهو له (ح٦٤٤٢)؛ وسنن النسائي، الوصايا، باب الكراهية في تأخير الوصية ٦/ ٢٣٧.

سورة المدثر

وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنذِرْ (٢) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (٣) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (٤) وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ (٥) وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ (٦) وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ (٧) فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ (٨) فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ (٩) عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ (١٠)﴾.

ثبت في صحيح البخاري من حديث يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلمة، عن جابر أنه كان يقول: أول شيء نزل من القرآن ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١)﴾. وخالفه الجمهور فذهبوا إلى أن أول القرآن نزولاً قوله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١)﴾ [العلق] كما سيأتي ذلك هنالك إن شاء الله تعالى.

قال البخاري: حدثنا يحيى، حدثنا وكيع، عن علي بن المبارك، عن يحيى بن أبي كثير قال: سألت أبا سلمة بن عبد الرحمٰن عن أول ما نزل من القرآن فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١)﴾ قلت: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١)﴾؟ فقال أبو سلمة: سألت جابر بن عبد الله عن ذلك وقلت له مثل ما قلت لي فقال جابر: لا أحدثك إلا ما حدثنا رسول الله ﷺ قال: «جاوزت بحراء فلما قضيت جواري هبطت فنوديت، فنظرت عن يميني فلم أرَ شيئاً، ونظرت عن شمالي فلم أر شيئاً، ونظرت أمامي فلم أر شيئاً، ونظرت خلفي فلم أر شيئاً، فرفعت رأسي فرأيت شيئاً، فأتيت خديجة فقلت: دثروني وصبوا عليّ ماء بارداً، قال: فدثروني وصبُّوا عليَّ ماء بارداً، قال: فنزلت: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنذِرْ (٢) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (٣)﴾»[١]. هكذا ساقه من هذا الوجه. وقد رواه مسلم[٢] من طريق عقيل، عن ابن شهاب، عن أبي سلمة قال: أخبرني جابر بن عبد الله أنه سمع رسول الله ﷺ يحدث عن فترة الوحي فقال في حديثه: «فبينا أنا أمشي إذ سمعت صوتاً من السماء، فرفعت بصري قبل السماء، فإذا الملك الذي جاءني بحراء قاعد على كرسي بين السماء والأرض فجئثت منه حتى هويت إلى الأرض، فجئت إلى أهلي فقلت: زملوني زملوني فزملوني، فأنزل الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنذِرْ (٢)﴾ إلى ﴿فَاهْجُرْ﴾ قال أبو سلمة: والرجز: الأوثان. ثم حمي الوحي وتتابع» هذا لفظ البخاري[٣]، وهذا السياق هو المحفوظ وهو يقتضي أنه قد نزل الوحي قبل هذا

(١) أخرجه البخاري بسنده ومتنه (الصحيح، التفسير، سورة المدثر، باب رقم ١ (ح٤٩٢٢).
(٢) صحيح مسلم، الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ (ح٢٥٦).
(٣) أخرجه البخاري عن عبد الله بن يوسف عن الليث عن عقيل به. (الصحيح، التفسير، باب ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ (٥)﴾ [المدثر] ح٤٩٢٦).

لقوله: «فإذا الملك الذي جاءني بحراء» وهو جبريل حين أتاه بقوله: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾ [العلق]، ثم إنه حصل بعد هذا فترة ثم نزل الملك بعد هذا.

ووجه الجمع أن أول شيء نزل بعد فترة الوحي هذه السورة، كما قال الإمام أحمد[١]: حدثنا حجاج، حدثنا ليث، حدثنا عقيل، عن ابن شهاب قال: سمعت أبا سلمة بن عبد الرحمٰن يقول: أخبرني جابر بن عبد الله أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «ثم فتر الوحي عني فترة فبينا أنا أمشي سمعت صوتاً من السماء، فرفعت بصري قبل السماء فإذا الملك الذي جاءني قاعد على كرسي بين السماء والأرض فجثيت منه فرقاً حتى هويت إلى الأرض، فجئت أهلي فقلت لهم زملوني زملوني فزملوني، فأنزل الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥﴾ ثم حمي الوحي وتتابع» أخرجاه من حديث الزهري به[٢].

وقال الطبراني: حدثنا محمد بن علي بن شعيب السمسار، حدثنا الحسن بن بشر البجلي، حدثنا المعافى بن عمران، عن إبراهيم بن يزيد: سمعت ابن أبي مُليكة يقول: سمعت ابن عباس يقول: إن الوليد بن المغيرة صنع لقريش طعاماً، فلما أكلوا منه قال: ما تقولون في هذا الرجل؟ فقال بعضهم: ساحر، وقال بعضهم: ليس بساحر، وقال بعضهم: كاهن، وقال بعضهم: ليس بكاهن، وقال بعضهم: شاعر، وقال بعضهم: ليس بشاعر، وقال بعضهم: بل سحر يؤثر، فأجمع رأيهم على أنه سحر يؤثر، فبلغ ذلك النبي ﷺ فحزن وقنع رأسه وتدثر، فأنزل الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ۝٧﴾[٣].

وقوله تعالى: ﴿قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢﴾ أي: شمِّر عن ساق العزم وأنذر الناس، وبهذا حصل الإرسال كما حصل بالأول النبوة.

﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣﴾ أي: عظم.

وقوله تعالى: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤﴾ قال الأجلح الكندي، عن عكرمة، عن ابن عباس أنه أتاه رجل فسأله عن هذه الآية ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤﴾ قال: لا تلبسها على معصية ولا على غدرة. ثم قال: أما سمعت قول غيلان بن سلمة الثقفي:

فإني بحمد اللّه لا ثوب فاجر لبست ولا من غدرة أتقنّع[٤]

وقال [ابن جريج][٥]: عن عطاء، عن ابن عباس في الآية ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤﴾ قال: في كلام العرب نقي الثياب وفي رواية بهذا الإسناد فطهر من الذنوب[٦]، وكذا قال إبراهيم

---

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٣/ ٣٢٥)، وسنده صحيح.
(٢) انظر المصدرين السابقين من الصحيحين.
(٣) أخرجه الطبراني (المعجم الكبير ١١/ ١٢٥ ح١١٢٥٠)، وسنده ضعيف جداً لأن إبراهيم بن يزيد الخوزي متروك. (مجمع الزوائد ٧/ ١٣٤).
(٤) أخرجه الطبري بعدة أسانيد من طريق الأجلح به، وسنده حسن، وله شواهد تقويه كما يلي.
(٥) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل صحف إلى: ابن جرير.
(٦) أخرجه الطبري من طريق عن ابن جريج به، وسنده حسن.

والشعبي وعطاء[(١)].

وقال الثوري، عن رجل، عن عطاء، عن ابن عباس في هذه الآية: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤﴾ قال: من الإثم[(٢)]، وكذا قال إبراهيم النخعي. وقال مجاهد: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤﴾ قال: نفسك ليس ثيابك، وفي رواية عنه ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤﴾ أي: عملك فأصلح[(٣)]، وكذا قال أبو رزين[(٤)]، وقال في رواية أخرى: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤﴾ أي: لست بكاهن ولا ساحر فأعرض عما قالوا[(٥)].

وقال قتادة: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤﴾ أي: طهرها من المعاصي، وكانت العرب تسمي الرجل إذا نكث ولم يفِ بعهد الله: إنه لدنس الثياب، وإذا وفَّى وأصلح إنه لمطهَّرُ الثياب[(٦)].

وقال عكرمة والضحاك: لا تلبسها على معصية[(٧)]. وقال الشاعر[(٨)]:

إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه ... فكل رداء يرتديه جميل

وقال العوفي، عن ابن عباس: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤﴾ يعني: لا تكن ثيابك التي تلبس من مكسب غير طائب، ويقال: لا تلبس ثيابك على معصية[(٩)].

وقال محمد بن سيرين: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤﴾ أي: اغسلها بالماء[(١٠)].

وقال ابن زيد: وكان المشركون لا يتطهرون فأمره الله أن يتطهر وأن يطهر ثيابه[(١١)]، وهذا القول اختاره ابن جرير، وقد تشمل الآية جميع ذلك مع طهارة القلب، فإن العرب تطلق الثياب عليه كما قال امرؤ القيس:

أفاطم مهلاً بعض هذا التدلل ... وإن كنت قد أزمعت هجري فأجملي

إن تك قد ساءتك مني خليقة ... فسلي ثيابي من ثيابك تنسل[(١٢)]

وقال سعيد بن جبير: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤﴾ وقلبك ونيتك فطهره[(١٣)].

---

(١) أخرجه الطبري بعدة أسانيد يقوي بعضها بعضاً من طريق مغيرة عن إبراهيم.

(٢) سنده ضعيف لإبهام الراوي عن عطاء، ويتقوى بما سبق وأخرجه الحاكم من طريق سفيان عن ابن جريج عن عطاء به، وصححه ووافقه الذهبي (المستدرك ٢/٥٠٦).

(٣) أخرجه الطبري بسند فيه شيخ الطبري وهو: يحيىٰ بن طلحة اليربوعي: لين الحديث. (التقريب ص٥٩٢) ولكنه قد توبع بواسطة سعيد بن منصور وعبد بن حميد إذا عزاه السيوطي إليهما، وهما من طبقة شيوخ الطبري.

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة بسند صحيح من طريق منصور عن أبي رزين. (المصنف ٨/٢١٧).

(٥) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.

(٦) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة.

(٧) أخرجه الطبري وابن عبد البر. (التمهيد ٢٢/٢٣٦) بسند حسن من طريق الأجلح الكندي عن عكرمة، وأخرجه الطبري بسند ضعيف فيه إبهام شيخه.

(٨) هو: دكين بن رجاء، واستشهد به ابن قتيبة. (الشعر والشعراء ٢/٦١٢).

(٩) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به. ويشهد له ما سبق.

(١٠) أخرجه الطبري من طريق ابن عون عن محمد بن سيرين، وبعض رجاله لم أقف على ترجمة لهم.

(١١) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

(١٢) ديوان امرئ القيس ص٣٧.

(١٣) ذكره البغوي تعليقاً. (معالم التنزيل ٤/٤١٣).

وقال محمد بن كعب القرظي والحسن البصري: وخلقك فحسن(١).

وقوله تعالى: ﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥﴾ قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: والرجز وهو الأصنام فاهجر(٢)، وكذا قال مجاهد وعكرمة وقتادة والزهري وابن زيد: إنها الأوثان(٣).

وقال إبراهيم والضحاك: ﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥﴾ أي: اترك المعصية(٤)، وعلى كل تقدير فلا يلزم تلبسه بشيء من ذلك كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ [الأحزاب: ١] ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٢].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦﴾ قال ابن عباس: لا تعط العطية تلتمس أكثر منها(٥)، وكذا قال عكرمة ومجاهد وعطاء وطاوس وأبو الأحوص وإبراهيم النخعي والضحاك وقتادة والسدي وغيرهم(٦).

وروي عن ابن مسعود أنه قرأ: «ولا تمنن أن تستكثر»(٧).

وقال الحسن البصري: لا تمنن بعملك على ربك تستكثره(٨)، وكذا قال الربيع بن أنس(٩)، واختاره ابن جرير.

وقال خصيف، عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦﴾ قال: لا تَضعُف أن تستكثر من الخير، قال: تمنن في كلام العرب: تَضعُف(١٠).

وقال ابن زيد: لا تمنن بالنبوة على الناس تستكثرهم بها تأخذ عليه عوضاً من الدنيا(١١). فهذه أربعة أقوال، والأظهر القول الأول، والله أعلم.

وقوله تعالى: ﴿وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ۝٧﴾ أي: اجعل صبرك على أذاهم لوجه ربك ﷻ. قاله مجاهد(١٢).

---

(١) ذكره البغوي تعليقاً. (معالم التنزيل ٤/ ٤١٣).

(٢) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة به.

(٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

(٤) أخرجه الطبري عن إبراهيم بسند فيه ابن حميد شيخ الطبري، وهو محمد بن حميد الرازي وهو ضعيف وقد تابعه عبد بن حميد وسعيد بن منصور كما عزاه السيوطي إليهما، وهما من طبقة شيوخ الطبري، وأخرجه الطبري بسند ضعيف عن الضحاك فيه إبهام شيخ الطبري.

(٥) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي عن ابن عباس، ويتقوى بما يليه.

(٦) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق أبي رجاء عن عكرمة، وأخرجه ابن أبي شيبة بسند صحيح من طريق منصور عن إبراهيم. (المصنف ٥/ ٣١٩). وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سلمة ـ وهو ابن نبيط ـ عن الضحاك، وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.

(٧) ذكره الطبري تعليقاً، وهي قراءة شاذة تفسيرية.

(٨) أخرجه ابن أبي شيبة بسند صحيح من طريق سفيان بن حسين عن الحسن البصري. (المصنف ٥/ ٣١٩).

(٩) أخرجه الطبري بسند جيد من طريق أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس.

(١٠) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق خصيف عن مجاهد، وخُصيف: سيئ الحفظ.

(١١) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

(١٢) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.

وقال إبراهيم النخعي: اصبر عطيتك لله ﷻ[١].

وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ ﴿٨﴾ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴿١٠﴾﴾ قال ابن عباس ومجاهد والشعبي وزيد بن أسلم والحسن وقتادة والضحاك والربيع بن أنس والسدي وابن زيد: ﴿ٱلنَّاقُورِ﴾ الصور[٢].

قال مجاهد: وهو كهيئة القرن[٣].

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا أسباط بن محمد، عن مطرف، عن عطية العوفي، عن ابن عباس ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ ﴿٨﴾﴾ فقال: قال رسول الله ﷺ: «كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن وحنى جبهته ينتظر متى يؤمر فينفخ؟» فقال: قال أصحاب رسول الله ﷺ: فما تأمرنا يا رسول الله؟ قال: «قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا». وهكذا رواه الإمام أحمد عن أسباط به، ورواه ابن جرير عن أبي كريب، عن ابن فضيل وأسباط كلاهما عن مطرف به، ورواه من طريق أخرى عن العوفي عن ابن عباس به[٤].

وقوله تعالى: ﴿فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾﴾ أي: شديد ﴿عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴿١٠﴾﴾ أي: غير سهل عليهم كما قال تعالى: ﴿يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾ [القمر: ٨]، وقد روينا عن زُرارة بن أوفى قاضي البصرة أنه صلى بهم الصبح، فقرأ هذه السورة فلما وصل إلى قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ ﴿٨﴾ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴿١٠﴾﴾ شهق شهقة ثم خرَّ ميتاً رحمه الله[٥].

﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّآ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ لِءَايَٰتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴿١٧﴾ إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِى وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾﴾.

يقول تعالى متوعداً لهذا الخبيث الذي أنعم الله عليه بنعم الدنيا فكفر بأنعم الله وبدلها كفراً وقابلها بالجحود بآيات الله والافتراء عليها، وجعلها من قول البشر، وقد عدَّد الله عليه نعمه حيث قال تعالى: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾﴾ أي: خرج من بطن أمه وحده لا مال له ولا ولد ثم رزقه الله تعالى: ﴿مَالًا مَّمْدُودًا﴾ أي: واسعاً كثيراً قيل: ألف دينار[٦]، وقيل: مائة ألف دينار،

---

(١) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق مغيرة عن إبراهيم.

(٢) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق أبي رجاء عن عكرمة، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد، وأخرجه الطبري بسند جيد من طريق أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس.

(٣) أخرجه الطبري بالسند الصحيح المتقدم عن مجاهد.

(٤) تقدم تخريجه في تفسير سورة آل عمران آية ١٧٣.

(٥) أخرجه أبو نعيم (الحلية ٢/٢٥٨) والحاكم وصححه ووافقه الذهبي. (المستدرك ٢/٥٠٦).

(٦) أخرجه الطبري بسندين مرسلين عن مجاهد وسعيد بن جبير، وهذان المرسلان يقوي أحدهما الآخر.

وقيل: أرضاً يستغلها[١]، وقيل غير ذلك وجعل له ﴿وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾﴾.

قال مجاهد: لا يغيبون؛ أي: حضوراً عنده لا يسافرون بالتجارات بل مواليهم وأجراؤهم يتولون ذلك عنهم، وهم قعود عند أبيهم يتمتع بهم ويتملى بهم، وكانوا فيما ذكره السدي وأبو مالك وعاصم بن عمر بن قتادة: ثلاثة عشر.

وقال ابن عباس ومجاهد: كانوا عشرة[٢]. وهذا أبلغ في النعمة وهو إقامتهم عنده ﴿وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾﴾ أي: مكنته من صنوف المال والأثاث وغير ذلك.

﴿ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّآ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ لِـَٔايَـٰتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾﴾ أي: معانداً وهو الكفر على نعمه بعد العلم قال الله تعالى: ﴿سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴿١٧﴾﴾.

قال الإمام أحمد: حدثنا حسن، حدثنا ابن لهيعة، عن درَّاج، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد، عن رسول الله ﷺ قال: «ويل: وادٍ في جهنم يهوي فيه الكافر أربعين خريفاً، قبل أن يبلغ قعره، والصعود: جبل من نار يتصعد فيه الكافر سبعين خريفاً، ثم يهوي به كذلك فيه أبداً»[٣]. وقد رواه الترمذي عن عبد بن حميد، عن الحسن بن موسى الأشيب به، ثم قال: غريب لا نعرفه إلا من حديث ابن لهيعة عن دراج، كذا قال، وقد رواه ابن جرير عن يونس، عن عبد الله بن وهب، عن عمرو بن الحارث، عن درَّاج[٤]. وفيه غرابة ونكارة.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زرعة وعلي بن عبد الرحمٰن المعروف بعلَّان المقري قال: حدثنا منجاب، أخبرنا شريك، عن عمار الدهني، عن عطية العوفي، عن أبي سعيد عن النبي ﷺ ﴿سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴿١٧﴾﴾ قال: «هو جبل في النار من نار يكلف أن يصعده، فإذا وضع يده ذابت، وإذا رفعها عادت، فإذا وضع رجله ذابت وإذا رفعها عادت»[٥]. ورواه البزار وابن جرير من حديث شريك به[٦].

وقال قتادة، عن ابن عباس: ﴿صَعُودًا﴾ صخرة في جهنم يسحب عليها الكافر على وجهه[٧].

وقال السدي: صعوداً صخرة ملساء في جهنم يكلف أن يصعدها.

وقال مجاهد: ﴿سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴿١٧﴾﴾ أي: مشقة من العذاب[٨].

وقال قتادة: عذاباً لا راحة فيه[٩]، واختاره ابن جرير.

---

(١) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق شعبة عن النعمان بن سالم بلفظ: «الأرض».

(٢) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق إسماعيل بن إبراهيم عن أبيه عن مجاهد، وإسماعيل بن إبراهيم هو ابن مهاجر وهو ضعيف. (التقريب ص١٠٥).

(٣) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه. (المسند ٣/ ٧٥)، وسنده ضعيف لضعف رواية دراج عن أبي الهيثم.

(٤) سنن الترمذي، صفة جهنم، باب ما جاء في صفة قعر جهنم (ح٢٥٧٩) وتفسير الطبري، وسنده ضعيف كسابقه.

(٥) سنده ضعيف لاختلاط شريك وضعف عطية العوفي.

(٦) أخرجه الطبري، وأعله الهيثمي بعطية. (مجمع الزوائد ٧/ ١٣٤).

(٧) سنده ضعيف لأن قتادة لم يسمع من ابن عباس، وعزاه البغوي إلىٰ الكلبي بنحوه. (معالم التنزيل ٤/ ٤١٥).

(٨) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.

(٩) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ۝١٨﴾ أي: إنما أرهقناه صعوداً؛ أي: قربناه من العذاب الشاق لبعده عن الإيمان لأنه فكر وقدر؛ أي: تروَّى ماذا يقول في القرآن حين سئل عن القرآن ففكر ماذا يختلق من المقال ﴿وَقَدَّرَ﴾ أي: تروَّى ﴿فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۝١٩ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۝٢٠﴾ دعاء عليه﴿ثُمَّ نَظَرَ ۝٢١﴾ أي: أعاد النظرة والتروي ﴿ثُمَّ عَبَسَ﴾ أي: قبض بين عينيه وقطب ﴿وَبَسَرَ﴾ أي: كلح وكره، ومنه قول توبة بن الحُميِّر:

وقد رابني منها صدودٌ رأيته وإعراضها عن حاجتي وبُسُورُها[١]

وقوله: ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ۝٢٣﴾ أي: صرف عن الحق ورجع القهقهرى مستكبراً عن الانقياد للقرآن ﴿فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ۝٢٤﴾ أي: هذا سحر ينقله محمد عن غيره ممن قبله ويحكيه عنهم، ولهذا قال: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ۝٢٥﴾ أي: ليس بكلام الله، وهذا المذكور في هذا السياق هو الوليد بن المغيرة المخزومي أحد رؤساء قريش لعنه الله، وكان من خبره في هذا ما رواه العوفي عن ابن عباس قال: دخل الوليد بن المغيرة على أبي بكر بن أبي قحافة فسأله عن القرآن، فلما أخبره خرج على قريش فقال: يا عجباً لما يقول ابن أبي كبشة، فواللهِ ما هو بشعر ولا بسحر ولا بهذي من الجنون، وإن قوله لمن كلام الله فلما سمع بذلك النفر من قريش ائتمروا وقالوا: والله لئن صبأ[٢] الوليد لتصبو قريش، فلما سمع بذلك أبو جهل بن هشام قال: أنا والله أكفيكم شأنه فانطلق حتى دخل عليه بيته، فقال للوليد: ألم ترَ إلى قومك قد جمعوا لك الصدقة؟ فقال: ألست أكثرهم مالاً وولداً؟ فقال أبو جهل: يتحدثون أنك إنما تدخل على ابن أبي قحافة لتصيب من طعامه، فقال الوليد: أقد تحدث به عشيرتي؟ فلا والله لا أقرب ابن أبي قحافة ولا عمر ولا ابن أبي كبشة، وما قوله إلا سحر يؤثر فأنزل الله على رسوله ﷺ: ﴿ذَرْنِى وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ۝١١﴾ إلى قوله: ﴿لَا تُبْقِى وَلَا تَذَرُ ۝٢٨﴾[٣].

وقال قتادة: زعموا أنه قال: واللهِ لقد نظرت فيما قال الرجل فإذا هو ليس بشعر وإن له لحلاوة، وإنه عليه لطلاوة، وإنه ليعلو وما يعلى عليه، وما أشك أنه سحر فأنزل الله: ﴿فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۝١٩﴾ الآية[٤].

﴿ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ۝٢٢﴾ قبض ما بين عينيه وكلح.

وقال ابن جرير: حدثنا ابن عبد الأعلى، حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن عباد بن منصور، عن عكرمة، أن الوليد بن المغيرة جاء إلى النبي ﷺ فقرأ عليه القرآن، فكأنه رَقَّ له، فبلغ ذلك أبا جهل بن هشام فأتاه فقال: أي عمّ إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالاً. قال:

---

(١) استشهد به معمر بن المثنى. (مجاز القرآن ٢/ ٢٧٥) والطبري.

(٢) أي: خرج من الملة، وكانوا على الشرك.

(٣) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق عطية العوفي عن ابن عباس، وله شواهد ومتابعات تقويه كما يليه، فقد أخرجه الحاكم من طريق عكرمة عن ابن عباس، وصححه ووافقه الذهبي (المستدرك ٢/ ٥٠٦ ـ ٥٠٧)، وأخرج الطبري بسند رجاله ثقات عن مجاهد أنه الوليد بن المغيرة يوم دار الندوة وهو مرسل ويتقوى بالمراسيل التالية.

(٤) أخرجه الطبري بسند رجاله ثقات عن قتادة ولكنه مرسل ويتقوى بالمراسيل الأخرى ويقويها.

لِمَ؟ قال: يعطونكه فإنك أتيت محمداً تتعرض لما قبله، قال: قد علمت قريش أني أكثرهم مالاً، قال: فقل فيه قولاً يعلم قومك أنك منكر لما قال: وأنك كاره له، قال: فماذا أقول فيه؟ فوالله ما منكم رجل أعلم بالأشعار مني، ولا أعلم برجزه، ولا بقصيده ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا، والله إن لقوله الذي يقوله لحلاوة، وإنه ليحطم ما تحته وإنه ليعلو وما يعلى. قال: واللهِ لا يرضى قومك حتى تقول فيه. قال: فدعني حتى أتفكر فيه، فلما فكر قال: إنْ هذا إلا سحر يؤثره عن غيره، فنزلت: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾﴾ حتى بلغ ﴿تِسْعَةَ عَشَرَ﴾(١).

وقد ذكر محمد بن إسحاق وغير واحد نحواً من هذا، وقد زعم السدي أنهم لما اجتمعوا في دار الندوة ليجمعوا رأيهم على قول يقولونه فيه قبل أن يقدم عليهم وفود العرب للحج ليصدوهم عنه، فقال قائلون: شاعر وقال آخرون: ساحر، وقال آخرون: كاهن، وقال آخرون: مجنون كما قال تعالى: ﴿انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٤٨﴾﴾ [الإسراء] كل هذا والوليد يفكر فيما يقوله فيه، ففكر وقدر ونظر وعبس وبسر، فقال: إنْ هذا إلا سحر يؤثر إنْ هذا إلا قول البشر(٢)، قال الله تعالى: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾﴾ أي: سأغمره فيها من جميع جهاته.

ثم قال تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾﴾ وهذا تهويل لأمرها وتفخيم، ثم فسر ذلك بقوله تعالى: ﴿لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾﴾ أي: تأكل لحومهم وعروقهم وعصبهم وجلودهم ثم تبدل غير ذلك، وهم في ذلك لا يموتون ولا يحيون، قاله [مزيدة](٣) وأبو سنان وغيرهم.

وقوله تعالى: ﴿لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾﴾ قال مجاهد: أي للجلد(٤).

وقال أبو رزين: تلفح الجلد لفحة فتدعه أسود من الليل(٥).

وقال زيد بن أسلم: تلوح أجسادهم عليها(٦).

وقال قتادة: ﴿لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾﴾ أي: حرَّاقة للجلد(٧).

وقال ابن عباس: تحرق بشرة الإنسان(٨).

وقوله تعالى: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾﴾ أي: من مقدمي الزبانية عظيم خَلْقُهم، غليظ خُلُقهم.

وقد قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زرعة، حدثنا إبراهيم بن موسى، حدثنا ابن أبي زائدة، أخبرني حارث، عن عامر، عن البراء في قوله تعالى: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾﴾ قال: إن رهطاً من

---

(١) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده مرسل يتقوى بما سبق.
(٢) سنده ضعيف ويتقوى بما سبق.
(٣) كذا في تفسير الطبري، وفي الأصل صحف إلى ابن بريدة، فقد أخرجه الطبري من طريق ابن أبي ليلى عن مزيدة بنحوه.
(٤) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.
(٥) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق إسماعيل عن أبي رزين.
(٦) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد بن أسلم بنحوه.
(٧) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة.
(٨) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي عن ابن عباس ويتقوىٰ بما سبق.

اليهود سألوا رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ عن خزنة جهنم فقال: الله ورسوله أعلم، فجاء الرجل فأخبر النبي ﷺ فأنزل الله تعالى عليه ساعتئذ: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ۝٣٠﴾ فأخبر أصحابه وقال: «ادعهم أما إني سائلهم عن تربة الجنة إن أتوني، أما إنها درمكة بيضاء» فجاؤوه فسألوه عن خزنة جهنم فأهوى بأصابع كفيه مرتين وأمسك الإبهام في الثانية ثم قال: «أخبروني عن تربة الجنة» فقالوا: أخبرهم يا ابن سلام، فقال: كأنها خبزة بيضاء: فقال رسول الله ﷺ: «أما إن الخبز إنما يكون من الدرمك[(١)]»[(٢)].

هكذا وقع عند ابن أبي حاتم عن البراء والمشهور، عن جابر بن عبد الله كما قال الحافظ أبو بكر البزار في مسنده: حدثنا أحمد بن عبدة، أخبرنا سفيان ويحيى بن حكيم، حدثنا سفيان، عن مجالد، عن الشعبي، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا محمد غلب أصحابك اليوم. فقال: «بأي شيء؟» قال: سألتهم يهود هل أعلمكم نبيكم عدة خزنة أهل النار؟ قالوا: لا نعلم حتى نسأل نبينا ﷺ قال رسول الله ﷺ: «أفغلب قوم يسألون عما لا يعلمون فقالوا: لا نعلم حتى نسأل نبينا ﷺ؟ عليَّ بأعداء الله لكنهم قد سألوا نبيهم أن يريهم الله جهرة» فأرسل إليهم فدعاهم قالوا: يا أبا القاسم كم عدة خزنة أهل النار؟ قال: «هكذا» وطبَّق كفيه ثم طبَّق كفيه مرتين وعقد واحدة، وقال لأصحابه: «إن سئلتم عن تربة الجنة فهي الدرمك» فلما سألوه فأخبرهم بعدة خزنة أهل النار قال لهم رسول الله ﷺ: «ما تربة الجنة؟» فنظر بعضهم إلى بعض فقالوا: خبزة يا أبا القاسم. فقال: «الخبز من الدرمك»[(٣)]. وهكذا رواه الترمذي عند هذه الآية عن ابن أبي عمر، عن سفيان به[(٤)]، وقال هو والبزار: لا يعرف إلا من حديث مجالد، وقد رواه الإمام أحمد عن علي بن المديني عن سفيان بنقصه: الدرمك فقط[(٥)].

﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا ۙ وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۙ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ۝٣١ كَلَّا وَٱلْقَمَرِ ۝٣٢ وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ۝٣٣ وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ ۝٣٤ إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ ۝٣٥ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ۝٣٦ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ۝٣٧﴾.

يقول تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ﴾ أي: خزانها ﴿إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً﴾ زبانية غلاظاً شداداً، وذلك ردٌّ

---

(١) أي: الطحين الأبيض.

(٢) سنده ضعيف لضعف حريث وهو ابن أبي مطر الفزاري كما في تهذيب الكمال (٥/ ٥٦٢). وأخرجه البيهقي من طريق حريث به وقال البيهقي: حريث بن أبي مطر ليس بالقوي، (البعث والنشور، باب ما جاء في خزنة جهنم رقم ٥٠٩).

(٣) سنده ضعيف لضعف مجالد.

(٤) سنن الترمذي، التفسير، باب ومن سورة المدثر (ح٣٣٢٤)، وسنده كسابقه؛ وضعفه الألباني في ضعيف سنن الترمذي.

(٥) المسند (٣/ ٣٦١) وسنده ضعيف كسابقه.

على مشركي قريش حين ذكروا عدد الخزنة فقال أبو جهل: يا معشر قريش أما يستطيع كل عشرة منكم لواحد منهم فتغلبونهم، فقال الله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً﴾ أي: شديدي الخلق لا يقاومون ولا يغالبون، وقد قيل: إن أبا الأشدين واسمه: كلدة بن أسيد[١] بن خلف قال: يا معشر قريش اكفوني منهم اثنين، وأنا أكفيكم منهم سبعة عشر إعجاباً منه بنفسه، وكان قد بلغ من القوة فيما يزعمون أنه كان يقف على جلد البقرة ويجاذبه عشرة لينزعوه من تحت قدميه فيتمزق الجلد ولا يتزحزح عنه.

قال السهيلي: وهو الذي دعا رسول الله ﷺ إلى مصارعته، وقال: إن صرعتني آمنت بك، فصرعه النبي ﷺ مراراً فلم يؤمن، قال: وقد نسب ابن إسحاق خبر المصارعة إلى ركانة بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب[٢].

(قلت): ولا منافاة بين ما ذكراه والله أعلم.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ أي: إنما ذكرنا عدتهم أنهم تسعة عشر اختباراً منا للناس ﴿لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ أي: يعلمون أن هذا الرسول حق فإنه نطق بمطابقة ما بأيديهم من الكتب السماوية المنزلة على الأنبياء قبله ﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا﴾ أي: إلى إيمانهم؛ أي: بما يشهدون من صدق إخبار نبيهم محمد ﷺ ﴿وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ أي: من المنافقين ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا﴾ أي: يقولون ما الحكمة في ذكر هذا هٰهنا؟ قال الله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ أي: من مثل هذا وأشباهه يتأكد الإيمان في قلوب أقوام ويتزلزل عند آخرين، وله الحكمة البالغة والحجة الدامغة.

وقوله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ أي: ما يعلم عددهم وكثرتهم إلا هو تعالى؛ لئلا يتوهم متوهم أنهم تسعة عشر فقط، كما قد قاله طائفة من أهل الضلالة والجهالة ومن الفلاسفة اليونانيين ومن شايعهم من الملّتين الذين سمعوا هذه الآية فأرادوا تنزيلها على العقول العشرة والنفوس التسعة التي اخترعوا دعواها وعجزوا عن إقامة الدلالة على مقتضاها، فأفهموا صدر هذه الآية وقد كفروا بآخرها وهو قوله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾.

وقد ثبت في حديث الإسراء المروي في الصحيحين وغيرهما عن رسول الله ﷺ أنه قال في صفة البيت المعمور الذي في السماء السابعة: «فإذا هو يدخله في كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه آخر ما عليهم»[٣].

وقال الإمام أحمد: حدثنا أسود، حدثنا إسرائيل، عن إبراهيم بن مهاجر، عن مجاهد، عن مورق، عن أبي ذرٍّ قال: قال رسول الله ﷺ: «إني أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون أطّت[٤] السماء، وحُقَّ لها أن تئط ما فيها موضع أصبع إلا عليه ملك ساجد، لو علمتم ما أعلم

(١) أخرجه الطبري بسند رجاله ثقات عن مجاهد بنحوه ولكنه مرسل.
(٢) الروض الأنف ١/ ٢٠٠.
(٣) تقدم تخريجه في تفسير الآية الأولى من سورة الإسراء.
(٤) أي: إن كثرة ما فيها من الملائكة أثقلتها حتىٰ أطّت.

لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً ولا تلذذتم بالنساء على الفُرُشات ولخرجتم إلى الصُّعُدات تجأرون إلى الله تعالى» فقال أبو ذرّ: والله لوددت أني شجرة تعضد[١]. ورواه الترمذي وابن ماجه من حديث إسرائيل، وقال الترمذي: حديث حسن غريب، ويروى عن أبي ذرٍّ موقوفاً[٢].

وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني: حدثنا حسين بن عرفة المصري، حدثنا عروة بن مروان الرقي، حدثنا عبيد الله بن عمرو، عن عبد الكريم بن مالك، عن عطاء بن أبي رباح، عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «ما في السمٰوات السبع موضع قدم ولا شبر ولا كفّ إلا وفيه ملك قائم أو ملك ساجد أو ملك راكع، فإذا كان يوم القيامة قالوا جميعاً: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك إلا أنا لم نشرك بك شيئاً»[٣].

وقال محمد بن نصر المروزي في «كتاب الصلاة»: حدثنا عمرو بن زرارة، أخبرنا عبد الوهاب بن عطاء، عن سعيد، عن قتادة، عن صفوان بن محرز، عن حكيم بن حزام قال: بينما رسول الله ﷺ مع أصحابه إذ قال لهم: «هل تسمعون ما أسمع؟» قالوا: ما نسمع من شيء. فقال رسول الله ﷺ: «أسمع أطيط السماء ولا تلام أن تئط. وما فيها موضع شبر إلا وعليه ملك راكع أو ساجد»[٤].

وقال أيضاً: حدثنا محمد بن عبد الله بن [قهزاذ][٥]، حدثنا أبو معاذ الفضل بن خالد النحوي، حدثنا عبيد بن سليمان الباهلي، سمعت الضحاك بن مزاحم يحدث، عن مسروق بن الأجدع، عن عائشة أنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «ما في السماء الدنيا موضع قدم إلا وعليه ملك ساجد أو قائم وذلك قول الملائكة: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾﴾»[٦]. وهذا مرفوع غريب جداً، ثم رواه عن محمود بن آدم، عن أبي معاوية، عن الأعمش، عن أبي الضحى، عن مسروق، عن ابن مسعود أنه قال: إن من السمٰوات سماء ما فيها موضع شبر إلا وعليه جبهة ملك أو قدماه قائم ثم قرأ: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾﴾ [الصافات][٧].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه. (المسند ٣٥/ ٤٠٦ ح٢١٥١٦) قال المحققون: حسن لغيره، وهذا إسناد منقطع، مورق - وهو العجلي - لم يسمع من أبي ذرٍّ، وأخرجه الحاكم من طريق إسرائيل به وصححه ووافقه الذهبي. (المستدرك ٢/ ٥١٠).

(٢) سنن الترمذي، الزهد، باب في قول النبي ﷺ: «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً...» (ح٢٣١٢)؛ وسنن ابن ماجه، الزهد، باب الحزن والبكاء (ح٤١٩٠) وحسنه الألباني دون قوله: والله لوددت... فإنه مدرج؛ (صحيح سنن ابن ماجه ح٣٣٧٨).

(٣) أخرجه الطبراني (المعجم الكبير ٢/ ١٨٤ ح١٧٥١)، وسنده ضعيف لأن عروة بن مروان ليس بالقوي في الحديث. (لسان الميزان ٤/ ١٦٤).

(٤) أخرجه المروزي بسنده ومتنه. (تعظيم قدر الصلاة ١/ ٢٥٨ ح٢٥٠) وصحح سنده الألباني في السلسلة الصحيحة (ح١٠٦٠).

(٥) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل صُحف إلى: مهران.

(٦) أخرجه المروزي بسنده ومتنه. (المصدر السابق ح٢٥٣). وحسنه الألباني بشواهده. (السلسلة الصحيحة ح١٠٥٩).

(٧) أخرجه المروزي بسنده ومتنه (المصدر السابق ح٢٥٤) وصحح سنده الألباني كما في المصدر السابق.

ثم قال: حدثنا أحمد بن سيار، حدثنا أبو جعفر بن محمد بن خالد الدمشقي المعروف بابن أمه، حدثنا المغيرة بن عمر بن عطية من بني عمرو بن عوف، حدثني سليمان بن أيوب، عن سالم بن عوف، حدثني عطاء بن زيد بن مسعود من بني الحبلى، حدثني سليمان بن عمرو بن الربيع من بني سالم، حدثني عبد الرحمٰن بن العلاء من بني ساعدة، عن أبيه العلاء بن سعد وقد شهد الفتح وما بعده، أن النبي ﷺ قال: يوماً لجلسائه: «هل تسمعون ما أسمع؟» قالوا: وما تسمع يا رسول الله؟ قال: «أطّت السماء وحُقَّ لها أن تئط، إنه ليس فيها موضع قدم إلا وعليه ملك قائم أو راكع أو ساجد وقالت الملائكة: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾﴾ [الصافات]»[1]. وهذا إسناد غريب جداً.

ثم قال: حدثنا إسحاق بن محمد بن إسماعيل الفروي، حدثنا عبد الملك بن قدامة، عن عبد الرحمٰن بن عبد الله بن دينار، عن أبيه، عن عبد الله بن عمر أن عمر جاء والصلاة قائمة ونفر ثلاثة جلوس أحدهم: أبو جحش الليثي، فقال: قوموا فصلوا مع رسول الله ﷺ، فقام اثنان وأبىٰ أبو جحش أن يقوم وقال: لا أقوم حتى يأتي رجل أقوى مني ذراعين وأشد مني بطشاً، فيصرعني ثم يدسّ وجهي في التراب، قال عمر: فصرعته ودسست وجهه في التراب، فأتى عثمان بن عفان فحجزني عنه، فخرج عمر مغضباً حتى انتهى إلى رسول الله ﷺ فقال: «ما رأيك يا أبا حفص؟» فذكر له ما كان منه، فقال رسول الله ﷺ: «إن [رضي عمر رحمةً، والله على ذلك][2] لوددت أنك جئتني برأس الخبيث» فقام عمر فوجه نحوه، فلما أبعد ناداه فقال: «اجلس حتى أخبرك بغناء الربِّ تبارك وتعالى عن صلاة أبي جحش وإن لله تعالى في السماء الدنيا ملائكة خشوعاً لا يرفعون رؤوسهم حتى تقوم الساعة، فإذا قامت رفعوا رؤوسهم ثم قالوا: ربنا ما عبدناك حق عبادتك وإن لله في السماء الثانية ملائكة سجوداً لا يرفعون رؤوسهم حتى تقوم الساعة، فإذا قامت الساعة رفعوا رؤوسهم وقالوا: سبحانك ربنا ما عبدناك حق عبادتك».

فقال له عمر: وما يقولون يا رسول الله؟ فقال: «أما أهل السماء الدنيا فيقولون: سبحان ذي الملك والملكوت، وأما أهل السماء الثانية فيقولون: سبحان ذي العزة والجبروت، وأما أهل السماء الثالثة فيقولون: سبحان الحي الذي لا يموت، فقلها يا عمر في صلاتك»، فقال عمر: يا رسول الله فكيف بالذي كنت علمتني وأمرتني أن أقوله في صلاتي؟ فقال: «قل هذا مرة وهذا مرة» وكان الذي أمره به أن يقوله: «أعوذ بعفوك من عقابك، وأعوذ برضاك من سخطك، وأعوذ بك منك جلَّ وجهك»[3]. هذا حديث غريب جداً بل منكر نكارة شديدة، وإسحاق الفروي روى عنه البخاري، وذكره ابن حبان في الثقات وضعفه أبو داود والنسائي والعقيلي والدارقطني، وقال أبو

---

(١) أخرجه المروزي بسنده ومتنه. (المصدر السابق ح٢٥٥)، ويشهد له ما سبق.

(٢) زيادة من (ح) و(حم) وكتاب تعظيم قدر الصلاة.

(٣) أخرجه المروزي عن محمد بن يحيىٰ عن إسحاق بن محمد بن إسماعيل الفروي به. (تعظيم قدر الصلاة ١/ ٢٦٣ ح٢٥٦) وسنده ضعيف جداً، وقد أشار محققه أن عبد الله بن قدامة روىٰ عن عبد الله بن دينار موضوعات. (ميزان الاعتدال ٢/ ٤٧٢). وضعفه أيضاً الحافظ ابن كثير سنداً ومتناً.

حاتم الرازي: كان صدوقاً إلا أنه ذهب بصره فربما [لقن][(١)] وكتبه صحيحة، وقال ـ مرة ـ: هو مضطرب وشيخه عبد الملك بن قدامة أبو قتادة الجمحي تكلم فيه أيضاً، والعجب من الإمام محمد بن نصر كيف رواه ولم يتكلم عليه، ولا عرف بحاله، ولا تعرض لضعف بعض رجاله، غير أنه رواه من وجه آخر عن سعيد بن جبير مرسلاً بنحوه، ومن طريق أخرى عن الحسن البصري مرسلاً قريباً منه[(٢)].

ثم قال محمد بن نصر: حدثنا محمد بن عبد الله بن [قهزاذ][(٣)]، أخبرنا النضر، أخبرنا عباد بن منصور قال: سمعت عدي بن أرطأة وهو يخطبنا على منبر المدائن قال: سمعت رجلاً من أصحاب النبي ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: إن لله تعالى ملائكة ترعد فرائصهم من خيفته ما منهم ملك تقطر منه دمعة من عينه إلا وقعت على ملك يصلي، وإن منهم ملائكة سجوداً منذ خلق الله السمٰوات والأرض لم يرفعوا رؤوسهم ولا يرفعونها إلى يوم القيامة، وإن منهم ملائكة ركوعاً لم يرفعوا رؤوسهم منذ خلق الله السمٰوات والأرض ولا يرفعونها إلى يوم القيامة، فإذا رفعوا رؤوسهم نظروا إلى وجه الله ﷻ قالوا: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك»[(٤)]. وهذا إسناد لا بأس به.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ﴾ قال مجاهد وغير واحد: «وما هي» أي: النار[(٥)] التي وصفت ﴿إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ﴾ ثم قال تعالى: ﴿كَلَّا وَٱلْقَمَرِ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾﴾ أي: ولى ﴿وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ ﴿٣٤﴾﴾ أي: أشرق ﴿إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ ﴿٣٥﴾﴾ أي: العظائم يعني: النار، قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك وغير واحد من السلف[(٦)] ﴿نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾﴾ أي: لمن شاء أن يقبل النذارة ويهتدي للحق أو يتأخر عنها ويولّي ويردّها.

﴿كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴿٤٧﴾ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾ فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍۭ ﴿٥١﴾ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ﴿٥٢﴾ كَلَّا ۖ بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْءَاخِرَةَ ﴿٥٣﴾ كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿٥٥﴾ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾﴾.

يقول تعالى مخبراً أن ﴿كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾﴾ أي: معتقلة بعملها يوم القيامة قاله ابن

---

(١) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل بياض.
(٢) تعظيم قدر الصلاة (١/ ٢٦٤ ـ ٢٦٦، رقم ٢٥٧ ـ ٢٥٨) وفي كليهما ضعف.
(٣) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل صُحف إلى: مهران.
(٤) أخرجه المروزي بسنده ومتنه. (المصدر السابق رقم ٢٦٠) وحكم الحافظ ابن كثير أن سنده لا بأس به.
(٥) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة.
(٦) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق عطية العوفي عن ابن عباس بلفظ: «جهنم». ويتقوىٰ بالآثار التالية، فقد أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة بلفظ: «النار»؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح بلفظ: «جهنم»؛ وأخرجه الطبري وابن أبي شيبة بسند حسن من طريق إسماعيل بن سُميع عن أبي رزين. (المصنف ٨/ ٢١٨)؛ وأخرجه الطبري بسند ضعيف عن الضحاك فيه إبهام شيخ الطبري.

عباس وغيره ﴿إِلَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلۡيَمِينِ ﴿٣٩﴾﴾ فإنهم ﴿فِي جَنَّٰتٖ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٤١﴾﴾ أي: يسألون المجرمين وهم في الغرفات وأولئك في الدركات قائلين لهم: ﴿مَا سَلَكَكُمۡ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُواْ لَمۡ نَكُ مِنَ ٱلۡمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمۡ نَكُ نُطۡعِمُ ٱلۡمِسۡكِينَ ﴿٤٤﴾﴾ أي: ما عبدنا الله ولا أحسنا إلى خلقه من جنسنا ﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلۡخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾﴾ أي: نتكلم فيما لا نعلم.

وقال قتادة: كلما غوى غاوٍ غوينا معه[١]. ﴿وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلۡيَقِينُ ﴿٤٧﴾﴾ يعني: الموت كقوله تعالى: ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾ [الحجر] وقال رسول الله ﷺ: «أما هو - يعني عثمان بن مظعون - فقد جاءه اليقين من ربه»[٢].

قال الله تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمۡ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾ أي: ما كان متصفاً بمثل هذه الصفات فإنه لا ينفعه يوم القيامة شفاعة شافع فيه؛ لأن الشفاعة إنما تنجع إذا كان المحل قابلاً، فأما من وافى الله كافراً يوم القيامة فإنه له النار لا محالة خالداً فيها، ثم قال تعالى: ﴿فَمَا لَهُمۡ عَنِ ٱلتَّذۡكِرَةِ مُعۡرِضِينَ ﴿٤٩﴾﴾ أي: فما لهؤلاء الكفرة الذين قبلك مما تدعوهم إليه وتذكرهم به معرضين ﴿كَأَنَّهُمۡ حُمُرٞ مُّسۡتَنفِرَةٞ ﴿٥٠﴾ فَرَّتۡ مِن قَسۡوَرَةِۭ ﴿٥١﴾﴾ أي: كأنهم في نفارهم عن الحق وإعراضهم عنه حمر من حمر الوحش إذا فرَّت ممن يريد صيدها من أسد، قاله أبو هريرة وابن عباس في رواية عنه وزيد بن أسلم وابنه عبد الرحمٰن[٣]: أو رامٍ، وهو رواية عن ابن عباس[٤]، وهو قول الجمهور.

وقال حماد بن سلمة، عن علي بن زيد، عن يوسف بن مهران، عن ابن عباس: الأسد بالعربية، ويقال له بالحبشية: قسورة، وبالفارسية: شير، وبالنبطية: أوبا[٥].

وقوله تعالى: ﴿بَلۡ يُرِيدُ كُلُّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ أَن يُؤۡتَىٰ صُحُفٗا مُّنَشَّرَةٗ ﴿٥٢﴾﴾ أي: بل يريد كل واحد من هؤلاء المشركين أن ينزل عليه كتاب كما أنزل الله على النبي ﷺ، قاله مجاهد وغيره[٦]، كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَتۡهُمۡ ءَايَةٞ قَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ حَتَّىٰ نُؤۡتَىٰ مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِۘ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥۗ﴾ [الأنعام: ١٢٤] وفي رواية عن قتادة: يريدون أن يؤتوا براءة بغير عمل[٧].

---

(١) أخرجه عبد الرزاق والطبري بسند صحيح من طريق معمر عن قتادة.

(٢) تقدم تخريجه في تفسير سورة الحجر آية ٩٩.

(٣) أخرجه الطبري بسند جيد من طريق ابن سيلان - وهو جابر - عن أبي هريرة؛ وأخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس؛ وأخرجه الطبري بسند حسن من طريق هشام بن سعد عن زيد بن أسلم؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن عبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم.

(٤) أخرجه الطبري بسندين يقوي أحدهما الآخر، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق أبي رجاء عن عكرمة؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن عروبة عن قتادة؛ وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة؛ وأخرجه الحاكم عن أبي موسىٰ وصححه ووافقه الذهبي. (المستدرك ٢/٥٠٨).

(٥) أخرجه الطبري من طريق سلم بن قتيبة عن حماد بن سلمة به، وسنده ضعيف لضعف علي بن زيد وهو ابن جدعان.

(٦) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.

(٧) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة.

فقوله تعالى: ﴿كَلَّا بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْآخِرَةَ ۝٥٣﴾ أي: إنما أفسدهم عدم إيمانهم بها وتكذيبهم بوقوعها.

ثم قال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ ۝٥٤﴾ أي: حقاً إن القرآن تذكرة ﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ۝٥٥ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ كقوله: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الإنسان: ٣٠]. وقوله تعالى: ﴿هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ أي: هو أهل أن يخاف منه وهو أهل أن يغفر ذنب من تاب إليه وأناب. قاله قتادة[١].

وقال الإمام أحمد: حدثنا زيد بن الحباب، أخبرني سهيل أخو حزم، حدثنا ثابت البناني، عن أنس بن مالك ﷺ قال: قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية ﴿هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ وقال: «قال ربكم: أنا أهل أن أتقى فلا يجعل معي إله، فمن اتقى أن يجعل معي إلهاً كان أهلاً أن أغفر له»[٢]. ورواه الترمذي وابن ماجه من حديث زيد بن الحباب، والنسائي من حديث المعافى بن عمران، كلاهما عن سهيل بن عبد الله القطعي به.

وقال الترمذي: حسن غريب وسهيل ليس بالقوي[٣]، ورواه ابن أبي حاتم عن أبيه، عن هدبة بن خالد، عن سهيل به، وهكذا رواه أبو يعلى والبزار والبغوي وغيرهم من حديث سهيل القطعي به[٤].

[آخر تفسير سورة المدثر، ولله الحمد والمنة][٥].

---

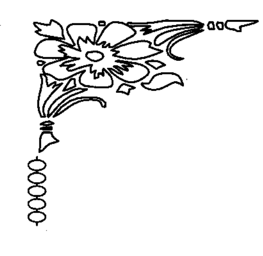
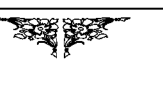
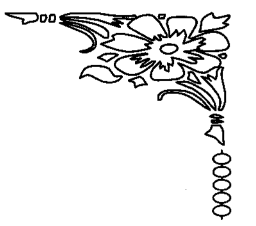
(١) أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة.

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه. (المسند ١٩/ ٤٣٠ ح١٢٤٤٢) وضعف سنده محققوه لضعف سهيل أخي حزم.

(٣) سنن الترمذي، التفسير، باب ومن سورة المدثر (ح٣٣٢٥)؛ وسنن ابن ماجه الزهد، باب ما يرجىٰ من رحمة الله يوم القيامة (ح٤٢٩٩)؛ والسنن الكبرى للنسائي، التفسير (ح١١٦٣٠). وسنده ضعيف كسابقه.

(٤) مسند أبي يعلى ٦/ ٦٦ (ح٣٢١٧)؛ ومعالم التنزيل للبغوي ٤/ ٤٢٠) وسنده ضعيف كسابقه.

(٥) زيادة من (ح)، وفي (حم): آخر تفسير سورة المدثر.

سُورَةُ القِيَامَةِ

وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۝١ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝٢ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَـٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ۝٣ بَلَىٰ قَـٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ ۝٤ بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَـٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ ۝٥ يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۝٦ فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ۝٧ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ۝٨ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۝٩ يَقُولُ ٱلْإِنسَـٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ۝١٠ كَلَّا لَا وَزَرَ ۝١١ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ۝١٢ يُنَبَّؤُا ٱلْإِنسَـٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ۝١٣ بَلِ ٱلْإِنسَـٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ۝١٤ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ۝١٥﴾.

قد تقدم غير مرة أن المقْسَم عليه إذا كان منتفياً جاز الإتيان بلا قبل القسم لتأكيد النفي. والمُقسَم عليه هٰهنا هو إثبات المعاد والردُّ على ما يزعمه الجهلة من العباد ومن عدم بعث الأجساد، ولهذا قال تعالى: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۝١ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝٢﴾ قال الحسن: أقسم بيوم القيامة ولم يقسم بالنفس اللوامة[١].

وقال قتادة: بل أقسم بهما جميعاً، هكذا حكاه ابن أبي حاتم[٢].

وقد حكى ابن جرير، عن الحسن والأعرج أنهما قرءا: «لأقُسم بيوم القيامة»[٣] وهذا يوجُّه قول الحسن؛ لأنه أثبت القسم بيوم القيامة ونفى القسم بالنفس اللوامة، والصحيح أنه أقسم بهما جميعاً كما قاله قتادة رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهو المروي عن ابن عباس وسعيد بن جبير[٤]، واختاره ابن جرير.

فأما يوم القيامة فمعروف وأما النفس اللّوامة فقال قرة بن خالد، عن الحسن البصري في هذه الآية: إن المؤمن والله ما نراه إلا يلوم نفسه. ما أردت بكلمتي، ما أردت بأكلتي، ما أردت بحديث نفسي، وإن الفاجر يمضي قُدُماً ما يعاتب نفسه[٥]، وقال جويبر: بلغنا عن الحسن أنه قال في قوله: ﴿وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝٢﴾ قال: ليس أحد من أهل السمٰوات والأرضين إلا يلوم نفسه يوم القيامة[٦].

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا عبد الله بن صالح بن مسلم، عن إسرائيل، عن سماك

(١) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق قتادة عن الحسن.
(٢) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.
(٣) أخرجه الطبري تعليقاً، والقراءة متواترة.
(٤) أخرجه الحاكم من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس، وصححه ووافقه الذهبي. (المستدرك ٢/٥٠٨).
(٥) عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد وابن أبي الدنيا في محاسبة النفس.
(٦) سنده ضعيف لضعف جويبر وروايته بلاغاً.

أنه سأل عكرمة عن قوله: ﴿وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝٢﴾ قال: يلوم على الخير والشر لو فعلت كذا وكذا[١]، ورواه ابن جرير، عن أبي كريب، عن وكيع، عن إسرائيل به[٢]، وقال ابن جرير: حدثنا محمد بن بشار، حدثنا مؤمل، حدثنا سفيان، عن ابن جريج، عن الحسن بن مسلم، عن سعيد بن جبير في قوله: ﴿وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝٢﴾ قال: تلوم على الخير والشر[٣]، ثم رواه من وجه آخر عن سعيد أنه سأل ابن عباس عن ذلك فقال: هي النفس اللؤوم[٤].

وقال ابن أبي نجيح، عن مجاهد: تندم على ما فات وتلوم عليه[٥].

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿ٱللَّوَّامَةِ﴾: المذمومة[٦].

وقال قتادة: ﴿ٱللَّوَّامَةِ﴾ الفاجرة[٧].

وقال ابن جرير: وكل هذه الأقوال متقاربة بالمعنى والأشبه بظاهر التنزيل أنها التي تلوم صاحبها على الخير والشر وتندم على ما فات[٨].

وقوله تعالى: ﴿أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجۡمَعَ عِظَامَهُۥ ۝٣﴾ أي: يوم القيامة أيظن أنا لا نقدر على إعادة عظامه وجمعها من أماكنها المتفرقة؟ ﴿بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ۝٤﴾ وقال سعيد بن جبير والعوفي، عن ابن عباس: أن نجعله خُفّاً أو حافراً[٩]، وكذا قال مجاهد وعكرمة والحسن وقتادة والضحاك وابن جرير[١٠]، ووجهه ابن جرير بأنه تعالى لو شاء لجعل ذلك في الدنيا، والظاهر من الآية أن قوله تعالى: ﴿قَٰدِرِينَ﴾ حال من قوله تعالى: ﴿نَّجۡمَعَ﴾ أي: أيظن الإنسان أنا لا نجمع عظامه؟ بل سنجمعها قادرين على أن نسوي بنانه؛ أي: قدرتنا صالحة لجمعها، ولو شئنا بعثناه أزيد مما كان فنجعل بنانه وهي أطراف أصابعه مستوية، وهذا معنى قول ابن قتيبة والزجاج[١١].

وقوله: ﴿بَلۡ يُرِيدُ ٱلۡإِنسَٰنُ لِيَفۡجُرَ أَمَامَهُۥ ۝٥﴾ قال سعيد عن ابن عباس: يعني يمضي قدماً[١٢].

وقال العوفي، عن ابن عباس: ﴿لِيَفۡجُرَ أَمَامَهُۥ﴾ يعني: الأمل، يقول الإنسان: أعمل ثم أتوب

---

(١) سنده حسن. (٢) أخرجه الطبري عن أبي كريب به، وسنده حسن.

(٣) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده حسن.

(٤) أخرجه الطبري والحاكم من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي. (المستدرك ٢/٥٠٩).

(٥) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح به.

(٦) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة به.

(٧) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة.

(٨) ذكره الطبري بلفظه.

(٩) أخرجه الحاكم من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس، وهو تتمة لرواية الحاكم السابقة.

(١٠) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق النضر، وهو ابن عربي، عن عكرمة؛ وأخرجه الطبري أيضاً بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد؛ وأخرجه الطبري أيضاً بسند صحيح من طريق أبي رجاء عن الحسن؛ وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة.

(١١) نسبه البغوي إلى ابن قتيبة والزجاج. (معالم التنزيل ٤/٤٢١).

(١٢) أخرجه الطبري من طريق سعيد بن جبير به؛ وأخرجه آدم بن أبي إياس بسند صحيح من طريق أبي إسحاق الهمداني عن سعيد بن جبير عن ابن عباس بلفظ: يقول: سوف أتوب، سوف أعمل.

قبل يوم القيامة، ويقال: هو الكفر بالحق بين يدي القيامة[١].

وقال مجاهد: ﴿لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ﴾ ليمضي أمامه راكباً رأسه[٢].

وقال الحسن: لا يُلقى ابن آدم إلا تنزع نفسه إلى معصية الله قدماً قدماً إلا من عصمه الله تعالى[٣]، وروي عن عكرمة وسعيد بن جبير والضحاك والسدي وغير واحد من السلف: هو الذي يعجل الذنوب ويسوف التوبة.

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: هو الكافر يكذب بيوم الحساب[٤]، وكذا قال ابن زيد[٥] وهذا هو الأظهر من المراد، ولهذا قال بعده ﴿يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ ۝٦﴾؟ أي: يقول متى يكون يوم القيامة وإنما سؤاله سؤال استبعاد لوقوعه وتكذيب لوجوده كما قال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٢٩ قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ۝٣٠﴾ [سبأ].

وقال تعالى هٰهنا: ﴿فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ۝٧﴾ قرأ أبو عمرو بن العلاء «برِق» بكسر الراء؛ أي: حارَ، وهذا الذي قاله شبيه بقوله تعالى: ﴿لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ﴾ [إبراهيم: ٤٣] أي: بل ينظرون من الفزع هكذا وهكذا لا يستقر لهم بصر على شيء من شدة الرعب.

وقرأ آخرون «برَق» بالفتح[٦] وهو قريب في المعنى من الأول، والمقصود أن الأبصار تنبهر يوم القيامة وتخشع وتحار وتذل من شدة الأهوال ومن عظم ما تشاهده يوم القيامة من الأمور.

وقوله تعالى: ﴿وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ۝٨﴾ أي: ذهب ضوؤه ﴿وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۝٩﴾ قال مجاهد: كُوِّرا[٧].

وقرأ ابن زيد عند تفسير هذه الآية ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ۝٢﴾ [التكوير].

وروي عن ابن مسعود أنه قرأ «وجمع بين الشمس والقمر»[٨].

وقوله تعالى: ﴿يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ۝١٠﴾ أي: إذا عاين ابن آدم هذه الأهوال يوم القيامة حينئذٍ يريد أن يفرَّ، ويقول أين المفر؟ أي: هل من ملجأ أو موئل؟ قال الله تعالى: ﴿كَلَّا لَا وَزَرَ ۝١١ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ۝١٢﴾ قال ابن مسعود، وابن عباس وسعيد بن جبير وغير واحد من السلف: أي: لا نجاة[٩]، وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن

---

(١) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به، ويتقوىٰ بسابقه إذ فيه متابعات.
(٢) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.
(٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق قتادة عن الحسن.
(٤) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس.
(٥) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.
(٦) وهي قراءة متواترة.
(٧) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.
(٨) ذكره الطبري تعليقاً، وهي قراءة شاذة تفسيرية.
(٩) أخرجه البخاري تعليقاً عن ابن عباس بلفظ: «لا حصن». وقد ذكر الحافظ ابن حجر ما أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس بلفظ: «لا حرز»، وذكر أيضاً ما أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق عطية العوفي عن ابن عباس بلفظ: «لا حصن ولا ملجأ». (تغليق التعليق ٤/٣٥٤، =

نَّكِيرٍ﴾ [الشورى: ٤٧] أي: ليس لكم مكان تتنكرون فيه، وكذا قال هٰهنا: ﴿لَا وَزَرَ﴾ أي: ليس لكم مكان تعتصمون فيه، ولهذا قال: ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾﴾ أي: المرجع والمصير.

ثم قال تعالى: ﴿يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾﴾ أي: يخبر بجميع أعماله قديمها وحديثها، أولها وآخرها، صغيرها وكبيرها، كما قال تعالى: ﴿وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩] وهكذا قال هٰهنا: ﴿بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴿١٥﴾﴾ أي: هو شهيد على نفسه عالم بما فعله ولو اعتذر وأنكر، وكما قال تعالى: ﴿ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾ [الإسراء].

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾﴾ يقول: سمعه وبصره ويداه ورجلاه وجوارحه[(١)].

وقال قتادة: شاهد على نفسه[(٢)]. وفي رواية قال: إذا شئت والله رأيته بصيراً بعيوب الناس وذنوبهم غافلاً عن ذنوبه. وكان يقال: إن في الإنجيل مكتوباً: يا ابن آدم تبصر القذاة في عين أخيك وتترك الجِذْل في عينك لا تبصره![(٣)].

وقال مجاهد: ﴿وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴿١٥﴾﴾ ولو جادل عنها فهو بصير عليها[(٤)].

وقال قتادة: ﴿وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴿١٥﴾﴾ ولو اعتذر يومئذٍ بباطل لا يقبل منه[(٥)].

وقال السدي: ﴿وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴿١٥﴾﴾ حجته[(٦)]. وكذا قال ابن زيد والحسن البصري وغيرهم واختاره ابن جرير[(٧)].

وقال قتادة، عن زرارة، عن ابن عباس ﴿وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴿١٥﴾﴾ يقول: لو ألقى ثيابه[(٨)].

وقال الضحاك: ولو ألقى ستوره وأهل اليمن[(٩)]، يسمون الستر: العذار. والصحيح قول مجاهد وأصحابه كقوله: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنعام] وكقوله: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٨﴾﴾ [المجادلة].

وقال العوفي، عن ابن عباس ﴿وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴿١٥﴾﴾ هي الاعتذار ألم تسمع أنه قال: ﴿لَا يَنفَعُ

= ٣٥٥). وعزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم وابن أبي الدنيا في كتاب الأهوال عن ابن مسعود بلفظ: «لا حصن»، وعزاه السيوطي إلىٰ عبد بن حميد عن سعيد بن جبير وعطية وأبي قلابة.

(١) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق علي به.

(٢) أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة.

(٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٤) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.

(٥) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٦) عزاه السيوطي إلى ابن المنذر عن الضحاك.

(٧) الذي اختاره الطبري هو قول قتادة: «لو اعتذر».

(٨) أخرجه الطبري من طريق خالد بن قيس عن قتادة به بلفظ: «لو تجرَّد». وفي سنده خالد بن قيس: صدوق يغرب (التقريب ص١٩٠).

(٩) عزاه السيوطي إلى ابن المنذر عن الضحاك.

﴿الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ﴾ [غافر: ٥٢] وقال: ﴿وَأَلْقَوْا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَمَ﴾ [النحل: ٨٧] ﴿فَأَلْقَوُا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوءٍ﴾ [النحل: ٢٨] وقولهم: ﴿وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾(١) [الأنعام: ٢٣].

﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴿١٩﴾ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ ﴿٢١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾﴾.

هذا تعليم من الله ﷻ لرسوله ﷺ في كيفية تلقيه الوحي من الملك، فإنه كان يبادر إلى أخذه ويسابق الملك في قراءته، فأمره الله ﷻ إذا جاءه الملك بالوحي أن يستمع له وتكفل الله له أن يجمعه في صدره وأن ييسره لأدائه على الوجه الذي ألقاه عليه، وأن يُبينه له ويفسره ويوضحه. فالحالة الأولى جمعه في صدره، والثانية تلاوته، والثالثة تفسيره وإيضاح معناه. ولهذا قال تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ﴿١٦﴾﴾ أي: بالقرآن كما قال: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤].

ثم قال تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ﴾ أي: في صدرك ﴿وَقُرْآنَهُ﴾ أي: أن تقرأه ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ﴾ أي: إذا تلاه عليك الملك عن الله تعالى: ﴿فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ أي: فاستمع له ثم اقرأه كما أقرأك ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴿١٩﴾﴾ أي: بعد حفظه وتلاوته نبينه لك ونوضحه ونلهمك معناه على ما أردنا وشرعنا.

قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرحمٰن، عن أبي عوانة، عن موسى بن أبي عائشة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ يعالج من التنزيل شدة فكان يحرك شفتيه قال: فقال لي ابن عباس: أنا أحرك شفتي كما كان رسول الله ﷺ يحرك شفتيه، وقال لي سعيد: وأنا أحرك شفتي كما رأيت ابن عباس يحرك شفتيه، فأنزل الله ﷻ: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴿١٧﴾﴾ قال: جمعه في صدرك ثم تقرأه ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴿١٨﴾﴾ أي: فاستمع له وأنصت ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴿١٩﴾﴾ فكان بعد ذلك إذا انطلق جبريل قرأه كما أقرأه(٢). وقد رواه البخاري ومسلم من غير وجه عن موسى بن أبي عائشة به. ولفظ البخاري: فكان إذا أتاه جبريل أطرق، فإذا ذهب قرأه كما وعده الله ﷻ(٣).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا أبو يحيى التيمي، حدثنا موسى بن أبي عائشة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ إذا نزل عليه الوحي يلقى منه شدة، وكان إذا نزل عليه عرف في تحريكه شفتيه يتلقى أوله ويحرك به شفتيه، خشية أن ينسى أوله قبل أن يفرغ من آخره فأنزل الله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ﴿١٦﴾﴾(٤). وهكذا قال

---

(١) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به، ويشهد له ما تقدم عن قتادة.

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ١/٣٤٣) وسنده صحيح.

(٣) صحيح البخاري، التفسير، باب ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴿١٨﴾﴾ [القيامة] (ح٤٩٢٩)؛ وصحيح مسلم، الصلاة، باب الاستماع للقراءة (ح٤٤٨).

(٤) أصله في الصحيحين كما في سابقه.

الشعبي والحسن البصري وقتادة ومجاهد والضحاك وغير واحد: إن هذه الآية نزلت في ذلك[(١)].

وقد روى ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾﴾ قال: كان لا يفتر من القراءة مخافة أن ينساه فقال الله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ﴾ أن نجمعه لك ﴿وَقُرْءَانَهُۥ﴾ نقرئك فلا تنسى[(٢)]، [وقال ابن عباس وعطية العوفي: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾﴾ تبيين حلاله وحرامه وكذا قال قتادة][(٣)(٤)] وقوله: ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ ٱلْءَاخِرَةَ ﴿٢١﴾﴾ أي: إنما يحملهم على التكذيب بيوم القيامة ومخالفة ما أنزله الله ﷻ على رسوله ﷺ من الوحي الحق والقرآن العظيم، أنهم إنما همتهم إلى الدار الدنيا العاجلة وهم لاهون متشاغلون عن الآخرة.

ثم قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾﴾ من النضارة؛ أي: حسنة بهية مشرقة مسرورة ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ أي: تراه عياناً كما رواه البخاري رحمه الله تعالى في صحيحه: «إنكم سترون ربكم عياناً»[(٥)]. وقد ثبتت رؤية المؤمنين لله ﷻ في الدار الآخرة في الأحاديث الصحاح من طرق متواترة عند أئمة الحديث لا يمكن دفعها ولا منعها، لحديث أبي سعيد وأبي هريرة وهما في الصحيحين أن ناساً قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال: «هل تضارون في رؤية الشمس والقمر ليس دونهما سحاب؟» قالوا: لا، قال: «فإنكم ترون ربكم كذلك»[(٦)].

وفي الصحيحين عن جرير قال: نظر رسول الله ﷺ إلى القمر ليلة البدر فقال: «إنكم ترون ربكم كما ترون هذا القمر! فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس ولا قبل غروبها فافعلوا»[(٧)].

وفي الصحيحين عن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ: «جنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما، وجنتان من فضة آنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى الله ﷻ إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن»[(٨)].

وفي أفراد مسلم، عن صهيب، عن النبي ﷺ قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة، قال: يقول الله تعالى: تريدون شيئاً أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم وهي الزيادة». ثم تلا

---

(١) أخرجه الطبري بسند رجاله ثقات عن الشعبي لكنه مرسل؛ وأخرجه الطبري بسند رجاله ثقات عن مجاهد لكنه مرسل؛ وأخرجه الطبري بسند رجاله ثقات عن الحسن لكنه مرسل؛ وأخرجه الطبري بسند رجاله ثقات عن قتادة لكنه مرسل؛ وهذه المراسيل يقوي بعضها بعضاً، وتتقوىٰ برواية الصحيحين السابقة.

(٢) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به، وتتقوىٰ بما سبق.

(٣) زيادة من (ح) و(حم).

(٤) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي عن ابن عباس، ومعناه صحيح ويتقوىٰ برواية الطبري التي أخرجها بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة.

(٥) تقدم تخريجه في تفسير سورة طه آية ١٣٠.

(٦) أخرجه البخاري (الصحيح، التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة] (ح٧٤٣٧)؛ وصحيح مسلم، الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية (ح١٨٢).

(٧) تقدم تخريجه في تفسير سورة طه آية ١٣٠. (٨) تقدم تخريجه في تفسير سورة التوبة آية ٧٢.

هذا الآية: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦](١).

وفي أفراد مسلم، عن جابر في حديثه: «إن الله يتجلى للمؤمنين يضحك» يعني: في عرصات القيامة ففي هذه الأحاديث أن المؤمنين ينظرون إلى ربهم ﷻ في العرصات وفي روضات الجنات(٢).

وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو معاوية، حدثنا [عبد الملك بن أبجر](٣)، حدثنا [ثوير](٤) بن أبي فاختة، عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أدنى أهل الجنة منزلة لينظر في ملكه ألفي سنة يرى أقصاه كما يرى أدناه، ينظر إلى أزواجه وخدمه، وإن أفضلهم منزلة لينظر في وجه الله كل يوم مرتين»(٥) ورواه الترمذي عن عبد بن حميد، عن شبابة، عن إسرائيل، عن ثوير قال: سمعت ابن عمر فذكره، قال: ورواه عبد الملك بن أبجر، عن ثوير، عن مجاهد، عن ابن عمر، وكذلك رواه الثوري، عن ثوير، عن مجاهد، عن ابن عمر ولم يرفعه(٦)، ولولا خشية الإطالة لأوردنا الأحاديث بطرقها وألفاظها من الصحاح والحسان والمسانيد والسنن، ولكن ذكرنا ذلك مفرقاً في مواضع من هذا التفسير، وبالله التوفيق.

وهذا بحمد الله مجمع عليه بين الصحابة والتابعين وسلف هذه الأُمة كما هو متفق عليه بين أئمة الإسلام، وهداة الأنام، ومن تأول ذلك بأن المراد بإلى مفرد الآلاء وهي: النعم كما قال الثوري، عن منصور، عن مجاهد ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ قال: تنتظر الثواب من ربها(٧)، رواه ابن جرير من غير وجه عن مجاهد، وكذا قال أبو صالح أيضاً فقد أبعد هذا القائل النجعة وأبطل فيما ذهب إليه(٨)، وأين هو من قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ [المطففين]؟.

قال الشافعي رحمه الله تعالى: ما حجب الكفار إلا وقد علم أن الأبرار يرونه ﷻ ثم قد تواترت الأخبار عن رسول الله ﷺ بما دلَّ عليه سياق الآية الكريمة وهي قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾.

قال ابن جرير: حدثنا محمد بن إسماعيل البخاري، حدثنا آدم، حدثنا المبارك، عن الحسن ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾﴾ قال: حسنة ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ قال: تنظر إلى الخالق، وحُقَّ لها أن تنضَر وهي تنظر إلى الخالق(٩).

---

(١) تقدم تخريجه في تفسير سورة طه آية ١٣٠.

(٢) أخرجه مسلم (الصحيح، الإيمان، باب أدنىٰ أهل الجنة منزلة فيها ح١٩١).

(٣) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل صحف إلى: «عبد الملك بن الحر».

(٤) كذا في مسند أحمد وترجمته ثوير، وفي الأصل صحف إلى: «يزيد».

(٥) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه، وقال محققوه: إسناده ضعيف. ثوير بن أبي فاختة ضعفه ابن معين وأبو زرعة وأبو حاتم والنسائي وابن عدي وغيرهم (المسند ٨/ ٢٤٠ ح٤٦٢٣).

(٦) سنن الترمذي، التفسير، باب ومن سورة القيامة (ح٣٣٣٠).

(٧) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق منصور عن مجاهد، وقد جانب مجاهد الصواب في هذه المسألة وخالف جمهور المفسرين.

(٨) أخرجه ابن أبي شيبة بسند حسن من طريق إسماعيل بن أبي خالد عن أبي صالح، (المصنف ٨/ ٢٧٥)، وهذا القول كسابقه.

(٩) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده حسن، وأخرجه آدم بن أبي إياس عن المبارك بن فضالة به.

وقوله تعالى: ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾﴾ هذه وجوه الفجار تكون يوم القيامة باسرة، قال قتادة: كالحة[1].

وقال السدي: تغير ألوانها.

وقال ابن زيد: ﴿بَاسِرَةٌ﴾ أي: عابسة[2].

﴿تَظُنُّ﴾ أي: تستيقن ﴿أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾ قال مجاهد: داهية[3].

وقال قتادة: شر[4].

وقال السدي: تستيقن أنها هالكة.

وقال ابن زيد: تظن أن ستدخل النار. وهذا المقام[5]، كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران: ١٠٦] وكقوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾﴾ [عبس] وكقوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾﴾ إلى قوله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾﴾ [الغاشية] في أشباه ذلك من الآيات والسياقات.

﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنْ ۜ رَاقٍ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَتَمَطَّىٰ ﴿٣٣﴾ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٥﴾ أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾﴾.

يخبر تعالى عن حالة الاحتضار وما عنده من الأهوال ثبتنا الله هنالك بالقول الثابت فقال تعالى: ﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ﴿٢٦﴾﴾ إن جعلنا «كلا» رادعة فمعناها: لست يا ابن آدم هناك تكذب بما أخبرت به بل صار ذلك عندك عياناً، وإن جعلناها بمعنى حقاً فظاهر؛ أي: حقاً إذا بلغت التراقي؛ أي: انتزعت روحك من جسدك وبلغت تراقيك، والتراقي جمع ترقوة وهي: العظام التي بين ثغرة النحر والعاتق، كقوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَا إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [الواقعة] وهكذا قال هٰهنا: ﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ﴿٢٦﴾﴾ ويذكر هٰهنا حديث بشر بن حجاج الذي تقدم في سورة يس [٧٧]. والتراقي جمع ترقوة وهي قريبة من الحلقوم ﴿وَقِيلَ مَنْ ۜ رَاقٍ ﴿٢٧﴾﴾؟.

قال عكرمة، عن ابن عباس: أي من راقٍ يرقي[6]، وكذا قال أبو قلابة: ﴿وَقِيلَ مَنْ ۜ رَاقٍ ﴿٢٧﴾﴾

---

(١) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.
(٢) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.
(٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.
(٤) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة.
(٥) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.
(٦) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق سماك عن عكرمة، وليس فيه ذكر ابن عباس رضي الله عنهما.

أي: من طبيب شاف[١]، وكذا قال قتادة والضحاك وابن زيد[٢].

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا نصر بن علي، حدثنا روح بن المسيب أبو رجاء الكلبي، حدثنا عمرو بن مالك، عن أبي الجوزاء، عن ابن عباس ﴿وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ﴿٢٧﴾﴾ قيل: من يرقى بروحه ملائكة الرحمة أم ملائكة العذاب؟ فعلى هذا يكون من كلام الملائكة[٣].

وبهذا الإسناد عن ابن عباس في قوله: ﴿وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ ﴿٢٩﴾﴾ قال: التفت عليه الدنيا والآخرة[٤]، وكذا قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس ﴿وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ ﴿٢٩﴾﴾ يقول آخر يوم من أيام الدنيا أول يوم من أيام الآخرة فتلتقي الشدة بالشدة إلا من رَحِم الله[٥].

وقال عكرمة: ﴿وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ ﴿٢٩﴾﴾ الأمر العظيم بالأمر العظيم[٦].

وقال مجاهد: بلاء ببلاء[٧].

وقال الحسن البصري في قوله تعالى: ﴿وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ ﴿٢٩﴾﴾: هما ساقاك إذا التفتا[٨]، وفي رواية عنه ماتت رجلاه فلم تحملاه وقد كان عليهما جوالاً، وكذا قال السدي، عن أبي مالك، وفي رواية عن الحسن: هو لفهما في الكفن[٩].

وقال الضحاك: ﴿وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ ﴿٢٩﴾﴾ اجتمع عليه أمران: الناس يجهزون جسده والملائكة يجهزون روحه[١٠].

وقوله تعالى: ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾﴾ أي: المرجع والمآب وذلك أن الروح ترفع إلى السمٰوات، فيقول الله ﷻ: ردُّوا عبدي إلى الأرض، فإني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى، كما ورد في حديث البراء الطويل. وقد قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوٓا إِلَى اللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ الْحَقِّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾﴾ [الأنعام].

وقوله: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾﴾ هذا إخبار عن الكافر الذي كان في الدار الدنيا مكذباً للحق بقلبه متولياً عن العمل بقالبه، فلا خير فيه باطناً ولا ظاهراً، ولهذا قال تعالى:

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة بسند حسن من طريق شبيب عن أبي قلابة. (المصنف ٥/ ٤٢٢)؛ وأخرجه الطبري من طريق شبيب به.

(٢) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة؛ وأخرجه الطبري بسند جيد من طريق أبي بسطام عن الضحاك؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

(٣) أخرجه الطبري من طريق معاذ بن هشام عن أبيه عن عمرو بن مالك به، وسنده حسن.

(٤) الأثر تتمة لسابقه كما في تفسير الطبري.

(٥) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق علي به.

(٦) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق إسماعيل بن أبي خالد عن أبي عيسىٰ بلفظ: «الأمر بالأمر».

(٧) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق أبي يحيىٰ، وهو القتات وهو ضعيف عن مجاهد. وقد أخرجه الطبري بسند صحيح عن مجاهد بلفظ ابن عباس المتقدم.

(٨) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق بشير بن المهاجر عن الحسن.

(٩) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق بشير بن المهاجر عن الحسن.

(١٠) أخرجه الطبري بأسانيد يقوي بعضها بعضاً عن الضحاك.

﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ﴿٣٣﴾﴾ أي: جذلاً أشراً بطراً كسلان لا هِمَّة له ولا عمل، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾﴾ [المطففين] وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾﴾ أي: يرجع ﴿بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا ﴿١٥﴾﴾ [الانشقاق].

وقال الضحاك، عن ابن عباس: ﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ﴿٣٣﴾﴾ أي: يختال[١].

وقال قتادة وزيد بن أسلم: يتبختر[٢].

قال الله تعالى: ﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ ﴿٣٥﴾﴾ وهذا تهديد ووعيد أكيد من الله تعالى للكافر به المتبختر في مشيه؛ أي: يحق لك أن تمشي هكذا، وقد كفرت بخالقك وبارئك كما يقال في مثل هذا على سبيل التهكم والتهديد، كقوله: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾﴾ [الدخان] وكقوله: ﴿كُلُواْ وَتَمَتَّعُواْ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [المرسلات] وكقوله: ﴿فَٱعْبُدُواْ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ﴾ [الزمر: ١٥] وكقوله: ﴿ٱعْمَلُواْ مَا شِئْتُمْ﴾ [فصلت: ٤٠] إلى غير ذلك.

وقد قال ابن أبي حاتم: حدثنا أحمد بن سنان الواسطي، حدثنا عبد الرحمٰن؛ يعني: ابن مهدي، عن إسرائيل، عن موسى بن أبي عائشة قال: سألت سعيد بن جبير قلت: ﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ ﴿٣٥﴾﴾ قال: قاله النبي ﷺ لأبي جهل، ثم نزل به القرآن[٣].

وقال أبو عبد الرحمٰن النسائي: حدثنا يعقوب بن إبراهيم، حدثنا أبو النعمان، حدثنا أبو عوانة (ح) وحدثنا أبو داود، حدثنا محمد بن سليمان، حدثنا أبو عوانة، عن موسى بن أبي عائشة، عن سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس: ﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ ﴿٣٥﴾﴾؟ قال: قاله رسول الله ﷺ لأبي جهل ثم أنزله الله ﷻ[٤].

قال ابن أبي حاتم: وحدثنا أبي، حدثنا هشام بن خالد، حدثنا شعيب، عن إسحاق، حدثنا سعيد، عن قتادة قوله: ﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ ﴿٣٥﴾﴾ وعيد على أثر وعيد كما تسمعون، وزعموا أن عدو الله أبا جهل أخذ نبي الله ﷺ بمجامع ثيابه ثم قال: «﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ ﴿٣٥﴾﴾» فقال عدو الله أبو جهل: أتوعدني يا محمد؟ والله لا تستطيع أنت ولا ربك شيئاً وإني لأعزّ من مشى بين جبليها[٥].

وقوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾﴾ قال السدي: يعني: لا يبعث[٦].

---

(١) سنده ضعيف لأن الضحاك لم يسمع من ابن عباس ويتقوىٰ بالآثار التالية.

(٢) أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

(٣) سنده ضعيف لأنه مرسل لكنه يتقوىٰ بالموصول عن ابن عباس كما يلي.

(٤) أخرجه النسائي بسنده ومتنه (السنن الكبرىٰ، التفسير، ح١١٦٣٨) وأخرجه الحاكم من طريق أبي عوانة به. وصححه ووافقه الذهبي. (المستدرك ٢/ ٥١٠).

(٥) سنده ضعيف لإرسال قتادة.

(٦) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق عبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم عن السدي بلفظ: «الذي لا يُفترض عليه عمل، ولا يعمل». وعبد الرحمٰن ضعيف.

وقال مجاهد والشافعي وعبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم: يعني: لا يؤمر ولا ينهى[(١)].

والظاهر أن الآية تعم الحالين؛ أي: ليس يترك في هذه الدنيا مهملاً لا يؤمر ولا ينهى، ولا يترك في قبره سدى لا يبعث بل هو مأمور منهي في الدنيا محشور إلى الله في الدار الآخرة، والمقصود هنا إثبات المعاد والرد على من أنكره من أهل الزيغ والجهل والعناد، ولهذا قال تعالى مستدلاً على الإعادة بالبداءة فقال تعالى: ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾﴾ أي: أما كان الإنسان نطفة ضعيفة من ماء مهين. يمنى: يراق من الأصلاب في الأرحام ﴿ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾﴾ أي: فصار علقة ثم مضغة ثم شكل ونفخ فيه الروح فصار خلقاً سوياً سليم الأعضاء ذكراً أو أنثى بإذن الله وتقديره. ولهذا قال تعالى: ﴿فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٣٩﴾﴾.

ثم قال تعالى: ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾﴾ أي: أما هذا الذي أنشأ هذا الخلق السوي من هذه النطفة الضعيفة بقادر على أن يعيده كما بدأه وتناول القدرة للإعادة إما بطريق الأولى بالنسبة إلى البداءة وإما مساوية على القولين في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧] والأول أشهر كما تقدم في سورة الروم[(٢)] بيانه وتقريره، والله أعلم.

قال ابن أبي حاتم: حدثنا الحسن بن محمد [بن][(٣)] الصباح، حدثنا شبابة، عن شعبة، عن موسى بن أبي عائشة، عن آخر أنه كان فوق سطح يقرأ ويرفع صوته بالقرآن، فإذا قرأ ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾﴾ قال: سبحانك اللَّهم فبلى، فسئل عن ذلك فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول ذلك[(٤)].

وقال أبو داود رحمه الله: حدثنا محمد بن المثنى، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن موسى بن أبي عائشة قال: كان رجل يصلي فوق بيته فكان إذا قرأ: ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾﴾ قال: سبحانك فبلى، فسألوه عن ذلك فقال: سمعته من رسول الله ﷺ[(٥)]. تفرد به أبو داود ولم يسم هذا الصحابي ولا يضر ذلك.

وقال أبو داود أيضاً: حدثنا عبد الله بن محمد الزهري، حدثنا سفيان، حدثني إسماعيل بن أُمية، سمعت أعرابياً يقول: سمعت أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ منكم بالتين والزيتون فانتهى إلى آخرها ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ ﴿٨﴾﴾ [التين] فليقل بلى وأنا على ذلك من الشاهدين، ومن قرأ: ﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴿١﴾﴾ فانتهى إلى قوله: ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾﴾ فليقل بلى، ومن قرأ: ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ﴾ [المرسلات: ١] فبلغ ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٥] فليقل: آمنا بالله»[(٦)].

---

(١) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.
(٢) آية ٢٧.
(٣) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل بياض.
(٤) سنده حسن، ويتقوىٰ بما يليه.
(٥) أخرجه أبو داود بسنده ومتنه (السنن، الصلاة، باب الدعاء في الصلاة ح٨٨٤)؛ وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح٧٨٦).
(٦) المصدر السابق، باب مقدار الركوع والسجود (ح٨٨٧)؛ وضعفه الألباني في ضعيف سنن أبي داود (ح١٨٨).

ورواه أحمد، عن سفيان بن عيينة ورواه الترمذي، عن ابن أبي عمر، عن سفيان بن عيينة به، وقد رواه شعبة، عن إسماعيل بن أُمية قال: قلت له من حدثك؟ قال: رجل صدق عن أبي هريرة[(١)].

وقال ابن جرير: حدثنا بشر، حدثنا يزيد، حدثنا سعيد، عن قتادة قوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾﴾ ذُكر لنا أن رسول الله ﷺ كان إذا قرأها قال: «سبحانك وبلى»[(٢)].

ثم قال ابن أبي حاتم: حدثنا أحمد بن سنان الواسطي، حدثنا أبو أحمد الزبيري، حدثنا سفيان، عن أبي إسحاق، عن مسلم البطين، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، أنه مرَّ بهذه الآية: ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾﴾؟ قال: سبحانك فبلى[(٣)].

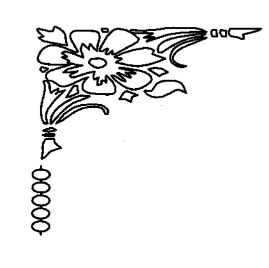
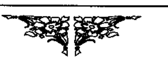
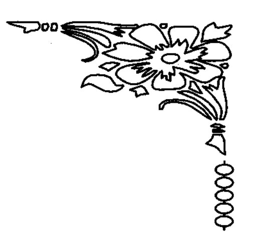
آخر تفسير سورة القيامة، ولله الحمد والمنّة.

---

(١) المسند (١٢/ ٣٥٢ ح٧٣٩٠) وضعفه محققوه لجهالة الراوي عن أبي هريرة؛ وأخرجه الترمذي (السنن، التفسير، باب ومن سورة والتين ح٣٣٤٧)؛ وأخرجه الحاكم من طريق يزيد بن عياض عن إسماعيل بن أُمية عن أبي اليسع عن أبي هريرة وصححه ووافقه الذهبي (المستدرك ٢/ ٥١٠)، ولكن يزيد بن عياض كذبه مالك وغيره. (التقريب ص٦٠٤).

(٢) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده رجاله ثقات لكنه مرسل ويتقوىٰ بسابقه ولاحقه.

(٣) رجاله ثقات وسنده صحيح.

سُورَةُ الإنسَانِ

وهي مكية

قد تقدم في صحيح مسلم عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في صلاة الصبح يوم الجمعة ﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ﴾ السجدة و﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ﴾[١].

وقال عبد الله بن وهب: أخبرنا ابن زيد أن رسول الله ﷺ قرأ هذه السورة: ﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ﴾ وقد أنزلت عليه وعنده رجل أسود فلما، بلغ صفة الجنان زفر فخرجت نفسه فقال رسول الله ﷺ: «أخرج نفس صاحبكم أو قال: أخيكم الشوق إلى الجنة»[٢]. مرسل غريب.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا ۝١ إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ نَّبۡتَلِيهِ فَجَعَلۡنَٰهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا ۝٢ إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرٗا وَإِمَّا كَفُورًا ۝٣﴾.

يقول تعالى مخبراً عن الإنسان أنه أوجده بعد أن لم يكن شيئاً يذكر لحقارته وضعفه فقال تعالى: ﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا ۝١﴾ ثم بين ذلك فقال: ﴿إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ﴾ أي: أخلاط. والمشج والمشيج: الشيء المختلط بعضه في بعض.

قال ابن عباس: في قوله تعالى: ﴿مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ﴾ يعني: ماء الرجل وماء المرأة إذا اجتمعا واختلطا، ثم ينتقل بعدُ من طور إلى طور وحال إلى حال ولون إلى لون[٣]، وهكذا قال عكرمة ومجاهد والحسن والربيع بن أنس الأمشاج هو: اختلاط ماء الرجل بماء المرأة[٤].

وقوله: ﴿نَّبۡتَلِيهِ﴾ أي: نختبره كقوله: ﴿لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۗ﴾ [هود: ٧].

﴿فَجَعَلۡنَٰهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا﴾ أي: جعلنا له سمعاً وبصراً يتمكن بهما من الطاعة والمعصية.

---

(١) تقدم في تفسير سورة السجدة.

(٢) سنده ضعيف لأنه مرسل، وسيأتي وصله والمزيد من التخريج في تفسير آية ٢٠ من هذه السورة الكريمة.

(٣) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق عطية العوفي عن ابن عباس؛ وأخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس بلفظ: «مختلفة الألوان».

(٤) وأخرجه آدم بن أبي إياس بسند حسن من طريق سعيد بن مسروق عن عكرمة؛ وأخرجه الطبري وآدم بسند حسن من طريق المبارك بن فضالة عن الحسن؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة؛ وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة؛ وأخرجه الطبري بسند جيد من طريق أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس.

وقوله: ﴿إِنَّا هَدَيْنَهُ ٱلسَّبِيلَ﴾ أي: بيناه له ووضحناه وبصرناه به كقوله: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ [فصلت: ١٧] وكقوله: ﴿وَهَدَيْنَهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ۝١٠﴾ [البلد] أي: بينا له طريق الخير وطريق الشر، وهذا قول عكرمة وعطية وابن زيد ومجاهد في المشهور عنه والجمهور[(١)].

وروي عن مجاهد وأبي صالح والضحاك والسدي أنهم قالوا في قوله: ﴿إِنَّا هَدَيْنَهُ ٱلسَّبِيلَ﴾ يعني: خروجه من الرحم. وهذا قول غريب والصحيح المشهور الأول.

وقوله: ﴿إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ منصوب على الحال من الهاء في قوله: ﴿إِنَّا هَدَيْنَهُ ٱلسَّبِيلَ﴾ تقديره فهو في ذلك إما شقي وإما سعيد كما جاء في الحديث الذي رواه مسلم، عن أبي مالك الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: «كل الناس يغدو فبائع نفسه فموبقها أو معتقها»[(٢)].

وقد تقدم في سورة الروم عند قوله: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [٣٠] من رواية جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة حتى يعرب عنه لسانه إما شاكراً وإما كفوراً»[(٣)].

وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو عامر، حدثنا عبد الله بن جعفر، عن عثمان بن محمد، عن المقبري، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال «ما من خارج يخرج إلا ببابه رايتان راية بيد ملك وراية بيد شيطان، فإن خرج لما يحب الله اتبعه الملك برايته، فلم يزل تحت راية الملك حتى يرجع إلى بيته وإن خرج لما يسخط الله اتبعه الشيطان برايته، فلم يزل تحت راية الشيطان حتى يرجع إلى بيته»[(٤)].

وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق، حدثنا معمر، عن ابن خثيم، عن عبد الرحمٰن بن سابط، عن جابر بن عبد الله أن النبي ﷺ قال لكعب بن عجرة: «أعاذك الله من إمارة السفهاء. قال: وما إمارة السفهاء؟ قال: أمراء يكونون بعدي لا يهتدون بهداي ولا يستنون بسنتي، فمن صدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فأولئك ليسوا مني ولست منهم، ولا يردون علي حوضي ومن لم يعنهم على ظلمهم، فأولئك مني وأنا منهم وسيردون على حوضي، يا كعب بن عجرة الصوم جنة، والصدقة تطفئ الخطيئة، والصلاة قربان، أو قال: برهان، يا كعب بن عجرة إنه لا يدخل الجنة لحم نبت من سحت، النار أولى به، يا كعب الناس غاديان فمبتاع نفسه فمعتقها وبائع نفسه فموبقها»[(٥)]. ورواه عن عفان، عن وهيب، عن عبد الله بن خثيم به[(٦)].

---

(١) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد بلفظ: «الشقاوة والسعادة». ونسبه السيوطي إلى ابن المنذر عن عطية العوفي.

(٢) أخرجه مسلم بلفظه وأطول (الصحيح، الطهارة، باب فضل الوضوء ح٢٢٣).

(٣) تقدم تخريجه في تفسير سورة الروم آية ٣٠.

(٤) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه، وحسن سنده محققوه (المسند ١٤/ ٤٢ ح٨٢٨٦).

(٥) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه، وقال محققوه: إسناده قوي. (المسند ٢٢/ ٣٣٢ ح١٤٤٤١).

(٦) (المسند ح١٥٢٨٤) وحكمه كسابقه.

﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۟ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾﴾.

يخبر تعالى عما أرصده للكافرين من خلقه من السلاسل والأغلال والسعير؛ وهو: اللهيب والحريق في نار جهنم كما قال تعالى: ﴿إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [غافر]. ولما ذكر ما أعدَّه لهؤلاء الأشقياء من السعير قال بعده: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾﴾ وقد علم ما في الكافور من التبريد والرائحة الطيبة مع ما يضاف إلى ذلك من اللذاذة في الجنة.

قال الحسن: برد الكافور في طيب الزنجبيل. ولهذا قال: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾﴾ أي: هذا الذي مزج لهؤلاء الأبرار من الكافور هو عين يشرب بها المقربون من عباد الله صرفاً بلا مزج ويروون بها، ولهذا ضمن يشرب معنى يروى حتى عدَّاه بالباء ونصب عيناً على التمييز.

قال بعضهم: هذا الشراب في طيبه كالكافور.

وقال بعضهم: هو من عين كافور.

وقال بعضهم: يجوز أن يكون منصوباً بـ(يشرب) حكى هذه الأقوال الثلاثة ابن جرير(١).

وقوله تعالى: ﴿يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ أي: يتصرفون فيها حيث شاؤوا وأين شاؤوا من قصورهم ودورهم ومجالسهم ومحالهم والتفجير هو الإنباع كما قال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾﴾ [الإسراء] وقال: ﴿وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا﴾ [الكهف: ٣٣] قال مجاهد: ﴿يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ يقودونها حيث شاءوا(٢)، وكذا قال عكرمة وقتادة(٣).

وقال الثوري: يصرفونها حيث شاءوا(٤). وقوله: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾﴾ أي: يتعبدون لله فيما أوجبه عليهم من فعل الطاعات الواجبة بأصل الشرع وما أوجبوه على أنفسهم بطريق النذر.

قال الإمام مالك: عن طلحة بن عبد الملك الأيلي، عن القاسم بن مالك، عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم قال: «من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه»(٥). رواه البخاري من حديث مالك(٦). ويتركون المحرمات التي نهاهم عنها خيفة من سوء الحساب يوم المعاد، وهو اليوم الذي شره مستطير؛ أي: منتشر عام على الناس إلا من رحم الله.

---

(١) ذكره الطبري بنحوه.
(٢) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.
(٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة.
(٤) أخرجه الطبري من طريق مهران عن سفيان.
(٥) أخرجه الإمام مالك بسنده ومتنه (الموطأ، النذور والأيمان، باب ما لا يجوز من النذور في معصية الله ح٨).
(٦) صحيح البخاري، الأيمان والنذر، باب النذر في الطاعة (ح٦٦٩٦).

قال ابن عباس: فاشياً.

وقال قتادة: استطار والله شر ذلك اليوم حتى ملأ السماوات والأرض[١].

قال ابن جرير: ومنه قولهم: استطار الصدع في الزجاجة واستطال، ومنه قول الأعشى:

فبانت وقد أسأرت في الفؤاد صدعاً على نأيها مستطيرا[٢]

يعني: ممتداً فاشياً.

وقوله: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ﴾ قيل: على حب الله تعالى وجعلوا الضمير عائداً إلى الله ﷻ لدلالة السياق عليه، والأظهر أن الضمير عائد على الطعام؛ أي: ويطعمون الطعام في حال محبتهم وشهوتهم له. قاله مجاهد ومقاتل[٣] واختاره ابن جرير، كقوله تعالى ﴿وَءَاتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ﴾ [البقرة: ١٧٧] وكقوله تعالى: ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢].

وروى البيهقي من طريق الأعمش، عن نافع قال: مرض ابن عمر فاشتهى عنباً أول ما جاء العنب، فأرسلت صفية؛ يعني: امرأته فاشترت عنقوداً بدرهم فاتبع الرسول سائل، فلما دخل به قال: السائل السائل فقال ابن عمر: أعطوه إياه، فأعطوه إياه، فأرسلت بدرهم آخر فاشترت عنقوداً، فاتبع الرسول السائل فلما دخل قال: السائل السائل. فقال ابن عمر: أعطوه إياه، فأعطوه إياه، فأرسلت صفية إلى السائل فقالت: والله إن عدت لا تصيب منه خيراً أبداً، ثم أرسلت بدرهم آخر فاشترت به[٤].

وفي الصحيح: أفضل الصدقة أن تصدَّق وأنت صحيح شحيح تأمل الغنى وتخشى الفقر[٥]؛ أي: في حال محبتك للمال وحرصك عليه وحاجتك إليه ولهذا قال تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝٨﴾.

أما المسكين واليتيم، فقد تقدم بيانهما وصفتهما وأما الأسير فقال سعيد بن جبير والحسن والضحاك: الأسير من أهل القبلة[٦].

وقال ابن عباس: كان أسراؤهم يومئذٍ مشركين[٧]، ويشهد لهذا أن رسول الله ﷺ أمر أصحابه يوم بدر أن يكرموا الأسارى، فكانوا يقدمونهم على أنفسهم عند الغداء.

وقال عكرمة: هم العبيد[٨]. واختاره ابن جرير لعموم الآية للمسلم والمشرك وهكذا قال سعيد بن جبير وعطاء والحسن وقتادة.

---

(١) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٢) ذكره الطبري بلفظه وأطول.

(٣) أخرجه هناد وبسند صحيح من طريق ليث عن مجاهد (الزهد رقم ٦٣٣) وليث هو ابن أبي سليم فيه مقال ولكنه توبع فقد أخرجه الطبري من طريق منصور عن مجاهد، فيكون سنده حسناً لغيره.

(٤) أخرجه البيهقي من طريق الأعمش به (السنن الكبرىٰ ٤/ ١٨٥) وسنده صحيح.

(٥) تقدم تخريجه في تفسير سورة البقرة آية ١٧٧.

(٦) أخرجه ابن أبي شيبة بسند حسن من طريق عمرو بن مرة عن سعيد بن جبير. (المصنف ٣/ ٦٨) ولكن ما ورد عن الحسن أنه من أهل الشرك فقد أخرجه ابن أبي شيبة بسند حسن من طريق عثمان البتي عن الحسن. (المصنف ٣/ ٦٨) ونحوه في تفسير الطبري.

(٧) أخرجه عبد الرزاق بسند ضعيف جداً من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس.

(٨) عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد.

وقد وصى رسول الله ﷺ بالإحسان إلى الأرقاء في غير ما حديث حتى أنه كان آخر ما أوصى أن جعل يقول الصلاة وما ملكت أيمانكم[١].

قال مجاهد: هو المحبوس[٢]؛ أي: يطعمون الطعام لهؤلاء وهم يشتهونه ويحبونه قائلين بلسان الحال ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ﴾ أي: رجاء ثواب الله ورضاه ﴿لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾ أي: لا نطلب منكم مجازاة تكافئوننا بها ولا أن تشكرونا عند الناس.

قال مجاهد وسعيد بن جبير: أما والله ما قالوه بألسنتهم ولكن علم الله به من قلوبهم، فأثنى عليهم به ليرغب في ذلك راغب[٣].

﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ۝١٠﴾ أي: إنما نفعل هذا لعل الله أن يرحمنا ويتلقانا بلطفه في اليوم العبوس القمطرير.

قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس ﴿عَبُوسًا﴾ ضيقاً ﴿قَمْطَرِيرًا﴾ طويلاً[٤].

وقال عكرمة وغيره عنه في قوله: ﴿يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾ قال: يعبس الكافر يومئذٍ حتى يسيل من بين عينيه عرق مثل القطران[٥].

وقال مجاهد: ﴿عَبُوسًا﴾ العابس الشفتين ﴿قَمْطَرِيرًا﴾ قال: يقبض الوجه بالبسور[٦].

وقال سعيد بن جبير وقتادة: تعبس فيه الوجوه من الهول ﴿قَمْطَرِيرًا﴾ تقليص الجبين وما بين العينين من الهول[٧].

وقال ابن زيد العبوس: الشر، والقمطرير: الشديد[٨]، وأوضح العبارات وأجلاها وأحلاها وأعلاها وأولاها قول ابن عباس رضي الله عنهما.

قال ابن جرير: والقمطرير هو: الشديد يقال: هو يوم قمطرير، ويوم قماطر، ويوم عصيب وعصبصب وقد اقمطر اليوم يقمطر اقمطراراً، وذلك أشد الأيام وأطولها في البلاء والشدة ومنه قول بعضهم:

بني عمنا هل تذكرون بلاءنا ... عليكم إذا ما كان يوم قُماطر[٩]

قال الله تعالى: ﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ۝١١﴾ وهذا من باب التجانس البليغ

---

(١) أخرجه الإمام أحمد من حديث علي رضي الله عنه، وحسن سنده محققوه. (المسند ٢/ ٢٤ ح٥٨٥).
(٢) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.
(٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سالم، وهو الأفطس، عن مجاهد، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سالم، وهو الأفطس، عن سعيد بن جبير.
(٤) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق علي به.
(٥) أخرجه الطبري من طريق مصعب بن سلام التميمي عن سعد عن عكرمة عن ابن عباس، ومصعب له أوهام وهو يروي أبي سعد البقال وكان كثير الغلط (تهذيب التهذيب ١٠/ ١٦١) واخشىٰ أنه وهم باسم شيخه فإن كان أبا سعد البقال فالسند ضعيف.
(٦) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.
(٧) أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة.
(٨) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.
(٩) ذكره الطبري بلفظه.

﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ﴾ أي: آمنهم مما خافوا منه ﴿وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً﴾ أي: في وجوههم ﴿وَسُرُورًا﴾ أي: في قلوبهم. قاله الحسن البصري وقتادة وأبو العالية والربيع بن أنس[١]. وهذه كقوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾﴾ [عبس]، وذلك أن القلب إذا سر استنار الوجه قال كعب بن مالك في حديثه الطويل: وكان رسول الله ﷺ إذا سر استنار وجهه حتى كأنه فلقة قمر[٢].

وقالت عائشة: «دخل عليَّ رسول الله ﷺ مسروراً تبرق أسارير وجهه» الحديث[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا﴾ أي: بسبب صبرهم أعطاهم ونولهم وبوأهم ﴿جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ أي: منزلاً رحباً وعيشاً رغداً ولباساً حسناً. وروى الحافظ ابن عساكر في ترجمة هشام بن سليمان الداراني قال: قرئ علي أبي سليمان الداراني سورة: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ﴾ فلما بلغ القارئ إلى قوله تعالى: ﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾﴾ قال: بما صبروا على ترك الشهوات في الدنيا، ثم أنشد يقول:

كم قتيل لشهوة وأسير ... أف من مشتهي خلاف الجميل
شهوات الإنسان تورثه الذل ... وتلقيه في البلاء الطويل[٤]

📖 ﴿مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا۟ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾﴾.

يخبر تعالى عن أهل الجنة وما هم فيه من النعيم المقيم وما أسبغ عليهم من الفضل العميم فقال تعالى: ﴿مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ﴾، وقد تقدم الكلام على ذلك في سورة الصافات، وذكر الخلاف في الاتكاء هل هو الاضطجاع أو التمرفق أو التربع أو التمكن في الجلوس؟ وأن الأرائك هي السرر تحت الحجال.

وقوله تعالى: ﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾ أي: ليس عندهم حر مزعج ولا برد مؤلم بل هي مزاج واحد دائم سرمدي ﴿لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾ [الكهف: ١٠٨].

﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا﴾ أي: قريبة إليهم أغصانها ﴿وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾ أي: متى تعاطاه دنا القطف إليه وتدلى من أعلى غصنه كأنه سامع طائع كما قال تعالى في الآية الأخرى: ﴿وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ [الرحمٰن: ٥٤] وقال تعالىٰ: ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [الحاقة].

---

(١) أخرجه آدم بن أبي إياس بسند حسن من طريق المبارك بن فضالة عن الحسن؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.
(٢) تقدم تخريجه في تفسير سورة التوبة آية ١١٨.
(٣) أخرجه الشيخان (صحيح البخاري، المناقب، باب صفة النبي ﷺ ح٣٥٥٦)؛ وصحيح مسلم، الرضاع، باب العمل بإلحاق القائف الولد (ح١٤٥٩).
(٤) ينظر: مختصر تاريخ دمشق لابن منظور ٢٧/٨٦.

قال مجاهد: ﴿وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾ إن قام ارتفعت معه بقدر، وإن قعد تذللت له حتى ينالها، وإن اضطجع تذللت له حتى ينالها فذلك قوله تعالى: ﴿تَذْلِيلًا﴾[(١)].

وقال قتادة: لا يرد أيديهم عنها شوك ولا بعد[(٢)].

وقال مجاهد: أرض الجنة من ورق وترابها المسك وأصول شجرها من ذهب وفضة وأفنانها من اللؤلؤ الرطب والزبرجد والياقوت والورق والثمر بين ذلك، فمن أكل منها قائماً لم تؤذه، ومن أكل منها قاعداً لم تؤذه، ومن أكل منها مضطجعاً لم تؤذه[(٣)].

وقوله: ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ﴾ أي: يطوف عليهم الخدم بأواني الطعام وهي من فضة وأكواب الشراب، وهي الكيزان التي لا عرى لها ولا خراطيم.

وقوله: ﴿قَوَارِيرَا ۝١٥ قَوَارِيرَا مِن فِضَّةٍ﴾ **فالأول**: منصوب بخبر «كان» أي: كانت قوارير.

والثاني: منصوب إما على البدلية أو تمييز لأنه بيَّنه بقوله: ﴿قَوَارِيرَا مِن فِضَّةٍ﴾.

قال ابن عباس ومجاهد والحسن البصري وغير واحد: بياض الفضة في صفاء الزجاج[(٤)]. والقوارير لا تكون إلا من زجاج، فهذه الأكواب هي من فضة وهي مع هذا شفافة يرى ما في باطنها من ظاهرها، وهذا مما لا نظير له في الدنيا.

قال ابن المبارك: عن إسماعيل، عن رجل، عن ابن عباس: ليس في الجنة شيء إلا قد أعطيتم في الدنيا شبهه إلا قوارير من فضة[(٥)]. رواه ابن أبي حاتم.

وقوله تعالى: ﴿قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾ أي: على قدر ريهم لا تزيد عنه ولا تنقص بل هي مُعدَّة لذلك، مقدرة بحسب ريٍّ صاحبها هذا معنى قول ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وأبي صالح وقتادة وابن أبزى وعبد الله بن عمير والشعبي وابن زيد[(٦)]، وقاله ابن جرير وغير واحد، وهذا أبلغ في الاعتناء والشرف والكرامة.

وقال العوفي، عن ابن عباس: ﴿قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾ قدرت للكف[(٧)]، وهكذا قال الربيع بن أنس.

وقال الضحاك: على قدر كف الخادم. وهذا لا ينافي القول الأول فإنها مقدرة في القدر والري.

وقوله تعالى: ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ۝١٧﴾ أي: ويسقون يعني الأبرار أيضاً في هذه الأكواب ﴿كَأْسًا﴾ أي: خمراً ﴿كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا﴾ فتارة يمزج لهم الشراب بالكافور وهو: بارد، وتارة

---

(١) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.

(٢) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد. (المصنف ٨/٦٧) وله شواهد في الصحيح وغيره.

(٤) أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق أبي رجاء عن الحسن.

(٥) سنده ضعيف لأبهام الراوي عن ابن عباس.

(٦) أخرجه ابن أبي شيبة بسند صحيح من طريق منصور عن مجاهد. (المصنف ٨/٢٨٧)، وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

(٧) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به.

بالزنجبيل وهو: حار ليعتدل الأمر، وهؤلاء يمزج لهم من هذا تارة ومن هذا تارة، وأما المقربون فإنهم يشربون من كل منهما صرفاً كما قاله قتادة وغير واحد[١]، وقد تقدم قوله جلَّ وعلا: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ﴾ وقال هٰهنا ﴿عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾﴾ أي: الزنجبيل عين في الجنة تسمى سلسبيلاً.

قال عكرمة: اسم عين في الجنة[٢].

وقال مجاهد: سميت بذلك لسلاسة سيلها وحدة جريها[٣].

وقال قتادة: عيناً فيها تسمى سلسبيلاً عين سلسة مستقيد ماؤها[٤].

وحكى ابن جرير، عن بعضهم أنها سميت بذلك لسلاستها في الحلق[٥]، واختار هو أنها تعم ذلك كله، وهو كما قال.

وقوله تعالى: ﴿۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾﴾ أي: يطوف على أهل الجنة للخدمة ولدان من ولدان الجنة ﴿مُّخَلَّدُونَ﴾ أي: على حالة واحدة مخلدون عليها لا يتغيرون عنها لا تزيد أعمارهم عن تلك السن، ومن فسرهم بأنهم مخرصون في آذانهم الأقرطة فإنما عبر عن المعنى بذلك لأن الصغير هو الذي يليق له ذلك دون الكبير. وقوله تعالى: ﴿إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا﴾ أي: إذا رأيتهم في انتشارهم في قضاء حوائج السادة وكثرتهم وصباحة وجوههم وحسن ألوانهم وثيابهم وحليهم حسبتهم لؤلؤاً منثوراً، ولا يكون في التشبيه أحسن من هذا ولا في المنظر أحسن من اللؤلؤ المنثور على المكان الحسن.

قال قتادة، عن أبي أيوب، عن عبد الله بن عمرو: ما من أهل الجنة من أحد إلا يسعى عليه ألف خادم كل خادم على عمل ما عليه صاحبه[٦].

وقوله: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ﴾ أي: وإذا رأيت يا محمد ﴿ثَمَّ﴾ أي: هناك يعني في الجنة ونعيمها وسعتها وارتفاعها وما فيها من الحبرة والسرور ﴿رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ أي: مملكة لله هناك عظيمة وسلطاناً باهراً، وثبت في الصحيح أن الله تعالى يقول لآخر أهل النار خروجاً منها وآخر أهل الجنة دخولاً إليها: إن لك مثلَ الدنيا وعشرة أمثالها[٧]، وقد قدمنا في الحديث المروي من طريق ثوير بن أبي فاختة، عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر في ملكه مسيرة ألفي سنة ينظر إلى أقصاه كما ينظر إلى أدناه»[٨] فإذا كان هذا عطاؤه تعالى لأدنى من يكون في الجنة فما ظنك بما هو أعلى منزلة وأحظى عنده تعالى.

وقد روى الطبراني هٰهنا حديثاً غريباً جداً فقال: حدثنا علي بن عبد العزيز، حدثنا محمد بن عمار

---

(١) أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة بلفظ: «تُمزج بالزنجبيل». وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة بلفظ: «يشربها المقربون صِرفاً، وتمزج لسائر أهل الجنة».

(٢) معناه صحيح.

(٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.

(٤) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة.

(٥) ذكره الطبري ونسبه إلى بعض نحويي الكوفة، ومنهم الفراء فقد ذكره في معاني القرآن ٣/٢١٧.

(٦) أخرجه هناد من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة به. (الزهد رقم ١٧٤) وسنده صحيح.

(٧) أخرجه مسلم من حديث ابن مسعود ﷺ (الصحيح، الإيمان، باب آخر أهل النار خروجاً ح١٨٦).

(٨) تقدم تخريجه في تفسير سورة القيامة آية ٢٣.

الموصلي، حدثنا عقبة بن سالم، عن أيوب بن عتبة، عن عطاء، عن ابن عمر قال: جاء رجل من الحبشة إلى رسول الله ﷺ فقال له رسول الله ﷺ: «سل واستفهم» فقال: يا رسول الله فضلتم علينا بالصور والألوان والنبوة، أفرأيت إن آمنتُ بما آمنتَ به وعملتُ بما عملتَ به إني لكائن معك في الجنة؟ قال: نعم والذي نفسي بيده إنه ليرى بياض الأسود في الجنة من مسيرة ألف عام ثم قال رسول الله ﷺ: «من قال: لا إله إلا الله كان له بها عهد عند الله، ومن قال: سبحان الله وبحمده كتب له مائة ألف حسنة وأربعة وعشرون ألف حسنة، فقال رجل: كيف نهلك بعد هذا يا رسول الله؟» فقال رسول الله ﷺ: «إن الرجل ليأتي يوم القيامة بالعمل لو وضع على جبل لأثقله فتقوم النعمة أو نعم الله، فتكاد تستنفد ذلك كله إلا أن يتغمده الله برحمته، ونزلت هذه السورة ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ﴾ إلى قوله: ﴿وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ فقال الحبشي: وإن عيني لترى ما ترى عيناك في الجنة؟ قال: نعم فاستبكى حتى فاضت نفسه». قال ابن عمر: ولقد رأيت رسول الله ﷺ يدليه في حفرته بيده[1].

وقوله: ﴿عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ﴾ أي: لباس أهل الجنة فيها الحرير ومنه سندس وهو: رفيع الحرير كالقمصان ونحوها مما يلي أبدانهم والإستبرق منه ما فيه بريق ولمعان وهو مما يلي الظاهر كما هو المعهود في اللباس.

﴿وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ﴾ وهذه صفة الأبرار وأما المقربون فكما قال تعالى: ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ [الحج: ٢٣].

ولما ذكر تعالى زينة الظاهر بالحرير والحلي قال بعده: ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ أي: طهر بواطنهم من الحسد والحقد والغلّ والأذى وسائر الأخلاق الرديئة، كما روينا عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ أنه قال: إذا انتهى أهل الجنة إلى باب الجنة وجدوا هناك عينين فكأنما أُلهموا ذلك فشربوا من إحداهما فأذهب الله ما في بطونهم من أذى، ثم اغتسلوا من الأخرى فجرت عليهم نضرة النعيم، فأخبر ﷻ بحالهم الظاهر وجمالهم الباطن.

وقوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾﴾ أي: يقال لهم ذلك تكريماً لهم وإحساناً إليهم كما قال تعالى: ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾﴾ [الحاقة] وكقوله تعالى: ﴿وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ٤٣].

وقوله: ﴿وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا﴾ أي: جزاكم الله تعالى على القليل بالكثير.

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا ﴿٢٣﴾ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿٢٧﴾ نَّحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ ۖ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ تَبْدِيلًا ﴿٢٨﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًۢا ﴿٣١﴾﴾.

يقول تعالى ممتناً على رسوله ﷺ بما أنزله عليه من القرآن العظيم تنزيلاً: ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾

---

(١) أخرجه الطبراني (المعجم الكبير ٤٣٦/١٢ ح١٣٥٩٥) وسنده ضعيف لضعف أيوب بن عتبة. (مجمع الزوائد ٤٣٣/١٠ والتقريب ص١١٨).

أي: كما أكرمتك بما أنزلت عليك فاصبر على قضائه وقدره واعلم أنه سيدبرك بحسن تدبيره ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾ أي: لا تطع الكافرين والمنافقين إن أرادوا صدك عما أنزل إليك بل بلغ ما أنزل إليك من ربك وتوكل على الله، فإن الله يعصمك من الناس، فالآثم هو الفاجر في أفعاله، والكفور هو الكافر قلبه ﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾﴾ أي: أول النهار وآخره ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾﴾ كقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾﴾ [الإسراء] وكقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾﴾ [المزمل].

ثم قال تعالى منكراً على الكفار ومن أشبههم في حبِّ الدنيا والإقبال عليها والانصباب إليها وترك الدار الآخرة وراء ظهورهم: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿٢٧﴾﴾ يعني: يوم القيامة ثم قال تعالى: ﴿نَّحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ﴾ قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد يعني: خلقهم[١]. ﴿وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ تَبْدِيلًا﴾ أي: وإذا شئنا بعثناهم يوم القيامة وبدلناهم فأعدناهم خلقاً جديداً، وهذا استدلال بالبداءة على الرجعة.

وقال ابن زيد وابن جرير: ﴿وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ تَبْدِيلًا﴾ أي: وإذا شئنا أتينا بقوم آخرين غيرهم[٢]. كقوله: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا ﴿١٣٣﴾﴾ [النساء] وكقوله: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢٠﴾﴾ [إبراهيم].

ثم قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ﴾ يعني هذه السورة تذكرة ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾ أي: طريقاً ومسلكاً؛ أي: من شاء اهتدى بالقرآن كقوله تعالى: ﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ﴾ الآية [النساء: ٣٩].

ثم قال: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ أي: لا يقدر أحد أن يهدي نفسه ولا يدخل في الإيمان ولا يجر لنفسه نفعاً ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ أي: عليم بمن يستحق الهداية فييسرها له ويقيض له أسبابها ومن يستحق الغواية فيصرفه عن الهدى وله الحكمة البالغة والحجة الدامغة ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ ثم قال تعالى: ﴿يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًۢا ﴿٣١﴾﴾ أي: يهدي من يشاء ويضل من يشاء، فمن يهده فلا مضلَّ له ومن يضلل فلا هادي له.

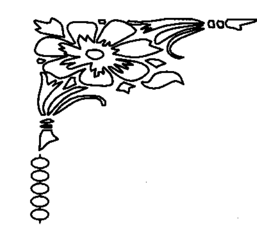
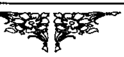
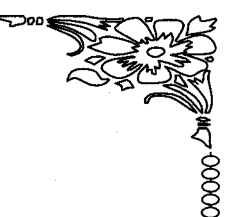
آخر تفسير سورة الإنسان، [والله أعلم][٣].

---

(١) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق عطية العوفي عن ابن عباس ويتقوىٰ بما يليه: فقد أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد، وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة.

(٢) ذكره الطبري بنحوه، وأخرجه بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد بنحوه.

(٣) زيادة من (حم).

سُورَةُ المُرسَلات

وهي مكية

قال البخاري: حدثنا عمر بن حفص بن غياث، حدثنا أبي، حدثنا الأعمش، حدثني إبراهيم، عن الأسود، عن عبد الله هو ابن مسعود ﷺ قال: بينما نحن مع رسول الله ﷺ في غار بمنى إذ نزل عليه ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ﴾ فإنه ليتولها وإني لأتلقاها من فيه، وإن فاه لرطب بها إذ وثبت علينا حيَّة فقال النبي ﷺ: «اقتلوها» فابتدرناها فذهبت فقال النبي ﷺ: «وقيتْ شرَّكم كما وُقيتم شرَّها»[١]. وأخرجه مسلم أيضاً من طريق الأعمش[٢].

وقال الإمام أحمد: ثنا سفيان بن عيينة، عن الزهري، عن عبيد الله، عن ابن عباس، عن أُمه أنها سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالمرسلات عرفاً[٣]. وفي رواية مالك، عن الزهري، عن عبيد الله، عن ابن عباس أن أُم الفضل سمعته يقرأ: ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ۝١﴾ فقالت: يا بني أذكرتني بقراءتك هذه السورة إنها لآخر ما سمعت من رسول الله ﷺ يقرأ بها في المغرب[٤]. أخرجاه في الصحيحين من طريق مالك به[٥].

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ۝١ فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا ۝٢ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا ۝٣ فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا ۝٤ فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا ۝٥ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ۝٦ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٌ ۝٧ فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ ۝٨ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ ۝٩ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ ۝١٠ وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ ۝١١ لِأَىِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ۝١٢ لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ ۝١٣ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ۝١٤ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝١٥﴾.

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، ثنا زكريا بن سهل المروزي، ثنا علي بن الحسن بن شقيق، أنا الحسين بن واقد، ثنا الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة: ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ۝١﴾ قال: الملائكة[٦]. وروي عن مسروق وأبي الضحى ومجاهد في إحدى الروايات والسدي والربيع بن

---

(١) أخرجه البخاري بسنده ومتنه (الصحيح، جزاء الصيد، باب ما يقتل المحرم من الدواب ح١٨٣٠).

(٢) صحيح مسلم، السلام، باب قتل الحيات (ح٢٢٣٤).

(٣) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٦/٣٣٨) وسنده صحيح.

(٤) أخرجه الإمام مالك بسنده ومتنه (الموطأ، الصلاة، باب القراءة في المغرب والعشاء ح٢٤). وسنده صحيح.

(٥) صحيح البخاري، الأذان، باب القراءة في المغرب (ح٧٦٣)؛ وصحيح مسلم، الصلاة، باب القراءة في الصبح (ح٤٦٢).

(٦) أخرجه الحاكم من طريق علي بن الحسن بن شفيق به وصححه ووافقه الذهبي. (المستدرك ٢/٥١١).

أنس مثل ذلك(١)، وروي عن أبي صالح أنه قال: هي الرسل(٢)، وفي رواية عنه: إنها الملائكة، وهكذا قال أبو صالح في العاصفات والناشرات والفارقات والملقيات: إنها الملائكة.

وقال الثوري: عن سلمة بن كهيل، عن مسلم البطين، عن أبي العبيدين قال: سألت ابن مسعود عن ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ۝١﴾ قال: الريح(٣)، وكذا قال في ﴿فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا ۝٢ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا ۝٣﴾ إنها الريح، وكذا قال ابن عباس ومجاهد وقتادة وأبو صالح في رواية عنه(٤).

وتوقف ابن جرير في ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ۝١﴾ هل هي الملائكة إذا أرسلت بالعرف أو كعرف الفرس يتبع بعضهم بعضاً أو هي الرياح إذا هبت شيئاً فشيئاً؟ وقطع بأن العاصفات عصفاً: الرياح كما قاله ابن مسعود ومن تابعه، وممن قال ذلك في ﴿فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا ۝٢﴾ أيضاً علي بن أبي طالب والسدي(٥)، وتوقف في ﴿وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا ۝٣﴾ هل هي الملائكة أو الريح كما تقدم.

وعن أبي صالح أن ﴿وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا ۝٣﴾ هي: المطر(٦)، والأظهر أن ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ﴾ هي الرياح كما قال تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ﴾ [الحجر: ٢٢] وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ﴾ [الأعراف: ٥٧] وهكذا العاصفات هي الرياح يقال: عصفت الرياح إذا هبَّت بتصويت، وكذا الناشرات هي الرياح التي تنشر السحاب في آفاق السماء كما يشاء الرب ﷻ.

وقوله تعالى: ﴿فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا ۝٤ فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا ۝٥ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ۝٦﴾ يعني: الملائكة. قاله ابن مسعود وابن عباس ومسروق ومجاهد وقتادة والربيع بن أنس والسدي والثوري(٧)، ولا خلاف ههنا فإنها تنزل بأمر الله على الرسل تفرق بين الحق والباطل، والهدي والغي، والحلال والحرام، وتلقي إلى الرسل وحياً فيه إعذار إلى الخلق وإنذار لهم عقاب الله إن خالفوا أمره.

وقوله: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٌ ۝٧﴾ هذا هو المقسم عليه بهذه الأقسام؛ أي: ما وعدتم به من قيام الساعة، والنفخ في الصور، وبعث الأجساد وجمع الأولين والآخرين في صعيد واحد، ومجازاة كل عامل بعمله إن خيراً فخير وإن شراً فشر إن هذا كله لواقع؛ أي: لكائن لا محالة.

ثم قال: ﴿فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ ۝٨﴾ أي: ذهب ضوءها كقوله: ﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ۝٢﴾ [التكوير] وكقوله: ﴿وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ۝٢﴾ [الانفطار].

﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ ۝٩﴾ أي: انفطرت وانشقت وتدلَّت أرجاؤها ووهت أطرافها ﴿وَإِذَا ٱلْجِبَالُ

---

(١) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق مسلم، وهو ابن صُبيح، عن مسروق،.

(٢) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق إسماعيل، وهو السدي الكبير، عن أبي صالح.

(٣) سنده صحيح وأخرجه آدم بن أبي إياس والطبري من طريق المسعودي عن سلمة بن كهيل به.

(٤) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي عن ابن عباس ويتقوىٰ بما يليه: فقد أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد؛ وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة؛ وأخرجه الطبري بسند حسن من طريق إسماعيل، وهو السدي الكبير، عن أبي صالح.

(٥) أخرجه الطبري والحاكم من طريق خالد بن عرعرة عن علي وصححه الحاكم ووافقه الذهبي. (المستدرك ٢/٥١١)، وقول السدي تقدم ضمن الرواية السابقة.

(٦) أخرجه الطبري بسندين يقوي أحدهما الآخر من طريق إسماعيل عن أبي صالح.

(٧) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي عن ابن عباس، وأخرجه الطبري بسند حسن من طريق إسماعيل، وهو السدي الكبير، عن أبي صالح.

نُسِفَتْ ﴿١٠﴾﴾ أي: ذهب بها فلا يبقى لها عين ولا أثر كقوله: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾﴾ الآية [طه] وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾﴾ [الكهف].

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ ﴿١١﴾﴾ قال العوفي عن ابن عباس: جمعت[(١)].

وقال ابن زيد: وهذه كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ﴾ [المائدة: ١٠٩][(٢)].

وقال مجاهد: ﴿أُقِّتَتْ﴾ أجلت[(٣)].

وقال الثوري: عن منصور، عن إبراهيم: ﴿أُقِّتَتْ﴾ أوعدت[(٤)]، وكأنه يجعلها كقوله تعالى: ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [الزمر].

ثم قال تعالى: ﴿لِأَىِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ﴿١٢﴾ لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ ﴿١٣﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ﴿١٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾﴾ يقول تعالى لأي يوم أجلت الرسل وأرجئ أمرها؟ حتى تقوم الساعة. كما قال تعالى: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾﴾ [إبراهيم] وهو يوم الفصل كما قال تعالى: ﴿لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ ﴿١٣﴾﴾.

ثم قال تعالى معظماً لشأنه: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ﴿١٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾﴾ أي: ويل لهم من عذاب الله غداً، وقد قدمنا في الحديث أن ويل وادٍ في جهنم، ولا يصح.

﴿أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٧﴾ كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾ أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ ﴿٢٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا ﴿٢٦﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ شَٰمِخَٰتٍ وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا ﴿٢٧﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٨﴾﴾.

يقول تعالى: ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾﴾؟ يعني: من المكذبين للرسل المخالفين لما جاءوهم به ﴿ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٧﴾﴾ أي: ممن أشبههم ولهذا قال: ﴿كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾﴾ قاله ابن جرير[(٥)].

ثم قال تعالى ممتناً على خلقه ومحتجاً على الإعادة بالبداءة: ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾﴾ أي: ضعيف حقير بالنسبة إلى قدرة الباري ﷻ كما تقدم في سورة يس في حديث بشر بن جحاش بن آدم: أنى تعجزني وقد خلقتك من مثل هذه[(٦)]؟ ﴿فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾﴾ يعني:

---

(١) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به.
(٢) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد بنحوه.
(٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.
(٤) سنده صحيح، وأخرجه الطبري من طريق سفيان به.
(٥) ذكره الطبري بنحوه.
(٦) تقدم تخريجه في تفسير سورة يس آية ٧٧.

جمعناه في الرحم، وهو قرار الماء من الرجل والمرأة، والرحم مُعدّ لذلك حافظ لما أودع فيه من الماء.

وقوله: ﴿إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢٢﴾﴾ يعني: إلى مدة معينة من ستة أشهر أو تسعة أشهر ولهذا قال تعالى: ﴿فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ ﴿٢٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾﴾.

ثم قال تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا ﴿٢٦﴾﴾ قال ابن عباس: ﴿كِفَاتًا﴾ كنّاً[١].

وقال مجاهد: يكفت الميت فلا يرى منه شيء[٢].

وقال الشعبي: بطنها لأمواتكم وظهرها لأحيائكم[٣]، وكذا قال مجاهد وقتادة[٤].

﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ﴾ يعني: الجبال أرسى بها الأرض لئلا تميد وتضطرب ﴿وَأَسْقَيْنَاكُم مَّاءً فُرَاتًا﴾ أي: عذباً زلالاً من السحاب أو مما أنبعه من عيون الأرض.

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٨﴾﴾ أي: ويل لمن تأمل هذه المخلوقات الدالة على عظمة خالقها. ثم بعد هذا يستمر على تكذيبه وكفره.

﴿انطَلِقُوا إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾ انطَلِقُوا إِلَىٰ ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾ لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ ﴿٣١﴾ إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ ﴿٣٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٤﴾ هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٧﴾ هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ﴿٣٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٠﴾﴾.

يقول تعالى مخبراً عن الكفار المكذبين بالمعاد والجزاء والجنة والنار، أنهم يقال لهم يوم القيامة: ﴿انطَلِقُوا إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾ انطَلِقُوا إِلَىٰ ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾﴾ يعني: لهب النار إذا ارتفع وصعد معه دخان، فمن شدته وقوته أن له ثلاث شعب ﴿لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ ﴿٣١﴾﴾ أي: ظل الدخان المقابل للهب لا ظليل هو في نفسه ولا يغني من اللهب، يعني: ولا يقيهم حر اللهب.

وقوله: ﴿إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ ﴿٣٢﴾﴾ أي: يتطاير الشرر من لهبها كالقصر، قال ابن مسعود: كالحصون[٥].

وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة ومالك، عن زيد بن أسلم وغيرهم يعني: أصول الشجر[٦].

---

(١) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس.

(٢) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.

(٣) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق بيان عن الشعبي.

(٤) أخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح، وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة.

(٥) أخرجه الطبراني بسند ضعيف عن ابن مسعود في سنده خديج بن معاوية وهو ضعيف (ينظر: مجمع الزوائد ٧/ ١٣٢).

(٦) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق عبد الرحمٰن بن عابس عن ابن عباس بنحوه؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد؛ وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة.

﴿كَأَنَّهُ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ ﴿٣٣﴾﴾ أي: كالإبل السود. قاله مجاهد والحسن وقتادة والضحاك واختاره ابن جرير[(١)].

وعن ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير ﴿جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ﴾ يعني: حبال السفن[(٢)]، وعنه أعني ابن عباس ﴿جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ﴾ قطع نحاس[(٣)].

وقال البخاري: حدثنا عمرو بن علي، حدثنا يحيى، أخبرنا سفيان، عن عبد الرحمٰن بن عابس، قال سمعت ابن عباس: ﴿إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ ﴿٣٢﴾﴾ قال: كنا نعمد إلى الخشبة ثلاثة أذرع وفوق ذلك، فنرفعه للبناء فنسميه القصر ﴿كَأَنَّهُ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ ﴿٣٣﴾﴾ حبال السفن تجمع حتى تكون كأوساط الرجال[(٤)]. ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٤﴾﴾.

ثم قال تعالى: ﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ أي: لا يتكلمون ﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾﴾ أي: لا يقدرون على الكلام ولا يؤذن لهم فيه ليعتذروا بل قد قامت عليهم الحجة ووقع القول عليهم بما ظلموا، فهم لا ينطقون وعرصات القيامة حالات، والربُّ تعالى يخبر عن هذه الحالة تارة وعن هذه الحال تارة ليدل على شدة الأهوال والزلازل يومئذٍ، ولهذا يقول بعد كل فصل من هذا الكلام ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٧﴾﴾.

وقوله تعالى: ﴿هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَٰكُمْ وَالْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ﴿٣٩﴾﴾ وهذه مخاطبة من الخالق تعالى لعباده يقول لهم: ﴿هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَٰكُمْ وَالْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾﴾ يعني: أنه جمعهم بقدرته في صعيد واحد يسمعهم الداعي وينفذهم البصر.

وقوله: ﴿فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ﴿٣٩﴾﴾ تهديد شديد ووعيد أكيد؛ أي: إن قدرتم على أن تتخلصوا من قبضتي وتنجوا من حكمي فافعلوا فإنكم لا تقدرون على ذلك كما قال تعالى: ﴿يَٰمَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴿٣٣﴾﴾ [الرحمٰن] وقد قال تعالى: ﴿وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْـًٔا﴾ [هود: ٥٧].

وفي الحديث: «يا عبادي إنكم لن تبلغوا نفعي فتنفعوني ولن تبلغوا ضري فتضروني»[(٥)].

وقد قال ابن أبي حاتم: ثنا علي بن المنذر الطريقي الأودي، ثنا محمد بن فضيل، ثنا حصين بن عبد الرحمٰن، عن حسان بن أبي المخارق، عن أبي عبد الله الجدلي قال: أتيت بيت المقدس فإذا عبادة بن الصامت وعبد الله بن عمرو وكعب الأحبار يتحدثون في بيت المقدس، فقال عبادة: إذا كان يوم القيامة جمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد ينفذهم ويسمعهم الداعي ويقول الله: ﴿هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَٰكُمْ وَالْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ﴿٣٩﴾﴾ اليوم لا

---

(١) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق داود بن أبي هند عن الحسن؛ وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة؛ وأخرجه الطبري من طريق خصيف عن مجاهد، وخصيف سيء الحفظ.

(٢) أخرجه الطبري بأسانيد يقوي بعضها بعضاً؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق أبي بشر، وهو جعفر بن أبي وحشية، عن سعيد بن جبير؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.

(٣) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس.

(٤) أخرجه البخاري بسنده ومتنه (الصحيح، التفسير، باب «كأنه جمالات صفر» ح٤٩٣٣).

(٥) أخرجه مسلم من حديث أبي ذرٍّ ﷺ مطولاً (الصحيح، البر والصلة، باب تحريم الظلم ح٢٥٧٧).

ينجو مني جبار عنيد ولا شيطان مريد. فقال عبد الله بن عمرو: فإنا نحدث يومئذٍ أنها تخرج عنق من النار فتنطلق حتى إذا كانت بين ظهراني الناس نادت: أيها الناس إني بعثت إلى ثلاثة أنا أعرَفُ بهم من الأب بولده، ومن الأخ بأخيه، لا يغيبهم عني وزر، ولا تخفيهم عني خافية الذي جعل مع الله إلٰهاً آخر، وكل جبار عنيد، وكل شيطان مريد، فتنطوي عليهم فتقذف بهم في النار قبل الحساب بأربعين سنة[١].

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـًٔا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾ كُلُواْ وَتَمَتَّعُواْ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُواْ لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾.

يقول تعالى مخبراً عن عباده المتقين الذين عبدوه بأداء الواجبات وترك المحرمات: إنهم يوم القيامة يكونون في جنان وعيون؛ أي: بخلاف ما أولئك الأشقياء فيه من ظل اليحموم، وهو الدخان الأسود المنتن.

وقوله تعالى: ﴿وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾﴾ أي: ومن سائر أنواع الثمار مهما طلبوا وجدوا ﴿كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـًٔا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾ أي: يقال لهم ذلك على سبيل الإحسان إليهم ثم قال تعالى مخبراً خبراً مستأنفاً: ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾﴾ أي: هذا جزاؤنا لمن أحسن العمل ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾﴾ وقوله تعالى: ﴿كُلُواْ وَتَمَتَّعُواْ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ﴿٤٦﴾﴾ خطاب للمكذبين بيوم الدين وأمرهم أمر تهديد ووعيد فقال تعالى: ﴿كُلُواْ وَتَمَتَّعُواْ قَلِيلًا﴾ أي: مدة قليلة قريبة قصيرة ﴿إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ﴾ أي: ثم تساقون إلى نار جهنم التي تقدم ذكرها ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾﴾ كما قال تعالى: ﴿نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾﴾ [لقمان] وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ مَتَٰعٌ فِى ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلْعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [يونس].

وقوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُواْ لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾﴾ أي: إذا أمر هؤلاء الجهلة من الكفار أن يكونوا من المصلين مع الجماعة امتنعوا من ذلك واستكبروا عنه ولهذا قال تعالى: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾﴾ ثم قال تعالى: ﴿فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ أي: إذا لم يؤمنوا بهذا القرآن فبأي كلام يؤمنون به كقوله تعالى: ﴿فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ﴾ [الجاثية: ٦].

قال ابن أبي حاتم: ثنا ابن أبي عمر، ثنا سفيان، عن إسماعيل بن أُمية سمعت رجلاً أعرابياً بدوياً يقول سمعت أبا هريرة يرويه إذا قرأ والمرسلات عرفاً فقرأ: ﴿فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ فليقل آمنت بالله وبما أنزل. وقد تقدم هذا الحديث في سورة القيامة[٢].

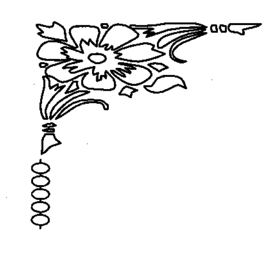
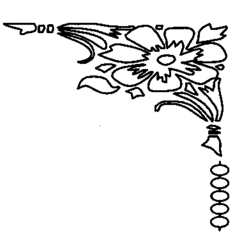
آخر سورة المرسلات، [ولله الحمد والمنّة][٣].

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة عن محمد بن فضيل به. (المصنف ٨/ ١٠٠) وفي سنده حسان بن أبي المخارق سكت عنه البخاري (التاريخ الكبير ٣/ ٣٣) وابن أبي حاتم (الجرح والتعديل ٣/ ٢٣٥) وذكره ابن حبان في الثقات (٦/ ٢٢٣). ويتقوىٰ بالشواهد فقد وردت له شواهد في الصحاح والسنن.

(٢) تقدم تخريجه في سورة القيامة آية ٤٠.

(٣) زيادة من (ح).

سُورَةُ النَّبَإِ

وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ ﴿٢﴾ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴿٣﴾ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ﴿٦﴾ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾﴾.

يقول تعالى منكراً على المشركين في تساؤلهم عن يوم القيامة إنكاراً لوقوعها: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ ﴿٢﴾﴾ أي: عن أي شيء يتساءلون؟ عن أمر القيامة وهو: النبأ العظيم، يعني: الخبر الهائل المفظع الباهر. قال قتادة وابن زيد: ﴿النَّبَإِ الْعَظِيمِ﴾ البعث بعد الموت[(١)].

وقال مجاهد: هو القرآن[(٢)]. والأظهر الأول لقوله: ﴿الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴿٣﴾﴾ يعني: الناس فيه على قولين: مؤمن به وكافر.

ثم قال تعالى متوعداً لمنكري القيامة: ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٥﴾﴾ وهذا تهديد شديد ووعيد أكد، ثم شرع تبارك وتعالى يبين قدرته العظيمة على خلق الأشياء الغريبة والأمور العجيبة الدالة على قدرته على ما يشاء من أمر المعاد وغيره فقال: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ﴿٦﴾﴾ أي: ممهدة للخلائق ذلولاً لهم قارة ساكنة ثابتة ﴿وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾﴾ أي: جعلها لها أوتاداً أرساها بها، وثبَّتها وقرَّرها حتى سكنت ولم تضطرب بمَن عليها.

ثم قال: ﴿وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ﴿٨﴾﴾ يعني: ذكراً وأنثى يستمتع كل منهما بالآخر ويحصل التناسل بذلك كقوله: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: ٢١].

وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾﴾ أي: قطعاً للحركة لتحصل الراحة من كثرة الترداد والسعي في المعايش في عرض النهار، وقد تقدم مثل هذه الآية في سورة الفرقان[(٣)]. ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾﴾ أي: يغشي الناس ظلامه وسواده كما قال: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ﴿٤﴾﴾ [الشمس]

---

(١) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.
(٢) أخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي نجيح عن مجاهد.
(٣) آية ٤٧.

وقال الشاعر[١]:

فلما لَبِسنَ الليل أو حين نَصَّبت ... له من خذا[٢] آذانها وهو جانحُ[٣]

وقال قتادة في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ۝١٠﴾: أي سكناً.

وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ۝١١﴾ أي: جعلناه مشرقاً نيِّراً مضيئاً ليتمكن الناس من التصرف فيه والذهاب والمجيء للمعاش والتكسب والتجارات وغير ذلك.

وقوله تعالى: ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ۝١٢﴾ يعني: السماوات السبع في اتساعها. وارتفاعها وإحكامها وإتقانها وتزيينها بالكواكب الثوابت والسيارات ولهذا قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ۝١٣﴾ يعني: الشمس المنيرة على جميع العالم التي يتوهج ضوؤها لأهل الأرض كلهم.

وقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ۝١٤﴾ قال العوفي، عن ابن عباس: ﴿ٱلْمُعْصِرَٰتِ﴾ الريح[٤].

وقال ابن أبي حاتم: ثنا أبو سعيد، ثنا أبو داود الحفري، عن سفيان، عن الأعمش، عن المنهال، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ﴾ قال: الرياح[٥]. وكذا قال عكرمة ومجاهد وقتادة ومقاتل والكلبي وزيد بن أسلم وابنه عبد الرحمٰن أنها الرياح[٦]. ومعنى هذا القول أنها تستدر المطر من السحاب.

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ﴾ أي: من السحاب[٧]. وكذا قال عكرمة أيضاً وأبو العالية والضحاك والحسن والربيع بن أنس والثوري واختاره ابن جرير[٨].

وقال الفراء: هي السحاب التي تتحلب بالمطر ولم تمطر بعد كما يقال: امرأة معصر إذا دنا حيضها ولم تحض[٩].

وعن الحسن وقتادة: ﴿مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ﴾ يعني: السماوات[١٠].

وهذا قول غريب والأظهر أن المراد بالمعصرات السحاب كما قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ

---

(١) هو ذو الرُّمَّة صرح به الطبري في تفسير سورة البقرة آية ١٧.

(٢) خذيت الأذن: استرخت من أصلها وانكسرت مقبلة على الوجه. (لسان العرب: خ ذ ي).

(٣) استشهد به الطبري.

(٤) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به، وله متابعات كما يليه في رواية ابن أبي حاتم، ويتقوى أيضاً بالشواهد فقد أخرجه آدم بن أبي إياس بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

(٥) سنده حسن.

(٦) تقدم تخريجه عن بعضهم كما في الحاشية قبل السابقة.

(٧) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق علي به.

(٨) أخرجه الطبري بسند جيد من طريق أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس.

(٩) لم أجده في كتابه «معاني القرآن».

(١٠) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق أبي رجاء عن الحسن؛ وأخرجه أيضاً بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة؛ وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة.

﴿ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ﴾ [الروم: ٤٨] أي: من بينه.

وقوله: ﴿مَآءً ثَجَّاجًا﴾ قال مجاهد وقتادة والربيع بن أنس: ﴿ثَجَّاجًا﴾ منصباً[(١)].

وقال الثوري: متتابعاً[(٢)].

وقال ابن زيد: كثيراً[(٣)].

قال ابن جرير: ولا يعرف في كلام العرب في صفة الكثرة الثجّ، وإنما الثجُّ الصبُّ المتتابع ومنه قول النبي ﷺ: «أفضل الحج العجّ والثجّ»[(٤)] يعني: صبَّ دماء البدن[(٥)]، هكذا قال.

قلت: وفي حديث المستحاضة حين قال لها رسول الله ﷺ: «أنعت لك الكرسف» يعني: أن تحتشي بالقطن فقالت: يا رسول الله هو أكثر من ذلك، إنما أثج ثجاً[(٦)]. وهذا فيه دلالة على استعمال الثج في الصبِّ المتتابع الكثير والله أعلم.

وقوله تعالى: ﴿لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ۝١٥ وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا ۝١٦﴾ أي: لنخرج بهذا الماء الكثير الطيب النافع المبارك ﴿حَبًّا﴾ يدخر للأناسي والأنعام ﴿وَنَبَاتًا﴾ أي: خضراً يؤكل رطباً ﴿وَجَنَّٰتٍ﴾ أي: بساتين وحدائق من ثمرات متنوعة وألوان مختلفة وطعوم وروائح متفاوتة، وإن كان ذلك في بقعة واحدة من الأرض مجتمعاً ولهذا قال: ﴿وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا ۝١٦﴾.

قال ابن عباس وغيره: ﴿أَلْفَافًا﴾ مجتمعة[(٧)]. وهذه كقوله تعالى: ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ﴾ الآية [الرعد: ٤].

---

(١) أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد؛ وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة؛ وأخرجه الطبري بسند جيد من طريق أبي جعفر عن الربيع.

(٢) أخرجه الطبري من طريق مهران عن سفيان.

(٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

(٤) أخرجه الترمذي من حديث أبي بكر ﷺ. (السنن، الحج، باب فضل التلبية والنحر ح٨٢٧)؛ وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (ح٦٦١)؛ وأخرجه ابن خزيمة. (الصحيح ٤/ ١٧٥ ح٢٦٣١)؛ وأخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي. (المستدرك ١/ ٤٥٠).

(٥) ذكره الطبري بنحوه.

(٦) أخرجه الإمام أحمد من حديث حمنة بنت جحش وضعف سنده محققوه. المسند ٤٥/ ٤٦٨ح ٢٧٤٧٤)؛ وأخرجه أبو داود. السنن، الطهارة، باب من قال: إذا أقبلت الحيضة تدع الصلاة (ح٢٨٧) والترمذي (السنن، الطهارة، باب ما جاء في المستحاضة ح١٢٨)؛ وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي (ح١١٠)؛ وأخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي. (المستدرك ١/ ١٧٢). وقد ذكر له الحاكم له شواهد، ولهذا حسنه الشيخ الألباني وهو كما قال. ولهذا استشهد به الحافظ ابن كثير واستدل به.

(٧) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس؛ وأخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة؛ وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة.

﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَٰتًا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا ﴿٢٢﴾ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ كِتَٰبًا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾﴾.

يقول تعالى مخبراً عن يوم الفصل وهو يوم القيامة أنه مؤقت بأجل معدود لا يزاد عليه ولا ينقص منه، ولا يعلم وقته على التعيين إلا الله ﷻ كما قال تعالى: ﴿وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾﴾ [هود].

﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾﴾ قال مجاهد: زمراً زمراً[(١)].

قال ابن جرير: يعني تأتي كل أمة مع رسولها[(٢)]. كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا۟ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْ﴾ [الإسراء: ٣١].

وقال البخاري: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾﴾ حدثنا محمد، حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ما بين النفختين أربعون» قالوا: أربعون يوماً؟ قال: «أبيت»[(٣)]. قالوا: أربعون شهراً؟ قال: «أبيتُ». قالوا: أربعون سنة؟ قال: «أبيت»، قال: ثم ينزل الله من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل، ليس من الإنسان شيء إلا يبلى إلا عظماً واحداً وهو عجب الذنب، ومنه يركب الخلق يوم القيامة[(٤)].

﴿وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ﴿١٩﴾﴾ أي: طرقاً ومسالك لنزول الملائكة ﴿وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾﴾، كقوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾ [النمل: ٨٨]، وكقوله تعالى: ﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ﴿٥﴾﴾ [القارعة] وقال هٰهنا: ﴿فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ أي: يخيل إلى الناظر أنها شيء وليست بشيء، وبعد هذا تذهب بالكلية فلا عين ولا أثر كما قال: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾﴾ [طه]، وقال: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً﴾ [الكهف: ٤٧].

وقوله: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾﴾ أي: مرصدة معدة ﴿لِّلطَّٰغِينَ﴾ وهم: المردة العصاة المخالفون للرسل ﴿مَـَٔابًا﴾ أي: مرجعاً ومنقلباً ومصيراً ونزلاً.

وقال الحسن وقتادة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾﴾: يعني: أنه لا يدخل أحد الجنة حتى يجتاز بالنار، فإن كان معه جواز نجا وإلا احتبس[(٥)].

---

(١) أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.
(٢) ذكره الطبري بلفظ: «فتجيئون زمراً زمراً، وجماعة جماعة».
(٣) أي: أن أقول ما لم أسمع. (فتح الباري ٨/ ٦٩٠).
(٤) أخرجه البخاري بسنده ومتنه. (الصحيح، التفسير، باب ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾﴾ [النبأ] ح٤٩٣٥).
(٥) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق أبي رجاء عن الحسن مقتصراً على الشطر الأول؛ وأخرجه الطبري بسند حسن من طريق عبد الله بن بكر بن عبد الله المزني عن الحسن بنحوه بشطريه؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة بنحو الشطر الأول.

وقال سفيان الثوري: عليها ثلاث قناطر[١].

وقوله تعالى: ﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحۡقَابٗا ۝٢٣﴾ أي: ماكثين فيها أحقاباً، وهي جمع حقب، وهو: المدة من الزمان، وقد اختلفوا في مقداره.

فقال ابن جرير، عن ابن حميد، عن مهران، عن سفيان الثوري، عن عمار الدهني، عن سالم بن أبي الجعد قال: قال علي بن أبي طالب لهلال الهجري: ما تجدون الحقب في كتاب الله المنزل؟ قال: نجده ثمانين سنة، كل سنة اثنا عَشَرَ شهراً، كل شهر ثلاثون يوماً، كل يوم ألف سنة[٢]. وهكذا روي عن أبي هريرة وعبد الله بن عمرو وابن عباس وسعيد بن جبير وعمرو بن ميمون والحسن وقتادة والربيع بن أنس والضحاك[٣].

وعن الحسن والسدي أيضاً: سبعون سنة كذلك[٤].

وعن عبد الله بن عمرو: الحقب أربعون سنة، كل يوم منها كألف سنة مما تعدون. رواهما ابن أبي حاتم.

وقال بُشير بن كعب: ذُكر لي أن الحقب الواحد ثلاثمائة سنة، كل سنة اثنا عشر شهراً، كل سنة ثلاثمائة وستون يوماً، كل يوم منها كألف سنة[٥]. رواه ابن جرير وابن أبي حاتم.

ثم قال ابن أبي حاتم: ذُكر عن عمرو بن علي بن أبي بكر [الأسفيدي][٦]، حدثنا مروان بن معاوية الفزاري، عن جعفر بن الزبير، عن القاسم، عن أبي أُمامة، عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحۡقَابٗا ۝٢٣﴾ قال: فالحقب شهر، الشهر ثلاثون يوماً، والسنة اثنا عشر شهراً، والسنة ثلاثمائة وستون يوماً، كل يوم منها ألف سنة مما تعدون، فالحقب ثلاثون ألف ألف سنة[٧]. وهذا حديث منكر جداً والقاسم هو والراوي عنه وهو جعفر بن الزبير كلاهما متروك.

وقال البزار: حدثنا محمد بن مرداس، حدثنا سليمان بن مسلم أبو العلاء قال: سألت سليمان التيمي هل يخرج من النار أحد؟ فقال: حدثني نافع، عن ابن عمر، عن النبي ﷺ أنه قال: «والله لا يخرج من النار أحد حتى يمكث فيها أحقاباً، قال: والحقب بضع وثمانون سنة، كل سنة ثلاثمائة وستون يوماً مما تعدون»[٨] ثم قال: سليمان بن مسلم بصري مشهور.

---

(١) أخرجه الطبري من طريق مهران عن سفيان.

(٢) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وأخرجه عبد الرزاق وهناد. (الزهد رقم ٢٢٠) كلاهما من طريق عمار الدهني به، وفي سنده سالم بن أبي الجعد لم يسمع من علي ﷺ. (جامع التحصيل ص٢١٧).

(٣) أخرجه آدم بن أبي إياس بسند حسن من طريق عاصم بن أبي النجود عن أبي صالح عن أبي هريرة ﷺ؛ وأخرجه الطبري بسند جيد من طريق أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس؛ وأخرجه أيضاً بسند ضعيف عن سعيد بن جبير، في سنده جابر بن نوح وهو ضعيف كما في التقريب.

(٤) أخرجه الطبري عن الحسن بلاغاً بلفظ: «سبعون ألف سنة».

(٥) أخرجه الطبري من طريق إسحاق بن سويد عن بُشير به، وسنده ضعيف لضعف إسحاق بن سويد. (ينظر: التقريب ص٩٩ ـ ١٠١).

(٦) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل صحف إلى: الأسعدي.

(٧) سنده ضعيف لم يذكر فيه اسم شيخه، وجعفر بن الزبير ضعيف.

(٨) أخرجه البزار كما في كشف الأستار (ح٢٢٤٩) وسنده ضعيف جداً لأن سليمان بن مسلم ضعيف جداً. (مجمع الزوائد ١٠/ ٣٩٥).

وقال السدي: ﴿لَّبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ۝٢٣﴾ سبعمائة حقب، كل حقب سبعون سنة، كل سنة ثلاثمائة وستون يوماً، كل يوم كألف سنة مما تعدون.

وقد قال مقاتل بن حيان: إن هذه الآية منسوخة بقوله تعالى: ﴿فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ۝٣٠﴾[1].

وقال خالد بن معدان: هذه الآية وقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ [هود: ١٠٧] في أهل التوحيد[2]. رواهما ابن جرير ثم قال: ويحتمل أن يكون قوله تعالى: ﴿لَّبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ۝٢٣﴾ متعلقاً بقوله تعالى: ﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ۝٢٤﴾[3] ثم يحدث الله لهم بعد ذلك عذاباً من شكل آخر ونوع آخر، ثم قال: والصحيح أنها لا انقضاء لها كما قال قتادة والربيع بن أنس.

وقد قال قبل ذلك: حدثني محمد بن عبد الرحيم البرقي، حدثنا عمرو بن أبي سلمة، عن زهير، عن سالم، سمعت الحسن يسأل عن قوله تعالى: ﴿لَّبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ۝٢٣﴾ قال: أما الأحقاب فليس لها عدة إلا الخلود في النار، ولكن ذكروا أن الحقب: سبعون سنة، كل يوم منها كألف سنة مما تعدون[4].

وقال سعيد، عن قتادة قال الله تعالى: ﴿لَّبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ۝٢٣﴾ وهو ما لا انقطاع له، وكلما مضى حقب جاء حقب بعده، وذُكِرَ لنا أن الحقب: ثمانون سنة[5].

وقال الربيع بن أنس: ﴿لَّبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ۝٢٣﴾ لا يعلم عدة هذه الأحقاب إلا الله ﷻ، وذُكر لنا أن الحقب الواحد: ثمانون سنة والسنة ثلاثمائة وستون يوماً، كل يوم كألف سنة مما تعدون[6]. رواهما أيضاً ابن جرير.

وقوله تعالى: ﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ۝٢٤﴾ أي: لا يجدون في جهنم برداً لقلوبهم ولا شراباً طيباً يتغذون به ولهذا قال تعالى: ﴿إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ۝٢٥﴾.

قال أبو العالية: استثنى من البرد الحميم ومن الشراب الغساق[7]، وكذا قال الربيع بن أنس، فأما الحميم: فهو الحار الذي قد انتهى حره وحموه، والغساق: هو ما اجتمع من صديد أهل النار وعرقهم ودموعهم وجروحهم، فهو بارد لا يستطاع من برده، ولا يواجه من نتنه.

وقد قدمنا الكلام على الغساق في سورة صٓ[8] بما أغنى عن إعادته أجارنا الله من ذلك بمنّه وكرمه.

---

(١) أخرجه الطبري من طريق أبي معاذ الخراساني به، وسنده ضعيف لأنه معضل.

(٢) أخرجه الطبري بسند جيد من طريق عامر بن جشيب عن خالد.

(٣) ذكره الطبري بنحوه ولم يذكر ما بعد الآية مما نسبه الحافظ ابن كثير إليه ولعله لديه نسخة غير التي بين أيدينا.

(٤) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، ولم يصرح الحسن البصري باسم شيخه.

(٥) أخرجه الطبري من طريق سعيد به، ولم يصرح قتادة باسم شيخه.

(٦) أخرجه الطبري من طريق أبي جعفر الرازي عن الربيع، ولم يصرح الربيع باسم شيخه.

(٧) أخرجه هناد من طريق أبي جعفر الرازي عن الربيع عن أبي العالية. (الزهد رقم ٢٩٢) وسنده جيد.

(٨) في الآية رقم ٥٧.

قال ابن جرير: وقيل: المراد بقوله: ﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا﴾ يعني: النوم كما قال الكندي:

بـردت مـراشـفـهـا عـلـيَّ فـصـدَّنـي   عـنـهـا وعـن قُـبُـلاتـهـا الـبـرد

يعني بالبرد: النعاس[١] والنوم، هكذا ذكره ولم يعزه إلى أحد، وقد رواه ابن أبي حاتم من طريق السدي، عن مُرة الطيب[٢]، ونقله عن مجاهد أيضاً، وحكاه البغوي عن أبي عبيدة والكسائي أيضاً[٣].

وقوله تعالى: ﴿جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾﴾ أي: هذا الذي صاروا إليه من هذه العقوبة وفق أعمالهم الفاسدة التي كانوا يعملونها في الدنيا قاله مجاهد وقتادة وغير واحد[٤].

ثم قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾﴾ أي: لم يكونوا يعتقدون أن ثم داراً يجازون فيها ويحاسبون ﴿وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾﴾ أي: وكانوا يكذبون بحجج الله ودلائله على خلقه التي أنزلها على رسله ﷺ، فيقابلونها بالتكذيب والمعاندة.

وقوله: ﴿كِذَّابًا﴾ أي: تكذيباً، وهو مصدر من غير الفعل قالوا: وقد سمع أعرابي يستفتي الفراء على المروة: الحلق أحب إليك أو القصار؟ وأنشد بعضهم:

لـقـد طـال مـا ثـبـطـتـنـي عـن صـحـابـتـي   وعـن حـوج [قـضـاؤهـا][٥] مـن شـفـائـيـا[٦]

وقوله تعالى: ﴿وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَـٰهُ كِتَـٰبًا ﴿٢٩﴾﴾ أي: وقد علمنا أعمال العباد كلهم وكتبناها عليهم، وسنجزيهم على ذلك إن خيراً فخير وإن شراً فشر.

وقوله تعالى: ﴿فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾﴾ أي: يقال لأهل النار: ذوقوا ما أنتم فيه فلن نزيدكم إلا عذاباً من جنسه ﴿وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ ﴿٥٨﴾﴾ [ص].

قال قتادة، عن أبي أيوب الأزدي، عن عبد الله بن عمرو قال: لم ينزل على أهل النار آية أشد من هذه الآية ﴿فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾﴾ قال: فهم في مزيد من العذاب أبداً[٧].

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا محمد بن محمد بن مصعب الصوري، حدثنا خالد بن عبد الرحمٰن، حدثنا جسر بن فرقد، عن الحسن قال: سألت أبا برزة الأسلمي عن أشد آية في كتاب الله على أهل النار. قال: سمعت رسول الله ﷺ قرأ: ﴿فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾﴾ قال: هلك القوم بمعاصيهم الله ﷻ[٨]. جسر بن فرقد ضعيف الحديث بالكلية.

---

(١) ذكر الطبري بنحوه، والكندي هو امرؤ القيس وقد ورد هذا البيت في ديوانه ص٢١٣١.

(٢) طريق السدي عن مُرة الطيب حسن.

(٣) ذكره البغوي عنهما. (معالم التنزيل ٤/ ٤٣٨).

(٤) أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة؛ وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة.

(٥) كذا في تفسير الطبري ومعاني القرآن للفراء ولسان العرب (ق ض ي)، وفي الأصول الخطية بلفظ: «قصارها».

(٦) ذكره الفراء (معاني القرآن ٣/ ٢٢٩) والطبري بنحوه.

(٧) أخرجه الطبري من طريق قتادة به، ولم أقف على ترجمة لأبي أيوب الأزدي، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٨) سنده ضعيف لضعف جسر بن فرقد. (لسان الميزان ٢/ ١٠٤).

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَبًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ﴿٣٥﴾ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾﴾.

يقول تعالى مخبراً عن السعداء، وما أعدَّ لهم تعالى من الكرامة والنعيم المقيم، فقال تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾﴾ قال ابن عباس والضحاك: متنزهاً[١].

وقال مجاهد وقتادة: فازوا فنجوا من النار[٢].

والأظهر هٰهنا قول ابن عباس؛ لأنه قال بعده: ﴿حَدَآئِقَ﴾ والحدائق البساتين من النخيل وغيرها ﴿وَأَعْنَبًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾﴾ أي: وحوراً كواعب.

قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد: ﴿وَكَوَاعِبَ﴾ أي: نواهد[٣]. يعنون: أن ثديهن نواهد لم يتدلين لأنهن أبكار عرب أتراب أي: في سن واحد كما تقدم بيانه في سورة الواقعة.

قال ابن أبي حاتم: حدثنا عبد الله بن أحمد بن عبد الرحمٰن الدشتكي، حدثني أبي، عن أبي سفيان عبد الرحمٰن بن [عبد الله][٤] بن تيم، حدثنا عطية بن سليمان أبو الغيث، عن أبي عبد الرحمٰن القاسم بن أبي القاسم الدمشقي، عن أبي أُمامة أنه سمعه يحدث عن النبي ﷺ أنه قال: «إن قمص أهل الجنة لتبدوا من رضوان الله، وإن السحابة لتمرُّ بهم فتناديهم: يا أهل الجنة ماذا تريدون أن أمطركم؟ حتى إنها لتمطرهم الكواعب الأتراب»[٥].

وقوله تعالى: ﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾﴾ قال ابن عباس: مملوءة متتابعة[٦].

وقال عكرمة: صافية[٧].

وقال مجاهد والحسن وقتادة وابن زيد: ﴿دِهَاقًا﴾ الملأى المترعة[٨].

وقال مجاهد وسعيد بن جبير: هي المتتابعة[٩].

وقوله تعالى: ﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ﴿٣٥﴾﴾ كقوله: ﴿لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ﴾ [الطور: ٢٣] أي: ليس فيها كلام لاغ عار عن الفائدة، ولا إثم كذب بل هي دار السلام، وكل ما فيها سالم من النقص وقوله: ﴿جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾﴾ أي: هذا الذي ذكرناه جازاهم الله به

---

(١) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس.

(٢) أخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد؛ وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة.

(٣) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس.

(٤) كذا في نسخة دار الكتب حسب طبعة البابي الحلبي، وكذا في النسخة الأزهرية حسب طبعة الشعب، وفي الأصل و(ح) و(حم) بياض. وورد في تاريخ أصبهان ١/ ١٩٥ لأبي نعيم باسم: عبد رب.

(٥) سنده ضعيف لجهالة عطية بن سليمان أبي الغيث. (التقريب ص٣٩٣).

(٦) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس.

(٧) أخرجه الطبري من طريق عمر بن عطاء عن عكرمة، وعمر: ضعيف. (التقريب ص٤١٦).

(٨) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٩) أخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد؛ وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن سعيد بن جبير.

وأعطاهموه بفضله ومنه وإحسانه ورحمته عطاء حساباً أي: كافياً وافياً سالماً كثيراً. تقول العرب: أعطاني فأحسبني أي: كفاني، ومنه: حسبي الله، أي: الله كافيّ.

﴿رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴿٣٩﴾ إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا ﴿٤٠﴾﴾.

يخبر تعالى عن عظمته وجلاله، وأنه ربُّ السماوات والأرض وما فيهما وما بينهما، وأنه الرحمٰن الذي شملت رحمته كلَّ شيء.

وقوله تعالى: ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾ أي: لا يقدر أحد على ابتداء مخاطبته إلا بإذنه كقوله تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وكقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [هود: ١٠٥].

وقوله: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ﴾.

اختلف المفسرون في المراد بالروح هٰهنا ما هو؟ على أقوال:

أحدها: ما رواه العوفي عن ابن عباس: أنهم أرواح بني آدم.

الثاني: هم: بنو آدم[١]. قاله الحسن وقتادة[٢].

وقال قتادة: هذا مما كان ابن عباس يكتمه[٣].

الثالث: أنهم خلق من خلق الله على صور بني آدم وليسوا بملائكة ولا بشر، وهم يأكلون ويشربون قاله ابن عباس ومجاهد وأبو صالح والأعمش[٤].

الرابع: هو: جبريل، قاله الشعبي وسعيد بن جبير والضحاك[٥]. ويستشهد لهذا القول بقوله: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾﴾ [الشعراء].

وقال مقاتل بن حيان: الروح هو أشرف الملائكة وأقرب إلى الربِّ ﷻ وصاحب الوحي[٦].

الخامس: أنه القرآن قاله ابن زيد[٧].

كقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ الآية [الشورى: ٥٢].

---

(١) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به، ويتقوىٰ بما يليه.

(٢) أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن الحسن.

(٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق معمر عن قتادة، ولكن قتادة لم يسمع من ابن عباس.

(٤) أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد؛ وأخرجه الطبري بسند حسن من طريق إسماعيل عن أبي صالح.

(٥) عزاه البغوي إلى الشعبي والضحاك.

(٦) عزاه السيوطي إلىٰ ابن المنذر وإلىٰ أبي الشيخ، وقد أخرجه أبو الشيخ في (العظمة رقم ٤١٨)، وسنده معضل.

(٧) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

والسادس: أنه ملك من الملائكة بقدر جميع المخلوقات.

قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس قوله: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ﴾ قال: هو ملك عظيم من أعظم الملائكة خلقاً[١].

وقال ابن جرير: حدثني محمد بن خلف العسقلاني، حدثنا رواد بن الجراح، عن أبي حمزة، عن الشعبي، عن علقمة، عن ابن مسعود قال: الروح في السماء الرابعة، هو أعظم من السماوات ومن الجبال ومن الملائكة يسبح كل يوم اثني عشر ألف تسبيحة، يخلق الله تعالى من كل تسبيحة ملكاً من الملائكة يجيء يوم القيامة صفاً وحده[٢]. وهذا قول غريب جداً.

وقد قال الطبراني: حدثنا محمد بن عبد الله بن عرس المصري، حدثنا وهب [الله بن روق بن هبيرة، حدثنا بشر بن بكر][٣]، حدثنا الأوزاعي، حدثني عطاء، عن عبد الله بن عباس سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن لله ملكاً لو قيل له: التقم السماوات السبع والأرضين بلقمة واحدة، لفعل، تسبيحه: سبحانك حيث كنت»[٤]. وهذا حديث غريب جداً وفي رفعه نظر، وقد يكون موقوفاً على ابن عباس، ويكون مما تلقاه من الإسرائيليات، والله أعلم.

وتوقف ابن جرير فلم يقطع بواحد من هذه الأقوال كلها. والأشبه عندي والله أعلم: أنهم بنو آدم.

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ﴾ كقوله: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [هود: ١٠٥]، وكما ثبت في الصحيح: «لا يتكلم يومئذ إلا الرسل»[٥].

وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ صَوَابًا﴾ أي: حقاً، ومن الحق «لا إله إلا الله» كما قاله أبو صالح وعكرمة[٦].

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ﴾ أي: الكائن لا محالة ﴿فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَآبًا﴾ أي: مرجعاً وطريقاً يهتدي إليه ومنهجاً يمرُّ به عليه.

وقوله: ﴿إِنَّا أَنذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا﴾ يعني: يوم القيامة لتأكد وقوعه صار قريباً لأن كل ما هو قريبٌ آت.

﴿يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ أي: يعرض عليه جميع أعماله خيرها وشرها قديمها وحديثها كقوله: ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا﴾ [الكهف: ٤٩] وكقوله: ﴿يُنَبَّأُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾﴾ [القيامة].

---

(١) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة به.

(٢) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وفي سنده رواد بن الجراح: صدوق اختلط بآخره فترك. (التقريب ص٢١١).

(٣) كذا في نسخة دار الكتب حسب طبعة البابي الحلبي، وفي الأصل بياض. وفي المعجم الكبير للطبراني بلفظ: «وهب الله بن رزق أبو هريرة» (١١/ ١٩٥ ح١١٤٧٦).

(٤) أخرجه الطبراني بسنده مع الاختلاف المتقدم وبمتنه. (المصدر السابق) قال الهيثمي: وتفرد به وهب بن رزق. (مجمع الزوائد ١/ ٨٠) وقد استغربه الحافظ ابن كثير.

(٥) تقدم تخريجه في سورة هود آية ١٠٥.

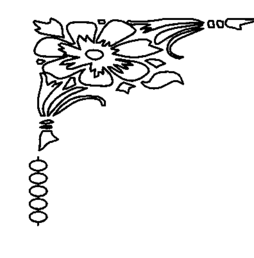
(٦) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق إسماعيل - وهو السدي الكبير - عن أبي صالح؛ وأخرجه الطبري والبيهقي (الأسماء والصفات ٢٠٥) كلاهما بسند ضعيف من طريق حفص بن عمر عن الحكم بن أبان عن عكرمة؛ ويتقوىٰ بسابقه وبما أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس بلفظه.

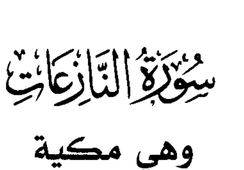
﴿وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا﴾ أي: يود الكافر يومئذٍ أنه كان في الدار الدنيا تراباً، ولم يكن خلق ولا خرج إلى الوجود، وذلك حين عاين عذاب الله ونظر إلى أعماله الفاسدة قد سطرت عليه بأيدي الملائكة السفرة الكرام البررة.

وقيل: إنما يَود ذلك حين يحكم الله بين الحيوانات التي كانت في الدنيا فيفصل بينها بحكمه العدل الذي لا يجور حتى إنه ليقتصَّ للشاة الجماء من القرناء، فإذا فرغ من الحكم بينها قال لها: كوني تراباً فتصير تراباً، فعند ذلك يقول الكافر: ﴿يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا﴾ أي: كنت حيواناً فأرجع إلى التراب، وقد ورد معنى هذا في حديث الصور المشهور[1]، وورد فيه آثار عن أبي هريرة وعبد الله بن عمرو وغيرهما.

آخر تفسير سورة عمّ، ولله الحمد والمنَّة.

(١) تقدم تخريجه في تفسير سورة الأنعام آية ٧٣.





سُورَةُ النَّازِعَاتِ

وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا ۝١ وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا ۝٢ وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا ۝٣ فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا ۝٤ فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا ۝٥ يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ۝٦ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ ۝٧ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ۝٨ أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ ۝٩ يَقُولُونَ أَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ ۝١٠ أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا نَّخِرَةً ۝١١ قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ۝١٢ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ۝١٣ فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ ۝١٤﴾.

قال ابن مسعود وابن عباس ومسروق وسعيد بن جبير وأبو صالح وأبو الضحى والسدي: ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا ۝١﴾ الملائكة[١]. يعنون: حين تنزع أرواح بني آدم، فمنهم من تأخذ روحه بعسر فتغرق في نزعها، ومنهم من تأخذ روحه بسهولة وكأنما حلته من نشاط، وهو قوله: ﴿وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا ۝٢﴾ قاله ابن عباس[٢].

وعن ابن عباس ﴿وَالنَّازِعَاتِ﴾ هي: أنفس الكفار تنزع ثم تنشط ثم تغرق في النار. رواه ابن أبي حاتم.

وقال مجاهد: ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا ۝١﴾ الموت[٣].

وقال الحسن وقتادة: ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا ۝١ وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا ۝٢﴾ هي النجوم[٤].

وقال عطاء بن أبي رباح في قوله تعالى: ﴿وَالنَّازِعَاتِ﴾، ﴿وَالنَّاشِطَاتِ﴾: هي: القسي في القتال[٥]. والصحيح الأول وعليه الأكثرون.

وأما قوله تعالى: ﴿وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا ۝٣﴾ فقال ابن مسعود: هي الملائكة[٦]، وروي عن علي

---

(١) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق مسروق عن ابن مسعود؛ وأخرجه الطبري بسندين يقوي أحدهما الآخر عن ابن عباس؛ وأخرجه الطبري بسند جيد من طريق جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير؛ وأما قول مسروق وأبي صالح وأبي الضحىٰ والسدي فهم ضمن أسانيد ابن مسعود وابن عباس المتقدمة.

(٢) أخرجه الحاكم من طريق مجاهد عن ابن عباس بلفظ: «الموت»، وصححه ووافقه الذهبي. (المستدرك ٢/ ٥١٣).

(٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.

(٤) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق معمر عن قتادة.

(٥) عزاه البغوي إلى عطاء. (معالم التنزيل ٤/ ٤٤١).

(٦) عزاه السيوطي إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم.

ومجاهد وسعيد بن جبير وأبي صالح مثل ذلك[١].

وعن مجاهد: ﴿وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبۡحٗا ۝٣﴾ الموت[٢].

وقال قتادة: هي النجوم[٣].

وقال عطاء بن أبي رباح: هي السفن[٤].

وقوله تعالى: ﴿فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبۡقٗا ۝٤﴾ روي عن علي ومسروق ومجاهد وأبي صالح والحسن البصري يعني: الملائكة[٥].

قال الحسن: سبقت إلى الإيمان والتصديق به.

وعن مجاهد: الموت[٦].

وقال قتادة: هي النجوم.

وقال عطاء: هي الخيل في سبيل الله[٧].

وقوله تعالى: ﴿فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا ۝٥﴾ قال علي ومجاهد وعطاء وأبو صالح والحسن وقتادة والربيع بن أنس والسدي: هي الملائكة[٨]، زاد الحسن: تدبر الأمر من السماء إلى الأرض؛ يعني: بأمر ربها ﷻ، ولم يختلفوا في هذا.

ولم يقطع ابن جرير بالمراد في شيء من ذلك إلا أنه حكى في ﴿فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا ۝٥﴾ أنها الملائكة، ولا أثبتَ ولا نفىَ[٩]. وقوله: ﴿يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ۝٦ تَتۡبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ۝٧﴾ قال ابن عباس: هما النفختان الأولى والثانية[١٠]، وهكذا قال مجاهد والحسن وقتادة والضحاك وغير واحد[١١].

وعن مجاهد: أما الأولى وهي قوله: ﴿يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ۝٦﴾ فكقوله: ﴿يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ﴾ [المزمل: ١٤] والثانية وهي الرادفة فهي كقوله: ﴿وَحُمِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةٗ وَٰحِدَةٗ ۝١٤﴾ [الحاقة][١٢].

---

(١) أخرجه الطبري بسند ضعيف فيه ابن حميد وهو محمد بن حميد الرازي وهو ضعيف، وهو يخالف ما صح عن مجاهد كما يلي.

(٢) أخرجه الطبري بسند رجاله ثقات وسنده صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.

(٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق معمر عن قتادة.

(٤) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق واصل بن السائب عن عطاء. وواصل ضعيف. (التقريب ص٥٧٩).

(٥) أخرجه الطبري بسند ضعيف فيه ابن حميد.. عن مجاهد. وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر عن أبي صالح.

(٦) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.

(٧) أخرجه الطبري بسند ضعيف تقدم قبل روايتين عن عطاء.

(٨) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق معمر عن قتادة، وعزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم عن علي.

(٩) قد استدل الطبري بقول قتادة المتقدم، قائلاً وكذلك قال أهل التأويل. وكأنه أثبت ذلك ولم ينفه.

(١٠) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس.

(١١) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق أبي رجاء عن الحسن؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة؛ أخرجه الطبري بسند ضعيف عن الضحاك فيه إبهام شيخ الطبري.

(١٢) أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد وفيه زيادة إذ استشهد بقوله تعالى: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ ۝١﴾ [الانشقاق].

وقد قال الإمام أحمد: حدثنا وكيع، حدثنا سفيان، عن عبد الله بن محمد بن عقيل، عن أبي الطفيل بن أُبي بن كعب، عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «جاءت الراجفة تتبعها الرادفة، جاء الموت بما فيه» فقال رجل: يا رسول الله أرأيت إن جعلت صلاتي كلها عليك؟ قال: إذاً يكفيك الله ما أهمك من دنياك وآخرتك»[(١)]. وقد روى الترمذي وابن جرير وابن أبي حاتم من حديث سفيان الثوري بإسناده مثله، ولفظ الترمذي وابن أبي حاتم: كان رسول الله ﷺ إذا ذهب ثلثا الليل قام فقال: «يا أيها الناس اذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة، جاء الموت بما فيه»[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ۝٨﴾ قال ابن عباس: يعني: خائفة[(٣)]، وكذا قال مجاهد وقتادة[(٤)].

﴿أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ ۝٩﴾ أي: أبصار أصحابها وإنما أضيف إليها للملابسة أي ذليلة حقيرة مما عاينت من الأهوال.

وقوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ أَإِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ ۝١٠﴾ يعني: مشركي قريش.

ومن قال بقولهم في إنكار المعاد يستبعدون وقوع البعث بعد المصير إلى الحافرة وهي القبور، قاله مجاهد[(٥)]، وبعد تمزق أجسادهم وتفتت عظامهم ونخورها ولهذا قالوا: ﴿أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً ۝١١﴾ وقرئ «ناخرة»[(٦)].

وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة: أي بالية[(٧)]. قال ابن عباس: وهو العظم إذا بلي ودخلت الريح فيه.

﴿قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ۝١٢﴾ وعن ابن عباس ومحمد بن كعب وعكرمة وسعيد بن جبير وأبي مالك والسدي وقتادة: ﴿الْحَافِرَةِ﴾ الحياة بعد الموت[(٨)].

وقال ابن زيد: ﴿الْحَافِرَةِ﴾ النار[(٩)]. وما أكثر أسماءها هي النار والجحيم وسقر وجهنم والهاوية والحافرة ولظى والحطمة.

وأما قولهم: ﴿تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾ فقال محمد بن كعب: قالت قريش: لئن أحيانا الله بعد أن

---

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٥/١٣٦) وسنده حسن، وأخرجه الحاكم من طريق سفيان به وصححه ووافقه الذهبي (المستدرك ٢/٥١٣)؛ وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢/٦٣٨ ح٩٥٤).

(٢) سنن الترمذي، صفة القيامة، باب رقم ٢٣ (ح٢٤٥٧) وقال الترمذي: حسن صحيح.

(٣) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس.

(٤) أخرجه عبد الرزاق عن معمر عن قتادة.

(٥) أخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد بلفظ: «انبعث خلقاً جديداً؟!».

(٦) وهي قراءة متواترة.

(٧) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي عن ابن عباس ويتقوىٰ بما أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٨) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة؛ وأخرجه الطبري بإسنادين ضعيفين عن السدي ومحمد القرظي ويتقويان بما سبق.

(٩) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

نموت لنخسرنَّ(١). قال الله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ ۝١٣ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ۝١٤﴾ أي: فإنما هو أمر من الله لا مثنوية فيه ولا تأكيد، فإذا الناس قيام ينظرون، وهو أن يأمر الله تعالى إسرافيل فينفخ في الصور نفخة البعث فإذا الأولون والآخرون قيام بين يدي الربِّ ﷻ ينظرون كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ۝٥٢﴾ [الإسراء]. وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ۝٥٠﴾ [القمر] وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ [النحل: ٧٧].

قال مجاهد: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾ صيحة واحدة(٢).

وقال إبراهيم التيمي: أشد ما يكون الربُّ غضباً على خلقه يوم يبعثهم.

وقال الحسن البصري: زجرة من الغضب.

وقال أبو مالك والربيع بن أنس: زجرة واحدة هي: النفخة الآخرة.

وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ۝١٤﴾ قال ابن عباس: الساهرة: الأرض كلها(٣)، وكذا قال سعيد بن جبير وقتادة وأبو صالح.

وقال عكرمة والحسن والضحاك وابن زيد: الساهرة وجه الأرض(٤).

وقال مجاهد: كانوا بأسفلها فأخرجوا إلى أعلاها.

قال: والساهرة: المكان المستوي(٥).

وقال الثوري: الساهرة أرض الشام(٦).

وقال عثمان بن أبي العاتكة: الساهرة: أرض بيت المقدس(٧).

وقال وهب بن منبه: الساهرة: جبل إلى جانب بيت المقدس(٨).

وقال قتادة أيضاً: الساهرة: جهنم(٩).

وهذه أقوال كلها غريبة والصحيح أنها الأرض وجهها الأعلى.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا علي بن الحسين، حدثنا خزر بن المبارك الشيخ الصالح، حدثنا بشر بن [السريّ](١٠)، حدثنا مصعب بن ثابت، عن أبي حازم، عن سهل بن سعد الساعدي ﴿فَإِذَا

---

(١) سنده ضعيف لأنه مرسل.
(٢) أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.
(٣) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق عكرمة عن ابن عباس.
(٤) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق عمارة بن أبي حفصة عن عكرمة، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق أبي رجاء عن الحسن.
(٥) أخرجه الطبري وآدم بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.
(٦) أخرجه الطبري من طريق مهران عن سفيان.
(٧) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق الوليد بن مسلم عن عثمان بن أبي العاتكة بنحوه.
(٨) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق أبي سنان عن وهب بن منبه.
(٩) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.
(١٠) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل صُحف إلى: «السدي».

هُم بِالسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾﴾ قال: أرض بيضاء عفراء خالية كالخبزة النقي[١].

وقال الربيع بن أنس: ﴿فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾﴾ يقول الله ﷻ: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾﴾ [إبراهيم] ويقول: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ﴿١٠٧﴾﴾ [طه]. وقال: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً﴾ [الكهف: ٤٧] وبرزت الأرض التي عليها الجبال، وهي لا تعد من هذه الأرض، وهي أرض لم يعمل عليها خطيئة، ولم يهرق عليها دم.

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٢٦﴾﴾.

يخبر تعالى رسوله محمداً ﷺ عن عبده ورسوله موسى عليه السلام أنه ابتعثه إلى فرعون، وأيده الله بالمعجزات، ومع هذا استمر على كفره وطغيانه حتى أخذه الله أخذ عزيز مقتدر، وكذلك عاقبة من خالفك وكذب بما جئت به، ولهذا قال في آخر القصة: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٢٦﴾﴾ فقوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ ﴿١٥﴾﴾ أي: هل سمعت بخبره؟ ﴿إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ﴾ أي: كلمه نداء ﴿بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ﴾ أي: المطهر ﴿طُوًى﴾ هو: اسم الوادي على الصحيح كما تقدم في سورة طه فقال له: ﴿اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿١٧﴾﴾ أي: تجبر وتمرد وعتا ﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾﴾ أي: قل له: هل لك أن تجيب إلى طريقة ومسلك تزكى به وتسلم وتطيع؟ ﴿وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ أي: أدلك إلى عبادة ربك ﴿فَتَخْشَىٰ﴾ أي: فيصير قلبك خاضعاً له مطيعاً خاشعاً بعد ما كان قاسياً خبيثاً بعيداً من الخير.

﴿فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾﴾ يعني: فأظهر له موسى مع هذه الدعوة الحق حجة قوية ودليلاً واضحاً على صدق ما جاءه به من عند الله.

﴿فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾﴾ أي: فكذب بالحق وخالف ما أمره به من الطاعة، وحاصله أنه كفر قلبه فلم ينفعل لموسى بباطنه ولا بظاهره، وعلمه بأن ما جاء به حق لا يلزم منه أنه مؤمن به لأن المعرفة علم القلب والإيمان عمله وهو الانقياد للحق والخضوع.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾﴾ أي: في مقابلة الحق بالباطل وهو جمعه السحرة ليقابلوا ما جاء به موسى عليه السلام من المعجزات الباهرات ﴿فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾﴾ أي: في قومه ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾﴾.

قال ابن عباس ومجاهد: وهذه الكلمة قالها فرعون بعد قوله: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي﴾ [القصص: ٣٨] بأربعين سنة[٢].

---

(١) سنده ضعيف لضعف مصعب بن ثابت (التقريب ص٥٣٣) وله شواهد صحيحة يتقوىٰ بها.

(٢) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق عطية العوفي عن ابن عباس، بدون ذكر بأربعين سنة ويتقوىٰ بما أخرجه الطبري بسند حسن من طريق عبد الكريم الجزري عن مجاهد.

قال الله تعالى: ﴿فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْآخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ۝٢٥﴾ أي: انتقم الله منه انتقاماً جعله به عبرة ونكالاً لأمثاله من المتمردين في الدنيا ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ بِئْسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ﴾ [هود: ٩٩] كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ۝٤١﴾ [القصص] وهذا هو الصحيح في معنى الآية أن المراد بقوله: ﴿نَكَالَ ٱلْآخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ﴾ أي: الدنيا والآخرة.

وقيل: المراد بذلك: كلمتاه: الأولى والثانية. وقيل: كفره وعصيانه.

والصحيح الذي لا شك فيه: الأول.

وقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ ۝٢٦﴾ أي: لمن يتعظ وينزجر.

﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ۝٢٧ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ۝٢٨ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ۝٢٩ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ۝٣٠ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ۝٣١ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ۝٣٢ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ۝٣٣﴾.

يقول تعالى محتجاً على منكري البعث في إعادة الخلق بعد بدئه: ﴿ءَأَنتُمْ﴾ أيها الناس ﴿أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ﴾؟ يعني: بل السماء أشد خلقاً منكم كما قال تعالى: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ﴾ [غافر: ٥٧] وقال تعالى: ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ۝٨١﴾ [يس].

وقوله: ﴿بَنَىٰهَا﴾ فسره بقوله: ﴿رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ۝٢٨﴾ أي: جعلها عالية البناء بعيدة الفناء مستوية الأرجاء مكلَّلة بالكواكب في الليلة الظلماء.

وقوله تعالى: ﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ۝٢٩﴾ أي: جعل ليلها مظلماً أسود حالكاً، ونهارها مضيئاً مشرقاً نيراً واضحاً.

وقال ابن عباس: ﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا﴾ أظلمه[1]، وكذا قال مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وجماعة كثيرون[2].

﴿وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا﴾ أي: أنار نهارها.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ۝٣٠﴾ فسره بقوله تعالى: ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ۝٣١﴾ وقد تقدم في سورة حم السجدة[3] أن الأرض خلقت قبل خلق السماء، ولكن إنما دُحيت بعد خلق السماء بمعنى: أنه أخرج ما كان فيها بالقوة إلى الفعل، وهذا معنى قول ابن عباس وغير واحد واختاره ابن جرير.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا عبد الله بن جعفر الرقي، حدثنا عبيد الله يعني: ابن عمرو، عن زيد بن أبي أنيسة، عن المنهال بن عمرو، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس: ﴿دَحَىٰهَآ﴾ ودحيها أن أخرج منها الماء والمرعى، وشقق فيها الأنهار، وجعل فيها الجبال والرمال

(١) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس.

(٢) أخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد، وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة؛ وأخرجه الطبري بسندين ضعيفين عن الضحاك وعن عكرمة، ويتقويان بما سبق.

(٣) عند تفسير الآية ٤.

والسبل والآكام[١]، فذلك قوله: ﴿وَٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ٣٠﴾ وقد تقدم تقرير ذلك هنالك[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَٱلۡجِبَالَ أَرۡسَىٰهَا ٣٢﴾ أي: قررها وأثبتها وأكدها في أماكنها، وهو الحكيم العليم الرؤوف بخلقه الرحيم.

وقال الإمام أحمد: حدثنا يزيد بن هارون، أخبرنا العوام بن حوشب، عن سليمان بن أبي سليمان، عن أنس بن مالك، عن النبي ﷺ قال: «لما خلق الله الأرض جعلت تميد، فخلق الجبال فألقاها عليها فاستقرت، فتعجبت الملائكة من خلق الجبال» فقالت: يا ربِّ فهل من خلقك شيء أشد من الجبال؟ قال: نعم: الحديد. قالت: يا ربِّ فهل من خلقك شيء أشد من الحديد؟ قال: نعم النار. قالت: يا ربِّ فهل من خلقك أشد من النار؟ قال: نعم الماء. قالت: يا ربِّ فهل من خلقك شيء أشد من الماء؟ قال: نعم الريح. قالت: يا ربِّ فهل من خلقك شيء أشد من الريح؟ قال: نعم ابن آدم يتصدق بيمينه يخفيها عن شماله[٣].

وقال أبو جعفر ابن جرير: حدثنا ابن حميد، حدثنا جرير، عن عطاء، عن أبي عبد الرحمٰن السلمي، عن علي قال: لما خلق الله الأرض [قمصت][٤] وقالت: تخلق عليَّ آدم وذريته، يلقون علي نتنهم ويعملون علي بالخطايا، فأرساها الله بالجبال فمنها ما ترون ومنها ما لا ترون، وكان أول قرار الأرض كلحم الجزور إذا نحر يختلج لحمه[٥]. غريب.

وقوله تعالى: ﴿مَتَٰعٗا لَّكُمۡ وَلِأَنۡعَٰمِكُمۡ ٣٣﴾ أي: دحا الأرض فأنبع عيونها، وأظهر مكنونها، وأجرى أنهارها، وأنبت زروعها وأشجارها وثمارها، وثبَّت جبالها لتستقر بأهلها ويقر قرارها، كل ذلك متاعاً لخلقه ولما يحتاجون إليه من الأنعام التي يأكلونها ويركبونها مدة احتياجهم إليها في هذا الدار إلى أن ينتهي الأمد وينقضي الأجل.

﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلۡكُبۡرَىٰ ٣٤ يَوۡمَ يَتَذَكَّرُ ٱلۡإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ٣٥ وَبُرِّزَتِ ٱلۡجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ٣٦ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ٣٧ وَءَاثَرَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ٣٨ فَإِنَّ ٱلۡجَحِيمَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ ٣٩ وَأَمَّا مَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ ٤٠ فَإِنَّ ٱلۡجَنَّةَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ ٤١ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرۡسَىٰهَا ٤٢ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكۡرَىٰهَآ ٤٣ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ٤٤ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخۡشَىٰهَا ٤٥ كَأَنَّهُمۡ يَوۡمَ يَرَوۡنَهَا لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوۡ ضُحَىٰهَا ٤٦﴾.

يقول تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلۡكُبۡرَىٰ ٣٤﴾ وهو: يوم القيامة، قاله ابن عباس[٦]. سميت بذلك لأنها تطمُّ على كل أمر هائل مفظع كما قال تعالى: ﴿وَٱلسَّاعَةُ أَدۡهَىٰ وَأَمَرُّ﴾ [القمر: ٤٦].

---

(١) سنده حسن.

(٢) تقدم في تفسير سورة السجدة آية ٤.

(٣) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه، وضعف سنده محققوه. (المسند ١٩/٢٧٦ ح١٢٢٥٢).

(٤) كذا في (حم) وتفسير الطبري، وفي (ح): نقصت، وفي الأصل بياض.

(٥) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده ضعيف لضعف ابن حميد وهو محمد بن حميد الرازي. وقد استغربه الحافظ ابن كثير.

(٦) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس بلفظ: «من أسماء يوم القيامة».

﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾﴾ أي: حينئذٍ يتذكر ابن آدم جميع عمله خيره وشره كما قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ [الفجر: ٢٣].

﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾﴾ أي: أظهرت للناظرين فرآها الناس عياناً ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾﴾ أي: تمرد وعتا ﴿وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾﴾ أي: قدمها على أمر دينه وأخراه ﴿فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾﴾ أي: فإن مصيره إلى الجحيم وإن مطعمه من الزقوم ومشربه من الحميم.

﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾﴾ أي: خاف القيام بين يدي الله ﷻ، وخاف حكم الله فيه، ونهى نفسه عن هواها وردها إلى طاعة مولاها ﴿فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ أي: منقلبه ومصيره ورجعه إلى الجنة الفيحاء.

ثم قال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾﴾ أي: ليس علمها إليك ولا إلى أحد من الخلق بل مردها ومرجعها إلى الله ﷻ، فهو الذي يعلم وقتها على التعيين ﴿ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الأعراف: ١٨٧] وقال هاهنا: ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾﴾ ولهذا لما سأل جبريل رسول الله ﷺ عن وقت الساعة قال: «ما المسؤول عنها بأعلم من السائل»[١].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾﴾ أي: إنما بعثتك لتنذر الناس وتحذرهم من بأس الله وعذابه، فمن خشي الله وخاف مقامه ووعيده أتبعك فأفلح وأنجح، والخيبة والخسار على من كذبك وخالفك.

وقوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾﴾ أي: إذا قاموا من قبورهم إلى المحشر يستقصرون مدة الحياة الدنيا حتى كأنها عندهم كانت عشية من يوم أو ضحى من يوم.

قال جويبر، عن الضحاك، عن ابن عباس: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾﴾ أما عشية فما بين الظهر إلى غروب الشمس ﴿أَوْ ضُحَىٰهَا﴾ ما بين طلوع الشمس إلى نصف النهار[٢].

وقال قتادة: وقت الدنيا في أعين القوم حين عاينوا الآخرة[٣].

آخر تفسير سورة النازعات، [ولله الحمد والمنة][٤].

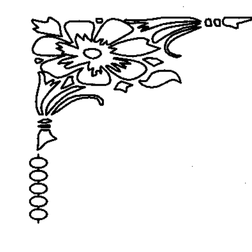
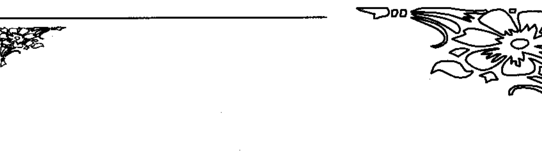
---

(١) أخرجه مسلم من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، مطولاً. (الصحيح، الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ح٨).

(٢) سنده ضعيف لضعف جويبر، وكذلك الضحاك لم يلق ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٤) زيادة من (ح).

سُورَةُ عَبَسَ

وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ① أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ② وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ③ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ④ أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ⑤ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ⑥ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ⑦ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ⑧ وَهُوَ يَخْشَىٰ ⑨ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ⑩ كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ⑪ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ⑫ فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ⑬ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍۭ ⑭ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ⑮ كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ ⑯﴾.

ذكر غير واحد من المفسرين أن رسول الله ﷺ كان يوماً يخاطب بعض عظماء قريش، وقد طمع في إسلامه، فبينما هو يخاطبه ويناجيه إذ أقبل ابن أُم مكتوم وكان ممن أسلم قديماً، فجعل يسأل رسول الله ﷺ عن شيء ويلحُّ عليه، ووَدَّ النبي ﷺ أن لو كفَّ ساعته تلك ليتمكن من مخاطبة ذلك الرجل طمعاً ورغبة في هدايته، وعبس في وجه ابن أم مكتوم وأعرض عنه، وأقبل على الآخر، فأنزل الله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ① أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ② وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ③﴾ أي: يحصل له زكاة وطهارة في نفسه ﴿أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ④﴾ أي: يحصل له اتعاظ وانزجار عن المحارم ﴿أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ⑤ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ⑥﴾ أي: أما الغني فأنت تتعرض له لعله يهتدي ﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ⑦﴾ أي: ما أنت بمطالب به إذا لم يحصل له زكاة ﴿وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ⑧ وَهُوَ يَخْشَىٰ ⑨﴾ أي: يقصدك ويؤمك ليهتدي بما تقول له: ﴿فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ⑩﴾ أي: تتشاغل، ومن هٰهنا أمر الله تعالى رسوله ﷺ أن لا يخص بالإنذار أحداً بل يساوي فيه بين الشريف والضعيف، والفقير والغني، والسادة والعبيد، والرجال والنساء، والصغار والكبار، ثم الله تعالى يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم وله الحكمة البالغة والحجة الدامغة.

قال الحافظ أبو يعلى في مسنده: حدثنا محمد بن مهدي، حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر، عن قتادة، عن أنس رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ①﴾ جاء ابن أُم مكتوم إلى النبي ﷺ وهو يكلم أُبي بن خلف فأعرض عنه، فأنزل الله: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ① أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ②﴾ فكان النبي ﷺ بعد ذلك يكرمه.

قال قتادة: وأخبرني أنس بن مالك قال: رأيته يوم القادسية وعليه درع، ومعه راية سوداء يعني: ابن أُم مكتوم[١].

---

(١) أخرجه أبو يعلى بسنده ومتنه (المسند ٥/ ٤٣١ ح٣١٢٣)، وسنده صحيح؛ وأخرجه عبد الرزاق عن معمر به.

وقال أبو يعلى وابن جرير: حدثنا سعيد بن يحيى الأموي، حدثني أبي، عن هشام بن عروة [مما عرضه عليه عن عروة][١] عن عائشة قالت: أنزلت ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١﴾ في ابن أُم مكتوم الأعمى أتى إلى رسول الله ﷺ فجعل يقول: أرشدني قالت: وعند رسول الله ﷺ رجل من عظماء المشركين. قالت: فجعل النبي ﷺ يعرض عنه ويقبل على الآخر، ويقول: أترى بما أقول بأساً؟ فيقول: لا، ففي هذا أنزلت ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١﴾.

وقد روى الترمذي هذا الحديث عن سعيد بن يحيى الأموي بإسناده مثله، ثم قال: وقد رواه بعضهم عن هشام بن عروة، عن أبيه قال: أنزلت ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١﴾ في ابن أُم مكتوم، ولم يذكر فيه عن عائشة[٢]. قلت: كذلك هو في الموطأ[٣].

ثم روى ابن جرير وابن أبي حاتم أيضاً من طريق العوفي، عن ابن عباس قوله: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ۝٢﴾ قال: بينا رسول الله ﷺ يناجي عتبة بن ربيعة وأبا جهل بن هشام والعباس بن عبد المطلب وكان يتصدى لهم كثيراً ويحرص عليهم أن يؤمنوا، فأقبل إليه رجل أعمى يقال: له عبد الله بن أُم مكتوم يمشي وهو يناجيهم فجعل عبد الله يستقريء النبي ﷺ آية من القرآن، وقال: يا رسول الله علمني مما علمك الله، فأعرض عنه رسول الله ﷺ وعبس في وجهه وتولى وكره كلامه، وأقبل على الآخرين، فلما قضى رسول الله ﷺ نجواه وأخذ ينقلب إلى أهله أمسك الله بعض بصره وخفق برأسه، ثم أنزل الله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ۝٤﴾ فلما نزل فيه ما نزل أكرمه رسول الله ﷺ وكلمه، وقال له رسول الله ﷺ: «ما حاجتك؟ هل تريد من شيء؟» وإذا ذهب من عنده قال: هل لك حاجة في شيء؟ وذلك لما أنزل الله تعالى: ﴿أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝٧﴾[٤]. فيه غرابة ونكارة، وقد تكلم في إسناده.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أحمد بن منصور الرمادي، حدثنا عبد الله بن صالح، حدثنا الليث، حدثني يونس، عن ابن شهاب قال: قال سالم بن عبد الله، عن عبد الله بن عمر يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن بلالاً يؤذن بليل، فكلوا واشربوا حتى تسمعوا أذان ابن أُم مكتوم» وهو: الأعمى الذي أنزل الله تعالى فيه: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ۝٢﴾ وكان يؤذن مع بلال قال سالم: وكان رجلاً ضرير البصر، فلم يك يؤذن حتى يقول له الناس حين ينظرون إلى بزوغ الفجر: أذِّن[٥]. وهكذا ذكر عروة بن الزبير ومجاهد وأبو مالك وقتادة والضحاك وابن

---

(١) كذا في (ح) و(حم) وتفسير الطبري، وفي الأصل سقط وورد بلفظ: «عليه».

(٢) أخرجه الطبري والترمذي بالإسناد نفسه ومتنه. (السنن، التفسير، باب ومن سورة عبس ح٣٣٢٨)؛ وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي؛ وأخرجه ابن حبان. (الإحسان ٢/ ٢٩٣ ح٥٣٥)، والحاكم كلاهما من طريق سعيد بن يحيىٰ وصححه الحاكم ووافقه الذهبي. (المستدرك ٢/ ٥١٤)؛ وصححه الأرناؤوط محقق الإحسان.

(٣) الموطأ، القرآن، باب ما جاء في القرآن ١/ ٢٠٣ رقم ٨، لكن سنده إلى عروة وهو مرسل ويتقوىٰ بسابقه.

(٤) أخرجه الطبري من طريق العوفي به، وسنده ضعيف.

(٥) أخرجه الشيخان من حديث عائشة ﵂ ولكن دون ذكر أنه هو الذي أنزل الله تعالى فيه ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ . . .﴾ =

زيد وغير واحد من السلف والخلف أنها نزلت في ابن أُم مكتوم[١] والمشهور أن اسمه: عبد الله ويقال: عمرو، والله أعلم.

وقوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهَا تَذۡكِرَةٌ ١١﴾ أي: هذه السورة أو الوصية بالمساواة بين الناس في إبلاغ العلم بين شريفهم ووضيعهم.

وقال قتادة والسدي: ﴿كَلَّآ إِنَّهَا تَذۡكِرَةٌ ١١﴾ يعني: القرآن ﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ١٢﴾ أي: فمن شاء ذكر الله تعالى في جميع أموره، ويحتمل عود الضمير إلى الوحي لدلالة الكلام عليه.

وقوله تعالى: ﴿فِي صُحُفٖ مُّكَرَّمَةٖ ١٣ مَّرۡفُوعَةٖ مُّطَهَّرَةِۭ ١٤﴾ أي: هذه السورة أو العظة وكلاهما متلازم بل جميع القرآن في صحف مكرمة؛ أي: معظمة موقرة ﴿مَّرۡفُوعَةٖ﴾ أي: عالية القدر ﴿مُّطَهَّرَةِۭ﴾ أي: من الدنس والزيادة والنقص.

وقوله تعالى: ﴿بِأَيۡدِي سَفَرَةٖ ١٥﴾.

قال ابن عباس ومجاهد والضحاك وابن زيد: هي الملائكة[٢].

وقال وهب بن منبه: هم أصحاب محمد ﷺ[٣].

وقال قتادة: هم القراء[٤].

وقال ابن جريج، عن ابن عباس: السفَرة بالنبطية: القراء[٥].

وقال ابن جرير: والصحيح أن السفرة الملائكة، والسفرة يعني: بين الله تعالى وبين خلقه، ومنه يقال: السفير الذي يسعى بين الناس في الصلح والخير كما قال الشاعر:

وما أدع السفارة بين قومي ... وما أمشي بغش إن مشيت[٦]

وقال البخاري: سفرة الملائكة سفرت أصلحت بينهم وجعلت الملائكة إذا نزلت بوحي الله تعالى وتأديته كالسفير الذي يصلح بين القوم[٧].

وقوله تعالى: ﴿كِرَامِۭ بَرَرَةٖ ١٦﴾ أي: خلقهم كريم حسن شريف وأخلاقهم وأفعالهم بارة طاهرة كاملة، ومن ها هنا ينبغي لحامل القرآن أن يكون في أفعاله وأقواله على السداد والرشاد.

= [عبس] وهذه الزيادة يشهد لها ما تقدم. (صحيح البخاري، الأذان، باب أذان الأعمىٰ إذا كان له من يخبره ح٦١٧؛ وصحيح مسلم، الصيام، باب بيان أن الدخول في الصوم يحصل بطلوع الفجر ح١٠٩٢).

(١) قول عروة تقدم قبل الرواية السابقة، وقول مجاهد أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عنه، وقول قتادة أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عنه، وقول الضحاك، أخرجه الطبري بسند ضعيف فيه إبهام شيخه عنه، وقول ابن زيد، أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد، وكل هذه الأقوال مراسيل يقوي بعضها بعضاً وتتقوىٰ جميعها بما سبق.

(٢) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي عن ابن عباس، ومعناه صحيح، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد. وأخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس.

(٣) عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

(٤) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٥) عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم وابن المنذر، وسنده ضعيف لأن ابن جريج لم يسمع من ابن عباس.

(٦) ذكره الطبري بنحوه واستشهد بالشعر.

(٧) ذكره البخاري (الصحيح، التفسير، سورة عبس قبل ح٤٩٣٧).

قال الإمام أحمد: حدثنا إسماعيل، حدثنا هشام، عن قتادة، عن زُرارة بن أوفى، عن سعد بن هشام، عن أبيه، عن عائشة ﵂ قالت: قال رسول الله ﷺ: «الذي يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرؤه وهو عليه شاق له أجران»[١]. أخرجه الجماعة من طريق قتادة به[٢].

﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴿٢٢﴾ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ ﴿٢٣﴾ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾﴾.

يقول تعالى ذامّاً لمن أنكر البعث والنشور من بني آدم: ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾﴾ قال الضحاك، عن ابن عباس: ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ لعن الإنسان[٣]، وكذا قال أبو مالك، وهذا لجنس الإنسان المكذب لكثرة تكذيبه بلا مستند بل بمجرد الاستبعاد وعدم العلم.

قال [ابن جريج][٤]: ﴿مَآ أَكْفَرَهُۥ﴾ أي: ما أشد كفره[٥].

وقال ابن جرير: ويحتمل أن يكون المراد أي شيء جعله كافراً؛ أي: ما حمله على التكذيب بالمعاد[٦]، وقد حكاه البغوي عن مقاتل والكلبي[٧]. وقال قتادة ﴿مَآ أَكْفَرَهُۥ﴾ ما ألعنه[٨].

ثم بيّن تعالى له كيف خلقه من الشيء الحقير؟ وأنه قادر على إعادته كما بدأه فقال تعالى: ﴿مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾﴾ أي: قدر أجله ورزقه وعمله وشقي أو سعيد: ﴿ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾﴾ قال العوفي، عن ابن عباس: ثم يسَّر عليه خروجه من بطن أُمه[٩]، وكذا قال عكرمة والضحاك وأبو صالح وقتادة والسدي[١٠]، واختاره ابن جرير[١١].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٦/٤٨)، وسنده صحيح.
(٢) صحيح البخاري، التفسير، سورة عبس (ح٤٩٣٧)؛ وصحيح مسلم، صلاة المسافرين، باب فضل الماهر بالقرآن والذي يتعتع فيه (ح٧٩٨).
(٣) سنده ضعيف لأن الضحاك لم يلق ابن عباس.
(٤) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل صُحف إلى: ابن جريج.
(٥) عزاه السيوطي إلى ابن المنذر عن ابن جريج.
(٦) لم أجده في تفسير الطبري ولعله في النسخة التي اعتمدها الحافظ ابن كثير.
(٧) نسبه البغوي إليهما. (معالم التنزيل ٤/٤٤٨).
(٨) لم أجد من أخرجه.
(٩) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به. ويتقوىٰ بما يليه.
(١٠) أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة، وأخرجه الطبري بسندين ضعيفين عن أبي صالح والسدي، ويتقويان بما سبق.
(١١) رجحه الطبري حسب ظاهر الآية.

وقال مجاهد: هذه كقوله تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ۝٣﴾ [الإنسان][١] أي: بيناه له وأوضحناه وسهلنا عليه عمله، وكذا قال الحسن وابن زيد[٢]، وهذا هو الأرجح، والله أعلم.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ۝٢١﴾ أي: أنه بعد خلقه له أماته فأقبره؛ أي: جعله ذا قبر والعرب تقول: قبرت الرجل إذا ولى ذلك منه، وأقبره الله، وعضبت قرن الثور، وأعضبه الله، وبترت ذنب البعير، وأبتره الله، وطردت عني فلاناً، وأطرده الله؛ أي: جعله طريداً قال الأعشى:

لـو أسـنـدت مـيـتـاً إلـى صـدرهـا ... عـاش ولـم يـنـقـل إلـى قـابـر[٣]

وقوله: ﴿ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ۝٢٢﴾ أي: بعثه بعد موته؛ ومنه يقال: البعث والنشور ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ۝٢٠﴾ [الروم]، ﴿وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا﴾ [البقرة: ٢٥٩].

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا أصبغ بن الفرج، أخبرنا ابن وهب، أخبرني عمرو بن الحارث، أن درَّاجاً أبا السمح أخبره، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد، عن النبي ﷺ قال: «يأكل التراب كل شيء من الإنسان إلا عجب ذنبه» قيل: وما هو يا رسول الله؟ قال: «مثل حبة خردل منه ينشأون»[٤]. وهذا الحديث ثابت في الصحيحين من رواية الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة بدون هذه الزيادة، ولفظه: «كل ابن آدم يبلى إلا عجب الذنب منه خلق وفيه يركب»[٥].

وقوله تعالى: ﴿كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ ۝٢٣﴾ قال ابن جرير: يقول: كلا ليس الأمر كما يقول هذا الإنسان الكافر من أنه قد أدَّى حق الله عليه في نفسه وماله ﴿لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ﴾ يقول: لم يؤد ما فرض عليه ﷻ من الفرائض لربه ﷻ[٦].

ثم روى هو وابن أبي حاتم من طريق ابن أبي نجيح، عن مجاهد قوله: ﴿كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ ۝٢٣﴾ قال: لا يقضي أحداً أبداً كل ما افترض عليه[٧]، وحكاه البغوي عن الحسن البصري بنحو من هذا[٨]، ولم أجد للمتقدمين فيه كلاماً سوى هذا، والذي يقع لي في معنى ذلك، والله أعلم أن المعنى: ﴿ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ۝٢٢﴾ أي: بعثه ﴿كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ ۝٢٣﴾ أي: لا يفعله الآن حتى تنقضي المدة ويفرغ القدر من بني آدم ممن كتب الله أن سيوجد منهم ويخرج إلى الدنيا، وقد أمر به تعالى كوناً وقدراً، فإذا تناهى ذلك عند الله أنشر الله الخلائق وأعادهم كما بدأهم.

وقد روى ابن أبي حاتم عن وهب بن منبه قال: قال عزير ﷺ: قال الملك الذي جائني: فإن

---

(١) أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.
(٢) أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة عن الحسن، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد بنحوه.
(٣) ديوان الأعشىٰ ص١٣٩ واستشهد به الطبري، وذكر ما قيل عن العرب.
(٤) سنده ضعيف لضعف روايه دراج عن أبي الهيثم ويتقوىٰ بالشواهد الصحيحة التالية دون آخره.
(٥) تقدم تخريجه في تفسير سورة النبأ آية ١٨.
(٦) ذكره الطبري بلفظه.
(٧) أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح به.
(٨) ذكره البغوي بنحوه عن الحسن. (معالم التنزيل ٤/٤٤٨).

القبور هي بطن الأرض وإن الأرض هي أم الخلق، فإذا خلق الله ما أراد أن يخلق، وتمت هذه القبور التي مدَّ الله لها انقطعت الدنيا، ومات من عليها ولفظت الأرض ما في جوفها وأخرجت القبور ما فيها. وهذا شبيه بما قلناه من معنى الآية، والله ﷻ أعلم بالصواب.

وقوله تعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾﴾ فيه امتنان، وفيه استدلال بإحياء النبات من الأرض الهامدة على إحياء الأجسام بعدما كانت عظاماً بالية وتراباً متمزقاً ﴿أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾﴾ أي: أنزلناه من السماء على الأرض ﴿ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾﴾ أي: أسكناه فيها فيدخل في تخومها وتخلل في أجزاء الحب المودع فيها، فنبت وارتفع وظهر على وجه الأرض ﴿فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾﴾ فالحب كل ما يذكر من الحبوب، والعنب معروف، والقضب هو: الفصفصة التي تأكلها الدواب رطبة، ويقال لها: القت أيضاً، قال ذلك ابن عباس وقتادة والضحاك والسدي[١]، وقال الحسن البصري: القضب: العلف[٢].

﴿وَزَيْتُونًا﴾ وهو معروف وهو أدم، وعصيره أدم ويستصبح به ويدهن به ﴿وَنَخْلًا﴾ يؤكل بلحاً بسراً ورطباً وتمراً ونيئاً ومطبوخاً ويعتصر منه رُب وخلّ ﴿وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾﴾ أي: بساتين، قال الحسن وقتادة: ﴿غُلْبًا﴾ نخل غلاظ كرام[٣].

وقال ابن عباس ومجاهد: الحدائق: كل ما التف واجتمع.

وقال ابن عباس أيضاً: ﴿غُلْبًا﴾[٤] الشجر الذي يستظل[٥] به.

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾﴾ أي: طوال[٦].

وقال عكرمة: ﴿غُلْبًا﴾ أي: غلاظ الأوساط[٧]، وفي رواية: غلاظ الرقاب، ألم تر إلى الرجل إذا كان غليظ الرقبة قيل: والله إنه لأغلب؟ رواه ابن أبي حاتم[٨].

وأنشد ابن جرير للفرزدق:

عوى فأثأر أغلب [ضيغميًّا][٩] فويل ابن المراغة ما استثار[١٠]

---

(١) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس بلفظ: «الغصغصة»؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة مثله.

(٢) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق يونس ـ وهو ابن عبيد البصري ـ عن الحسن البصري.

(٣) أخرجه عبد الرزاق والطبري بسند صحيح من طريق معمر عن قتادة بلفظ: «النخل الكرام». وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد وابن المنذر عن الحسن.

(٤) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق عاصم بن كليب عن أبيه عن ابن عباس؛ وأخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.

(٥) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق عكرمة عن ابن عباس.

(٦) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس.

(٧) أخرجه الطبري بسند جيد من طريق سفيان الثوري عن أبيه عن عكرمة.

(٨) عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد وابن المنذر عن عكرمة.

(٩) كذا في (ح) و(حم) وتفسير الطبري، وفي الأصل صُحف إلى: ضيغما.

(١٠) استشهد به الطبري، والبيت في ديوان الفرزدق ص٤٤٣.

وقوله تعالى: ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ۝٣١﴾ أما الفاكهة: فكل ما يتفكه به من الثمار، قال ابن عباس: الفاكهة: كل ما أُكل رطباً، والأب: ما أنبتت الأرض مما تأكله الدواب ولا يأكله الناس[١]، وفي رواية عنه: هو الحشيش للبهائم[٢].

وقال مجاهد وسعيد بن جبير وأبو مالك: الأب: الكلأ[٣].

وعن مجاهد والحسن وقتادة وابن زيد: الأب للبهائم كالفاكهة لبني آدم.

وعن عطاء: كل شيء نبت على وجه الأرض فهو أب.

وقال الضحاك: كل شيء أنبتته الأرض سوى الفاكهة فهو الأب.

وقال ابن إدريس: عن عاصم بن كليب، عن أبيه، عن ابن عباس: الأب نبت الأرض مما تأكله الدواب ولا يأكله الناس[٤].

ورواه ابن جرير من ثلاث طرق عن ابن إدريس، ثم قال: حدثنا أبو كريب وأبو السائب قالا: حدثنا ابن إدريس، حدثنا عبد الملك، عن سعيد بن جبير قال: عدَّ[٥] ابن عباس وقال: الأب: ما أنبتت الأرض للأنعام. وهذا لفظ حديث أبي كريب وقال أبو السائب في حديثه: ما أنبتت الأرض مما يأكل الناس وتأكل الأنعام.

وقال العوفي، عن ابن عباس: الأب: الكلأ والمرعى[٦]، وكذا قال مجاهد والحسن وقتادة وابن زيد وغير واحد[٧].

وقال أبو عبيد القاسم بن سلام: حدثنا محمد بن يزيد، حدثنا العوام بن حوشب، عن إبراهيم التيمي قال: سئل أبو بكر الصديق ﷺ عن قوله تعالى: ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ۝٣١﴾ فقال: أي سماء تظلني؟ وأي أرض تقلني إن قلت في كتاب الله ما لا أعلم؟[٨] وهذا منقطع بين إبراهيم التيمي والصديق ﷺ.

فأما ما رواه ابن جرير حيث قال: حدثنا ابن بشار، حدثنا ابن أبي عدي، حدثنا حميد، عن

---

(١) تفسير الأب أخرجه ابن خزيمة والطبري بسند حسن من طريق عاصم بن كليب عن أبيه عن ابن عباس (الصحيح ٣/ ٣٣٢ ح٢١٧٢) وصححه محققه، وأخرجه الحاكم من طريق عاصم به وصححه ووافقه الذهبي. (المستدرك ١/ ٤٣٧) وصحح سنده الحافظ ابن حجر، (فتح الباري ١٣/ ٢٧١).

(٢) عزاه الحافظ ابن حجر إلى ابن أبي حاتم. (تغليق التعليق ٣/ ٤٩٠) وكذا السيوطي.

(٣) أخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد؛ وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح من طريق معمر عن الحسن.

(٤) تقدم تخريجه قبل ثلاث روايات.

(٥) أي: عدَّ سبعاً جعل رزقه في سبعة.. ثم ذكر الأب هكذا ورد في رواية الطبري بسند حسن من الطرق الثلاثة التي أوردها الطبري.

(٦) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به ويتقوىٰ بسابقه ولاحقه.

(٧) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق مبارك عن الحسن؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة.

(٨) تقدم تخريجه في مقدمة التفسير.

أنس قال: قرأ عمر بن الخطاب ﵁: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ①﴾ فلما أتى على هذه الآية ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ㉛﴾ قال: قد عرفنا الفاكهة فما الأب؟ فقال: لعمرك يا ابن الخطاب إن هذا لهو التكلف(١).

فهو إسناد صحيح وقد رواه غير واحد عن أنس به، وهذا محمول على أنه أراد أن يعرف شكله وجنسه وعينه وإلا فهو وكل من قرأ هذه الآية يعلم أنه من نبات الأرض لقوله: ﴿فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا حَبًّا ㉗ وَعِنَبٗا وَقَضۡبٗا ㉘ وَزَيۡتُونٗا وَنَخۡلٗا ㉙ وَحَدَآئِقَ غُلۡبٗا ㉚ وَفَٰكِهَةٗ وَأَبّٗا ㉛﴾ وقوله تعالى: ﴿مَّتَٰعٗا لَّكُمۡ وَلِأَنۡعَٰمِكُمۡ ㉜﴾ أي: عيشة لكم ولأنعامكم في هذه الدار إلى يوم القيامة.

﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ㉝ يَوۡمَ يَفِرُّ ٱلۡمَرۡءُ مِنۡ أَخِيهِ ㉞ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ㉟ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ㊱ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ يَوۡمَئِذٖ شَأۡنٞ يُغۡنِيهِ ㊲ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ مُّسۡفِرَةٞ ㊳ ضَاحِكَةٞ مُّسۡتَبۡشِرَةٞ ㊴ وَوُجُوهٞ يَوۡمَئِذٍ عَلَيۡهَا غَبَرَةٞ ㊵ تَرۡهَقُهَا قَتَرَةٌ ㊶ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَفَرَةُ ٱلۡفَجَرَةُ ㊷﴾.

قال ابن عباس: ﴿ٱلصَّآخَّةُ﴾ اسم من أسماء يوم القيامة، عظَّمه الله وحذَّره عباده(٢).

قال ابن جرير: لعله اسم للنفخة في الصور(٣).

وقال البغوي: ﴿ٱلصَّآخَّةُ﴾ يعني: صيحة يوم القيامة سميت بذلك لأنها تصخُّ الأسماع؛ أي: تبالغ في إسماعها حتى تكاد تصمها ﴿يَوۡمَ يَفِرُّ ٱلۡمَرۡءُ مِنۡ أَخِيهِ ㉞ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ㉟ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ㊱﴾ أي: يراهم ويفر منهم ويبتعد منهم،؛ لأن الهول عظيم والخطب جليل(٤).

قال عكرمة: يلقى الرجل زوجته فيقول لها: يا هذه أي بعل كنت لك؟ فتقول: نعم البعل كنت، وتثني بخير ما استطاعت فيقول لها: فإني أطلب إليكِ اليوم حسنة واحدة تهبيها لي لعلي أنجو مما ترين، فتقول له: ما أيسر ما طلبت ولكني لا أطيق أن أعطيك شيئاً أتخوف مثل الذي تخاف قال: وإن الرجل ليلقى ابنه فيتعلق به فيقول: يا بني أي والد كنت لك، فيثني بخير فيقول له: يا بني إني احتجت إلى مثقال ذرة من حسناتك لعلي أنجو بها مما ترى، فيقول ولده: يا أبت ما أيسر ما طلبت ولكني أتخوف مثل الذي تتخوف، فلا أستطيع أن أعطيك شيئاً يقول الله تعالى: ﴿يَوۡمَ يَفِرُّ ٱلۡمَرۡءُ مِنۡ أَخِيهِ ㉞ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ㉟ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ㊱﴾(٥). وفي الحديث الصحيح في أمر الشفاعة أنه إذا طلب إلى كل من أولي العزم أن يشفع عند الله في الخلائق يقول: نفسي نفسي لا أسألك اليوم إلا نفسي، حتى إن عيسى ابن مريم يقول: لا أسأله اليوم إلا نفسي، لا أسأله مريم التي ولدتني(٦). ولهذا قال تعالى: ﴿يَوۡمَ يَفِرُّ ٱلۡمَرۡءُ مِنۡ أَخِيهِ ㉞ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ㉟ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ㊱﴾.

قال قتادة: الأحب فالأحب والأقرب فالأقرب من هول ذلك اليوم.

وقوله تعالى: ﴿لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ يَوۡمَئِذٖ شَأۡنٞ يُغۡنِيهِ ㊲﴾ أي: هو في شغل شاغل عن غيره.

قال ابن أبي حاتم: حدثنا محمد بن عمار بن الحارث، حدثنا الوليد بن صالح، حدثنا ثابت

---

(١) تقدم تخريجه في مقدمة التفسير، وهو صحيح بطرقه. (ينظر: مرويات ابن أبي شيبة في التفسير ص٥٩١).
(٢) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس.
(٣) ذكره الطبري بنحوه وأوضح.
(٤) معالم التنزيل (٤/٤٤٩).
(٥) سنده ضعيف لأنه مرسل.
(٦) تقدم تخريجه في تفسير سورة الإسراء: آية ٧٩.

أبو زيد العباداني، عن هلال بن خباب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم: «تحشرون حفاة عراة مشاة غرلاً» قال: فقالت زوجته: يا رسول الله ننظر أو يرى بعضنا عورة بعض؟ قال: «لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه»، أو قال: «ما أشغله عن النظر»[(١)].

وقد رواه النسائي منفرداً به عن أبي داود، عن عارم، عن ثابت بن يزيد وهو: أبو زيد الأحول البصري أحد الثقات، عن هلال بن خباب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس[(٢)] به، وقد رواه الترمذي، عن عبد بن حميد، عن محمد بن الفضل، عن ثابت بن يزيد، عن هلال بن خباب، عن عكرمة، عن ابن عباس، عن النبي ﷺ قال: «تحشرون حفاة عراة غرلاً» فقالت امرأة: أيبصر أو يرى بعضنا عورة بعض؟ قال: «يا فلانة لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه». ثم قال الترمذي: وهذا حديث حسن صحيح، وقد روي من غير وجه عن ابن عباس رضي الله عنهما[(٣)].

وقال النسائي: أخبرني عمرو بن عثمان، حدثنا بَقية، حدثنا الزبيدي، أخبرني الزهري، عن عروة، عن عائشة أن رسول الله ﷺ قال: «يبعث الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلاً»[(٤)] فقالت عائشة: يا رسول الله فكيف بالعورات؟ فقال: «لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه»[(٥)]. انفرد به النسائي من هذا الوجه.

ثم قال ابن أبي حاتم أيضاً: حدثنا أبي، حدثنا أزهر بن حاتم، حدثنا الفضل بن موسى، عن عائذ بن شريح، عن أنس بن مالك قال: سألت عائشة رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله بأبي أنت وأُمي إني سائلتك عن حديث فتخبرني أنت به، قال: «إن كان عندي منه علم». قالت: يا نبي الله كيف يحشر الرجال؟ قال: «حفاة عراة». ثم انتظرت ساعة فقالت: يا رسول الله كيف يحشر النساء؟ قال: «كذلك حفاة عراة». قالت: واسوأتاه من يوم القيامة. قال: «وعن أي ذلك تسألين؟ إنه قد نزل عليَّ آية لا يضرك كان عليك ثياب أو لا يكون». قالت: أية آية هي يا نبي الله؟ قال: ﴿لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾﴾[(٦)].

وقال البغوي في تفسيره: أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحي، أنا أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أخبرني الحسين بن عبد الله، حدثنا عبد الله بن عبد الرحمٰن، حدثنا محمد بن عبد العزيز، حدثنا ابن أبي أويس، حدثنا أبي، عن محمد بن أبي عياش، عن عطاء بن يسار، عن سودة زوج النبي ﷺ قالت: قال رسول الله ﷺ: «يبعث الناس حفاة عراة غرلاً، قد ألجمهم

---

(١) حديث صحيح كما يلي.

(٢) السنن الكبرىٰ، التفسير، سورة عبس (ح١١٥٨٣).

(٣) سنن الترمذي، التفسير، باب ومن سورة عبس (ح٣٣٣٢)؛ وقال الألباني: حسن صحيح. (صحيح سنن الترمذي ح٢٦٥٢).

(٤) أي: غير مختونين.

(٥) السنن الكبرى، التفسير، سورة عبس (ح١١٥٨٤). ويشهد له سابقه، وأخرجه الحاكم من طريق بقية به، وصححه ووافقه الذهبي (المستدرك ٤/ ٥٦٤).

(٦) سنده ضعيف لضعف عائذ بن شريح. (الجرح والتعديل ٧/ ١٦) ويشهد له ما سبق.

العرق وبلغ شحوم الآذان» فقلت: يا رسول الله واسوأتاه ينظر بعضنا إلى بعض؟ فقال: «قد شغل الناس لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه»[١]. هذا حديث غريب من هذا الوجه جداً، وهكذا رواه ابن جرير عن أبي عمار الحسين بن حريث المروزي، عن الفضل بن موسى به[٢].

[ولكن][٣] قال أبو حاتم الرازي: عائذ بن شريح ضعيف، وفي حديثه ضعف[٤].

وقوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾﴾ أي: يكون الناس هنالك فريقين وجوه مسفرة؛ أي: مستنيرة ﴿ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾﴾ أي: مسرورة فرحة من السرور في قلوبهم قد ظهر البشر على وجوههم، وهؤلاء هم أهل الجنة.

﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾﴾ أي: يعلوها وتغشاها قترة؛ أي: سواد.

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا سهل بن عثمان العسكري، حدثنا أبو علي محمد مولى جعفر بن محمد، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: «يلجم الكافر العرق ثم تقع الغبرة على وجوههم»، قال: فهو قوله تعالى: ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾﴾[٥].

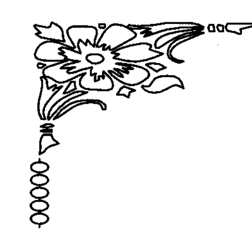
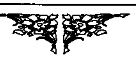
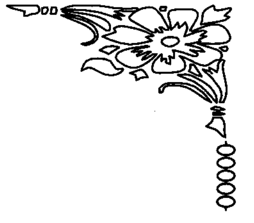
وقال ابن عباس: ﴿تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾﴾ أي: يغشاها سواد الوجوه[٦].

وقوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾﴾ أي: الكفرة قلوبهم الفجرة في أعمالهم كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ [نوح: ٢٧].

آخر تفسير سورة عبس، ولله الحمد والمنة.

---

(١) أخرجه البغوي بسنده ومتنه. (معالم التنزيل ٤/ ٤٤٩ ـ ٤٥٠) وحكم عليه الحافظ ابن كثير.
(٢) أخرجه الطبري عن أبي عمار الحسين المروزي به، وحكمه كسابقه.
(٣) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل صحف إلى: ومكر.
(٤) الجرح والتعديل ٧/ ١٦.
(٥) في سنده سهل بن عثمان العسكري له غرائب كثيرة. (تهذيب التهذيب ٤/ ٢٥٥ ـ ٢٥٦).
(٦) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس بلفظ: «تغشاها ذلة».

سُورَةُ التَّكوِير

وهي مكية

قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا عبد الله بن بحير القاص، أن عبد الرحمٰن بن يزيد الصنعاني أخبره أنه سمع ابن عمر يقول: قال رسول الله ﷺ: «من سرَّه أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأي عين فليقرأ ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١﴾ و﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ۝١﴾ [الانفطار] و﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ۝١﴾ [الانشقاق]»[١]. وهكذا رواه الترمذي عن العباس بن عبد العظيم العنبري، عن عبد الرزاق به[٢].

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۝٣ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ۝٤ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝٥ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۝٦ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝٧ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ۝٩ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ۝١٠ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ ۝١١ وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ۝١٢ وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ۝١٣ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ۝١٤﴾.

قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١﴾ يعني: أظلمت[٣].

وقال العوفي، عنه: ذهبت[٤].

وقال مجاهد: اضمحلت وذهبت[٥]، وكذا قال الضحاك[٦].

قال قتادة: ذهب ضوؤها[٧].

وقال سعيد بن جبير: ﴿كُوِّرَتْ﴾: غورت[٨].

وقال الربيع بن خثيم: ﴿كُوِّرَتْ﴾ يعني: رمي بها[٩].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه، وحسن سنده محققوه. (المسند ٨/ ٤٢٤ ح٤٨٠٦). وأخرجه الحاكم من طريق عبد الرزاق به وصححه ووافقه الذهبي. (المستدرك ٤/ ٥٧٦).

(٢) أخرجه الترمذي عن العباس بن عبد العظيم به. (السنن، التفسير، باب ومن سورة عبس ح٣٣٣٣)؛ وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (ح٢٦٥٣).

(٣) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق علي به.

(٤) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به، ويتقوىٰ بسابقه ولاحقه.

(٥) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق أبي يحيىٰ - وهو القتات - عن مجاهد.

(٦) أخرجه الطبري بسند ضعيف لإبهام شيخه.

(٧) أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة.

(٨) أخرجه الطبري بسند جيد من طريق جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير.

(٩) أخرجه عبد الرزاق وهناد. (الزهد رقم ٣٦٦) بسند صحيح من طريق أبي يعلى عن الربيع بن خثيم.

وقال أبو صالح: ﴿كُوِّرَتۡ﴾: ألقيت[١]، وعنه أيضاً: نُكست[٢].

وقال زيد بن أسلم: تقع في الأرض.

قال ابن جرير: والصواب من القول عندنا في ذلك أن التكوير جمع الشيء بعضه على بعض، ومنه تكوير العمامة وجمع الثياب بعضها إلى بعض، فمعنى قوله تعالى: ﴿كُوِّرَتۡ﴾ جمع بعضها إلى بعض ثم لفت فرمي بها، وإذا فعل بها ذلك ذهب ضوؤها[٣].

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج وعمرو بن عبد الله الأودي، حدثنا أبو أسامة، عن مجالد، عن شيخ من بجيلة، عن ابن عباس: ﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ ۝١﴾ قال: يُكور الله الشمس والقمر والنجوم يوم القيامة في البحر، ويبعث الله ريحاً دبوراً فتضرمها ناراً[٤]. وكذا قال عامر الشعبي.

ثم قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا أبو صالح، حدثني معاوية بن صالح، عن ابن يزيد بن أبي مريم، عن أبيه، أن رسول الله ﷺ قال: في قول الله: ﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ ۝١﴾ قال: «كُورت في جهنم»[٥].

وقال الحافظ أبو يعلى في مسنده: حدثنا موسى بن محمد بن حبان، حدثنا درست بن زياد، حدثنا يزيد الرقاشي، حدثنا أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «الشمس والقمر نوران عقيران في النار»[٦]. هذا حديث ضعيف؛ لأن يزيد الرقاشي ضعيف، والذي رواه البخاري في الصحيح بدون هذه الزيادة.

ثم قال البخاري: حدثنا مسدد، حدثنا عبد العزيز بن المختار، حدثنا عبد الله الداناج، حدثني أبو سلمة بن عبد الرحمٰن، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ: «الشمس والقمر يكوران يوم القيامة»[٧] انفرد به البخاري، وهذا لفظه وإنما أخرجه في كتاب بدء الخلق وكان جديراً أن يذكره هٰهنا أو يكرره كما هي عادته في أمثاله، وقد رواه البزار فجوَّد إيراده فقال: حدثنا إبراهيم بن زياد البغدادي، حدثنا يونس بن محمد، حدثنا عبد العزيز بن المختار، عن عبد الله الداناج قال: سمعت أبا سلمة بن عبد الرحمٰن بن خالد بن عبد الله القسري في هذا المسجد مسجد الكوفة، وجاء الحسن فجلس إليه فحدث قال: حدثنا أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إن الشمس والقمر نوران في النار عقيران يوم القيامة»، فقال الحسن: وما ذنبهما؟ فقال: أحدثك عن رسول الله ﷺ وتقول: - أحسبه قال - وما ذنبهما[٨]. ثم قال: لا يروى عن أبي هريرة إلا من

---

(١) أخرجه الطبري بسند ضعيف فيه بدل بن المحبر.

(٢) أخرجه الطبري بسندين يقوي أحدهما الآخر.

(٣) أخرجه الطبري بنحوه.

(٤) سنده ضعيف لضعف مجالد وإبهام شيخه.

(٥) عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم والديلمي عن أبي مريم، وأظنه مرسلاً، وكتاب الديلمي وهو الفردوس مشحون بالأحاديث الضعيفة.

(٦) أخرجه أبو يعلى بسنده ومتنه، وضعفه محققه لضعف الرقاشي وضعف درست بن زياد. (المسند ٧/١٤٨ ح٤١١٦).

(٧) أخرجه البخاري بسنده ومتنه (الصحيح، بدء الخلق، باب صفة الشمس والقمر ح٣٢٠٠).

(٨) سنده ضعيف لانقطاعه فإن الحسن البصري لم يسمع من أبي هريرة. (جامع التحصيل ص١٩٦ - ١٩٧).

هذا الوجه، ولم يروِ عبد الله الداناج، عن أبي سلمة سوى هذا الحديث.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ۝٢﴾ أي: انتثرت كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ۝٢﴾ [الانفطار] وأصل الانكدار الانصباب.

قال الربيع بن أنس: عن أبي العالية، عن أُبي بن كعب قال: ست آيات قبل يوم القيامة، بينا الناس في أسواقهم إذ ذهب ضوء الشمس فبينما هم كذلك إذ تناثرت النجوم، فبينما هم كذلك إذ وقعت الجبال على وجه الأرض فتحركت واضطربت واختلطت، ففزعت الجن إلى الإنس والإنس إلى الجن، واختلطت الدواب والطير والوحوش فماجوا بعضهم في بعض.

﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝٥﴾ قال: اختلطت ﴿وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ۝٤﴾ قال: أهملها أهلها ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۝٦﴾ قال: قالت الجن نحن نأتيكم بالخبر، قال: فانطلقوا إلى البحر فإذا هو نار تتأجج، قال: فبينما هم كذلك إذ تصدعت الأرض صدعة واحدة إلى الأرض السابعة السفلى وإلى السماء السابعة العليا، قال: فبينما هم كذلك إذ جاءتهم الريح فأماتتهم[(١)]. رواه ابن جرير وهذا لفظه وابن أبي حاتم ببعضه، وهكذا قال مجاهد والربيع بن خثيم والحسن البصري وأبو صالح وحماد بن أبي سليمان والضحاك في قوله جلا وعلا: ﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ۝٢﴾ أي: تناثرت[(٢)].

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ۝٢﴾ أي: تغيرت[(٣)].

وقال يزيد بن أبي مريم، عن النبي ﷺ: ﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ۝٢﴾ قال: «انكدرت في جهنم وكل من عبد من دون الله فهو في جهنم إلا ما كان من عيسى وأُمه، ولو رضيا أن يعبدا لدخلاها»[(٤)]. رواه ابن أبي حاتم بالإسناد المتقدم.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۝٣﴾ أي: زالت عن أماكنها ونسفت فتركت الأرض قاعاً صفصفا.

وقوله: ﴿وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ۝٤﴾ قال عكرمة ومجاهد: عشار الإبل[(٥)].

قال مجاهد: ﴿عُطِّلَتْ﴾: تُركت وسُيبت[(٦)]. وقال أُبي بن كعب والضحاك: أهملها أهلها[(٧)].

---

(١) أخرجه الطبري وابن أبي الدنيا (الأهوال ص٨٥) كلاهما بسند جيد من طريق الحسين بن واقد عن الربيع بن أنس به.

(٢) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق أبي يعلى ـ وهو منذر بن يعلى ـ عن الربيع بن خثيم؛ وأخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق أبي يحيى ـ وهو القتات ـ عن مجاهد؛ وأخرجه الطبري بسند حسن من طريق إسماعيل بن أبي خالد عن أبي صالح؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

(٣) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس.

(٤) تقدم الكلام عن سنده قبل ست روايات.

(٥) أخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.

(٦) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق أبي يحيىٰ ـ وهو القتات ـ عن مجاهد، وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة.

(٧) أخرجه الطبري وابن أبي الدنيا (الأهوال ص٨٥) بسند جيد من طريق أبي العالية عن أُبي بن كعب.

وقال الربيع بن خثيم: لم تحلب ولم تصر تخلى منها أربابها[١].

وقال الضحاك: تُركت لا راعي لها[٢]. والمعنى في هذا كله متقارب، والمقصود أن العشار من الإبل وهي خيارها والحوامل منها التي قد وصلت في حملها إلى الشهر العاشر ـ واحدتها عشراء ولا يزال ذلك اسمها حتى تضع ـ قد اشتغل الناس عنها وعن كفالتها والانتفاع بها بعدما كانوا أرغب شيء فيها بما دهمهم من الأمر العظيم المفظع الهائل، وهو أمر يوم القيامة وانعقاد أسبابها ووقوع مقدماتها، وقيل: بل يكون ذلك يوم القيامة يراها أصحابها كذلك لا سبيل لهم إليها، وقد قيل في العشار: إنها السحاب تعطل عن المسير بين السماء والأرض لخراب الدنيا وقيل: إنها الأرض التي تعشر، وقيل: إنها الديار التي كانت تسكن تعطلت لذهاب أهلها. حكى هذه الأقوال كلها الإمام أبو عبد الله القرطبي في كتابه التذكرة، ورجح أنها الإبل، وعزاه إلى أكثر الناس[٣].

(قلت): لا يعرف عن السلف والأئمة سواه، والله أعلم.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝٥﴾ أي: جمعت كما قال تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ۝٣٨﴾ [الأنعام] قال ابن عباس: يحشر كل شيء حتى الذباب[٤]. رواه ابن أبي حاتم، وكذا قال الربيع بن خثيم والسدي وغير واحد[٥]، وكذا قال قتادة في تفسير هذه الآية: إن هذه الخلائق موافية فيقضي الله فيها ما يشاء[٦].

وقال عكرمة: حشرها: موتها.

وقال ابن جرير: حدثني علي بن مسلم الطوسي، حدثنا عباد بن العوام، حدثنا حصين، عن عكرمة، عن ابن عباس في قوله: ﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝٥﴾ قال: حشر البهائم موتها، وحشر كل شيء الموت غير الجن والإنس فإنهما يوقفان يوم القيامة[٧].

حدثنا أبو كريب، حدثنا وكيع، عن سفيان، عن أبيه، عن أبي يعلى، عن الربيع بن خثيم: ﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝٥﴾ قال: أتى عليها أمر الله، قال سفيان: قال أبي: فذكرته لعكرمة فقال: قال ابن عباس: حشرها: موتها[٨].

وقد تقدم عن أُبي بن كعب أنه قال: ﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝٥﴾ اختلطت.

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة بسند صحيح من طريق منذر الثوري عن الربيع بن خثيم. (المصنف ٨/ ٣٠٤).

(٢) أخرجه الطبري بسند ضعيف فيه إبهام شيخه.

(٣) التذكرة في أحوال الموتىٰ وأمور الآخرة ص٣١٢.

(٤) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق عكرمة عن ابن عباس بنحوه.

(٥) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق أبي يعلى عن الربيع بن خُثيم. بلفظ: «أتىٰ عليها أمر الله».

(٦) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٧) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده حسن، وأخرجه الحاكم من طريق عباد بن العوام به، وصححه ووافقه الذهبي. (المستدرك ٢/ ٥١٥).

(٨) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده صحيح.

قال ابن جرير: والأولى قول من قال: ﴿حُشِرَتْ﴾ جُمعت. قال الله تعالى: ﴿وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً﴾ [ص: ١٩] أي: مجموعة[١].

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۝٦﴾ قال ابن جرير: حدثنا يعقوب، حدثنا ابن علية، عن داود، عن سعيد بن المسيب قال: قال علي رضي الله عنه لرجل من اليهود أين جهنم؟ قال: البحر، فقال: ما أراه إلا صادقاً والبحر المسجور ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۝٦﴾[٢].

وقال ابن عباس وغير واحد: يرسل الله عليها الرياح الدبور، فتسعرها وتصير ناراً تأجج[٣]، وقد تقدم الكلام على ذلك عند قوله تعالى: ﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ۝٦﴾ [الطور].

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا علي بن الحسين بن الجنيد، حدثنا أبو طاهر، حدثني عبد الجبار بن سليمان أبو سليمان النفاط ـ شيخ صالح يشبه مالك بن أنس ـ عن معاوية بن سعيد قال: إن هذا البحر بركة؛ يعني: بحر الروم، وسط الأرض والأنهار كلها تصب فيه والبحر الكبير يصب فيه، وأسفله آبار مطبقة بالنحاس، فإذا كان يوم القيامة أسجر[٤]. وهذا أثر غريب عجيب.

وفي سنن أبي داود: «لا يركب البحر إلا حاج أو معتمر أو غازٍ فإن تحت البحر ناراً وتحت النار بحراً» الحديث[٥]. وقد تقدم الكلام عليه في سورة فاطر.

وقال مجاهد والحسن بن مسلم: ﴿سُجِّرَتْ﴾ أوقدت[٦].

وقال الحسن: يبست[٧].

وقال الضحاك وقتادة: غاض ماؤها فذهب فلم يبق فيها قطرة[٨].

وقال الضحاك أيضاً: ﴿سُجِّرَتْ﴾: فجرت[٩].

وقال السدي: فتحت وصيرت.

وقال الربيع بن خثيم: ﴿سُجِّرَتْ﴾: فاضت[١٠].

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝٧﴾ أي: جمع كل شكل إلى نظيره كقوله تعالى: ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ﴾ [الصافات: ٢٢].

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا محمد بن الصباح البزار، حدثنا الوليد بن أبي ثور، عن سماك، عن النعمان بن بشير أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝٧﴾

---

(١) ذكره الطبري بنحوه.

(٢) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده صحيح.

(٣) أخرجه الطبري بسند ضعيف فيه مجالد ضعيف وشيخه مبهم.

(٤) سنده ضعيف لإبهام الراوي عن معاوية بن سعيد.

(٥) تقدم تخريجه في تفسير سورة إبراهيم آية ٤٨ في آخرها.

(٦) معناه صحيح.

(٧) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق أبي رجاء عن الحسن.

(٨) أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة بنحوه، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة بلفظه.

(٩) أخرجه الطبري بسند ضعيف فيه إبهام شيخه.

(١٠) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق أبي يعلى ـ وهو منذر الثوري ـ عن الربيع بن خُثيم.

ـ قال: ـ الضرباء؛ كل رجل مع كل قوم كانوا يعملون عمله؛ وذلك بأن الله ﷻ يقول: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ۝٧ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ۝٨ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ۝٩ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠﴾ [الواقعة] قال: هم الضرباء»[١]. ثم رواه ابن أبي حاتم من طرق أُخر عن سماك بن حرب، عن النعمان بن بشير، أن عمر بن الخطاب خطب الناس فقرأ ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝٧﴾ فقال: تزوجها: أن تؤلف كل شيعة إلى شيعتهم[٢]، وفي رواية هما الرجلان يعملان العمل فيدخلان به الجنة أو النار[٣]، وفي رواية عن النعمان قال: سئل عمر عن قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝٧﴾ قال: يقرن بين الرجل الصالح مع الرجل الصالح، ويقرن بين الرجل السوء مع الرجل السوء في النار[٤] فذلك تزويج الأنفس. وفي رواية عن النعمان أن عمر قال للناس: ما تقولون في تفسير هذه الآية: ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝٧﴾؟ فسكتوا. قال: ولكن أعلمه هو الرجل يزوج نظيره من أهل الجنة، والرجل يزوج نظيره من أهل النار ثم قرأ: ﴿ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ﴾[٥] [الصافات: ٢٢].

وقال العوفي، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝٧﴾ قال: ذلك حين يكون الناس أزواجاً ثلاثة[٦].

وقال ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝٧﴾ قال: والأمثال من الناس جمع بينهم[٧]، وكذا قال الربيع بن خثيم والحسن وقتادة[٨] واختاره ابن جرير، وهو الصحيح.

قول آخر في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝٧﴾:

قال ابن أبي حاتم: حدثنا علي بن الحسين بن الجنيد، حدثنا أحمد بن عبد الرحمٰن، حدثني أبي، عن أبيه، عن أشعث بن سوار، عن جعفر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: يسيل وادٍ من أصل العرش من ماء فيما بين الصيحتين، ومقدار ما بينهما أربعون عاماً، فينبت منه كل خلق بلي من الإنسان أو طير أو دابة، ولو مرَّ عليهم مار قد عرفهم قبل ذلك لعرفهم على وجه الأرض قد نبتوا، ثم ترسل الأرواح فتزوج الأجساد فذلك قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝٧﴾[٩]، وكذا قال أبو العالية وعكرمة وسعيد بن جبير والشعبي والحسن البصري أيضاً في قوله

---

(١) تقدم تخريجه في تفسير سورة الواقعة: آية ٧ ـ ١٠.
(٢) أخرجه الطبري من طريق سماك بن حرب عن النعمان به، وسنده حسن.
(٣) أخرجه الطبري من طريق سماك بن حرب عن النعمان به، وسنده حسن.
(٤) أخرجه ابن أبي شيبة من طريق سماك بن حرب به. (المصنف ٨/ ١٥٤) وسنده حسن، وأخرجه الحاكم من طريق سماك به، وصححه ووافقه الذهبي. (المستدرك ٢/ ٥١٦).
(٥) يشهد له ما سبق.
(٦) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به، ويشهد له قول عمر قبل ثلاث روايات.
(٧) أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.
(٨) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق أبي يعلى ـ وهو منذر الثوري ـ عن الربيع، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق عوف ـ وهو الأعرابي ـ عن الحسن، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.
(٩) سنده ضعيف لضعف أشعث بن سوار كما في التقريب.

تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتۡ ۝٧﴾ أي: زوجت بالأبدان[١].

وقيل: زوج المؤمنون بالحور العين وزوج الكافرون بالشياطين. حكاه القرطبي في التذكرة[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلۡمَوۡءُۥدَةُ سُئِلَتۡ ۝٨ بِأَيِّ ذَنۢبٖ قُتِلَتۡ ۝٩﴾ هكذا قراءة الجمهور ﴿سُئِلَتۡ﴾. والموءودة هي التي كان أهل الجاهلية يدسونها في التراب كراهية البنات، فيوم القيامة تسأل الموءودة على أي ذنب قتلت ليكون ذلك تهديداً لقاتلها، فإنه إذا سئل المظلوم فما ظن الظالم إذاً؟.

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿وَإِذَا ٱلۡمَوۡءُۥدَةُ سُئِلَتۡ ۝٨﴾ أي: سألت. وكذا قال أبو الضحى: سألت؛ أي: طالبت بدمها[٣]. وعن السدي وقتادة مثله.

وقد وردت أحاديث تتعلق بالموءودة:

فقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الله بن يزيد، حدثنا سعيد بن أبي أيوب، حدثني أبو الأسود وهو: محمد بن عبد الرحمٰن بن نوفل، عن عروة، عن عائشة، عن جذامة بنت وهب أخت عكاشة قالت: حضرت رسول الله ﷺ في ناس وهو يقول: «لقد هممت أن أنهى عن الغيلة، فنظرت في الروم وفارس فإذا هم يغيلون أولادهم ولا يضر أولادهم ذلك شيئاً» ثم سألوه عن العزل فقال رسول الله ﷺ: «ذلك الوأد الخفي وهو الموءودة سئلت»[٤]. ورواه مسلم من حديث أبي عبد الرحمٰن المقري وهو: عبد الله بن يزيد، عن سعيد بن أبي أيوب[٥].

ورواه أيضاً ابن ماجه، عن أبي بكر بن أبي شيبة، عن يحيى بن إسحاق السيلحيني، عن يحيى بن أيوب، ورواه مسلم أيضاً وأبو داود والترمذي والنسائي من حديث مالك بن أنس ثلاثتهم عن أبي الأسود به[٦].

وقال الإمام أحمد[٧]: حدثنا ابن أبي عدي، عن داود بن أبي هند، عن الشعبي، عن علقمة، عن سلمة بن يزيد الجعفي قال: انطلقت أنا وأخي إلى رسول الله ﷺ فقلنا: يا رسول الله إن أمنا مليكة كانت تصل الرحم وتقري الضيف وتفعل، هلكت في الجاهلية فهل ذلك نافعها شيئاً؟ قال: «لا» قلنا: فإنها كانت وأدت أختاً لنا في الجاهلية فهل ذلك نافعها شيئاً؟ قال: «الوائدة والموءودة في النار، إلا أن يدرك الوائدة الإسلام فيعفو الله عنها»[٨]. ورواه النسائي من حديث

---

(١) أخرجه الطبري بعدة أسانيد يقوي بعضها بعضاً عن عكرمة؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق داود عن عامر الشعبي.

(٢) التذكرة في أحوال الموتىٰ وأمور الآخرة ص٢١٣.

(٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق الأعمش عن مسلم، وهو أبو الضحىٰ.

(٤) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه. (المسند ٦/ ٤٣٤)، وسنده صحيح.

(٥) صحيح مسلم، النكاح، باب جواز الغيلة (ح١٤٤٢).

(٦) سنن ابن ماجه، النكاح، باب الغيل (ح٢٠١١).

(٧) المصدر قبل السابق وسنن أبي داود، الطب، باب في الغيل (ح٣٨٨٢)؛ وسنن الترمذي، الطب، باب ما جاء في الغيلة (ح٢٠٧٨)؛ والسنن الكبرىٰ، النكاح، باب الغيلة (ح٥٤٨٥).

(٨) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه. (المسند ٢٥/ ٢٦٨ ح١٥٩٢٣) وقال محققوه: رجاله ثقات.. لكن في متنه نكارة.

داود بن أبي هند به[١].

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أحمد بن سنان الواسطي، حدثنا أبو أحمد الزبيري، حدثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن علقمة وأبي الأحوص، عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «الوائدة والموءودة في النار»[٢].

وقال أحمد أيضاً: حدثنا إسحاق الأزرق، أخبرنا عوف، حدثتني حسناء ابنة معاوية الصريمية، عن عمها قال: قلت يا رسول الله من في الجنة؟ قال: «النبي في الجنة والشهيد في الجنة والمولود في الجنة والموءودة في الجنة»[٣].

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا مسلم بن إبراهم، حدثنا قُرة قال: سمعت الحسن يقول: قيل: يا رسول الله من في الجنة؟ قال: «الموءودة في الجنة»[٤]. هذا حديث مرسل من مراسيل الحسن، ومنهم من قبله. وقال ابن أبي حاتم: حدثني أبو عبد الله الظهراني، حدثنا حفص بن عمر العدني، حدثنا الحكم بن أبان عن عكرمة قال: قال ابن عباس: أطفال المشركين في الجنة فمن زعم أنهم في النار فقد كذب يقول الله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ۝٩﴾[٥] قال ابن عباس: هي المدفونة.

وقال عبد الرزاق: أخبرنا إسرائيل، عن سماك بن حرب، عن النعمان بن بشير، عن عمر بن الخطاب في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨﴾ قال: جاء قيس بن عاصم إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إني وأدت بناتٍ لي في الجاهلية قال: «أعتق عن كل واحدة منهن رقبة» قال: يا رسول الله إني صاحب إبل، قال: «فانحر عن كل واحدة منهن بدنة». قال الحافظ أبو بكر البزار: خولف فيه عبد الرزاق[٦]، ولم يكتبه إلا عن الحسين بن مهدي عنه.

وقد رواه ابن أبي حاتم فقال: أخبرنا أبو عبد الله الظهراني - فيما كتب إليَّ - قال: حدثنا عبد الرزاق فذكره بإسناده مثله، إلا أنه قال: وأدت ثمان بنات لي في الجاهلية، وقال في آخره: «فأهدِ إن شئت عن كل واحدة بدنة»[٧].

ثم قال: حدثنا أبي، حدثنا عبد الله بن رجاء، حدثنا قيس بن الربيع، عن الأغر بن الصباح، عن خليفة بن حصين قال: قدم قيس بن عاصم على رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إني وأدت

---

(١) أخرجه النسائي من طريق معتمر بن سليمان عن داود به. السنن الكبرى، التفسير، باب سورة التكوير (ح١١٥٨٥).

(٢) سنده حسن ولكن متنه كمتن رواية المسند السابقة. (٣) تقدم تخريجه في تفسير سورة الإسراء: آية ١٥.

(٤) سنده ضعيف لأنه مرسل ويشهد له ما تقدم في قصة الإسراء والمعراج وما رآه في السماء السابعة من الأطفال المسلمين وأطفال غير المسلمين وأن مصيرهم في الجنة.

(٥) سنده ضعيف لضعف حفص بن عمر العدني، ويشهد له الحديث المشار إليه في قصة الإسراء والمعراج.

(٦) أخرجه عبد الرزاق بسنده ومتنه، وأخرجه البزار عن الحسين بن مهدي عن عبد الرزاق به. (مختصر زوائد مسند البزار ٢/ ١١٥ ح١٥٢٥) قال الهيثمي: ورجال البزار رجال الصحيح غير حسين بن مهدي الأيلي وهو ثقة. (مجمع الزوائد ٧/ ١٣٤) ولكن سماك بن حرب لم يسمع من النعمان.

(٧) سنده منقطع كسابقه.

اثنتي عشرة ابنة لي في الجاهلية أو ثلاث عشرة قال: «أعتق عددهن نسماً» قال: فأعتق عددهن نسماً، فلما كان في العام المقبل جاء بمائة ناقة فقال: يا رسول الله هذه صدقة قومي على أثر ما صنعت بالمسلمين. قال علي بن أبي طالب: فكنا نريحها ونسميها القيسية(١).

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴿١٠﴾﴾ قال الضحاك: أعطي كل إنسان صحيفته بيمينه أو بشماله.

وقال قتادة: صحيفتك يا ابن آدم تملي فيها ثم تطوى ثم تنشر عليك يوم القيامة، فلينظر الرجل ماذا يملي في صحيفته(٢).

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ ﴿١١﴾﴾ قال مجاهد: اجتذبت(٣). وقال السدي: كشفت.

وقال الضحاك: تنكشط فتذهب. وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴿١٢﴾﴾ قال السدي: أُحميت.

وقال قتادة: أوقدت قال: وإنما يسعرها غضب الله وخطايا بني آدم(٤).

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴿١٣﴾﴾ قال الضحاك وأبو مالك وقتادة والربيع بن خثيم: أي قربت إلى أهلها(٥).

وقوله تعالى: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾﴾ هذا هو الجواب؛ أي: إذا وقعت هذه الأمور حينئذ تعلم كل نفس ما عملت وأحضر ذلك لها كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا﴾ [آل عمران: ٣٠] وقال تعالى: ﴿يُنَبَّؤُا ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾﴾ [القيامة].

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا عبدة، حدثنا ابن المبارك، حدثنا محمد بن مطرف، عن زيد بن أسلم، عن أبيه قال: لما نزلت: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾﴾ قال عمر: لما بلغ ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾﴾ قال: لهذا أجرى الحديث(٦).

﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿٢٥﴾ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾.

روى مسلم في صحيحه والنسائي في تفسيره عند هذه الآية من حديث مسعر بن كدام، عن

---

(١) في سنده قيس بن الربيع وهو صدوق تغير لما كبر، وأدخل عليه ابنه ما ليس من حديثه فحدث به. (التقريب ص٤٥٧). وفيه مقال غير هذا. (ينظر: تهذيب التهذيب ٨/٣٩٣ ـ ٣٩٥).

(٢) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٣) أخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.

(٤) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة.

(٥) لم أجد من أخرجه ومعناه صحيح.

(٦) سنده مرسل لأن أسلم العدوي لم يدرك نزول الآية، ولكن إذا سمع خبر النزول من عمر يكون السند صحيحاً.

الوليد بن سريع، عن عمرو بن حريث قال: صليت خلف النبي ﷺ الصبح فسمعته يقرأ: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ۝١٥ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ۝١٦ وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ۝١٧ وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ۝١٨﴾[١]. ورواه النسائي، عن بندار، عن غندر، عن شعبة، عن الحجاج بن عاصم، عن أبي الأسود، عن عمرو بن حريث به نحوه[٢].

قال ابن أبي حاتم وابن جرير من طريق الثوري، عن أبي إسحاق، عن رجل من مراد، عن علي ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ۝١٥ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ۝١٦﴾ قال: هي النجوم تخنس بالنهار وتظهر بالليل[٣].

وقال ابن جرير: حدثنا ابن المثنى، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن سماك بن حرب، سمعت خالد بن عرعرة، سمعت علياً وسئل عن: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ۝١٥ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ۝١٦﴾ فقال: هي النجوم تخنس بالنهار وتكنس بالليل[٤].

وحدثنا أبو كريب، حدثنا وكيع، عن إسرائيل، عن سماك، عن خالد، عن علي قال: هي النجوم[٥]. وهذا إسناد جيد صحيح إلى خالد بن عرعرة وهو: السهمي الكوفي. قال أبو حاتم الرازي: روى عن علي وروى عنه سماك والقاسم بن عوف الشيباني ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً فالله أعلم، وروى يونس، عن أبي إسحاق، عن الحارث، عن علي: أنها النجوم[٦]، رواه ابن أبي حاتم. وكذا روي عن ابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة والسدي وغيرهم أنها النجوم[٧].

وقال ابن جرير: حدثنا محمد بن بشار، حدثنا هوذة بن خليفة، حدثنا عوف، عن بكر بن عبد الله في قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ۝١٥ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ۝١٦﴾ قال: هي النجوم الدراري التي تجري تستقبل المشرق[٨]. وقال بعض الأئمة، إنما قيل للنجوم: الخنس؛ أي: في حال طلوعها، ثم هي جوار في فلكها وفي حال غيبوبتها يقال لها: كنس، من قول العرب: أوى الظبي إلى كناسه، إذا تغيب فيه.

وقال الأعمش، عن إبراهيم قال: قال عبد الله: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ۝١٥﴾ قال: بقر الوحش[٩]،

---

(١) أخرجه مسلم من طريق خلف بن خليفة الأشجعي عن الوليد بن سريع به. (الصحيح، الصلاة، باب متابعة الإمام والعمل بعده (ح٤٧٥).

(٢) السنن الكبرى، التفسير، سورة التكوير (ح١١٥٨٧).

(٣) أخرجه الطبري من طريق الثوري به. وسنده ضعيف لإبهام الراوي عن علي ويتقوىٰ بما يليه إذا صُرِّح باسمه.

(٤) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده حسن، وقد أخرجه سعيد بن منصور، وحسن سنده الحافظ ابن حجر. (فتح الباري ٨/ ٦٩٤) وانظر ما يليه.

(٥) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وأخرجه الحاكم من طريق سماك به. وصححه ووافقه الذهبي. (المستدرك ٢/ ٥١٦) وكذا صححه الحافظ ابن كثير.

(٦) في سنده الحارث وهو الأعور الهمداني وهو ضعيف وقد تابعه خالد بن عرعرة في الرواية السابقة.

(٧) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق الأعمش عن مجاهد، وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن الحسن البصري، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

(٨) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده صحيح.

(٩) أخرجه الطبري من طريق الأعمش به، بدون ذكر عبد الله وهو ابن مسعود، وسنده صحيح، وسيأتي موصولاً إلى ابن مسعود.

وكذا قال الثوري، عن أبي إسحاق، عن أبي ميسرة، عن عبد الله ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ۝١٥ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ ۝١٦﴾ ما هي يا عمرو؟ قلت: البقر. قال: وأنا أرى ذلك[١]، وكذا روى يونس، عن أبي إسحاق، عن أبيه.

وقال أبو داود الطيالسي، عن عمرو، عن أبيه، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس ﴿ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ ۝١٦﴾ قال: البقر تكنس إلى الظل[٢]، وكذا قال سعيد بن جبير.

وقال العوفي، عن ابن عباس هي الظباء[٣]، وكذا قال سعيد أيضاً ومجاهد والضحاك[٤].

وقال أبو الشعثاء جابر بن زيد: هي الظباء والبقر[٥].

وقال ابن جرير: حدثنا يعقوب، حدثنا هشيم، أخبرنا مغيرة، عن إبراهيم ومجاهد أنهما تذاكرا هذه الآية: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ۝١٥ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ ۝١٦﴾ فقال إبراهيم لمجاهد: قل فيها بما سمعت، قال: فقال مجاهد كنا نسمع فيها شيئاً وناس يقولون إنها النجوم، قال: فقال إبراهيم: قل فيها بما سمعت، قال: فقال مجاهد كنا نسمع أنها بقر الوحش حين تكنس في حجرتها، فقال إبراهيم إنهم يكذبون على عليّ[٦]، هذا كما رووا عن علي أنه ضمن الأسفل الأعلى والأعلى الأسفل، وتوقف ابن جرير في المراد بقوله: ﴿بِٱلۡخُنَّسِ ۝١٥ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ ۝١٦﴾ هل هو النجوم أو الظباء وبقر الوحش؟ قال: ويحتمل أن يكون الجميع مراداً[٧].

وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ۝١٧﴾ فيه قولان:

أحدهما: إقباله بظلامه، وقال: مجاهد أظلم[٨].

وقال سعيد بن جبير: إذا نشأ[٩].

وقال الحسن البصري: إذا غشي الناس[١٠]، وكذا قال عطية العوفي[١١].

وقال علي بن أبي طلحة والعوفي، عن ابن عباس: ﴿إِذَا عَسۡعَسَ﴾ إذا أدبر[١٢]، وكذا قال

---

(١) أخرجه الطبري من طريق الثوري به، وسنده صحيح، وأخرجه الحاكم من طريق أبي إسحاق عن أبي ميسرة به، وصححه ووافقه الذهبي. (المستدرك ٢/٥١٦).
(٢) يشهد لقوله: البقر، الخبر السابق.
(٣) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به.
(٤) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق جعفر بن أبي المغيرة؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد؛ وأخرجه الطبري بسند ضعيف فيه إبهام شيخه.
(٥) أخرجه الطبري من طريق حجاج بن المنذر عن جابر بن زيد مقتصراً على ذكر البقر دون الظباء.
(٦) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده صحيح.
(٧) ذكره الطبري بنحوه مطولاً.
(٨) أخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.
(٩) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق جعفر ابن أبي المغيرة عن سعيد.
(١٠) أخرجه عبد الرزاق والطبري بسند صحيح من طريق معمر عن الحسن.
(١١) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق الفضيل عن عطية.
(١٢) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس؛ وأخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق ابن عطية به ويتقوىٰ بسابقه.

مجاهد وقتادة والضحاك وكذا قال زيد بن أسلم وابنه عبد الرحمٰن ﴿إِذَا عَسْعَسَ﴾ أي: إذا ذهب فتولى[١].

وقال أبو داود الطيالسي: حدثنا شعبة، عن عمرو بن مرة، عن أبي البحتري سمع أبا عبد الرحمٰن السلمي قال: خرج علينا علي ﷺ حين ثوب المُثوِّب بصلاة الصبح فقال: أين السائلون عن الوتر؟ ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ۝١٧ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ۝١٨﴾ هذا حين أدبر[٢]. حسن.

وقد اختار ابن جرير أن المراد بقوله: ﴿إِذَا عَسۡعَسَ﴾ إذا أدبر، قال: لقوله: ﴿وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ۝١٨﴾ أي: أضاء، واستشهد بقول الشاعر أيضاً[٣]:

حتى إذا الصبح له تنفسا ... وانجاب عنها ليلها وعسعسا

أي: أدبر، وعندي أن المراد بقوله: ﴿إِذَا عَسۡعَسَ﴾ إذا أقبل وإن كان يصح استعماله في الإدبار أيضاً لكن الإقبال هٰهنا أنسب، كأنه أقسم بالليل وظلامه إذا أقبل وبالفجر وضيائه إذا أشرق كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢﴾ [الليل] وقال تعالى: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢﴾ [الضحى] وقال تعالى: ﴿فَالِقُ ٱلۡإِصۡبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيۡلَ سَكَنًا﴾ [الأنعام: ٩٦] وغير ذلك من الآيات.

وقال كثير من علماء الأصول: إن لفظة ﴿عَسۡعَسَ﴾ تستعمل في الإقبال والإدبار على وجه الاشتراك، فعلى هذا يصح أن يراد كل منهما، والله أعلم.

وقال ابن جرير: وكان بعض أهل المعرفة بكلام العرب يزعم أن عسعس دنا من أوله وأظلم، وقال الفراء: كان أبو البلاد النحوي ينشد بيتاً.

عسعس حتى لو يشا أدنا ... كان له من ضوئه مقبس

يريد لو يشاء إذ دنا أدغم الذال في الدال، قال الفراء: وكانوا يزعمون أن هذا البيت مصنوع[٤].

وقوله تعالى: ﴿وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ۝١٨﴾ قال الضحاك: إذا طلع.

وقال قتادة: إذ أضاء وأقبل.

وقال سعيد بن جبير: إذا نشأ، وهو المروي عن علي ﷺ[٥].

وقال ابن جرير: يعني ضوء النهار إذا أقبل وتبين[٦].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ۝١٩﴾ يعني: إن هذا القرآن لتبليغ رسول كريم؛ أي: ملك شريف حسن الخلق بهي المنظر وهو: جبريل عليه الصلاة والسلام، قاله ابن عباس والشعبي وميمون بن مهران والحسن وقتادة والربيع بن أنس والضحاك وغيرهم[٧]. ﴿ذِي قُوَّةٍ﴾ كقوله

---

(١) أخرجه الطبري بالأسانيد الصحيحة المتقدمة عن مجاهد وقتادة وعبد الرحمٰن بن زيد بلفظ: «أدبر».

(٢) أخرجه الطبري والحاكم من طريق أبي حصين عن أبي عبد الرحمٰن به، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي. (المستدرك ٢/٥١٦).

(٣) هو علقمة بن قُرط كما صرح معمر بن المثنىٰ. (مجاز القرآن ٢/٢٨٨) والطبري.

(٤) ذكره الفراء واستشهد به. (معاني القرآن ٣/٢٤٢) والطبري.

(٥) تقدم تخريجه عنهم وبيان ألفاظهم. (٦) ذكره الطبري بلفظه.

(٧) عزاه السيوطي إلى ابن المنذر عن ابن عباس، وأخرجه عبد الرزاق والطبري بسند صحيح من طريق معمر عن قتادة.

تعالى: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٍ﴾ [النجم] أي: شديد الخلق شديد البطش والفعل ﴿عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ أي: له مكانة عند الله ﷻ ومنزلة رفيعة.

قال أبو صالح في قوله تعالى: ﴿عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ قال: جبريل يدخل في سبعين حجاباً من نور بغير إذن[1] ﴿مُّطَاعٍ ثَمَّ﴾ أي: له وجاهة وهو مسموع القول مطاع في الملأ الأعلى.

قال قتادة: ﴿مُّطَاعٍ ثَمَّ﴾ أي: في السمٰوات[2]؛ يعني: ليس هو من أفناد الملائكة بل هو من السادة والأشراف معتنى به انتخب لهذه الرسالة العظيمة.

وقوله تعالى: ﴿أَمِينٍ﴾ صفة لجبريل بالأمانة، وهذا عظيم جداً أن الربَّ ﷻ يزكي عبده ورسوله الملكي جبريل، كما زكى عبده ورسوله البشري محمداً ﷺ بقوله تعالى: ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ۝٢٢﴾ قال الشعبي وميمون بن مهران وأبو صالح ومن تقدم ذكرهم: المراد بقوله: ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ۝٢٢﴾ يعني: محمداً ﷺ[3].

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ۝٢٣﴾ يعني: ولقد رأى محمد جبريل الذي يأتيه بالرسالة عن الله ﷻ على الصورة التي خلقه الله عليها له ستمائة جناح ﴿بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ﴾ أي: البين، وهي الرؤية الأولى التي كانت بالبطحاء وهي المذكورة في قوله: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ۝١٠﴾ [النجم] كما تقدم تفسير ذلك وتقريره، والدليل عليه أن المراد بذلك جبريل ﷺ، والظاهر والله أعلم أن هذه السورة نزلت قبل ليلة الإسراء؛ لأنه لم يذكر فيها إلا هذه الرؤيا وهي الأولى، وأما الثانية وهي المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝١٤ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ۝١٥ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ۝١٦﴾ [النجم] فتلك إنما ذكرت في سورة النجم، وقد نزلت بعد سورة الإسراء.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ۝٢٤﴾ أي: وما محمد على ما أنزله الله إليه بظنين؛ أي: بمتهم ومنهم من قرأ ذلك بالضاد؛ أي: ببخيل بل يبذله لكل أحد[4].

قال سفيان بن عيينة: ظنين وضنين سواء؛ أي: ما هو بكاذب وما هو بفاجر، والظنين المتهم، والضنين البخيل[5].

وقال قتادة: كان القرآن غيباً فأنزله الله على محمد فما ضن به على الناس بل نشره وبلغه[6] وبذله لكل من أراده، وكذا قال عكرمة وابن زيد وغير واحد[7] واختار ابن جرير قراءة الضاد.

---

(١) أخرجه الطبري بسند فيه عمر بن شبيب المسلي وهو ضعيف. (التقريب ص٤١٤).
(٢) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة بلفظ: مطاع عند الله ﴿ثَمَّ أَمِينٍ﴾ [التكوير: ٢١].
(٣) أخرجه الطبري بسند جيد من طريق معقل بن عبيد الله الجزري عن ميمون بن مهران.
(٤) القراءتان متواترتان.
(٥) أخرجه الطبري من طريق مهران عن سفيان.
(٦) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة بنحوه.
(٧) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

(قلت): وكلاهما متواتر ومعناه صحيح كما تقدم.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾ أي: وما هذا القرآن بقول شيطان رجيم؛ أي: لا يقدر على حمله ولا ينبغي له كما قال تعالى: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١٢﴾﴾ [الشعراء]، وقوله تعالى: ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾﴾؟ أي: فأين تذهب عقولكم في تكذيبكم بهذا القرآن مع ظهوره ووضوحه وبيان كونه حقاً من عند الله ﷻ؟ كما قال الصديق ﷺ لوفد بني حنيفة حين قدموا مسلمين وأمرهم فتلوا عليه شيئاً من قرآن مسيلمة الكذاب الذي هو في غاية الهذيان والركاكة فقال: ويحكم أين تذهب عقولكم؟ والله إن هذا الكلام لم يخرج من إل؛ أي: من إله[1].

وقال قتادة: ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾﴾ أي: عن كتاب الله وعن طاعته[2].

وقوله: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾﴾ أي: هذا القرآن ذكر لجميع الناس يتذكرون به ويتعظون ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾﴾ أي: من أراد الهداية فعليه بهذا القرآن فإنه منجاة له وهداية، ولا هداية فيما سواه ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ أي: ليست المشيئة موكولة إليكم فمن شاء اهتدى ومن شاء ضلَّ، بل ذلك كله تابع لمشيئة الله تعالى رب العالمين.

قال سفيان الثوري، عن سعيد بن عبد العزيز، عن سليمان بن موسى: لما نزلت هذه الآية ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾﴾ قال أبو جهل: الأمر إلينا إن شئنا استقمنا وإن شئنا لم نستقم فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾[3].

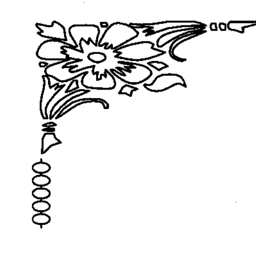
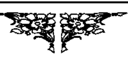
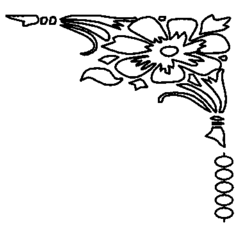
آخر تفسير سورة التكوير، ولله الحمد والمنّة.

---

(١) تقدم عزوه في تفسير سورة يونس آية ١٧.

(٢) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة بنحوه.

(٣) أخرجه الطبري من طريق الثوري به، وسنده ضعيف؛ لأنه مرسل.

سُورَةُ الانفطَار

وهي مكية

قال النسائي: أخبرنا محمد بن قدامة، حدثنا جرير، عن الأعمش، عن محارب بن دثار، عن جابر قال: قام معاذ فصلى العشاء الآخرة فطول فقال النبي ﷺ: «أفتان أنت يا معاذ؟ أين كنت عن ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ۝﴾ و﴿وَالضُّحَى ۝﴾ و﴿إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ ۝﴾»[1]؟ وأصل الحديث مخرج في الصحيحين ولكن ذُكر ﴿إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ ۝﴾ في إفراد النسائي[2].

وقد تقدم من رواية عبد الله بن عمر، عن النبي ﷺ قال: «من سره أن ينظر إلى يوم القيامة رأي عين فليقرأ ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝﴾، ﴿إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ ۝﴾، و﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ۝﴾»[3].

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ ۝١ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ ۝٢ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ ۝٣ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ۝٤ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ۝٥ يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ۝٦ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ۝٨ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ ۝٩ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَاتِبِينَ ۝١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ۝١٢﴾.

يقول تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ ۝١﴾ أي: انشقت كما قال تعالى: ﴿السَّمَاءُ مُنفَطِرٌ بِهِ﴾ [المزمل: ١٨] ﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ ۝٢﴾ أي: تساقطت ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ ۝٣﴾ قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: فجر الله بعضها في بعض[4].

وقال الحسن: فجر الله بعضها في بعض فذهب ماؤها[5].

وقال قتادة: اختلط عذبها بمالحها[6]. وقال الكلبي: ملئت.

---

(١) أخرجه النسائي بسنده ومتنه (السنن الكبرىٰ، التفسير، سورة الانفطار ح١١٥٨٨) وهو في الصحيحين كما يلي.

(٢) أخرجه الشيخان من حديث جابر ﷺ بلفظ: اقرأ ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ۝١﴾ و﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ۝١﴾ ونحوهما، (صحيح البخاري، الأدب، باب من لم يرَ إكفار من قال ذلك متأولاً أو جاهلاً ح٦١٠٦؛ وصحيح مسلم، الصلاة، باب القراءة في العشاء ح٤٦٥) وقول الحافظ ابن كثير: ولكن ذُكر ﴿إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ ۝١﴾ في أفراد النسائي، يشهد له قوله: ونحوهما.

(٣) تقدم تخريجه في مطلع تفسير سورة التكوير.

(٤) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق علي به.

(٥) أخرجه عبد الرزاق والطبري بسند صحيح من طريق معمر عن الحسن.

(٦) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة بنحوه.

﴿وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ۝٤﴾ قال ابن عباس: بحثت[(١)].

وقال السدي: تبعثر تحرك فيخرج من فيها[(٢)] ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ۝٥﴾ أي: إذا كان هذا حصل هذا.

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝٦﴾؟ هذا تهديد لا كما يتوهمه بعض الناس من أنه إرشاد إلى الجواب؛ حيث قال: «الكريم» حتى يقول قائلهم: غرَّه كرمه، بل المعنى في هذه الآية: ما غرَّك يا ابن آدم بربك الكريم؛ أي: العظيم حتى أقدمت على معصيته وقابلته بما لا يليق. كما جاء في الحديث: «يقول الله تعالى يوم القيامة: يا ابن آدم ما غرك بي؟ يا ابن آدم ماذا أجبت المرسلين؟».

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا ابن أبي عمر، حدثنا سفيان، أن عمر سمع رجلاً يقرأ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝٦﴾؟ فقال عمر: الجهل[(٣)].

وقال أيضاً: حدثنا عمر بن شيبة، حدثنا أبو خلف، حدثنا يحيى البكاء، سمعت ابن عمر يقول وقرأ هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝٦﴾ قال ابن عمر: غرَّه - والله - جهله[(٤)]، قال: وروي عن ابن عباس والربيع بن خثيم والحسن مثل ذلك[(٥)].

وقال قتادة: ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ﴾ شيء ما غرَّ ابن آدم غير هذا العدو الشيطان[(٦)].

وقال الفضيل بن عياض: لو قال لي: ما غرَّك بي؟ لقلت: ستورك المرخاة[(٧)].

وقال أبو بكر الوراق: لو قال لي: ما غرك بربك الكريم؟ لقلت: غرني كرم الكريم[(٨)].

قال البغوي: وقال بعض أهل الإشارة: إنما قال: ﴿بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ﴾ دون سائر أسمائه وصفاته كأنه لقنه الإجابة[(٩)]، وهذا الذي تخيله هذا القائل ليس بطائل؛ لأنه إنما أتى باسمه الكريم لينبه على أنه لا ينبغي أن يقابل الكريم بالأفعال القبيحة وأعمال الفجور، وقد حكى البغوي عن الكلبي ومقاتل أنهما قالا: نزلت هذه الآية في الأسود بن شريق ضرب النبي ﷺ ولم يعاقب في الحالة [الراهنة][(١٠)] فأنزل الله تعالى: ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ﴾[(١١)]؟

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧﴾ أي: ما غرك بالرب الكريم ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧﴾ أي: جعلك سوياً مستقيماً معتدل القامة منتصبها في أحسن الهيئات والأشكال.

---

(١) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس.
(٢) عزاه السيوطي إلى ابن المنذر عن السدي بلفظ: «انشقت».
(٣) سنده ضعيف للانقطاع بين سفيان وعمر رضي الله عنه.
(٤) سنده ضعيف لضعف يحيىٰ البكاء (التقريب ص٥٩٧).
(٥) أخرجه ابن أبي شيبة بسند ضعيف من طريق رجل مبهم عن الربيع بن خثيم. (المصنف ٨/ ٢١٠).
(٦) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.
(٧) ذكره البغوي عن الفضيل بن عياض بدون سند. (معالم التنزيل ٤/ ٤٥٥).
(٨) ذكره البغوي عن أبي بكر الوراق بدون سند (معالم التنزيل ٤/ ٤٥٦).
(٩) المصدر السابق.
(١٠) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل بياض.
(١١) ذكره البغوي (المصدر السابق) وسنده ضعيف لأنه معضل.

قال الإمام أحمد: حدثنا أبو النضر، حدثنا جرير، حدثني عبد الرحمٰن بن ميسرة، عن جبير بن نفير، عن بشر بن جحاش القرشي أن رسول الله ﷺ بصق يوماً في كفه فوضع عليها أصبعه ثم قال: «قال الله ﷻ: يا ابن آدم أنّى تعجزني وقد خلقتك من مثل هذا؟ حتى إذا سويتك وعدلتك مشيت بين بردين وللأرض منك وئيد، فجمعت ومنعت حتى إذا بلغت التراقي قلت: أتصدق وأنى أوان الصدقة؟» وكذا رواه ابن ماجه، عن أبي بكر بن أبي شيبة، عن يزيد بن هارون، عن جرير بن عثمان به(١). قال شيخنا الحافظ أبو الحجاج المزي: وتابعه يحيى بن حمزة، عن ثور بن يزيد، عن عبد الرحمٰن بن ميسرة(٢).

وقوله تعالى: ﴿فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ⑧﴾ قال مجاهد: في أي شبه أب أو أُم أو خال أو عم(٣).

وقال ابن جرير: [حدثني محمد بن سنان القزاز، حدثنا مطهر بن الهيثم، حدثنا موسى بن علي بن رباح](٤)، حدثني أبي، عن جدي، أن النبي ﷺ قال له: «ما ولد لك؟» قال: يا رسول الله ما عسى أن يولد لي إما غلام وإما جارية. قال: «فمن يشبه؟» قال: يا رسول الله من عسى أن يشبه إما أباه وإما أُمه. فقال النبي ﷺ عندها: «مه لا تقولن هكذا إن النطفة إذا استقرت في الرحم أحضرها الله تعالى كل نسب بينها وبين آدم؟ أما قرأت هذه الآية في كتاب الله تعالى: ﴿فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ⑧﴾» قال: شكلك(٥).

وهكذا رواه ابن أبي حاتم والطبراني من حديث مطهر بن الهيثم به(٦)، وهذا الحديث لو صحَّ لكان فيصلاً في هذه الآية ولكن إسناده ليس بالثابت؛ لأن مطهر بن الهيثم قال فيه أبو سعيد بن يونس: كان متروك الحديث، وقال ابن حبان: يروي عن موسى بن علي وغيره ما لا يشبه حديث الأثبات.

ولكن في الصحيحين عن أبي هريرة أن رجلاً قال: يا رسول الله إن امرأتي ولدت غلاماً أسود، قال: «هل لك من إبل؟» قال: نعم، قال: «فما ألوانها» قال: حُمُر، قال: «فهل فيها من أورق» قال: نعم، قال: «فأنى أتاها ذلك» قال: عسى أن يكون نزعه عرق. قال: «وهذا عسى أن يكون نزعه عرق»(٧).

وقد قال عكرمة في قوله تعالى: ﴿فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ⑧﴾: إن شاء في صورة قرد وإن شاء في صورة خنزير(٨)، وكذا قال أبو صالح: ﴿فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ⑧﴾ إن شاء في صورة كلب وإن شاء في صورة حمار وإن شاء في صورة خنزير(٩).

---

(١) تقدم تخريجه في تفسير سورة النحل آية ٤. (٢) تحفة الأشراف ٢/ ٩٧.
(٣) أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.
(٤) زيادة من (ح) و(حم) وتفسير الطبري.
(٥) وسنده ضعيف جداً لأن مطهر بن الهيثم: متروك كما قرر الحافظ ابن كثير.
(٦) (المعجم الكبير ٥/ ٧٤ ح٤٦٢٤) وسنده كسابقه.
(٧) صحيح البخاري، الطلاق، باب إذا عرّض بنفي الولد (ح٥٣٠٥)؛ وصحيح مسلم، اللعان (ح١٥٠٠).
(٨) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق أبي رجاء عن عكرمة.
(٩) أخرجه الرامهرمزي بسند صحيح من طريق إسماعيل بن أبي خالد عن أبي صالح. (الأمثال ص٩٤).

وقال قتادة: ﴿فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝٨﴾ قال: قادر والله ربنا على ذلك، ومعنى هذا القول عند هؤلاء أن الله ﷻ قادر على خلق النطفة على شكل قبيح من الحيوانات المنكرة الخلق، ولكن بقدرته ولطفه وحلمه يخلقه على شكل حسن مستقيم معتدل تام حسن المنظر والهيئة.

وقوله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ ۝٩﴾ أي: إنما يحملكم على مواجهة الكريم ومقابلته بالمعاصي تكذيب في قلوبكم بالمعاد والجزاء والحساب.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ۝١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ۝١٢﴾ يعني: وإن عليكم لملائكة حفظة كراماً فلا تقابلوهم بالقبائح فإنهم يكتبون عليكم جميع أعمالكم.

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا علي بن محمد الطنافسي، حدثنا وكيع، حدثنا سفيان ومسعر، عن علقمة بن مرثد، عن مجاهد، عن ابن عباس: قال: قال رسول الله ﷺ: «أكرموا الكرام الكاتبين الذين لا يفارقونكم إلا عند إحدى حالتين الجنابة والغائط، فإذا اغتسل أحدكم فليستتر بجرم حائط أو ببعيره أو ليستره أخوه»(١).

وقد رواه الحافظ أبو بكر البزار فوصله بلفظ آخر فقال: حدثنا محمد بن عثمان بن كرامة، حدثنا عبيد الله بن موسى، عن حفص بن سليمان، عن علقمة بن مرثد، عن مجاهد، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله ينهاكم عن التعري فاستحيوا من ملائكة الله الذين معكم الكرام الكاتبين الذين لا يفارقونكم إلا عند ثلاث حالات: الغائط والجنابة والغسل، فإذا اغتسل أحدكم بالعراء فليستتر بثوبه أو بجرم حائط أو ببعيره» ثم قال حفص بن سليمان: لين الحديث وقد روي عنه واحتمل حديثه(٢).

وقال الحافظ أبو بكر البزار: حدثنا زياد بن أيوب، حدثنا مبشّر بن إسماعيل الحلبي، حدثنا تمام بن نجيح، عن الحسن يعني: البصري، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من حافظين يرفعان إلى الله ﷻ ما حفظا في يوم فيرى في أول الصحيفة وفي آخرها استغفاراً إلا قال الله تعالى: قد غفرت لعبدي ما بين طرفي الصحيفة» ثم قال: تفرد به تمام بن نجيح وهو صالح الحديث(٣).

(قلت): وثقه ابن معين وضعفه البخاري وأبو زرعة وابن أبي حاتم والنسائي وابن عدي ورماه ابن حبان بالوضع وقال الإمام أحمد: لا أعرف حقيقة أمره.

وقال الحافظ أبو بكر البزار: حدثنا إسحاق بن سليمان البغدادي المعروف بالقلوسي، حدثنا بيان بن حمران، حدثنا سلام، عن منصور بن زاذان، عن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لله ملائكة يعرفون بني آدم - وأحسبه قال: ويعرفون أعمالهم - فإذا نظروا إلى عبد يعمل بطاعة الله ذكروه بينهم وسموه وقالوا: أفلح الليلة فلان، نجا الليلة فلان، وإذا

---

(١) رجاله ثقات وسنده صحيح.

(٢) أخرجه البزار بسنده ومتنه وتعليقه (مختصر زوائد مسند البزار ١/ ١٨١ ح٢٠٥).

(٣) أخرجه البزار بسنده ومتنه وتعليقه (المصدر السابق ٢/ ٤٦٢ ح٢٢١٧).

نظروا إلى عبد يعمل بمعصية الله ذكروه بينهم وسموه وقالوا: هلك الليلة فلان»، ثم قال البزار: سلام هذا أحسبه سلام المدائني، وهو: لين الحديث[١].

﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿١٥﴾ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ ﴿١٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾﴾.

يخبر تعالى عما يصير الأبرار إليه من النعيم، وهم الذين أطاعوا الله ﷻ ولم يقابلوه بالمعاصي، وقد روى ابن عساكر في ترجمة موسى بن محمد، عن هشام بن عمار، عن عيسى بن يونس بن أبي إسحاق، عن عبيد الله، عن محارب، عن ابن عمر، عن النبي ﷺ قال: «إنما سمَّاهم الله الأبرار لأنهم بروا الآباء والأبناء»[٢].

ثم ذكر ما يصير إليه الفجار من الجحيم والعذاب المقيم ولهذا قال: ﴿يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿١٥﴾﴾ أي: يوم الحساب والجزاء والقيامة ﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ ﴿١٦﴾﴾ أي: لا يغيبون عن العذاب ساعة واحدة ولا يخفف عنهم من عذابها ولا يجابون إلى ما يسألون من الموت أو الراحة ولو يوماً واحداً.

وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾﴾ تعظيم لشأن يوم القيامة ثم أكده بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٨﴾﴾ ثم فسره بقوله: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا﴾ أي: لا يقدر أحد على نفع أحد ولا خلاصه مما هو فيه إلا أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى، ونذكر هٰهنا حديث: «يا بني هاشم أنقذوا أنفسكم من النار لا أملك لكم من الله شيئاً» وقد تقدم في آخر تفسير سورة الشعراء[٣]. ولهذا قال: ﴿وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾ كقوله: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦] وكقوله: ﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ﴾ [الفرقان: ٢٦] وكقوله: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾﴾ [الفاتحة].

[قال][٤] قتادة: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾﴾ والأمر والله اليوم لله، ولكنه لا ينازعه فيه يومئذ أحد[٥].

آخر تفسير سورة الانفطار، ولله الحمد.

---

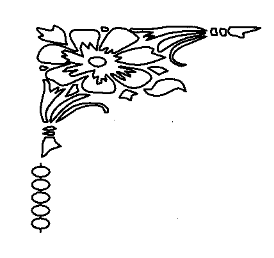
(١) أخرجه البزار بسنده ومتنه وتعليقه، وأضاف الحافظ ابن حجر قوله في سلام: بل متروك. فالسند ضعيف جداً. (المصدر السابق ٢/ ٤٥١ ح٢١٩٥).

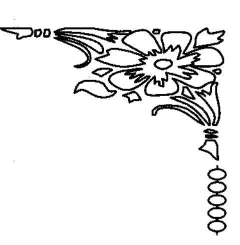
(٢) تاريخ دمشق ١٧/ل٤٠٠ وسنده فيه موسىٰ بن محمد وهو مقبول. (التقريب ص٥٥٣) وهشام بن عمار: صدوق كبر فصار يتلقن. (التقريب ص٥٧٣).

(٣) تقدم تخريجه في الآية ٢١٤.

(٤) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل بياض.

(٥) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.





سُورَةُ المُطَفِّفِينَ

وهي مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣ أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦﴾.

قال النسائي وابن ماجه: أخبرنا محمد بن عقيل، زاد ابن ماجه وعبد الرحمٰن بن بشر قالا: حدثنا علي بن الحسين بن واقد، حدثني أبي، عن يزيد وهو: ابن أبي سعيد النحوي مولى قريش، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: لما قدم النبي ﷺ المدينة كانوا من أخبث الناس كيلاً فأنزل الله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١﴾ فحسَّنوا الكيل بعد ذلك[1].

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا جعفر بن النضر بن حماد، حدثنا محمد بن عبيد، عن الأعمش، عن عمرو بن مرة، عن عبد الله بن الحارث، عن هلال بن طلق قال: بينما أنا أسير مع ابن عمر فقلت: من أحسن الناس هيئة وأوفاهم كيلاً أهل مكة أو أهل المدينة قال: حُقَّ لهم، أما سمعت الله تعالى يقول: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١﴾[2].

وقال ابن جرير: حدثنا أبو السائب، حدثنا ابن فضيل، عن ضرار، عن عبد الله المكتب، عن رجل، عن عبد الله قال: قال له رجل: يا أبا عبد الرحمٰن إن أهل المدينة ليوفون الكيل، قال: وما يمنعهم أن يوفوا الكيل وقد قال الله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١﴾ حتى بلغ ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦﴾[3].

والمراد بالتطفيف هٰهنا: البخس في المكيال والميزان إما بالإزدياد إن اقتضى من الناس وإما بالنقصان إن قضاهم، ولهذا فسر تعالى المطففين الذين وعدهم بالخسار والهلاك وهو الويل بقوله

---

(١) السنن الكبرىٰ للنسائي، التفسير، سورة المطففين (ح١١٥٩٠)؛ وسنن ابن ماجه، التجارات، باب التوقي في الكيل والوزن (ح٢٢٢٣)؛ وحسنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (ح١٨٠٨)؛ وأخرجه ابن حبان (الإحسان ٧/ ٢٠٨ ح٤٨٩٨)؛ والحاكم كلاهما من طريق علي بن الحسين بن واقد به؛ وصححه الحاكم ووافقه الذهبي (المستدرك ٢/ ٣٣) وصحح سنده الحافظ ابن حجر (فتح الباري ٨/ ٦٩٥) والسيوطي (لباب النقول ص٢٢٨).

(٢) في سنده عبد الله بن الحارث وهو الكندي مقبول (التقريب ص٢٩٩)، ومحمد بن عبيد وهو الكندي الكوفي مقبول أيضاً (التقريب ص٤٩٥).

(٣) أخرجه الطبري من طريق عبيد المكتب عن عبد الله، وسنده منقطع لأن عبيد المكتب لم يسمع من عبد الله وهو ابن مسعود.

تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ أي: من الناس ﴿يَسْتَوْفُونَ﴾ أي: يأخذون حقهم بالوافي والزائد ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣﴾ أي: ينقصون، والأحسن أن يجعل كالوا ووزنوا متعدياً ويكون هم في محل نصب، ومنهم من يجعلها ضميراً مؤكداً للمستتر في قوله: كالوا ووزنوا ويحذف المفعول لدلالة الكلام عليه، وكلاهما متقارب.

وقد أمر الله تعالى بالوفاء في الكيل والميزان فقال تعالى: ﴿وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُواْ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ۝٣٥﴾ [الإسراء] وقال تعالى: ﴿وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [الأنعام: ١٥٢] وقال تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُواْ ٱلْمِيزَانَ ۝٩﴾ [الرحمٰن] وأهلك الله قوم شعيب ودمرهم على ما كانوا يبخسون الناس في الميزان والمكيال.

ثم قال تعالى متوعداً لهم: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥﴾؟ أي: ما يخاف أولئك من البعث والقيام بين يدي من يعلم السرائر والضمائر في يوم عظيم الهول كثير الفزع جليل الخطب، من خسر فيه أدخل ناراً حامية؟

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦﴾ أي: يقومون حفاة عراة غرلاً في موقف صعب حرج ضيق ضنك على المجرم ويغشاهم من أمر الله تعالى ما تعجز القوى والحواس عنه.

قال الإمام مالك، عن نافع، عن ابن عمر، أن النبي ﷺ قال: «يوم يقوم الناس لرب العالمين حتى يغيب أحدهم في رشحه إلى أنصاف أذنيه»[(١)]. رواه البخاري من حديث مالك وعبد الله بن عون كلاهما عن نافع به، ورواه مسلم من الطريقين أيضاً، وكذلك رواه أيوب بن يحيى وصالح بن كيسان وعبد الله وعبيد الله ابنا عمر ومحمد بن إسحاق، عن نافع، عن ابن عمر به[(٢)].

ولفظ الإمام أحمد: حدثنا يزيد، أخبرنا ابن إسحاق، عن نافع، عن ابن عمر سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يوم يقوم الناس لرب العالمين لعظمة الرحمٰن ﷻ يوم القيامة، حتى إن العرق ليلجم الرجال إلى أنصاف آذانهم»[(٣)].

حديث آخر: قال الإمام أحمد: حدثنا إبراهيم بن إسحاق، حدثنا ابن المبارك، عن عبد الرحمٰن بن يزيد بن جابر، حدثني سليم بن عامر، حدثني المقداد؛ يعني: ابن الأسود الكندي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا كان يوم القيامة أدنيت الشمس من العباد حتى تكون قدر ميل أو ميلين - قال: - فتصهرهم الشمس فيكونون في العرق كقدر أعمالهم، منهم من يأخذه إلى عقبيه ومنهم من يأخذه إلى ركبتيه، ومنهم من يأخذه إلى حقويه، ومنهم من يُلجِمُه إلجاماً»[(٤)]. رواه مسلم عن الحكم بن موسى، عن يحيى بن حمزة والترمذي عن سويد، عن ابن

---

(١) سنده صحيح من أعلى الأسانيد العالية لأنه ثنائي.

(٢) صحيح البخاري، التفسير، باب ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦﴾ [المطففين] (ح٤٩٣٨)؛ وصحيح مسلم، الجنة وصفة نعيمها، باب في صفة يوم القيامة (ح٢٨٦٢).

(٣) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٢/ ٣١) وسنده حسن.

(٤) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه، وصحح سنده محققوه. (المسند ٣٩/ ٢٣٥ ح٢٣٨١٣).

المبارك، كلاهما عن ابن جابر به[١].

حديث آخر: قال الإمام أحمد: حدثنا الحسن بن سوار، حدثنا الليث بن سعد، عن معاوية بن صالح، أن أبا عبد الرحمٰن حدثه، عن أبي أُمامة أن رسول الله ﷺ قال: «تدنو الشمس يوم القيامة على قدر ميل ويزاد في حرها كذا كذا، تغلي منها الهوام كما تغلي القدور، يعرقون فيها على قدر خطاياهم، منهم من يبلغ إلى كعبيه، ومنهم من يبلغ إلى ساقيه، ومنهم من يبلغ إلى وسطه، ومنهم من يلجمه العرق»[٢]. انفرد به أحمد.

حديث آخر: قال الإمام أحمد: حدثنا حسن، حدثنا ابن لهيعة، حدثنا أبو عشانة حيي بن يؤمن أنه سمع عقبة بن عامر يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «تدنو الشمس من الأرض فيعرق الناس، فمن الناس من يبلغ عرقه عقبيه، ومنهم من يبلغ إلى نصف الساق، ومنهم من يبلغ إلى ركبتيه، ومنهم من يبلغ العجز، ومنهم من يبلغ الخاصرة، ومنهم من يبلغ منكبيه، ومنهم من يبلغ وسط فيه ـ وأشار بيده فألجمها فاه، رأيت رسول الله ﷺ يشير بيده هكذا ـ ومنهم من يغطيه عرقه» وضرب بيده إشارة[٣]، انفرد به أحمد، وفي حديث: «أنهم يقومون سبعين سنة لا يتكلمون»، وقيل: يقومون ثلاثمائة سنة، وقيل: يقومون أربعين ألف سنة، ويقضي بينهم في مقدار عشرة آلاف سنة كما في صحيح مسلم عن أبي هريرة مرفوعاً: «في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة»[٤].

وقد قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا أبو عون الزيادي، أخبرنا عبد السلام بن عجلان، سمعت أبا يزيد المدني، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ لبشير الغفاري: «كيف أنت صانع في يوم يقوم الناس فيه ثلاثمائة سنة لرب العالمين من أيام الدنيا لا يأتيهم فيه خبر من السماء ولا يؤمر فيهم بأمر؟» قال بشير: المستعان الله، قال: «فإذا أويت إلى فراشك فتعوذ بالله من كرب يوم القيامة وسوء الحساب» ورواه ابن جرير من طريق عبد السلام به[٥].

وفي سنن أبي داود: أن رسول الله ﷺ كان يتعوذ بالله من ضيق المقام يوم القيامة[٦].

وعن ابن مسعود يقومون أربعين سنة رافعي رؤوسهم إلى السماء لا يكلمهم أحد قد ألجم العرق برهم وفاجرهم[٧].

---

(١) صحيح مسلم، صفة الجنة ونعيمها، باب صفة يوم القيامة (ح٢٨٦٤).

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه، وحسن سنده محققوه (المسند ٣٦/ ٥٢٣ ح٢٢١٨٦).

(٣) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه، (المسند ٤/ ١٥٧) وفي سنده ابن لهيعة فيه مقال ويتقوىٰ بالشواهد السابقة فيكون سنده حسناً لغيره.

(٤) تقدم تخريجه في تفسير سورة المعارج: آية ٤.

(٥) أخرجه الطبري من طريق عبد السلام بن عجلان به، وسنده ضعيف لضعف عبد السلام. (لسان الميزان ٤/ ١٦).

(٦) أخرجه أبو داود من حديث عائشة ﵂. (السنن، الصلاة، باب ما يستفتح به الصلاة من الدعاء ح٧٦٦)؛ وقال الألباني: حسن صحيح. (صحيح سنن أبي داود ح٦٩٣).

(٧) أخرجه الطبري بسند ضعيف فيه شريك.

وعن ابن عمر: يقومون مائة سنة رواهما ابن جرير[(١)].

وفي سنن أبي داود والنسائي وابن ماجه من حديث زيد بن الحباب، عن معاوية بن صالح، عن أزهر بن سعيد الحواري، عن عاصم بن حميد، عن عائشة أن رسول الله ﷺ كان يفتتح قيام الليل: يكبر عشراً ويحمد عشراً، ويسبح عشراً ويستغفر عشراً ويقول: «اللهم اغفر لي واهدني وارزقني وعافني» ويتعوذ من ضيق المقام يوم القيامة[(٢)].

﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ﴿٧﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿١١﴾ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾﴾.

يقول تعالى: حقاً ﴿إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ﴾ أي: أن مصيرهم ومأواهم لفي سجين فعيل من السجن وهو الضيق، كما يقال: فسيق وشريب وخمير وسكير ونحو ذلك، ولهذا عظم أمره فقال تعالى: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾﴾؟ أي: هو أمر عظيم وسجن مقيم وعذاب أليم، ثم قد قال قائلون: هي تحت الأرض السابعة، وقد تقدم في حديث البراء بن عازب في حديثه الطويل: يقول الله ﷻ في روح الكافر: اكتبوا كتابه في سجين. وسجين هي تحت الأرض السابعة[(٣)]، وقيل: صخرة تحت الأرض السابعة خضراء، وقيل: بئر في جهنم.

وقد روى ابن جرير في ذلك حديثاً غريباً منكراً لا يصح فقال: حدثنا إسحاق بن وهب الواسطي، حدثنا مسعود بن موسىٰ بن مشكان الواسطي، حدثنا نصر بن خزيمة الواسطي، عن شعيب بن صفوان، عن محمد بن كعب القرظي، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «الفلق جبٌّ في جهنم مغطى، وأما سجين فمفتوح»[(٤)]. والصحيح أن سجيناً مأخوذ من السجن وهو الضيق، فإن المخلوقات كل ما تسافل منها ضاق وكل ما تعالى منها اتسع، فإن الأفلاك السبعة كل واحد منها أوسع وأعلى من الذي دونه، وكذلك الأرضون كل واحدة أوسع من التي دونها حتى ينتهي السفول المطلق والمحل الأضيق إلى المركز في وسط الأرض السابعة، ولما كان مصير الفجار إلى جهنم وهي أسفل السافلين كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [التين] وقال هٰهنا: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ﴿٧﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾﴾ وهو يجمع الضيق والسفول كما قال تعالى: ﴿وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾﴾ [الفرقان].

وقوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٩﴾﴾ ليس تفسيراً لقوله: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾﴾ وإنما هو تفسير

---

(١) أخرجه الطبري بسند ضعيف فيه أبو بكر وهو ابن عياش.

(٢) سنن أبي داود، الحديث السابق نفسه، وسنن النسائي، قيام الليل، باب ذكر ما يستفتح به القيام ٣/٢٠٨؛ وسنن ابن ماجه، الإقامة باب ما جاء في الدعاء إذا قام الرجل من الليل (ح١٣٥٦)؛ وقال الألباني: حسن صحيح (صحيح سنن ابن ماجه ح١١١٥).

(٣) تقدم تخريجه في تفسير سورة إبراهيم آية ٢٧.

(٤) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وضعفه الحافظ ابن كثير.

لما كتب لهم من المصير إلى سجين؛ أي: مرقوم مكتوب مفروغ منه لا يزاد فيه أحد ولا ينقص منه أحد. قاله محمد بن كعب القرظي.

ثم قال: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾﴾ أي: إذا صاروا يوم القيامة إلى ما أوعدهم الله من السجن والعذاب المهين، وقد تقدم الكلام على قوله: ﴿وَيْلٌ﴾ بما أغنى عن إعادته، وأن المراد من ذلك الهلاك والدمار كما يقال: ويل لفلان، وكما جاء في المسند والسنن من رواية بهز بن حكيم بن معاوية بن حيدة، عن أبيه، عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: «ويل للذي يحدث فيكذب ليضحك الناس، ويل له، ويل له»[(١)].

ثم قال تعالى مفسراً للمكذبين الفجار الكفرة: ﴿الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿١١﴾﴾ أي: لا يصدقون بوقوعه ولا يعتقدون كونه ويستبعدون أمره، قال الله تعالى: ﴿وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾﴾ أي: معتد في أفعاله؛ من تعاطي الحرام والمجاوزة في تناول المباح والأثيم في أقواله إن حدث كذب، وإن وعد أخلف، وإن خاصم فجر.

وقوله تعالى: ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾﴾ أي: إذا سمع كلام الله تعالى من الرسول يكذب به ويظن به ظن السوء فيعتقد أنه مفتعل مجموع من كتب الأوائل، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۙ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [النحل] وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾﴾ [الفرقان].

قال الله تعالى: ﴿كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾ أي: ليس الأمر كما زعموا ولا كما قالوا أنَّ هذا القرآن أساطير الأولين، بل هو كلام الله ووحيه وتنزيله على رسوله ﷺ، وإنما حجب قلوبهم عن الإيمان به ما عليها من الرين الذي قد لبس قلوبهم من كثرة الذنوب والخطايا، ولهذا قال تعالى: ﴿كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾.

والرين يعتري قلوب الكافرين، والغيم للأبرار، والغين للمقربين.

وقد روى ابن جرير والترمذي والنسائي وابن ماجه من طرق عن محمد بن عجلان، عن القعقاع بن حكيم، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «إن العبد إذا أذنب ذنباً كانت نكتة سوداء في قلبه، فإن تاب منها صقل قلبه وإن زاد زادت، فذلك قول الله تعالى: ﴿كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾». وقال الترمذي: حسن صحيح، ولفظ النسائي «إن العبد إذا أخطأ خطيئة نكت في قلبه نكتة سوداء، فإن هو نزع واستغفر وتاب صقل قلبه، فإن عاد زيد فيها حتى تعلو قلبه فهو الران الذي قال الله تعالى: ﴿كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾[(٢)]».

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (المسند ٥/٥)؛ وأبو داود، السنن، الأدب، باب التشديد في الكذب (ح٤٩٩٠)؛ والترمذي (السنن، الزهد، باب فيمن تكلم بكلمة ليضحك بها الناس ح٢٣١٦؛ والنسائي السنن الكبرىٰ التفسير ح١١١٢٦)؛ وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح٤١٧٥).

(٢) أخرجه الطبري والترمذي (السنن، التفسير، باب ومن سورة المطففين ح٣٣٣٤)، والنسائي (السنن الكبرىٰ، التفسير، باب قوله تعالى: ﴿بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ ح١١٦٥٨)؛ وابن ماجه (السنن، الزهد، باب ذكر الذنوب ح٤٢٤٤)؛ وحسنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه ٢/٤١٧؛ وأخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي. (المستدرك ١/٥).

وقال أحمد: حدثنا صفوان بن عيسى، أخبرنا ابن عجلان، عن القعقاع بن حكيم، عن أبي صالح، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن المؤمن إذا أذنب كانت نكتة سوداء في قلبه، فإن تاب ونزع واستغفر صقل قلبه، فإن زاد زادت حتى تعلو قلبه، وذاك الران الذي ذكر الله في القرآن ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾»[1].

وقال الحسن البصري: هو الذنب على الذنب حتى يعمى القلب فيموت[2]، وكذا قال مجاهد بن جبير وقتادة وابن زيد وغيرهم[3].

وقوله: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ أي: لهم يوم القيامة منزل ونزل سجين ثم هم يوم القيامة مع ذلك محجوبون عن رؤية ربهم وخالقهم.

قال الإمام أبو عبد الله الشافعي: وفي هذه الآية دليل على أن المؤمنين يرونه ﷻ يومئذٍ[4]، وهذا الذي قاله الإمام الشافعي رحمه الله في غاية الحسن، وهو استدلال بمفهوم هذه الآية، كما دل عليه منطوق قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة]، وكما دلت على ذلك الأحاديث الصحاح المتواترة في رؤية المؤمنين ربهم ﷻ في الدار الآخرة رؤية بالأبصار في عرصات القيامة وفي روضات الجنات الفاخرة.

وقد قال ابن جرير: [حدثني محمد بن عمار الرازي][5]، حدثنا أبو معمر المقري، حدثنا عبد الوارث بن سعيد، عن عمرو بن عبيد، عن الحسن في قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ قال: يكشف الحجاب فينظر إليه المؤمنون والكافرون، ثم يحجب عنه الكافرون وينظر إليه المؤمنون كل يوم غدوة وعشية. أو كلاماً هذا معناه.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ﴿١٦﴾﴾ أي: ثم هم مع هذا الحرمان عن رؤية الرحمٰن من أهل النيران ﴿ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾﴾ أي: يقال لهم ذلك على وجه التقريع والتوبيخ والتصغير والتحقير[6].

﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَامُهُ مِسْكٌ ۚ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾﴾.

يقول تعالى: حقاً ﴿إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ﴾ وهم بخلاف الفجار ﴿لَفِي عِلِّيِّينَ﴾ أي: مصيرهم إلى عليين وهو بخلاف سجين.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه، وقال محققوه: إسناده قوي. (المسند ١٣/ ٣٣٤ ح٧٩٥٢).

(٢) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق أبي رجاء عن الحسن.

(٣) أخرجه آدم والطبري بعدة أسانيد صحيحة عن مجاهد؛ وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

(٤) أخرجه البيهقي عن الشافعي. (مناقب الشافعي ١/ ٤١٩).

(٥) زيادة من تفسير الطبري.

(٦) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وأخرجه آدم بن أبي إياس عن أبي معمر المقري به. وسنده مرسل، وفي عمرو بن عبيد مقال. (التقريب ص٤٢٤).

قال الأعمش: عن شمر بن عطية، عن هلال بن يساف قال: سأل ابن عباس كعباً وأنا حاضر عن ﴿سِجِّينٍ﴾ [المطففين: ٧] قال: هي الأرض السابعة وفيها أرواح الكفار، وسأله عن ﴿عِلِّيِّينَ﴾ فقال: هي السماء السابعة وفيها أرواح المؤمنين(١). وهكذا قال غير واحد: إنها السماء السابعة(٢).

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس في قوله: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾﴾ يعني: الجنة(٣).

وفي رواية العوفي عنه: أعمالهم في السماء عند الله(٤). وكذا قال الضحاك:

وقال قتادة: عليون: ساق العرش اليمنى(٥).

وقال غيره: عليون: عند سدرة المنتهى(٦)، والظاهر: أن عليين مأخوذ من العلو، وكلما علا الشيء وارتفع عظم واتسع، ولهذا قال تعالى معظماً أمره ومفخماً شأنه: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾﴾ ثم قال تعالى مؤكداً لما كتب لهم: ﴿كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾﴾ وهم الملائكة. قاله قتادة(٧).

وقال العوفي، عن ابن عباس: يشهده من كل سماء مقربوها(٨).

ثم قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾﴾ أي: يوم القيامة هم في نعيم مقيم وجنات فيها فضل عميم ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ﴾ وهي السرر تحت الحجال ينظرون قيل: معناه ينظرون في ملكهم وما أعطاهم الله من الخير والفضل الذي لا ينقضي ولا يبيد.

وقيل: معناه ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ إلى الله ﷻ، وهذا مقابل لما وصف به أولئك الفجار ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ فذكر عن هؤلاء أنهم يباحون النظر إلى الله ﷻ وهم على سررهم وفرشهم، كما تقدم في حديث ابن عمر: «إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر في ملكه مسيرة ألفي سنة يرى أقصاه كما يرى أدناه، وإن أعلاهم لمن ينظر إلى الله في اليوم مرتين»(٩).

وقوله: ﴿تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾﴾ أي: تعرف إذا نظرت إليهم في وجوههم نضرة النعيم؛ أي: صفة الترافة والحشمة والسرور والدعة والرياسة مما هم فيه من النعيم العظيم.

وقوله تعالى: ﴿يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾﴾ أي: يسقون من خمر من الجنة، والرحيق من أسماء الخمر، قاله ابن مسعود وابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة وابن زيد(١٠).

---

(١) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده صحيح.
(٢) أخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.
(٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس.
(٤) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به، ويتقوىٰ بسابقه.
(٥) أخرجه عبد الرزاق والطبري بسند صحيح من طريق معمر عن قتادة.
(٦) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق الأجلح عن الضحاك، وسبب ضعفه أنه معضل. ومثل هذا لا يؤخذ إلا عن الوحي.
(٧) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.
(٨) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به بلفظ: «كل أهل سماء».
(٩) تقدم تخريجه في تفسير سورة القيامة: آية ٢٢.
(١٠) أخرجه ابن أبي شيبة والطبري بسند صحيح من طريق مسروق عن ابن مسعود (المصنف ٨/ ٨٧)؛ وأخرجه =

قال الإمام أحمد: حدثنا حسن، حدثنا زهير، عن سعد أبي المجاهد الطائي، عن عطية بن سعد العوفي، عن أبي سعيد الخدري ـ أراه قد رفعه إلى النبي ﷺ ـ قال: «أيما مؤمن سقى مؤمناً شربة ماء على ظمأ سقاه الله تعالى يوم القيامة من الرحيق المختوم، وأيما مؤمن أطعم مؤمناً على جوع أطعمه الله من ثمار الجنة، وأيما مؤمن كسا مؤمناً ثوباً على عري كساه الله من خضر الجنة»(١).

وقال ابن مسعود في قوله: ﴿خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ﴾: أي خلطه مسك(٢).

وقال العوفي، عن ابن عباس: طيب الله لهم الخمر فكان آخر شيء جعل فيها مسك ختم بمسك(٣)، وكذا قال قتادة والضحاك.

وقال إبراهيم والحسن: ﴿خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ﴾ أي: عاقبته مسك(٤).

وقال ابن جرير: حدثنا ابن حميد، حدثنا يحيى بن وضاح، حدثنا أبو حمزة، عن جابر، عن عبد الرحمٰن بن سابط، عن أبي الدرداء ﴿خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ﴾ قال: شراب أبيض مثل الفضة يختمون به شرابهم، ولو أن رجلاً من أهل الدنيا أدخل أصبعه فيه ثم أخرجها لم يبق ذو روح إلا وجد طيبها(٥).

وقال ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ﴾ قال: [طينه](٦) مسك(٧).

وقوله تعالى: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾ أي: وفي مثل هذا الحال فليتفاخر المتفاخرون وليتباهى ويكاثر ويستبق إلى مثله المستبقون، كقوله تعالى: ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴿٦١﴾﴾ [الصافات].

وقوله تعالى: ﴿وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾﴾ أي: ومزاج هذا الرحيق الموصوف من تسنيم؛ أي: من شراب يقال له تسنيم، وهو أشرف شراب أهل الجنة وأعلاه. قاله أبو صالح والضحاك، ولهذا قال: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾﴾ أي: يشربها المقربون صرفاً وتمزج لأصحاب اليمين مزجاً.

= الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس؛ وأخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد؛ وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد. وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق أبي رجاء عن الحسن.

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٣/ ١٣) وسنده ضعيف لضعف عطية العوفي.

(٢) أخرجه الطبري والحاكم من طريق علقمة بن قيس عن ابن مسعود وصححه الحاكم؛ ووافقه الذهبي (المستدرك ٢/ ٥١٧).

(٣) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به، ويتقوىٰ بسابقه.

(٤) أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة، وأخرجه الطبري بسند جيد من طريق أبي حمزة عن إبراهيم والحسن.

(٥) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وأخرجه آدم بن أبي إياس من طريق شيبان بن عبد الرحمٰن عن جابر به، وجابر هو الجعفي من تلاميذ شيبان بن عبد الرحمٰن (ينظر: تهذيب الكمال ١٢/ ٥٩٣) وسنده ضعيف لضعف جابر الجعفي (التقريب ص١٣٧).

(٦) كذا في (ح) وتفسير الطبري وفي الأصل صحف إلى: «طيبه».

(٧) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.

[قاله ابن مسعود وابن عباس ومسروق وقتادة وغيرهم][(1)][(2)].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَآ أُرْسِلُوا۟ عَلَيْهِمْ حَٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾.

يخبر تعالى عن المجرمين أنهم كانوا في الدار الدنيا يضحكون من المؤمنين؛ أي: يستهزئون بهم ويحتقرونهم، وإذا مرُّوا بالمؤمنين يتغامزون عليهم؛ أي: محتقرين لهم ﴿وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾﴾ أي: وإذا انقلب؛ أي: رجع هؤلاء المجرمون إلى منازلهم انقلبون إليها فاكهين؛ أي: مهما طلبوا وجدوا، ومع هذا ما شكروا نعمة الله عليهم بل اشتغلوا بالقوم المؤمنين يحتقرونهم ويحسدونهم ﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾﴾ أي: لكونهم على غير دينهم.

قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أُرْسِلُوا۟ عَلَيْهِمْ حَٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾﴾ أي: وما بعث هؤلاء المجرمون حافظين على هؤلاء المؤمنين ما يصدر منهم من أعمالهم وأقوالهم ولا كلفوا بهم؟ فلم اشتغلوا بهم وجعلوهم نصب أعينهم، كما قال تعالى: ﴿قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّى جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾﴾ [المؤمنون] ولهذا قال هٰهنا: ﴿فَٱلْيَوْمَ﴾ يعني: يوم القيامة ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾ أي: في مقابلة ما ضحك بهم أولئك ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾﴾ أي: إلى الله ﷻ في مقابلة من زعم فيهم أنهم ضالون ليسوا بضالين بل هم من أولياء الله المقربين ينظرون إلى ربهم في دار كرامته.

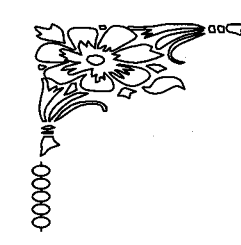
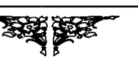
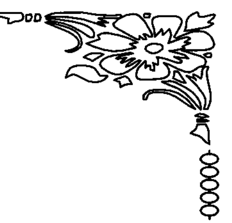
وقوله تعالى: ﴿هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾؟ أي: هل جوزي الكفار على ما كانوا يقابلون به المؤمنين من الاستهزاء والتنقيص أم لا؟ يعني: قد جوزوا أوفر الجزاء وأتمه وأكمله.

آخر تفسير سورة المطففين، ولله الحمد والمنّة.

---

(١) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل وردت قبل ذكر قوله: «ولهذا قال».

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة والطبري بسند صحيح من طريق مسروق عن ابن مسعود (المصنف ٨/٨٧). وأخرجه عبد الرزاق بسند حسن من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس، وقول مسروق تقدم ضمن رواية ابن مسعود كما في سابقه، وقول قتادة أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عنه.

سورة الانشقاق

قال مالك، عن عبد الله بن يزيد، عن أبي سلمة، أن أبا هريرة قرأ بهم: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ۝١﴾ فسجد فيها، فلما انصرف أخبرهم أن رسول الله ﷺ سجد فيها[١]، رواه مسلم والنسائي من طريق مالك به[٢].

وقال البخاري: حدثنا أبو النعمان، حدثنا معتمر، عن أبيه، عن بكر، عن أبي رافع قال: صليت مع أبي هريرة العتمة فقرأ ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ۝١﴾ فسجد، فقلت له. فقال: سجدت خلف أبي القاسم ﷺ، فلا أزال أسجد بها حتى ألقاه[٣]، ورواه أيضاً عن مسدد، عن معتمر به. ثم رواه عن مسدد، عن يزيد بن زريع، عن التيمي، عن بكر، عن أبي رافع فذكره[٤]. وأخرجه مسلم وأبو داود والنسائي من طرق عن سليمان بن طرخان التيمي به، وقد رواه مسلم وأهل السنن من حديث سفيان بن عيينة، زاد النسائي وسفيان الثوري كلاهما عن أيوب بن موسى، عن عطاء بن ميناء، عن أبي هريرة، قال: سجدنا مع رسول الله ﷺ في ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ۝١﴾ و﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١﴾[٥] [العلق].

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ۝١ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ۝٣ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ۝٤ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۝٥ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ۝٦ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۝٩ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ۝١٠ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ۝١١ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ۝١٢ إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۝١٣ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ۝١٤ بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا ۝١٥﴾.

يقول تعالى: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ۝١﴾ وذلك يوم القيامة ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا﴾ أي: استمعت لربها

---

(١) أخرجه الإمام مالك بسنده ومتنه بلفظ قرأ لهم (الموطأ، القرآن، باب ما جاء في سجود القرآن ١/ ٢٠٥ ح١٢) وسنده صحيح.

(٢) أخرجه مسلم من طريق مالك به. (الصحيح، المساجد ومواضع الصلاة، باب سجود التلاوة ح٥٧٨) وكذا النسائي. (السنن الكبرىٰ، التفسير، سورة الانشقاق ح١١٥٩٦).

(٣) أخرجه البخاري بسنده ومتنه. (الصحيح، الأذان، باب الجهر في العشاء ح٧٦٦).

(٤) أخرجه البخاري عن مسدد به (الصحيح، الأذان، باب القراءة في العشاء بالسجدة ح٧٦٨).

(٥) صحيح مسلم، المساجد، باب سجود التلاوة (ح٥٧٧/ ١١٠ و٥٧٧/ ١٠٨)؛ وسنن أبي داود، الصلاة، باب السجود في ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ۝١﴾ [الانشقاق] (ح١٤٠٧)؛ والسنن الكبرىٰ للنسائي، الافتتاح، باب السجود في ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾ (ح١٠٣٩).

وأطاعت أمره فيما أمرها به من الانشقاق، وذلك يوم القيامة ﴿وَحُقَّتْ﴾ أي: وحُقَّ لها أن تطيع أمره؛ لأنه العظيم الذي لا يمانع ولا يغالب بل قد قهر كل شيء وذلَّ له كل شيء، ثم قال: ﴿وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ﴿٣﴾﴾ أي: بسطت وفرشت ووسعت.

قال ابن جرير: حدثنا ابن عبد الأعلى، حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن الزهري، عن علي بن الحسين، أن النبي ﷺ قال: «إذا كان يوم القيامة مدَّ الله الأرض مدَّ الأديم حتى لا يكون لبشر من الناس إلا موضع قدميه، فأكون أول من يدعى وجبريل عن يمين الرحمٰن، واللهِ ما رآه قبلها، فأقول: يا ربِّ إن هذا أخبرني، أنك أرسلته إليَّ. فيقول الله ﷻ: صدق ثم أشفع، فأقول: يا ربِّ عبادك عبدوك في أطراف الأرض، قال: وهو المقام المحمود»[(١)].

وقوله تعالى: ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴿٤﴾﴾ أي: ألقت ما في بطنها من الأموات وتخلَّت منهم. قاله مجاهد وسعيد وقتادة ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٥﴾﴾[(٢)] كما تقدم.

وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا﴾ أي: إنك ساع إلى ربك سعياً وعامل عملاً ﴿فَمُلَٰقِيهِ﴾ ثم إنك ستلقى ما عملت من خير أو شر. ويشهد لذلك ما رواه أبو داود الطيالسي عن الحسن بن أبي جعفر، عن أبي الزبير، عن جابر، قال: قال رسول الله ﷺ: «قال جبريل يا محمد عش ما شئت فإنك ميت، وأحبب ما شئت فإنك مفارقه، واعمل ما شئت فإنك ملاقيه»[(٣)].

ومن الناس من يعيد الضمير على قوله: ﴿رَبِّكَ﴾؛ أي: فملاق ربك، ومعناه: فيجازيك بعملك ويكافئك على سعيك، وعلى هذا فكلا القولين متلازم.

قال العوفي، عن ابن عباس: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا﴾ يقول: تعمل عملاً تلقى الله به خيراً كان أو شراً[(٤)].

وقال قتادة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا﴾ إن كدحك يا ابن آدم لضعيف، فمن استطاع أن يكون كدحه في طاعة الله فليفعل ولا قوة إلا بالله[(٥)].

ثم قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾﴾ أي: سهلاً بلا تعسير؛ أي: لا يحقق عليه جميع دقائق أعماله، فإن من حوسب كذلك هلك لا محالة.

وقال الإمام أحمد: حدثنا إسماعيل، أخبرنا أيوب، عن عبد الله بن أبي مليكة، عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «من نوقش الحساب عذب» قالت: فقلت: أفليس قال الله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾﴾؟ قال: «ليس ذاك بالحساب ولكن ذلك العرض من نوقش

---

(١) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده ضعيف لأنه مرسل، ويشهد لقوله: وهو المقام المحمود ما ورد في تفسير سورة الإسراء: آية ٧٩ في قوله تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾.

(٢) أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة.

(٣) أخرجه الطيالسي بسنده ومتنه (المسند ص٢٤٢ ح١٧٥٥) وسنده ضعيف لضعف الحسن بن أبي جعفر وهو الجفري (التقريب ص١٥٩).

(٤) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به.

(٥) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

الحساب يوم القيامة عُذِّب»[١]. وهكذا رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن جرير من حديث أيوب السختياني به[٢].

وقال ابن جرير: حدثنا ابن وكيع، حدثنا روح بن عبادة، حدثنا أبو عامر الخزاز، عن ابن أبي مُليكة، عن عائشة ﵂ قالت: قال رسول الله ﷺ: «إنه ليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا معذباً» فقلت: أليس الله يقول: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ⁨⁨٨⁩⁩﴾؟ قال: «ذاك العرض إنه من نوقش الحساب عُذِّب» وقال بيده على إصبعه [كأنه][٣] ينكت[٤]، وقد رواه أيضاً عن عمرو بن علي، عن ابن أبي عدي، عن أبي يونس القشيري، عن ابن أبي مُليكة، عن القاسم، عن عائشة فذكر الحديث[٥]، أخرجاه من طريق أبي يونس القشيري واسمه: حاتم بن أبي صغيرة[٦] به.

قال ابن جرير: حدثنا نصر بن علي الجهضمي، حدثنا مسلم، عن الحريش بن الخريت أخي الزبير، عن ابن أبي مُليكة، عن عائشة، قالت: من نوقش الحساب ـ أو من حوسب ـ عُذِّب. قال: ثم قالت: إنما الحساب اليسير عرض على الله تعالى وهو يراهم[٧].

وقال أحمد: حدثنا إسماعيل، حدثنا محمد بن إسحاق، حدثني عبد الواحد بن حمزة بن عبد الله بن الزبير، عن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن عائشة، قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول في بعض صلاته: «اللَّهم حاسبني حساباً يسيراً» فلما انصرف قلت: يا رسول الله ما الحساب اليسير؟ قال: «أن ينظر في كتابه فيتجاوز له عنه؛ إنه من نوقش الحساب يا عائشة يومئذٍ هلك»[٨]. صحيح على شرط مسلم.

وقوله تعالى: ﴿وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ⁨⁨٩⁩⁩﴾ أي: ويرجع إلى أهله في الجنة. قاله قتادة والضحاك[٩]، ﴿مَسْرُورًا﴾ أي: فرحاً مغتبطاً بما أعطاه الله ﷿.

وقد روى الطبراني عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ أنه قال: «إنكم تعملون أعمالاً لا تعرف، ويوشك الغائب أن يثوب إلى أهله فمسرور أو مكظوم»[١٠].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٦/ ٤٧) وسنده صحيح.

(٢) صحيح البخاري، التفسير، باب ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ⁨⁨٨⁩⁩﴾ [الانشقاق] (ح٤٩٣٩)؛ وصحيح مسلم، الجنة وصفة نعيمها، باب إثبات الحساب (ح٢٤٢٨)؛ والسنن الكبرىٰ للنسائي، التفسير، سورة الانشقاق (ح١١٥٩٥).

(٣) كذا في (ح) و(حم) وتفسير الطبري، وفي الأصل صحفت إلى: «فإنه».

(٤) أخرجه الطبري بسنده ومتنه بلفظ: «ينكته» وفي سنده ابن وكيع وهو سفيان بن وكيع فيه مقال ولكنه توبع فيتقوىٰ بسابقه.

(٥) أخرجه الطبري عن عمرو بن علي به، وسنده صحيح.

(٦) صحيح البخاري، التفسير، (ح٤٩٣٩)؛ وصحيح مسلم، الجنة وصفة نعيمها، باب إثبات الحساب (ح٢٨٧٦/ ٨٠).

(٧) أخرجه الطبري بسنده ومتنه؛ أخرجه الحاكم من طريق الحريش بن الخريت وصححه الحاكم وتعقبه الذهبي بقوله: «الحريش»؛ قال البخاري: في حديثه نظر (المستدرك ٤/ ٥٨٠) ويتقوىٰ بما سبق.

(٨) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٦/ ٤٨) وسنده حسن.

(٩) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة بلفظ: «إلىٰ أهلٍ أعدَّ الله لهم الجنة».

(١٠) أخرجه الطبراني بسند ضعيف (المعجم الكبير ٢/ ٩٤ ح١٤١٦) وفي سنده يحيىٰ بن عبد الحميد الحماني وهو ضعيف (مجمع الزوائد ١٠/ ٢٣٤).

وقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ۝١٠﴾ أي: بشماله من وراء ظهره تثنى يده إلى ورائه ويعطى كتابه بها كذلك ﴿فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ۝١١﴾ أي: خساراً وهلاكاً ﴿وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ۝١٢ إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۝١٣﴾ أي: فرحاً لا يفكر في العواقب ولا يخاف مما أمامه، فأعقبه ذلك الفرح اليسير الحزن الطويل.

﴿إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ۝١٤﴾ أي: كان يعتقد أنه لا يرجع إلى الله ولا يعيده بعد موته. قاله ابن عباس وقتادة وغيرهما[١]، والحور هو: الرجوع. قال الله: ﴿بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا ۝١٥﴾ يعني: بلى سيعيده الله كما بدأه ويجازيه على أعماله خيرها وشرها، فإنه كان به بصيراً؛ أي: عليماً خبيراً.

﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلشَّفَقِ ۝١٦ وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ۝١٧ وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ۝١٨ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ۝١٩ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٢٠ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ۩ ۝٢١ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُكَذِّبُونَ ۝٢٢ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ۝٢٣ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٢٤ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍۭ ۝٢٥﴾.

روي عن علي وابن عباس وعبادة بن الصامت وأبي هريرة وشداد بن أوس وابن عمر ومحمد بن علي بن الحسين ومكحول وبكر بن عبد الله المزني وبكير بن الأشج ومالك وابن أبي ذئب وعبد العزيز بن أبي سلمة الماجشون أنهم قالوا: الشفق: الحمرة[٢].

وقال عبد الرزاق: عن معمر، عن ابن خُثيم، عن ابن لبيبة، عن أبي هريرة قال: الشفق: البياض[٣]، فالشفق: هو حمرة الأفق إما قبل طلوع الشمس؛ كما قاله مجاهد، وإما بعد غروبها؛ كما هو معروف عند أهل اللغة.

قال الخليل بن أحمد: الشفق: الحمرة من غروب الشمس إلى وقت العشاء الآخرة، فإذا ذهب قيل: غاب الشفق.

وقال الجوهري: الشفق: بقية ضوء الشمس وحمرتها في أول الليل إلى قريب من العتمة، وكذا قال عكرمة: الشفق الذي يكون بين المغرب والعشاء.

وفي صحيح مسلم، عن عبد الله بن عمرو، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «وقت المغرب ما لم يغب الشفق»[٤]، ففي هذا كلِّه دليل على أن الشفق هو كما قاله الجوهري والخليل.

---

(١) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس؛ وأخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة؛ وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (المصنف ١/ ٣٣٣)؛ والطبري بسند صحيح من طريق العوام بن حوشب عن مجاهد؛ وعزاه السيوطي إلى سمويه في «فوائده» عن عمر بن الخطاب ﷺ؛ وأخرجه عبد الرزاق عن عبد الله بن نافع عن أبيه عن ابن عمر (المصنف ١/ ٥٥٩ رقم ٢١٢٢)؛ وفي سنده عبد الله بن نافع وهو ضعيف. (التقريب ص٣٢٦)؛ وأخرجه عبد الرزاق بسند حسن عن محمد بن راشد عن مكحول عن ثور بن يزيد. (المصنف ١/ ٥٥٩ رقم ٢١٢١).

(٣) أخرجه عبد الرزاق بسنده ومتنه. وسنده ضعيف لضعف ابن لبيبة (التقريب ص٤٩٣) وأيضاً فهو لم يسمع من أبي هريرة.

(٤) صحيح مسلم، المساجد، باب أوقات الصلوات الخمس (ح٦١٢).

ولكن صحَّ عن مجاهد أنه قال في هذه الآية: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلشَّفَقِ ﴿١٦﴾﴾ هو النهار كله[١]، وفي رواية عنه أيضاً أنه قال: الشفق الشمس[٢]. رواهما ابن أبي حاتم، وإنما حمله على هذا قرنه بقوله تعالى: ﴿وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾﴾ أي: جمع كأنه أقسم بالضياء والظلام.

وقال ابن جرير: أقسم الله بالنهار مدبراً وبالليل مقبلاً[٣].

وقال ابن جرير: وقال آخرون: الشفق اسم للحمرة والبياض. وقالوا: هو من الأضداد[٤].

قال ابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة: ﴿وَمَا وَسَقَ﴾ وما جمع[٥].

قال قتادة: وما جمع من نجم ودابة[٦]، واستشهد ابن عباس بقول الشاعر:

مستوسقات لو يجدن سائقاً[٧]

وقال عكرمة: ﴿وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾﴾ يقول ما ساق من ظلمة إذا كان الليل ذهب كل شيء إلى مأواه[٨].

وقوله تعالى: ﴿وَٱلۡقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ﴿١٨﴾﴾ قال ابن عباس: إذا اجتمع واستوى[٩]، وكذا قال عكرمة ومجاهد وسعيد بن جبير ومسروق وأبو صالح والضحاك وابن زيد[١٠].

﴿وَٱلۡقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ﴿١٨﴾﴾ إذا استوى. وقال الحسن: إذا اجتمع إذا امتلأ[١١]، وقال قتادة: إذا استدار[١٢]. ومعنى كلامهم أنه إذا تكامل نوره وأبدر جعله مقابلاً لليل وما وسق.

وقوله تعالى: ﴿لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٖ ﴿١٩﴾﴾ قال البخاري: أخبرنا سعيد بن النضر، أخبرنا هشيم، أخبرنا أبو بشر، عن مجاهد قال: قال ابن عباس: ﴿لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٖ ﴿١٩﴾﴾ حالاً بعد حال، قال: هذا نبيكم ﷺ[١٣]، هكذا رواه البخاري بهذا اللفظ. وهو محتمل أن يكون ابن

---

(١) أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.
(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (المصنف ١/٣٣٣)؛ والطبري بسند حسن من طريق العوام بن حوشب عن مجاهد بلفظ: «إن الشفق من الشمس».
(٣) ذكره الطبري بلفظه.
(٤) ذكره الطبري بلفظه.
(٥) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق مجاهد عن ابن عباس، وأخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق أبي رجاء عن الحسن؛ وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة.
(٦) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.
(٧) هذا الشطر تتمة لرواية ابن عباس السابقة وقد استشهد به أبو عبيدة معمر بن المثنىٰ (مجاز القرآن ٢/٢٩٢).
(٨) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق علي بن الحسن، وهو ابن شقيق المروزي، عن حسين، وهو ابن واقد المروزي، عن عكرمة.
(٩) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس.
(١٠) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق سماك عن عكرمة؛ وأخرجه أيضاً آدم والطبري بسند صحيح من طريق منصور عن مجاهد، وأخرجه أيضاً الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.
(١١) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق أبي رجاء عن الحسن.
(١٢) أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة.
(١٣) أخرجه البخاري بسنده ومتنه (الصحيح، التفسير، باب ﴿لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٖ ﴿١٩﴾﴾ [الانشقاق] ح٤٩٤٠).

عباس أسند هذا التفسير عن النبي ﷺ كأنه قال: سمعت هذا من نبيكم ﷺ، فيكون قوله نبيكم مرفوعاً على الفاعلية من قال، وهو الأظهر، والله أعلم كما قال أنس: لا يأتي عام إلا والذي بعده شر منه سمعته من نبيكم ﷺ(١).

وقال ابن جرير: حدثني يعقوب بن إبراهيم، حدثنا هشيم، أخبرنا أبو بشر، عن مجاهد، أن ابن عباس كان يقول: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ۝١٩﴾ قال يعني: نبيكم ﷺ يقول: «حالاً بعد حال»(٢)، وهذا لفظه.

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ حالاً بعد حال(٣). وكذا قال عكرمة ومُرة الطيب ومجاهد والحسن والضحاك ومسروق وأبو صالح(٤).

ويحتمل أن يكون المراد ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ۝١٩﴾ حالاً بعد حال، قال هذا. يعني المراد بهذا نبيكم ﷺ فيكون مرفوعاً على أن هذا ونبيكم يكونان مبتدأ وخبراً والله أعلم، ولعلَّ هذا قد يكون هو المتبادر إلى كثير من الرواة كما قال أبو داود الطيالسي وغندر: حدثنا شعبة، عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ۝١٩﴾ قال: محمد ﷺ(٥). ويؤيد هذا المعنى قراءة عمر وابن مسعود وابن عباس وعامة أهل مكة والكوفة لتركَبَن بفتح التاء والباء(٦).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا أبو أسامة، عن إسماعيل، عن الشعبي: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ۝١٩﴾ قال: لتركبن يا محمد سماء بعد سماء(٧). وهكذا روي عن ابن مسعود ومسروق وأبي العالية ﴿طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ سماء بعد سماء(٨).

(قلت): يعنون ليلة الإسراء.

وقال أبو إسحاق والسدي، عن رجل، عن ابن عباس: ﴿طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ منزلاً على منزل(٩)، وكذا رواه العوفي، عن ابن عباس مثله وزاد: ويقال: أمراً بعد أمر وحالاً بعد حال(١٠).

---

(١) صحيح البخاري، الفتن، باب لا يأتي زمان إلا الذي بعده شر منه (ح٧٠٦٨).
(٢) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده صحيح؛ وأخرجه الحاكم من طريق هشيم به وصححه ووافقه الذهبي. (المستدرك ٢/٥١٩).
(٣) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق علي به.
(٤) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق سماك عن عكرمة، وأخرجه عبد الرزاق بسند حسن من طريق موسىٰ بن أبي عائشة عن مُرة؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق أبي رجاء عن الحسن.
(٥) سنده صحيح.
(٦) وهي قراءة متواترة.
(٧) أخرجه الطبري من طريق وكيع عن إسماعيل به، وسنده صحيح.
(٨) أخرجه الطبري والحاكم من طريقين يقوي أحدها الآخر (المستدرك ٢/٥١٨)؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق قتادة عن الحسن وأبي العالية.
(٩) سنده ضعيف لإبهام الراوي عن ابن عباس؛ وأخرجه الطبري عن أبي إسحاق عن رجل حدثه عن ابن عباس.
(١٠) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به.

وقال السدي نفسه: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ۝١٩﴾ أعمال مَنْ قبلكم منزلاً بعد منزل.

(قلت): كأنه أراد معنى الحديث الصحيح: «لتركبن سنن مَنْ كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه» قالوا: يا رسول الله، اليهود والنصارى قال: «فمن؟»[(١)]. وهذا محتمل.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا هشام بن عمار، حدثنا صدقة، حدثنا ابن جابر أنه سمع مكحولاً يقول في قول الله: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ۝١٩﴾ قال: في كل عشرين سنة تحدثون أمراً لم تكونوا عليه[(٢)].

وقال الأعمش: حدثنا إبراهيم قال: قال عبد الله: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ۝١٩﴾، قال: السماء تتشقق ثم تحمر ثم تكون لوناً بعد لون[(٣)].

وقال الثوري، عن [قيس][(٤)] بن وهب، عن مُرَّة، عن ابن مسعود: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ۝١٩﴾ قال: السماء مَرَّة كالدهان ومَرَّة تنشق[(٥)].

وروى البزار من طريق جابر الجعفي، عن الشعبي، عن علقمة، عن عبد الله بن مسعود: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ۝١٩﴾ يا محمد يعني حالاً بعد حال، ثم قال: ورواه جابر، عن مجاهد، عن ابن عباس[(٦)].

وقال سعيد بن جبير ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ۝١٩﴾ قال: قوم كانوا في الدنيا خسيس أمرهم فارتفعوا في الآخرة، وآخرون كانوا أشرافاً في الدنيا فاتضعوا في الآخرة[(٧)].

وقال عكرمة: ﴿طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ حالاً بعد حال فطيماً بعد ما كان رضيعاً، وشيخاً بعد ما كان شاباً.

وقال الحسن البصري: ﴿طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ يقول: حالاً بعد حال، رخاء بعد شدة، وشدة بعد رخاء، وغنى بعد فقر، وفقراً بعد غنى، وصحة بعد سقم، وسقماً بعد صحة[(٨)].

وقال ابن أبي حاتم: ذُكر عن عبد الله بن زاهر، حدثني أبي، عن عمرو بن شمر، عن جابر هو: الجعفي، عن محمد بن علي، عن جابر بن عبد الله قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن ابن آدم لفي غفلة مما خلق له إن الله تعالى إذا أراد خلقه قال للملك: اكتب رزقه، اكتب أجله،

---

(١) تقدم تخريجه في تفسير سورة التوبة (ح٣٤).
(٢) سنده مرسل ضعيف ومثل هذا المتن لا يؤخذ إلا من الوحي لأنه غيب.
(٣) سنده منقطع لأن إبراهيم لم يسمع من ابن مسعود ويتقوىٰ بما يليه.
(٤) كذا في (ح) و(حم) وترجمته، وفي الأصل صحف إلى: «قوس».
(٥) أخرجه الطبري عن ابن حميد عن مهران عن سفيان به، وفي سنده ابن حميد وهو محمد بن حميد الرازي وهو ضعيف لكنه توبع؛ فقد أخرجه آدم بن أبي إياس من طريق السدي عن مُرة عن ابن مسعود، وسنده حسن.
(٦) أخرجه البزار من طريق شريك عن جابر به. قال ابن حجر: وجابر ضعيف (مختصر زوائد مسند البزار ٢/ ١١٦ ح١٥٢٧).
(٧) عزاه السيوطي إلى ابن المنذر.
(٨) عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد عن قتادة بنحوه.

اكتب أثره، اكتب شقياً أو سعيداً. ثم يرتفع ذلك الملك ويبعث الله إليه ملكاً آخر فيحفظه حتى يدرك، ثم يرتفع ذلك الملك ثم يوكل الله به ملكين يكتبان حسناته وسيئاته، فإذا حضره الموت ارتفع ذانك الملكان وجاءه ملك الموت فقبض روحه، فإذا دخل قبره ردَّ الروح في جسده. ثم ارتفع ملك الموت وجاء ملكا القبر فامتحناه ثم يرتفعان، فإذا قامت الساعة انحطَّ عليه ملك الحسنات وملك السيئات، فانتشطا كتاباً معقوداً في عنقه، ثم حضرا معه واحداً سائقاً وآخر شهيداً[(١)].

ثم قال الله تعالى: ﴿لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا﴾ [ق: ٢٢]» قال رسول الله ﷺ: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾﴾ قال: «حالاً بعد حال» ثم قال النبي ﷺ: «إن قدامكم لأمراً عظيماً لا تقدرونه فاستعينوا بالله العظيم»[(٢)] هذا حديث منكر، وإسناده فيه ضعفاء ولكن معناه صحيح، والله سبحانه وتعالى أعلم.

ثم قال ابن جرير بعد ما حكى أقوال الناس في هذه الآية من القراء والمفسرين: والصواب من التأويل قول من قال: لتركبن أنت يا محمد حالاً بعد حال وأمراً بعد أمر من الشدائد، والمراد بذلك وإن كان الخطاب موجهاً إلى رسول الله ﷺ جميع الناس وأنهم يلقون من شدائد يوم القيامة وأحواله أهوالاً[(٣)].

وقوله تعالى: ﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢١﴾﴾ أي: فماذا يمنعهم من الإيمان بالله ورسوله واليوم الآخر؟ وما لهم إذا قرئت عليهم آيات الله وكلامه وهو هذا القرآن لا يسجدون إعظاماً وإكراماً واحتراماً؟

وقوله تعالى: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُكَذِّبُونَ ﴿٢٢﴾﴾ أي: من سجيتهم التكذيب والعناد والمخالفة للحق ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾﴾ قال مجاهد وقتادة: يكتمون في صدورهم[(٤)]. ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾﴾ أي: فأخبرهم يا محمد بأن الله ﷻ قد أعدَّ لهم عذاباً أليماً.

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ هذا استثناء منقطع يعني: لكن الذين آمنوا؛ أي: بقلوبهم وعملوا الصالحات؛ أي: بجوارحهم ﴿لَهُمْ أَجْرٌ﴾ أي: في الدار الآخرة ﴿غَيْرُ مَمْنُونٍۭ﴾ قال ابن عباس: غير منقوص[(٥)].

وقال مجاهد والضحاك: غير محسوب[(٦)]، وحاصل قولهما أنه غير مقطوع كما قال تعالى: ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود: ١٠٨].

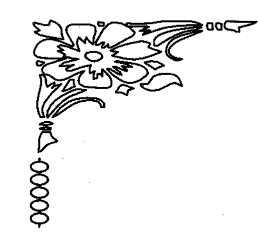
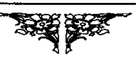
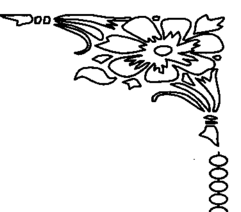
وقال السدي: قال بعضهم: ﴿غَيْرُ مَمْنُونٍۭ﴾: غير منقوص.

---

(١) سنده ضعيف لضعف جابر الجعفي كما تقدم في الرواية السابق عن الحافظ ابن حجر.
(٢) أخرجه أبو نعيم بسند فيه جابر الجعفي، وهو ضعيف كما تقدم. (حلية الأولياء ٣/ ١٩٠).
(٣) ذكره الطبري بنحوه.
(٤) أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد؛ وأخرجه عبد الرزاق والطبري بسند صحيح من طريق معمر عن قتادة.
(٥) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس.
(٦) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق ابن جريج عن مجاهد، وهو لم يسمع من مجاهد.

وقال بعضهم: غير ممنون عليهم، وهذا القول الأخير عن بعضهم قد أنكره غير واحد، فإن الله ﷻ له المنة على أهل الجنة في كل حال وآن ولحظة، وإنما دخلوها بفضله ورحمته لا بأعمالهم فله عليهم المنة دائماً سرمداً والحمد لله وحده أبداً، ولهذا يلهمون تسبيحه وتحميده كما يلهمون النفس، ﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [يونس: ١٠].

آخر تفسير سورة الانشقاق، ولله الحمد.

سُورَةُ البُرُوجِ

وهي مكية

قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الصمد، حدثنا زريق بن أبي سلمى، حدثنا أبو المُهزِّم، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في العشاء الآخرة بـ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ۝١﴾ ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ۝١﴾(١).

وقال أحمد: حدثنا أبو سعيد مولى بني هاشم، حدثنا حماد بن عباد السدوسي، سمعت أبا المهزم يحدث، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ أمر أن يقرأ بالسمٰوات في العشاء(٢)، تفرد به أحمد.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ۝١ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ۝٢ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ۝٣ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ۝٤ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ۝٥ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝٦ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝٧ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ۝٨ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۝٩ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ۝١٠﴾.

يقسم تعالى بالسماء وبروجها وهي النجوم العظام كما تقدم بيان ذلك في قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا ۝٦١﴾ [الفرقان] قال ابن عباس ومجاهد والضحاك والحسن وقتادة والسدي: البروج: النجوم(٣).

وعن مجاهد أيضاً: البروج التي فيها الحرس.

وقال يحيى بن رافع: البروج قصور في السماء.

وقال المنهال بن عمرو: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ۝١﴾ الخلق الحسن، واختار [ابن جرير](٤) أنها منازل الشمس والقمر وهي اثنا عشر برجاً، تسير الشمس في كل واحد منها شهراً، ويسير القمر في كل واحد منها يومين وثلثاً، فذلك ثمانية وعشرون منزلة ويستمر ليلتين(٥).

---

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده، وضعف سنده محققوه لضعف أبي المُهزِّم. (المسند ١٤/ ٧٧ ـ ٧٨ ح٨٣٣٢).

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه، وضعف سنده محققوه كسابقه. (المسند ١٤/ ٧٨ ح٨٣٣٣).

(٣) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي عن ابن عباس بلفظ: «قصور في السماء»؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد بلفظ: «النجوم»؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة.

(٤) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل صحف إلى: «ابن خيثمة».

(٥) ذكره الطبري بنحوه.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ۝٢ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ۝٣﴾ اختلف المفسرون في ذلك وقد قال ابن أبي حاتم: حدثنا عبد الله بن محمد بن عمرو الغزي، حدثنا عبيد الله يعني - ابن موسى - حدثنا موسى بن عبيدة، عن أيوب بن خالد بن صفوان بن أوس الأنصاري، عن عبد الله بن رافع، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «﴿وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ۝٢﴾ يوم القيامة، ﴿وَشَاهِدٍ﴾ يوم الجمعة؛ وما طلعت شمس ولا غربت على يوم أفضل من يوم الجمعة، وفيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله فيها خيراً إلا أعطاه إياه، ولا يستعيذ فيها من شر إلا أعاذه، ﴿وَمَشْهُودٍ﴾ يوم عرفة»[١] وهكذا روى هذا الحديث ابن خزيمة من طرق عن موسى بن عبيدة الربذي وهو ضعيف الحديث، وقد روي موقوفاً على أبي هريرة، وهو أشبه.

وقال الإمام أحمد: حدثنا محمد، حدثنا شعبة، سمعت علي بن زيد ويونس بن عبيد يحدثان عن عمار - مولى بني هاشم -، عن أبي هريرة، أما علي فرفعه إلى النبي ﷺ، وأما يونس فلم يَعدُ أبا هريرة أنه قال في هذه الآية ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ۝٣﴾ قال: يعني الشاهد يوم الجمعة، ويوم مشهود يوم القيامة[٢].

وقال أحمد أيضاً: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن يونس، سمعت عماراً مولى بني هاشم يحدث عن أبي هريرة أنه قال في هذه الآية ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ۝٣﴾ قال: الشاهد يوم الجمعة، والمشهود يوم عرفة، والموعود، يوم القيامة[٣].

وقد روي عن أبي هريرة أنه قال: اليوم الموعود: يوم القيامة، وكذلك قال الحسن وقتادة وابن زيد[٤]. ولم أرهم يختلفون في ذلك، ولله الحمد.

ثم قال ابن جرير: حدثنا محمد بن عوف، حدثنا محمد بن إسماعيل بن عياش، حدثني أبي، حدثنا ضمضم بن زرعة، عن شريح بن عبيد، عن أبي مالك الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: «اليوم الموعود يوم القيامة، وإن الشاهد يوم الجمعة، وإن المشهود يوم عرفة ويوم الجمعة ذخره الله لنا»[٥].

ثم قال ابن جرير: حدثنا سهل بن موسى الرازي، حدثنا ابن أبي فديك، عن ابن حرملة، عن سعيد بن المسيب أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن سيد الأيام يوم الجمعة، وهو الشاهد،

---

(١) سنده ضعيف لضعف موسىٰ بن عبيدة وهو الربذي كما قرر الحافظ ابن كثير، ولكنه توبع كما سيأتي في رواية الإمام أحمد، فيكون سنده حسناً لغيره.

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه، وقال محققوه: المرفوع منه ضعيف لضعف علي بن زيد، وهو ابن جدعان، والموقوف لا بأس به. رجاله رجال الصحيح. (المسند ١٣/ ٣٥١ ح٧٩٧٢)؛ وأخرجه الحاكم بالسند نفسه وصححه ووافقه الذهبي. (المستدرك ٢/ ٥١٩).

(٣) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه، وصحح سنده محققوه. (المسند ١٣/ ٣٥٢ ح٧٩٧٣).

(٤) قول أبي هريرة تقدم صحيحاً في الرواية السابقة، وقول قتادة أخرجه عبد الرزاق والطبري بسند صحيح من طريق معمر، وقول ابن زيد أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عنه.

(٥) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده ضعيف لضعف رواية محمد بن إسماعيل بن عياش عن أبيه. (التقريب ص٤٦٨).

والمشهود يوم عرفة»[١]. وهذا مرسل من مراسيل سعيد بن المسيب.

ثم قال ابن جرير: حدثنا أبو كريب، حدثنا وكيع، عن شعبة، عن علي بن زيد، عن يوسف المكي، عن ابن عباس قال: الشاهد: هو محمد ﷺ، والمشهود: يوم القيامة، ثم قرأ ﴿ذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّجۡمُوعٞ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّشۡهُودٞ﴾[٢] [هود: ١٠٣].

وحدثنا ابن حميد: حدثنا جرير، عن مغيرة، عن شِباك قال: سأل رجل الحسن بن علي، عن ﴿وَشَاهِدٖ وَمَشۡهُودٖ ۝٣﴾ قال: سألت أحداً قبلي؟ قال: نعم، سألت ابن عمر وابن الزبير فقالا: يوم الذبح ويوم الجمعة، فقال: لا، ولكن الشاهد: محمد ﷺ، ثم قرأ: ﴿فَكَيۡفَ إِذَا جِئۡنَا مِن كُلِّ أُمَّةِۭ بِشَهِيدٖ وَجِئۡنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدٗا ۝٤١﴾ [النساء] والمشهود: يوم القيامة ثم قرأ: ﴿ذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّجۡمُوعٞ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّشۡهُودٞ﴾[٣] [هود: ١٠٣]. وهكذا قال الحسن البصري.

وقال سفيان الثوري، عن ابن حرملة، عن سعيد بن المسيب: ومشهود يوم القيامة[٤].

وقال مجاهد وعكرمة والضحاك: الشاهد: ابن آدم، والمشهود: يوم القيامة[٥].

وعن عكرمة أيضاً: الشاهد: محمد ﷺ، والمشهود: يوم الجمعة[٦].

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: الشاهد الله والمشهود يوم القيامة[٧].

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا أبو نعيم الفضل بن دكين، حدثنا سفيان، عن أبي يحيى القتات، عن مجاهد، عن ابن عباس ﴿وَشَاهِدٖ وَمَشۡهُودٖ ۝٣﴾ قال الشاهد الإنسان، والمشهود يوم الجمعة[٨]، هكذا رواه ابن أبي حاتم.

وقال ابن جرير: حدثنا ابن حميد، حدثنا مهران، عن سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، عن ابن عباس ﴿وَشَاهِدٖ وَمَشۡهُودٖ ۝٣﴾ الشاهد: يوم عرفة، والمشهود: يوم القيامة[٩]، وبه عن سفيان الثوري، عن مغيرة، عن إبراهيم قال: يوم الذبح ويوم عرفة يعني: الشاهد والمشهود[١٠].

قال ابن جرير: وقال آخرون: المشهود: يوم الجمعة، ورووا في ذلك ما حدثنا أحمد بن عبد الرحمٰن: حدثني عمي عبد الله بن وهب، أخبرني عمرو بن الحارث، عن سعيد بن أبي

---

(١) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده مرسل.

(٢) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده ضعيف لضعف علي بن زيد وهو ابن جدعان.

(٣) أخرجه الطبري بسنده ومتنه؛ وأخرجه آدم بن أبي إياس عن ورقاء عن المغيرة به، وسنده حسن.

(٤) أخرجه الطبري من طريق سفيان به؛ وأخرجه عبد الرزاق من طريق عبد الرحمٰن بن حرملة به، وسنده جيد.

(٥) أخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق خالد الحذاء عن عكرمة.

(٦) أخرجه الطبري بسند فيه ابن حميد وهو محمد بن حميد وهو ضعيف.

(٧) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق علي به.

(٨) سنده ضعيف لضعف أبي يحيىٰ القتات.

(٩) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وفي سنده ابن حميد وهو محمد بن حميد وهو ضعيف.

(١٠) سنده كسابقه في ابن حميد وهو محمد بن حميد وهو ضعيف.

هلال، عن زيد بن أيمن، عن عُبادة بن نسي، عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: «أكثروا علي من الصلاة يوم الجمعة فإنه يوم مشهود تشهده الملائكة»[١]. وعن سعيد بن جبير الشاهد الله، وتلا: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٧٩] والمشهود: نحن، حكاه البغوي، وقال الأكثرون على أن الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة.

وقوله تعالى: ﴿قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ ۝٤﴾ أي: لُعنَ أصحاب الأخدود، وجمعه أخاديد وهي: الحفر في الأرض، وهذا خبر عن قوم من الكفار عمدوا إلى من عندهم من المؤمنين بالله ﷻ، فقهروهم وأرادوهم أن يرجعوا عن دينهم، فأبوا عليهم فحفروا لهم في الأرض أخدوداً، وأججوا فيه ناراً وأعدوا لها وقوداً يسعرونها به، ثم أرادوهم فلم يقبلوا منهم فقذفوهم فيها ولهذا قال تعالى: ﴿قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ ۝٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلۡوَقُودِ ۝٥ إِذۡ هُمۡ عَلَيۡهَا قُعُودٞ ۝٦ وَهُمۡ عَلَىٰ مَا يَفۡعَلُونَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ شُهُودٞ ۝٧﴾ أي: مشاهدون لما يفعل بأولئك المؤمنين.

قال الله تعالى: ﴿وَمَا نَقَمُواْ مِنۡهُمۡ إِلَّآ أَن يُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ۝٨﴾ أي: وما كان لهم عندهم ذنب إلا إيمانهم بالله العزيز الذي لا يضام من لاذ بجنابه المنيع؛ الحميد في جميع أقواله وأفعاله وشرعه وقدره، وإن كان قد قدر على عباده هؤلاء هذا الذي وقع بهم بأيدي الكفار به فهو العزيز الحميد، وإن خفي سبب ذلك على كثير من الناس[٢].

ثم قال تعالى: ﴿ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ من تمام الصفة أنه المالك لجميع السمٰوات والأرض وما فيهما وما بينهما ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ﴾ أي: لا يغيب عنه شيء في جميع السمٰوات والأرض ولا تخفى عليه خافية.

وقد اختلف أهل التفسير في أهل هذه القصة من هم؟ فعن علي أنهم أهل فارس حين أراد ملكهم تحليل تزويج المحارم، فامتنع عليهم علماؤهم فعمد إلى حفر أخدود، فقذف فيه من أنكر عليه منهم واستمر فيهم تحليل المحارم إلى اليوم. وعنه أنهم كانوا قوماً باليمن اقتتل مؤمنوهم ومشركوهم، فغلب مؤمنوهم على كفارهم، ثم اقتتلوا فغلب الكفار المؤمنين فخدوا لهم الأخاديد وأحرقوهم فيها، وعنه أنهم كانوا من أهل الحبشة واحدهم حبشي.

وقال العوفي، عن ابن عباس ﴿قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ ۝٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلۡوَقُودِ ۝٥﴾ قال: ناس من بني إسرائيل خَدُّوا أخدوداً في الأرض ثم أوقدوا فيه ناراً ثم أقاموا على ذلك الأخدود رجالاً ونساء فعرضوا عليها، وزعموا أنه: دانيال وأصحابه[٣]. وهكذا قال الضحاك بن مزاحم[٤]، وقيل غير ذلك.

وقد قال الإمام أحمد: حدثنا عفان، حدثنا حماد بن سلمة، عن ثابت، عن عبد الرحمٰن بن

---

(١) أخرجه الطبري بسنده ومتنه؛ وأخرجه ابن ماجه من طريق عبد الله بن وهب به (السنن، الجنائز، باب ذكر وفاته ﷺ ح١٦٣٧) وسنده ضعيف لأن عبادة لم يسمع من أبي الدرداء، وزيد بن أيمن مقبول. (التقريب ص٢٢٢)؛ وذكره الألباني في ضعيف سنن ابن ماجه.

(٢) أخرجه الطبري بسند فيه ابن حميد وهو محمد بن حميد وهو الرازي: ضعيف.

(٣) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي عن ابن عباس.

(٤) أخرجه الطبري بسند ضعيف فيه إبهام شيخه.

أبي ليلى، عن صهيب، أن رسول الله ﷺ قال: «كان فيمن كان قبلكم ملك وكان له ساحر، فلما كبر الساحر قال للملك: إني قد كبر سني وحضر أجلي، فادفع إلي غلاماً لأعلمه السحر فدفع إليه غلاماً فكان يعلمه السحر، وكان بين الساحر وبين الملك راهب فأتى الغلام على الراهب فسمع من كلامه فأعجبه نحوه وكلامه، وكان إذا أتى الساحر ضربه وقال: ما حبسك؟ وإذا أتى أهله ضربوه وقالوا: ما حبسك؟ فشكا ذلك إلى الراهب فقال: إذا أراد الساحر أن يضربك فقل: حبسني أهلي، وإذا أراد أهلك أن يضربوك فقل: حبسني الساحر. قال: فبينما هو ذات يوم إذ أتى على دابة عظيمة فظيعة قد حبست الناس فلا يستطيعون أن يجوزوا. فقال: اليوم أعلم أمر الراهب أحب إلى الله أم أمر الساحر؟ قال: فأخذ حجراً فقال: اللّهم إن كان أمر الراهب أحب إليك وأرضى من أمر الساحر، فاقتل هذه الدابة حتى يجوز الناس، ورماها فقتلها ومضى الناس، فأخبر الراهب بذلك فقال: أي بني أنت أفضل مني وإنك ستبتلى، فإن ابتليت فلا تدل عليّ، فكان الغلام يبرئ الأكمه والأبرص وسائر الأدواء ويشفيهم، وكان للملك جليس فعمي فسمع به فأتاه بهدايا كثيرة فقال: اشفني ولك ما ههنا أجمع، فقال: ما أنا أشفي أحداً إنما يشفي الله ﷻ، فإن آمنت به دعوت الله فشفاك فآمن، فدعا الله فشفاه.

ثم أتى الملك فجلس منه نحو ما كان يجلس فقال له الملك: يا فلان من ردَّ عليك بصرك؟ فقال ربي: فقال: أنا. قال: لا، ربي وربك الله، قال: ولك رب غيري؟ قال: نعم ربي وربك الله، فلم يزل يعذبه حتى دلَّ على الغلام، فبعث إليه فقال: أي بني بلغ من سحرك أن تبرئ الأكمه والأبرص وهذه الأدواء! قال: ما أشفي أحداً إنما يشفي الله ﷻ، قال أنا؟ قال: لا. قال: أولك ربٌّ غيري؟ قال: ربي وربك الله، فأخذه أيضاً بالعذاب فلم يزل به حتى دلَّ على الراهب، فأتى بالراهب فقال: ارجع عن دينك فأبى، فوضع المنشار في مفرق رأسه حتى وقع شقاه، وقال للأعمى: ارجع عن دينك فأبى فوضع المنشار في مفرق رأسه حتى وقع شقاه إلى الأرض. وقال للغلام: ارجع عن دينك فأبى فبعث به مع نفر إلى جبل كذا وكذا، وقال: إذا بلغتم ذروته فإن رجع عن دينه وإلا فدهدهوه[1] من فوقه، فذهبوا به فلما علوا به الجبل قال: اللّهم اكفنيهم بما شئت، فرجف بهم الجبل فدهدهوا أجمعون، وجاء الغلام يتلمس حتى دخل على الملك فقال: ما فعل أصحابك؟ فقال كفانيهم الله تعالى، فبعث به مع نفر في قرقور[2] فقال: إذا لججتم به البحر فإن رجع عن دينه وإلا فغرقوه في البحر فلججوا به البحر فقال الغلام: اللّهم اكفنيهم بما شئت فغرقوا أجمعون.

وجاء الغلام حتى دخل على الملك فقال: ما فعل أصحابك؟ فقال: كفانيهم الله تعالى ثم قال للملك: إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما آمرك به، فإن أنت فعلت ما آمرك به قتلتني وإلا فإنك لا تستطيع قتلي، قال: وما هو؟ قال: تجمع الناس في صعيد واحد ثم تصلبني على جذع وتأخذ سهماً من كنانتي، ثم قل: باسم الله ربِّ الغلام، فإنك إذا فعلت ذلك قتلتني. ففعل ووضع السهم في كبد قوسه ثم رماه وقال: باسم الله ربِّ الغلام، فوقع السهم في صدغه، فوضع الغلام

---

(١) أي: دحرجوه.
(٢) القارب الصغير يسير في النهر والبحر.

يده على موضع السهم ومات، فقال الناس: آمنا بربِّ الغلام. فقيل للملك: أرأيت ما كنت تحذر؟ فقد والله نزل بك؛ قد آمن الناس كلهم، فأمر بأفواه السكك، فخدت فيها الأخاديد وأُضرمت فيها النيران، وقال: من رجع عن دينه فدعوه وإلا فأقحموه فيها، قال فكانوا يتعادون فيها ويتدافعون فجاءت امرأة بابن لها ترضعه، فكأنها تقاعست أن تقع في النار فقال الصبي: اصبري يا أُماه فإنك على الحق»[١].

وهكذا رواه مسلم في آخر الصحيح عن هدبة بن خالد، عن حماد بن سلمة به نحوه[٢]، ورواه النسائي، عن أحمد بن سلمان، عن عفان، عن حماد بن سلمة. ومن طريق حماد بن زيد كلاهما، عن ثابت به واختصروا أوله[٣]، وقد جوده الإمام أبو عيسى الترمذي فرواه في تفسير هذه السورة عن محمود بن غيلان وعبد بن حميد ـ المعنى واحد ـ قالا: أخبرنا عبد الرزاق، عن معمر، عن ثابت البُناني، عن عبد الرحمٰن بن أبي ليلى، عن صُهيب قال: كان رسول الله ﷺ إذا صلى العصر همس. والهمس في بعض قولهم: تحريك شفتيه كأنه يتكلم فقيل له: إنك يا رسول الله إذا صليت العصر همست، قال: «إن نبياً من الأنبياء كان أعجب بأمته فقال: من يقوم لهؤلاء؟ فأوحى الله إليه أن خيرهم بين أن أنتقم منهم، وبين أن أسلط عليهم عدوهم، فاختاروا النقمة، فسلط الله عليهم الموت فمات منهم في يوم سبعون ألفاً» قال: وكان إذا حدث بهذا الحديث، حدث بهذا الحديث الآخر قال: كان ملك من الملوك، وكان لذلك الملك كاهن يتكهن له، فقال الكاهن: انظروا لي غلاماً فهماً أو قال: فطناً لقناً فأعلمه علمي هذا، فذكر القصة بتمامها، وقال في آخره: يقول الله ﷻ: ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ۝٥﴾ حتى بلغ ﴿ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾.

قال: فأما الغلام فإنه دفن، فيذكر أنه أخرج في زمان عمر بن الخطاب وأصبعه على صدغه كما وضعها حين قتل، ثم قال الترمذي: حسن غريب[٤]، وهذا السياق ليس فيه صراحة، أن سياق هذه القصة من كلام النبي ﷺ.

قال شيخنا الحافظ أبو الحجاج المزي: فيحتمل أن يكون من كلام صهيب الرومي، فإنه كان عنده علم من أخبار النصارى؛ والله أعلم.

وقد أورد محمد بن إسحاق بن يسار هذه القصة في السيرة بسياق آخر فيها مخالفة لما تقدم فقال: حدثني يزيد بن زياد، عن محمد بن كعب القرظي، وحدثني أيضاً بعض أهل نجران عن أهلها أن أهل نجران كانوا أهل شرك يعبدون الأوثان، وكان في قرية من قراها قريباً من نجران ـ ونجران هي القرية العظمى التي إليها جماع أهل تلك البلاد ـ ساحر يعلم غلمان أهل نجران السحر، فلما نزلها فيمون ولم يسموه لي بالاسم الذي سماه ابن منبه، قالوا: نزلها رجل فابتنى

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٦/١٦) وسنده صحيح.

(٢) صحيح مسلم، الزهد والرقائق، باب قصة أصحاب الأخدود (ح٣٠٠٥).

(٣) السنن الكبرىٰ، التفسير، باب قتل أصحاب الأخدود (ح١١٦٦١).

(٤) سنن الترمذي، التفسير، باب ومن سورة البروج (ح٣٣٤٠).

خيمة بين نجران وبين تلك القرية التي فيها الساحر، وجعل أهل نجران يرسلون غلمانهم إلى ذلك الساحر يعلمهم السحر.

فبعث التامر ابنه عبد الله بن التامر مع غلمان أهل نجران، فكان إذا مر بصاحب الخيمة أعجبه ما يرى من عبادته وصلاته فجعل يجلس إليه ويسمع منه حتى أسلم فوحد الله وعبده، وجعل يسأله عن شرائع الإسلام حتى إذا فقه فيه جعل يسأله عن الاسم الأعظم، وكان يعلمه فكتمه إياه وقال له: يا ابن أخي إنك لن تحمله أخشى ضعفك عنه، والتامر أبو عبد الله لا يظن إلا أن ابنه يختلف إلى الساحر كما يختلف الغلمان، فلما رأى عبد الله أن صاحبه قد ضنَّ به عنه، وتخوف ضعفه فيه عمد إلى أقداح فجمعها ثم لم يبق لله اسماً يعلمه إلا كتبه في قدح لكل اسم قدح، حتى إذا حصاها أوقد ناراً ثم جعل يقذفها فيها قدحاً، حتى إذا مرّ بالاسم الأعظم قذف فيها بقدحه، فوثب القدح حتى خرج منها لم يضره شيء، فأخذه، ثم أتى به صاحبه فأخبره أنه قد علم الاسم الأعظم الذي قد كتبه، فقال: وما هو؟ قال: هو كذا وكذا، قال: وكيف علمته؟ فأخبره بما صنع، فقال: أي ابن أخي قد أصبته فأمسك على نفسك، وما أظن أن تفعل.

فجعل عبد الله بن التامر إذا دخل نجران لم يلق أحداً به ضر إلا قال له: يا عبد الله أتوحد الله وتدخل في ديني، وأدعو الله لك فيعافيك مما أنت فيه من البلاء؟ فيقول: نعم، فيوحد الله ويسلم، فيدعو الله له، فيشفى حتى لم يبق بنجران أحد به ضر إلا أتاه، فاتبعه على أمره ودعا له، فعوفي حتى رفع شأنه إلى ملك نجران، فدعاه فقال له: أفسدت عليَّ أهل قريتي وخالفت ديني ودين آبائي، لأمثلن بك، قال: لا تقدر على ذلك، قال: فجعل يرسل به إلى الجبل الطويل فيطرح على رأسه فيقع إلى الأرض ما به بأس، وجعل يبعث به إلى مياه نجران؛ بحور لا يلقى فيها شيء إلا هلك فيلقى به فيها، فيخرج ليس به بأس، فلما غلبه قال له عبد الله بن التامر: إنك والله لا تقدر على قتلي حتى تؤمن بما آمنت به وتوحد الله، فإنك إن فعلت سلطت علي فقتلتني، قال: فوحد الله ذلك الملك وشهد شهادة عبد الله بن التامر، ثم ضربه بعصا في يده فشجه شجة غير كبيرة فقتله، وهلك الملك مكانه واستجمع أهل نجران على دين عبد الله بن التامر، وكان على ما جاء به عيسى ابن مريم عليه السلام من الإنجيل وحكمه، ثم أصابهم ما أصاب أهل دينهم من الأحداث، فمن هنالك كان أصل دين النصرانية بنجران.

قال ابن إسحاق: فهذا حديث محمد بن كعب القرظي وبعض أهل نجران عن عبد الله بن التامر فالله أعلم أي ذلك كان، قال: فسار إليهم ذو نواس بجنده فدعاهم إلى اليهودية وخيَّرهم بين ذلك أو القتل فاختاروا القتل، فخدَّ الأخدود فحرق بالنار وقتل بالسيف، ومثَّل بهم حتى قتل منهم قريباً من عشرين ألفاً، ففي ذي نواس وجنده أنزل الله عز وجل على رسوله ﷺ: ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُواْ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٨﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾﴾[1].

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ١/ ٣٤، وسنده مرسل.

هكذا ذكر محمد بن إسحاق في السيرة أن الذي قتل أصحاب الأخدود هو: ذو نواس واسمه زرعة، ويسمى في زمان مملكته بيوسف، وهو: ابن بيان أسعد أبي كريب، وهو تُبَّع الذي غزا المدينة وكسى الكعبة واستصحب معه حبرين من يهود المدينة، فكان تهوَّد من تهوَّد من أهل اليمن على يديهما كما ذكره ابن إسحاق مبسوطاً، فقتل ذو نواس في غداة واحدة في الأخدود عشرين ألفاً ولم ينج منهم سوى رجل واحد يقال له: دوس ذو ثعلبان، ذهب فارساً وطردوا وراءه فلم يقدروا عليه فذهب إلى قيصر ملك الشام فكتب إلى النجاشي ملك الحبشة، فأرسل معه جيشاً من نصارى الحبشة يقدمهم أرياط وأبرهة فاستنقذوا اليمن من أيدي اليهود، وذهب ذو نواس هارباً فلجج في البحر فغرق، واستمر ملك الحبشة في أيدي النصارى سبعين سنة، ثم استنقذه سيف بن ذي يزن الحميري من أيدي النصارى لما استجاش بكسرى ملك الفرس، فأرسل معه من في السجون فكانوا قريباً من سبعمائة، ففتح بهم اليمن ورجع الملك إلى حمير، وسنذكر طرفاً من ذلك إن شاء الله في تفسير سورة ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ①﴾ [الفيل].

وقال ابن إسحاق: وحدثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم أنه حدث أن رجلاً من أهل نجران كان في زمان عمر بن الخطاب حفر خربة من خرب نجران لبعض حاجته، فوجد عبد الله بن التامر تحت دفن فيها قاعداً واضعاً يده على ضربة في رأسه ممسكاً عليها بيده، فإذا أخذت يده عنها تفجرت دماً، وإذا أرسلت يده ردت عليها فأمسكت دمها، وفي يده خاتم مكتوب فيه ربي الله، فكتب فيه إلى عمر بن الخطاب يخبره بأمره، فكتب عمر إليهم أن أقروه على حاله، وردُّوا عليه الدفن الذي كان عليه ففعلوا[1].

وقد قال أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا رَحِمَهُ اللَّهُ: حدثنا أبو بلال الأشعري، حدثنا إبراهيم بن محمد، عن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، حدثني بعض أهل العلم أن أبا موسى لما افتتح أصبهان وجد حائطاً من حيطان المدينة قد سقط، فبناه فسقط ثم بناه فسقط، فقيل له: إن تحته رجلاً صالحاً، فحفر الأساس فوجد فيه رجلاً قائماً معه سيف فيه مكتوب: أنا الحارث بن مضاض نقمت على أصحاب الأخدود، فاستخرجه أبو موسى وبنى الحائط فثبت.

(قلت): هو الحارث بن مضاض بن عمرو بن مضاض بن عمرو الجُرهمي، أحد ملوك جُرهم الذين ولوا أمر الكعبة بعد ولد ثابت بن إسماعيل بن إبراهيم، وولد الحارث هذا هو عمرو بن الحارث بن مضاض هو آخر ملوك جرهم بمكة لما أخرجتهم خزاعة وأجلوهم إلى اليمن، وهو القائل في شعره الذي قال ابن هشام[2] إنه أول شعر قالته العرب:

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا ... أنيس ولم يسمر بمكة سامر
بلى نحن كنا أهلها فأبادنا ... صروف الليالي والجدود العواثر

وهذا يقتضي أن هذه القصة كانت قديماً بعد زمان إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ بقرب من خمسمائة سنة أو نحوها، وما ذكره ابن إسحاق يقتضي أن قصتهم كانت في زمن الفترة التي بين عيسى ومحمد عليهما من الله السلام وهو أشبه، والله أعلم.

---

(١) المصدر السابق ١/٣٦، وسنده منقطع. (٢) المصدر السابق ١/١١٥.

وقد يحتمل أن ذلك قد وقع في العالم كثيراً كما قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا أبو اليمان، أخبرنا صفوان، عن عبد الرحمٰن بن جبير قال: كانت الأخدود في اليمن زمان تبع وفي القسطنطينية زمان قسطنطين حين صرف النصارى قبلتهم عن دين المسيح والتوحيد، فاتخذوا أتوناً وألقي فيه النصارى الذين كانوا على دين المسيح والتوحيد، وفي العراق في أرض بابل بختنصر الذي صنع الصنم وأمر الناس أن يسجدوا له، فامتنع دانيال وصاحباه عزريا وميشائيل، فأوقد لهم أتوناً وألقى فيه الحطب والنار ثم ألقاهما فيه، فجعلها الله تعالى عليهما برداً وسلاماً وأنقذهما منها وألقى فيها الذين بغوا عليه، وهم تسعة رهط فأكلتهم النار[١].

وقال أسباط، عن السدي في قوله تعالى: ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝٤﴾ قال: كانت الأخدود ثلاثة: خَدٌّ بالعراق، وخَدٌّ بالشام، وخَدٌّ باليمن[٢]. رواه ابن أبي حاتم.

وعن مقاتل قال: كانت الأخدود ثلاثة: واحد بنجران باليمن، والأخرى بالشام، والأخرى بفارس حرقوا بالنار، أما التي بالشام فهو: انطنانوس الرومي، وأما التي بفارس فهو: بختنصر، وأما التي بأرض العرب فهو: يوسف ذو نواس، فأما التي بفارس والشام فلم ينزل الله تعالى فيهما قرآناً وأنزل في التي كانت بنجران[٣].

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا أحمد بن عبد الرحمٰن الدشتكي، حدثنا عبد الله بن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع ـ هو ابن أنس ـ في قوله تعالى: ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝٤﴾ قال: سمعنا أنهم كانوا قوماً في زمان الفترة، فلما رأوا ما وقع في الناس من الفتنة والشر وصاروا أحزاباً كل حزب بما لديهم فرحون، اعتزلوا إلى قرية سكنوها وأقاموا على عبادة الله مخلصين له الدين حنفاء، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، فكان هذا أمرهم حتى سمع بهم جبار من الجبارين وحدث حديثهم فأرسل إليهم فأمرهم أن يعبدوا الأوثان التي اتخذوا، وأنهم أبوا عليه كلهم وقالوا: لا نعبد إلا الله وحده لا شريك له، فقال لهم: إن لم تعبدوا هذه الآلهة التي عبدت فإني قاتلكم، فأبوا عليه فخدَّ أخدوداً من نار، وقال لهم الجبار ووقفهم عليها: اختاروا هذه أو الذي نحن فيه، فقالوا: هذه أحب إلينا، وفيهم نساء وذرية ففزعت الذرية، فقالوا لهم ـ أي آباؤهم ـ: لا نار من بعد اليوم فوقعوا فيها، فقبضت أرواحهم من قبل أن يمسهم حرها وخرجت النار من مكانها فأحاطت بالجبارين فأحرقهم الله بها ففي ذلك أنزل الله ﷺ: ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ۝٥ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝٦ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝٧ وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝٨ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ۝٩﴾[٤]. ورواه ابن جرير: حُدثت عن عمار، عن عبد الله بن أبي جعفر به نحوه[٥].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ أي: حرقوا. قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك وابن أبزى[٦]. ﴿ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟﴾ أي: لم يقلعوا عما فعلوا ويندموا على ما أسلفوا

---

(١) سنده ضعيف لأنه مرسل. (٢) سنده ضعيف لأنه مرسل.
(٣) سنده ضعيف لأنه معضل. (٤) سنده ضعيف لأنه مرسل.
(٥) أخرجه الطبري بسند بنحوه، وسنده ضعيف لأنه مرسل وكذلك لإبهام شيخ الطبري.
(٦) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي عن ابن عباس، ويتقوىٰ بالأثرين التاليين: فقد أخرجه آدم بن =

﴿فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾ وذلك أن الجزاء من جنس العمل.

قال الحسن البصري: انظروا إلى هذا الكرم والجود قتلوا أولياءه وهو يدعوهم إلى التوبة والمغفرة.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ﴿١١﴾ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَاللَّهُ مِن وَرَائِهِم مُّحِيطٌ ﴿٢٠﴾ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴿٢٢﴾﴾.

يخبر تعالى عن عباده المؤمنين أن ﴿لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ بخلاف ما أعد لأعدائه من الحريق والجحيم، ولهذا قال: ﴿ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ﴾ ثم قال تعالى: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾﴾ أي: إن بطشه وانتقامه من أعدائه الذين كذبوا رسله وخالفوا أمره لشديد عظيم قوي؛ فإنه تعالى ذو القوة المتين الذي ما شاء كان كما يشاء في مثل لمح البصر أو هو أقرب، ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾﴾ أي: من قوته وقدرته التامة يبديء الخلق ويعيده كما بدأه بلا ممانع ولا مدافع ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ﴿١٤﴾﴾ أي: يغفر ذنب من تاب إليه وخضع لديه ولو كان الذنب من أي شيء كان، و﴿الْوَدُودُ﴾ قال ابن عباس وغيره: هو الحبيب[1].

﴿ذُو الْعَرْشِ﴾ أي: صاحب العرش العظيم العالي على جميع الخلائق، و﴿الْمَجِيدُ﴾ فيه قراءتان: الرفع على أنه صفة للربِّ ﷻ، والجر على أنه صفة للعرش[2]. وكلاهما معنى صحيح.

﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾﴾ أي: مهما أراد فعله؛ لا معقب لحكمه ولا يسأل عما يفعل لعظمته وقهره وحكمته وعدله؛ كما روينا عن أبي بكر الصديق أنه قيل له وهو في مرض الموت: هل نظر إليك الطبيب؟ قال: نعم. قالوا: فما قال لك؟ قال: قال لي: إني فعال لما أريد.

وقوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾﴾ أي: هل بلغك ما أحلَّ الله بهم من البأس وأنزل عليهم من النقمة التي لم يردها عنهم أحد؟ وهذا تقرير لقوله تعالى: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾﴾ أي: إذا أخذ الظالم أخذه أخذاً أليماً شديداً أخذ عزيز مقتدر.

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا علي بن محمد الطنافسي، حدثنا أبو بكر بن عياش، عن أبي إسحاق، عن عمرو بن ميمون قال: مرَّ النبي ﷺ على امرأة تقرأ: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ ﴿١٧﴾﴾ فقام يستمع فقال: «نعم قد جاءني»[3].

وقوله تعالى: ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾﴾ أي: هم في شك وريب وكفر وعناد ﴿وَاللَّهُ مِن

= أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة.

وأما قول الضحاك وابن أبزَىٰ فقد أخرجهما الطبري بسندين ضعيفين الأول فيه إبهام شيخ الطبري، والثاني فيه ضعف شيخ الطبري.

(١) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس.

(٢) القراءتان متواترتان.

(٣) سنده ضعيف لأنه مرسل.

﴿وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ۝٢٠﴾ أي: هو قادر عليهم قاهر لا يفوتونه ولا يعجزونه ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝٢١﴾ أي: عظيم كريم ﴿فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ۝٢٢﴾ أي: هو في الملأ الأعلى محفوظ من الزيادة والنقص والتحريف والتبديل.

قال ابن جرير: حدثنا عمرو بن علي، حدثنا قرة بن سليمان، حدثنا حرب بن سريج، حدثنا عبد العزيز بن صهيب، عن أنس بن مالك في قوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝٢١ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ۝٢٢﴾ قال: إن اللوح المحفوظ الذي ذكر الله ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝٢١ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ۝٢٢﴾ في جبهة إسرافيل[١]. وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا أبو صالح، حدثنا معاوية بن صالح أن أبا الأعبس ـ هو عبد الرحمٰن بن سلمان ـ قال: ما من شيء قضى الله القرآن فما قبله وما بعده: إلا وهو في اللوح المحفوظ، واللوح المحفوظ بين عيني إسرافيل لا يؤذن له بالنظر فيه[٢].

وقال الحسن البصري: إن هذا القرآن المجيد عند الله في لوح محفوظ ينزل منه ما يشاء على من يشاء من خلقه[٣].

وقد روى البغوي من طريق إسحاق بن بشر: أخبرني مقاتل وابن جريج، عن مجاهد، عن ابن عباس قال: إن في صدر اللوح لا إله إلا الله وحده، دينه الإسلام ومحمد عبده ورسوله، فمن آمن بالله وصدق بوعده واتبع رسله أدخله الجنة، قال: واللوح لوح من درة بيضاء طوله ما بين السماء والأرض، وعرضه ما بين المشرق والمغرب، وحافتاه من الدر والياقوت، ودفتاه ياقوتة حمراء، وقلمه نور، وكلامه معقود بالعرش، وأصله في حجر ملك[٤].

وقال مقاتل: اللوح المحفوظ عن يمين العرش.

وقال الطبراني: حدثنا محمد بن عثمان بن أبي [شيبة، حدثنا منجاب بن الحارث][٥]، حدثنا إبراهيم بن يوسف، حدثنا زياد بن عبد الله، عن ليث، عن عبد الملك بن سعيد بن جبير، عن أبيه، عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله تعالى خلق لوحاً محفوظاً من دُرَّة بيضاء صفحاتها من ياقوتة حمراء، قلمه نور وكتابه نور، لله فيه في كل يوم ستون وثلاثمائة لحظة، يخلق ويرزق، ويميت ويحيي، ويعزُّ ويذلُّ، ويفعل ما يشاء»[٦].

آخر تفسير سورة البروج، ولله الحمد والمنّة.

---

(١) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده ضعيف لضعف قرة بن سليمان (لسان الميزان ٤/ ٤٧٢) وحرب بن سُريج صدوق يخطيء. (التقريب ص١٥٥).

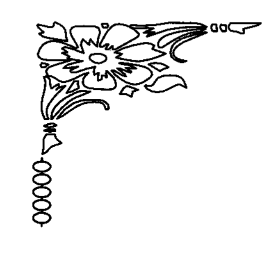
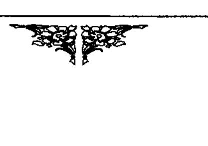
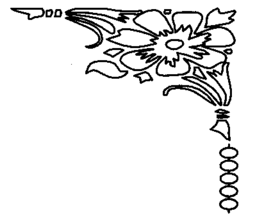
(٢) سنده ضعيف لأنه معضل.

(٣) معناه صحيح.

(٤) أخرجه البغوي من طريق إسماعيل بن عيسىٰ عن إسحاق بن بشر به (معالم التنزيل ٤/ ٤٧٢).
وسنده ضعيف جداً لأن إسحاق بن بشر متروك. (ينظر: لسان الميزان ١/ ٣٥٤، ٣٥٥).

(٥) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل بياض.

(٦) أخرجه الطبراني بسنده ومتنه (المعجم الكبير ١٢/ ٧٢ ح١٢٥١١) وسنده ضعيف جداً فيه محمد بن عثمان بن أبي شيبة متهم بالوضع. (لسان الميزان ٥/ ٢٨٠، ٢٨١).

سُورَةُ الطَّارِقِ

وهي مكية

قال عبد الله ابن الإمام أحمد: حدثنا أبي، حدثنا عبد الله بن محمد قال عبد الله: وسمعته أنا منه، حدثنا مروان بن معاوية الفزاري، عن عبد الله بن عبد الرحمٰن الطائفي، عن عبد الرحمٰن بن خالد بن أبي جبل العدواني، عن أبيه أنه أبصر رسول الله ﷺ في مشرق ثقيف وهو قائم على قوس أو عصى حين أتاهم يبتغي عندهم النصر فسمعته يقول: ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ۝١﴾ حتى ختمها قال: فوعيتها في الجاهلية وأنا مشرك، ثم قرأتها في الإسلام قال: فدعتني ثقيف فقالوا: ماذا سمعت من هذا الرجل؟ فقرأتها عليهم، فقال من معهم من قريش: نحن أعلم بصاحبنا، لو كنا نعلم ما يقول حقاً لاتبعناه[1].

وقال النسائي: حدثنا عمرو بن منصور، حدثنا أبو نعيم، عن مسعر، عن محارب بن دثار، عن جابر قال: صلى معاذ المغرب فقرأ: البقرة والنساء فقال النبي ﷺ: «أفتان أنت يا معاذ! ما كان يكفيك أن تقرأ بالسماء والطارق، والشمس وضحاها، ونحو هذا؟»[2].

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ۝١ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ۝٢ النَّجْمُ الثَّاقِبُ ۝٣ إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ۝٤ فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ ۝٦ يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ۝٧ إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ۝٨ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ۝٩ فَمَا لَهُ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ۝١٠﴾.

يقسم تبارك وتعالى بالسماء وما جعل فيها من الكواكب النيرة ولهذا قال تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ۝١﴾ ثم قال: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ۝٢﴾ ثم فسره بقوله: ﴿النَّجْمُ الثَّاقِبُ ۝٣﴾.

قال قتادة وغيره: إنما سمي النجم طارقاً؛ لأنه إنما يرى بالليل ويختفي بالنهار[3]، ويؤيده ما جاء في الحديث الصحيح نهى أن يطرق الرجل أهله طروقاً؛ أي: يأتيهم فجأة بالليل[4]، وفي

---

(١) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد بسنده ومتنه في زوائده. (المسند ٣١/٢٨٨ - ٢٨٩ ح١٨٩٥٨) وضعف سنده محققوه لجهالة عبد الرحمٰن بن خالد العدواني.

(٢) تقدم نحوه في بداية تفسير سورة الانفطار لكن بدون ذكر سورة الطارق، ويشهد له ما تقدم في تفسير سورة الانفطار من رواية الصحيحين بلفظ: «اقرأ ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ۝١﴾ و﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ۝١﴾» ونحوهما. فقوله: ونحوهما يدخل فيه سورة الطارق.

(٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٤) أخرجه الشيخان من حديث جابر ﷺ. (صحيح البخاري، النكاح، باب لا يطرق أهله ليلاً إذا أطال الغيبة ح٥٢٤٣؛ وصحيح مسلم، الإمارة، باب كراهية الطروق ح٧١٥).

الحديث الآخر المشتمل على الدعاء: «إلا طارقاً يطرق بخير يا رحمٰن»[١].

وقوله تعالى: ﴿الثَّاقِبُ﴾ قال ابن عباس: المضيء[٢].

وقال السدي: يثقب الشياطين إذا أرسل عليها.

وقال عكرمة: هو مضيء ومُحرق للشيطان.

وقوله تعالى: ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾﴾ أي: كل نفس عليها من الله حافظ يحرسها من الآفات كما قال تعالى: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [الرعد: ١١].

وقوله تعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾﴾؟ تنبيه للإنسان على ضعف أصله الذي خلق منه وإرشاد له إلى الاعتراف بالمعاد؛ لأن من قدر على البداءة فهو قادر على الإعادة بطريق الأولى كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧].

وقوله تعالى: ﴿خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾﴾ يعني المني يخرج دفقاً من الرجل والمرأة، فيتولد منهما الولد، بإذن الله ﷻ، ولهذا قال: ﴿يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴿٧﴾﴾ يعني: صلب الرجل وترائب المرأة وهو صدرها.

وقال شبيب بن بشر: عن عكرمة، عن ابن عباس ﴿يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴿٧﴾﴾ صلب الرجل وترائب المرأة أصفر رقيق لا يكون الولد إلا منهما[٣]، وكذا قال سعيد بن جبير وعكرمة وقتادة والسدي وغيرهم.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا أبو أُسامة، عن مسعر، سمعت الحكم ذكر عن ابن عباس ﴿يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴿٧﴾﴾ قال: هذه الترائب، ووضع يده على صدره[٤].

وقال الضحاك وعطية، عن ابن عباس: تريبة المرأة: موضع القلادة[٥]، وكذا قال عكرمة وسعيد بن جبير[٦].

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: الترائب بين ثدييها[٧].

وعن مجاهد: الترائب: ما بين المنكبين إلى الصدر[٨]، وعنه أيضاً: الترائب: أسفل من التراقي[٩].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد من حديث عبد الرحمٰن بن خنبش ﷺ مطولاً. (المسند ٢٤/٢٠٢ ح١٥٤٦١) وضعف سنده محققوه.
(٢) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس.
(٣) سنده حسن.
(٤) سنده ضعيف لأن الحكم هو ابن أبان لم يسمع من ابن عباس، ويتقوىٰ بما يليه.
(٥) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق عطية العوفي عن ابن عباس، ويتقوىٰ بما يليه.
(٦) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق أبي رجاء عن عكرمة.
(٧) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق أبي طلحة عن ابن عباس.
(٨) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق ثوير عن مجاهد، وثوير ضعيف كما في التقريب ص١٣٥.
(٩) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.

وقال سفيان الثوري: فوق الثديين[١].

وعن سعيد بن جبير: الترائب أربعة أضلاع من هذا الجانب الأسفل[٢].

وعن الضحاك: الترائب بين الثديين والرجلين والعينين.

وقال الليث بن سعد: عن معمر بن أبي حبيبة المدني أنه بلغه في قول الله ﷻ: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴿٧﴾﴾ قال: هو عصارة القلب من هناك يكون الولد[٣].

وعن قتادة: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴿٧﴾﴾ من بين صلبه ونحره[٤].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾﴾ فيه قولان:

(أحدهما): على رجع هذا الماء الدافق، إلى مقره الذي خرج منه لقادر على ذلك. قاله مجاهد وعكرمة وغيرهما[٥].

(والقول الثاني): إنه على رجع هذا الإنسان المخلوق من ماء دافق؛ أي: إعادته وبعثه إلى الدار الآخرة لقادر؛ لأن من قدر على البداءة قدر على الإعادة، وقد ذكر الله ﷻ هذا الدليل في القرآن في غير ما موضع، وهذا القول قال به الضحاك[٦] واختاره ابن جرير ولهذا قال تعالى: ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ﴿٩﴾﴾ أي: يوم القيامة تبلى فيه السرائر؛ أي: تظهر وتبدو ويبقى السر علانية والمكنون مشهوراً، وقد ثبت في الصحيحين عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «يرفع لكل غادر لواء عند استه، يقال: هذه غدرة فلان بن فلان»[٧].

وقوله تعالى: ﴿فَمَا لَهُ﴾ أي: الإنسان يوم القيامة ﴿مِنْ قُوَّةٍ﴾: أي في نفسه ﴿وَلَا نَاصِرٍ﴾ أي: من خارج منه؛ أي: لا يقدر على أن ينقذ نفسه من عذاب الله ولا يستطيع له أحد ذلك.

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ﴿١١﴾ وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ ﴿١٢﴾ إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ ﴿١٤﴾ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا ﴿١٧﴾﴾.

قال ابن عباس: الرجع المطر، وعنه: هو السحاب فيه المطر[٨]، وعنه ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ﴿١١﴾﴾ تمطر ثم تمطر[٩].

وقال قتادة: ترجع رزق العباد كل عام ولولا ذلك لهلكوا، وهلكت مواشيهم[١٠].

---

(١) أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن الثوري.

(٢) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير.

(٣) أخرجه الطبري من طريق الليث به، وسنده ضعيف؛ لأن روايته بلاغ لم يصرح باسم المفسر.

(٤) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٥) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق أبي رجاء عن عكرمة، وأخرجه الطبري وآدم بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.

(٦) أخرجه الطبري بسند ضعيف لإبهام شيخه.

(٧) تقدم تخريجه في تفسير سورة الكهف آية ٤٩.

(٨) أخرجه الطبري بسند جيد ـ بشواهده ـ من طريق عكرمة عن ابن عباس.

(٩) أخرجه الطبري سند ضعيف من طريق العوفي عن ابن عباس بلفظ: «رجع القطر، والرزق كل عام».

(١٠) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

وقال ابن زيد: ترجع نجومها وشمسها وقمرها يأتين من ههنا[(١)].

﴿وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ ۝١٢﴾ قال ابن عباس: هو انصداعها عن النبات[(٢)]، وكذا قال سعيد بن جبير وعكرمة وأبو مالك والضحاك والحسن وقتادة والسدي وغير واحد[(٣)].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ۝١٣﴾ قال ابن عباس: حق[(٤)]، وكذا قال قتادة[(٥)].

وقال آخر: حكم عدل ﴿وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ ۝١٤﴾ أي: بل هو جِدّ حق، ثم أخبر الكافرين بأنهم يكذبون به ويصدون عن سبيله فقال: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ۝١٥﴾ أي: يمكرون بالناس في دعوتهم إلى خلاف القرآن.

ثم قال تعالى: ﴿فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ﴾ أي: انظرهم ولا تستعجل لهم ﴿أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا﴾ أي: قليلاً؛ أي: وسترى ماذا أحلَّ بهم من العذاب والنكال والعقوبة والهلاك كما قال تعالى: ﴿نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ۝٢٤﴾ [لقمان].

آخر تفسير سورة الطارق، ولله الحمد.

---

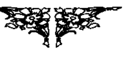
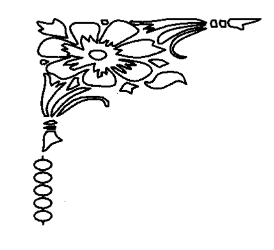
(١) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

(٢) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق عطية العوفي عن ابن عباس، ويتقوىٰ بما يليه.

(٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق أبي رجاء عن الحسن وعكرمة؛ وأخرجه الطبري وآدم بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد؛ وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

(٤) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس.

(٥) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة.

سُورَةُ الأَعْلَىٰ

وهي مكية

والدليل على ذلك ما رواه البخاري: حدثنا عبدان، أخبرني أبي، عن شعبة، عن أبي إسحاق، عن البراء بن عازب قال: أول من قدم علينا من أصحاب النبي ﷺ مصعب بن عُمير وابن أُم مكتوم، فجعلا يقرئاننا القرآن ثم جاء عمار وبلال وسعد، ثم جاء عمر بن الخطاب في عشرين، ثم جاء النبي ﷺ، فما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيء فرحهم به حتى رأيت الولائد والصبيان يقولون: هذا رسول الله قد جاء، فما جاء حتى قرأت ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ①﴾ في سُوَر مثلها[١].

وقال الإمام أحمد: حدثنا وكيع، حدثنا إسرائيل، عن ثوير بن أبي فاختة، عن أبيه، عن علي ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ يحب هذه السورة: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ①﴾[٢]. تفرد به أحمد. وثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال لمعاذ: «هلَّا صليت بـ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ①﴾، ﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ①﴾ ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ①﴾»[٣].

وقال الإمام أحمد: حدثنا سفيان، عن إبراهيم بن محمد بن المنتشر، عن أبيه، عن حبيب بن سالم، عن أبيه، عن النعمان بن بشير أن رسول الله ﷺ قرأ في العيدين بـ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ①﴾، و﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ ①﴾ [الغاشية]، وإن وافق يوم الجمعة قرأهما جميعاً[٤].

هكذا وقع في مسند الإمام أحمد إسناد هذا الحديث، وقد رواه مسلم في صحيحه وأبو داود والترمذي والنسائي من حديث أبي عوانة وجرير وشعبة، ثلاثتهم عن إبراهيم بن محمد بن المنتشر، عن أبيه، عن حبيب بن سالم، عن النعمان بن بشير به، قال الترمذي: وكذا رواه الثوري ومسعر عن إبراهيم، قال: ورواه سفيان بن عيينة، عن إبراهيم، عن أبيه، عن حبيب بن سالم، عن أبيه، عن النعمان، ولا يعرف لحبيب رواية عن أبيه، وقد رواه ابن ماجه، عن محمد بن الصباح، عن سفيان بن عيينة، عن إبراهيم بن المنتشر، عن أبيه، عن حبيب بن سالم، عن النعمان به، كما رواه الجماعة فالله أعلم، ولفظ مسلم وأهل السنن: كان يقرأ في العيدين

---

(١) أخرجه بسنده ومتنه. (الصحيح، التفسير، باب سورة ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ①﴾ ح ٤٩٤١).

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه. (المسند ١/ ٩٦)، وسنده ضعيف لضعف ثوير. (التقريب ص١٣٥).

(٣) تقدم تخريجه في مطلع تفسير سورة الانفطار.

(٤) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه. (المسند ٣٠/ ٣٣٢ ـ ٣٣٣ ح١٨٣٨٣) قال محققوه: حديث صحيح على خطأ في إسناده كما ذكر عبد الله بن أحمد عقب الحديث.. ونقل ابن أبي حاتم في «العلل» عن أبيه قوله: وهم في هذا الحديث ابن عيينة.اهـ. وسيأتي تخريجه برواية حبيب عن النعمان مباشرة دون: عن أبيه عن النعمان.

ويوم الجمعة بـ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١﴾، و﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَـٰشِيَةِ ۝١﴾، وربما اجتمعا في يوم واحد فقرأهما(١).

وقد روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أُبي بن كعب وعبد الله بن عباس وعبد الرحمٰن بن أبزى وعائشة أم المؤمنين أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في الوتر بـ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١﴾، و﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ ۝١﴾، و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾، زادت عائشة والمعوذتين(٢). وهكذا روي الحديث من طريق جابر وأبي أُمامة صدي بن عجلان وعبد الله بن مسعود وعمران بن حصين، وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، ولولا خشية الإطالة لأوردنا ما تيسر لنا من أسانيد ذلك ومتونه، ولكن في الإرشاد بهذا الاختصار كفاية، والله أعلم.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣ وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ۝٤ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ ۝٥ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝٦ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ۝٧ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ۝٨ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ۝٩ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ۝١٠ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ۝١١ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ۝١٢ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ۝١٣﴾.

قال الإمام أحمد: حدثنا أبو عبد الرحمٰن، حدثنا موسى ـ يعني: ابن أيوب الغافقي ـ، حدثنا عمي إياس بن عامر، سمعت عقبة بن عامر الجهني: لما نزلت: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ۝٧٤﴾ [الواقعة: ٧٤ و٩٦] قال لنا رسول الله ﷺ: «اجعلوها في ركوعكم» فلما نزلت: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١﴾ قال: «اجعلوها في سجودكم». ورواه أبو داود وابن ماجه من حديث ابن المبارك عن موسى بن أيوب به(٣).

وقال الإمام أحمد: حدثنا وكيع، حدثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن مسلم البطين، عن

---

(١) صحيح مسلم، الجمعة، باب ما يقرأ في صلاة الجمعة (ح٨٧٨)؛ وسنن أبي داود، الصلاة، باب ما يقرأ في الجمعة (ح١١٢٢)؛ وسنن الترمذي، الصلاة، باب ما جاء في القراءة في العيدين (ح٥٣٣)؛ وسنن النسائي، الجمعة، باب ذكر الاختلاف على النعمان بن بشير في القراءة في صلاة الجمعة ٣/ ١١٢؛ وسنن ابن ماجه، الإقامة، باب ما جاء في القراءة في صلاة العيدين (ح١٢٨١).

(٢) أخرجه الإمام أحمد من حديث أُبي بن كعب رضي الله عنه، وصححه محققوه. (المسند ٣٥/ ٧٨ ح٢١١٤١)؛ وأخرجه أيضاً من حديث عبد الله بن عباس وعبد الرحمٰن بن أبزىٰ وعائشة رضي الله عنهم. (المسند ١/ ٢٩٩ و٣/ ٣٠٦ و٦/ ٢٢٧).

(٣) المسند ٤/ ١٥٥؛ وسنن أبي داود، الصلاة، باب ما يقول الرجل في ركوعه وسجوده (ح٨٦٩)؛ وسنن ابن ماجه، الإقامة، باب التسبيح في الركوع والسجود (ح٨٨٧)؛ وضعفه الألباني في ضعيف سنن ابن ماجه، لكن أخرجه ابن خزيمة، (الصحيح ١/ ٣٠٣ رقم ٦٠٠)؛ وابن حبان في صحيحه (الإحسان ٣/ ١٨٥ رقم ١٨٩٥)؛ والحاكم (المستدرك ١/ ٢٢٥) كلهم من طريق موسىٰ بن أيوب به. وصححه الحاكم وتعقبه الذهبي فقال: إياس ليس بالمعروف. وأخرجه الحاكم أيضاً وصححه ووافقه الذهبي. (المستدرك ٢/ ٤٧٧). وأما إياس بن عامر فقال العجلي لا بأس به (تاريخ الثقات ص٧٥) وذكره ابن حبان في الثقات (١/ ٤٤١) وقال الحافظ ابن حجر: صدوق. كما في التقريب، وعليه فسنده حسن.

سعيد بن جبير، عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ كان إذا قرأ: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ①﴾ قال: «سبحان ربي الأعلى»[١]. وهكذا رواه أبو داود عن زهير بن حرب، عن وكيع به. قال وخولف فيه وكيع، رواه أبو وكيع وشعبة، عن أبي إسحاق، عن سعيد، عن ابن عباس موقوفاً[٢].

وقال الثوري: عن السدي، عن عبد خير قال: سمعت علياً قرأ: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ①﴾ فقال: سبحان ربي الأعلى[٣].

وقال ابن جرير: حدثنا ابن حميد، حدثنا حكام، عن عنبسة، عن أبي إسحاق الهمداني، أن ابن عباس كان إذا قرأ: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ①﴾ يقول: سبحان ربي الأعلى، وإذا قرأ: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ①﴾ [القيامة] فأتى على آخرها: ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ④⓪﴾ [القيامة] يقول: سبحانك وبلى[٤].

وقال قتادة: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ①﴾ ذُكرَ لنا أن نبي الله ﷺ كان إذا قرأها قال: سبحان ربي الأعلى[٥].

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ②﴾ أي: خلق الخليقة وسوى كل مخلوق في أحسن الهيئات.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ③﴾ قال مجاهد: هدى الإنسان للشقاوة والسعادة وهدى الأنعام لمراتعها[٦]، وهذه الآية كقوله تعالى إخباراً عن موسى أنه قال لفرعون: ﴿رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه: ٥٠] أي: قدَّر قدراً، وهدى الخلائق إليه، كما ثبت في صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله قدَّر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السمٰوات والأرض بخمسين ألف سنة، وكان عرشه على الماء»[٧].

وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ④﴾ أي: من جميع صنوف النباتات والزروع ﴿فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ ⑤﴾ قال ابن عباس: هشيماً متغيراً[٨]، وعن مجاهد وقتادة وابن زيد نحوه[٩].

قال ابن جرير: وكان بعض أهل العلم بكلام العرب يرى أن ذلك من المؤخر الذي معناه

---

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه، وقال محققوه: صحيح موقوفاً. (المسند ٣/ ٤٩٥ ح٢٠٦٦)؛ وأخرجه الحاكم من طريق وكيع به وصححه ووافقه الذهبي. (المستدرك ١/ ٢٦٣).

(٢) سنن أبي داود، الصلاة، باب الدعاء في الصلاة (ح٨٨٣)؛ وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح٧٨٥).

(٣) أخرجه الطبري من طريق الثوري به، وسنده حسن.

(٤) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وفي سنده ابن حميد وهو محمد بن حميد الرازي وهو ضعيف وله شواهد تقوي وهي ما سبق في هذه السورة وما ورد في آخر تفسير سورة القيامة.

(٥) أخرجه الطبري بسند رجاله ثقات عن قتادة لكنه مرسل، ويتقوىٰ بما سبق.

(٦) أخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.

(٧) تقدم تخريجه في تفسير سورة الأعراف آية ١٧٩.

(٨) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس.

(٩) أخرجه الطبري وآدم بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد بنحوه؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة بنحوه؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد بنحوه.

التقديم، وأن معنى الكلام والذي أخرج المرعى، أحوى: أخضر إلى السواد فجعله غثاء بعد ذلك[١]، ثم قال ابن جرير: وهذا وإن كان محتملاً إلا أنه غير صواب لمخالفته أقوال أهل التأويل[٢].

وقوله تعالى: ﴿سَنُقْرِئُكَ﴾ أي: يا محمد ﴿فَلَا تَنسَىٰٓ﴾ وهذا إخبار من الله تعالى ووعد منه له. بأنه سيقرئه قراءة لا ينساها ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ وهذا اختيار ابن جرير.

وقال قتادة: كان رسول الله ﷺ لا ينسى شيئاً إلا ما شاء الله[٣].

وقيل: المراد بقوله: ﴿فَلَا تَنسَىٰٓ﴾ طلب، وجعل معنى الاستثناء على هذا ما يقع من النسخ؛ أي: لا تنسى ما نقرئك إلا ما شاء الله رفعه فلا عليك أن تتركه.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ﴾ أي: يعلم ما يجهر به العباد وما يخفونه من أقوالهم وأفعالهم لا يخفى عليه من ذلك.

وقوله تعالى: ﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٨﴾﴾ أي: نسهل عليك أفعال الخير وأقواله ونشرع لك شرعاً سهلاً سمحاً مستقيماً عدلاً لا اعوجاج فيه ولا حرج ولا عسر.

وقوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٩﴾﴾ أي: ذكِّر حيث تنفع التذكرة، ومن هٰهنا يؤخذ الأدب في نشر العلم فلا يضعه عند غير أهله كما قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: ما أنت بمحدث قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كانت فتنة لبعضهم[٤]، وقال: حدث الناس بما يعرفون أتحبون أن يكذّب الله ورسوله[٥].

وقوله تعالى: ﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾﴾ أي: سيتعظ بما تبلغه يا محمد من قلبه يخشى الله ويعلم أنه ملاقيه ﴿وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ﴿١١﴾ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾﴾ أي: لا يموت فيستريح ولا يحيى حياة تنفعه بل هي مضرة عليه؛ لأن بسببها يشعر ما يعاقب به من أليم العذاب وأنواع النكال.

قال الإمام أحمد: حدثنا ابن أبي عدي عن سليمان - يعني: التيمي -، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «أما أهل النار الذين هم أهلها لا يموتون ولا يحيون وأما أناس يريد الله بهم الرحمة فيميتهم في النار فيدخل عليهم الشفعاء فيأخذ الرجل أنصاره فينبتهم - أو قال -: ينبتون - في نهر الحيا - أو قال: الحياة - أو قال: الحيوان - أو قال: نهر الجنة - فينبتون نبات الحبة في حميل السيل» قال: وقال النبي ﷺ: «أما ترون الشجرة تكون خضراء ثم تكون صفراء ثم تكون خضراء؟» قال: فقال بعضهم: كأن النبي ﷺ كان بالبادية[٦].

---

(١) ذكره الطبري بلفظه. (٢) ذكره الطبري بنحوه.

(٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة؛ وأخرجه الطبري وعبد الرزاق بسند صحيح من طريق معمر عن قتادة بنحوه.

(٤) أخرجه مسلم من قول ابن مسعود. (الصحيح، المقدمة، باب النهي عن الحديث بكل ما سمع، الحديث الثامن ١/١١).

(٥) أخرجه البخاري بسنده عن علي رضي الله عنه. (الصحيح، العلم، باب من خصّ بالعلم قوماً دون قوم.. ح١٢٧).

(٦) تقدم تخريجه في تفسير سورة طه آية ٧٤.

وقال أحمد أيضاً: حدثنا إسماعيل، حدثنا [سعيد بن يزيد][١]، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «أما أهل النار الذين هم أهلها فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون ولكن أناس ـ أو كما قال ـ: تصيبهم النار بذنوبهم ـ أو قال: بخطاياهم ـ فيميتهم إماتة حتى إذا صاروا فحماً أذن في الشفاعة، فجيء بهم ضبائر ضبائر فنبتوا على أنهار الجنة فيقال: يا أهل الجنة أفيضوا عليهم، فينبتون نبات الحبة تكون في حميل السيل» قال: فقال رجل من القوم حينئذ: كأن رسول الله ﷺ كان بالبادية، ورواه مسلم من حديث بشر بن المفضل وشعبة كلاهما عن أبي سلمة سعيد بن يزيد به مثله[٢]، ورواه أحمد أيضاً عن يزيد، عن سعيد بن إياس الجريري، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد، عن النبي ﷺ قال: «إن أهل النار الذين لا يريد الله إخراجهم لا يموتون فيها ولا يحيون، وإن أهل النار الذين يريد الله إخراجهم يميتهم فيها إماتة حتى يصيروا فحماً، ثم يخرجون ضبائر فيلقون على أنهار الجنة فيرش عليهم من أنهار الجنة فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل»[٣].

وقد قال الله تعالى إخباراً عن أهل النار: ﴿وَنَادَوْا۟ يَـٰمَـٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّـٰكِثُونَ ۝٧٧﴾ [الزخرف] وقال تعالى: ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا﴾ [فاطر: ٣٦] إلى غير ذلك من الآيات في هذا المعنى.

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝١٤ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ۝١٥ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝١٦ وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۝١٧ إِنَّ هَـٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ۝١٨ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ۝١٩﴾.

يقول تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝١٤﴾ أي: طهر نفسه من الأخلاق الرذيلة وتابع ما أنزل الله على الرسول صلوات الله وسلامه عليه ﴿وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ۝١٥﴾ أي: أقام الصلاة في أوقاتها ابتغاء رضوان الله وطاعة لأمر الله وامتثالاً لشرع الله.

وقد قال الحافظ أبو بكر البزار: حدثنا عباد بن أحمد العرزمي، حدثنا عمي محمد بن عبد الرحمٰن، عن أبيه، عن عطاء بن السائب، عن عبد الرحمٰن بن سابط، عن جابر بن عبد الله، عن النبي ﷺ قال: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝١٤﴾ قال: «من شهد أن لا إلٰه إلا الله وخلع الأنداد وشهد أني رسول الله» ﴿وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ۝١٥﴾ قال: «هي الصلوات الخمس والمحافظة عليها والاهتمام بها» ثم قال: لا يروى عن جابر إلا من هذا الوجه[٤]، وكذا قال ابن عباس: إن المراد بذلك الصلوات الخمس[٥]، واختاره ابن جرير.

---

(١) كذا في المسند، وفي الأصل صحف إلى: سعيد ثنا يزيد، وفي (ح): باسم سعيد بن أبي يزيد.
(٢) تقدم تخريجه في تفسير سورة طه آية ٧٤. بعد الحديث السابق.
(٣) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه. (المسند ٣/ ١١)، وسنده صحيح؛ وأخرجه مسلم من طريق بشر بن المفضل عن أبي نضرة به. (الصحيح، الإيمان، باب إثبات الشفاعة ح١٨٥).
(٤) أخرجه البزار كما في كشف الأستار (ح٢٢٨٤) وسنده ضعيف جداً لأن عباد بن أحمد العرزمي متروك. (مجمع الزوائد ٧/ ١٤٠).
(٥) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ﵄.

وقال ابن جرير: حدثني عمرو بن عبد الحميد [الآملي][(١)]، حدثنا مروان بن معاوية، عن أبي خلدة قال: دخلت على أبي العالية فقال لي: إذا غدوت غداً إلى العيد فمر بي، قال: فمررت به فقال: هل طعمت شيئاً؟ قلت: نعم. قال: أفضت على نفسك من الماء؟ قلت: نعم. قال: فأخبرني ما فعلت زكاتك! قلت: قد وجهتها قال: إنما أردتك لهذا ثم قرأ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾﴾ وقال: إن أهل المدينة لا يرون صدقة أفضل منها ومن سقاية الماء[(٢)].

(قلت): وقد روينا عن أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز أنه كان يأمر الناس بإخراج صدقة الفطر ويتلو هذه الآية: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾﴾.

وقال أبو الأحوص: إذا أتى أحدكم سائل وهو يريد الصلاة فليقدم بين يدي صلاته زكاته؛ فإن الله تعالى يقول: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾﴾[(٣)].

وقال قتادة في هذه الآية: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾﴾ زكى ماله وأرضى خالقه[(٤)].

ثم قال تعالى: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾﴾ أي: تقدمونها على أمر الآخرة وتبدونها على ما فيه نفعكم وصلاحكم في معاشكم ومعادكم ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٧﴾﴾ أي: ثواب الله في الدار الآخرة خير من الدنيا وأبقى، فإن الدنيا دنية فانية والآخرة شريفة باقية، فكيف يؤثر عاقل ما يفنى على ما يبقى ويهتم بما يزول عنه قريباً ويترك الاهتمام بدار البقاء والخلد؟

قال الإمام أحمد: حدثنا حسين بن محمد، حدثنا ذويد، عن أبي إسحاق، عن عروة، عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «الدنيا دار من لا دار له، ومال من لا مال له، ولها يجمع من لا عقل له»[(٥)].

وقال ابن جرير: حدثنا ابن حميد، حدثنا يحيى بن واضح، حدثنا أبو حمزة، عن عطاء، عن عرفجة الثقفي قال: استقرأت ابن مسعود: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴿١﴾﴾ فلما بلغ ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾﴾ ترك القراءة وأقبل على أصحابه وقال: آثرنا الدنيا على الآخرة، فسكت القوم فقال: آثرنا الدنيا؛ لأنا رأينا زينتها ونساءها وطعامها وشرابها، وزويت عنا الآخرة فاخترنا هذا العاجل وتركنا الآجل[(٦)]. وهذا منه على وجه التواضع والهضم أو هو إخبار عن الجنس من حيث هو، والله أعلم.

---

(١) كذا في تفسير الطبري، وفي النسخ الخطية بلفظ: «الأيلي».

(٢) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وعمرو بن عبد الحميد الآملي لم أجد له ترجمة.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة بسند صحيح من طريق أبي إسحاق ـ وهو السبيعي ـ عن أبي الأحوص. (المصنف ٣/ ٧).

(٤) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٥) تقدم تخريجه في تفسير سورة الإسراء آية ١٨.

(٦) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وفي سنده ابن حميد وهو محمد بن حميد الرازي وهو ضعيف، وعطاء بن السائب اختلط. (مجمع الزوائد ١٠/ ٢٣٦) وعرفجة الثقفي مقبول. (التقريب ص٣٨٩) وقد توبع ابن حميد في رواية الطبراني. (المعجم الكبير ح٩١٤٧) وفي رواية البيهقي (شعب الإيمان ح١٠٦٤٥) إلا أن روايتهما من طريق عطاء بن السائب به.

وقد قال الإمام أحمد: حدثنا سليمان بن داود الهاشمي، حدثنا إسماعيل بن جعفر، أخبرني عمرو بن أبي عمرو، عن المطلب بن عبد الله، عن أبي موسى الأشعري أن رسول الله ﷺ قال: «من أحبَّ دنياه أضرَّ بآخرته، ومن أحبَّ آخرته أضرَّ بدنياه فآثروا ما يبقى على ما يفنى»(١). تفرد به أحمد، وقد رواه أيضاً عن أبي سلمة الخزاعي، عن الدراوردي، عن عمرو بن أبي عمرو به مثله سواء(٢).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾﴾ قال الحافظ أبو بكر البزار: حدثنا نصر بن علي، حدثنا معتمر بن سليمان عن أبيه، عن عطاء بن السائب، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: لما نزلت: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾﴾ قال النبي ﷺ: «كان كل هذا - أو كان هذا - في صحف إبراهيم وموسى» ثم قال: لا نعلم أسند الثقات عن عطاء بن السائب، عن عكرمة، عن ابن عباس غير هذا، وحديثاً آخر أورده قبل هذا(٣).

وقال النسائي: أخبرنا زكريا بن يحيى، أخبرنا نصر بن علي، حدثنا المعتمر بن سليمان، عن أبيه، عن عطاء بن السائب، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: لما نزلت: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾﴾ [الأعلى] قال: كلها في صحف إبراهيم وموسى، ولما نزلت: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾﴾ [النجم] قال: وفّى ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾﴾ [النجم](٤).

يعني: أن هذه الآية كقوله تعالى في سورة النجم: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾﴾ [النجم] الآيات إلى آخرهن، وهكذا قال عكرمة فيما رواه ابن جرير عن ابن حميد عن مهران، عن سفيان الثوري، عن أبيه، عن عكرمة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾﴾ يقول: الآيات التي في سبح اسم ربك الأعلى(٥).

وقال أبو العالية: قصة هذه السورة في الصحف الأولى(٦)، واختار ابن جرير أن المراد بقوله:

---

(١) أخرجه الإمام بسنده ومتنه (المسند ٣٢/ ٤٧٠ ح١٩٦٩٧) قال محققوه: حسن لغيره، وهذا إسناد ضعيف لانقطاعه. المطلب بن عبد الله - وهو ابن حنطب - لا يعرف له سماع من الصحابة.

(٢) وسنده ضعيف أيضاً للعلة السابقة.

(٣) أخرجه البزار كما في كشف الأستار (ح٢٢٨٥) وفي سنده عطاء بن السائب وقد اختلط، وسماع سليمان والد معتمر يتوقف فيه كما قرر الحافظ ابن حجر إذ صرح بأسماء الذين سمعوا من عطاء قبل الاختلاط ثم قال: ومن عداهم يتوقف فيه. (تهذيب التهذيب ٧/ ٢٠٧).

(٤) أخرجه النسائي بسنده ومتنه. (السنن الكبرى، التفسير، باب سورة الأعلى ح١١٦٦٨) وسنده كسابقه.

(٥) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وفي سنده ابن حميد وهو محمد بن حميد الرازي وهو ضعيف، وقد تابعه عبد بن حميد حيث عزاه السيوطي في الدر المنثور إلىٰ عبد بن حميد وهو من طبقة شيوخ الطبري، فيكون الإسناد حسناً لغيره.

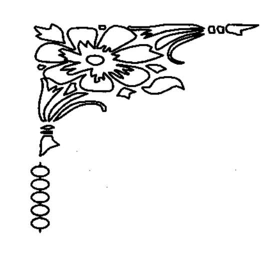
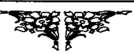
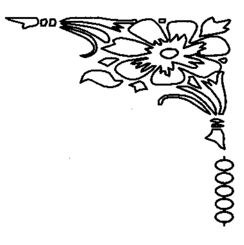
(٦) أخرجه الطبري بسند فيه أيضاً ابن حميد كما تقدم، وقد توبع أيضاً فقد عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم كما في الدر المنثور وابن أبي حاتم لم يرو عن ابن حميد بل يروي نسخة أبي العالية من طريق أبيه عن =

﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ إشارة إلى قوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝١٤ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ۝١٥ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝١٦ وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۝١٧﴾ ثم قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ أي: مضمون هذا الكلام ﴿لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ۝١٨ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ۝١٩﴾ وهذا الذي اختاره حسن قوي، وقد روي عن قتادة وابن زيد نحوه[1]، والله أعلم.

آخر تفسير سورة «سبح»، ولله الحمد والمنة، وصلواته وسلامه على خير خلقه: محمد وآله.

= آدم بن أبي إياس العسقلاني عن أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية كما صرح في مقدمة تفسيره.

(١) أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

سُورَةُ الغَاشِيَةِ

وهي مكية

قد تقدم عن النعمان بن بشير أن رسول الله ﷺ كان يقرأ بـ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١﴾ و(الغاشية) في صلاة العيد ويوم الجمعة[١].

وقال الإمام مالك، عن ضمرة بن سعيد، عن عبيد الله بن عبد الله أن الضحاك بن قيس سأل النعمان بن بشير: بِمَ كان رسول الله ﷺ يقرأ في الجمعة مع سورة الجمعة؟ قال: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ ۝١﴾[٢]. ورواه أبو داود عن القعنبي والنسائي عن قتيبة كلاهما عن مالك به، ورواه مسلم وابن ماجه من حديث سفيان بن عيينة، عن ضمرة بن سعيد به[٣].

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ ۝١ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ۝٢ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝٣ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ۝٤ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ۝٥ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ۝٦ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ ۝٧﴾.

﴿ٱلْغَٰشِيَةِ﴾: من أسماء يوم القيامة. قاله ابن عباس وقتادة وابن زيد[٤]؛ لأنها تغشى الناس وتعمهم.

وقد قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا علي بن محمد الطنافسي، حدثنا أبو بكر بن عياش، عن أبي إسحاق، عن عمرو بن ميمون قال: مرَّ النبي ﷺ على امرأة تقرأ: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ ۝١﴾ فقام يستمع ويقول: «نعم قد جاءني»[٥].

وقوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ۝٢﴾ أي: ذليلة. قاله قتادة[٦].

---

(١) تقدم تخريجه في مطلع تفسير سورة الأعلىٰ.

(٢) أخرجه الإمام مالك بسنده ومتنه. (الموطأ، الجمعة، باب القراءة في صلاة الجمعة ١/١١١ ح١٩)، وسنده صحيح.

(٣) سنن أبي داود، الصلاة، باب ما يقرأ به في الجمعة (ح١١٢٣)؛ وسنن النسائي، صلاة الجمعة، باب ذكر الاختلاف على النعمان بن بشير في القراءة ٣/١١٢؛ وصحيح مسلم، الجمعة، باب ما يقرأ في صلاة الجمعة (٨٧٨).

(٤) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة.

(٥) سنده ضعيف لأنه مرسل.

(٦) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة.

وقال ابن عباس: تخشع ولا ينفعها عملها[١].

وقوله تعالى: ﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝٣﴾ أي: قد عملت عملاً كثيراً ونصبت فيه وصليت يوم القيامة ناراً حامية.

قال الحافظ أبو بكر البرقاني: حدثنا إبراهيم بن محمد المزكّي، حدثنا محمد بن إسحاق السراج، حدثنا هارون بن عبد الله، حدثنا سيار، حدثنا جعفر قال: سمعت أبا عمران الجوني يقول: مرَّ عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه بدير راهب، قال: فناداه يا راهب، فأشرف قال: فجعل عمر ينظر إليه ويبكي، فقيل له: يا أمير المؤمنين ما يبكيك من هذا؟ قال: ذكرت قول الله ﷻ في كتابه: ﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝٣ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ۝٤﴾ فذاك الذي أبكاني[٢].

وقال البخاري: قال ابن عباس: ﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝٣﴾ النصارى[٣].

وعن عكرمة والسدي: عاملة في الدنيا بالمعاصي، وناصبة في النار بالعذاب والإهلاك[٤].

قال ابن عباس والحسن وقتادة: ﴿تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ۝٤﴾ أي: حارة شديدة الحر ﴿تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ۝٥﴾ أي: قد انتهى حرها وغليانها. قاله ابن عباس ومجاهد والحسن والسدي[٥].

وقوله تعالى: ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ۝٦﴾ قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: شجر من النار[٦]، وقال سعيد بن جبير: هو الزقوم[٧]، وعنه أنها الحجارة[٨].

وقال ابن عباس ومجاهد وعكرمة وأبو الجوزاء وقتادة: هو الشبرق[٩].

قال قتادة: قريش تسميه في الربيع الشبرق وفي الصيف الضريع.

قال عكرمة: وهو شجرة ذات شوك لاطئة بالأرض[١٠].

---

(١) لم أجد من أخرجه.

(٢) أخرجه الحاكم من طريق سيار بن حاتم عن جعفر بن سليمان به، وصححه وتعقبه الذهبي بقوله: الجوني لم يدرك عمر، لكنها حكاية في موضعها. (المستدرك ٢/ ٥٢١ ـ ٥٢٢).

(٣) أخرجه البخاري معلقاً، وقال الحافظ ابن حجر: وصله ابن أبي حاتم من طريق علي بن أبي طلحة، ومن طريق شبيب بن بشر عن عكرمة عن ابن عباس، وزاد: اليهود. (فتح الباري ٨/ ٧٠٠) ولعله يريد اليهود والنصارىٰ الذين أشركوا بالله تعالىٰ.

(٤) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة، وعزاه السيوطي في الدر المنثور إلى ابن أبي حاتم عن عكرمة.

(٥) عزاه السيوطي في الدر المنثور إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس؛ وأخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد؛ وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن الحسن.

(٦) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس.

(٧) عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد وابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير.

(٨) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير.

(٩) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق عطية العوفي عن ابن عباس ويتقوىٰ بالآثار التالية: فقد أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد؛ وأخرجه ابن أبي شيبة بسند حسن من طريق عمرو بن مالك عن أبي الجوزاء، وسيأتي قول قتادة.

(١٠) أخرجه الطبري من طريق نجدة رجل من بني عبد القيس عن عكرمة.

وقال البخاري: قال مجاهد: الضريع: نبت يقال له: الشبرق يسميه أهل الحجاز الضريع إذا يبس وهو سُم(١).

وقال معمر، عن قتادة: ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ۝٦﴾ هو الشبرق إذا يبس سمي الضريع(٢).

وقال سعيد، عن قتادة: ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ۝٦﴾ من شر الطعام وأبشعه وأخبثه(٣).

وقوله تعالى: ﴿لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ ۝٧﴾ يعني: لا يحصل به مقصود ولا يندفع به محذور.

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ۝٨ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ۝٩ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝١٠ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً ۝١١ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ۝١٢ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ۝١٣ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ۝١٤ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ۝١٥ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ۝١٦﴾.

لما ذكر حال الأشقياء ثنى بذكر السعداء فقال: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ﴾ أي: يوم القيامة ﴿نَّاعِمَةٌ﴾ أي: يعرف النعيم فيها وإنما حصل لها ذلك بسعيها.

وقال سفيان: ﴿لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ۝٩﴾ قد رضيت عملها(٤).

وقوله تعالى: ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝١٠﴾ أي: رفيعة بهية في الغرفات آمنون ﴿لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً ۝١١﴾ أي: لا تسمع في الجنة التي هم فيها كلمة لغو كما قال تعالى: ﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا﴾ [مريم: ٦٢] وقال تعالى: ﴿لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ﴾ [الطور: ٢٣] وقال تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ۝٢٥ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ۝٢٦﴾ [الواقعة].

﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ۝١٢﴾ أي: سارحة. وهذه نكرة في سياق الإثبات، وليس المراد بها عيناً واحدة وإنما هذا جنس يعني: فيها عيون جاريات. وقال ابن أبي حاتم(٥): قُرِيء على الربيع بن سليمان، حدثنا أسد بن موسى، حدثنا ابن ثوبان، عن عطاء بن قرة، عن عبد الله بن ضمرة، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «أنهار الجنة تفجر من تحت تلال ـ أو من تحت جبال ـ المسك».

﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ۝١٣﴾ أي: عالية ناعمة كثيرة الفرش مرتفعة السمك عليها الحور العين، قالوا: فإذا أراد ولي الله أن يجلس على تلك السرر العالية تواضعت له.

﴿وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ۝١٤﴾ يعني: أواني الشرب معدة مرصدة لمن أرادها من أربابها.

﴿وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ۝١٥﴾ قال ابن عباس: النمارق الوسائد(٦)، وكذا قال عكرمة وقتادة والضحاك والسدي والثوري وغيرهم(٧).

---

(١) أخرجه البخاري تعليقاً عن مجاهد. (الصحيح، التفسير، سورة الغاشية).
(٢) أخرجه عبد الرزاق والطبري بسند صحيح من طريق معمر عن قتادة.
(٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد به.
(٤) عزاه السيوطي إلىٰ ابن أبي حاتم عن سفيان.
(٥) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه في تفسير سورة آل عمران آية ١٥، وسنده حسن.
(٦) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس بلفظ: «المرافق».
(٧) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة.

وقوله تعالى: ﴿وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾﴾ قال ابن عباس الزرابي البسط[١]، وكذا قال الضحاك وغير واحد، ومعنى مبثوثة هٰهنا وهٰهنا لمن أراد الجلوس عليها، ونذكر هٰهنا هذا الحديث الذي رواه أبو بكر بن أبي داود، حدثنا عمرو بن عثمان، حدثنا أبي، عن محمد بن مهاجر، عن الضحاك المعافري، عن سليمان بن موسى، حدثني كريب أنه سمع أسامة بن زيد يقول: قال رسول الله ﷺ: «ألا هل من مشمر للجنة فإن الجنة لا خطر لها ـ وهي ورب الكعبة ـ نور يتلألأ، وريحانة تهتز، وقصر مشيد، ونهر مطرد، وثمرة نضيجة، وزوجة حسناء جميلة، وحلل كثيرة، ومقام في أبد في دار سليمة، وفاكهة وخضرة، وحبرة ونعمة، في محلة عالية بهية؟» قالوا: نعم يا رسول الله نحن المشمرون لها، قال: «قولوا إن شاء الله» قال القوم: إن شاء الله[٢]، ورواه ابن ماجه عن العباس بن عثمان الدمشقي، عن الوليد بن مسلم، عن محمد بن مهاجر به[٣].

﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾﴾.

يقول تعالى آمراً عباده بالنظر في مخلوقاته الدالة على قدرته وعظمته: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾﴾ فإنها خلق عجيب وتركيبها غريب، فإنها في غاية القوة والشدة وهي مع ذلك تلين للحمل الثقيل وتنقاد للقائد الضعيف وتؤكل وينتفع بوبرها ويشرب لبنها، ونبهوا بذلك؛ لأن العرب غالب دوابهم كانت الإبل.

وكان شريح القاضي يقول: اخرجوا بنا حتى ننظر إلى الإبل كيف خلقت؟[٤] ﴿وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾﴾ أي: كيف رفعها الله ﷻ عن الأرض هذا الرفع العظيم! كما قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾﴾ [ق].

﴿وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾﴾ أي: جعلت منصوبة فإنها ثابتة راسية؛ لئلا تميد الأرض بأهلها، وجعل فيها ما جعل من المنافع والمعادن ﴿وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾﴾ أي: كيف بسطت ومدت ومهدت! فنبه البدوي على الاستدلال بما يشاهده من بعيره الذي هو راكب عليه والسماء التي فوق رأسه، والجبل الذي تجاهه والأرض التي تحته على قدرة خالق ذلك وصانعه وأنه الربُّ العظيم الخالق المالك المتصرف، وأنه الإلٰه الذي لا يستحق العبادة سواه، وهكذا أقسم ضمام في سؤاله على رسول الله ﷺ كما رواه الإمام أحمد حيث قال: حدثنا هاشم بن القاسم، حدثنا سليمان بن المغيرة، عن ثابت، عن أنس، قال: كنا نهينا أن نسأل رسول الله ﷺ

---

(١) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة، عن قتادة بلفظ: «المبسوطة».

(٢) أخرجه ابن أبي داود بسنده ومتنه. (البعث ح٧١) وفي سنده الضحاك المعافري وهو مقبول. (التقريب ص٢٨٠)؛ وأخرجه ابن ماجه من طريق الضحاك المعافري به. (السنن، الزهد، باب صفة الجنة ح٤٣٣٢)؛ وضعفه الألباني في ضعيف سنن ابن ماجه.

(٣) المصدر السابق.

(٤) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق رجل مبهم عن شريح.

عن شيء، فكان يعجبنا أن يجيء الرجل من أهل البادية العاقل فيسأله ونحن نسمع فجاء رجل من أهل البادية فقال: يا محمد إنه أتانا رسولك فزعم لنا أنك تزعم أن الله أرسلك، قال: «صدق» قال: فمن خلق السماء؟ قال: «الله». قال: فمن خلق الأرض؟ قال: «الله». قال: فمن نصب هذا الجبال وجعل فيها ما جعل؟ قال: «الله». قال: فبالذي خلق السماء والأرض ونصب هذه الجبال آلله أرسلك؟ قال: «نعم». قال: وزعم رسولك أن علينا خمس صلوات في يومنا وليلتنا؟ قال: «صدق». قال: فبالذي أرسلك آلله أمرك بهذا؟ قال: «نعم». قال: وزعم رسولك أن علينا زكاة أموالنا؟ قال: «صدق». قال: فبالذي أرسلك آلله أمرك بهذا؟ قال: «نعم» قال: وزعم رسولك أن علينا حج البيت من استطاع إليه سبيلاً. قال: «صدق» قال: ثم ولى فقال: والذي بعثك بالحق لا أزيد عليهن شيئاً ولا أنقص منهن شيئاً؟ فقال النبي ﷺ: «إن صدق ليدخلن الجنة»[(١)].

وقد رواه مسلم عن عمرو النقاد، عن أبي النضر هاشم بن القاسم به[(٢)]، وعلقه البخاري[(٣)]، ورواه الترمذي والنسائي من حديث [سليمان بن المغيرة به[(٤)]، ورواه الإمام أحمد والبخاري وأبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث][(٥)] الليث بن سعد، عن سعيد المقبري، عن شريك بن عبد الله بن أبي نمر، عن أنس به بطوله وقال في آخره: وأنبأنا ضمام بن ثعلبة أخو بني سعد بن بكر[(٦)].

وقال الحافظ أبو يعلى: حدثنا إسحاق، حدثنا عبد الله بن جعفر، حدثني عبد الله بن دينار، عن ابن عمر قال: كان رسول الله ﷺ كثيراً ما كان يحدث عن امرأة في الجاهلية على رأس جبل معها ابن صغير لها ترعى غنماً، فقال لها ابنها: يا أمه من خلقك؟ قالت: الله. قال: فمن خلق أبي؟ قالت: الله. قال: فمن خلقني؟ قالت: الله، قال: فمن خلق السماء؟ قالت: الله، قال: فمن خلق الأرض؟ قالت الله. قال: فمن خلق الجبل؟ قالت: الله. قال: فمن خلق هذه الغنم؟ قالت: الله، قال: فإني لأسمع لله شأناً وألقى نفسه من الجبل فتقطع. قال ابن عمر: كان رسول الله ﷺ كثيراً ما يحدثنا هذا. قال ابن دينار: كان ابن عمر كثيراً ما يحدثنا بهذا[(٧)]. في إسناده ضعف، وعبد الله بن جعفر هذا هو المديني ضعفه ولده الإمام علي ابن المديني وغيره.

وقوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ۝ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ۝﴾ أي: فذكر يا محمد

---

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه. (المسند ٣/١٤٣) وسنده صحيح.
(٢) صحيح مسلم، الإيمان، باب السؤال عن أركان الإسلام (ح١٢).
(٣) صحيح البخاري، العليم، باب ما جاء في العلم. . قبل حديث رقم ٦٣.
(٤) سنن الترمذي، الزكاة، باب ما جاء إذا أديت الزكاة فقد قضيت ما عليك (ح٦١٩)؛ والسنن الكبرى للنسائي، العلم، باب العرض على العالم (ح٥٨٦٣).
(٥) زيادة من (ح) و(حم).
(٦) المسند ٣/١٦٨؛ وصحيح البخاري، العلم، باب ما جاء في العلم (ح٦٣)؛ وسنن أبي داود، الصلاة، باب ما جاء في المشرك يدخل المسجد (ح٤٨٦)؛ وسنن النسائي، الصيام، باب وجوب الصيام ٤/١٢٢؛ وسنن ابن ماجه، الإقامة، باب ما جاء في فرض الصلوات الخمس (ح١٤٠٢).
(٧) أخرجه ابن عدي عن أبي يعلىٰ به. (الكامل في الضعفاء ٤/١٧٨). وسنده ضعيف لضعف عبد الله بن جعفر كما قرر الحافظ ابن كثير.

الناس بما أرسلت به إليهم ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ﴾ [الرعد: ٤٠] ولهذا قال: ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾﴾ قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما: «لست عليهم بجبار» أي: لست تخلق الإيمان في قلوبهم[(١)].

وقال ابن زيد: لست بالذي تكرههم على الإيمان[(٢)].

قال الإمام أحمد: حدثنا وكيع، عن سفيان، عن أبي الزبير، عن جابر، قال: قال رسول الله ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله فإذا قالوها: عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله ﷻ» ثم قرأ: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾﴾[(٣)]. وهكذا رواه مسلم في كتاب الإيمان والترمذي والنسائي في كتاب التفسير من سننيهما من حديث سفيان بن سعيد الثوري به بهذه الزيادة[(٤)]، وهذا الحديث مخرج في الصحيحين من رواية أبي هريرة بدون ذكر هذه الآية[(٥)].

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾﴾ أي: تولى عن العمل بأركانه وكفر بالحق بجنانه ولسانه، وهذه كقوله تعالى: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾﴾ [القيامة] ولهذا قال: ﴿فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾﴾ قال الإمام أحمد: حدثنا قتيبة، حدثنا ليث، عن سعيد بن أبي هلال، عن علي بن خالد، أن أبا أُمامة الباهلي مرَّ على خالد بن يزيد بن معاوية، فسأله عن ألين كلمة سمعها من رسول الله ﷺ فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ألا كلكم يدخل الجنة إلا من شرد على الله شراد البعير على أهله»[(٦)]، تفرد بإخراجه الإمام أحمد، وعلي بن خالد هذا ذكره ابن أبي حاتم عن أبيه ولم يزد على ما هٰهنا: روى عن أبي أُمامة وعنه سعيد بن أبي هلال.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾﴾ أي: مرجعهم ومنقلبهم ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾﴾ أي: نحن نحاسبهم على أعمالهم ونجازيهم بها إن خيراً فخير وإن شراً فشر.

[آخر تفسير سورة الغاشية، ولله الحمد والمنة][(٧)].

---

(١) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس؛ وأخرجه آدم الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح، عن مجاهد.

(٢) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

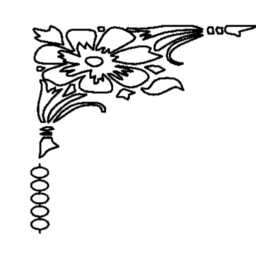
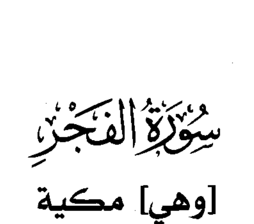
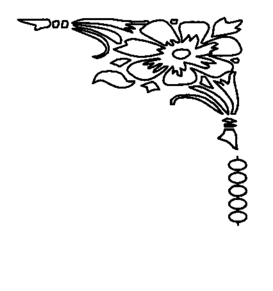
(٣) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه. (المسند ٣/ ٣٠٠)، وسنده صحيح.

(٤) صحيح مسلم، الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتىٰ يقولوا: لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ (ح٢١)؛ وسنن الترمذي، التفسير، باب ومن سورة الغاشية (ح٣٣٤١)؛ والسنن الكبرى، التفسير، باب سورة الغاشية (ح١١٦٧٠).

(٥) صحيح البخاري، الجهاد، باب دعاء النبي ﷺ الناس إلى الإسلام (ح٢٩٤٦)؛ وصحيح مسلم، الحديث السابق.

(٦) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه، وحسن سنده محققوه. (المسند ٣٦/ ٥٦٠ ح٢٢٢٢٦)؛ وعزاه الحافظ ابن حجر إلىٰ الطبراني وقال: سنده جيد. (فتح الباري ١٣/ ٢٥٤)؛ وصححه الألباني بشواهد. (السلسلة الصحيحة ح٢٠٤٣).

(٧) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل بلفظ: «آخرها».

سُورَةُ الفَجْرِ

[وهي] مكية

قال النسائي: أنبأنا عبد الوهاب بن الحكم، أخبرني يحيى بن سعيد، عن سليمان، عن محارب بن دثار وأبي صالح، عن جابر قال: صلى معاذ صلاة، فجاء رجل فصلى معه، فطول فصلى في ناحية المسجد ثم انصرف، فبلغ ذلك معاذاً فقال: منافق، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فسأل الفتى فقال: يا رسول الله: جئت أصلي معه فطول عليَّ، فانصرفت وصليت في ناحية المسجد، فعلفت ناقتي، فقال رسول الله ﷺ: «أفتان يا معاذ؟ أين أنت من ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١﴾، ﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ۝١﴾، ﴿وَٱلْفَجْرِ ۝١﴾، ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ۝١﴾»[1]؟.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَٱلْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢ وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ ۝٣ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ۝٤ هَلْ فِى ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِى حِجْرٍ ۝٥ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ۝٧ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَـٰدِ ۝٨ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ۝٩ وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ۝١٠ ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَـٰدِ ۝١١ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ۝١٢ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ۝١٣ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ۝١٤﴾.

أما الفجر فمعروف وهو الصبح، قاله علي وابن [عباس][2] وعكرمة ومجاهد والسدي[3].

وعن مسروق ومحمد بن كعب: المراد به فجر يوم النحر خاصة، وهو خاتمة الليالي العشر.

وقيل: المراد بذلك الصلاة التي تفعل عنده كما قاله عكرمة.

وقيل: المراد به جميع النهار، وهو رواية عن ابن عباس[4].

والليالي العشر المراد بها عشر ذي الحجة كما قاله ابن عباس وابن الزبير ومجاهد وغير واحد من السلف والخلف[5].

---

(١) تقدم نحوه في مطلع تفسير سورة الانفطار، ولكن بدون قول معاذ: منافق، وكذلك بدون ذكر: والفجر، وأما ذكره لسورة الفجر فيشهد له ما تقدم في تفسير سورة الانفطار من رواية الصحيحين بلفظ: اقرأ ﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ۝١﴾ و﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١﴾ ونحوهما. فقوله: ونحوهما يدخل فيه سورة. والفجر.

(٢) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل بياض.

(٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق عاصم الأحول، عن عكرمة؛ وأخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي، عن ابن عباس، ويتقوىٰ بسابقه.

(٤) أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري والحاكم من طريق أبي نصر، وهو الأسود بن هلال، عن ابن عباس؛ وصححه الحاكم ووافقه الذهبي. (المستدرك ٢/٥٢٢).

(٥) أخرجه آدم والطبري والحاكم من الطريق السابق، وهو تتمة للرواية السابقة؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح =

وقد ثبت في صحيح البخاري، عن ابن عباس مرفوعاً: «ما من أيام العمل الصالح أحبّ إلى الله فيهن من هذه الأيام»؛ يعني: عشر ذي الحجة قالوا: ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: «ولا الجهاد في سبيل الله إلا رجلاً خرج بنفسه وماله ثم لم يرجع من ذلك بشيء»[(١)].

وقيل: المراد بذلك العشر الأول من المحرم، حكاه أبو جعفر بن جرير ولم يعزه إلى أحد[(٢)].

وقد روى أبو كدينة، عن قابوس بن أبي ظبيان، عن أبيه، عن ابن عباس: ﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢﴾ قال: هو العشر الأول من رمضان[(٣)]، والصحيح القول الأول.

قال الإمام أحمد: حدثنا زيد بن الحباب، حدثنا عياش بن عقبة، حدثني خير بن نعيم، عن أبي الزبير، عن جابر، عن النبي ﷺ قال: «إن العشر عشر الأضحى، والوتر يوم عرفة، والشفع يوم النحر»[(٤)]. ورواه النسائي عن محمد بن رافع وعبدة بن عبد الله، وكل منهما عن زيد بن الحباب به[(٥)]. ورواه ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث زيد بن الحباب به، وهذا إسناد رجاله لا بأس بهم، وعندي أن المتن في رفعه نكارة، والله أعلم.

وقوله تعالى: ﴿وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ۝٣﴾ قد تقدم في هذا الحديث أن الوتر يوم عرفة لكونه التاسع، وأن الشفع يوم النحر لكونه العاشر، وقاله ابن عباس وعكرمة والضحاك أيضاً[(٦)].

(قول ثان) وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثني عقبة بن خالد، عن واصل بن السائب، قال: سألت عطاء عن قوله تعالى: ﴿وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ۝٣﴾ قلت: صلاتنا وترنا هذا؟ قال: لا، ولكن الشفع يوم عرفة، والوتر ليلة الأضحى[(٧)].

(قول ثالث) قال ابن أبي حاتم: حدثنا محمد بن عامر بن إبراهيم الأصبهاني، حدثني أبي، عن النعمان؛ يعني: ابن عبد السلام، عن أبي سعيد بن عوف، حدثني بمكة قال: سمعت عبد الله بن الزبير يخطب الناس، فقام إليه رجل فقال: يا أمير المؤمنين أخبرني عن الشفع والوتر، فقال: الشفع قول الله تعالى: ﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ٢٠٣] والوتر قوله تعالى: ﴿وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾[(٨)] [البقرة: ٢٠٣].

= من طريق أبي إسحاق السبيعي عن مسروق؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق عاصم الأحول عن عكرمة؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(١) صحيح البخاري، العيدين، باب فضل العمل في أيام التشريق (ح٩٦٩).

(٢) كذا ذكره الطبري، وعزاه البغوي إلىٰ يمن بن رباب (معالم التنزيل ٤/ ٤٨١).

(٣) سنده ضعيف لأن قابوس بن أبي ظبيان لين الحديث. (التقريب ص٤٤٩).

(٤) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه، قال محققوه: هذا إسناد لا بأس برجاله، وأبو الزبير لم يصرح بسماعه من جابر. (المسند ٢٢/ ٣٨٩ ح١٤٥١١)؛ وأخرجه الحاكم من طريق زيد بن الحباب به وصححه ووافقه الذهبي. (المستدرك ٤/ ٢٢٠)؛ وقال الهيثمي: ورجاله رجال الصحيح غير عياش بن عقبة وهو ثقة (مجمع الزوائد ٧/ ١٣٧).

(٥) السنن الكبرىٰ، التفسير، سورة الفجر ح١١٦٧١.

(٦) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق زرارة بن أوفىٰ، عن ابن عباس؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق عاصم الأحول، عن عكرمة.

(٧) سنده ضعيف لضعف واصل بن السائب. (التقريب ص٥٧٩).

(٨) أبو سعيد بن عوف لم أعثر على ترجمته.

وقال ابن جريج: أخبرني محمد بن المرتفع أنه سمع ابن الزبير يقول: الشفع أوسط أيام التشريق والوتر آخر أيام التشريق[(١)].

وفي الصحيحين من رواية أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ: «إن لله تسعة وتسعين اسماً مائة إلا واحداً من أحصاها دخل الجنة، وهو وتر يحب الوتر»[(٢)].

(قول رابع) قال الحسن البصري وزيد بن أسلم: الخلق كلهم شفع ووتر أقسم تعالى بخلقه، وهو رواية عن مجاهد[(٣)]، والمشهور عنه الأول.

وقال العوفي، عن ابن عباس ﴿وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ ۝٣﴾ قال: الله وتر واحد، وأنتم شفع، ويقال الشفع صلاة الغداة والوتر صلاة المغرب[(٤)].

(قول خامس) قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا عبيد الله بن موسى، عن إسرائيل، عن أبي يحيى، عن مجاهد: ﴿وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ ۝٣﴾ قال: الشفع الزوج، والوتر: الله ﷻ[(٥)].

وقال أبو عبد الله، عن مجاهد: الله الوتر وخلقه الشفع الذكر والأنثى.

وقال ابن أبي نجيح، عن مجاهد قوله: ﴿وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ ۝٣﴾ كل شيء خلقه الله شفع. السماء والأرض والبر والبحر والجن والإنس والشمس والقمر[(٦)]. ونحو هذا، ونحا مجاهد في هذا ما ذكروه في قوله تعالى: ﴿وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝٤٩﴾ [الذاريات] أي: لتعلموا أن خالق الأزواج واحد.

(قول سادس) قال قتادة، عن الحسن: والشفع والوتر: هو العدد منه شفع ومنه وتر[(٧)].

(قول سابع في الآية الكريمة) رواه ابن أبي حاتم وابن جرير من طريق ابن جريج ثم قال ابن جرير: وروي عن النبي ﷺ خبر يؤيد القول الذي ذكرنا عن أبي الزبير؛ حدثني عبد الله بن أبي زياد القطواني، حدثنا زيد بن الحباب، أخبرني عياش بن عقبة، حدثني خير بن نعيم، عن أبي الزبير، عن جابر أن رسول الله قال: «الشفع اليومان والوتر اليوم الثالث»[(٨)]. هكذا ورد هذا

---

(١) أخرجه الطبري من طريق ابن وهب عن عمر بن قيس عن محمد بن المرتفع به وسنده ضعيف لضعف عمر بن قيس وهو المكي المعروف بسندل يروي عنه ابن وهب. (تهذيب التهذيب ٧/ ٤٩٠، ٤٩١). وقد تابعه ابن جريج.

(٢) تقدم تخريجه في تفسير سورة الأعراف آية ١٨٠.

(٣) أخرجه عبد الرزاق والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد؛ وأخرجه عبد الرزاق والطبري بسند صحيح من طريق معمر عن الحسن؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

(٤) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به.

(٥) في سنده أبو يحيىٰ وهو القتات وهو ضعيف وقد تابعه ابن أبي نجيح في الرواية التالية.

(٦) أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح به، وزيادة قوله: «والله الوتر وحده».

(٧) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن الحسن.

(٨) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وقد أشار الحافظ ابن كثير إلى مخالفة المتن لما سبق، وفي سنده أبو الزبير لم يصرح بالسماع من جابر.

الخبر بهذا اللفظ، وهو مخالف لما تقدم من اللفظ في رواية أحمد والنسائي وابن أبي حاتم وما رواه هو أيضاً، والله أعلم. قال أبو العالية والربيع بن أنس وغيرهما: هي الصلاة منها شفع كالرباعية والثنائية، ومنها وتر كالمغرب فإنها ثلاث وهي وتر النهار، وكذلك صلاة الوتر في آخر التهجد من الليل[١].

وقد قال عبد الرزاق، عن معمر، عن قتادة، عن عمران بن حصين ﴿وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ ۝٣﴾ قال: هي الصلاة المكتوبة منها شفع ومنها وتر[٢]. وهذا منقطع وموقوف ولفظه خاص بالمكتوبة وقد روي متصلاً مرفوعاً إلى النبي ﷺ ولفظه عام.

قال الإمام أحمد: حدثنا أبو داود هو الطيالسي، حدثنا همام، عن قتادة، عن عمران بن عصام أن شيخاً حدثه من أهل البصرة، عن عمران بن حصين أن رسول الله ﷺ سئل عن الشفع والوتر فقال: «هي الصلاة بعضها شفع وبعضها وتر»[٣]. هكذا وقع في المسند، وكذا رواه ابن جرير، عن بندار، عن عفان، وعن أبي كريب، عن عبيد الله بن موسى وكلاهما عن همام، وهو ابن يحيى، عن قتادة، عن عمران بن عصام، عن شيخ، عن عمران بن حصين، وكذا رواه أبو عيسى الترمذي، عن عمرو بن علي، عن ابن مهدي وأبي داود، كلاهما عن همام، عن قتادة، عن عمران بن عصام، عن رجل من أهل البصرة، عن عمران بن حصين به، ثم قال: غريب لا نعرفه إلا من حديث قتادة، وقد رواه خالد بن قيس أيضاً عن قتادة، وقد روي عن عمران بن عصام، عن عمران نفسه[٤]. والله أعلم.

قلت: ورواه ابن أبي حاتم: حدثنا أحمد بن سنان الواسطي، حدثنا يزيد بن هارون، أخبرنا همام، عن قتادة، عن عمران بن عصام الضبعي شيخ من أهل البصرة، عن عمران بن حصين، عن النبي ﷺ، فذكره، هكذا رأيته في تفسيره فجعل الشيخ البصري هو: عمران بن عصام. وهكذا رواه ابن جرير: أخبرنا نصر بن علي، حدثني أبي، حدثني خالد بن قيس، عن قتادة، عن عمران بن عصام، عن عمران بن حصين، عن النبي ﷺ في الشفع والوتر قال: «هي الصلاة منها شفع ومنها وتر»[٥]. فأسقط ذكر الشيخ المبهم، وتفرد به عمران بن عصام الضبعي أبو عمارة البصري إمام مسجد بني ضبيعة. وهو والد أبي جمرة نصر بن عمران الضبعي، روى عنه قتادة وابنه أبو جمرة والمثنى بن سعيد وأبو التياح يزيد بن حميد، وذكره ابن حبان في كتاب الثقات، وذكره خليفة بن خياط في التابعين من أهل البصرة، وكان شريفاً نبيلاً حظياً عند الحجاج بن

---

(١) أخرجه الطبري وابن أبي حاتم، كما في الدر المنثور، بسند جيد من طريق أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس.

(٢) سنده ضعيف لأن قتادة لم يسمع من عمران بن الحصين رضي الله عنه.

(٣) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٤/ ٤٣٧) وسنده ضعيف لإبهام الراوي البصري عن عمران بن الحصين.

(٤) أخرجه الطبري والترمذي بالسند المذكور. (السنن، التفسير، باب ومن سورة الفجر ح٣٣٤٢)، وسنده ضعيف كسابقه.

(٥) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وقد أشار الحافظ ابن كثير إلى تفرد عمران بن عصام الضبعي به.

يوسف، ثم قتله يوم الزاوية سنة ثلاث وثمانين لخروجه مع ابن الأشعث، وليس له عند الترمذي سوى هذا الحديث الواحد، وعندي أن وقفه على عمران بن حصين أشبه والله أعلم، ولم يجزم ابن جرير بشيء من هذه الأقوال في الشفع والوتر.

وقوله تعالى: ﴿وَالَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ۝٤﴾ قال العوفي، عن ابن عباس: أي إذا ذهب[١].

وقال عبد الله بن الزبير: ﴿وَالَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ۝٤﴾ حتى يذهب بعضه بعضاً[٢].

وقال مجاهد وأبو العالية وقتادة ومالك، عن زيد بن أسلم، وابن زيد: ﴿وَالَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ۝٤﴾ إذا سار[٣]، وهذا يمكن حمله على ما قال ابن عباس؛ أي: ذهب، ويحتمل أن يكون المراد إذا سار؛ أي: أقبل، وقد يقال إن هذا أنسب لأنه في مقابلة قوله: ﴿وَالْفَجْرِ ۝١﴾ فإن الفجر هو إقبال النهار وإدبار الليل، فإذا حمل قوله: ﴿وَالَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ۝٤﴾ على إقباله كان قسماً بإقبال الليل وإدبار النهار وبالعكس كقوله: ﴿وَالَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ۝١٧ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ۝١٨﴾ [التكوير] وكذا قال الضحاك: ﴿وَالَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ۝٤﴾ أي: يجري.

وقال عكرمة: ﴿وَالَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ۝٤﴾ يعني: ليلة جمع؛ ليلة المزدلفة[٤]. رواه ابن جرير وابن أبي حاتم.

ثم قال ابن أبي حاتم: حدثنا أحمد بن عصام، حدثنا أبو عامر، عن كثير بن عبد الله بن عمرو قال: سمعت محمد بن كعب القرظي يقول في قوله: ﴿وَالَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ۝٤﴾ قال: اسر يا سار ولا تبيتنَّ إلا بجمع[٥].

وقوله تعالى: ﴿هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ ۝٥﴾ أي: لذي عقل ولب ودين وحجا، وإنما سمي العقل حجراً لأنه يمنع الإنسان من تعاطي ما لا يليق به من الأفعال والأقوال، ومنه حجر البيت؛ لأنه يمنع الطائف من اللصوق بجداره الشامي، ومنه حجر اليمامة، وحَجَر الحاكم على فلان إذا منعه التصرف ﴿وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ [الفرقان: ٢٢] كل هذا من قبيل واحد، ومعنى متقارب، وهذا القسم هو بأوقات العبادة وبنفس العبادة من حج وصلاة وغير ذلك من أنواع القرب التي يتقرب بها إليه عباده المتقون المطيعون له، الخائفون منه المتواضعون لديه الخاضعون لوجهه الكريم، ولما ذكر هؤلاء وعبادتهم وطاعتهم قال بعده: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦﴾؟ وهؤلاء كانوا متمردين عتاة جبارين خارجين عن طاعته مكذبين لرسله جاحدين لكتبه، فذكر تعالى كيف أهلكهم ودمرهم وجعلهم أحاديث وعبراً فقال: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ۝٧﴾؟ وهؤلاء عاد الأولى وهم

---

(١) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به.

(٢) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق عمر بن قيس عن محمد بن المرتفع عن عبد الله بن الزبير، وسنده ضعيف لضعف عمر بن قيس المعروف بسندل. (تهذيب التهذيب ٧/ ٤٩٠، ٤٩١).

(٣) أخرجه عبد الرزاق والطبري بسند صحيح من طريق معمر عن قتادة؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد؛ وأخرجه الطبري بسند جيد من طريق الربيع بن أنس عن أبي العالية.

(٤) أخرجه الطبري بسند ضعيف فيه جابر وهو: الجعفي، وهو ضعيف، وفيه ابن حميد وهو محمد بن حميد الرازي، وهو ضعيف.

(٥) سنده ضعيف لضعف كثير بن عبد الله بن عمرو. (التقريب ص٤٦٠).

ولد عاد بن إرم بن عوص بن سام بن نوح. قاله ابن إسحاق[1]، وهم الذين بعث الله فيهم رسوله هوداً عليه السلام فكذبوه وخالفوه، فأنجاه الله من بين أظهرهم ومن آمن معه منهم وأهلكهم ﴿بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۝ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ۝ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ۝﴾ [الحاقة] وقد ذكر الله قصتهم في القرآن في غير ما موضع ليعتبر بمصرعهم المؤمنون، فقوله تعالى: ﴿إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ۝﴾ عطف بيان، زيادة تعريف بهم.

وقوله تعالى: ﴿ذَاتِ ٱلْعِمَادِ﴾ لأنهم كانوا يسكنون بيوت الشعر التي ترفع بالأعمدة الشداد، وقد كانوا أشد الناس في زمانهم خلقة وأقواهم بطشاً، ولهذا ذكرهم هود بتلك النعمة وأرشدهم إلى أن يستعملوها في طاعة ربهم الذي خلقهم فقال: ﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ [لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ][2]﴾ [الأعراف: ٦٩] وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ [فصلت: ١٥] وقال هٰهنا: ﴿ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَٰدِ ۝﴾ أي: القبيلة التي لم يخلق مثلها في بلادهم لقوتهم وشدتهم وعظم تركيبهم.

قال مجاهد: إرم، أُمة قديمة؛ يعني: عاداً الأولى.

قال قتادة بن دعامة والسدي: إن إرم بيت مملكة عاد[3]، وهذا قول حسن جيد وقوي.

وقال مجاهد وقتادة والكلبي في قوله: ﴿ذَاتِ ٱلْعِمَادِ﴾ كانوا أهل عُمُد لا يقيمون[4].

وقال العوفي، عن ابن عباس: إنما قيل لهم ذات العماد لطولهم[5]، واختار الأول ابن جرير، وردَّ الثاني، فأصاب.

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَٰدِ ۝﴾ أعاد ابن زيد الضمير على العماد لارتفاعها وقال: بنوا عمداً بالأحقاف لم يخلق مثلها في البلاد[6]، وأما قتادة وابن جرير فأعاد الضمير على القبيلة؛ أي: لم يخلق مثل تلك القبيلة في البلاد؛ يعني: في زمانهم، وهذا القول هو الصواب، وقول ابن زيد ومن ذهب مذهبه ضعيف، لأنه لو كان المراد ذلك لقال التي لم يعمل مثلها في البلاد وإنما قال: ﴿لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَٰدِ﴾.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا أبو صالح كاتب الليث، حدثني معاوية بن صالح، عمَّن حدثه، عن المقدام، عن النبي ﷺ أنه ذكر ﴿إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ۝﴾ فقال: «كان الرجل منهم يأتي على الصخرة فيحملها على الحي فيهلكهم»[7].

---

(١) ينظر سيرة ابن هشام ٧/١؛ وأخرجه الطبري عن ابن إسحاق.
(٢) كذا في سورة الأعراف آية ٦٩، وفي الأصول: «ولا تعثوا في الأرض مفسدين».
(٣) أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة.
(٤) أخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد بلفظ: «أهل عمود»؛ وأخرجه عبد الرزاق والطبري بسند صحيح من طريق معمر عن قتادة.
(٥) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به.
(٦) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.
(٧) سنده ضعيف لإبهام الراوي عن المقدام.

ثم قال ابن أبي حاتم: حدثنا علي بن الحسين، حدثنا أبو الطاهر، حدثنا أنس بن عياض، عن ثور بن زيد الديلي قال: قرأت كتاباً وقد سمى حيث قرأه: أنا شداد بن عاد، وأنا الذي رفعت العماد، وأنا الذي شددت بذراعي نظر واحد، وأنا الذي كنزت كنزاً على سبعة أذرع لا يخرجه إلا أمة محمد ﷺ[(١)].

(قلت): فعلى كل قول سواء كانت العماد أبنية بنوها أو أعمدة بيوتهم للبدو أو سلاحاً يقاتلون به أو طول واحد منهم، فهم قبيلة وأمة من الأُمم، وهم المذكورون في القرآن في غير ما موضع المقرونون بثمود كما هُهنا، والله أعلم.

ومن زعم أن المراد بقوله: ﴿إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ۝٧﴾ مدينة إما دمشق كما روي عن سعيد بن المسيب وعكرمة[(٢)]، أو إسكندرية كما روي عن القرظي[(٣)] أو غيرهما ففيه نظر، فإنه كيف يلتئم الكلام على هذا ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ۝٧﴾ إن جعل ذلك بدلاً أو عطف بيان، فإنه لا يتسق الكلام حينئذٍ، ثم المراد إنما هو الإخبار عن إهلاك القبيلة المسماة بعاد وما أحلَّ الله بهم من بأسه الذي لا يُردّ، لا أن المراد الإخبار عن مدينة أو إقليم.

وإنما نبهت على ذلك لئلا يغتر بكثير مما ذكره جماعة من المفسرين عند هذه الآية من ذكر مدينة يقال لها: إرم ذات العماد، مبنية بلبن الذهب والفضة قصورها ودورها وبساتينها، وأن حصباءها لآلئ وجواهر، وترابها بنادق المسك، وأنهارها سارحة وثمارها ساقطة، ودورها لا أنيس بها وسورها وأبوابها تصفر ليس بها داع ولا مجيب، وأنها تتنقل فتارة تكون بأرض الشام وتارة باليمن وتارة بالعراق وتارة بغير ذلك من البلاد، فإن هذا كله من خرافات الإسرائيليين من وضع بعض زنادقتهم ليختبروا بذلك عقول الجهلة من الناس أن تصدقهم في جميع ذلك.

وذكر الثعلبي وغيره أن رجلاً من الأعراب وهو عبد الله بن قلابة في زمان معاوية ذهب في طلب أباعر له شردت، فبينما هو يتيه في ابتغائها إذ اطلع على مدينة عظيمة لها سور وأبواب، فدخلها فوجد فيها قريباً مما ذكرناه من صفات المدينة الذهبية التي تقدم ذكرها، وأنه رجع فأخبر الناس فذهبوا معه إلى المكان الذي قال فلم يروا شيئاً.

وقد ذكر ابن أبي حاتم قصة إرم ذات العماد هُهنا مطولة جداً فهذه الحكاية ليس يصح إسنادها، ولو صحّ إلى ذلك الأعرابي فقد يكون اختلق ذلك أو أنه أصابه نوع من الهوس والخبال، فاعتقد أن ذلك له حقيقة في الخارج وليس كذلك، وهذا مما يقطع بعدم صحته، وهذا قريب مما يخبر به كثير من الجهلة والطامعين والمُتحيلين من وجود مطالب تحت الأرض، فيها قناطير الذهب والفضة وألوان الجواهر واليواقيت واللآلئ والإكسير الكبير، لكن عليها موانع تمنع من الوصول إليها والأخذ منها، فيحتالون على أموال الأغنياء والضعفة والسفهاء فيأكلونها بالباطل

---

(١) هذا الكتاب لا يعتمد لأنه ينص على أمر غيبي لا يؤخذ إلا من الوحي، وعليه فالسند معضل.

(٢) عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد وابن أبي حاتم عن عكرمة؛ وأخرجه ابن عساكر عن سعيد المسيب (تاريخ دمشق ١/ ٢١٧)؛ وأخرجه الطبري بسند حسن من طريق ابن أبي ذئب عن المقبري، وهو سعيد المقبري.

(٣) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق أبي صخر عن محمد بن كعب القرظي.

في صرفها في بخاخير وعقاقير ونحو ذلك من الهذيانات ويطنزون بهم، والذي يجزم به أن في الأرض دفائن جاهلية وإسلامية وكنوزاً كثيرة من ظفر بشيء منها أمكنه تحويله، فأما على الصفة التي زعموها فكذب وافتراء وبهت، ولم يصح في ذلك شيء مما يقولون إلا عن نقلهم أو نقل من أخذ عنهم، والله ﷻ الهادي للصواب.

وقول ابن جرير يحتمل أن يكون المراد بقوله: ﴿إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ۝٧﴾ قبيلة أو بلدة كانت عاد تسكنها فلذلك لم تصرف، فيه نظر لأن المراد من السياق إنما هو الإخبار عن القبيلة، ولهذا قال بعده: ﴿وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ۝٩﴾ يعني: يقطعون الصخر بالوادي.

قال ابن عباس: ينحتونها ويخرقونها[١]، وكذا قال مجاهد وقتادة والضحاك وابن زيد[٢]، ومنه يقال مجتابي النمار إذا خرقوها، واجتاب الثوب إذا فتحه، ومنه الجيب أيضاً وقال الله تعالى: ﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ ۝١٤٩﴾ [الشعراء]، وأنشد ابن جرير وابن أبي حاتم هٰهنا قول الشاعر:

ألا كل شيء ما خلا الله بائد ... كما باد حي من شنيف ومارد
هم ضربوا في كل صماء صعدة ... بأيدٍ شدادٍ أيدات السواعد[٣]

وقال ابن إسحاق: كانوا عرباً وكان منزلهم بوادي القرى.

وقد ذكرنا قصة عاد مستقصاة في سورة الأعراف بما أغنى عن إعادته[٤].

وقوله تعالى: ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ۝١٠﴾ قال العوفي، عن ابن عباس: الأوتاد الجنود الذين يشدون له أمره، ويقال: كان فرعون يوتد أيديهم وأرجلهم في أوتاد من حديد يعلقهم بها[٥]، وكذا قال مجاهد: كان يوتد الناس بالأوتاد[٦]، وهكذا قال سعيد بن جبير والحسن والسدي.

قال السدي: كان يربط الرجل في كل قائمة من قوائمه في وتد ثم يرسل عليه صخرة عظيمة فيشدخه[٧].

وقال قتادة: بلغنا أنه كان له مظال وملاعب يلعب له تحتها من أوتاد وحبال[٨].

وقال ثابت البناني، عن أبي رافع: قيل لفرعون ذي الأوتاد لأنه ضرب لامرأته أربعة أوتاد، ثم جعل على ظهرها رحى[٩] عظيمة حتى ماتت[١٠].

---

(١) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس بلفظ: «فخرقوها».
(٢) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق أبي يحيىٰ، وهو القتات، عن مجاهد؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد؛ وأخرجه الطبري بسند حسن من طريق عبيد بن سليمان عن الضحاك؛ وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة.
(٣) استشهد به الطبري.
(٤) في الآيات رقم ٦٥ ـ ٧٢.
(٥) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به، ويتقوىٰ بما يليه.
(٦) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.
(٧) عزاه السيوطي إلىٰ ابن أبي حاتم عن السدي.
(٨) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة.
(٩) أي: صخرة ضخمة.
(١٠) أخرجه عبد الرزاق والطبري بسند صحيح من طريق معمر عن ثابت به.

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ طَغَوۡاْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ۝١١ فَأَكۡثَرُواْ فِيهَا ٱلۡفَسَادَ ۝١٢﴾ أي: تمردوا وعتوا وعاثوا في الأرض بالإفساد والأذية للناس ﴿فَصَبَّ عَلَيۡهِمۡ رَبُّكَ سَوۡطَ عَذَابٍ ۝١٣﴾ أي: أنزل عليهم رجزاً من السماء وأحلَّ بهم عقوبة، لا يردّها عن القوم المجرمين.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلۡمِرۡصَادِ ۝١٤﴾ قال ابن عباس: يسمع ويرى[1]؛ يعني: يرصد خلقه فيما يعملون ويجازي كلاً بسعيه في الدنيا والأخرى، وسيعرض الخلائق كلهم عليه فيحكم فيهم بعدله ويقابل كلا بما يستحقه، وهو المنزه عن الظلم والجور.

وقد ذكر ابن أبي حاتم هٰهنا حديثاً غريباً جداً وفي إسناده نظر وفي صحته، فقال: حدثنا أبي، حدثنا أحمد بن أبي الحواري، حدثنا يونس الحذاء، عن أبي حمزة البيساني، عن معاذ بن جبل، قال: قال رسول الله ﷺ: «يا معاذ إن المؤمن لدى الحق أسير، يا معاذ إن المؤمن لا يسكن روعه ولا يأمن اضطرابه حتى يخلف جسر جهنم خلف ظهره، يا معاذ إن المؤمن قيده القرآن عن كثير من شهواته وعن أن يهلك فيها هو - بإذن الله ﷻ -، فالقرآن دليله، والخوف محجته، والشوق مطيته، والصلاة كهفه، والصوم جنته، والصدقة فكاكه، والصدق أميره، والحياء وزيره، وربه ﷻ من وراء ذلك كله بالمرصاد»[2].

قال ابن أبي حاتم: يونس الحذاء وأبو حمزة مجهولان وأبو حمزة، عن معاذ مرسل. ولو كان عن أبي حمزة لكان حسناً؛ أي: لو كان من كلامه لكان حسناً.

ثم قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا صفوان بن صالح، حدثنا الوليد بن مسلم، عن صفوان بن عمرو، عن أيفع، عن ابن عبد الكلاعي أنه سمعه وهو يعظ الناس يقول: إن لجهنم سبع قناطر قال: والصراط عليهنَّ، قال: فيحبس الخلائق عند القنطرة الأولى فيقول: ﴿وَقِفُوهُمۡۖ إِنَّهُم مَّسۡـُٔولُونَ ۝٢٤﴾ [الصافات] قال: فيحاسبون على الصلاة ويسألون عنها، قال: فيهلك فيها من هلك وينجو من نجا، فإذا بلغوا القنطرة الثانية حوسبوا على الأمانة كيف أدوها وكيف خانوها؟ قال: فيهلك من هلك وينجو من نجا، فإذا بلغوا القنطرة الثالثة سئلوا عن الرحم كيف وصلوها وكيف قطعوها؟ قال: فيهلك من هلك وينجو من نجا، قال: والرحم يومئذٍ متدلية إلى الهوى في جهنم تقول: اللّٰهم من وصلني فصله، ومن قطعني فاقطعه، قال: وهي التي يقول الله ﷻ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلۡمِرۡصَادِ ۝١٤﴾[3]. هكذا أورد هذا الأثر ولم يذكر تمامه.

﴿فَأَمَّا ٱلۡإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكۡرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَكۡرَمَنِ ۝١٥ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيۡهِ رِزۡقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَهَٰنَنِ ۝١٦ كَلَّاۖ بَل لَّا تُكۡرِمُونَ ٱلۡيَتِيمَ ۝١٧ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ ۝١٨ وَتَأۡكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكۡلٗا لَّمّٗا ۝١٩ وَتُحِبُّونَ ٱلۡمَالَ حُبّٗا جَمّٗا ۝٢٠﴾.

يقول تعالى منكراً على الإنسان في اعتقاده إذا وسع الله تعالى عليه في الرزق ليختبره في

(١) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس.
(٢) سنده ضعيف لجهالة أبي حمزة وجهالة يونس الحذاء.
(٣) سنده ضعيف لضعف أيفع. (التقريب ص١١٧).

ذلك، فيعتقد أن ذلك من الله إكرام له وليس كذلك بل هو ابتلاء وامتحان كما قال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ۝٥٥ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ۝٥٦﴾ [المؤمنون] وكذلك في الجانب الآخر إذا ابتلاه وامتحنه وضيق عليه في الرزق يعتقد أن ذلك من الله إهانة له، كما قال الله تعالى: ﴿كَلَّا﴾ أي: ليس الأمر كما زعم لا في هذا ولا في هذا، فإن الله تعالى يعطي المال من يحب ومن لا يحب، ويضيق على من يحب ومن لا يحب، وإنما المدار في ذلك على طاعة الله في كل من الحالين: إذا كان غنياً بأن يشكر الله على ذلك وإذا كان فقيراً بأن يصبر.

وقوله تعالى: ﴿بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ﴾ فيه أمر بالإكرام له؛ كما جاء في الحديث الذي رواه عبد الله بن المبارك، عن سعيد بن أبي أيوب، عن يحيى بن أبي سليمان، عن يزيد بن أبي عتاب، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ: «خير بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يحسن إليه، وشر بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يساء إليه»، ثم قال بأصبعه: «أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا»[(١)].

وقال أبو داود: حدثنا محمد بن الصباح بن سفيان، أخبرنا عبد العزيز؛ يعني: ابن أبي [حازم][(٢)]، حدثني أبي، عن سهل؛ يعني: ابن سعيد أن رسول الله ﷺ قال: «أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة» وقرن بين أصبعيه الوسطى والتي تلي الإبهام[(٣)]، ﴿وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝١٨﴾ يعني: لا يأمرون بالإحسان إلى الفقراء والمساكين ويحث بعضهم على بعض في ذلك ﴿وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ﴾ يعني: الميراث ﴿أَكْلًا لَّمًّا﴾ أي: من أي جهة حصل لهم ذلك من حلال أو حرام ﴿وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ۝٢٠﴾ أي: كثيراً، زاد بعضهم: فاحشاً.

﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ۝٢١ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ۝٢٢ وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ۝٢٣ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ۝٢٤ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ۝٢٥ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ ۝٢٦ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ۝٢٧ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ۝٢٨ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ۝٢٩ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ۝٣٠﴾.

يخبر تعالى عما يقع يوم القيامة من الأهوال العظيمة، فقال تعالى: ﴿كَلَّآ﴾ أي: حقاً ﴿إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾ أي: وطئت ومهدت وسويت الأرض والجبال، وقام الخلائق من قبورهم لربهم ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ يعني: لفصل القضاء بين خلقه وذلك بعدما يستشفعون إليه بسيد ولد آدم على الإطلاق محمد صلوات الله عليه وسلامه عليه، بعدما يسألون أولي العزم من الرسل واحداً بعد واحد، فكلهم يقول: لست بصاحب ذاكم حتى تنتهي النوبة إلى محمد ﷺ فيقول: «أنا لها أنا

---

(١) أخرجه ابن المبارك بسنده ومتنه (الزهد رقم ٦٥٤)؛ وأخرجه ابن ماجه من طريق ابن المبارك به (السنن، الأدب، باب حق اليتيم ح٣٦٧٩)؛ وضعفه البوصيري لضعف يحيىٰ بن سليمان (مصباح الزجاجة ٣/١٦٥).

(٢) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل صُحف إلى: «حاتم».

(٣) أخرجه أبو داود بسنده ومتنه. (السنن، الأدب، باب من ضمّ اليتيم ح٥١٥٠)؛ وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح٤٢٨٩).

لها» فيذهب فيشفع عند الله تعالى في أن يأتي لفصل القضاء، فيشفعه الله تعالى في ذلك.

وهي أول الشفاعات وهي المقام المحمود كما تقدم بيانه في سورة سبحان[١]، فيجيء الربُّ تبارك وتعالى لفصل القضاء كما يشاء، والملائكة يجيئون بين يديه صفوفاً صفوفاً.

وقوله تعالى: ﴿وَجِاْيٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ﴾ قال الإمام مسلم بن الحجاج في صحيحه: حدثنا عمر بن حفص بن غياث، حدثنا أبي، عن العلاء بن خالد الكاهلي، عن شقيق، عن عبد الله هو: ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «يؤتى بجهنم يومئذٍ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها»[٢]. وهكذا رواه الترمذي، عن عبد الله بن عبد الرحمٰن الدارمي، عن عمر بن حفص به. ورواه أيضاً عن عبد بن حميد، عن أبي عامر، عن سفيان الثوري، عن العلاء بن خالد، عن شقيق بن سلمة ـ وهو أبو وائل ـ عن عبد الله بن مسعود قوله ولم يرفعه، وكذا رواه ابن جرير، عن الحسن بن عرفة، عن مروان بن معاوية الفزاري، عن العلاء بن خالد، عن شقيق، عن عبد الله قوله[٣].

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ أي: عمله وما كان أسلفه في قديم دهره وحديثه ﴿وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ أي: وكيف تنفعه الذكرى ﴿يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ﴿٢٤﴾﴾ يعني: يندم على ما كان سلف منه من المعاصي إن كان عاصياً ويود لو كان ازداد من الطاعات إن كان طائعاً؛ كما قال الإمام أحمد بن حنبل: حدثنا علي بن إسحاق، حدثنا عبد الله ـ يعني: ابن المبارك ـ، حدثنا ثور بن يزيد، عن خالد بن معدان، عن جبير بن نفير، عن محمد بن أبي عميرة، وكان من أصحاب رسول الله ﷺ، قال: لو أن عبداً خرّ على وجهه من يوم ولد إلى أن يموت هرماً في طاعة الله لحقره يوم القيامة، ولودّ أنه رُدَّ إلى الدنيا كيما يزداد من الأجر والثواب[٤]. وقد رواه أيضاً عن خالد بن معدان، عن عتبة بن عبيد، عن رسول الله ﷺ[٥].

قال الله تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾﴾ أي: ليس أحد أشد عذاباً من تعذيب الله من عصاه ﴿وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٦﴾﴾ أي: وليس أحد أشد قبضاً ووثقاً من الزبانية لمن كفر بربهم ﷻ، وهذا في حق المجرمين من الخلائق والظالمين، فأما النفس الزكية المطمئنة وهي الساكنة الثابتة الدائرة مع الحق فيقال لها: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ﴾ أي: إلى جواره وثوابه وما أعدَّ لعباده في جنته ﴿رَاضِيَةً﴾ أي: في نفسها ﴿مَّرْضِيَّةً﴾ أي: قد رضيت عن الله ورضي عنها وأرضاها ﴿فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾﴾ أي: في جملتهم ﴿وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾﴾ وهذا يقال لها عند الاحتضار وفي يوم القيامة أيضاً، كما أن الملائكة يبشرون المؤمن عند احتضاره وعند قيامه من قبره، فكذلك هٰهنا.

---

(١) تقدم تخريجه في تفسير سورة الإسراء آية ٧٩. (٢) تقدم تخريجه في تفسير سورة الكهف آية ١٠٠.

(٣) أخرجه الطبري والترمذي بالأسانيد المذكورة. (سنن الترمذي، صفة جهنم، باب ما جاء في صفة النار ح٢٥٧٣).

(٤) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه، وقال محققوه: إسناده صحيح. (المسند ٢٩/١٩٧ ح١٧٦٥٠).

(٥) أخرجه الإمام أحمد من طريق بقية قال: حدثني بحير بن سعد عن خالد بن معدان به، وضعف سنده محققوه لأن بقية خالف الرواية الموقوفة السابقة. (المسند ٢٩/١٩٦ ح١٧٦٤٩).

ثم اختلف المفسرون فيمن نزلت هذه الآية، فروى الضحاك، عن ابن عباس: نزلت في عثمان بن عفان[١].

وعن بُريدة بن الحصيب: نزلت في حمزة بن عبد المطلب ﷺ[٢].

وقال العوفي، عن ابن عباس: يقال للأرواح المطمئنة يوم القيامة: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ۝٢٧ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ﴾[٣] يعني: صاحبك وهو بدنها الذي كانت تعمره في الدنيا ﴿رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾ وروي عنه أنه كان يقرؤها ﴿فَادْخُلِي فِي عَبْدِى وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾[٤] وكذا قال عكرمة[٥] والكلبي، واختاره ابن جرير وهو غريب، والظاهر الأول لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ﴾ [الأنعام: ٦٢]، ﴿وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [غافر: ٤٣] أي: إلى حكمه والوقوف بين يديه.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا علي بن الحسين، حدثنا أحمد بن عبد الرحمٰن بن عبد الله الدشتكي، حدثني أبي، عن أبيه، عن أشعث، عن جعفر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ۝٢٧ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ۝٢٨﴾ قال: نزلت وأبو بكر جالس فقال: يا رسول الله ما أحسن هذا، فقال: «أما إنه سيقال لك هذا»[٦].

ثم قال: حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا ابن يمان، عن أشعث، عن سعيد بن جبير قال: قرئت عند النبي ﷺ: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ۝٢٧ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ۝٢٨﴾ فقال أبو بكر ﷺ: إن هذا لحسن، فقال له النبي ﷺ: «أما إن الملك سيقول لك هذا عند الموت». وكذا رواه ابن جرير، عن أبي كريب، عن ابن يمان به[٧]، وهذا مرسل حسن.

ثم قال ابن أبي حاتم: وحدثنا الحسن بن عرفة، حدثنا مروان بن شجاع الجزري، عن سالم الأفطس، عن سعيد بن جبير قال: مات ابن عباس بالطائف فجاء طير لم يُرَ على خلقته، فدخل نعشه ثم لم يُرَ خارجاً منه، فلما دفن تُليت هذه الآية على شفير القبر لا يُدرىٰ من تلاها: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ۝٢٧ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ۝٢٨ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ۝٢٩ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ۝٣٠﴾[٨].

ورواه الطبراني عن عبد الله بن أحمد، عن أبيه، عن مروان بن شجاع، عن سالم بن عجلان الأفطس به فذكره[٩].

---

(١) سنده ضعيف لأن الضحاك لم يلق ابن عباس ﷺ، ونسبه السيوطي إلى ابن مردويه.

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم عن بُريدة.

(٣) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به.

(٤) أخرجه الطبري بسند ضعيف جداً فيه أبان بن أبي عياش وهو متروك. (التقريب ص٨٧) وقراءة: «فادخلي عبدي» شاذة تفسيرية.

(٥) أي: كتفسير العوفي عن ابن عباس، وأخرجه الطبري بسند حسن من طريق المعتمر بن سليمان عن أبيه عن عكرمة.

(٦) سنده حسن.

(٧) أخرجه الطبري عن أبي كريب به، وهو مرسل ويتقوىٰ بسابقه.

(٨) في سنده مروان بن شجاع الجزري: صدوق له أوهام. (التقريب ص٥٢٦).

(٩) أخرجه الطبراني عن عبد الله بن أحمد به (المعجم الكبير ١٠/ ٢٩٠ ح١٠٥٨١) وفي سنده أيضاً مروان بن شجاع.

وقد ذكر الحافظ محمد بن المنذر الهروي ـ المعروف بشكر ـ في كتاب «العجائب» بسنده عن ثُبات بن رزين أبي هاشم قال: أُسرت في بلاد الروم، فجمعنا الملك وعرض علينا دينه على أن من امتنع ضُربت عنقه، فارتدَّ ثلاثة، وجاء الرابع فامتنع فضُربت عنقه وألقي رأسه في نهر هناك فرسب في الماء ثم طفا على وجه الماء ونظر إلى أولئك الثلاثة فقال: يا فلان ويا فلان ويا فلان يناديهم بأسمائهم قال الله تعالى في كتابه: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ﴿٢٨﴾ فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ﴿٢٩﴾ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي ﴿٣٠﴾﴾ ثم غاص في الماء، قال: فكادت النصارى أن يسلموا ووقع سرير الملك ورجع أولئك الثلاثة إلى الإسلام، قال وجاء الفداء من عند الخليفة أبي جعفر المنصور فخلصنا.

وروى الحافظ ابن عساكر في ترجمة رواحة بنت أبي عمرو الأوزاعي، عن أبيها، حدثني سليمان بن حبيب المحاربي، حدثني أبو أُمامة، أن رسول الله ﷺ قال لرجل: «قل اللَّهم إني أسألك نفساً بك مطمئنة تؤمن بلقائك وترضى بقضائك وتقنع بعطائك»[١]. ثم روى عن أبي سليمان بن زَبْر أنه قال: حديث رواحة هذا واحد أمَه[٢].

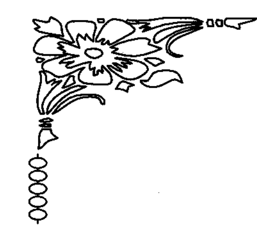
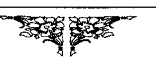
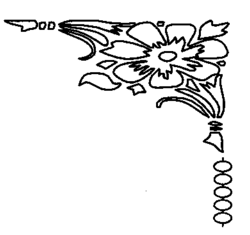
آخر تفسير سورة الفجر، ولله الحمد [والمنّة][٣].

---

(١) أخرجه ابن عساكر من طريق عبد الرحمٰن بن عبد الغفار البيروتي عن رواحة به (تاريخ دمشق، قسم تراجم النساء ص١٠٠) وعبد الرحمٰن ورواحة لم أجد لهم ترجمة وبقية رجاله ثقات؛ وأخرجه الطبراني من طريق عبد الرحمٰن بن عبد الغفار عن رواحة به (المعجم الكبير ٨/ ١١٨ ح٧٤٩٠)؛ قال الهيثمي: وفيه من لم أعرفه. (مجمع الزوائد ١٠/ ١٨٠).

(٢) أخرجه ابن عساكر من طريق آخر عن عبد الرحمٰن بن عبد الغفار به ثم أتبعة بتعليق من طريق موسىٰ السمسار قال: قال أبو سليمان بن زبر: حديث رواحة هذا واحد أمَه. (تاريخ دمشق، قسم تراجم النساء ص١٠١).

(٣) زيادة من (ح).

سُورَةُ البَلَدِ

مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝١ وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝٢ وَوَالِدٖ وَمَا وَلَدَ ۝٣ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ ۝٤ أَيَحۡسَبُ أَن لَّن يَقۡدِرَ عَلَيۡهِ أَحَدٞ ۝٥ يَقُولُ أَهۡلَكۡتُ مَالٗا لُّبَدًا ۝٦ أَيَحۡسَبُ أَن لَّمۡ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ۝٧ أَلَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ عَيۡنَيۡنِ ۝٨ وَلِسَانٗا وَشَفَتَيۡنِ ۝٩ وَهَدَيۡنَٰهُ ٱلنَّجۡدَيۡنِ ۝١٠﴾.

هذا قسم من الله تبارك وتعالى بمكة أُم القرى في حال كون الساكن فيها حالاً لينبه على عظمة قدرها في حال إحرام أهلها.

قال خُصيف، عن مجاهد: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝١﴾ ﴿لَآ﴾ ردٌ عليهم، ﴿أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ﴾[١].

وقال شبيب بن بشر: عن عكرمة، عن ابن عباس: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝١﴾ يعني: مكة ﴿وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝٢﴾ قال: أنت يا محمد يحل لك أن تُقاتل به[٢]، وكذا روي عن سعيد بن جبير وأبي صالح وعطية والضحاك وقتادة والسدي وابن زيد[٣].

وقال مجاهد: ما أصبت فيه فهو حلال لك[٤].

وقال قتادة: ﴿وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝٢﴾ قال: أنت به من غير حرج ولا إثم[٥].

وقال الحسن البصري: أحلَّها الله له ساعة من نهار، وهذا المعنى الذي قالوه ورد به الحديث المتفق على صحته: «إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السمٰوات والأرض، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة لا يعضد شجره ولا يختلى خلاه، وإنما أُحلت لي ساعة من نهار، وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس، ألا فليبلغ الشاهد الغائب»[٦].

وفي لفظ آخر: «فإن أحد ترخص بقتال رسول الله فقولوا: إن الله أذن لرسوله، ولم يأذن لكم»[٧].

---

(١) عزاه السيوطي إلى الفريابي وابن أبي حاتم عن مجاهد.

(٢) سنده حسن، ويشهد له ما يليه من آثار.

(٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة؛ وأخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

(٤) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق منصور عن مجاهد بنحوه.

(٥) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٦) تقدم تخريجه في تفسير سورة البقرة آية ١٢٦.

(٧) تقدم تخريجه في تفسير سورة البقرة آية ١٢٦.

وقوله تعالى: ﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ۝٣﴾ قال ابن جرير: حدثنا أبو كريب، حدثنا ابن عطية، عن شريك، عن خُصيف، عن عكرمة، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ۝٣﴾ الوالد الذي يلد وما ولد العاقر الذي لا يولد له[١]. ورواه ابن أبي حاتم من حديث شريك وهو ابن عبد الله القاضي به[٢].

وقال عكرمة: الوالد العاقر، وما ولد الذي يلد[٣]. رواه ابن أبي حاتم.

وقال مجاهد وأبو صالح وقتادة والضحاك وسفيان الثوري وسعيد بن جبير والسدي والحسن البصري وخُصيف وشرحبيل بن سعد وغيرهم: يعني بالوالد: آدم، وما ولد: ولده[٤].

وهذا الذي ذهب إليه مجاهد وأصحابه حسن قوي؛ لأنه تعالى لما أقسم بأُم القرى وهي: أُم المساكن أقسم بعده بالساكن وهو آدم أبو البشر وولده.

وقال أبو عمران الجوني: هو إبراهيم وذريته، رواه ابن جرير[٥] وابن أبي حاتم، واختار ابن جرير أنه عام في كل والد وولده وهو محتمل أيضاً.

وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ۝٤﴾ روي عن ابن مسعود وابن عباس وعكرمة ومجاهد وإبراهيم النخعي وخيثمة والضحاك وغيرهم يعني: منتصباً، زاد ابن عباس في رواية عنه: منتصباً في بطن أمه[٦]، والكبد الاستواء والاستقامة، ومعنى هذا القول لقد خلقناه سوياً مستقيماً كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝٨﴾ [الانفطار] وكقوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤﴾ [التين].

وقال ابن جريج، [عن][٧] عطاء، عن ابن عباس: ﴿فِى كَبَدٍ﴾ قال: في شدة خلق ألم ترَ إليه؟ وذكر مولده ونبات أسنانه[٨].

وقال مجاهد: ﴿فِى كَبَدٍ﴾ نطفة ثم علقة ثم مضغة يتكبد في الخلق، قال مجاهد: وهو كقوله تعالى: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾ وأرضعته كرهاً ومعيشته كره فهو يكابد ذلك.

وقال سعيد بن جبير: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ۝٤﴾ في شدة وطلب معيشة.

---

(١) أخرجه الطبري بسنده ومتنه؛ وأخرجه آدم بن أبي إياس عن شريك به، وفي سنده شريك وخصيف وكلاهما سيء الحفظ.

(٢) سنده كسابقه.

(٣) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق النضر بن عربي عن عكرمة.

(٤) أخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق إسماعيل بن أبي خالد عن أبي صالح؛ وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح من طريق معمر عن قتادة.

(٥) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق جعفر بن سليمان عن أبي عمران الجوني.

(٦) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي بلفظ: «في انتصاب، ويقال: في شدة»؛ وأخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة بلفظ: في نصب، واللفظ الذي ذكره الحافظ ابن كثير عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق منصور عن إبراهيم.

(٧) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل: (و) والتصويب كما في التخريج.

(٨) أخرجه الطبري والحاكم من طريق ابن جريج به؛ وصححه الحاكم ووافقه الذهبي. (المستدرك ٢/٥٢٣).

وقال عكرمة: في شدة وطوْل[١].

وقال قتادة: في مشقة[٢].

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أحمد بن عصام، حدثنا أبو عاصم، أخبرنا عبد الحميد بن جعفر، سمعت محمد بن علي أبا جعفر الباقر سأل رجلاً من الأنصار عن قول الله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ۝٤﴾ قال: في قيامه واعتداله فلم ينكر عليه أبو جعفر[٣]. وروي من طريق أبي مودود سمعت الحسن قرأ هذه الآية: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ۝٤﴾ قال: يكابد أمراً من أمر الدنيا وأمراً من أمر الآخرة، وفي رواية: يكابد مضايق الدنيا وشدائد الآخرة[٤].

وقال ابن زيد: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ۝٤﴾ قال: آدم خلق في السماء فسمي ذلك الكبد[٥]، واختار ابن جرير أن المراد بذلك: مكابدة الأمور ومشاقها.

وقوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ۝٥﴾ [قال الحسن البصري: يعني: ﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ۝٥﴾ يأخذ ماله][٦]. وقال قتادة: ﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ۝٥﴾ قال: ابن آدم يظن أن لن يسأل عن هذا المال من أين اكتسبه، وأين أنفقه.

وقال السدي: ﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ۝٥﴾ قال الله ﷻ[٧].

وقوله تعالى: ﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا ۝٦﴾ أي: يقول ابن آدم: أنفقت مالاً لبداً؛ أي: كثيراً. قاله مجاهد والحسن وقتادة والسدي وغيرهم[٨].

﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ۝٧﴾ قال مجاهد: أي: أيحسب أن لم يره الله ﷻ؟ وكذا قال غيره من السلف[٩].

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝٨﴾ أي: يبصر بهما ﴿وَلِسَانًا﴾ أي: ينطق به فيعبر عما في ضميره ﴿وَشَفَتَيْنِ﴾ يستعين بهما على الكلام وأكل الطعام وجمالاً لوجهه وفمه.

وقد روى الحافظ ابن عساكر في ترجمة أبي الربيع الدمشقي عن مكحول قال: قال النبي ﷺ: «يقول الله تعالى يا ابن آدم قد أنعمت عليك نعماً عظاماً لا تحصي عددها ولا تطيق شكرها، وإن مما أنعمت عليك أن جعلت لك عينين تنظر بهما وجعلت لهما غطاء، فانظر

---

(١) عزاه السيوطي إلىٰ ابن أبي حاتم؛ وأخرجه الطبري بسند حسن من طريق النضر بن عربي عن عكرمة بلفظ: «في شدة».

(٢) أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة بمعناه.

(٣) سنده ضعيف لضعف أحمد بن عصام. (لسان الميزان ١/ ٢٢٠).

(٤) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق علي بن علي بن رفاعة عن الحسن.

(٥) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

(٦) زيادة من نسخة دار الكتب حسب طبعة البابي الحلبي.

(٧) كذا في الأصول، وفيما عزاه السيوطي إلى ابن المنذر عن السدي أوضح إذ هو بلفظ: «الكافر: يحسب أن لن يقدر الله عليه ولم يره».

(٨) أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد؛ وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة.

(٩) أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة بنحوه.

بعينيك إلى ما أحللت لك، وإن رأيت ما حرمت عليك فأطبق عليهما غطاءهما، وجعلت لك لساناً وجعلت له غلافاً فانطق بما أمرتك وأحللت لك، فإن عرض عليك ما حرمت عليك فأغلق عليك لسانك. وجعلت لك فرجاً وجعلت لك ستراً، فأصب بفرجك ما أحللت لك، فإن عرض عليك ما حرمت عليك فأرخِ عليك سترك، ابن آدم إنك لا تحمل سخطي، ولا تطيق انتقامي»[١].

﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ۝١٠﴾ الطريقين. قال سفيان الثوري: عن عاصم، عن زرّ، عن عبد الله هو: ابن مسعود ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ۝١٠﴾ قال: الخير والشر[٢]، وكذا روي عن علي وابن عباس ومجاهد وعكرمة وأبي وائل وأبي صالح ومحمد بن كعب والضحاك وعطاء الخراساني في آخرين[٣].

وقال عبد الله بن وهب: أخبرني ابن لهيعة، عن يزيد بن أبي حبيب، عن سنان بن سعد، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «هما نجدان فما جعل نجد الشر أحب إليكم من نجد الخير»[٤]. تفرد به سنان بن سعد، ويقال: سعد بن سنان، وقد وثقه ابن معين، وقال الإمام أحمد والنسائي والجوزجاني: منكر الحديث، وقال أحمد: تركتُ حديثه لاضطرابه، وروى خمسة عشر حديثاً منكرة كلها ما أعرف منها حديثاً واحداً يشبه حديثه حديث الحسن - يعني البصري - لا يشبه حديث أنس.

وقال ابن جرير: حدثني يعقوب، حدثنا ابن علية، عن أبي رجاء قال: سمعت الحسن يقول: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ۝١٠﴾ قال: ذُكر لنا أن نبي الله ﷺ كان يقول: «يا أيها الناس إنهما النجدان نجد الخير ونجد الشر، فما جعل نجد الشر أحب إليكم من نجد الخير» وكذا رواه حبيب بن الشهيد ومعمر ويونس بن عبيد وأبو وهب، عن الحسن مرسلاً، وهكذا أرسله قتادة[٥].

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أحمد بن عصام الأنصاري، حدثنا أبو أحمد الزبيري، حدثنا عيسى بن عقال، عن أبيه، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ۝١٠﴾ قال: الثديين[٦] وروي عن الربيع بن خُثيم وقتادة وأبي حازم مثل ذلك[٧]، ورواه ابن جرير، عن أبي كريب، عن وكيع، عن عيسى بن عقال به ثم قال: والصواب القول الأول، ونظير هذه الآية قوله تعالى؛ ﴿إِنَّا

---

(١) سنده ضعيف لأنه مرسل.

(٢) أخرجه الطبري والحاكم من طريق سفيان الثوري به وصححه ووافقه الذهبي. (المستدرك ٢/ ٥٢٣).

(٣) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس؛ وأخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

(٤) أخرجه ابن عدي من طريق عبد الله بن وهب به (الكامل في الضعفاء ٣/ ٣٥٦) وسنده ضعيف لتفرد سنان بن سعد به، وفيه مقال أيضاً كما نقل الحافظ ابن كثير عن كبار النقاد.

(٥) أخرجه الطبري بالأسانيد الثلاثة، وهي كلها مرسلة.

(٦) سنده ضعيف لضعف أحمد بن عصام كما في التقريب، وعيسىٰ بن عقال سكت عنه البخاري وابن أبي حاتم، وقد خالف ما ثبت عن ابن عباس أنه الهدىٰ والضلالة؛ كما أخرجه الطبري من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس.

(٧) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق منذر الثوري عن الربيع بن خثيم بلفظ: «ليسا بالثديين».

خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾﴾[١] [الإنسان].

﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿١٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿١٩﴾ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌۢ ﴿٢٠﴾﴾.

قال ابن جرير: حدثني عمر بن إسماعيل بن مجالد، حدثنا عبد الله بن إدريس، عن أبيه، عن [عطية][٢]، عن ابن عمر في قوله تعالى: ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ﴾ أي: دخل ﴿ٱلْعَقَبَةَ﴾ قال: جبل في جهنم[٣].

وقال كعب الأحبار: ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾﴾ هو سبعون درجة في جهنم[٤].

وقال الحسن البصري: ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾﴾ قال: عقبة في جهنم[٥].

وقال قتادة: إنها عقبة قحمة شديدة فاقتحموها بطاعة الله تعالى[٦].

وقال قتادة: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾﴾ ثم أخبر تعالى عن اقتحامها فقال: ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَٰمٌ﴾.

وقال ابن زيد: ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾﴾ أي: أفلا سلك الطريق التي فيها النجاة والخير ثم بيَّنها فقال تعالى: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَٰمٌ﴾[٧]. قُرئ ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾﴾ بالإضافة، وقريء على أنه فعل وفيه ضمير الفاعل والرقبة مفعوله، وكلتا القراءتين معناهما متقارب[٨].

قال الإمام أحمد: حدثنا [مكي][٩] بن إبراهيم، حدثنا عبد الله ـ يعني: ابن سعيد بن أبي هند ـ، عن إسماعيل بن أبي حكيم، مولى آل الزبير، عن سعيد بن مرجانة أنه سمع أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: «من أعتق رقبة مؤمنة أعتق الله بكل إرب؛ ـ أي: عضوٍ ـ منها إرباً منه من النار حتى إنه ليعتق باليد اليد وبالرجل الرجل وبالفرج الفرج».

فقال علي بن الحسين: أنت سمعت هذا من أبي هريرة؟ فقال سعيد: نعم. فقال علي بن الحسين لغلام له أفره غلمانه: ادع مطرفاً، فلما قام بين يديه قال: اذهب فأنت حرٌّ لوجه الله[١٠].

---

(١) أخرجه الطبري عن أبي كريب به، وفي سنده عيسىٰ بن عقال مسكوت عنه، وهو مخالف ما ثبت عن ابن عباس.

(٢) كذا في (حم) وتفسير الطبري، وفي الأصل و(ح): أبي عطية والتصويب من ترجمة عطية وهو العوفي، ومن التخريج.

(٣) أخرجه الطبري بسنده ومتنه؛ وأخرجه ابن أبي شيبة من طريق عبد الله بن إدريس به (المصنف ١١/٣٠٧). وسنده ضعيف لضعف عطية العوفي.

(٤) أخرجه الطبري من طريق حنش عن كعب، وسنده ضعيف لأنه مثل المرسل.

(٥) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق أبي رجاء عن الحسن.

(٦) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة.

(٧) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

(٨) القراءتان متواترتان.

(٩) كذا في المسند، وفي الأصل صحف إلى: «علي».

(١٠) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه، وصحح سنده محققوه. (المسند ١٥/ ٢٦٠، ٢٦١ ح ٩٤٤١).

وقد رواه البخاري، ومسلم والترمذي والنسائي من طرق عن سعيد بن مرجانة به، وعند مسلم أن هذا الغلام الذي أعتقه علي بن الحسين زين العابدين كان قد أعطي فيه عشرة آلاف درهم[١].

وقال قتادة، عن سالم بن أبي الجعد، عن معدان بن أبي طلحة، عن أبي نجيح قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أيّما مسلم أعتق رجلاً مسلماً فإن الله جاعل وفاء كل عظم من عظامه عظماً من عظامه محرراً من النار، وأيما امرأة أعتقت امرأة مسلمة فإن الله جاعل وفاء كل عظم من عظامها عظماً من عظامها من النار» رواه ابن جرير[٢] هكذا، وأبو نجيح هذا هو عمر بن عبسة السلمي رضي الله عنه.

قال الإمام أحمد: حدثنا حيوة بن شريح، حدثنا بقية، حدثني بجير بن سعد، عن خالد بن معدان، عن كثير بن مرة، عن عمرو بن عبسة أنه حدثهم أن النبي ﷺ قال: «من بنى مسجداً ليذكر الله فيه بنى الله له بيتاً في الجنة. ومن أعتق نفساً مسلمة كانت فديته من جهنم، ومن شاب شيبة في الإسلام كانت له نوراً يوم القيامة»[٣].

طريق أخرى: قال أحمد: حدثنا الحكم بن نافع، حدثنا جرير، عن سليم بن عامر، أن شرحبيل بن السمط قال لعمرو بن عبسة: حدثنا حديثاً ليس فيه تزيد ولا نسيان. قال عمرو: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من أعتق رقبة مسلمة كانت فكاكه من النار عضواً بعضو، ومن شاب شيبة في سبيل الله كانت له نوراً يوم القيامة، ومن رمى بسهم فبلغ فأصاب أو أخطأ كان كمعتق رقبة من بني إسماعيل»[٤]. وروى أبو داود والنسائي بعضه[٥].

طريق أخرى: قال أحمد: حدثنا هاشم بن القاسم، حدثنا الفرج، حدثنا لقمان، عن أبي أُمامة، عن عمرو بن عبسة، قال السلمي: قلت له: حدثنا حديثاً سمعته من رسول الله ﷺ ليس فيه انتقاص ولا وهم، قال: سمعته يقول: «من ولد له ثلاثة أولاد في الإسلام فماتوا قبل أن يبلغوا الحنث أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهم، ومن شاب شيبة في سبيل الله كانت له نوراً يوم القيامة، ومن رمى بسهم في سبيل الله بلغ به العدو أصاب أو أخطأ كان له عتق رقبة، ومن أعتق رقبة مؤمنة أعتق الله بكل عضو منه عضواً منه من النار، ومن أنفق زوجين في سبيل الله فإن للجنة ثمانية أبواب يدخله الله من أي باب شاء منها»[٦]. وهذه أسانيد جيدة قوية، ولله الحمد.

---

(١) صحيح البخاري، العتق، باب العتق وفضله (ح٢٥١٧)؛ وصحيح مسلم، العتق، باب فضل العتق (ح١٥٠٩).

(٢) أخرجه الطبري من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة به، وسنده صحيح، ويشهد له سابقه.

(٣) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه قال محققوه: حديث صحيح دون قوله: «من بنىٰ لله مسجداً...» فصحيح لغيره، وهذا إسناد ضعيف فيه بقية، وهو ابن الوليد، يدلس تدليس التسوية وقد عنعن، وباقي رجال الإسناد ثقات. (المسند ٣٢/١٨٧ ح١٩٤٤٠) لكن بقية صرح بالسماع، فالإسناد حسن، ويكون بالشواهد صحيحاً لغيره.

(٤) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٤/١١٣) وسنده صحيح، ويشهد له سابقه ولاحقه.

(٥) أخرجه أبو داود من طريق سليم بن عامر به مختصراً. السنن، العتق، باب أي الرقاب أفضل (ح٣٩٦٦)؛ وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح٣٣٥٦)؛ وأخرجه النسائي في السنن الكبرىٰ، العتق، باب فضل العتق (ح٤٨٧٤).

(٦) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه، قال محققوه: حديث صحيح دون قوله: «من وُلد له...» و«ومن انفق =

حديث آخر: قال أبو داود: حدثنا عيسى بن محمد الرملي، حدثنا ضمرة، عن ابن أبي عبلة، عن الغَريف بن عياش الديلمي، قال: أتينا واثلة بن الأسقع فقلنا له: حدِّثنا حديثاً ليس فيه زيادة ولا نقصان، فغضب وقال: إن أحدكم ليقرأ ومصحفه معلق في بيته فيزيد وينقص، قلنا: إنما أردنا حديثاً سمعته من رسول الله ﷺ، قال: أتينا رسول الله ﷺ في صاحب لنا قد أوجب يعني النار بالقتل فقال: «أعتقوا عنه يعتق الله بكل عضو منه عضواً من النار»[١]، وكذا رواه النسائي من حديث إبراهيم بن أبي عبلة، عن العريف بن عياش الديلمي، عن واثلة به[٢].

حديث آخر: قال أحمد: حدثنا عبد الصمد، حدثنا هشام، عن قتادة، عن قيس الجذامي، عن عقبة بن عامر الجهني، أن رسول الله ﷺ قال: «من أعتق رقبة مسلمة فهو فداؤه من النار»[٣]، وحدثنا عبد الوهاب الخفاف، عن سعيد، عن قتادة، قال: ذُكر لنا أن قيساً الجذامي حدث عن عقبة بن عامر أن رسول الله ﷺ قال: «من أعتق رقبة مؤمنة فهي فكاكه من النار»[٤]. تفرد به أحمد من هذا الوجه.

حديث آخر: قال الإمام أحمد: حدثنا يحيى بن آدم وأبو أحمد قالا: حدثنا عيسى بن عبد الرحمٰن البجلي من بني بجيلة من بني سليم، عن طلحة بن مصرف، عن عبد الرحمٰن بن عوسجة، عن البراء بن عازب قال: جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله علمني عملاً يدخلني الجنة، فقال: «لئن كنت أقصرت الخطبة لقد أعرضت المسألة، أعتق النسمة وفك الرقبة» فقال: يا رسول الله أو ليستا بواحدة، قال: «لا إن عتق النسمة أن تنفرد بعتقها، وفكَّ الرقبة أن تعين في عتقها، والمنحةُ الوكوف[٥]، والفيء على ذي الرحم الظالم، فإن لم تطق ذلك فأطعم الجائع، واسق الظمآن، وأمر بالمعروف وانه عن المنكر، فإن لم تطق ذلك فكف لسانك إلا من الخير»[٦].

وقوله: ﴿أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾﴾ قال ابن عباس: ذي مجاعة[٧]، وكذا قال عكرمة ومجاهد والضحاك وقتادة وغير واحد[٨]، والسغب هو الجوع.

= زوجين» فصحيح لغيره، وهذا إسناد ضعيف لضعف الفرج وهو ابن فضالة. (المسند ٣٢/ ١٨٢ ح١٩٤٣٧). والأحسن أن نقول: أن الإسناد يكون حسناً لغيره بالشواهد. ولهذا جوده الحافظ ابن كثير.

(١) أخرجه أبو داود بسنده ومتنه. (السنن، العتق، باب في ثواب العتق ح٣٩٦٤) في سنده الغريف بن عياش وهو مقبول (التقريب ص٤٤٢).

(٢) السنن الكبرىٰ، العتق، باب ذكر اسم هذا الولي (ح٤٨٩١) وسنده كسابقه.

(٣) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٤/ ١٥٠) وسنده ضعيف لأن قتادة لم يسمع من قيس، ويشهد له ما سبق فيكون حسناً لغيره.

(٤) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٤/ ١٤٧) وسنده ضعيف لإبهام شيخ قتادة، ويتقوىٰ بالشواهد السابقة، ولهذا جوَّد الحافظ ابن كثير هذه الأسانيد بمجموعها.

(٥) أي: الغزيرة اللبن.

(٦) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه، وصحح سنده محققوه. (المسند ٣٠/ ٦٠٠ ح١٨٦٤٧).

(٧) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق مجاهد عن ابن عباس.

(٨) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق جعفر بن برقان عن عكرمة؛ وأخرجه آدم والطبري بسند صحيح =

وقال إبراهيم النخعي: في يوم الطعام فيه عزيز.

وقال قتادة: في يوم [يُشتهى][(١)] فيه الطعام.

وقوله تعالى: ﴿يَتِيمًا﴾ أي: أطعم في مثل هذا اليوم يتيماً ﴿ذَا مَقْرَبَةٍ﴾ أي: ذا قرابة منه. قاله ابن عباس وعكرمة والحسن والضحاك والسدي[(٢)]، كما جاء في الحديث الذي رواه الإمام أحمد: حدثنا يزيد، أخبرنا هشام، عن حفصة بنت سيرين، عن سلمان بن عامر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الصدقة على المسكين صدقة وعلى ذي الرحم اثنتان: صدقة وصلة»[(٣)] وقد رواه الترمذي والنسائي[(٤)]. وهذا إسناد صحيح.

وقوله تعالى: ﴿أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ۝١٦﴾ أي: فقيراً مدقعاً لاصقاً بالتراب، وهو الدقعاء أيضاً.

قال ابن عباس: ﴿ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ هو المطروح في الطريق الذي لا بيت له ولا شيء يقيه من التراب[(٥)]. وفي رواية: هو الذي لصق بالدقعاء من الفقر والحاجة ليس له شيء. وفي رواية عنه: هو البعيد التربة[(٦)].

قال ابن أبي حاتم: يعني: الغريب عن وطنه.

وقال عكرمة: هو الفقير المديون المحتاج.

وقال سعيد بن جبير: هو الذي لا أحد له[(٧)].

وقال ابن عباس وسعيد وقتادة ومقاتل بن حيان: هو ذو العيال[(٨)]. وكل هذه قريبة المعنى.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ أي: ثم هو مع هذه الأوصاف الجميلة الطاهرة مؤمن بقلبه محتسب ثواب ذلك عند الله ﷻ كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ۝١٩﴾ [الإسراء]. وقال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ الآية [النحل: ٩٧] وقوله تعالى: ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ﴾ أي: كان من

= من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد؛ وأخرجه الطبري بسند ضعيف فيه إبهام شيخه عن الضحاك، ويتقوىٰ بما سبق.

(١) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل بياض.

(٢) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

(٣) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه، وقال محققوه: صحيح لغيره، وهذا إسناد ضعيف لانقطاعه، حفصة لم تسمع من سلمان، (المسند ٢٩/ ٤١٦ ح١٧٨٨٤) وصححه الحافظ ابن كثير.

(٤) سنن الترمذي، الزكاة، باب ما جاء في الصدقة على ذي القرابة (ح٦٥٨)؛ وسنن النسائي، الزكاة، باب الصدقة على الأقارب ٥/ ٩٢؛ وصححه الألباني من حديث الرباب عن عمها سلمان بن عامر (صحيح سنن الترمذي ما بعد حديث ٥٣١).

(٥) أخرجه الطبري من طرق صحيحة عن مجاهد عن ابن عباس؛ وأخرجه الحاكم من طريق مجاهد عن ابن عباس بنحوه وصححه ووافقه الذهبي. (المستدرك ٢/ ٥٢٤).

(٦) عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس.

(٧) عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم وهو تتمة لسابقه.

(٨) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي عن ابن عباس؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة؛ وأخرجه الطبري بسند حسن من طريق جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير.

المؤمنين العاملين صالحاً، المتواصين بالصبر على أذى الناس وعلى الرحمة بهم كما جاء في الحديث الشريف: «الراحمون يرحمهم الرحمٰن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء»(١). وفي الحديث الآخر: «لا يرحم الله من لا يرحم الناس»(٢).

وقال أبو داود: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن ابن عامر، عن عبد الله بن عمرو يرويه [عن النبي ﷺ](٣) قال: «من لم يرحم صغيرنا ويعرف حق كبيرنا فليس مِنّا»(٤).

وقوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ۝١٨﴾ أي: المتصفون بهذه الصفات من أصحاب اليمين.

ثم قال: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ۝١٩﴾ أي: أصحاب الشمال ﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌۢ ۝٢٠﴾ أي: مطبقة عليهم فلا محيد لهم عنها ولا خروج لهم منها!

قال أبو هريرة وابن عباس وعكرمة وسعيد بن جبير ومجاهد ومحمد بن كعب القرظي وعطية العوفي والحسن وقتادة والسدي: ﴿مُّؤْصَدَةٌۢ﴾ أي: مطبقة(٥).

قال ابن عباس: مغلقة الأبواب، وقال مجاهد: أصد الباب بلغة [قريش](٦) أي: أغلقه(٧). وسيأتي في ذلك حديث في سورة ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١﴾ [الهمزة].

وقال الضحاك: ﴿مُّؤْصَدَةٌۢ﴾ حِيَط لا باب له.

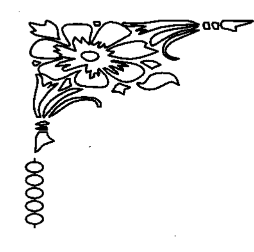
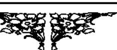
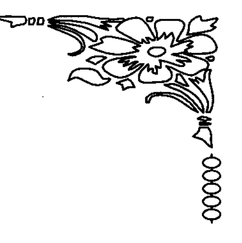
وقال قتادة: ﴿مُّؤْصَدَةٌۢ﴾ مطبقة فلا ضوء فيها ولا فُرجَ ولا خروج منها آخر الأبد(٨).

وقال أبو عمران الجوني: إذا كان يوم القيامة أمر الله بكل جبار وكل شيطان وكل من كان يخاف الناس في الدنيا شره، فأوثقوا بالحديد ثم أمر بهم إلى جهنم ثم أوصدوها عليهم؛ أي: أطبقوها، قال: فلا واللهِ لا تستقر أقدامهم على قرار أبداً، ولا واللهِ لا ينظرون فيها إلى أديم سماء أبداً، ولا واللهِ لا تلتقي جفون أعينهم على غمض نوم أبداً، ولا واللهِ لا يذوقون فيها بارد شراب أبداً(٩)، رواه ابن أبي حاتم.

آخر تفسير سورة البلد، ولله الحمد والمنّة.

---

(١) تقدم في تفسير سورة محمد آية ٢٢.
(٢) أخرجه البخاري من حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه (الصحيح، التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ . . .﴾ [الإسراء: ١١٠] ح٧٣٧٦).
(٣) زيادة من سنن أبي داود.
(٤) أخرجه أبو داود بسنده ومتنه وزيادة من طريق شيخه ابن السرح. (السنن، الأدب، باب في الرحمة ح٤٩٤٣)؛ وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح٤١٣٤)؛ وأخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي (المستدرك ٤/ ١٧٨).
(٥) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس؛ وأخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة.
(٦) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل بياض.
(٧) عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم عن مجاهد.
(٨) تقدم تخريجه قبل الرواية السابقة.
(٩) سنده ضعيف حكمه كالمرسل.

سُورَةُ الشَّمْسِ

وهي مكية

تقدم حديث جابر الذي في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال لمعاذ: «هلّا صليت بـ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١﴾ ﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ۝١﴾، ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ۝١﴾؟»[١].

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ۝١ وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ۝٢ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ۝٣ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا ۝٤ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ۝٥ وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا ۝٦ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾.

قال مجاهد: ﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ۝١﴾ أي: وضوئها[٢].

وقال قتادة: ﴿وَضُحَىٰهَا﴾ النهار كله[٣].

قال ابن جرير: والصواب أن يقال: أقسم الله بالشمس ونهارها؛ لأن ضوء الشمس الظاهر هو النهار[٤]. ﴿وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ۝٢﴾ قال مجاهد: تبعها[٥].

وقال العوفي، عن ابن عباس: ﴿وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ۝٢﴾ قال: يتلو النهار[٦].

وقال قتادة: إذا تلاها ليلة الهلال إذا سقطت الشمس رؤي الهلال[٧].

وقال ابن زيد: هو يتلوها في النصف الأول من الشهر ثم هي تتلوه وهو يتقدمها في النصف الأخير من الشهر[٨].

وقال مالك، عن زيد بن أسلم: إذا تلاها ليلة القدر[٩].

وقوله تعالى: ﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ۝٣﴾ قال مجاهد: أضاء[١٠].

---

(١) ينظر مطلع سورة الانفطار، ومطلع سورة الفجر.

(٢) أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.

(٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة.

(٤) ذكره الطبري بلفظه.

(٥) أخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.

(٦) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به.

(٧) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٨) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

(٩) سنده صحيح.

(١٠) أخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق أبي نجيح عن مجاهد.

وقال قتادة: ﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ۝٣﴾ إذا غشيها النهار[١].

وقال ابن جرير: وكان بعض أهل العربية يتأول ذلك بمعنى: والنهار إذا جلّا الظلمة، لدلالة الكلام عليها[٢].

(قلت): ولو أن هذا القائل تأول ذلك بمعنى ﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ۝٣﴾ أي: البسيطة لكان أولى ولصحَّ تأويله في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا ۝٤﴾ فكان أجود وأقوى، والله أعلم. ولهذا قال مجاهد: ﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ۝٣﴾ إنه كقوله تعالى: ﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢﴾ [الليل] وأما ابن جرير فاختار عود الضمير في ذلك كله على الشمس لجريان ذكرها، وقالوا في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا ۝٤﴾ يعني: إذا يغشى الشمس حين تغيب فتظلم الآفاق.

وقال بقية بن الوليد، عن صفوان: حدثني يزيد بن ذي حمامة قال: إذا جاء الليل قال الرب جلَّ جلاله غشي عبادي خلقي العظيم فالليل يهابه، والذي خلقه أحق أن يهاب. رواه ابن أبي حاتم.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ۝٥﴾ يحتمل أن تكون ما هٰهنا مصدرية بمعنى والسماء وبنائها، وهو قول قتادة[٣]، ويحتمل أن تكون بمعنى (مَنْ) يعني والسماء وبانيها، وهو قول مجاهد[٤]، وكلاهما متلازم والبناء هو الرفع كقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ﴾ أي: بقوة ﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ۝٤٧ وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَٰهَا فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ ۝٤٨﴾ [الذاريات] وهكذا قوله تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا ۝٦﴾ قال مجاهد: طحاها: دحاها[٥].

وقال العوفي، عن ابن عباس: ﴿وَمَا طَحَىٰهَا﴾ أي: خلق فيها[٦].

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: طحاها قسمها[٧].

وقال مجاهد وقتادة والضحاك والسدي والثوري وأبو صالح وابن زيد: ﴿طَحَىٰهَا﴾ بسطها[٨]، وهذا أشهر الأقوال وعليه الأكثر من المفسرين، وهو المعروف عند أهل اللغة.

قال الجوهري: طحوته مثل دحوته؛ أي: بسطته.

وقوله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧﴾ أي: خلقها سوية مستقيمة على الفطرة القويمة كما قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ﴾ [الروم: ٣٠]

---

(١) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة، عن قتادة.

(٢) ذكره الطبري بنحوه، ويقصد ببعض أهل العربية: الفراء فقد ذكره في معاني القرآن (٣/ ٢٦٦).

(٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة بلفظ: «وبناؤها خلقها».

(٤) أخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد. بلفظ: «الله بنىٰ السماء».

(٥) أخرجه آدم والطبري بالسند المتقدم عن مجاهد.

(٦) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به.

(٧) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق علي به.

(٨) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد، وأما قول مجاهد فقد تقدم قبل روايتين بلفظ: «دحاها».

وقال رسول الله ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، كما تولد البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء؟» أخرجاه من رواية أبي هريرة[١]، وفي صحيح مسلم من رواية عياض بن حمار المجاشعي عن رسول الله ﷺ قال: «يقول الله ﷻ: إني خلقت عبادي حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم»[٢].

وقوله تعالى: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۝٨﴾ أي: فأرشدها إلى فجورها؛ أي: بيّن ذلك لها وهداها إلى ما قدر لها.

قال ابن عباس: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۝٨﴾ بيّن لها: الخير والشر[٣]، وكذا قال مجاهد وقتادة والضحاك والثوري[٤].

وقال سعيد بن جبير: ألهمها الخير والشر[٥].

وقال ابن زيد: جعل فيها فجورها وتقواها[٦].

وقال ابن جرير: حدثنا ابن بشار، حدثنا صفوان بن عيسى وأبو عاصم النبيل قالا: حدثنا عزرة بن ثابت، حدثني يحيى بن عقيل، عن يحيى بن يعمر، عن أبي الأسود الديلي قال: قال لي عمران بن حصين: أرأيت ما يعمل الناس فيه ويتكادحون فيه أشيء قضي عليهم ومضى عليهم من قدر قد سبق أو فيما يستقبلون مما أتاهم به نبيهم ﷺ وأكدت عليهم الحجة؟ قلت: بل شيء قضي عليهم، قال: فهل يكون ذلك ظلماً؟ قال: ففزعت منه فزعاً شديداً قال: قلت له: ليس شيء إلا وهو خلقه وملك يده لا يسأل عما يفعل وهم يسألون، قال: سددك الله إنما سألتك لأخبر عقلك، إن رجلاً من مزينة أو جهينة أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله أرأيت ما يعمل الناس فيه ويتكادحون، أشيء قضي عليهم ومضى عليهم من قدر قد سبق أم شيء مما يستقبلون مما أتاهم به نبيهم ﷺ وأكدت به عليهم الحجة؟ قال: «بل شيء قد قضي عليهم» قال: [ففيم نعمل]؟[٧] قال: «من كان الله خلقه لإحدى المنزلتين يهيئه لها وتصديق ذلك في كتاب الله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۝٨﴾»[٨]. رواه أحمد ومسلم من حديث [عزرة][٩] ابن ثابت به[١٠].

---

(١) تقدم تخريجه في تفسير سورة النساء آية ١١٩. (٢) تقدم تخريجه في تفسير سورة النساء آية ١١٩.

(٣) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس.

(٤) أخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة؛ وأخرجه الطبري بسند ضعيف عن الضحاك فيه إبهام شيخ الطبري.

(٥) عزاه السيوطي في الدر المنثور إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير بلفظ: «الزمها».

(٦) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

(٧) كذا في (ح) و(حم) وتفسير الطبري، وفي الأصل بياض ثم كلمة: يعمل.

(٨) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده صحيح.

(٩) كذا في (ح) و(حم)؛ وصحيح مسلم، وفي الأصل صحف إلى: عروة.

(١٠) المسند ٤/٤٣٨؛ وصحيح مسلم، القدر، باب كيفية الخلق الآدمي في بطن أُمه.. (ح٢٦٥٠).

وقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّنٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّنٰهَا ۝١٠﴾ يحتمل أن يكون المعنى قد أفلح من زكى نفسه؛ أي: بطاعة الله كما قال قتادة وطهرها من الأخلاق الدنيئة والرذائل[١]، ويروى نحوه عن مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير[٢]. وكقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝١٤ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ۝١٥﴾ [الأعلى].

﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّنٰهَا ۝١٠﴾ أي: دسسها؛ أي: أخملها ووضع منها بخذلانه إياها عن الهدى حتى ركب المعاصي وترك طاعة الله ﷻ، وقد يحتمل أن يكون المعنى قد أفلح من زكى الله نفسه، وقد خاب من دسى الله نفسه؛ كما قال العوفي وعلي بن أبي طلحة عن ابن عباس[٣].

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي وأبو زرعة قالا: حدثنا سهل بن عثمان، حدثنا أبو مالك يعني: عمرو بن هشام، عن جويبر، عن الضحاك، عن ابن عباس قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول في قول الله ﷻ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّنٰهَا ۝٩﴾ قال النبي ﷺ: «أفلحت نفس زكاها الله ﷻ» ورواه ابن أبي حاتم من حديث مالك به[٤]، وجويبر هذا هو ابن سعيد: متروك الحديث، والضحاك لم يلق ابن عباس.

وقال الطبراني: حدثنا يحيى بن عثمان بن صالح، حدثنا أبي، حدثنا ابن لهيعة، عن عمرو بن دينار، عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ إذا مرَّ بهذه الآية: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّنٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَنٰهَا ۝٨﴾ وقف ثم قال: «اللَّهم آت نفسي تقواها، أنت وليها ومولاها، وخير من زكاها»[٥].

حديث آخر: قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زرعة، حدثنا يعقوب بن حميد المدني، حدثنا عبد الله بن الأموي، حدثنا معن بن محمد الغفاري، عن حنظلة بن علي الأسلمي، عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقرأ: «﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَنٰهَا ۝٨﴾» قال: «اللَّهم آتِ نفسي تقواها، وزكِّها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها»[٦]. لم يخرجوه من هذا الوجه.

وقال الإمام أحمد: حدثنا وكيع، عن نافع، عن ابن عمر، عن صالح بن سعيد، عن عائشة أنها فقدت النبي ﷺ من مضجعه فلمسته بيدها فوقعت عليه وهو ساجد وهو يقول: «ربِّ أعط نفسي تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها»[٧]. تفرد به.

---

(١) أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة.

(٢) أخرجه الطبري من طريق خُصيف عن مجاهد وسعيد بن جبير عن عكرمة، وخُصيف سيئ الحفظ.

(٣) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس بلفظه؛ وأخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي عن ابن عباس بلفظ: «تكذيبها».

(٤) كلا الطريقين ضعيف كما فصَّل الحافظ ابن كثير.

(٥) أخرجه الطبراني بسنده ومتنه. (المعجم الكبير ١١/١٠٦ ح١١١٩١) وحسن سنده الهيثمي (مجمع الزوائد ٧/ ١٤١) وهذا الحكم يستقيم بالشواهد التالية، فإن فيه ابن لهيعة ولكن روي من طرق أخرىٰ كما سيأتي.

(٦) أخرجه ابن أبي عاصم من طريق يعقوب بن حميد المزني به. (السنة ح٣١٨) وفي سنده عبد الله بن عبد الله الأموي: لين الحديث. (التقريب ص٣١٠)، ويتقوىٰ بالرواية السابقة.

(٧) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه، وقال محققوه: رجاله ثقات. (المسند ٤٢/٤٩٢ ح٢٥٧٥٧). ويشهد له رواية الإمام أحمد ومسلم التالية.

حديث آخر: قال الإمام أحمد: حدثنا عفان، حدثنا عبد الواحد بن زياد، حدثنا عاصم الأحول، عن عبد الله بن الحارث، عن زيد بن أرقم، قال: كان رسول الله ﷺ يقول: «اللَّهم إني أعوذ بك من العجز والكسل، والهرم والجبن والبخل وعذاب القبر. اللَّهم آتِ نفسي تقواها، وزكِّها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها. اللَّهم إني أعوذ بك من قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع. وعلم لا ينفع ودعوة لا يستجاب لها» قال زيد: كان رسول الله ﷺ يُعلمناهنَّ ونحن نُعلمكموهنَّ[1]، رواه مسلم من حديث أبي معاوية، عن عاصم الأحول، عن عبد الله بن الحارث وأبي عثمان النهدي، عن زيد بن أرقم به[2].

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ ﴿١١﴾ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ﴿١٢﴾ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَـٰهَا ﴿١٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَـٰهَا ﴿١٥﴾﴾.

يخبر تعالى عن ثمود أنهم كذبوا رسولهم بسبب ما كانوا عليه من الطغيان والبغي.

وقال محمد بن كعب: ﴿بِطَغْوَىٰهَآ﴾ أي: بأجمعها[3]، والأول أولى. قاله مجاهد وقتادة وغيرهما[4]، فأعقبهم ذلك تكذيباً في قلوبهم بما جاءهم به رسولهم عليه الصلاة والسلام من الهدى واليقين ﴿إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ﴿١٢﴾﴾ أي: أشقى القبيلة هو قدار بن سالف عاقر الناقة، وهو أحيمر ثمود، وهو الذي قال الله تعالى: ﴿فَنَادَوْا۟ صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٠﴾﴾ [القمر].

وكان هذا الرجل عزيزاً فيهم شريفاً في قومه نسيباً رئيساً مطاعاً، كما قال الإمام أحمد: حدثنا ابن نمير، حدثنا هشام، عن أبيه، عن عبد الله بن زمعة قال: خطب رسول الله ﷺ فذكر الناقة وذكر الذي عقرها فقال: «إذا انبعث أشقاها انبعث لها رجل عارم عزيز منيع في رهطه مثل أبي زمعة»[5]. ورواه البخاري في التفسير ومسلم في صفة النار والترمذي والنسائي في التفسير من سننيهما، وكذا ابن جرير وابن أبي حاتم عن هشام بن عروة به[6].

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زرعة، حدثنا إبراهيم بن موسى، حدثنا عيسى بن يونس، حدثنا محمد بن إسحاق، حدثني يزيد بن محمد بن خثيم، عن محمد بن كعب القرظي، عن محمد بن خثيم [أبي يزيد][7]، عن عمار بن ياسر قال: قال رسول الله ﷺ لعلي: «ألا أحدثك

---

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه، وصحح سنده محققوه. (المسند ٣٢/ ٦١ ح١٩٣٠٨).

(٢) صحيح مسلم، الذكر والدعاء، باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل (ح٢٧٢٢).

(٣) أخرجه الطبري بسند جيد من طريق محمد بن رفاعة القرظي عن محمد بن كعب.

(٤) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة بلفظ: «بالطغيان»؛ وأخرجه الطبري وآدم بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد بلفظ: «معصيتها».

(٥) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه. (المسند ٤/ ١٧) وسنده صحيح.

(٦) صحيح البخاري، التفسير، سورة ﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ﴿١﴾﴾ (ح٤٩٤٢)، وصحيح مسلم، الجنة وصفة نعيمها، باب النار يدخلها الجبارون.. (ح٢٨٥٥)؛ وسنن الترمذي، التفسير، باب ومن سورة ﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ﴿١﴾﴾ (ح٣٣٤٠)؛ والسنن الكبرى للنسائي، التفسير، سورة الشمس (ح١١٦٧٥).

(٧) كذا في (ح) و(حم) وترجمته، وفي الأصل صحف إلى: بن يزيد.

بأشقى الناس؟» قال: بلى. قال: «رجلان أحيمر ثمود الذي عقر الناقة والذي يضربك يا علي على هذا - يعني: قرنه - حتى تبتل منه هذه» يعني: لحيته[١].

وقوله تعالى: ﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ﴾ يعني: صالحاً عليه السلام ﴿نَاقَةَ ٱللَّهِ﴾ أي: احذروا ناقة الله أن تمسوها بسوء ﴿وَسُقْيَٰهَا﴾ أي: لا تعتدوا عليها في سقياها فإن لها شرب يوم ولكم شرب يوم معلوم، قال الله تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا﴾ أي: كذبوه فيما جاءهم به فأعقبهم ذلك أن عقروا الناقة التي أخرجها الله من الصخرة آية لهم وحجة عليهم ﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ﴾ أي: غضب عليهم فدمر عليهم ﴿فَسَوَّىٰهَا﴾ أي: فجعل العقوبة نازلة عليهم على السواء.

قال قتادة: بلغنا أن أحيمر ثمود لم يعقر الناقة حتى بايعه صغيرهم وكبيرهم وأنثاهم، فلما اشترك القوم في عقرها دمدم الله عليهم بذنبهم فسواها[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَخَافُ﴾ وقرئ: «فلا يخاف»[٣] ﴿عُقْبَٰهَا﴾ قال ابن عباس: لا يخاف الله من أحد تَبِعةً[٤]، وكذا قال مجاهد والحسن وبكر بن عبد الله المزني وغيرهم[٥].

وقال الضحاك والسدي: ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا ۝١٥﴾ أي: لم يخف الذي عقرها عاقبة ما صنع[٦]، والقول الأول أولى لدلالة السياق عليه، والله أعلم.

آخر تفسير سورة ﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ۝١﴾ [الشمس].

---

(١) في سنده محمد بن خثيم أبو يزيد وهو مقبول. (التقريب ص٤٧٦).

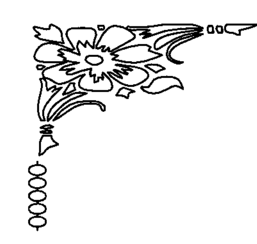
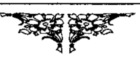
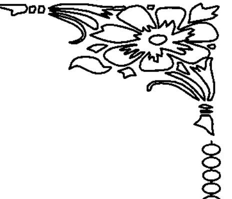
(٢) أخرجه الطبري بسند رجاله ثقات عن قتادة مقطّعاً لكن روايته بلاغاً.

(٣) القراءتان متواترتان.

(٤) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس.

(٥) أخرجه الطبري وآدم بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق أبي رجاء، عن الحسن؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق رزين بن سليمان عن بكر بن عبد الله المزني، ويشهد له ما سبق.

(٦) أخرجه الطبري من طريق جابر بن نوح عن أبي روق عن الضحاك، وجابر بن نوح ضعيف. (التقريب ص١٣٦) ومعناه صحيح؛ وأخرجه الطبري وابن أبي حاتم - كما في الدر المنثور - بسند حسن من طريق سفيان عن السدي.

سُورَةُ اللَّيْلِ

تقدم قوله عليه الصلاة والسلام لمعاذ: «فهلّا صلّيت بـ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١﴾، ﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ۝١﴾، ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ۝١﴾»[(١)].

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ۝١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ۝٣ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ۝٤ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠ وَمَا يُغْنِى عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ۝١١﴾.

قال الإمام أحمد: حدثنا يزيد بن هارون، حدثنا شعبة، عن المغيرة، عن إبراهيم، عن علقمة أنه قدم الشام، فدخل مسجد دمشق فصلى فيه ركعتين وقال: اللّهم ارزقني جليساً صالحاً قال: فجلس له أبو الدرداء فقال له أبو الدرداء: ممن أنت؟ قال: من أهل الكوفة، قال: كيف سمعت ابن أُم عبد يقرأ: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ۝١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢﴾؟ قال علقمة: (والذكر والأنثى)[(٢)] فقال أبو الدرداء: لقد سمعتها من رسول الله ﷺ فما زال هؤلاء حتى شككوني ثم قال: ألم يكن فيكم صاحب الوساد وصاحب السرّ الذي لا يعلمه أحد غيره، والذي أجير من الشيطان على لسان محمد ﷺ؟[(٣)].

وقد رواه البخاري هٰهنا ومسلم من طريق الأعمش عن إبراهيم قال: قدم أصحاب عبد الله على أبي الدرداء فطلبهم فوجدهم فقال: أيكم يقرأ عليّ قراءة عبد الله؟ قالوا: كلنا، قال: أيكم أحفظ؟ فأشاروا إلى علقمة فقال: كيف سمعته يقرأ: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ۝١﴾؟ قال: (والذكر والأنثى) قال: أشهد أني سمعت رسول الله ﷺ يقرأ هكذا، وهؤلاء يريدون أن أقرأ: ﴿وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ۝٣﴾ والله لا أتابعهم[(٤)]. هذا لفظ البخاري. وهكذا قرأ ذلك ابن مسعود وأبو الدرداء ورفعه أبو الدرداء، وأما الجمهور فقرأوا ذلك كما هو المثبت في المصحف الإمام العثماني في سائر الآفاق ﴿وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ۝٣﴾ فأقسم تعالى بـ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا

---

(١) ينظر مطلع سورة الانشقاق ومطلع سورة الأعلى.

(٢) هذه القراءة شاذة قال الحافظ ابن حجر: ولعل هذا مما نسخت تلاوته ولم يبلغ النسخ أبا الدرداء ومن ذكر معه. (فتح الباري ٨/٧٠٧).

(٣) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه. (المسند ٦/٤٤٩) وسنده صحيح.

(٤) صحيح البخاري، التفسير، باب ﴿وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ۝٣﴾ [الليل] (ح٤٩٤٤)؛ وصحيح مسلم، صلاة المسافرين، باب ما يتعلق بالقرآن (ح٨٢٤).

﴿يَغۡشَىٰ ۝١﴾ أي: إذا غشى الخليقة بظلامه ﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢﴾ أي: بضيائه وإشراقه.

﴿وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ۝٣﴾ كقوله تعالى: ﴿وَخَلَقۡنَٰكُمۡ أَزۡوَٰجٗا ۝٨﴾ [النبأ] وكقوله: ﴿وَمِن كُلِّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَا زَوۡجَيۡنِ﴾ [الذاريات: ٤٩] ولما كان القسم بهذه الأشياء المتضادة كان المقسم عليه أيضاً متضاداً، ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ ۝٤﴾ أي: أعمال العباد التي اكتسبوها متضادة أيضاً ومتخالفة فمن فاعل خيراً ومن فاعل شراً.

قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥﴾ أي: أعطى ما أمر بإخراجه، واتقى الله في أموره ﴿وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٦﴾ أي: بالمجازاة على ذلك قاله قتادة(١).

وقال خُصيف: بالثواب.

وقال ابن عباس ومجاهد وعكرمة وأبو صالح وزيد بن أسلم: ﴿وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٦﴾ أي: بالخَلَف(٢).

وقال أبو عبد الرحمٰن السلمي والضحاك: ﴿وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٦﴾ أي: بلا إلٰه إلا الله(٣).

وفي رواية عن عكرمة: ﴿وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٦﴾ أي: بما أنعم الله عليه.

وفي رواية عن زيد بن أسلم: ﴿وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٦﴾ قال: الصلاة والزكاة والصوم، وقال مرة: وصدقة الفطر.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زرعة، حدثنا صفوان بن صالح الدمشقي، حدثنا الوليد بن مسلم، حدثنا زهير بن محمد، حدثني من سمع أبا العالية الرياحي يحدث عن أُبي بن كعب قال: سألت رسول الله ﷺ عن الحسنى قال: «الحسنى: الجنة»(٤).

وقوله تعالى: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ ۝٧﴾ قال ابن عباس: يعني للخير.

وقال زيد بن أسلم: يعني للجنة، وقال بعض السلف: من ثواب الحسنة الحسنة بعدها، ومن جزاء السيئة السيئة بعدها، ولهذا قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ﴾ أي: بما عنده ﴿وَٱسۡتَغۡنَىٰ﴾.

قال عكرمة، عن ابن عباس: أي بخل بماله واستغنى عن ربه ﷻ(٥). رواه ابن أبي حاتم ﴿وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٩﴾ أي: بالجزاء في الدار الآخرة ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ ۝١٠﴾ أي: لطريق الشر كما قال تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفۡـِٔدَتَهُمۡ وَأَبۡصَٰرَهُمۡ كَمَا لَمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَنَذَرُهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ۝١١٠﴾ [الأنعام] والآيات في هذا المعنى كثيرة دالة على أن الله ﷻ يجازي من قصد الخير بالتوفيق له، ومن قصد الشر بالخذلان، وكل ذلك بقدر مقدر والأحاديث الدالَّة على هذا المعنى كثيرة.

---

(١) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٢) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق عكرمة عن ابن عباس؛ وأخرجه الطبري بسند ضعيف عن مجاهد فيه ابن حميد وهو محمد بن حميد الرازي وهو ضعيف؛ وأخرجه الطبري بسند حسن صحيح من طريق نضر بن عربي عن عكرمة.

(٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق أبي حصين عن أبي عبد الرحمٰن؛ وأخرجه الطبري بسند حسن من طريق عبيد بن سليمان عن الضحاك.

(٤) تقدم تخريجه في تفسير سورة يونس آية ٢٦.

(٥) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق عكرمة به.

رواية أبي بكر الصديق ﷺ: قال الإمام أحمد: حدثنا علي بن [عياش][(١)]، حدثني العطاف بن خالد، حدثني رجل من أهل البصرة، عن طلحة بن عبد الله بن عبد الرحمٰن بن أبي بكر الصديق، عن أبيه قال: سمعت أبي يذكر أن أباه سمع أبا بكر وهو يقول: قلت لرسول الله ﷺ: يا رسول الله أنعمل على ما فرغ منه أو على أمر مؤتنف؟ قال: «بل على أمر قد فرغ منه» قال: ففيم العمل يا رسول الله؟ قال: «كل ميسر لما خلق له»[(٢)].

رواية علي ﷺ: قال البخاري: حدثنا أبو نعيم حدثنا سفيان، عن الأعمش، عن سعد بن عبيدة، عن أبي عبد الرحمٰن السلمي، عن علي بن أبي طالب ﷺ قال: كنا مع رسول الله ﷺ في بقيع الغرقد في جنازة فقال: «ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من الجنة ومقعده من النار» فقالوا: يا رسول الله أفلا نتكل؟ فقال: «اعملوا فكل ميسر لما خلق له» ثم قرأ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧﴾ إلى قوله: ﴿لِلْعُسْرَىٰ﴾[(٣)]. وكذا رواه من طريق شعبة[(٤)]، ووكيع[(٥)] عن الأعمش بنحوه. ثم رواه عن عثمان بن أبي شيبة، عن جرير، عن منصور، عن سعيد بن عبيدة، عن أبي عبد الرحمٰن، عن علي بن أبي طالب ﷺ قال: كنا في جنازة في بقيع الغرقد فأتى رسول الله ﷺ، فقعد وقعدنا حوله ومعه مخصرة فنكس، فجعل ينكت بمخصرته ثم قال: «ما منكم من أحد ـ أو ما من نفس منفوسة ـ إلا كتب مكانها من الجنة والنار وإلا قد كتبت شقية أو سعيدة» فقال رجل: يا رسول الله أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل؟ فمن كان منا من أهل السعادة فسيصير إلى أهل السعادة، ومن كان منا من أهل الشقاء فسيصير إلى أهل الشقاء؟ فقال: «أما أهل السعادة فيُيسرون لعمل أهل السعادة، وأما أهل الشقاء فيُيسرون إلى عمل أهل الشقاء»، ثم قرأ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠﴾[(٦)]. وقد أخرجه بقية الجماعة من طرق عن سعيد بن عبيدة به.

رواية عبد الله بن عمر: قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرحمٰن، حدثنا شعبة، عن عاصم بن عبيد الله، قال: سمعت سالم بن عبد الله يحدث عن ابن عمر قال: قال عمر: يا رسول الله أرأيت ما نعمل فيه أفي أمر قد فرغ أو مبتدأ أو مبتدع؟ قال: «فيما قد فرغ منه، فاعمل يا ابن الخطاب، فإن كلاًّ ميسر، أما من كان من أهل السعادة فإنه يعمل للسعادة وأما من كان من أهل الشقاء فإنه يعمل للشقاء»[(٧)]. ورواه الترمذي في القدر عن بُندار، عن ابن مهدي به، وقال: حسن صحيح[(٨)].

---

(١) كذا في (ح)؛ ومسند الإمام أحمد، وفي الأصل صُحف إلى: «عباس».

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه. (المسند ١/ ٢٠٠ ح١٩) وقال محققوه: حسن لغيره، وهذا إسناد ضعيف لجهالة الراوي عن طلحة بن عبد الله. اهـ. ويشهد له الحديث التالي.

(٣) أخرجه البخاري بسنده ومتنه. (الصحيح، التفسير، باب ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥﴾ [الليل] (ح٤٩٤٥).

(٤) المصدر السابق (ح٤٩٤٦). (٥) المصدر السابق (ح٤٩٤٧).

(٦) المصدر السابق (ح٤٩٤٨).

(٧) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه. (المسند ٨/ ١٤٠ ح٥١٤٠). قال محققوه: حسن لغيره، وهو إسناد ضعيف لضعف عاصم بن عبيد الله.

(٨) سنن الترمذي، القدر، باب ما جاء في الشقاء والسعادة (ح٢١٣٦).

حديث آخر من رواية جابر: قال ابن جرير: حدثني يونس، أخبرنا ابن وهب، أخبرني عمرو بن الحارث، عن أبي الزبير، عن جابر بن عبد الله أنه قال: يا رسول الله أنعمل لأمر قد فرغ منه أو لأمر نستأنفه؟ فقال: «لأمر قد فرغ منه» فقال سراقة: ففيم العمل إذاً؟ فقال رسول الله ﷺ: «كل عامل ميسر لعمله»[١]. ورواه مسلم عن أبي الطاهر، عن ابن وهب به[٢].

حديث آخر: قال ابن جرير: حدثني يونس، حدثنا سفيان، عن عمرو بن دينار، عن طلق بن حبيب، عن بشير بن كعب العدوي قال: سأل غلامان شابان النبي ﷺ فقالا: يا رسول الله أنعمل فيما جفت الأقلام وجرت به المقادير أو في شيء يستأنف؟ فقال: «بل فيما جفَّت به الأقلام وجرت به المقادير» قالا: ففيم العمل إذاً؟ قال: «اعملوا فكل عامل مُيسر لعمله الذي خلق له» قالا: نجد ونعمل[٣].

رواية أبي الدرداء: قال الإمام أحمد: حدثنا هشيم بن خارجة، حدثنا أبو الربيع سليمان بن عتبة السلمي، عن يونس بن ميسرة بن حلبس، عن أبي إدريس، عن أبي الدرداء قال: قالوا يا رسول الله أرأيت ما نعمل أمر قد فرغ منه أم شيء نستأنفه؟ قال: «بل أمر قد فرغ منه» فقالوا: فكيف بالعمل يا رسول الله؟ قال: «كل امرء مهيأ لما خلق له»[٤]. تفرد به أحمد من هذا الوجه.

حديث آخر: قال ابن جرير: حدثني الحسن بن سلمة بن أبي كبشة، حدثنا عبد الملك بن عمرو، حدثنا عباد بن راشد، عن قتادة، حدثني خُليد العصري، عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من يوم غربت فيه شمسه إلا وبجنبتيها ملكان يناديان يسمعهما خلق الله كلهم إلا الثقلين: اللهم أعط منفقاً خلفاً، وأعط ممسكاً تلفاً» وأنزل الله في ذلك القرآن: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾﴾[٥]. ورواه ابن أبي حاتم عن أبيه، عن ابن أبي كبشة بإسناده مثله.

حديث آخر: قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو عبد الله الطهراني، حدثنا حفص بن عمر العدني، حدثني الحكم بن أبان، عن عكرمة، عن ابن عباس أن رجلاً كان له نخيل، ومنها نخلة فرعها في دار رجل صالح فقير ذي عيال، فإذا جاء الرجل فدخل داره فيأخذ التمرة من نخلته فتسقط التمرة، فيأخذها صبيان الرجل الفقير، فينزل من نخلته فينزع التمرة من أيديهم، وإن أدخل أحدهم التمرة في فمه أدخل أصبعه في حلق الغلام ونزع التمرة من حلقه، فشكا ذلك الرجل إلى النبي ﷺ وأخبره بما هو فيه من صاحب النخلة فقال له النبي ﷺ: «اذهب» ولقي النبي ﷺ صاحب النخلة فقال له: «أعطني نخلتك التي فرعها في دار فلان ولك بها نخلة في الجنة» فقال

---

(١) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده صحيح.
(٢) صحيح مسلم، القدر، باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه. . (ح٢٦٤٨).
(٣) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده حسن ويشهد له ما سبق.
(٤) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه، وقال محققوه: صحيح لغيره. (المسند ٤٥/ ٤٨٠ ح٢٧٤٨٧).
(٥) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وفي سنده عباد بن راشد صدوق له أوهام. (التقريب ص٢٩٠) وأظنه هو الذي زاد ذكر نزول الآية؛ لأن الحديث بدون ذكر نزول الآية صحيح قد تقدم تخريجه في تفسير سورة الإسراء آية ٢٩.

له: لقد أعطيت ولكن يعجبني ثمرها وإن لي لنخلاً كثيراً ما فيها نخلة أعجب إلي ثمرة من ثمرها، فذهب النبي ﷺ فتبعه رجل كان يسمع الكلام من رسول الله ﷺ ومن صاحب النخلة فقال الرجل: يا رسول الله إن أنا أخذت النخلة فصارت لي النخلة فأعطيتك إياها، أتعطيني ما أعطيته بها نخلة في الجنة؟ قال: «نعم».

ثم إن الرجل لقي صاحب النخلة ولكلاهما نخل، فقال له: أخبرك أن محمداً أعطاني بنخلتي المائلة في دار فلان نخلة في الجنة، فقلت له: قد أعطيت ولكن يعجبني ثمرها، فسكت عنه الرجل فقال له: أراك إذا بعتها، قال: لا إلا أن أعطى بها شيئاً ولا أظنني أعطاه، قال: وما مُناك؟ قال: أربعون نخلة، فقال الرجل: لقد جئت بأمر عظيم، نخلتك تطلب بها أربعين نخلة؟ ثم سكتا وأنشآ في كلام آخر، ثم قال: أنا أعطيتك أربعين نخلة، فقال: أَشهِد لي إن كنت صادقاً، فأمر بأناس فدعاهم فقال: اشهدوا إني قد أعطيته من نخلي أربعين نخلة بنخلته التي فرعها في دار فلان بن فلان، ثم قال: ما تقول؟ فقال صاحب النخلة: قد رضيت، ثم قال بعد: ليس بيني وبينك بيع لم نفترق، فقال له: قد أقالك الله ولست بأحمق حين أعطيتك أربعين نخلة بنخلتك المائلة، فقال صاحب النخلة: قد رضيت على أن تعطيني الأربعين على ما أريد، قال: تعطينيها على ساق، ثم مكث ساعة ثم قال: هي لك على ساق، وأوقف له شهوداً وعد له أربعين نخلة على ساق، فتفرقا، فذهب الرجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إن النخلة المائلة في دار فلان قد صارت لي فهي لك، فذهب رسول الله ﷺ إلى الرجل صاحب الدار فقال له: «النخلة لك ولعيالك» قال عكرمة: قال ابن عباس فأنزل الله ﷻ: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝١﴾ إلى قوله: ﴿فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ ۝١٠﴾ إلى آخر السورة[١]. هكذا رواه ابن أبي حاتم وهو حديث غريب جداً.

قال ابن جرير: وذكر أن هذه الآية نزلت في أبي بكر الصديق ﷺ: حدثنا هارون بن إدريس الأصم، حدثنا عبد الرحمٰن بن محمد المحاربي، حدثنا محمد بن إسحاق، عن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمٰن بن أبي بكر الصديق ﷺ، عن عامر بن عبد الله بن الزبير قال: كان أبو بكر ﷺ يعتق على الإسلام بمكة، فكان يعتق عجائز ونساء إذا أسلمن، فقال له أبوه: أي بني أراك تعتق أناساً ضعفاء فلو أنك تعتق رجالاً جلداء يقومون معك ويمنعونك ويدفعون عنك، فقال: أي أبت إنما أريد ـ أظنه قال ـ ما عند الله، قال: فحدثني بعض أهل بيتي أن هذه الآية أنزلت فيه: ﴿فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ ۝٧﴾[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا يُغۡنِي عَنۡهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ۝١١﴾ قال مجاهد: أي إذا مات[٣].

---

(١) سنده ضعيف لضعف حفص بن عمر العدني كما في التقريب.

(٢) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وفي سنده محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمٰن بن أبي بكر الصديق وهو مقبول. (التقريب ص٤٩٠) ومحمد بن إسحاق لم يصرح بالسماع ولكن الحاكم أخرجه من طريق محمد بن إسحاق وقد صرح بالسماع وصححه ووافقه الذهبي. (المستدرك ٢/ ٥٢٥)؛ وأخرجه ابن عساكر من طريق ابن إسحاق به. (تاريخ دمشق ٣٠/ ٦٩).

(٣) أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.

وقال أبو صالح ومالك عن زيد بن أسلم: ﴿إِذَا تَرَدَّىٰٓ﴾ في النار[١].

﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ﴿١٢﴾ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ ﴿١٣﴾ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا الْأَشْقَى ﴿١٥﴾ الَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾ وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ﴿١٧﴾ الَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ابْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾﴾.

قال قتادة: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ﴿١٢﴾﴾ أي: نبين الحلال والحرام[٢]، وقال غيره: من سلك طريق الهدى وصل إلى الله[٣]، وجعله كقوله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾ [النحل: ٩] حكاه ابن جرير.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ ﴿١٣﴾﴾ أي: الجميع ملكنا وأنا المتصرف فيهما.

وقوله تعالى: ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾﴾ قال مجاهد: أي توهج[٤].

قال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن سماك بن حرب، سمعت النعمان بن بشير يخطب يقول: سمعت رسول الله ﷺ يخطب يقول: «أنذرتكم النار [أنذرتكم النار][٥]» حتى لو أن رجلاً كان بالسوق لسمعه من مقامي هذا، قال: حتى وقعت خميصة كانت على عاتقة عند رجليه[٦].

وقال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن جعفر، حدثني شعبة، حدثني أبو إسحاق، سمعت النعمان بن بشير يخطب ويقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أهون أهل النار عذاباً يوم القيامة رجل توضع في أخمص قدميه جمرتان يغلي منهما دماغه»[٧]. رواه البخاري[٨].

وقال مسلم: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا أبو أُسامة، عن الأعمش، عن أبي إسحاق، عن النعمان بن بشير قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أهون أهل النار عذاباً من له نعلان وشراكان من نار يغلي منهما دماغه كما يغلي المرجل، ما يرى أن أحداً أشد منه عذاباً وإنه لأهونهم عذاباً»[٩]. وقوله تعالى: ﴿لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا الْأَشْقَى ﴿١٥﴾﴾ أي: لا يدخلها دخولاً يحيط به من جميع جوانبه إلا الأشقى ثم فسره فقال: ﴿الَّذِى كَذَّبَ﴾ أي: بقلبه ﴿وَتَوَلَّىٰ﴾ أي: عن العمل بجوارحه وأركانه.

---

(١) أخرجه الطبري وعبد الرزاق بسند صحيح من طريق معمر عن قتادة؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق إسماعيل بن أبي خالد عن أبي صالح.
(٢) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.
(٣) ذكره الفراء (معاني القرآن ٣/ ٢٧١) والطبري.
(٤) أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.
(٥) زيادة من المسند.
(٦) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه. (المسند ٣٠/ ٣٤٨ ح١٨٣٩٨) وحسن سنده محققوه.
(٧) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه. (المسند ٣٠/ ٣٦٢ ح١٨٤١٣) وصحح سنده محققوه.
(٨) صحيح البخاري، الرقاق، باب صفة الجنة والنار (ح٦٥٦١).
(٩) أخرجه مسلم بسنده ومتنه. (الصحيح، الإيمان، باب أهون أهل النار عذاباً ح٢١٣/ ٣٦٤).

قال الإمام أحمد: حدثنا حسن بن موسى، حدثنا ابن لهيعة، حدثنا عبد ربه بن سعيد، عن المقبري، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يدخل النار إلا شقي» قيل: ومن الشقي؟ قال: «الذي لا يعمل بطاعة ولا يترك لله معصية»(١).

وقال الإمام أحمد: حدثنا يونس وسريج قالا: حدثنا فليح، عن هلال بن علي، عن عطاء بن يسار، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «كل أُمتي تدخل الجنة يوم القيامة إلا من أبى» قالوا: ومن يأبى يا رسول الله؟ قال: «من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى»(٢). رواه البخاري، عن محمد بن سنان، عن فليح به(٣).

وقوله تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾﴾ أي: وسيزحزح عن النار التقي النقي ثم فسره بقوله: ﴿ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾﴾ أي: يصرف ماله في طاعة ربه ليزكي نفسه وماله وما وهبه الله من دين ودنيا ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾﴾ أي: ليس بذله ماله في مكافأة من أسدى إليه معروفاً، فهو يعطي في مقابلة ذلك وإنما دفعه ذلك ﴿إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾﴾ أي: طمعاً في أن يحصل له رؤيته في الدار الآخرة في روضات الجنات قال الله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾﴾ أي: ولسوف يرضى من اتصف بهذه الصفات.

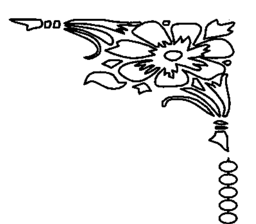
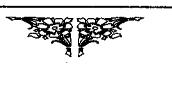
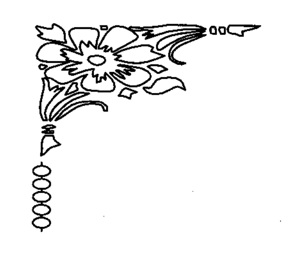
وقد ذكر غير واحد من المفسرين أن هذه الآيات نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه، حتى إن بعضهم حكى الإجماع من المفسرين على ذلك، ولا شك أنه داخل فيها وأولى الأمة بعمومها فإن لفظها العموم، وهو قوله تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾﴾ ولكنه مقدم الأمة وسابقهم في جميع هذه الأوصاف وسائر الأوصاف الحميدة، فإنه كان صديقاً تقياً كريماً جواداً بذالاً لأمواله في طاعة مولاه ونصرة رسول الله ﷺ، فكم من دراهم ودنانير بذلها ابتغاء وجه ربه الكريم، ولم يكن لأحد من الناس عنده منة يحتاج إلى أن يكافئه بها، ولكن كان فضله وإحسانه على السادات والرؤساء من سائر القبائل، ولهذا قال له عروة بن مسعود وهو سيد ثقيف يوم صلح الحديبية: وأما واللهِ لولا يد لك عندي لم أجزك بها لأجبتك، وكان الصديق قد أغلظ له في المقالة، فإن كان هذا حاله مع سادات العرب ورؤساء القبائل فكيف بمن عداهم، ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾﴾.

وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «من أنفق زوجين في سبيل الله دعته خزنة الجنة يا عبد الله هذا خير» فقال أبو بكر: يا رسول الله ما على من يدعى منها ضرورة فهل يدعى منها كلها أحد؟ قال: «نعم وأرجو أن تكون منهم»(٤).

آخر تفسير سورة الليل، ولله الحمد والمنة.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه. (المسند ١٤/ ٢٥٢ ح٨٥٩٤) وضعف سنده محققوه، وأعلوه بابن لهيعة.
(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه، وحسن سنده محققوه. (المسند ١٤/ ٣٤٢ ح٨٧٢٨).
(٣) صحيح البخاري، الاعتصام، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ (ح٧٢٨٠).
(٤) تقدم تخريجه في تفسير سورة الزمر آية ٧٣.

سورة الضحى

وهي مكية

رُوِّينا من طريق أبي الحسن أحمد بن محمد بن عبد الله بن أبي بزة المقريء قال: قرأت على عكرمة بن سليمان، وأخبرني أنه قرأ على إسماعيل بن قسطنطين وشبل بن عباد، فلما بلغت ﴿وَالضُّحَىٰ ۝١﴾ قالا لي: كبرِّ حتى تختم مع خاتمة كل سورة، فإنا قرأنا على ابن كثير، فأمرنا بذلك، وأخبرنا أنه قرأ على مجاهد فأمره بذلك. وأخبره مجاهد أنه قرأ على ابن عباس فأمره بذلك، وأخبره ابن عباس أنه قرأ على أُبي بن كعب فأمره بذلك، وأخبره أُبي أنه قرأ على رسول الله ﷺ فأمره بذلك[1].

فهذه سنة تفرد بها أبو الحسن أحمد بن محمد بن عبد الله البزي من ولد القاسم بن أبي بزة، وكان إماماً في القراءات، فأما في الحديث فقد ضعفه أبو حاتم الرازي وقال: لا أحدث عنه، وكذلك أبو جعفر العقيلي قال: هو منكر الحديث، لكن حكى الشيخ شهاب الدين أبو شامة في «شرح الشاطبية» عن الشافعي أنه سمع رجلاً يكبر هذا التكبير في الصلاة فقال: أحسنت وأصبت السنة، وهذا يقتضي صحة هذا الحديث.

ثم اختلف القراء في موضع هذا التكبير وكيفيته فقال بعضهم: يكبر من آخر ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ۝١﴾ وقال آخرون: من آخر ﴿وَالضُّحَىٰ ۝١﴾ وكيفية التكبير عند بعضهم أن يقول: الله أكبر. ويقتصر، ومنهم من يقول: الله أكبر لا إله إلا الله والله أكبر. وذكر القراء في مناسبة التكبير من أول سورة الضحى أنه لما تأخر الوحي عن رسول الله ﷺ وفتر تلك المدة ثم جاء الملك فأوحى إليه: ﴿وَالضُّحَىٰ ۝١ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢﴾ السورة بتمامها كبر فرحاً وسروراً، ولم يرو ذلك بإسناد يحكم عليه بصحة ولا ضعف، فالله أعلم[2].

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَالضُّحَىٰ ۝١ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ۝٤ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ۝٥ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ۝٨ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝١٠ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝١١﴾.

قال الإمام أحمد: حدثنا أبو نعيم، حدثنا سفيان، عن الأسود بن قيس قال: سمعت جندباً

---

(١) أخرجه البغوي من طريق المفسر أبو بكر محمد بن الحسن بن زياد الموصلي المعروف بالنقاش، عن أبي ربيعة محمد بن إسحاق الربعي، عن أبي الحسن أحمد بن محمد بن عبد الله بن أبي بزة المقريء به. (معالم التنزيل ٤/ ٥٠٠، ٥٠١).

(٢) هذا الحديث ضعيف عند النقاد المحدثين، ومعتبر عند كثير من القراء، ويعملون به.

يقول: اشتكى النبي ﷺ فلم يقم ليلة أو ليلتين، فأتت امرأة فقالت: يا محمد ما أرى شيطانك إلا قد تركك، فأنزل الله ﷻ: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ① وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ② مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ③﴾[١]. رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن أبي حاتم وابن جرير من طرق عن الأسود بن قيس، عن جُندب، هو ابن عبد الله البجلي، ثم العلقي به[٢]، وفي رواية سفيان بن عيينة، عن الأسود بن قيس سمع جُندباً قال: أبطأ جبريل على رسول الله ﷺ فقال المشركون: ودَّع محمداً ربه؛ فأنزل الله تعالى: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ① وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ② مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ③﴾.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج وعمرو بن عبد الله الأودي، قالا: حدثنا أبو أسامة، حدثني سفيان، حدثني الأسود بن قيس أنه سمع جُندباً يقول: رُمي رسول الله ﷺ بحجر في أصبعه فقال:

«هل أنت إلا أصبع دميت   وفي سبيل الله ما لقيت؟»

قال: فمكث ليلتين أو ثلاثاً لا يقوم، فقالت له امرأة ما أرى شيطانك إلا قد تركك فنزلت ﴿وَٱلضُّحَىٰ ① وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ② مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ③﴾ والسياق لأبي سعيد[٣].

قيل: إن هذه المرأة هي أم جميل امرأة أبي لهب، وذكر أن أصبعه ﷺ دُميت، وقوله هذا الكلام الذي اتفق أنه موزون ثابت في الصحيحين ولكن الغريب هٰهنا جعله سبباً لتركه القيام ونزول هذه السورة.

فأما ما رواه ابن جرير: حدثنا ابن أبي الشوارب، حدثنا عبد الواحد بن زياد، حدثنا سليمان الشيباني، عن عبد الله بن شداد، أن خديجة قالت للنبي ﷺ: ما أرى ربك إلا قد قلاك، فأنزل الله ﴿وَٱلضُّحَىٰ ① وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ② مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ③﴾[٤].

وقال أيضاً: حدثنا أبو كريب، حدثنا وكيع، عن هشام بن عروة، عن أبيه قال: أبطأ جبريل على النبي ﷺ فجزع جزعاً شديداً فقالت خديجة: إني أرى ربك قد قلاك مما نرى من جزعك، قال: فنزلت ﴿وَٱلضُّحَىٰ ① وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ② مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ③ ...﴾ إلى آخرها[٥]. فإنه حديث مرسل من [هذين الوجهين][٦] ولعلّ ذكر خديجة ليس محفوظاً أو قالته على وجه التأسف والحزن، والله أعلم.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٤/ ٣١٢) وسنده صحيح.

(٢) صحيح البخاري، التهجد، باب ترك القيام للمريض (ح١١٢٤)، وصحيح مسلم، الجهاد والسير، باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين (ح١٧٩٧)؛ وسنن الترمذي، التفسير، باب ومن سورة الضحىٰ (ح٣٣٤٢)؛ والسنن الكبرىٰ، التفسير، سورة الضحى (ح١١٦٨١).

(٣) سنده صحيح ورجاله ثقات.

(٤) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وما أظن عبد الله بن شداد سمع من خديجة ﵂، وما أظن خديجة ﵂ تقول ذلك بل كانت تشجعه وتؤازره.

(٥) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده ضعيف لأنه مرسل؛ وأخرجه الحاكم من طريق هشام بن عروة به؛ وصححه الحاكم وقال الذهبي: صحيح مرسل (المستدرك ٢/ ٦١٠)؛ وأخرجه البيهقي من الطريق نفسه وقال: في هذا الإسناد انقطاع (دلائل النبوة ٧/ ٦٠).

(٦) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل بياض.

وقد ذكر بعض السلف منهم ابن إسحاق أن هذه السورة هي التي أوحاها جبريل إلى رسول الله ﷺ حين تبدّى له في صورته التي خلقه الله عليها، ودنا إليه وتدلى منهبطاً عليه وهو بالأبطح ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ۝١٠﴾ [النجم] قال: قال له هذه السورة ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢﴾.

قال العوفي، عن ابن عباس: لما نزل على رسول الله ﷺ القرآن أبطأ عنه جبريل أياماً فتغير بذلك، فقال المشركون: ودعه ربه وقلاه فأنزل الله ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣﴾[١].

وهذا قسم منه تعالى بالضحى وما جعل فيه من الضياء ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢﴾ أي: سكن فأظلم وادلهم. قاله مجاهد وقتادة والضحاك وابن زيد وغيرهم[٢]، وذلك دليل ظاهر على قدرة خالق هذا وهذا كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ۝١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢﴾ [الليل] وقال تعالى: ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝٩٦﴾ [الأنعام].

وقوله تعالى: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ﴾ أي: ما تركك ﴿وَمَا قَلَىٰ﴾ أي: وما أبغضك.

﴿وَلَلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ ۝٤﴾ أي: وللدار الآخرة خير لك من هذه الدار، ولهذا كان رسول الله ﷺ أزهد الناس في الدنيا وأعظمهم لها اطراحاً كما هو معلوم بالضرورة من سيرته، ولما خُيِّر عليه السلام في آخر عمره بين الخلد في الدنيا إلى آخرها ثم الجنة وبين الصيرورة إلى الله ﷻ، اختار ما عند الله على هذه الدنيا الدنية.

قال الإمام أحمد: حدثنا يزيد، حدثنا المسعودي، عن عمرو بن مرة، عن إبراهيم النخعي، عن علقمة، عن عبد الله هو: ابن مسعود قال: اضطجع رسول الله ﷺ على حصير فأثر في جنبه، فلما استيقظ جعلت أمسح جنبه وقلت: يا رسول الله ألا آذنتنا حتى نبسط لك على الحصير شيئاً؟ فقال رسول الله ﷺ: «ما لي وللدنيا، إنما مثلي ومثل الدنيا كراكب ظل تحت شجرة ثم راح وتركها»[٣]. ورواه الترمذي وابن ماجه من حديث المسعودي به وقال الترمذي: حسن صحيح[٤].

وقوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ۝٥﴾ أي: في الدار الآخرة يعطيه حتى يرضيه في أمته، وفيما أعده له من الكرامة، ومن جملته نهر الكوثر الذي حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف، وطينه مِسك أذفر كما سيأتي[٥].

وقال الإمام أبو عمرو الأوزاعي، عن إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر المخزومي، عن علي بن عبد الله بن عباس، عن أبيه قال: عُرِض على رسول الله ﷺ ما هو مفتوح على أُمته من

---

(١) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به، ويشهد له ما سبق.

(٢) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة؛ وأخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد بلفظ: «إذا استوى»؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

(٣) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٦/ ٢٤٢ ح٣٧٠٩) وصحح سنده محققوه.

(٤) سنن الترمذي، الزهد، باب ما أنا في الدنيا إلا راكب (ح٢٣٧٧)؛ وسنن ابن ماجه، الزهد، باب مثل الدنيا (ح٤١٠٩)؛ وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (ح٣٣١٧).

(٥) سيأتي في تفسير سورة الكوثر.

بعده كنزاً كنزاً فسر بذلك، فأنزل الله ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ۝٥﴾ فأعطاه في الجنة ألف ألف قصر في كل قصر ما ينبغي له من الأزواج والخدم[١]، رواه ابن جرير من طرقه، وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس ومثل هذا ما يقال إلا عن توقيف.

وقال السدي، عن ابن عباس من رضاء محمد ﷺ أن لا يدخل أحد من أهل بيته النار، رواه ابن جرير وابن أبي حاتم[٢].

وقال الحسن: يعني بذلك الشفاعة[٣]، وهكذا قال أبو جعفر الباقر.

وقال أبو بكر بن أبي شيبة: حدثنا معاوية بن هشام، عن علي بن صالح، عن يزيد بن أبي زياد، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّا أهل بيتٍ اختار الله لنا الآخرة على الدنيا، ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ۝٥﴾»[٤].

ثم قال تعالى يعدد نعمه على عبده ورسوله محمد صلوات الله وسلامه عليه: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ۝٦﴾ وذلك أن أباه توفي وهو حمل في بطن أمه، وقيل: بعد أن ولد ﷺ ثم توفيت أُمه آمنة بنت وهب وله من العمر ست سنين، ثم كان في كفالة جده عبد المطلب إلى أن توفي وله من العمر ثمان سنين، فكفله عمُّه أبو طالب، ثم لم يزل يحوطه وينصره ويرفع من قدره ويوقره، ويكفّ عنه أذى قومه بعد أن ابتعثه الله على رأس أربعين سنة من عمره، هذا وأبو طالب على دين قومه من عبادة الأوثان، وكل ذلك بقدر الله وحسن تدبيره إلى أن توفي أبو طالب قبل الهجرة بقليل، فأقدم عليه سفهاء قريش وجهالهم، فاختار الله له الهجرة من بين أظهرهم إلى بلد الأنصار من الأوس والخزرج، كما أجرى الله سنته على الوجه الأتم الأكمل، فلما وصل إليهم آووه ونصروه وحاطوه وقاتلوا بين يديه رضي الله عنهم أجمعين، وكل هذا من حفظ الله له وكلاءته وعنايته به.

وقوله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ۝٧﴾ كقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَاۚ﴾ الآية [الشورى: ٥٢].

ومنهم من قال: إن المراد بهذا أن النبي ﷺ ضلَّ في شِعاب مكة وهو صغير ثم رجع.

وقيل: إنه ضلَّ وهو مع عمِّه في طريق الشام، وكان راكباً ناقة في الليل، فجاء إبليس فعدل بها عن الطريق، فجاء جبريل فنفخ إبليس نفخة ذهب منها إلى الحبشة، ثم عدل بالراحلة إلى الطريق حكاهما البغوي[٥].

---

(١) أخرجه الطبري من طريق عمرو بن هاشم عن الأوزاعي به؛ وصحح سنده الحافظ ابن كثير؛ وأخرجه الطبراني من طريق الأوزاعي به، (المعجم الكبير ١٠/٣٣٧ ح١٠٦٥٠)؛ وحسن سنده الهيثمي (مجمع الزوائد ٧/١٣٨).

(٢) أخرجه الطبري من طريق الحكم بن ظهير به، وسنده ضعيف جداً لأن السدي لم يسمع من ابن عباس، والحكم بن ظهير متروك ورمي بالرفض (التقريب ص١٧٥) وكذلك السدي فيه تشيع.

(٣) عزاه البغوي إلى الحسن (معالم التنزيل ٤/٤٩٨).

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة مطولاً دون ذكر الآية. (المصنف ١٥/٢٣٦) وسنده ضعيف لضعف يزيد بن أبي زياد وتشيعه (التقريب ص٦٠١).

(٥) معالم التنزيل ٤/٤٩٩.

وقوله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ⑧﴾ أي: كنت فقيراً ذا عيال فأغناك الله عمن سواه فجمع له بين مقامي الفقير الصابر والغني الشاكر صلوات الله وسلامه عليه.

وقال قتادة في قوله: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ⑥ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ⑦ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ⑧﴾ قال: كانت هذه منازل رسول الله ﷺ قبل أن يبعثه الله ﷻ. رواه ابن جرير[١] وابن أبي حاتم.

وفي الصحيحين من طريق عبد الرزاق، عن معمر، عن همام بن منبه قال: هذا ما حدثنا أبو هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: [«ليس الغنى عن كثرة العَرَض، ولكن الغنى غنى النفس»[٢].

وفي صحيح مسلم، عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ:][٣] «قد أفلح من أسلم ورزق كفافاً وقنعه الله بما آتاه»[٤].

ثم قال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ⑨﴾ أي: كما كنت يتيماً فآواك الله فلا تقهر اليتيم؛ أي: لا تذله وتنهره وتهنه ولكن أحسن إليه وتلطف به.

قال قتادة: كن لليتيم كالأب الرحيم[٥].

﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ⑩﴾ أي: وكما كنت ضالاً فهداك الله، فلا تنهر السائل في العلم المسترشد.

قال ابن إسحاق: ﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ⑩﴾ أي: فلا تكن جباراً ولا متكبراً ولا فحّاشاً ولا فظاً على الضعفاء من عباد الله.

وقال قتادة: يعني: ردّ المسكين برحمة ولين ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ⑪﴾ أي: وكما كنت عائلاً فقيراً فأغناك الله فحدث بنعمة الله عليك كما جاء في الدعاء المأثور النبوي: «واجعلنا شاكرين لنعمتك مثنين بها عليك قابليها وأتمها علينا».

وقال ابن جرير: حدثنا يعقوب، حدثنا ابن علية، حدثنا سعيد بن [إياس الجريري][٦]، عن أبي نضرة قال: كان المسلمون يرون أن من شكر النعم أن يحدث بها[٧].

وقال عبد الله ابن الإمام أحمد: حدثنا منصور بن أبي مزاحم، حدثنا الجراح بن مليح، عن أبي عبد الرحمٰن، عن الشعبي، عن النعمان بن بشير قال: قال رسول الله ﷺ على المنبر: «من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير، ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله، والتحدث بنعمة الله شكر

---

(١) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٢) أخرجه الشيخان من طريق أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه. (صحيح البخاري، الرقاق، باب غنى النفس ح٦٤٤٦)؛ وصحيح مسلم، الزكاة، باب ليس الغنى عن كثرة العرض (ح١٠٥١).

(٣) زيادة من (ح) و(حم).

(٤) صحيح مسلم، الزكاة، باب في الكفاف والقناعة (ح١٠٥٤).

(٥) عزاه السيوطي إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة بلفظ: «لا تظلم».

(٦) كذا في (ح) و(حم) وتفسير الطبري، وفي الأصل صحف إلى: «المربري». ولم يذكر: إياس.

(٧) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده صحيح.

وتركها كفر، والجماعة رحمة والفرقة عذاب»[١]. وإسناده ضعيف.

وفي الصحيحين عن أنس أن المهاجرين قالوا: يا رسول الله ذهب الأنصار بالأجر كله، قال: «لا ما دعوتم الله لهم وأثنيتم عليهم»[٢].

وقال أبو داود: حدثنا مسلم بن إبراهيم، حدثنا الربيع بن مسلم، عن محمد بن زياد، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «لا يشكر الله من لا يشكر الناس»[٣]. ورواه الترمذي عن أحمد بن محمد، عن ابن المبارك، عن الربيع بن مسلم. وقال: صحيح[٤].

وقال أبو داود: حدثنا عبد الله بن الجراح، حدثنا جرير، عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر، عن النبي ﷺ قال: «من أبلى بلاء فذكره فقد شكره، ومن كتمه فقد كفره»[٥]. تفرد به أبو داود. وقال أبو داود: حدثنا مسدد، حدثنا بشر، حدثنا عمارة بن غزية، حدثني رجل من قومي، عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «من أعطي عطاء فوجد فليجز به، فإن لم يجد فليثن به، فمن أثنى به فقد شكره، ومن كتمه فقد كفره» قال أبو داود: ورواه يحيى بن أيوب، عن عمارة بن غزية، عن شرحبيل، عن جابر، كرهوه فلم يسموه[٦]، تفرد به أبو داود.

وقال مجاهد: يعني: النبوة[٧] التي أعطاك ربك، وفي رواية عنه: القرآن.

وقال ليث، عن رجل، عن الحسن بن علي ﴿وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ ﴿١١﴾﴾ قال: ما عملت من خير فحدث إخوانك[٨].

وقال محمد بن إسحاق، ما جاءك من الله من نعمة وكرامة من النبوة فحدث بها واذكرها وادع إليها، قال: فجعل رسول الله ﷺ يذكر ما أنعم به عليه من النبوة سراً إلى من يطمئن إليه من أهله، وافترضت عليه الصلاة فصلى.

آخر تفسير سورة الضحىٰ.

---

(١) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في زوائد المسند بسنده ومتنه. (المسند ٤/ ٢٨٤) وضعف سنده الحافظ ابن كثير.

(٢) أخرجه الإمام أحمد (المسند ٢٠/ ٣٦٠، ٣٦١ ح١٣٠٧٥) وصحح سنده محققوه؛ وأخرجه البخاري في الأدب المفرد؛ وصحح سنده الألباني في صحيح الأدب المفرد (ح١٥٩).

(٣) أخرجه أبو داود بسنده ومتنه. (السنن، الأدب، باب في شكر المعروف ح٤٨١١)؛ وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح٤٠٢٦).

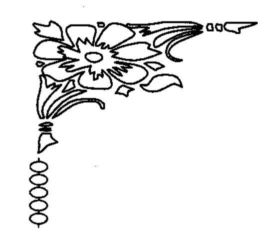
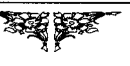
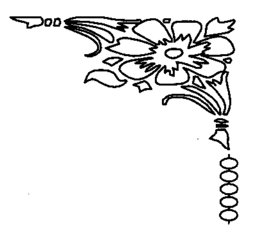
(٤) سنن الترمذي، البر والصلة، باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك (ح١٩٥٤).

(٥) أخرجه أبو داود بسنده ومتنه. (السنن، الأدب، باب في شكر المعروف ح٤٨١٤)؛ وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح٤٠٢٩).

(٦) المصدر السابق (ح٤٨١٣) وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح٤٠٢٨).

(٧) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق أبي بشر عن مجاهد.

(٨) سنده ضعيف لإبهام شيخ ليث.

سُورَةُ الشَّرْحِ

وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ۝٨﴾.

يقول تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١﴾ يعني: أما شرحنا لك صدرك؛ أي: نورناه وجعلناه فسيحاً رحيباً واسعاً كقوله: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾ [الأنعام: ١٢٥] وكما شرح الله صدره كذلك جعل شرعه فسيحاً واسعاً سمحاً سهلاً لا حرج فيه ولا إصر ولا ضيق.

وقيل: المراد بقوله: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١﴾ شرح صدره ليلة الإسراء كما تقدم من رواية مالك بن صعصعة[١]، وقد أورده الترمذي هٰهنا، وهذا وإن كان واقعاً ليلة الإسراء كما رواه مالك بن صعصعة[٢]، ولكن لا منافاة فإن من جملة شرح صدره الذي فعل بصدره ليلة الإسراء وما نشأ عنه من الشرح المعنوي أيضاً، فالله أعلم.

قال عبد الله ابن الإمام أحمد: حدثنا محمد بن عبد الرحيم أبو يحيى البزاز، حدثنا يونس بن محمد، حدثنا معاذ بن محمد بن معاذ بن محمد بن أُبي بن كعب، حدثني أبو محمد بن معاذ، عن معاذ، عن محمد، عن أُبي بن كعب، أن أبا هريرة كان جريئاً على أن يسأل رسول الله ﷺ عن أشياء لا يسأله عنها غيره فقال: يا رسول الله ما أول ما رأيت من أمر النبوة؟ فاستوى رسول الله ﷺ جالساً وقال: «لقد سألت يا أبا هريرة، إني لفي الصحراء ابن عشر سنين وأشهر وإذا بكلام فوق رأسي وإذا رجل يقول لرجل أهو هو؟ قال: نعم فاستقبلاني بوجوه لم أرها قط وأرواح لم أجدها من خلق قط، وثياب لم أرها على أحد قط فأقبلا إليَّ يمشيان حتى أخذ كل واحد منهما بعضدي لا أجد لأحدهما مسّاً، فقال أحدهما لصاحبه: أضجعه فأضجعاني بلا قصر ولا هصر، فقال أحدهما لصاحبه: افلق صدره فهوى أحدهما إلى صدري ففلقه فيما أرى بلا دم ولا وجع، فقال له: أخرج الغلّ والحسد، فأخرج شيئاً كهيئة العلقة ثم نبذها فطرحها، فقال له: أدخل الرأفة والرحمة فإذا مثل الذي أخرج شبه الفضة ثم هزَّ إبهام رجلي اليمنى فقال: أغد واسلم، فرجعت بها أعدو رقة على الصغير ورحمة للكبير»[٣].

---

(١) تقدم في مطلع تفسير سورة الإسراء.

(٢) أي: أورده في سننه، التفسير، باب ومن سورة ألم نشرح (ح٣٣٤٦).

(٣) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في زوائده على المسند بسنده ومتنه (المسند ٣٥/ ١٨٠ - ١٨٢ ح٢١٢٦١) وضعف سنده محققوه.

[وقوله تعالى: ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾﴾ بمعنى: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ٢] ﴿الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾﴾ الإنقاض الصوت، وقال غير واحد من السلف في قوله: ﴿الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾﴾: أي أثقلك حمله][١].

وقوله: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾﴾ قال مجاهد: لا أذكر إلا ذكرت معي أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله[٢].

وقال قتادة: رفع الله ذكره في الدنيا والآخرة فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلاة إلا ينادي بها أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله[٣].

وقال ابن جرير: حدثني يونس، أخبرنا ابن وهب، أخبرنا عمرو بن الحارث، عن درّاج، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أتاني جبريل فقال: إن ربي وربك يقول: كيف رفعت ذكرك؟ قال: الله أعلم، قال: إذا ذكرت ذكرت معي»[٤]. وكذا رواه ابن أبي حاتم، عن يونس، عن عبد الأعلى به. ورواه أبو يعلى من طريق ابن لهيعة، عن دراج[٥].

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زرعة، حدثنا أبو عمر الحوضي، حدثنا حماد بن زيد، حدثنا عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «سألت ربي مسألة وددت أني لم أسأله، قلت: قد كان قبلي أنبياء منهم من سخرت له الريح ومنهم من يحيي الموتى، قال: يا محمد ألم أجدك يتيماً فآويتك؟ قلت: بلى يا ربِّ، قال: ألم أجدك ضالاً فهديتك؟ قلت: بلى يا ربِّ، قال: ألم أجدك عائلاً فأغنيتك؟ قلت: بلى يا ربِّ، قال ألم أشرح لك صدرك؟ ألم أرفع لك ذكرك؟ قلت: بلى يا ربِّ»[٦].

وقال أبو نعيم في دلائل النبوة: حدثنا أبو أحمد الغطريفي، حدثنا موسى بن سهل الجويني، حدثنا أحمد بن القاسم بن بهزان الهيتي: حدثنا نصر بن حماد، عن عثمان بن عطاء، عن الزهري، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «لما فرغت مما أمرني الله به من أمر السمٰوات والأرض قلت: يا ربِّ إنه لم يكن نبي قبلي إلا وقد كرمته جعلت إبراهيم خليلاً وموسى كليماً، وسخرت لداود الجبال، ولسليمان الريح والشياطين، وأحييت لعيسى الموتى فما جعلت لي؟ قال: أوليس قد أعطيتك أفضل من ذلك كله؟ أني لا أذكر إلا ذكرت معي وجعلت صدور أُمتك [أناجيل][٧] يقرؤون القرآن ظاهراً ولم أعطها أُمة، وأعطيتك كنزاً من كنوز عرشي لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم»[٨].

---

(١) زيادة من (ح) و(حم).

(٢) أخرجه الإمام الشافعي عن سفيان بن عيينة عن ابن أبي نجيح عن مجاهد (الرسالة ص١٦)، وأخرجه عبد الرزاق والطبري من طريق ابن عيينة به، وسنده صحيح.

(٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٤) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده ضعيف لضعف رواية دراج عن أبي الهيثم.

(٥) سنده كسابقه.

(٦) أخرجه الحاكم من طريق حماد بن زيد به وصححه ووافقه الذهبي. (المستدرك ٢/ ٥٢٦) وفي سنده عطاء بن السائب وقد اختلط وقد أشار الهيثمي إلى ذلك. (مجمع الزوائد ٨/ ٢٥٧).

(٧) في الأصل بياض، واستدرك من نسخة دار الكتب حسب طبعة البابي الحلبي.

(٨) سنده ضعيف لضعف عثمان بن عطاء وهو الخراساني.

وحكى البغوي عن ابن عباس ومجاهد أن المراد بذلك الأذان يعني ذكره فيه وأورد من شعر حسان بن ثابت:

أغرُّ عليه للنبوة خاتم ... من الله نور يلوح ويشهد
وضمّ الإلٰه اسم النبي إلى اسمه ... إذا قال في الخمس المؤذن أشهد
وشقَّ له من اسمه ليجله ... فذو العرش محمود وهذا محمد[1]

وقال آخرون: رفع الله ذكره في الأولين والآخرين ونوه به حين أخذ الميثاق على جميع النبيين أن يؤمنوا به، وأن يأمروا أُممهم بالإيمان به، ثم شهد ذكره في أُمته فلا يذكر الله إلا ذكر معه، وما أحسن ما قال الصرصري رَحِمَهُ اللَّهُ:

لا يصح الأذان في الفرض إلا ... باسمه العذب في الفم المرضي

وقال أيضاً:

[ألم تر أنا لا يصح أذاننا ... ولا فرضنا إن لم نكرره فيهما][2]

وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦﴾ أخبر تعالى أن مع العسر يوجد اليسر ثم أكدّ هذا الخبر.

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زرعة، حدثنا محمود بن غيلان، حدثنا حميد بن حماد بن أبي خوار أبو الجهم، حدثنا عائذ بن شريح قال: سمعت أنس بن مالك يقول: كان النبي ﷺ جالساً وحياله حجر، فقال: «لو جاء العسر فدخل هذا الحجر لجاء اليسر حتى يدخل عليه فيخرجه» فأنزل الله ﷻ: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦﴾[3]. ورواه أبو بكر البزار في مسنده عن محمد بن معمر، عن حميد بن حماد ولفظه: «لو جاء العسر حتى يدخل هذا الحجر لجاء اليسر حتى يخرجه» ثم قال: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥﴾ ثم قال البزار: لا نعلم رواه عن أنس إلا عائذ بن شريح[4].

قلت: وقد قال فيه أبو حاتم الرازي: في حديثه ضعف، ولكن رواه شعبة، عن معاوية بن قرة، عن رجل، عن عبد الله بن مسعود موقوفاً[5].

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح، حدثنا أبو قطن، حدثنا المبارك بن

---

(١) ذكر البغوي هذه الأبيات الشعرية، وذكر القول الذي قبله عن مجاهد دون ذكر ابن عباس. (معالم التنزيل ٤/ ٥٠٢) وهذه الأبيات في ديوان حسان رضي الله عنه ص٤٧.

(٢) زيادة من (ح) و(حم).

(٣) سنده ضعيف لضعف عائذ بن شريح. (لسان الميزان ٣/ ٢٢٦)؛ وأخرجه الحاكم من طريق حميد بن حماد به؛ وصححه وتعقبه الذهبي بقوله: تفرد به حميد بن حماد عن عائذ، وحميد منكر الحديث كعائذ. (المستدرك ٢/ ٢٥٥).

(٤) أخرجه البزار بسنده ومتنه، وضعفه الحافظ ابن حجر. (مختصر زوائد مسند البزار ٢/ ١١٩ ح١٥٣٤).

(٥) أخرجه الطبري من طريق شعبة به، وسنده ضعيف لإبهام الراوي عن ابن مسعود؛ وأخرجه عبد الرزاق من طريق إبراهيم النخعي عن ابن مسعود، وإبراهيم لم يسمع من ابن مسعود. ومعناه صحيح، ويشهد له ما يليه.

فضالة، عن الحسن قال: كانوا يقولون لا يغلب عسر واحد يسرين اثنين[١].

وقال ابن جرير: حدثنا ابن عبد الأعلى، حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن الحسن، قال: خرج النبي ﷺ يوماً مسروراً فرحاً وهو يضحك وهو يقول: «لن يغلب عسر يسرين، لن يغلب عسر يسرين، ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦﴾»[٢]. وكذا رواه من حديث عوف الأعرابي ويونس بن عبيد، عن الحسن مرسلاً.

وقال سعيد، عن قتادة: ذكر لنا أن رسول الله ﷺ بشر أصحابه بهذه الآية فقال: «لن يغلب عسر يسرين»[٣]. ومعنى هذا أن العسر معرّف في الحالتين فهو مفرد واليسر منكر، فتعدد ولهذا قال: «لن يغلب عسر يسرين» يعني قوله: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦﴾ فالعسر الأول عين الثاني واليسر تعدد.

وقال الحسن بن سفيان: حدثنا يزيد بن صالح، حدثنا خارجة، عن عباد بن كثير، عن أبي الزناد، عن أبي صالح، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «نزلت المعونة من السماء على قدر المؤونة، ونزل الصبر على قدر المصيبة»[٤].

ومما يروى عن الشافعي أنه قال:

صبراً جميلاً ما أقرب الفرجا ... من راقب الله في الأمور نجا
من صدق الله لم ينله أذى ... ومن رجاه يكون حيث رجا[٥]

وقال ابن دُريد: أنشدني أبو حاتم السجستاني:

إذا اشتملت على اليأس القلوب ... وضاق لما به الصدر الرحيب
وأوطأت المكاره واطمأنت ... وأرست في أماكنها الخطوب
ولم تر لانكشاف الضر وجهاً ... ولا أغنى بحيلته الأريب
أتاك على قنوط منك غوث ... يمن به اللطيف المستجيب
وكل الحادثات إذا تناهت ... فموصول بها الفرج القريب

وقال آخر:

ولربَّ نازلة يضيق بها الفتى ... ذرعاً وعند الله منها المخرج
كملت فلما استحكمت حلقاتها ... فُرجت وكان يظنها لا تفرج

وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ۝٨﴾ أي: إذا فرغت من أمور الدنيا وأشغالها وقطعت علائقها فانصب إلى العبادة وقم إليها نشيطاً فارغ البال وأخلص لربك النية

---

(١) سنده حسن.
(٢) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، ورجاله ثقات لكنه مرسل.
(٣) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، ورجاله ثقات لكنه مرسل.
(٤) أخرجه ابن عدي من طريق عباد بن كثير به (الكامل ٤/ ١١٥) وسنده ضعيف لضعف عباد بن كثير قال ابن أبي حاتم عن أبي زرعة ليس بالقوي. (العلل ٢/ ١٣٣)؛ وضعفه الحافظ ابن حجر. (التقريب ص٢٩٠).
(٥) ذكر البيهقي هذين البيتين. (مناقب الشافعي ٢/ ٣٦٢).

والرغبة، ومن هذا القبيل قوله ﷺ في الحديث المتفق على صحته: «لا صلاة بحضرة الطعام ولا وهو يدافعه الأخبثان»[(١)]، وقوله ﷺ: «إذا أقيمت الصلاة وحضر العشاء فابدأوا بالعشاء»[(٢)].

قال مجاهد في هذه الآية: إذا فرغت من أمر الدنيا فقمت إلى الصلاة فانصب لربك[(٣)]، وفي رواية عنه: إذا قمت إلى الصلاة فانصب في حاجتك، وعن ابن مسعود: إذا فرغت من الفرائض فانصب في قيام الليل[(٤)]، وعن ابن عياض نحوه، وفي رواية عن ابن مسعود: ﴿فَانصَبْ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب ⑧﴾ بعد فراغك من الصلاة وأنت جالس.

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: فإذا فرغت فانصب، يعني: في الدعاء[(٥)].

وقال زيد بن أسلم والضحاك: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ﴾ أي: من الجهاد ﴿فَانصَبْ﴾ أي: في العبادة[(٦)]. ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب ⑧﴾.

وقال الثوري: اجعل نيتك ورغبتك إلى الله ﷻ[(٧)].

آخر تفسير سورة ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ﴾، ولله الحمد والمنّة.

---

(١) أخرجه مسلم من حديث عائشة ﵂. (الصحيح، المساجد ومواضع الصلاة، باب كراهة الصلاة بحضرة الطعام الذي يريد أكله في الحال ح٥٦٠).

(٢) أخرجه الشيخان من حديث عائشة ﵂. (صحيح البخاري، الأطعمة، باب إذا حضر العشاء فلا يعجل عن عشائه ح٥٤٦٥) والمصدر السابق (ح٥٥٧).

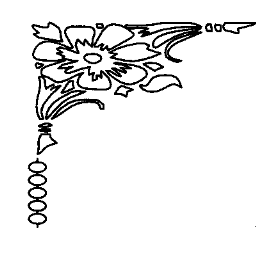
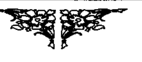
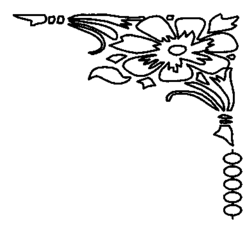
(٣) أخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.

(٤) عزاه السيوطي إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن مسعود.

(٥) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق علي به.

(٦) عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم عن زيد بن أسلم؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

(٧) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق وكيع عن سفيان، ويرويه سفيان عن منصور عن مجاهد. وسنده صحيح.

سُورَةُ ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ﴾

وهي مكية

قال مالك وشعبة: عن عدي بن ثابت، عن البراء بن عازب: كان النبي ﷺ يقرأ في سفره في إحدى الركعتين بالتين والزيتون، فما سمعت أحداً أحسن صوتاً أو قراءة منه[(١)]، أخرجه الجماعة في كتبهم.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ۝٣ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ۝٥ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝٦ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ ۝٧ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ ۝٨﴾.

اختلف المفسرون هٰهنا على أقوال كثيرة:

فقيل: المراد بالتين مسجد دمشق[(٢)]، وقيل: هي نفسها، وقيل: الجبل الذي عندها[(٣)].

وقال القرظي: هو مسجد أصحاب الكهف[(٤)].

وروى العوفي، عن ابن عباس: أنه مسجد نوح الذي على الجودي[(٥)].

وقال مجاهد: هو تينكم هذا[(٦)].

﴿وَالزَّيْتُونِ﴾ قال كعب الأحبار وقتادة وابن زيد وغيرهم: هو مسجد بيت المقدس[(٧)].

وقال مجاهد وعكرمة: هو هذا الزيتون الذي تعصرون[(٨)].

---

(١) أخرجه مالك من طريق عدي به بلفظه: «صليت مع رسول الله ﷺ العشاء فقرأ فيها بالتين والزيتون». (الموطأ، الصلاة، باب القراءة في المغرب والعشاء ح٢٧)؛ وأخرجه الشيخان من طريق شعبة به. (صحيح البخاري، الأذان، باب الجهر في العشاء ح٧٦٧)؛ وصحيح مسلم، الصلاة، باب القراءة في العشاء (ح٤٦٤).

(٢) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق عبد الله بن وهب عن عبد الرحمٰن بن زيد، وهذا قول غريب.

(٣) أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة، وهو غريب أيضاً.

(٤) عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد وابن أبي حاتم عن محمد بن كعب وهو غريب أيضاً.

(٥) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به، وهو غريب أيضاً.

(٦) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق خُصيف عن مجاهد، ويتقوىٰ بما أخرجه الطبري وآدم بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح أنه التين الذي يؤكل.

(٧) أخرجه الطبري بأسانيد صحيحة عن قتادة وابن زيد كما تقدم، وهو غريب.

(٨) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي رجاء عن عكرمة.

﴿وَطُورِ سِينِينَ ۝﴾ قال كعب الأحبار وغير واحد: هو الجبل الذي كلم الله عليه موسى عليه السلام[(١)].

﴿وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ۝﴾ يعني: مكة. قاله ابن عباس ومجاهد وعكرمة والحسن وإبراهيم النخعي وابن زيد وكعب الأحبار[(٢)]. ولا خلاف في ذلك، وقال بعض الأئمة: هذه محال ثلاثة بعث الله في كل واحد منها نبياً مرسلاً من أولي العزم أصحاب الشرائع الكبار:

فالأول: محلة التين والزيتون وهي: بيت المقدس التي بعث الله فيها عيسى ابن مريم عليه السلام.

والثاني: طور سينين، وهو طور سيناء الذي كلم الله عليه موسى بن عمران.

والثالث: مكة، وهو البلد الأمين الذي من دخله كان آمناً، وهو الذي أرسل فيه محمداً ﷺ، قالوا: وفي آخر التوراة ذكر هذه الأماكن الثلاثة: جاء الله من طور سيناء - يعني الذي كلَّم الله عليه موسى بن عمران - وأشرق من ساعير - يعني: جبل بيت المقدس الذي بعث الله منه عيسى - واستعلن من جبال فاران يعني: جبال مكة التي أرسل الله منها محمداً ﷺ فذكرهم مخبراً عنهم على الترتيب الوجودي بحسب ترتيبهم في الزمان، ولهذا أقسم بالأشرف ثم الأشرف منه ثم بالأشرف منهما.

وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝﴾ هذا هو المقسم عليه، وهو أنه تعالى خلق الإنسان في أحسن صورة وشكل منتصب القامة سوي الأعضاء حسنها ﴿ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ۝﴾ أي: إلى النار. قاله مجاهد وأبو العالية والحسن وابن زيد وغيرهم[(٣)]، ثم بعد هذا الحسن والنضارة مصيرهم إلى النار إن لم يطع الله ويتبع الرسل لهذا قال: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ وقال بعضهم: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ۝﴾ أي: إلى أرذل العمر، وروي هذا عن ابن عباس وعكرمة[(٤)]، حتى قال عكرمة: من جمع القرآن لم يُرد إلى أرذل العمر، واختار ذلك ابن جرير، ولو كان هذا هو المراد لما حسن استثناء المؤمنين من ذلك لأن الهرم قد يصيب بعضهم، وإنما المراد ما ذكرناه كقوله: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝﴾ [العصر].

---

(١) أخرجه الطبري بسند جيد من طريق يزيد أبي عبد الله عن كعب: بلفظ: «جبل موسىٰ لله. ويزيد هو الفارسي البصري». (ينظر: تهذيب التهذيب ٨/ ١٦٦).

(٢) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي عن ابن عباس ومعناه صحيح ويشهد له ما يليه من الآثار، فقد أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي رجاء عن عكرمة؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق عوف - وهو الأعرابي - عن الحسن؛ وأخرجه الطبري بسند حسن من طريق حماد عن إبراهيم النخعي؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد؛ وأخرجه الطبري بسند جيد من طريق يزيد أبي عبد الله - وهو الفارسي - عن كعب الأحبار.

(٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد؛ وأخرجه الطبري بسند جيد من طريق الربيع بن أنس عن أبي العالية؛ وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح من طريق قتادة عن الحسن؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

(٤) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق عكرمة عن ابن عباس؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق أبي رجاء عن عكرمة؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق حماد عن إبراهيم النخعي؛ وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة.

وقوله: ﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ أي: غير مقطوع كما تقدم[١].

ثم قال: ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ﴾ أي: يا ابن آدم ﴿بَعْدُ بِالدِّينِ﴾ أي: بالجزاء في المعاد، ولقد علمت البداءة وعرفت أن من قدر على البداءة فهو قادر على الرجعة بطريق الأولى، فأي شيء يحملك على التكذيب بالمعاد وقد عرفت هذا؟

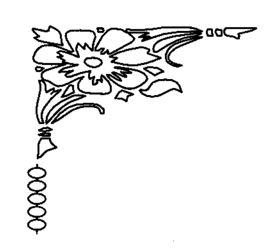
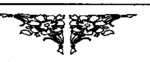
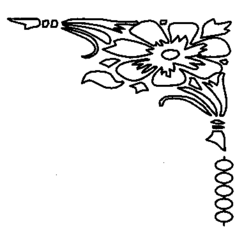
قال ابن أبي حاتم: حدثنا أحمد بن سنان، حدثنا عبد الرحمٰن، عن سفيان، عن منصور قال: قلت لمجاهد: ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ ۝٧﴾ عنى به النبي ﷺ قال: معاذ الله، عنى به الإنسان[٢]. وهكذا قال عكرمة وغيره.

وقوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ ۝٨﴾ أي: أما هو أحكم الحاكمين الذي لا يجور ولا يظلم أحداً؟ ومن عدله أن يقيم القيامة فينتصف للمظلوم في الدنيا ممن ظلمه. وقد قدمنا في حديث أبي هريرة مرفوعاً: «فإذا قرأ أحدكم والتين والزيتون فأتى على آخرها ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ ۝٨﴾ فليقل: بلى وأنا على ذلك من الشاهدين»[٣]..

آخر تفسير سورة التين والزيتون، ولله الحمد والمنة.

---

(١) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس بلفظ: «غير منقوص».
(٢) أخرجه الطبري من طريق عبد الرحمٰن بن مهدي به، وسنده صحيح.
(٣) تقدم تخريجه في تفسير آخر سورة القيامة.

سُورَةُ ﴿اقْرَأْ﴾

- وهي أول شيء نزل من القرآن -

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ① خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ② اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ③ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ④ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ⑤﴾.

قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق، حدثنا معمر، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة قالت: أول ما بديء به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبِّب إليه الخلاء، فكان يأتي حراء فيتحنث فيه - وهو التعبد - الليالي ذوات العدد ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها حتى فاجأه الوحي وهو في غار حراء، فجاءه الملك فيه فقال اقرأ: قال رسول الله ﷺ: «فقلت: ما أنا بقارئ، قال: فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ①﴾ حتى بلغ ﴿مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾» قال: فرجع بها ترجف بوادره حتى دخل على خديجة فقال: «زمّلوني زملوني» فزملوه حتى ذهب عنه الروع فقال: «يا خديجة ما لي؟» وأخبرها الخبر وقال: «قد خشيت على نفسي».

فقالت له: كلا أبشر، فوالله لا يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكَلّ وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق، ثم انطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي - وهو ابن عمِّ خديجة أخي أبيها -، وكان امرأ قد تنصر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العربي، وكتب بالعربية من الإنجيل ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخاً كبيراً قد عمي فقالت خديجة: أي ابن عمِّ أسمع من ابن أخيك. فقال ورقة: ابن أخي ما ترى؟ فأخبره رسول الله ﷺ بما رأى فقال ورقة: هذا الناموس الذي أنزل على موسى، ليتني فيها جذعاً ليتني أكون حياً حين يخرجك قومك، فقال رسول الله ﷺ: «أو مخرجي هم؟» فقال ورقة: نعم لم يأت رجل قط بما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً.

ثم لم ينشب ورقة أن توفي، وفتر الوحي فترة حتى حزن رسول الله ﷺ فيما بلغنا، حزناً غدا منه مراراً كي يتردى من رؤوس شواهق الجبال، فكلما أوفى بذروة جبل لكي يلقى نفسه منه تبدى له جبريل فقال: يا محمد إنك رسول الله حقاً، فيسكن بذلك جأشه وتقرّ نفسه فيرجع، فإذا طالت

عليه فترة الوحي غدا لمثل ذلك، فإذا أوفى بذروة الجبل تبدى له جبريل فقال له مثل ذلك[١].

وهذا الحديث مخرج في الصحيحين من حديث الزهري[٢]، وقد تكلمنا على هذا الحديث من جهة سنده ومتنه ومعانيه في أول شرحنا للبخاري مستقصى، فمن أراده فهو هناك محرر ولله الحمد والمنة.

فأول شيء نزل من القرآن هذه الآيات الكريمات المباركات، وهنَّ أول رحمة رحم الله بها العباد وأول نعمة أنعم الله بها عليهم، وفيها التنبيه على ابتداء خلق الإنسان من علقة، وأن من كرمه تعالى أن علم الإنسان ما لم يعلم، فشرفه وكرمه بالعلم وهو القدر الذي امتاز به أبو البشرية آدم على الملائكة، والعلم تارة يكون في الأذهان، وتارة يكون في اللسان، وتارة يكون في الكتابة بالبنان ذهني ولفظي ورسمي، والرسمي يستلزمهما من غير عكس، فلهذا قال: ﴿ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾.

وفي الأثر: قيدوا العلم بالكتابة[٣].

وفيه أيضاً: من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يكن يعلم[٤].

﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ﴿٨﴾ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴿١٠﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ﴿١٢﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ ﴿١٩﴾﴾.

يخبر تعالى عن الإنسان أنه ذو فرح وأشر وبطر وطغيان إذا رأى نفسه قد استغنى وكثر ماله، ثم تهدده وتوعده ووعظه فقال: ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ﴿٨﴾﴾ أي: إلى الله المصير والمرجع وسيحاسبك على مالك من أين جمعته؟ وفيم صرفته؟.

قال ابن أبي حاتم: حدثنا زيد بن إسماعيل الصائغ، حدثنا جعفر بن عون، حدثنا أبو عُميس، عن عون قال: قال عبد الله: منهومان لا يشبعان صاحب العلم وصاحب الدنيا ولا يستويان، فأما صاحب العلم فيزداد رضى الرحمٰن وأما صاحب الدنيا فيتمادى في الطغيان. قال: ثم قرأ عبد الله: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾﴾ وقال للآخر: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨][٥].

وقد روي هذا مرفوعاً إلى رسول الله ﷺ: «منهومان لا يشبعان طالب علم وطالب دنيا»[٦].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه. (المسند ٦/ ٢٣٢)، وسنده صحيح.

(٢) صحيح البخاري، بدء الوحي، باب ٣ (ح٣)، وصحيح مسلم، الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ (ح١٦٠).

(٣) أخرجه الحاكم من قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه وصححه ووافقه الذهبي وزاد: وصحَّ مثله عن أنس. (المستدرك ١/ ١٠٦) وقول أنس أخرجه الخطيب البغدادي (تقييد العلم ص٧٠)؛ وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (ح٢٠٢٦).

(٤) أخرجه أبو نعيم (حلية الأولياء ١٠/ ١٥) وقال الألباني: موضوع. (السلسلة الضعيفة ح٤٢٢).

(٥) سنده ضعيف لأن عوناً لم يسمع من ابن مسعود. (جامع التحصيل ص٣٠٥).

(٦) أخرجه الحاكم من حديث أنس رضي الله عنه وصححه ووافقه الذهبي. (المستدرك ١/ ٩٢).

ثم قال تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ۝﴾ نزلت في أبي جهل لعنه الله، توعد النبي ﷺ على الصلاة عند البيت فوعظه تعالى بالتي هي أحسن أولاً فقال: ﴿أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ۝﴾[1] أي: فما ظنك إن كان هذا الذي تنهاه على الطريق المستقيمة في فعله ﴿أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ۝﴾ وأنت تزجره وتتوعده على صلاته، ولهذا قال: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ۝﴾؟ أي: أما علم هذا الناهي لهذا المهتدي أن الله يراه ويسمع كلامه، وسيجازيه على فعله أتم الجزاء؟

ثم قال تعالى متوعداً ومتهدداً: ﴿كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ﴾ أي: لئن لم يرجع عما هو فيه من الشقاق والعناد ﴿لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ﴾ أي: لنسمنها[2] سواداً يوم القيامة ثم قال: ﴿نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ۝﴾ يعني: ناصية أبي جهل كاذبة في مقالها خاطئة في أفعالها ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ۝﴾ أي: قومه وعشيرته؛ أي: ليدعهم يستنصر بهم ﴿سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ۝﴾ وهم ملائكة العذاب حتى يعلم من يغلب أحزبنا أو حزبه؟

قال البخاري: حدثنا يحيى، حدثنا عبد الرزاق، عن معمر، عن عبد الكريم الجزري، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: قال أبو جهل لئن رأيت محمداً يصلي عند الكعبة لأطأن على عنقه، فبلغ النبي ﷺ فقال: «لئن فعل لأخذته الملائكة» ثم قال: تابعه عمرو بن خالد عن عبيد الله يعني: ابن عمرو عن عبد الكريم[3]. وكذا رواه الترمذي والنسائي في تفسيرهما من طريق عبد الرزاق به[4]. وهكذا رواه ابن جرير عن أبي كريب، عن زكريا بن عدي، عن عبيد الله بن عمرو به. وروى أحمد والترمذي والنسائي وابن جرير وهذا لفظه من طريق داود بن أبي هند، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ يصلي عند المقام فمر به أبو جهل بن هشام، فقال: يا محمد ألم أنهكَ عن هذا؟ وتوعده فأغلظ له رسول الله ﷺ وانتهره، فقال: يا محمد بأي شيء تهددني؟ أما والله إني لأكثر هذا الوادي نادياً فأنزل الله: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ۝ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ۝﴾ وقال ابن عباس: لو دعا ناديه لأخذته ملائكة العذاب من ساعته. وقال الترمذي: حسن صحيح[5].

وقال الإمام أحمد أيضاً: حدثنا إسماعيل بن يزيد أبو يزيد، حدثنا فرات عن عبد الكريم، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: قال أبو جهل لئن رأيت رسول الله ﷺ يصلي عند الكعبة لآتينه حتى أطأ على عنقه قال: فقال: «لو فعل لأخذته الملائكة عياناً، ولو أن اليهود تمنوا الموت لماتوا ورأوا مقاعدهم من النار، ولو خرج الذين يباهلون رسول الله ﷺ لرجعوا لا يجدون مالاً ولا أهلاً»[6].

---

(١) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق عكرمة عن ابن عباس.

(٢) أي: لنختمن على نواصي رؤوسهم سواداً.

(٣) أخرجه البخاري بسنده ومتنه وتعليقه. (الصحيح، التفسير، باب ﴿كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ۝﴾ [العلق] (ح٤٩٥٨).

(٤) سنن الترمذي، التفسير، باب ومن سورة ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾ [العلق: ١] (ح٣٣٤٥)؛ والسنن الكبرى، التفسير، سورة العلق (ح١١٦٨٥)، وسنده صحيح.

(٥) المسند ١/٣٢٩؛ وسنن الترمذي، التفسير، باب ومن سورة ﴿ٱقْرَأْ ...﴾ (ح٣٣٤٦)؛ والسنن الكبرى، التفسير،سورة العلق (ح١١٦٨٤)؛ وتفسير الطبري، وسنده حسن؛ وصححه أحمد شاكر. (المسند ح٣٠٤٥)؛ وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (ح٢٦٦٨).

(٦) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه، وصححه محققوه. (المسند ٤/٩٨، ٩٩ ح٢٢٢٥).

وقال ابن جرير أيضاً: حدثنا ابن حميد، حدثنا يحيى بن واضح، أخبرنا يونس بن أبي إسحاق، عن الوليد بن العيزار، عن ابن عباس قال: قال أبو جهل: لئن عاد محمد يصلي عند المقام لأقتلنه، فأنزل الله ﷻ: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ①﴾ حتى بلغ هذه الآية ﴿نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ⑯ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ⑰ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ⑱﴾ فجاء النبي ﷺ فصلى، فقيل: ما يمنعك؟ قال: قد اسود ما بيني وبينه من الكتائب، قال ابن عباس: والله لو تحرك لأخذته الملائكة والناس ينظرون إليه[١].

وقال ابن جرير: حدثنا ابن عبد الأعلى، حدثنا المعتمر عن أبيه، حدثنا نعيم بن أبي هند، عن أبي حازم، عن أبي هريرة قال: قال أبو الجهل: هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم؟ قالوا: نعم، قال: فقال: واللات والعزى لئن رأيته يصلي كذلك لأطأن على رقبته، ولأعفرن وجهه في التراب، فأتى رسول الله ﷺ وهو يصلي ليطأ على رقبته، قال: فما فجأهم منه إلا وهو ينكص على عقبيه ويتقي بيديه، قال: فقيل له: ما لك؟ فقال: إن بيني وبينه خندقاً من نار، وهولاً وأجنحة قال: فقال رسول الله: «لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضواً عضواً» قال: وأنزل الله لا أدري في حديث أبي هريرة أم لا ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ ⑥﴾ إلى آخر السورة[٢]. وقد رواه أحمد بن حنبل ومسلم والنسائي وابن أبي حاتم من حديث معتمر بن سليمان به[٣].

وقوله تعالى: ﴿كَلَّا لَا تُطِعْهُ﴾ يعني: يا محمد لا تطعه فيما ينهاك عنه من المداومة على العبادة وكثرتها، وصلِّ حيث شئت، ولا تباله فإن الله حافظك وناصرك وهو يعصمك من الناس ﴿وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب﴾ كما ثبت في الصحيح عند مسلم من طريق عبد الله بن وهب، عن عمرو بن الحارث، عن عمارة بن غزية، عن سُمي، عن أبي صالح، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء»[٤] وتقدم أيضاً أن رسول الله ﷺ كان يسجد في ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ①﴾ [الانشقاق] و﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ①﴾[٥].

[آخر تفسيرها][٦].

---

(١) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده ضعيف لضعف ابن حميد وهو محمد بن حميد الرازي وهو ضعيف. وقول ابن عباس الأخير يشهد له سابقه ولاحقه.

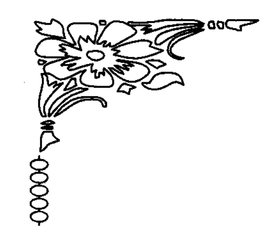
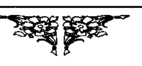
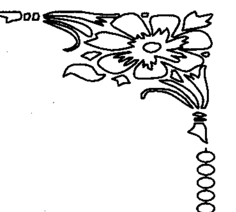
(٢) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده صحيح.

(٣) المسند ٢/ ٣٧٠؛ وصحيح مسلم، صفات المنافقين، باب قوله: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ ⑥ أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ ⑦﴾ [العلق] (ح٢٧٩٧)؛ والسنن الكبرى للنسائي، التفسير، سورة العلق (ح١١٦٨٣).

(٤) أخرجه مسلم بسنده ومتنه (الصحيح، الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود ح٤٨٢).

(٥) تقدم تخريجه في تفسير سورة الانشقاق.

(٦) زياد من (ح) و(حم).

سُورَةُ القَدْرِ

[وهي][1] مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴿٥﴾﴾.

يخبر الله تعالى أنه أنزل القرآن ليلة القدر، وهي الليلة المباركة التي قال الله ﷻ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾ [الدخان: ٣] وهي ليلة القدر، وهي من شهر رمضان، كما قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ [البقرة: ١٨٥].

قال ابن عباس وغيره: أنزل الله القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العِزّة من السماء الدنيا، ثم نزل مفصلاً بحسب الوقائع في ثلاث وعشرين سنة على رسول الله ﷺ[2].

ثم قال تعالى مُعَظِّماً لشأن ليلة القدر، التي اختصها بإنزال القرآن العظيم فيها، فقال: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾﴾.

قال أبو عيسى الترمذي عند تفسير هذه الآية: حدثنا محمود بن غيلان، حدثنا أبو داود الطيالسي، حدثنا القاسم بن الفضل الحُدّاني، عن يوسف بن سعد قال: قام رجل إلى الحسن بن علي بعد ما بايع معاوية فقال: سَوّدتَ وجوهَ المؤمنين ـ أو: يا مسود وجوه المؤمنين ـ فقال: لا تؤنبني، رحمك الله؛ فإن النبي ﷺ أُريَ بني أُمية على منبره، فساءه ذلك، فنزلت: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴿١﴾﴾ [الكوثر] يا محمد؛ يعني: نهراً في الجنة، ونزلت: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾﴾ يملكها بعدك بنو أُمية يا محمد. قال القاسم: فعددنا فإذا هي ألف شهر، لا تزيد يوماً ولا تنقص يوماً.

ثم قال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث القاسم بن الفضل، وهو ثقة وثقه يحيى القطان وابن مهدي. قال: وشيخه يوسف بن سعد ـ ويقال: يوسف بن مازن ـ رجل مجهول، ولا نعرف هذا الحديث، على هذا اللفظ إلا من هذا الوجه[3].

وقد روىٰ هذا الحديث الحاكم في مستدركه من طريق القاسم بن الفضل، عن يوسف بن

---

(١) زيادة من (ح) و(حم).
(٢) تقدم تخريجه في تفسير سورة الإسراء ١٠٦.
(٣) أخرجه الترمذي بسنده ومتنه وتعليقه (السنن، التفسير، باب ومن سورة القدر ح٣٣٥٠)؛ وضعفه الترمذي والمزي والحافظ كما سيأتي؛ وضعفه الألباني سنداً ومتناً وقال: ضعيف الإسناد مضطرب ومتنه منكر (ضعيف سنن الترمذي ح٣٦٣).

مازن، به[١]. وقول الترمذي: إن يوسف هذا مجهول ـ فيه نظر؛ فإنه قد روى عنه جماعة، منهم: حماد بن سلمة، وخالد الحذاء، ويونس بن عبيد. وقال فيه يحيى بن معين: هو مشهور، وفي رواية عن ابن معين قال: هو ثقة. ورواه ابن جرير من طريق القاسم بن الفضل، عن عيسى بن مازن، كذا قال، وهذا يقتضي اضطراباً في هذا الحديث، والله أعلم. ثم هذا الحديث على كل تقدير منكر جداً، قال شيخنا الإمام الحافظ الحجة أبو الحجاج المزّي: هو حديث منكر.

قلت: وقول القاسم بن الفضل الحُدّاني: إنه حسب مُدّة بني أُمية فوجدها ألف شهر لا تزيد يوماً ولا تنقص، ليس بصحيح؛ فإنّ معاويةَ بن أبي سفيان ﷺ، استقلَّ بالملك حين سَلَّم إليه الحسن بن علي الإمرة سنَة أربعين، واجتمعت البيعة لمعاوية، وسُمي ذلك عام الجماعة، ثم استمروا فيها متتابعين بالشام وغيرها، لم تخرج عنهم إلا مدة دولة عبد الله بن الزبير في الحرمين والأهواز وبعض البلاد قريباً من تسع سنين، لكن لم تَزُل يدهم عن الإمرة بالكلية، بل عن بعض البلاد، إلى أن استلبهم بنو العباس الخلافة في سنة اثنتين وثلاثين ومائة، فيكون مجموع مدتهم اثنتين وتسعين سنة، وذلك أزيد من ألف شهر، فإن الألف شهر عبارة عن ثلاث وثمانين سنة وأربعة أشهر، وكأن القاسم بن الفضل أسقط من مدتهم أيام ابن الزبير، وعلى هذا فتقارب ما قاله للصحة في الحساب، والله أعلم.

ومما يدلّ على ضعَف هذا الحديث أنَّه سِيقَ لذم دولة بني أُمية، ولو أُريد ذلك لم يكن بهذا السياق؛ فإن تفضيل ليلة القدر على أيامهم لا يدل على ذَم أيامهم، فإنّ ليلة القدر شريفة جداً، والسورة الكريمة إنما جاءت لمدح ليلة القدر، فكيف تُمدح بتفضيلها على أيام بني أُمية التي هي مذمومة، بمقتضى هذا الحديث، وهل هذا إلا كما قال القائل:

أَلَـم تَـرَ أنّ الـسـيـف يـنـقُـصُ قَـدْرُه ... إذا قِيـل إنّ السيف أمضَى مِن العَصَا؟

وقال آخر:

إذا أنـتَ فَـضَّـلـتَ امـرأ ذا بَـرَاعَـة ... عَـلـى نَـاقـص كَـانَ الـمـديحُ مـنَ الـنَّـقـص

ثم من الذي يفهم من الآية أن الألف الشهر المذكورة في الآية هي أيام بني أُمية، والسورة مكية، فكيف يحال على ألفِ شهرٍ هي دولة بني أُمية، ولا يدل عليها لفظ الآية ولا معناها؟! والمنبر إنما صنع بالمدينة بعد مدة من الهجرة، فهذا كله مما يدل على ضعف هذا الحديث ونكارته، والله أعلم[٢].

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زُرْعَة، حدثنا إبراهيم بن موسى، أخبرنا مسلم؛ يعني: ابن خالد، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: أن النبي ﷺ ذكر رجلاً من بني إسرائيل لَبس السلاح في سبيل الله ألف شهر، قال: فَعَجب المسلمون من ذلك، قال: فأنزل الله ﷻ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ

---

(١) أخرجه الحاكم من طريق القاسم بن الفضل به وصححه ووافقه الذهبي ثم قال: وما أدري آفته من أين؟ (المستدرك ٣/ ١٧٠، ١٧١).

(٢) وقد أكد الحافظ ابن كثير على تضعيف الحديث بتفصيل أيضاً في البداية والنهاية (٦/ ٣٤٣، ٣٤٤).

ٱلْقَدْرِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣﴾ التي لبس ذلك الرجل السلاح في سبيل الله ألف شهر(١).

وقال ابن جرير: حدثنا ابن حميد، حدثنا حَكَّام بن سَلْم، عن المثنى بن الصباح، عن مجاهد قال: كان في بني إسرائيل رجل يقوم الليل حتى يصبح، ثم يجاهد العدو بالنهار حتى يمسي، ففعل ذلك ألف شهر، فأنزل الله هذه الآية: ﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣﴾ قيام تلك الليلة خير من عمل ذلك الرجل(٢).

وقال ابن أبي حاتم: أخبرنا يونس، أخبرنا ابن وهب، حدثني مسلمة بن عُلَيّ، عن علي بن عروة قال: ذكر رسول الله ﷺ يوماً أربعة من بني إسرائيل، عبدوا الله ثمانين عاماً، لم يَعْصوه طرفة عين: فذكر أيوب، وزكريا، وحزْقيل بن العجوز، ويوشع بن نون ـ قال: فعجب أصحاب رسول الله ﷺ من ذلك، فأتاه جبريل فقال: يا محمد، عَجِبَتْ أُمتك من عبادة هؤلاء النفر ثمانين سنة، لم يَعْصُوه طرفة عين؛ فقد أنزل الله خيراً من ذلك. فقرأ عليه: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣﴾ هذا أفضل مما عجبت أنت وأُمتك. قال: فَسُرَّ بذلك رسول الله ﷺ والناس معه(٣).

وقال سفيان الثوري: بَلَغني عن مجاهد: ليلةُ القدر خير من ألف شهر. قال: عَمَلها، صيامها وقيامها خير من ألف شهر. رواه ابن جرير(٤).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زُرْعَة، حدثنا إبراهيم بن موسى، أخبرنا ابن أبي زائدة، عن ابن جُرَيج، عن مجاهد: ليلة القدر خير من ألف شهر ـ ليس في تلك الشهور ليلة القدر ـ(٥). وهكذا قال قتادة بن دعامة، والشافعي، وغير واحد.

وقال عمرو بن قيس الملائي: عمل فيها خير من عمل ألف شهر(٦).

وهذا القول بأنها أفضل من عبادة ألف شهر ـ وليس فيها ليلة القدر ـ هو اختيارُ ابن جرير. وهو الصواب لا ما عداه، وهو كقوله ﷺ: «رِباطُ ليلة في سبيل الله خَيْر من ألف ليلة فيما سواه من المنازل». رواه أحمد(٧). وكما جاء في قاصد الجمعة بهيئة حسنة، ونية صالحة: «أنه يُكتَبُ له عمل سنة، أجر صيامها وقيامها»(٨) إلى غير ذلك من المعاني المشابهة لذلك.

---

(١) أخرجه الواحدي مرسلاً أيضاً (أسباب النزول ص٤٩٥) وسنده ضعيف بسبب إرساله.
(٢) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده ضعيف لأنه مرسل.
(٣) سنده ضعيف جداً وهو معضل لأن علي بن عروة متروك من (التقريب ص٤٠٣).
(٤) أخرجه الطبري من طريق الثوري به، وسنده ضعيف لإبهام شيخ الثوري، ومعناه صحيح.
(٥) سنده ضعيف لأن ابن جريج لم يسمع من مجاهد.
(٦) أخرجه الطبري بسند فيه ابن حميد وهو محمد بن حميد الرازي وهو ضعيف، ومعناه صحيح.
(٧) أخرجه الإمام أحمد من حديث عثمان ﷺ، وحسن سنده محققوه بالمتابعات (المسند ١/ ٤٩٥ ح٤٤٢).
(٨) أخرجه أبو داود من حديث أوس بن أوس الثقفي ﷺ. (السنن، الطهارة، باب الغسل يوم الجمعة ح٣٤٥)؛ وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح٣٣٣)؛ وأخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي (المستدرك ١/ ٢٨١).

وقال الإمام أحمد: حدثنا إسماعيل بن إبراهيم، حدثنا أيوب، عن أبي قلابَة، عن أبي هُريرة قال: لما حضر رمضان قال رسول الله ﷺ: «قد جاءكم شهر رمضان، افترض الله عليكم صيامه، تفتح فيه أبواب الجنة، وتغلق فيه أبواب الجحيم، وتُغلُّ فيه الشياطين، فيه ليلة خير من ألف شهر، من حُرِم خيرَها فقد حُرِم»[١].

ورواه النسائي، من حديث أيوب، به[٢].

ولما كانت ليلة القدر تعدل عبادتها عبادة ألف شهر، ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غُفِرَ له ما تَقَدَّم من ذنبه»[٣].

وقوله: ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝٤﴾ أي: يكثر تَنَزُّلُ الملائكة في هذه الليلة لكثرة بركتها، والملائكة يتنزلون مع تنزل البركة والرحمة، كما يتنزلون عند تلاوة القرآن ويحيطون بحلَق الذكر، ويضعون أجنحتهم لطالب العلم بصدق تعظيماً له.

وأما الروح فقيل: المراد به هٰهنا جبريل عليه السلام، فيكون من باب عطف الخاص على العام. وقيل: هم ضرب من الملائكة. كما تقدم في سورة «النبأ». والله أعلم.

وقوله: ﴿مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾ قال مجاهد: سلام هي من كل أمر[٤].

وقال سعيد بن منصور: حدثنا عيسى بن يونس، حدثنا الأعمش، عن مجاهد في قوله: ﴿سَلَٰمٌ هِىَ﴾ قال: هي سالمة، لا يستطيع الشيطان أن يعمل فيها سوءاً أو يعمل فيها أذى[٥].

وقال قتادة وغيره: تقضى فيها الأمور، وتقدر الآجال والأرزاق، كما قال تعالى: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝٤﴾[٦] [الدخان].

وقوله: ﴿سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ۝٥﴾ قال سعيد بن منصور: حدثنا هُشَيْم، عن أبي إسحاق، عن الشعبي في قوله تعالى: ﴿مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝٤ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ۝٥﴾ قال: تسليم والملائكة ليلة القدر على أهل المساجد، حتى يطلع الفجر[٧].

وروى ابن جرير، عن ابن عباس أنه كان يقرأ: «من كل امرئ. سلام هي حتى مطلع الفجر»[٨].

وروى البيهقي في كتابه «فضائل الأوقات» عن عليٍّ أثراً غريباً في نزول الملائكة، ومرورهم على المصلين ليلة القدر، وحصول البركة للمصلين[٩].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه، وصحح سنده محققوه. (المسند ١٢/ ٥٩ ح٧١٤٨).

(٢) سنن النسائي، الصيام، باب ذكر الاختلاف علىٰ معمر فيه ٤/ ١٢٩.

(٣) صحيح البخاري، الصوم، باب من صام رمضان إيماناً واحتساباً (ح١٩٠١)؛ وصحيح مسلم، صلاة المسافرين، الترغيب في قيام رمضان (ح٧٦٠).

(٤) أخرجه الطبري من طريق جابر عن مجاهد، وسنده ضعيف لضعف جابر وهو الجعفي.

(٥) سنده صحيح.

(٦) أخرجه عبد الرزاق والطبري بسند صحيح من طريق معمر عن قتادة.

(٧) سنده صحيح.

(٨) أخرجه الطبري بسنده ضعيف جداً من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، والقراءة شاذة تفسيرية.

(٩) أخرجه البيهقي بسند ضعيف جداً فيه سيف بن عمر. (فضائل الوقات ص٢٥٣ رقم ١١٠).

وروى ابن أبي حاتم، عن كعب الأحبار أثراً غريباً عجيباً مطولاً جداً، في تنزل الملائكة من سدرة المنتهى صحبة جبريل عليه السلام، إلى الأرض، ودعائهم للمؤمنين والمؤمنات[(١)].

وقال أبو داود الطيالسي: حدثنا عمران ـ يعني: القطان ـ عن قتادة، عن أبي ميمونة، عن أبي هُريرة: أن رسول الله ﷺ قال في ليلة القدر: «إنها ليلة سابعة ـ أو: تاسعة ـ وعشرين، وإن الملائكة تلك الليلة في الأرض أكثر من عدد الحصى»[(٢)].

وقال الأعمش، عن المِنهَال، عن عبد الرحمٰن بن أبي ليلى في قوله: ﴿مِّن كُلِّ أَمْرٍ سَلَٰمٌ﴾ قال: لا يحدث فيها أمر[(٣)].

وقال قتادة وابن زيد في قوله: ﴿سَلَٰمٌ هِيَ﴾ يعني: هي خير كلها، ليس فيها شر إلى مطلع الفجر[(٤)]. ويؤيد هذا المعنى ما رواه الإمام أحمد: حدثنا حَيْوَة بن شُرَيح، حدثنا بَقِيَّة، حدثني بَحير بن سعد، عن خالد بن مَعْدَان، عن عبادة بن الصامت: أن رسول الله ﷺ قال: «ليلة القدر في العشر البواقي، من قامهن ابتغاء حِسبتهنَّ، فإن الله يغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وهي ليلة وتر: تسع أو سبع، أو خامسة، أو ثالثة، أو آخر ليلة». وقال رسول الله ﷺ: «إن أمارة ليلة القدر أنها صافية بَلُجَة، كأن فيها قمراً ساطعاً، ساكنة سجية، لا برد فيها ولا حر، ولا يحل لكوكب يُرمَى به فيها حتى تصبح. وأن أمارتها أن الشمس صبيحتها تخرج مستوية، ليس فيها شعاع مثل القمر ليلة البدر، ولا يحل للشيطان أن يخرج معها يومئذٍ»[(٥)].

وهذا إسناد حسن، وفي المتن غرابة، وفي بعض ألفاظه نكارة.

وقال أبو داود الطيالسي: حدثنا زَمْعَة، عن سلمة بن وَهْرام، عن عِكْرِمة، عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال في ليلة القدر: «ليلة سمحة طلقة، لا حارة ولا باردة، وتصبح شمس صبيحتها ضعيفة حمراء»[(٦)].

وروى ابن أبي عاصم النبيل بإسناده عن جابر بن عبد الله، أن رسول الله ﷺ قال: «إني رأيت ليلة القدر فأنسيتها، وهي في العشر الأواخر من لياليها؛ ليلة طلقة بلجة، لا حارة ولا باردة،

---

(١) ساقه الحافظ ابن كثير في ختام السورة نفسها.

(٢) أخرجه الطيالسي بسنده ومتنه (المسند ص٢٣٢ رقم ٢٥٤٥) وفي سنده عمران وهو ابن داود صدوق يهم (التقريب ص٤٢٩).

(٣) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق عبد الحميد الحماني عن الأعمش به.

(٤) أخرجه عبد الرزاق والطبري بسند صحيح من طريق معمر عن قتادة؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

(٥) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه، وقال محققوه: الشطر الأول من الحديث حسن وأما الشطر الثاني فمحتمل للتحسين لشواهده. (المسند ٣٧/ ٤٢٥ ح٢٢٧٦٥). لكن في بعض ألفاظه نكارة كما قرر الحافظ ابن كثير.

(٦) أخرجه الطيالسي بسنده ومتنه (المسند ص٣٤٩ ح٢٦٨٠)، وسنده ضعيف لضعف زمعة وهو ابن صالح الجندي. (التقريب ص٢١٧). وأخرجه ابن خزيمة من طريق زمعة به؛ وصححه الألباني لشواهده (الصحيح ح٢١٩٢).

كأن فيها قمراً، لا يخرج شيطانها حتى [يضيء فجرها][(١)]»[(٢)].

[فصل]

اختلف العلماء: هل كانت ليلة القدر في الأمم السالفة، أو هي من خصائص هذه الأُمة؟ على قولين:

قال أبو مصعب أحمد بن أبي بكر الزهري: حدثنا مالك؛ أنه بلغه: أن رسول الله ﷺ أُري أعمار الناس قبله ـ أو: ما شاء الله من ذلك ـ فكأنه تقاصر أعمار أُمته ألا يبلغوا من العمل الذي بلغ غيرهم في طول العمر، فأعطاه الله ليلة القدر خيراً من ألف شهر[(٣)]. وقد أُسند من وجه آخر. وهذا الذي قاله مالك يقتضي تخصيص هذه الأُمة بليلة القدر، وقد نقله صاحب «العُدّة» أحد أئمة الشافعية عن جمهور العلماء، فالله أعلم.

وحكى الخطابي عليه الإجماع [ونقله الرافعي جازماً به عن المذهب][(٤)]، والذي دلَّ عليه الحديث أنها كانت في الأُمم الماضين كما هي في أُمتنا.

قال أحمد بن حنبل: حدثنا يحيى بن سعيد، عن عكرمة بن عمار: حدثني أبو زُمَيل سِمَاك الحَنَفي: حدثني مالك بن مَرْثَد بن عبد الله، حدثني [مَرْثَدَ][(٥)] قال: سألت أبا ذرٍّ قلت: كيف سألت رسول الله ﷺ عن ليلة القدر؟ قال: أنا كنت أسأل الناس عنها، قلت: يا رسول الله، أخبرني عن ليلة القدر، أفي رمضان هي أو في غيره؟ قال: «بل هي في رمضان». قلت: تكون مع الأنبياء ما كانوا، فإذا قبضوا رفعت؟ أم هي إلى يوم القيامة؟ قال: «بل هي إلى يوم القيامة». قلت: في أي رمضان هي؟ قال: «التمسوها في العشر الأول، والعشر الأواخر». ثم حَدّثَ رسولُ الله ﷺ وحَدّث، ثم اهتبلت غفلته قلت: في أي العشرين هي؟ قال: «ابتغوها في العشر الأواخر، لا تسألني عن شيء بعدها». ثم حدّث رسول الله ﷺ، ثم اهتبلت غفلته فقلت: يا رسول الله، أقسمت عليك بحقي عليك لَمَا أخبرتني في أي العشر هي؟ فغضب عليَّ غضباً لم يغضب مثله منذ صحبته، وقال: «التمسوها في السبع الأواخر، لا تسألني عن شيء بعدها»[(٦)].

ورواه النسائي عن الفلاس، عن يحيى بن سعيد القطان، به[(٧)].

ففيه دلالة على ما ذكرناه، وفيه أنها تكون باقية إلى يوم القيامة في كل سنة [بعد النبي ﷺ][(٨)]، لا كما زعمه بعض طوائف الشيعة من رفعها بالكلية، على ما فهموه من الحديث الذي سنورده

---

(١) هكذا في (ح)، وفي الأصل صحفت إلى: «قضىٰ بحرها».

(٢) أخرجه ابن خزيمة من طريق أبي الزبير عن جابر؛ وصححه الألباني بشواهده (الصحيح ح٢١٩٠).

(٣) أخرجه الإمام مالك بلاغاً (الموطأ، الاعتكاف، باب ما جاء في ليلة القدر ح١٥) وسنده ضعيف.

(٤) زيادة من (ح).

(٥) كذا في المسند، وفي الأصل صحف إلى: «يزيد».

(٦) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه، وضعف سنده محققوه. (المسند ٣٦/٣٩٣، ٣٩٤ ح٢١٤٩٩).

(٧) السنن الكبرىٰ، الاعتكاف، باب ليلة القدر (ح٣٤٢٧) وسنده كسابقه.

(٨) زيادة من (ح) و(حم).

بعدُ من قوله ﷺ: «فرفعت، وعسى أن يكون خيراً لكم»؛ لأن المراد رفعُ عِلْم وقتها عيناً. وفيه دلالة على أنها ليلة القدر يختص وقوعها بشهر رمضان من بين سائر الشهور، لا كما رُوي عن ابن مسعود ومن تابعه من علماء أهل الكوفة، من أنها توجد في جميع السنة، وترجى في جميع الشهور على السواء.

وقد ترجم أبو داود في سننه على هذا فقال: «باب بيان أن ليلة القدر في كل رمضان»: حدثنا حُمَيد بن زَنْجُويه النسائي، أخبرنا سعيد بن أبي مريم، حدثنا محمد بن جعفر بن أبي كثير، حدثني موسى بن عقبة، عن أبي إسحاق، عن سعيد بن جبير، عن عبد الله بن عمر قال: سُئِل رسول الله ﷺ وأنا أسمع عن ليلة القدر، فقال: «هي في كل رمضان»[1].

وهذا إسناد رجاله ثقات إلا أن أبا داود قال: رواه شعبة وسفيان، عن أبي إسحاق فأوقفاه.

وقد حكي عن أبي حنيفة رحمه الله، رواية أنها ترجى في جميع شهر رمضان. وهو وجه حكاه الغزالي، واستغربه الرافعي جداً.

[فصل]

ثم قد **قيل**: إنها في أول ليلة من شهر رمضان، يحكى هذا عن أبي رَزِين. وقيل: إنها تقع ليلة سبع عشرة. وروى فيه أبو داود حديثاً مرفوعاً عن ابن مسعود. وروي موقوفاً عليه[2]، وعلى زيد بن أرقم[3]، وعثمان بن أبي العاص، وهو قول عن محمد بن إدريس الشافعي، ويحكى عن الحسن البصري. ووجهوه بأنها ليلة بدر، وكانت ليلة جمعة هي السابعة عشرة من شهر رمضان، وفي صبيحتها كانت وقعة بدر، وهو اليوم الذي قال الله تعالى فيه: ﴿يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ﴾ [الأنفال: ٤١].

وقيل: ليلة تسع عشرة، يُحكى عن علي وابن مسعود أيضاً رضي الله عنهما.

وقيل: ليلة إحدى وعشرين؛ لحديث أبي سعيد الخدري قال: اعتكف رسولُ الله ﷺ العشر الأوَل من رمضان واعتكفنا معه، فأتاه جبريل فقال: إن الذي تطلب أمامك. فاعتكف العشر الأوسط واعتكفنا معه، فأتاه جبريل فقال: [إن][4] الذي تطلب أمامك. ثم قام النبي ﷺ خطيباً صبيحة عشرين من رمضان، فقال: «من كان اعتكف معي فليرجع، فإني رأيت ليلة القدر، وإني أُنسيتها، وإنها في العشر الأواخر في وِتْر، وإني رأيت كأني أسجد في طين وماء». وكان سقف المسجد جريداً من النخل، وما نَرى في السماء شيئاً، فجاءت قَزَعَة فَمُطرنا، فصلى بنا النبي ﷺ

---

(١) أخرجه أبو داود بسنده ومتنه ونحو تعليقه (السنن، الصلاة، باب من قال هي في كل رمضان ح١٣٨٧) وضعفه الألباني في ضعيف سنن أبي داود (ح٢٩٦).

(٢) أخرجه أبو داود (السنن، الصلاة، باب من روىٰ أنها ليلة سبع عشرة ح١٣٨٤)؛ وضعفه الألباني في ضعيف سنن أبي داود (ح٢٩٥).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة (المصنف ٣/ ٧٦)؛ والطبراني (المعجم الكبير ٥/ ١٩٨ ح٥٠٧٩) من طريق حوط عن زيد بن أرقم، وحوط: قال البخاري حديثه منكر. (ينظر مجمع الزوائد ٣/ ١٨١).

(٤) زيادة من (ح) و(حم).

حتى رأيت أثر الطين والماء على جبهة رسول الله ﷺ تصديق رؤياه[١]. وفي لفظ: «في صبح إحدى وعشرين» أخرجاه في الصحيحين.

قال الشافعي: وهذا الحديث أصح الروايات.

وقيل: ليلة ثلاث وعشرين؛ لحديث عبد الله بن أنيس في «صحيح مسلم»[٢] وهو قريب السياق من رواية أبي سعيد، فالله أعلم.

وقيل: ليلة أربع وعشرين، قال أبو داود الطيالسي: حدثنا حماد بن سلمة، عن الجُرَيري، عن أبي نَضْرَة، عن أبي سعيد؛ أن رسول الله ﷺ قال: «ليلة القدر ليلة أربع وعشرين»[٣]. إسناد رجاله ثقات.

وقال أحمد: حدثنا موسى بن داود، حدثنا ابن لَهِيعة، عن يزيد بن أبي حَبِيب، عن أبي الخير، عن الصنابحي، عن بلال قال: قال رسولَ الله ﷺ: «ليلة القدر ليلة أربع وعشرين»[٤].

ابن لهيعة ضعيف. وقد خالفه ما رواه البخاري عن أصبغ، عن ابن وهب، عن عمرو بن الحارث، عن يزيد بن أبي حبيب، عن أبي الخير، عن أبي عبد الله الصنابحي قال: قال أخبرني بلال ـ مؤذنُ رسول الله ﷺ ـ أنها أول السبع من العشر الأواخر[٥]، فهذا الموقوف أصح، والله أعلم. وهكذا رُوي عن ابن مسعود، وابن عباس، وجابر، والحسن، وقتادة، وعبد الله بن وهب: أنها ليلة أربع وعشرين. وقد تقدم في سورة «البقرة» حديث واثلة بن الأسقع مرفوعاً: «إن القرآن أنزل ليلة أربع وعشرين»[٦].

وقيل: تكون ليلة خمس وعشرين: لما رواه البخاري، عن عبد الله بن عباس: أن رسول الله ﷺ قال: «التمسَوها في العشر الأواخر من رمضان، في تاسعة تبقى، في سابعة تبقى، في خامسة تبقى»[٧]. فَسَّره كثيرون بليالي الأوتار، وهو أظهر وأشهر. وحمله آخرون على الإشفاع كما رواه مسلم، عن أبي سعيد[٨]، أنه حمله على ذلك. والله أعلم.

وقيل: إنها تكون ليلة سبع وعشرين؛ لما رواه مسلم في صحيحه عن أُبي بن كعب، عن

---

(١) صحيح البخاري، الأذان، باب السجود على الأنف والسجود على الطين (ح٨١٣)؛ وصحيح مسلم، الصيام، باب فضل ليلة القدر (ح١١٦٧).

(٢) المصدر السابق (ح١١٦٨).

(٣) أخرجه الطيالسي بسنده ومتنه (المسند ص٢٨٨ ح٢١٦٧) وكما قال الحافظ ابن كثير: رجاله ثقات، ولكن حماد بن سلمة تردد فيه فقد أخرج الطيالسي عن حماد بن سلمة عن حميد عن أبي نضرة عن أبي سعيد مرفوعاً بلفظ: «التمسوها لسبع بقين أو خمس بقين أو ثلاث بقين». (المسند ص٢٨٨ ح٢١٦٦). ومن الجدير بالذكر أن حماد بن سلمة ساء حفظه لما كبر. (ينظر تهذيب التهذيب ٤/ ٦، ٧).

(٤) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه، وضعف سنده محققوه. (المسند ٣٩/ ٣٢٣ ح٢٣٨٩٠).

(٥) أخرجه البخاري بسنده ومتنه وأطول (الصحيح، المغازي، باب ٨٨ ح٤٤٧٠).

(٦) تقدم تخريجه في تفسير سورة البقرة آية ١٨٥.

(٧) صحيح البخاري، فضل ليلة القدر، باب تحري ليلة القدر. (ح٢٠٢١).

(٨) صحيح مسلم، الصيام، باب فضل ليلة القدر (ح١١٦٧).

رسول الله ﷺ: «إنها ليلة سبع وعشرين»[١].

قال الإمام أحمد: حدثنا سفيان: سمعت عبدة وعاصماً، عن زرّ: سألت أُبيَّ بن كعب قلت: أبا المنذر، إن أخاك ابن مسعود يقول: من يُقِمُ الحَولَ يُصبْ ليلة القدر. قال: يرحمه الله، لقد علم أنها في شهر رمضان، وأنها ليلة سبع وعشرين. ثم حلف. قلت: وكيف تعلمون ذلك؟ قال: بالعلامة ـ أو: بالآية ـ التي أخبرنا بها، تطلع ذلك اليوم لا شعاع لها، أعني الشمس[٢].

وقد رواه مسلم من طريق سفيان بن عيينة وشعبة والأوزاعي، عن عبدة، عن زِرّ، عن أُبي، فذكره، وفيه: فقال: والله الذي لا إله إلا هو، إنها لفي رمضان ـ يحلف بما يستثني ـ والله إني لأعلم؛ أي: ليلة القدر هي التي أمرنا رسول الله ﷺ بقيامها، هي ليلة سبع وعشرين، وأمارتها أن تطلع الشمس في صبيحة يومها بيضاء لا شعاع لها[٣].

وفي الباب عن معاوية، وابن عمر، وابن عباس، وغيرهم، عن رسول الله ﷺ: أنها ليلة سبع وعشرين. وهو قول طائفة من السلف، وهو الجَادّة من مذهب أحمد بن حنبل رحمه الله، وهو رواية عن أبي حنيفة أيضاً. وقد حُكِيَ عن بعض السلف أنه حاول استخراج كونها ليلة سبع وعشرين من القرآن، من قوله: ﴿هِيَ﴾ لأنها الكلمة السابعة والعشرون من السورة[٤]، والله أعلم.

وقد قال الحافظ أبو القاسم الطبراني: حدثنا إسحاق بن إبراهيم الدَّبري، أخبرنا عبد الرزاق، أخبرنا مَعْمَر، عن قتادة وعاصم: أنهما سمعا عكرمة يقول: قال ابن عباس: دعا عمر بن الخطاب أصحاب محمد ﷺ: فسألهم عن ليلة القدر، فأجمعوا على أنها في العشر الأواخر. قال ابن عباس: فقلت لعمر: إني لأعلم ـ أو: إني لأظن ـ أي ليلة القدر هي؟ فقال عمر: أي ليلة هي؟ فقلت: سابعة تمضي ـ أو: سابعة تبقى ـ من العشر الأواخر. فقال عمر: ومن أين علمت ذلك؟ قال ابن عباس: فقلت: خلق الله سبع سمٰوات، وسبع أرضين، وسبعة أيام، وإن الشهر يدور على سبع، وخلق الإنسان من سبع، ويأكل من سبع، ويسجد على سبع، والطواف بالبيت سبع، ورمي الجمار سبع... لأشياء ذكرها. فقال عمر: لقد فطنت لأمر ما فطنا له. وكان قتادة يَزيد، عن ابن عباس في قوله: ويأكل من سبع، قال: هو قول الله تعالى: ﴿فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا حَبّٗا ۝٢٧ وَعِنَبٗا وَقَضۡبٗا ۝٢٨﴾[٥] [عبس].

وهذا إسناد جيد قوي، ومتن غريب جداً، والله أعلم.

وقيل: إنها تكون في ليلة تسع وعشرين. قال أحمد بن حنبل: حدثنا أبو سعيد مولى بني هاشم، حدثنا سعيد بن سلمة، حدثنا عبد الله بن محمد بن عقيل، عن عُمرَ بن عبد الرحمٰن، عن عبادة بن الصامت: أنه سأل رسول الله ﷺ عن ليلة القدر، فقال رسول الله ﷺ: «في رمضان،

---

(١) المصدر السابق (ح١١٦٩/ ٢٢٠).
(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه، وصحح سنده محققوه (المسند ٣٥/ ١٢١، ١٢٢ ح٢١١٩٣).
(٣) صحيح مسلم، صلاة المسافرين، باب الترغيب في قيام رمضان (ح٧٦٢).
(٤) ذكره ابن جزي في التسهيل في تفسير سورة القدر.
(٥) أخرجه الطبراني بسنده ومتنه (المعجم الكبير ١٠/ ٣٢٢ ح١٠٦١٨) وسنده ضعيف لأن رواية إسحاق بن إبراهيم الدبري عن عبد الرزاق فيها مناكير وتصحيفات. (ينظر لسان الميزان ١/ ٣٤٩، ٣٥٠).

فالتمسوها في العشر الأواخر، فإنها في وتْر إحدى وعشرين، أو ثلاث وعشرين، أو خمس وعشرين، أو سبع وعشرين، أو تسع وعشرين، أو في آخر ليلة»[١].

وقال الإمام أحمد: حدثنا سليمان بن داود ـ وهو: أبو داود الطيالسي ـ حدثنا عمران القطان، عن قتادة، عن أبي ميمونة، عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال في ليلة القدر: «إنها ليلة سابعة أو تاسعة وعشرين، وإن الملائكة تلك الليلة في الأرض أكثر من عدد الحصى»[٢].

تفرد به أحمد، وإسناده لا بأس به.

وقيل: إنها تكون في آخر ليلة، لما تقدم من هذا الحديث آنفاً، ولما رواه الترمذي والنسائي، من حديث عُيَينة بن عبد الرحمٰن، عن أبيه، عن أبي بكرة، أن رسول الله ﷺ قال: «في تسع يقين، أو سبع يبقين، أو خمس يبقين، أو ثلاث، أو آخر ليلة»[٣]؛ يعني: التمسوا ليلة القدر.

وقال الترمذي: حسن صحيح. وفي المسند من طريق أبي سلمة، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ في ليلة القدر: «إنها آخر ليلة».

[فصل]

قال [الإمام][٤] الشافعي في هذه الروايات: صدرت من النبي ﷺ جواباً للسائل إذا قيل له: ألتمس ليلة القدر في الليلة الفلانية؟ يقول: «نعم». وإنما ليلة القدر ليلة مُعَيَّنة: لا تنتقل. نقله الترمذي عنه بمعناه. وروي عن أبي قِلابَة أنه قال: ليلة القدر تنتقل في العشر الأواخر.

وهذا الذي حكاه عن أبي قلابة نصَّ عليه مالك، والثوري، وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، وأبو ثور، والمزني، وأبو بكر بن خُزَيمة، وغيرهم. وهو محكي عن الشافعي ـ نقله القاضي عنه، وهو الأشبه ـ والله أعلم.

وقد يستأنس لهذا القول بما ثبت في الصحيحين، عن عبد الله بن عُمر: أن رجالاً من أصحاب النبي ﷺ أروا ليلة القدر في المنام في السبع الأواخر من رمضان، فقال رسول الله ﷺ: «أرى رؤياكم قد تواطأت في السبع الأواخر، فمن كان مُتحريها فَلْيَتَحرها في السبع الأواخر»[٥].

وفيها أيضاً عن عائشة ﵂، أن رسول الله ﷺ قال: «تَحَرَّوْا ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر من رمضان»[٦]. ولفظه للبخاري.

ويحتج للشافعي أنها لا تنتقل، وأنها معينة من الشهر، بما رواه البخاري في صحيحه، عن

---

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه. (المسند ٣٧/ ٣٨٦، ٣٨٧ ح٢٢٧١٣) وقال محققوه: حديث حسن دون قوله: «أو في آخر ليلة» ودون قوله: «وما تأخر».

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ١٦/ ٤٢٨ ح١٠٧٣٤) قال محققوه: إسناده محتمل للتحسين.

(٣) سنن الترمذي، الصوم، باب ما جاء في ليلة القدر (ح٧٩٤). وقال الترمذي: حسن صحيح؛ وذكره الألباني في صحيح سنن الترمذي (ح٦٣٦)؛ وانظر: السنن الكبرىٰ للنسائي، الاعتكاف، باب التماس ليلة القدر لثلاث بقين من الشهر (ح٣٤٠٣).

(٤) زياد من (حم).

(٥) صحيح البخاري، التهجد، باب فضل من تعار من الليل فصلىٰ (ح١١٥٨)؛ صحيح مسلم، الصيام، باب فضل ليلة القدر (ح١١٦٥).

(٦) صحيح البخاري، فضل ليلة القدر، باب تحري ليلة القدر.. (ح٢٠١٧).

عبادة بن الصامت قال: خرج رسول الله ﷺ ليخبرنا بليلة القدر، فَتَلاحى رجلان من المسلمين، فقال: «خرجت لأخبركم بليلة القدر، فتلاحى فلان وفلان فَرفعت، وعسى أن يكون خيراً لكم، فالتمسوها في التاسعة والسابعة والخامسة»(١).

وجه الدلالة منه: أنها لو لم تكن معينة مستمرة التعيين، لما حصل لهم العلم بعينها في كل سنة، إذ لو كانت تنتقل لما علموا تَعيُّنها إلا ذلك العام فقط، اللَّهم إلا أن يقال: إنه إنما خرج ليعلمهم بها تلك السنة فقط.

وقوله: «فتلاحى فلان وفلان فرفعت»: فيه استئناس لما يقال: إن المماراة تقطع الفائدة والعلم النافع، وكما جاء في الحديث: «إن العبد لَيُحْرَم الرزقَ بالذَّنْبِ يُصِيبه»(٢).

وقوله: «فرفعت» أي: رفع علم تَعينها لكم، لا أنها رفعت بالكلية من الوجود، كما يقوله جهلة الشيعة؛ لأنه قد قال بعد هذا: «فالتمسوها في التاسعة والسابعة والخامسة».

وقوله: «وعسى أن يكون خيراً لكم» يعني: عدم تعينها لكم، فإنها إذا كانت مبهمة اجتهد طُلابها في ابتغائها في جميع محال رجائها، فكان أكثر للعبادة، بخلاف ما إذا علموا عينها فإنها كانت الهمم تتقاصر على قيامها فقط. وإنما اقتضت الحكمة إبهامها لتعم العبادة جميع الشهر في ابتغائها، ويكون الاجتهاد في العشر الأواخر أكثر. ولهذا كان رسول الله ﷺ يعتكف العشر الأواخر من رمضان، حتى توفاه الله ﷺ. ثم اعتكف أزواجهُ من بعده. أخرجاه من حديث عائشة(٣).

ولهما عن ابن عمر: كان رسول الله ﷺ يعتكف العشر الأواخر من رمضان(٤).

وقالت عائشة: كان رسول الله ﷺ إذا دخل العشر، أحيا الليل، وأيقظ أهله، وشد المئزر. أخرجاه(٥).

ولمسلم عنها: كان رسول الله ﷺ يجتهد في العشر ما لا يجتهد في غيره(٦).

وهذا معنى قولها: «وشد المئزر». وقيل: المراد بذلك: اعتزال النساء. ويحتمل أن يكون كناية عن الأمرين، لما رواه الإمام أحمد:

حدثنا [سُرَيج](٧)، حدثنا أبو مَعْشَر، عن هشام بن عُرْوَة، عن أبيه، عن عائشة قالت: كان

---

(١) صحيح البخاري، فضل ليلة القدر، باب رفع معرفة ليلة القدر لتلاحي الناس (ح٢٠٢٣).
(٢) أخرجه الإمام أحمد من حديث ثوبان ﷺ، قال محققوه: حسن لغيره دون قوله: «أن الرجل ليحرم الرزق بالذنب»، وهذا إسناد ضعيف.
(٣) صحيح البخاري، الاعتكاف، باب الاعتكاف في العشر الأواخر (ح٢٠٢٦)؛ وصحيح مسلم، الاعتكاف، باب الاعتكاف في العشر الأواخر (ح١١٧٢).
(٤) صحيح البخاري، الباب السابق (ح٢٠٢٥) والمصدر السابق (ح١١٧١).
(٥) صحيح البخاري، فضل ليلة القدر، باب العمل في العشر الأواخر من رمضان (ح٢٠٢٤)؛ وصحيح مسلم، الاعتكاف، باب الاجتهاد في العشر الأواخر (ح١١٧٤).
(٦) المصدر السابق (ح١١٧٥).
(٧) كذا في المسند (وحم)، وفي الأصل و(ح) صحف إلى: «شريح».

رسول الله ﷺ إذا بقي عشر من رمضان شَدَّ مئزره، واعتزل نساءه. انفرد به أحمد[١].

وقد حكي عن مالك رَحِمَهُ اللَّهُ، أن جميع ليالي العشر في تطلب ليلة القدر على السواء، لا يترجح منها ليلة على أخرى: رأيته في شرح الرافعي رَحِمَهُ اللَّهُ.

والمستحب الإكثار من الدعاء في جميع الأوقات، وفي شهر رمضان أكثر، وفي العشر الأخير منه، ثم في أوتاره أكثر. والمستحب أن يكثر من هذا الدعاء: «اللَّهم، إنك عَفُوٌّ تحب العفو، فاعف عني»؛ لما رواه الإمام أحمد: حدثنا يزيد ـ هو ابن هارون ـ حدثنا الجريري ـ وهو سعيد بن إياس ـ عن عبد الله بن بُريدة، أن عائشة قالت: يا رسول الله، إن وافقت ليلة القدر فما أدعو؟ قال: «قولي: اللَّهم إنك عفو تحب العفو، فاعف عني»[٢].

وقد رواه الترمذي، والنسائي، وابن ماجه، من طريق كَهْمَس بن الحسن، عن عبد الله بن بريدة، عن عائشة قالت: قلت: يا رسول الله، أرأيت إن علمْتُ أي ليلة القدر، ما أقول فيها؟ قال: «قولي: اللَّهم، إنك عَفُو تحب العفو، فاعف عني»[٣].

وهذا لفظ الترمذي، ثم قال: «هذا حديث حسن صحيح». وأخرجه الحاكم في مستدركه، وقال: هذا صحيح على شرط الشيخين[٤]. ورواه النسائي أيضاً من طريق سفيان الثوري، عن علقمة بن مَرثَد، عن سليمان بن بُرَيدة، عن عائشة قالت: يا رسول الله، أرأيتَ إن وافقتُ ليلة القدر، ما أقول فيها؟ قال: «قولي: اللَّهم، إنك عَفُو تحب العفو، فاعف عني»[٥].

ذكر أثر غريب ونبأ عجيب، يتعلق بليلة القدر، رواه الإمام أبو محمد بن أبي حاتم، عند تفسير هذه السورة الكريمة فقال:

حدثنا أبي، حدثنا عبد الله بن أبي زياد القَطواني، حدثنا سيار بن حاتم، حدثنا موسى بن سعيد ـ يعني: الراسبي ـ عن هلال أبي جبلة، عن أبي عبد السلام، عن أبيه، عن كعب أنه قال: إن سدرة المنتهى على حد السماء السابعة، مما يلي الجنة، فهي على حَدّ هواء الدنيا وهواء الآخرة، [عُلوها][٦] في الجنة، وعروقها وأغصانها من تحت الكرسي، فيها ملائكة لا يعلم عدّتهم إلا الله عَزَّ وَجَلَّ، يعبدون الله عَزَّ وَجَلَّ، على أغصانها في كل موضع شعرة منها ملك. ومقام جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، في وسطها، فينادي الله جبريل أن ينزل في كل ليلة قَدْر مع الملائكة الذين يسكنون

---

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه، وقال محققوه: حديث صحيح دون قوله: «واعتزل أهله» فحسن لغيره. (المسند ٤٠/ ٤٣٩ ح٢٤٣٧٧).

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه، وصحح سنده محققوه. (المسند ٤٢/ ٣١٦ ح٢٥٤٩٥).

(٣) سنن الترمذي، الدعوات، باب أي الدعاء أفضل (ح٣٥٠٨)؛ والسنن الكبرىٰ للنسائي، النعوت، باب العفو (ح٧٧١٢)؛ وسنن ابن ماجه، الدعاء، باب الدعاء بالعفو والعافية (ح٣٨٥٠)؛ وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (ح٣١٠٥).

(٤) ووافقه الذهبي. (المستدرك ١/ ٥٣٠).

(٥) السنن الكبرىٰ، عمل اليوم والليلة (ح١٠٧١٣) وسنده كسابقه.

(٦) زيادة من (حم).

سدرة المنتهى، وليس فيهم ملك إلا قد أعطي الرأفة والرحمة للمؤمنين، [فينزلون][1] على جبريل في ليلة القدر، حين تغرب الشمس، فلا تبقى بقعة في ليلة القدر إلا وعليها ملك، إما ساجد وإما قائم، يدعو للمؤمنين والمؤمنات، إلا أن تكون كنيسة أو بيعة، أو بيت نار أو وثن، أو بعض أماكنكم التي تطرحون فيها الخَبث، أو بيت فيه سكران، أو بيت فيه مُسكر، أو بيت فيه وثن منصوب، أو بيت فيه جرس مُعَلّق، أو مبولة، أو مكان فيه كساحة البيت، فلا يزالون ليلتهم تلك يدعون للمؤمنين والمؤمنات، وجبريل لا يدع أحداً من المؤمنين إلا صافحه، وعلامة ذلك مَن اقشعر جلدهُ ورقّ قلبه ودَمعَت عيناه، فإن ذلك من مصافحة جبريل.

وذكر كعب أنه من قال في ليلة القدر: «لا إله إلا الله»، ثلاث مرات، غَفَر الله له بواحدة، ونجا من النار بواحدة، وأدخله الجنة بواحدة. فقلنا لكعب الأحبار: يا أبا إسحاق، صادقاً؟ فقال كعب: وهل يقول: «لا إله إلا الله» في ليلة القدر إلا كل صادق؟ والذي نفسي بيده، إن ليلة القدر لتثقل على الكافر والمنافق، حتى كأنها على ظهره جبل، فلا تزال الملائكة هكذا حتى يطلع الفجر. فأول من يصعد جبريل حتى يكون في وجه الأفق الأعلى من الشمس، فيبسط جناحيه ـ وله جناحان أخضران، لا ينشرهما إلا في تلك الساعة ـ فتصير الشمس لا شعاع لها، ثم يدعو مَلَكاً فيصعد، فيجتمع نور الملائكة ونور جناحي جبريل، فلا تزال الشمس يومها ذلك مُتحيرة، فيقيم جبريل ومن معه بين الأرض وبين السماء الدنيا يومهم ذلك، في دعاء ورحمة واستغفار للمؤمنين والمؤمنات، ولمن صام رمضان احتساباً، ودعا لمن حَدث نفسه إن عاش إلى قابل صام رمضان لله. فإذا أمسوا دخلوا السماء الدنيا، فيجلسون حلقَاً حلقا، فتجتمع إليهم ملائكة سماء الدنيا، فيسألونهم عن رجل رجل، وعن امرأة امرأة، فيحدثونهم حتى يقولوا: ماذا فعل فلان؟ وكيف وجدتموه العامَ؟ فيقولون: وجدنا فلاناً عام أول في هذه الليلة متعبداً ووجدناه العام مبتدعاً، ووجدنا فلاناً مبتدعاً ووجدناه العام عابداً قال: فيكفون عن الاستغفار لذلك، ويقبلون على الاستغفار لهذا، ويقولون: وجدنا فلاناً وفلاناً يذكران الله، ووجدنا فلاناً راكعاً، وفلاناً ساجداً، ووجدناه تالياً لكتاب الله. قال: فهم كذلك يومهم وليلتهم، حتى يصعدون إلى السماء الثانية، ففي كل سماء يوم وليلة، حتى ينتهوا مكانهم من سدرة المنتهى، فتقول لهم سدرة المنتهى: يا سكاني، حدثوني عن الناس وسموهم لي. فإن لي عليكم حقاً، وإني أحبُّ من أحبَّ الله.

فذكر كعب أنهم يَعدُون لها، ويحكون لها الرجل والمرأة بأسمائهم وأسماء آبائهم. ثم تقبل الجنة على السدرة فتقول: أخبريني بما أخبرك سكانك من الملائكة. فتخبرها، قال: فتقول الجنة: رحمة الله على فلان، ورحمة الله على فلانة، اللَّهم عجِّلهم إليَّ، فيبلغ جبريل مكانه قبلهم، فيلهمه الله فيقول: وجدت فلاناً ساجداً فاغفر له. فيغفر له، فيسمعُ جبريلُ جميعَ حملة العرش فيقولون: رحمة الله على فلان، ورحمة الله على فلانة، ومغفرته لفلان، ويقول: يا ربِّ، وجدت عبدك فلاناً الذي وجدته عام أول على السُنّة والعبادة، ووجدته العام قد أحدث حدثاً

(١) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل صحف إلى: «فيقولون».

وتولى عما أمر به. فيقول الله: يا جبريل، إن تاب فأعتبني قبل أن يموت بثلاث ساعات غفرت له. فيقول جبريل: لك الحمد إلهي، أنت أرحم من جميع خلقك، وأنت أرحم بعبادك من عبادك بأنفسهم، قال: فيرتجّ العرش وما حوله، والحُجُب والسمٰوات ومن فيهنَّ، تقول: الحمد لله الرحيم، الحمد لله الرحيم.

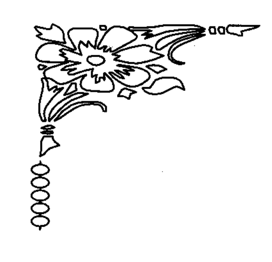
قال: وذكر كعب أنه من صام رمضان وهو يحدث نفسه إذا أفطر بعد رمضان ألّا يعصي الله، دخل الجنة بغير مسألة ولا حساب[1].

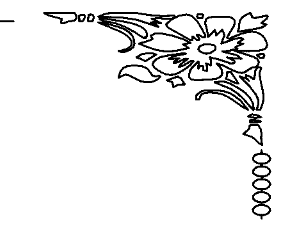
آخر تفسير سورة «ليلة القدر»، [ولله الحمد والمنّة][2].

---

(١) سنده ضعيف لإرساله ومتنه غريب لما فيه من الإسرائيليات التي اشتهر بها كعب الأحبار.

(٢) زيادة من (ح).





سُورَةُ ﴿لَمْ يَكُنِ﴾

وهي مدنية

قال الإمام أحمد: حدثنا عفان، حدثنا حماد ـ وهو ابن سلمة ـ أخبرنا علي ـ هو ابن زيد ـ عن عمار بن أبي عمار قال: سمعت أبا حَبَّة البدري ـ وهو: مالك بن عمرو بن ثابت الأنصاري ـ قال: لما نزلت: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ إلى آخرها، قال جبريل: يا رسول الله، إن ربك يأمرك أن تقرئها أُبياً. فقال النبي ﷺ لأُبي: «إن جبريل أمرني أن أقرئك هذه السورة» قال أُبي: وقد ذكرت ثم يا رسول الله؟ قال: «نعم». قال: فبكى أُبي[1].

حديث آخر: وقال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، سمعت قتادة يحدث عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ لأبي بن كعب: «إن الله أمرني أن أقرأ عليك: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾» قال: وسماني لك؟ قال: «نعم». فبكى[2].

ورواه البخاري، ومسلم، والترمذي، والنسائي، من حديث شعبة، به[3].

حديث آخر: قال الإمام أحمد حدثنا مُؤَمَّل، حدثنا سفيان، حدثنا أسلم المنقري، عن عبد الله بن عبد الرحمٰن بن أبزَى، عن أبيه، عن أُبي بن كعب قال: قال لي رسول الله ﷺ: «إني أمرت أن أقرأ عليك سورة كذا وكذا». قلت: يا رسول الله، وقد ذُكرتُ هناك؟ قال: «نعم». فقلت له: يا أبا المنذر، فَفَرِحت بذلك. قال: وما يمنعني والله يقول: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [يونس]. قال مؤمل: قلت لسفيان: القراءة في الحديث: قال: نعم[4]. تفرد به من هذا الوجه.

طريق أخرى: قال أحمد: حدثنا محمد بن جعفر وحجاج قالا: حدثنا شعبة، عن عاصم بن بَهْدَلة، عن زرٍّ بن حبيش، عن أُبي بن كعب قال: إن رسول الله ﷺ قال لي: «إن الله أمرني أن أقرأ عليك القرآن». قال: فقرأ: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ﴾، قال: فقرأ فيها: ولو أن ابن آدم سأل وادياً من مال، فأعطيه، لسأل ثانياً، ولو سأل ثانياً فأعطيه لسأل ثالثاً، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله على من تاب. وإن ذلك الدين عند الله الحنيفية، غير

---

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده بنحوه، وقال محققوه: صحيح لغيره. (المسند ٢٥/ ٣٨١ ح١٦٠٠٠).

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه. (المسند ٣/ ١٣٠)، وسنده صحيح.

(٣) صحيح البخاري، مناقب الأنصار، باب مناقب أُبي بن كعب ﷺ (ح٣٨٠٩)؛ وصحيح مسلم، صلاة المسافرين، باب استحباب قراءة القرآن على أهل الفضل (ح٧٩٩).

(٤) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه، قال محققوه: حديث صحيح، وهذا إسناد حسن في المتابعات والشواهد. (المسند ٣٥/ ٧١ ح٢١١٣٦).

المشركة ولا اليهودية ولا النصرانية، ومن يفعل خيراً فلن يكفره»[١].

ورواه الترمذي من حديث أبي داود الطيالسي، عن شعبة، به. وقال: حسن صحيح[٢].

طريق أخرى: قال الحافظ أبو القاسم الطبراني: حدثنا أحمد بن خليد الحلبي، حدثنا محمد بن عيسى الطباع، حدثنا معاذ بن محمد بن معاذ بن أُبي بن كعب، عن أبيه، عن جده، عن أُبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أبا المنذر، إني أمرت أن أعرض عليك القرآن». قال: بالله آمنت، وعلى يدك أسلمت، ومنك تعلمت. قال: فردَّ النبي ﷺ القول: فقال: يا رسول الله، أذكرت هناك؟ قال: «نعم، باسمك ونسبك في الملأ الأعلى». قال: فاقرأ إذاً يا رسول الله[٣].

هذا غريب من هذا الوجه، والثابت ما تقدم. وإنما قرأ عليه النبي ﷺ هذه السورة تثبيتاً له، وزيادة لإيمانه، فإنه - كما رواه أحمد والنسائي، من طريق أنس، عنه[٤]، ورواه أحمد وأبو داود، من حديث سليمان بن صُرَد عنه[٥]، ورواه أحمد عن عفان، عن حماد، عن حميد، عن أنس، عن عبادة بن الصامت، عنه[٦]، ورواه أحمد ومسلم وأبو داود والنسائي، من حديث إسماعيل بن أبي خالد، عن عبد الله بن عيسى، عن عبد الرحمٰن بن أبي ليلى، عنه[٧]، كان قد أنكر على إنسان، وهو: عبد الله بن مسعود، قراءة شيء من القرآن على خلاف ما أقرأه رسول الله ﷺ فرفعه إلى النبي ﷺ فاستقرأهما، وقال، لكل منهما: «أصبت». قال أُبي: فأخذني من الشك ولا إذ كنت في الجاهلية. فضرب رسول الله ﷺ في صدره، قال أُبي: فَفِضْتُ عَرَقاً، وكأنما أنظر إلى الله فرقاً. وأخبره رسول الله ﷺ أن جبريل أتاه فقال: إن الله يأمرك أن تقرئ أُمتك القرآن على حرف. فقلت: «أسأل الله معافاته ومغفرته». فقال: على حرفين. فلم يزل حتى قال: إن الله يأمرك أن تقرئ أُمتك القرآن على سبعة أحرف. كما قدمنا ذكر هذا الحديث بطرقه وألفاظه في أول التفسير. فلما نزلت هذه السورة الكريمة وفيها: ﴿رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ۝٢ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ۝٣﴾، قرأها عليه رسول الله ﷺ قراءة إبلاغ وتثبيت وإنذار، لا قراءة تعلم واستذكار، والله أعلم.

وهذا كما أن عمر بن الخطاب لما سأل رسول الله ﷺ يوم الحديبية عن تلك الأسئلة، وكان فيما قال: أو لم تكن تخبرنا أنا سنأتي البيت ونطوف به؟ [قال: «بلى، أفأخبرتك أنك تأتيه

---

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه. (المسند ٥/ ١٣١)، وسنده حسن.
(٢) سنن الترمذي، المناقب، باب مناقب معاذ بن جبل وزيد بن ثابت وأُبي.. (ح٣٧٩٣)، وسنده كسابقه.
(٣) أخرجه الطبراني بسنده ومتنه. (المعجم الكبير ١/ ٢٠٠ ح٥٣٩)، وسنده ضعيف لجهالة محمد بن معاذ بن أُبي. (التقريب ص٥٠٧).
(٤) المسند ٥/ ١١٤؛ وسنن النسائي، الافتتاح، باب جامع ما جاء في القرآن ٢/ ١٥٤.
(٥) المسند ٥/ ١٢٤؛ وسنن أبي داود، الصلاة، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف (ح١٤٧٧)؛ وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح١٣١٠).
(٦) المسند ٥/ ١١٤.
(٧) المسند ٥/ ١٢٧؛ وصحيح مسلم، صلاة المسافرين، باب بيان أن القرآن علىٰ سبعة أحرف (ح٨٢٠)، وسنن أبي داود، الباب السابق (ح١٤٧٨)؛ وسنن النسائي، الافتتاح باب جامع ما جاء في القرآن ٢/ ١٥٣.

عامك هذا؟». قال: لا، قال: «فإنك آتيه، ومُطوِّف به»][1]. فلما رجعوا من الحديبية، وأنزل الله على النبي ﷺ سورة «الفتح»، دعا عمر بن الخطاب وقرأها عليه، وفيها قوله: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ الآية [الفتح: ٢٧]، كما تقدم[2].

وروى الحافظ أبو نُعَيم في كتابه «أسماء الصحابة» من طريق محمد بن إسماعيل الجعفري المدني: حدثنا عبد الله بن سلمة بن أسلم، عن ابن شهاب، عن إسماعيل بن أبي حكيم المدني، حدثني فُضَيل، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله ليسمع قراءة ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾، فيقول: أبشر عبدي، فوعزتي لأمكننه لك في الجنة حتى ترضى»[3].

حديث غريب جداً. وقد رواه الحافظ أبو موسى المديني وابن الأثير، من طريق الزهري، عن إسماعيل بن أبي حكيم، عن نَظير المزني - أو: المدني - عن النبي ﷺ: «إن الله ليسمع قراءة ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ ويقول: أبشر عبدي، فوعزتي لا أنساك على حال من أحوال الدنيا والآخرة، ولأُمكننَّ لك في الجنة حتى ترضى»[4].

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴿٣﴾ وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾﴾.

أما أهل الكتاب فهم: اليهود والنصارى، والمشركون: عَبَدةُ الأوثان والنيران، من العرب ومن العجم.

وقال مجاهد: لم يكونوا ﴿مُنفَكِّينَ﴾ يعني: منتهين حتى يتبين لهم الحق[5]. وكذا قال قتادة[6].

﴿حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ﴾ أي: هذا القرآن؛ ولهذا قال تعالى: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿١﴾﴾. ثم فسر البينة بقوله: ﴿رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾﴾ يعني: محمداً ﷺ، وما يتلوه من القرآن العظيم، الذي هو مكتتب في الملأ الأعلى، في صحف مطهرة كقوله: ﴿فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍۭ ﴿١٤﴾ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾﴾ [عبس].

وقوله: ﴿فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴿٣﴾﴾ قال ابن جرير: أي في الصحف المطهرة كتب من الله قيمة: عادلة مستقيمة، ليس فيها خطأ؛ لأنها من عند الله ﷻ[7].

---

(١) زيادة من (ح) و(حم).
(٢) تقدم تخريجه في تفسير سورة الفتح آية ٢٧.
(٣) سنده ضعيف لأن إسماعيل بن أبي حكيم لم يسمع أحداً من الصحابة فهو من الطبقة السادسة. (التقريب ص١٠٧)، وقال الحافظ ابن حجر: عبد الله بن سلمة واهي الحديث. (الإصابة ٣/ ٥٢٨).
(٤) أسد الغابة ٥/ ٣٢٥، وسنده كسابقه.
(٥) أخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.
(٦) أخرجه عبد الرزاق والطبري بسند صحيح من طريق معمر عن قتادة.
(٧) ذكره الطبري بلفظه وأطول.

قال قتادة: ﴿رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ۝٢﴾ يذكر القرآن بأحسن الذكر، ويثني عليه بأحسن الثناء[١].

وقال ابن زيد: ﴿فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ۝٣﴾ مستقيمة معتدلة[٢].

وقوله: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ۝٤﴾ كقوله: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝١٠٥﴾ [آل عمران] يعني بذلك: أهل الكتب المنزلة على الأمم قبلنا، بعدما أقام الله عليهم الحجج والبينات تفرقوا واختلفوا في الذي أراده الله من كتبهم، واختلفوا اختلافاً كثيراً، كما جاء في الحديث المروي من طرق: «إن اليهود اختلفوا على إحدى وسبعين فرقة، وإن النصارى اختلفوا على اثنتين وسبعين فرقة وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة». قالوا: من هم يا رسول الله؟ قال: «ما أنا عليه وأصحابي»[٣].

وقوله: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ كقوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ۝٢٥﴾ [الأنبياء]؛ ولهذا قال: حنفاء؛ أي: مُتحنفين عن الشرك إلى التوحيد. كقوله: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ﴾ [النحل: ٣٦]، وقد تقدم تقرير الحنيف في سورة «الأنعام»[٤] بما أغنى عن إعادته هٰهنا.

﴿وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ وهي أشرف عبادات البدن، ﴿وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ﴾ وهي الإحسان إلى الفقراء والمحاويج. ﴿وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾ أي: الملة القائمة العادلة، أو الأمة المستقيمة المعتدلة.

وقد استدل كثير من الأئمة، كالزهري والشافعي، بهذه الآية الكريمة على الأعمال داخلة في الإيمان؛ ولهذا قال: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ۝٥﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ۝٦ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ۝٧ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ۝٨﴾.

يخبر تعالى عن مآل الفجار، من كفرة أهل الكتاب، والمشركين المخالفين لكتب الله المنزلة وأنبياء الله المرسلة: أنهم يوم القيامة ﴿فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ﴾ أي: ماكثين، لا يحولون عنها ولا يزولون ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ﴾ أي: شر الخليقة التي برأها الله وذرأها.

ثم أخبر تعالى عن حال الأبرار ـ الذين آمنوا بقلوبهم، وعملوا الصالحات بأبدانهم ـ بأنهم خير البرية.

---

(١) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.
(٢) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.
(٣) تقدم تخريجه في تفسير سورة يونس آية ٩٣. (٤) في الآية ١٦١.

وقد استدل بهذه الآية أبو هريرة وطائفة من العلماء، على تفضيل المؤمنين من البرية على الملائكة؛ لقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ﴾.

ثم قال: ﴿جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ﴾ أي: يوم القيامة، ﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ﴾ أي: بلا انفصال ولا انقضاء ولا فراغ.

﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ﴾ ومقام رضاه عنهم أعلى مما أوتوه من النعيم المقيم، ﴿وَرَضُواْ عَنۡهُۚ﴾ فيما منحهم من الفضل العميم.

وقوله: ﴿ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ﴾ أي: هذا الجزاء حاصل لمن خشي الله واتقاه حق تقواه، وعبده كأنه يراه، قد علم أنه إن لم يره فإنه يراه.

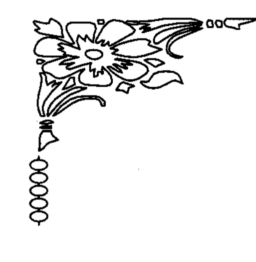
وقال الإمام أحمد: حدثنا إسحاق بن عيسى، حدثنا أبو معشر، عن أبي وهب ـ مولى أبي هريرة ـ عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أخبركم بخير البرية؟» قالوا: بلى يا رسول الله. قال: «رجل آخذ بعنان فرسه في سبيل الله، كلما كانت هَيْعَة[1] استوى عليه. ألا أخبركم بخير البرية؟» قالوا: بلى يا رسول الله. قال: «رجل في ثُلَّة من غنمه، يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة. ألا أخبركم بشر البرية؟». قالوا: بلى. قال: «الذي يَسأل بالله، ولا يُعطي به»[2].

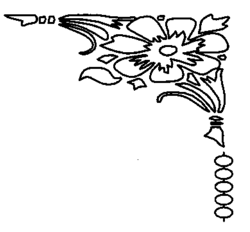
آخر تفسير سورة ﴿لَمۡ يَكُنِ﴾.

---

(١) الهيعة: الصوت الذي تفزع منه وتخافه من عدو.

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه، وصححه محققوه بالشواهد. (المسند ١٥/ ٧٢ ح٩١٤٢).





سُورَةُ ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ﴾

وهي مكية

قال الإمام أحمد: حدثنا أبو عبد الرحمٰن، حدثنا سعيد، حدثنا عياش بن عباس، عن عيسى بن هلال الصَّدفي، عن عبد الله بن عمرو قال: أتى رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: أقرئني يا رسول الله. قال له: «اقرأ ثلاثاً من ذات آلر». فقال له الرجل: كبر سني واشتد قلبي، وغَلُظ لساني. قال: «فاقرأ من ذات حم»، فقال مثل مقالته الأولى. فقال: «اقرأ ثلاثاً من المسبحات»، فقال مثل مقالته. فقال الرجل: ولكن أقرئني - يا رسول الله - سورة جامعة. فأقرأه: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ①﴾ حتى إذا فرغ منها قال الرجلُ: والذي بعثك بالحق، لا أزيد عليها أبداً. ثم أدبر الرجل، فقال رسول الله ﷺ: «أفلح الرويجل! أفلح الرويجل!» ثم قال: «عَلَيّ به». فجاءه فقال له: «أمِرْتُ بيوم الأضحى جعله الله عيداً لهذه الأمة». فقال له الرجل: أرأيت إن لم أجد إلا مَنيحَة أنثى فأضحي بها؟ قال: «لا، ولكنك تأخذ من شعرك، وتقلم أظفارك، وتقص شاربك، وتحلق عانتك، فذاك تمام أضحيتك عند الله ﷻ»(١).

وأخرجه أبو داود والنسائي، من حديث أبي عبد الرحمٰن المقريء، به(٢).

وقال الترمذي: حدثنا محمد بن موسى [الحَرشي](٣) البصري: حدثنا الحسن بن سلْم بن صالح العجلي، حدثنا ثابت البُناني، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ﴾، عدلَت له بنصف القرآن». ثم قال: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث الحسن بن سَلْم(٤).

وقد رواه البزار عن محمد بن موسى الحرشي، عن الحسن بن سلم، عن ثابت، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ①﴾ [الإخلاص] تَعدلُ ثلث القرآن، و﴿إِذَا زُلْزِلَتِ﴾ تَعدلُ ربع القرآن». هذا لفظه(٥).

وقال الترمذي أيضاً: حدثنا علي بن حُجْر، حدثنا يزيد بن هارون، حدثنا يمان بن المغيرة

---

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه تقريباً. (المسند ١١/ ١٣٩ ح٦٥٧٥) وحسّن سنده محققوه؛ وأخرجه الحاكم بسنده ومتنه وصححه ووافقه الذهبي. (المستدرك ٢/ ٥٣٢).

(٢) سنن أبي داود، الصلاة، باب تحزيب القرآن (ح١٣٩٩)؛ والسنن الكبرى للنسائي، عمل اليوم والليلة، باب الفضل في قراءة ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ [الملك: ١] (ح١٠٥٥٣)؛ وضعفه الألباني في ضعيف سنن أبي داود (ح٣٠٠).

(٣) كذا في (حم)؛ وسنن الترمذي، وفي الأصل صحف إلى: الجويني.

(٤) أخرجه الترمذي بسنده ومتنه. (السنن، فضائل القرآن، باب ما جاء في ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ﴾ [الزلزلة: ١] ح٢٨٩٣)؛ وضعفه الألباني في ضعيف سنن الترمذي (ح٥٤٨).

(٥) سنده ضعيف كسابقه.

العنزي، حدثنا عطاء، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «﴿إِذَا زُلْزِلَتِ﴾ تَعْدِلُ نصف القرآن، و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ①﴾ [الإخلاص] تعدل ثلث القرآن، و﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ①﴾ [الكافرون] تعدل ربع القرآن». ثم قال: غريب، لا نعرفه إلا من حديث يمان بن المغيرة[١].

وقال أيضاً: حدثنا عقبة بن مُكرَّم العَمْي البصري، حدثني ابن أبي فُدَيْك، أخبرني سلمة بن وردان، عن أنس بن مالك: أن رسول الله ﷺ قال لرجل من أصحابه: «هل تزوجت يا فلان؟» قال: لا، والله يا رسول الله، ولا عندي ما أتزوج. قال: «أليس معك ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ①﴾؟». قال: بلى. قال: «ثلث القرآن». قال: «أليس معك ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ①﴾؟ [النصر]». قال: بلى. قال: «ربع القرآن». قال: «أليس معك ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ①﴾؟». قال: بلى. قال: «ربع القرآن». قال: «أليس معك ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ﴾؟». قال: بلى. قال: «ربع القرآن تزوج». ثم قال: هذا حديث حسن[٢] تفرد بهن ثلاثتهن الترمذي، لم يروهن غيره من أصحاب الكتب.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ① وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ② وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ③ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ④ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ⑤ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ⑥ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ⑦ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ⑧﴾.

قال ابن عباس: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ①﴾ أي: تحركت من أسفلها[٣]. ﴿وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ②﴾ يعني: ألقت ما فيها من الموتى. قاله غير واحد من السلف. وهذه كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ①﴾ [الحج]، وكقوله: ﴿وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ③ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ④﴾ [الانشقاق].

وقال مسلم في صحيحه: حدثنا واصل بن عبد الأعلى، حدثنا محمد بن فُضَيل، عن أبيه، عن أبي حازم، عن أبي هُرَيرة قال: قال رسول الله ﷺ: «تَقيء الأرض أفلاذ كبدها أمثال الأسطوان من الذهب والفضة، فيجيء القاتل فيقول: في هذا قَتَلْتُ، ويجيء القاطع فيقول: في هذا قَطَعتُ رحمي، ويجيء السارق فيقول: في هذا قُطِعت يدي، ثم يَدَعُونه فلا يأخذون منه شيئاً»[٤].

وقوله: ﴿وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ③﴾ أي: استنكر أمرها بعدما كانت قارة ساكنة ثابتة، وهو مستقر على ظهرها؛ أي: تقلبت الحال، فصارت متحركة مضطربة، قد جاءها من أمر الله ما قد أعد لها

---

(١) أخرجه الترمذي بسنده ومتنه. (السنن، الباب السابق ح٢٨٩٤)؛ وضعفه الألباني في ضعيف سنن الترمذي (ح٥٥٠).

(٢) أخرجه الترمذي بسنده ومتنه. (المصدر السابق ح٢٨٩٥)؛ وضعفه الألباني في ضعيف سنن الترمذي (ح٥٥١).

(٣) عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٤) أخرجه مسلم بسنده ومتنه. (الصحيح، الزكاة، باب الترغيب في الصدقة قبل أن لا يوجد من يقبلها ح١٠١٣).

من الزلزال الذي لا محيد لها عنه، ثم ألقت ما في بطنها من الأموات من الأولين والآخرين، وحينئذ استنكر الناس أمرها وتبدلت الأرض غير الأرض والسمٰوات، وبرزوا لله الواحد القهار.

وقوله: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤﴾ أي: تحدث بما عمل العاملون على ظهرها.

قال الإمام أحمد: حدثنا إبراهيم، حدثنا ابن المبارك، وقال الترمذي وأبو عبد الرحمٰن النسائي، واللفظ له: حدثنا سُوَيد بن نصر، أخبرنا عبد الله ـ هو ابن المبارك ـ عن سعيد بن أبي أيوب، عن يحيى بن أبي سليمان، عن سعيد المقْبُري، عن أبي هريرة قال: قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤﴾ قال: «أتدرون ما أخبارها؟». قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «فإن أخبارها أن تشهد على كل عبد وأمة بما عَمِل على ظهرها، أن تقول: عمل كذا وكذا، يوم كذا وكذا، فهذه أخبارها»[١].

ثم قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب.

وفي معجم الطبراني من حديث ابن لَهيعة: حدثني الحارث بن يزيد ـ سمع ربيعة الجُرَشي ـ: أن رسول الله ﷺ قال: «تحفظوا من الأرض، فإنها أُمكم، وإنه ليس من أحد عامل عليها خيراً أو شراً، إلا وهي مُخبرة»[٢].

وقوله: ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۝٥﴾ قال البخاري: أوحى لها وأوحى إليها، ووحى لها ووحى إليها: واحد[٣]. وكذا قال ابن عباس: ﴿أَوْحَىٰ لَهَا﴾ أي: أوحى إليها[٤].

والظاهر أن هذا مُضَمَّنُ [بمعنى][٥] أذن لها.

وقال شبيب بن بشر، عن عكرمة، عن ابن عباس: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤﴾ قال: قال لها ربها: قولي، فقالت[٦].

وقال مجاهد: ﴿أَوْحَىٰ لَهَا﴾ أي: أمرها[٧].

وقال القُرَظي: أمرها أن تنشق عنهم.

وقوله: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا﴾ أي: يرجعون عن موقف الحساب، ﴿أَشْتَاتًا﴾ أي: أنواعاً وأصنافاً، ما بين شقي وسعيد، مأمور به إلى الجنة، ومأمور به إلى النار.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده بنحوه، وضعف سنده محققوه. (المسند ١٤/ ٤٥٥ ح٨٨٦٧)؛ وأخرجه الترمذي، (السنن، التفسير، باب ومن سورة ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١﴾ [الزلزلة] ح٣٣٥٢)؛ والنسائي (السنن الكبرى، التفسير، سورة الزلزلة ح١١٦٩٣)؛ وضعفه الألباني في ضعيف سنن الترمذي (ح٦٦٤)؛ وأخرجه الحاكم وصححه وتعقبه الذهبي بقوله: يحيىٰ هذا منكر الحديث. قاله البخاري. (المستدرك ٢/ ٥٣٢).

(٢) أخرجه الطبراني من طريق ابن لهيعة به. (المعجم الكبير ٥/ ٦٥ ح٤٥٩٦)؛ وأعله الهيثمي بابن لهيعة. (مجمع الزوائد ١/ ٢٤١).

(٣) ذكره البخاري (الصحيح، التفسير، باب سورة ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١﴾ قبل حديث رقم ٤٩٦٢.

(٤) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق عكرمة عن ابن عباس.

(٥) زيادة من (ح) و(حم).

(٦) أخرجه الطبري من طريق شبيب به بلفظ: «أوحىٰ إليها». وسنده حسن.

(٧) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.

قال ابن جريج: يتصدعون أشتاتاً فلا يجتمعون آخر ما عليهم.

وقال السُّدِّي: ﴿أَشْتَاتًا﴾ فرقاً.

وقوله تعالى: ﴿لِّيُرَوْا۟ أَعْمَـٰلَهُمْ﴾ أي: ليعملوا ويجازوا بما عملوه في الدنيا، من خير وشر. ولهذا قال: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾.

قال البخاري: حدثنا إسماعيل بن عبد الله، حدثني مالك، عن يزيد بن أسلم، عن أبي صالح السَّمان، عن أبي هُرَيرة: أن رسول الله ﷺ قال: «الخيل لثلاثة: لرجل أجر، ولرجل ستر، وعلى رجل وزر؛ فأما الذي له أجر، فرجل ربطها في سبيل الله فأطال طِيلها في مرج أو روضة، فما أصابت في طيلها ذلك في المرج والروضة كان له حسنات، ولو أنها قطعت طيلها فاستنَّت شَرَفاً أو شرفين، كانت آثارها وأرواثها حسنات له، ولو أنها مرت بنهر فشربت منه ولم يرد أن يَسقيَ به كان ذلك حسنات له، وهي لذلك الرجل أجر. ورجل ربطها تَغَنيا وتعففا، ولم ينس حق الله في رقابها ولا ظهورها، فهي له ستر. ورجل ربطها فخراً ورئاء ونواء، فهي على ذلك وزر». فسُئل رسول الله ﷺ عن الحُمُر، فقال: «ما أنزل الله فيها شيئاً إلا هذه الآية الفاذة الجامعة: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧﴾»[(١)].

ورواه مسلم، من حديث زيد بن أسلم، به[(٢)].

وقال الإمام أحمد: حدثنا يزيد بن هارون، أخبرنا جرير بن حازم، حدثنا الحسن، عن صعصعة بن معاوية - عمِّ الفرزدق -: أنه أتى النبي ﷺ فقرأ عليه: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾، قال: حسبي! لا أبالي ألَّا أسمع غيرها[(٣)].

وهكذا رواه النسائي في التفسير، عن إبراهيم بن يونس بن محمد المؤدب، عن أبيه، عن جرير بن حازم، عن الحسن البصري قال: حدثنا صعصعةُ عمُّ الفرزدق، فذكره[(٤)].

وفي صحيح البخاري، عن عَدي مرفوعاً: «اتقوا النار ولو بِشِقِّ تمرة، [ولو بكلمة طيبة]»[(٥)(٦)]. وفي الصحيح: «لا تَحْقِرَنَّ من المعروف شيئاً ولو أن تفرغ من دلوك في إناء المستسقي، ولو أن تلقى أخاك ووجهك إليه منبسط»[(٧)].

وفي الصحيح أيضاً: «يا نساء المؤمنات، لا تحقرن جارة لجارتها ولو فِرْسَنَ شاة»[(٨)] يعني: ظلفها.

---

(١) أخرجه البخاري بسنده ومتنه. (الصحيح، التفسير، سورة الزلزلة ح٤٩٦٢).

(٢) صحيح مسلم، الزكاة، باب إثم مانع الزكاة (ح٩٨٧).

(٣) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه. (المسند ٣٤/ ٢٠٠ ح٢٠٥٩٣)، وصحح سنده محققوه.

(٤) السنن الكبرى، التفسير، باب سورة الزلزلة (ح١١٦٩٤).

(٥) كذا في (ح) و(حم) وصحيح البخاري، وفي الأصل بياض.

(٦) صحيح البخاري، الرقاب، باب من نوقش الحساب عذب (ح٦٥٤٠).

(٧) أخرجه الإمام أحمد من حديث أبي جُريٍّ الهجيمي، وصحح سنده محققوه. (المسند ٣٤/ ٢٣٦ ح٢٠٦٣٣).

(٨) أخرجه الشيخان من حديث أبي هريرة. (صحيح البخاري، الهبة، ح٢٥٦٦)؛ وصحيح مسلم، الزكاة، باب الحث على الصدقة (ح١٠٣٠).

وفي الحديث الآخر: «ردوا السائل ولو بظلْفٍ مُحَرق»[١].

وقال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن عبد الله الأنصاري، حدثنا كثير بن زيد، عن المطلب بن عبد الله، عن عائشة، أن رسول الله ﷺ قال: «يا عائشة، استتري من النار ولو بشق تمرة، فإنها تسد من الجائع مسدها من الشبعان». تفرد به أحمد[٢].

ورُويَ عن عائشة أنها تصدقت بعنبة، وقالت: كم فيها من مثقال ذرة[٣].

وقال أحمد: حدثنا أبو عامر، حدثنا سعيد بن مسلم، سمعت عامر بن عبد الله بن الزبير: حدثني عوف بن الحارث بن الطفيل: أن عائشة أخبرته: أن النبي ﷺ كان يقول: «يا عائشة، إياك ومحقرات الذنوب، فإن لها من الله طالباً».

ورواه النسائي وابن ماجه، من حديث سعيد بن مسلم بن بَانَك، به[٤].

وقال ابن جرير: حدثني أبو الخطاب الحساني، حدثنا الهيثم بن الربيع، حدثنا سماك بن عطية، عن أيوب، عن أبي قلابة، عن أنس قال: كان أبو بكر يأكل مع النبي ﷺ فنزلت هذه الآية: ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ۝٨﴾[٥]، فرفع أبو بكر يده وقال: يا رسول الله، إني أُجزى بما عملتُ من مثقال ذرة من شر؟ فقال: «يا أبا بكر، ما رأيت في الدنيا مما تكره فبمثاقيل ذرِّ الشر ويدخر الله لك مثاقيل ذَرِّ الخير حتى تُوفَاه يوم القيامة»[٦].

ورواه ابن أبي حاتم، عن أبيه عن أبي الخطاب، به[٧].

ثم قال ابن جرير: حدثنا ابن بشار، حدثنا عبد الوهاب، حدثنا أيوب قال: في كتاب أبي قِلابة، عن أبي إدريس: أن أبا بكر كان يأكل مع النبي ﷺ، فذكره[٨].

ورواه أيضاً عن يعقوب، عن ابن عُلَيَّة، عن أيوب، عن أبي قلابة: أن أبا بكر، وذكره[٩].

طريق أخرى: قال ابن جرير: حدثني يونس بن عبد الأعلى، أخبرنا ابن وهب، أخبرني حُيَي بن عبد الله، عن أبي عبد الرحمٰن الحبلي، عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه قال: لما نزلت: ﴿إِذَا زُلۡزِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ زِلۡزَالَهَا ۝١﴾ وأبو بكر الصديق ﷺ، قاعد، فبكى حين أنزلت، فقال له رسول الله ﷺ: «ما يبكيك يا أبا بكر؟». قال: يبكيني هذه السورة. فقال له رسول الله ﷺ:

---

(١) أخرجه الإمام أحمد من حديث حواء، وحسن سنده محققوه. (المسند ٤٥/ ٤٤٠ ح٢٧٤٥٠).
(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه، وضعف سنده محققوه. (المسند ٤١/ ٤٩ ح٢٤٥٠١).
(٣) أخرجه الإمام مالك بسند ضعيف بلاغاً. (الموطأ، الصدقة، باب الترغيب ص٩٩٧ ح٦).
(٤) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه، وحسن سنده محققوه. (المسند ٤٢/ ٩٦ ح٢٥١٧٧).
(٥) سنن ابن ماجه، الزهد، باب ذكر الذنوب (ح٤٢٤٣)؛ وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (ح٣٤٢١). وقال البوصيري: إسناد صحيح.
(٦) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده ضعيف لضعف الهيثم بن الربيع. (التقريب ص٥٧٧)، وقد توبع كما في رواية الطبري التالية.
(٧) سنده كسابقه.
(٨) أخرجه الطبري عن ابن بشار به، ويتقوىٰ بما يليه.
(٩) أخرجه الطبري عن يعقوب به، وسنده صحيح.

«لولا أنكم تخطئون وتذنبون، فيغفر الله لكم، لخلق الله أُمة يخطئون ويذنبون فيغفر لهم»[١].

حديث آخر: قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زرعة وعلي بن عبد الرحمٰن بن المغيرة ـ المعروف بعلَّان المصري ـ قالا: حدثنا عمرو بن خالد الحرَّاني، حدثنا ابن لَهِيعة، أخبرني هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد الخدري قال: لما نزلت: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾ قلت: يا رسول الله، إني لراء عملي؟ قال: «نعم». قلت: تلك الكبار الكبار؟ قال: «نعم». قلت: الصغار الصغار؟ قال: «نعم». قلت: واثُكلَ أُمي. قال: «أبشر يا أبا سعيد؛ فإن الحسنة بعشر أمثالها ـ يعني إلى سبعمائة ضعف ـ ويضاعف الله لمن يشاء، والسيئة بمثلها أو يغفر الله، ولن ينجو أحد منكم بعمله». قلت: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «ولا أنا إلا أن يتغمدني الله منه برحمة». قال أبو زُرْعَة: لم يرو هذا غير ابن لَهِيعة[٢].

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زرعة، حدثنا يحيى بن عبد الله بن بُكَيْر، حدثني ابن لهيعة، حدثني عطاء بن دينار، عن سعيد بن جبير في قوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾، وذلك لما نزلت هذه الآية: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝٨﴾ [الإنسان]، كان المسلمون يرون أنهم لا يُؤجَرون على الشيء القليل الذي أعطوه، فيجيء المسكين إلى أبوابهم فيستقلون أن يعطوه التمرة والكسرة والجَوْزة ونحو ذلك، فيردونه ويقولون: ما هذا بشيء. إنما نُؤجَر على ما نعطي ونحن نحبه. وكان آخرون يَرَون أنهم لا يلامون على الذنب اليسير: الكذبة والنظرة والغيبة وأشباه ذلك، يقولون: إنما وعد الله النار على الكبائر. فرغبهم في القليل من الخير أن يعملوه، فإنه يوشك أن يكثر، وحذرهم اليسير من الشر، فإنه يوشك أن يكثر، فنزلت: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ يعني: وزن أصغر النمل ﴿خَيْرًا يَرَهُۥ﴾ يعني: في كتابه، ويَسُرُّه ذلك. قال: يكتب لكل بر وفاجر بكل سيئة سيئة واحدة. وبكل حسنة عشر حسنات، فإذا كان يوم القيامة ضاعف الله حسنات المؤمنين أيضاً، بكل واحدة عشر، ويمحو عنه بكل حسنة عشر سيئات، فمن زادت حسناته على سيئاته مثقال ذرة، دخل الجنة[٣].

وقال الإمام أحمد: حدثنا سليمان بن داود، حدثنا عمران، عن قتادة، عن عبد ربه، عن أبي عياض، عن عبد الله بن مسعود؛ أن رسول الله ﷺ قال: «إياكم ومحقرات الذنوب، فإنهن يجتمعن على الرجل حتى يهلكنه». وإن رسول الله ﷺ ضرب لهن مثلاً، كمثل قوم نزلوا أرض فلاة، فحضر صَنيع القوم، فجعل الرجل ينطلق فيجيء بالعود، والرجل يجيء بالعود، حتى جمعوا سواداً، وأجَّجوا ناراً، وأنضجوا ما قذفوا فيها[٤].

[آخر تفسير سورة ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ﴾][٥]، [ولله الحمد والمنة][٦].

---

(١) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، ورجاله ثقات إلَّا حيي بن عبد الله فصدوق يهم. (التقريب ص١٨٥).

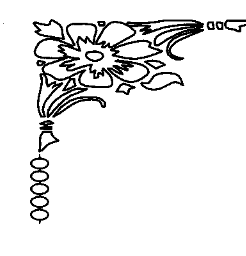
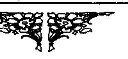
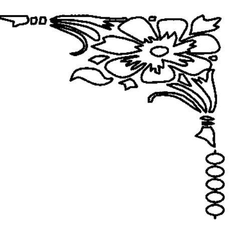
(٢) سنده ضعيف لتفرد ابن لهيعة به.

(٣) سنده ضعيف لأنه مرسل.

(٤) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه. (المسند ٦/٣٦٨ ح٣٨١٨) قال المحققون: حديث حسن لغيره، وهذا إسناد ضعيف لجهالة حال عبد ربه ـ وهو ابن أبي يزيد ـ ويقال: ابن زيد.

(٥) زيادة من (ح) و(حم).

(٦) زيادة من (حم).

سُورَةُ العَادِيَاتِ

وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا (١) فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا (٢) فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا (٣) فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا (٤) فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا (٥) إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ (٦) وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ (٧) وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ (٨) أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ (٩) وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ (١٠) إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ (١١)﴾.

يقسم تعالى بالخيل إذا أجريت في سبيله فَعَدت وضَبَحت، وهو: الصوت الذي يُسمع من الفرس حين تَعدو. ﴿فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا (٢)﴾ يعني: اصطكاك نعالها للصخر فتقدح منه النار.

﴿فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا (٣)﴾ يعني: الإغارة وقت الصباح، كما كان رسول الله ﷺ يغير صباحاً ويتسمّع أذاناً، فإن سمع وإلا أغار.

[وقوله][1]: ﴿فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا (٤)﴾ يعني: غباراً في [مكان][2] معترك الخيول.

﴿فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا (٥)﴾ أي: توسطن ذلك المكان كُلّهن جُمعَ.

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشجّ، حدثنا عبدة، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن عبد الله: ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا (١)﴾ قال: الإبل[3].

وقال علي: هي الإبل. وقال ابن عباس: هي الخيل. فبلغ علياً قولُ ابن عباس، فقال: ما كانت لنا خيل يوم بدر. قال ابن عباس: إنما كان ذلك في سرية بعثت[4].

قال ابن أبي حاتم وابن جرير: حدثنا يونس، أخبرنا ابن وهب، أخبرني أبو صخر، عن أبي معاوية البجلي، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس حدثه، قال: بينا أنا في الحِجْر جالساً، جاءني رجل فسألني عن: ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا (١)﴾ فقلت له: الخيل حين تغير في سبيل الله، ثم تأوي إلى الليل، فيصنعون طعامهم، ويورون نارهم. فانفتل عني فذهب إلى علي ﷺ، وهو عند سقاية زمزم فسأله عن ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا (١)﴾ فقال: سألت عنها أحداً قبلي؟ قال: نعم، سألت ابن عباس فقال: الخيل حين تغير في سبيل الله. قال: اذهب فادعه لي. فلما وقف على رأسه قال: تفتي الناس بما لا علم لك، والله لئن كان أولَ غزوة في الإسلام بدر، وما كان معنا إلا

---

(١) زيادة من (ح) و(حم). (٢) زيادة من (ح) و(حم).

(٣) أخرجه الطبري من طريق الأعمش به، وسنده منقطع لأن إبراهيم وهو النخعي لم يسمع من ابن مسعود.

(٤) سيأتي مسنداً بنحو الرواية التالية.

فَرَسَان: فرس للزبير وفرس للمقداد، فكيف تكون العاديات ضبحاً؟ إنما العاديات ضبحاً من عرفة إلى المزدلفة، ومن المزدلفة إلى مِنىٰ، قال ابن عباس: فنزعت عن قولي ورجعت إلى الذي قال علي رضي الله عنه[١].

وبهذا الإسناد عن ابن عباس قال: قال علي: إنما ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ۝١﴾ من عرفة إلى المزدلفة، فإذا أووا إلى المزدلفة أوروا النيران.

وقال العَوفي، عن ابن عباس: هي الخيل[٢].

وقد قال بقول علي: إنها الإبل جماعة. منهم: إبراهيم، وعبيد بن عمير[٣] وبقول ابن عباس آخرون، منهم: مجاهد وعكرمة، وعطاء وقتادة، والضحاك[٤]. واختاره ابن جرير.

قال ابن عباس، وعطاء: ما ضبحت دابة قط إلا فرس أو كلب[٥].

وقال ابن جُرَيْج، عن عطاء: سمعت ابن عباس يصف الضبح: أح أح[٦].

وقال أكثر هؤلاء في قوله: ﴿فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ۝٢﴾ يعني: بحوافرها. وقيل: أسعَرْنَ الحرب بين رُكبانهن. قاله قتادة[٧].

وعن ابن عباس ومجاهد: ﴿فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ۝٢﴾ يعني: مكر الرجال[٨].

وقيل: هو إيقاد النار إذا رجعوا إلى منازلهم من الليل.

وقيل: المراد بذلك: نيران القبائل.

وقال من فسرها بالخيل: هو إيقاد النار بالمزدلفة.

وقال ابن جرير: والصواب الأول؛ أنها الخيل حين تقدح بحوافرها.

وقوله: ﴿فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ۝٣﴾ قال ابن عباس، ومجاهد، وقتادة: يعني إغارة الخيل صبحاً في سبيل الله[٩].

---

(١) أخرجه الطبري عن يونس به، وسنده ضعيف لأن أبا معاوية البجلي وهو عمار بن معاوية صدوق يتشيع. (التقريب ص٤٠٨) وهذه الرواية تؤيد بدعته؛ وأخرجه الحاكم من طريق ابن وهب به؛ وصححه الحاكم وتعقبه الذهبي بقوله: لا والله، ولا ذكر لأبي معاوية في الكتب الستة ولا احتج البخاري بأبي صخر، والخبر منكر. (المستدرك ٢/ ١٠٥).

(٢) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به، ومعناه صحيح.

(٣) أخرجه الطبري بسند ضعيف عن إبراهيم فيه ابن حميد وهو محمد بن حميد الرازي وهو ضعيف؛ وأخرجه الطبري عن عبيد بن عمير بسند ضعيف منقطع.

(٤) أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد، وأخرجه الطبري بسند حسن من طريق سماك عن عكرمة؛ وأخرجه الطبري وعبد الرزاق بسند صحيح من طريق معمر عن قتادة.

(٥) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق عطاء عن ابن عباس.

(٦) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سفيان عن ابن جريج به.

(٧) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة بنحوه.

(٨) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي عن ابن عباس؛ وأخرجه الطبري وآدم بن أبي إياس بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.

(٩) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس، وأخرجه آدم والطبري بسند صحيح من =

وقال من فسرها بالإبل: هو الدفع صبحاً من المزدلفة إلى مِنَىٰ.

وقالوا كلهم في قوله: ﴿فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ﴿٤﴾﴾ هو: المكان الذي إذا حلَّت فيه أثارت به الغبار، إما في حج أو غزو.

وقوله: ﴿فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ﴿٥﴾﴾ قال العَوفي، عن ابن عباس، وعطاء، وعكرمة، وقتادة، والضحاك: يعني جَمع الكفار من العدو[١].

ويحتمل أن يكون: فوسطن بذلك المكان جَميعُهُن، ويكون ﴿جَمْعًا﴾ منصوباً على الحال المؤكدة.

وقد روى أبو بكر البزار هٰهنا حديثاً غريباً جداً فقال: حدثنا أحمد بن عبدة، حدثنا حفص بن جُمَيع، حدثنا سماك، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: بعث رسول الله ﷺ خيلاً فأشهرت شهراً لا يأتيه منها خبر، فنزلت ﴿وَٱلْعَـٰدِيَـٰتِ ضَبْحًا ﴿١﴾﴾ ضبحت بأرجلها، ﴿فَٱلْمُورِيَـٰتِ قَدْحًا ﴿٢﴾﴾ قدحت بحوافرها الحجارة فأورت ناراً ﴿فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ﴿٣﴾﴾ صَبَّحت القوم بغارة، ﴿فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ﴿٤﴾﴾ أثارت بحوافرها التراب، ﴿فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ﴿٥﴾﴾ قال: صبحت القوم جميعاً[٢].

وقوله: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾﴾ هذا هو المقسم عليه، بمعنى: أنه لنعم ربه لجحود كفور.

قال ابن عباس، ومجاهد وإبراهيم النَّخعِي، وأبو الجوزاء، وأبو العالية، وأبو الضحى، وسعيد بن جبير، ومحمد بن قيس، والضحاك، والحسن، وقتادة، والربيع بن أنس، وابن زيد: الكنود: الكفور[٣].

قال الحسن: هو الذي يعد المصائب، وينسى نعم ربه[٤].

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو كُرَيْب، حدثنا عبيد الله، عن إسرائيل، عن جعفر بن الزبير، عن القاسم، عن أبي أُمامة قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾﴾ قال: «الكفور الذي يأكل وحده، ويضرب عبده، ويمنع رفده»[٥].

= طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق أبي رجاء عن عكرمة؛ وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة.

(١) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق عطية العوفي عن ابن عباس، ويتقوىٰ بالآثار التالية، فقد أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق أبي رجاء عن عكرمة؛ وأخرجه الطبري وآدم بن أبي إياس بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة.

(٢) أخرجه البزار بسنده ومتنه. وأعله الحافظ ابن حجر بحفص بن جميع. (مختصر زوائد مسند البزار ٢/ ١٢٠ ح١٥٣٦)، وكذا أعله الهيثمي. (مجمع الزوائد ٧/ ١٤٢).

(٣) أخرجه الطبري بسندين عن ابن عباس يقوي أحدهما الآخر؛ وأخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق منصور عن مجاهد؛ وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن الحسن؛ وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة، وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

(٤) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق شعيب بن الحبحاب عن الحسن.

(٥) سنده ضعيف جداً لأن جعفر بن الزبير متروك كما قرر الحافظ ابن كثير.

ورواه ابن أبي حاتم، من طريق جعفر بن الزبير ـ وهو متروك ـ فهذا إسناد ضعيف. وقد رواه ابن جرير أيضاً من حديث حريز بن عثمان، عن حمزة بن هانئ، عن أبي أُمامة موقوفاً.

وقوله: ﴿وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ۝٧﴾ قال قتادة وسفيان الثوري: وإن الله على ذلك لشهيد[١].

ويحتمل أن يعود الضمير على الإنسان. قاله محمد بن كعب القرظي، فيكون تقديره: وإن الإنسان على كونه كنوداً لشهيد؛ أي: بلسان حاله؛ أي: ظاهر ذلك عليه في أقواله وأفعاله، كما قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ﴾ [التوبة: ١٧].

وقوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ۝٨﴾ أي: وإنه لحب الخير ـ وهو: المال ـ لشديد. وفيه مذهبان:

أحدهما: أن المعنى: وإنه لشديد المحبة للمال.

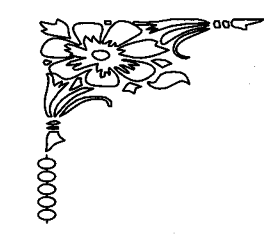
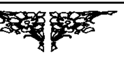
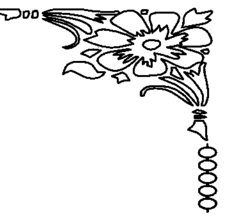
والثاني: وإنه لحريص بخيل؛ من محبة المال. وكلاهما صحيح.

ثم قال تعالى مُزَهِّداً في الدنيا، ومُرَغِّباً في الآخرة، ومنبهاً على ما هو كائن بعد هذه الحال، وما يستقبله الإنسان من الأهوال: ﴿۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ ۝٩﴾ أي: أخرج ما فيها من الأموات ﴿وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ ۝١٠﴾ قال ابن عباس وغيره؛ يعني: أبرز[٢] وأظهر ما كانوا يسرون في نفوسهم ﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ۝١١﴾ أي: لعالم بجميع ما كانوا يصنعون ويعملون، مجازيهم عليه أوفر الجزاء، ولا يظلم مثقال ذرة.

آخر [تفسير][٣] سورة ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ﴾، ولله الحمد والمنّة، [وحسبنا الله][٤].

---

(١) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.
(٢) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس.
(٣) زيادة من (ح).
(٤) زيادة من (ح).

سُورَةُ القَارِعَةِ

وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ٱلْقَارِعَةُ ① مَا ٱلْقَارِعَةُ ② وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ③ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ④ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ⑤ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ⑥ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ⑦ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ⑧ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ⑨ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ⑩ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ⑪﴾.

﴿ٱلْقَارِعَةُ ①﴾ من أسماء يوم القيامة، كالحاقة، والطامة، والصاخة، والغاشية، وغير ذلك.

ثم قال معظِّماً أمرها ومهوِّلاً لشأنها: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ③﴾ ثم فسر ذلك بقوله: ﴿يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ④﴾ أي: في انتشارهم وتفرقهم، وذهابهم ومجيئهم، من حيرتهم مما هم فيه، كأنهم فراش مبثوث، كما قال في الآية الأخرى: ﴿كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾ [القمر: ٧].

وقوله: ﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ⑤﴾ يعني: قد صارت كأنها الصوف المنفوش، الذي قد شَرَع في الذهاب والتمزق.

قال مجاهد، وعكرمة، وسعيد بن جبير، والحسن، وقتادة، وعطاء الخراساني، والضحاك، والسدي: «الْعِهْنِ»: الصوف(١).

ثم أخبر تعالى عما يؤول إليه عمل العاملين، وما يصيرون إليه من الكرامة أو الإهانة، بحسب أعمالهم، فقال: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ⑥﴾ أي: رجحت حسناته على سيئاته، ﴿فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ⑦﴾ يعني: في الجنة. ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ⑧﴾ أي: رجحت سيئاته على حسناته.

وقوله: ﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ⑨﴾ قيل معناه: فهو ساقط هاوٍ بأم رأسه في نار جهنم. وَعَبَّر عنه بأمه - يعني: دماغه - رُوي نحو هذا عن ابن عباس، وعكرمة، وأبي صالح، وقتادة.

قال قتادة: يهوي في النار على رأسه(٢). وكذا قال أبو صالح: يهوون في النار على رؤوسهم(٣).

وقيل: معناه: ﴿فَأُمُّهُۥ﴾ التي يرجع إليها، ويصير في المعاد إليها ﴿هَاوِيَةٌ﴾ وهي اسم من أسماء النار.

---

(١) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٢) أخرجه الطبري بسند جيد من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٣) أخرجه الطبري بسند جيد من طريق إسماعيل، وهو ابن أبي خالد، عن أبي صالح.

قال ابن جرير: وإنما قيل: الهاوية: أمه؛ لأنه لا مأوىٰ له غيرها[١].

وقال ابن زيد: الهاوية: النار، هي أُمه ومأواه التي يرجع إليها ويأوي إليها، وقرأ: ﴿وَمَأْوَنٰهُمُ ٱلنَّارُ﴾[٢] [آل عمران: ١٥١].

قال ابن أبي حاتم: ورُوي عن قتادة أنه قال: هي النار، وهي مأواهم[٣]. ولهذا قال تعالى مفسراً للهاوية: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ۝١١﴾.

قال ابن جرير: حدثنا ابن عبد الأعلى: حدثنا ابن ثور، عن مَعْمَر، عن الأشعث بن عبد الله الأعمى قال: إذا مات المؤمن ذهب بروحه إلى أرواح المؤمنين، فيقولون: رَوِّحُوا أخاكم، فإنه كان في غَمّ الدنيا. قال: ويسألونه: ما فعل فلان؟ فيقول: مات، أو ما جاءكم؟ فيقولون: ذهب به إلى أمه الهاوية[٤].

وقد رواه ابن مَرْدَوَيّه من طريق أنس بن مالك مرفوعاً، بأبسط من هذا. وقد أوردناه في كتاب «صفة النار»، أجارنا الله منها بمنه وكرمه[٥].

وقوله: ﴿نَارٌ حَامِيَةٌۢ ۝١١﴾ أي: حارة شديدة الحر، قوية اللهيب والسعير.

قال أبو مصعب، عن مالك، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة: أن النبي ﷺ قال: «نار بني آدم التي تُوقدون جزء من سبعين جزء من نار جهنم». قالوا: يا رسول الله، إن كانت لكافية. فقال: «إنها فُضّلَت عليها بتسعة وستين جُزءاً»[٦].

ورواه البخاري، عن إسماعيل بن أبي أويس، عن مالك. ورواه مسلم عن قُتيبة، عن المغيرة بن عبد الرحمٰن، عن أبي الزِّناد، به. وفي بعض ألفاظه: «إنها فُضلت عليها بتسعة وستين جزءاً، كلهنَّ مثل حرّها»[٧].

وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرحمٰن، حدثنا حماد ـ وهو ابن سلمة ـ عن محمد بن زياد سمع أبا هريرة يقول: سمعت أبا القاسم ﷺ يقول: «نار بني آدم التي توقدون، جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم». فقال رجل: إن كانت لكافية. فقال: «لقد فُضلت عليها بتسعة وستين جزءاً حَراً فحرا»[٨].

تفرد به أحمد من هذا الوجه، وهو على شرط مسلم.

---

(١) ذكره الطبري بنحوه.
(٢) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.
(٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة.
(٤) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، ورجاله ثقات لكنه كالمرسل.
(٥) عزاه السيوطي إلى ابن مردويه.
(٦) أخرجه مالك بسنده ومتنه. (الموطأ، كتاب جهنم، باب ما جاء في صفة جهنم ص٩٩٤ ح١) وسنده صحيح.
(٧) صحيح البخاري، بدء الخلق، باب صفة النار (ح٣٢٦٥)؛ وصحيح مسلم، الجنة وصفة نعيمها، باب في شده حر نار جهنم (ح٢٨٤٣).
(٨) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه، وصحح سنده محققوه. (المسند ١٦/ ٧٨ ح١٠٠٣٢).

وقال الإمام أحمد أيضاً: حدثنا سفيان، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هُرَيرة، عن النبي ﷺ - وعمرو، عن يحيى بن جَعْدة -: «إن ناركم هذه جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم، وضربت بالبحر مرتين، ولولا ذلك ما جعل الله فيها منفعة لأحد»(١).

وهذا على شرط الصحيحين، ولم يخرجوه من هذا الوجه، وقد رواه مسلم في صحيحه من طريق [أبي الزناد](٢)(٣).

ورواه البزار من حديث عبد الله بن مسعود، وأبي سعيد الخدري: «ناركم هذه جزء من سبعين جزءاً»(٤).

وقد قال الإمام أحمد: حدثنا قتيبة، حدثنا عبد العزيز - هو ابن محمد الدراوردي - عن سُهَيل، عن أبيه، عن أبي هُريرة، عن النبي ﷺ قال: «هذه النار جزء من مائة جزء من جهنم»(٥).

تفرد به أيضاً من هذا الوجه، وهو على شرط مسلم أيضاً.

وقال أبو القاسم الطبراني: حدثنا أحمد بن عمرو الخلال، حدثنا إبراهيم بن المنذر الحزاميّ، حدثنا مَعْن بن عيسى القزاز، عن مالك، عن عَمّه أبي سُهَيل، عن أبيه، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «أتدرون ما مثل ناركم هذه من نار جهنم؟ لهي أشد سواداً من دخان ناركم هذه بسبعين ضعفاً»(٦).

وقد رواه أبو مصعب، عن مالك، ولم يرفعه. وروى الترمذي وابن ماجه، عن عباس الدُّوريّ، عن يحيى بن أبي بُكَيْر: حدثنا شريك، عن عاصم، عن أبي صالح، عن أبي هُرَيرة. قال: قال رسول الله ﷺ: «أوقد على النار ألف سنة حتى احمرت، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضت، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودت، فهي سوداء مظلمة»(٧).

وقد روي هذا من حديث أنس(٨) وعمر بن الخطاب.

وجاء في الحديث - عند الإمام أحمد - من طريق أبي عثمان النَّهدي، عن أنس - وأبي نضرة العَبْديّ، عن أبي سعيد وعَجْلان مولى [المُشْمَعّل](٩)، عن أبي هريرة - عن النبي ﷺ أنه قال: «إن أهون أهل النار عذاباً من له نعلان يغلي منهما دماغه»(١٠).

---

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٢/ ٢٤٤) وسنده صحيح.

(٢) كذا في (ح)، وفي الأصل بياض.

(٣) صحيح مسلم، الجنة وصفة نعيمها، باب في شده حر نار جهنم (ح٢٨٤٣).

(٤) يشهد لهما ما تقدم.

(٥) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه، وقال محققوه: إسناده قوي. (المسند ١٤/ ٤٩٢ ح٨٩٢١).

(٦) أخرجه الطبراني (المعجم الأوسط ١/ ١٥٥ ح٤٨٥) وقال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح. (مجمع الزوائد ١٠/ ٣٨٧).

(٧) تقدم تخريجه في تفسير سورة التوبة آية ٨١.

(٨) تقدم تخريجه في تفسير سورة التوبة آية ٨١.

(٩) كذا في (ح) و(حم) ومسند أحمد، وفي الأصل صحف إلى: «المعل».

(١٠) تقدم تخريجه في تفسير سورة التوبة آية ٨١.

وثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «اشتكت النار إلى ربها فقالت: يا ربِّ، أكل بعضي بعضاً، فأذن لها بنَفَسين: نفس في الشتاء، ونفس في الصيف. فأشدّ ما تجدون في الشتاء من بردها، وأشدّ ما تجدون في الصيف من حرِّها»[1].

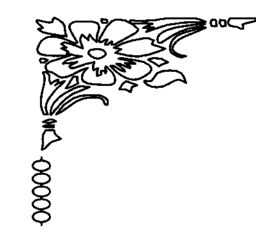
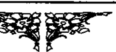
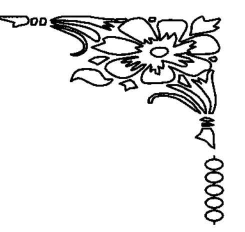
وفي الصحيحين: «إذا اشتدَّ الحر فأبردوا عن الصلاة، فإن شدة الحرِّ من فَيح جَهَنم»[2].

آخر تفسير سورة ﴿ٱلْقَارِعَةُ﴾.

---

(١) صحيح البخاري، بدء الخلق، باب صفة النار وأنها مخلوقة (ح٣٢٦٠)؛ وصحيح مسلم، المساجد، باب استحباب الإبراد بالظهر (ح٦١٧).

(٢) صحيح البخاري، مواقيت الصلاة، باب الإبراد بالظهر في شدة الحر (ح٥٣٣)؛ وصحيح مسلم، الباب السابق (ح٦١٥).

سُورَةُ التَّكَاثُرِ

وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ۝٧ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨﴾.

يقول تعالى: شغلكم حبُّ الدنيا ونعيمها وزهرتها عن طلب الآخرة وابتغائها، وتمادى بكم ذلك حتى جاءكم الموت وزرتم المقابر، وصرتم من أهلها.

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا زكريا بن يحيى الوقَّار المصري، حدثني خالد بن عبد الدايم، عن ابن زيد بن أسلم، عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١﴾ عن الطاعة ﴿حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢﴾ حتى يأتيكم الموت»(١).

وقال الحسن البصري: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١﴾ في الأموال والأولاد(٢).

وفي صحيح البخاري، في «الرقاق» منه: وقال لنا أبو الوليد: حدثنا حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أنس بن مالك، عن أُبي بن كعب قال: كنا نرى هذا من القرآن حتى نزلت: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١﴾(٣) يعني: «لو كان لابن آدم وادٍ من ذهب»(٤).

وقال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة: سمعت قتادة يحدث عن مُطَرِّف ـ يعني ابن عبد الله بن الشِّخِّير ـ عن أبيه قال: انتهيت إلى رسول الله ﷺ وهو يقول: «﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١﴾، يقول ابن آدم: مالي مالي. وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأمضيت؟»(٥).

ورواه مسلم والترمذي والنسائي، من طريق شعبة، به(٦).

---

(١) سنده ضعيف لضعف ابن زيد بن أسلم، وهو عبد الرحمٰن.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة من طريق إسماعيل، وهو ابن مسلم المكي، عن الحسن، وسنده ضعيف لضعف إسماعيل (التقريب ص١١٠)، ومعناه صحيح.

(٣) أخرجه البخاري بسنده ومتنه (الصحيح، الرقاق، باب ما يُتقىٰ من فتنة المال ح٦٤٤٠).

(٤) المصدر السابق (ح٦٤٣٩).

(٥) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٤/ ٢٤) وسنده صحيح.

(٦) صحيح مسلم، الزهد (ح٢٩٥٨)؛ وسنن الترمذي، التفسير، باب ومن سورة ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١﴾ [التكاثر] (ح٣٣٥٤)؛ والسنن الكبرىٰ، التفسير، باب سورة التكاثر (ح١١٦٩٦).

وقال مسلم في صحيحه: حدثنا سُوَيد بن سعيد، حدثنا حفص بن ميسرة، عن العلاء، عن أبيه، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول العبد: مالي مالي؟ وإنما له من ماله ثلاث: ما أكل فأفنى، أو لبس فأبلى، أو تصدق فاقتنى، وما سوى ذلك فذاهب وتاركه للناس». تفرد به مسلم[١].

وقال البخاري: حدثنا الحُمَيدي، حدثنا سفيان، حدثنا عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، سمع أنس بن مالك يقول: قال رسول الله ﷺ: «يتبع الميت ثلاثةٌ، فيرجع اثنان ويبقى معه واحد: يتبعه أهله وماله وعمله، فيرجع أهله وماله، ويبقى عمله»[٢].

وكذا رواه مسلم والترمذي والنسائي، من حديث سفيان بن عيينة، به[٣].

وقال الإمام أحمد: حدثنا يحيى، عن شعبة، حدثنا قتادة، عن أنس: أن النبي ﷺ قال: «يهرم ابن آدم وتبقى منه اثنتان: الحرص والأمل»[٤]. أخرجاه في الصحيحين[٥].

وذكر الحافظ ابن عساكر، في ترجمة الأحنف بن قيس ـ واسمه الضحاك ـ أنه رأى في يد رجل درهما فقال: لمن هذا الدرهم؟ فقال الرجل: لي. فقال: إنما هو لك إذا أنفقته في أجر أو ابتغاء شكر. ثم أنشد الأحنف متمثلاً قول الشاعر:

أنــتَ لـلـمـال إذا أمـسـكـتَـه ... فـإذا أنـفـقـتَـه فـالـمـالُ لَـكْ[٦]

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا أبو أسامة قال: صالح بن حيان، حدثني عن ابن بُريدة في قوله: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١﴾ قال: نزلت في قبيلتين من قبائل الأنصار، في بني حارثة وبني الحارث، تفاخروا وتكاثروا، فقالت إحداهما: فيكم مثلُ فلان بن فلان، وفلان؟ وقال الآخرون مثل ذلك، تفاخروا بالأحياء، ثم قالوا: انطلقوا بنا إلى القبور. فجعلت إحدى الطائفتين تقول: فيكم مثل فلان؟ يشيرون إلى القبر ـ ومثل فلان؟ وفعل الآخرون مثل ذلك، فأنزل الله: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢﴾ لقد كان لكم فيما رأيتم عبرة وشغل[٧].

وقال قتادة: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢﴾ كانوا يقولون نحن أكثر من بني فلان، ونحن أعَدُّ من بني فلان، وهم كل يوم يتساقطون إلى آخرهم، والله ما زالوا كذلك حتى صاروا من أهل القبور كلهم[٨].

---

(١) أخرجه مسلم بسنده ومتنه. (الصحيح، الزهد ح٢٩٥٩).
(٢) أخرجه البخاري بسنده ومتنه. (الصحيح، الرقاق، باب سكرات الموت ح٦٥١٤).
(٣) صحيح مسلم، الزهد (ح٢٩٦٠)؛ وسنن الترمذي، الزهد، باب ما جاء مثل ابن آدم وعمله (ح٢٣٧٩)؛ والسنن الكبرىٰ للنسائي، الجنائز، باب النهي عن سب الأموات (ح٢٠٦٤).
(٤) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه. (المسند ٣/ ١١٥) وسنده صحيح.
(٥) صحيح البخاري، الرقاق، باب من بلغ ستين سنة فقد أعذر (ح٦٤٢١)؛ وصحيح مسلم، الزكاة، باب كراهة الحرص علىٰ الدنيا (ح١٠٤٧).
(٦) تاريخ دمشق ٨/ل٤٤٣.
(٧) سنده ضعيف لأنه مرسل، ويتقوى بالمرسل التالي.
(٨) أخرجه الطبري بسند رجاله ثقات لكنه مرسل.

والصحيح أن المراد بقوله: ﴿زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ﴾ أي: صرتم إليها ودفنتم فيها، كما جاء في الصحيح: أن رسول الله ﷺ دخل على رجل من الأعراب يعوده، فقال: «لا بأس، طهور إن شاء الله». فقال: قلت: طَهُور؟! بل هي حمى تفور، على شيخ كبير، تُزيره القبور! قال: «فَنَعَم إذاً»[(١)].

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زُرْعَة، حدثنا محمد بن سعيد الأصبهاني، أخبرنا حكام بن سلم الرازي، عن عمرو بن أبي قيس، عن الحجاج، عن المِنْهال، عن زر بن حُبَيش، عن علي قال: ما زلنا نشك في عذاب القبر حتىٰ نزلت ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝﴾[(٢)].

ورواه الترمذي عن أبي كُرَيب، عن حَكَّام بن سلم به، وقال: غريب[(٣)].

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا سلمة بن داود العُرضي، حدثنا أبو المليح الرقي، عن ميمون بن مهران قال: كنت جالساً عند عمر بن عبد العزيز، فقرأ: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝﴾ فلبث هُنَيهة فقال: يا ميمون، ما أرى المقابر إلا زيارة، وما للزائر بد من أن يرجع إلى منزله[(٤)].

قال أبو محمد[(٥)]: يعني أن يرجع إلى منزله، إلى جنة أو نار.

وهكذا ذُكرَ أن بعضَ الأعراب سمع رجلاً يتلو هذه الآية: ﴿حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝﴾ فقال: بُعثَ اليوم وربِّ الكعبة؛ أي: إن الزائر سيرحل من مقامه ذلك إلى غيره.

وقوله: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝﴾ قال الحسن البصري: هذا وعيد بعد وعيد.

وقال الضحاك: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝﴾ يعني: الكفار، ﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝﴾ يعني: أيها المؤمنون[(٦)].

وقوله: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ۝﴾ أي: لو علمتم حق العلم، لما ألهاكم التكاثر عن طلب الدار الآخرة، حتى صرتم إلى المقابر.

ثم قال: ﴿لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ۝﴾ هذا تفسير الوعيد المتقدم، وهو قوله: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝﴾ توعَّدهم بهذا الحال، وهي رؤية النار، التي إذا زفرت زفرة خَرّ كل ملك مقرب، ونبي مرسل على ركبتيه، من المهابة والعظمة ومعاينة الأهوال، على ما جاء به الأثر المروي في ذلك.

وقوله: ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝﴾ أي: ثم لتسئلن يومئذٍ عن شكر ما أنعم الله به

---

(١) أخرجه البخاري من حديث ابن عباس رضي الله عنهما. (الصحيح، المناقب، باب علامات النبوة ح٣٦١٦).
(٢) أخرجه الترمذي من طريق حكام بن سلم به. (السنن، التفسير، باب ومن سورة ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝﴾ [التكاثر] ح٣٣٥٥)؛ وضعفه الألباني في ضعيف سنن الترمذي (ح٦٦٥)؛ وأخرجه الطبري أيضاً بسند ضعيف.
(٣) تقدم تخريجه في الرواية السابقة.
(٤) رجاله ثقات إلا سلمة بن داود العُرضي لم أجد له ترجمة.
(٥) هو ابن أبي حاتم الرازي صاحب التفسير.
(٦) أخرجه الطبري بسند فيه ابن حميد وهو محمد بن حميد الرازي وهو ضعيف.

عليكم، من الصحة والأمن والرزق وغير ذلك. ما إذا قابلتم به نعمه من شكره وعبادته.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زُرْعَة، حدثنا زكريا بن يحيى الخزاز المقري، حدثنا عبد الله بن عيسى أبو خالد الخزاز، حدثنا يونس بن عبيد، عن عكرمة، عن ابن عباس أنه سمع عمر بن الخطاب يقول: خرج رسول الله ﷺ عند الظهيرة، فوجد أبا بكر في المسجد فقال: «ما أخرجك هذه الساعة؟» قال: أخرجني الذي أخرجك يا رسول الله. قال: وجاء عمر بن الخطاب فقال: «ما أخرجك يا ابن الخطاب؟» قال: أخرجني الذي أخرجكما. قال: فقعد عمر، وأقبل رسول الله ﷺ يحدثهما، ثم قال: «هل. بكما من قوة، تنطلقان إلى هذا النخل فتصيبان طعاماً وشراباً وظلاً؟» قلنا: نعم. قال: «مُروا بنا إلى منزل ابن التَّيهان أبي الهيثم الأنصاري». قال: فتقدم رسول الله ﷺ بين أيدينا، فسلم واستأذن - ثلاث مرات - وأم الهيثم من وراء الباب تسمع الكلام، تريد أن يزيدها رسول الله ﷺ من السلام، فلما أراد أن ينصرف خرجت أم الهيثم تسعى خلفهم، فقالت: يا رسول الله، قد - والله - سمعت تسليمك، ولكن أردت أن تزيدنا من سلامك. فقال لها رسول الله ﷺ: «خيراً». ثم قال: «أين أبو الهيثم؟ لا أراه». قالت: يا رسول الله، هو قريب ذهب يَستعذبُ الماء، ادخلوا فإنه يأتي الساعة إن شاء الله، فبسطت - بساطاً تحت شجرة، فجاء أبو الهيثم ففرح بهم وقرت عيناه بهم، فصعد على نخلة فصرم لهم أعذاقاً، فقال له رسول الله ﷺ: «حَسْبُكَ يا أبا الهيثم». قال: يا رسول الله، تأكلون من بُسره، ومن رطبه، ومن تَذْنُوبه، ثم أتاهم بماء فشربوا عليه، فقال رسول الله ﷺ: «هذا من النعيم الذي تسألون عنه»[(١)]. هذا غريب من هذا الوجه.

وقال ابن جرير: حدثني الحُسَين بن علي الصدائي، حدثنا الوليد بن القاسم، عن يزيد بن كيسان، عن أبي حازم عن أبي هريرة قال: بينما أبو بكر وعمر جالسان، إذ جاءهما النبي ﷺ فقال: «ما أجلسكما هٰهنا؟» قالا: والذي بعثك بالحق ما أخرجنا من بيوتنا إلا الجوع. قال: «والذي بعثني بالحق ما أخرجني غيره». فانطلقوا حتى أتوا بيت رجل من الأنصار، فاستقبلتهم المرأة، فقال لها النبي ﷺ: «أين فلان؟» فقالت: ذهب يستعذب لنا ماء. فجاء صاحبهم يحمل قربته فقال: مرحباً، ما زار العباد شيء أفضل من شيء زارني اليوم. فعلق قِرْبَتَه بكرب نخلة، وانطلق فجاءهم بعذْق، فقال النبي ﷺ: «ألا كنت اجتنيت»؟ فقال: أحببت أن تكونوا الذين تختارون على أعينكم. ثم أخذ الشفرة، فقال النبي ﷺ: «إياك والحلوب؟» فذبح لهم يومئذ، فأكلوا. فقال النبي ﷺ: «لتسئلن عن هذا يوم القيامة. أخرجكم من بيوتكم الجوع، فلم ترجعوا حتى أصبتم هذا، فهذا من النعيم»[(٢)].

ورواه مسلم من حديث يزيد بن كيسان، به[(٣)]. ورواه أبو يعلى وابن ماجه، من حديث

---

(١) في سنده يونس بن عبيد وهو مقبول. (التقريب ص٦١٣) وعبد الله بن عيسىٰ بن خالد الخزاز وهو ضعيف. (التقريب ص٣١٧). فسنده ضعيف، ولبعضه شواهد كما يليه.

(٢) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده صحيح.

(٣) صحيح مسلم، الأشربة، باب جواز استتباعه غيره إلى دار من يثق برضاه بذلك (ح٢٠٣٨).

[المحاربي][(١)]، عن يحيى بن عُبيد الله، عن أبيه، عن أبي هريرة، عن أبي بكر الصديق، به[(٢)]. وقد رواه أهل السنن الأربعة، من حديث عبد الملك بن عمير، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة، بنحو من هذا السياق وهذه القصة.

وقال الإمام أحمد: حدثنا سُرَيج، حدثنا حشرج، عن أبي نُصرة، عن أبي عسيب ـ يعني مولى رسول الله ـ قال: خرج رسول الله ﷺ ليلاً فمرَّ بي، فدعاني فخرجت إليه، ثم مرّ بأبي بكرٍ فدعاه فخرج إليه، ثم مرَّ بعمرَ فدعاه فخرج إليه، فانطلق حتى دخل حائطاً لبعض الأنصار، فقال لصاحب الحائط: «أطعمنا». فجاء بِعذْق فوضعه، فأكل رسول الله ﷺ وأصحابه، ثم دعا بماء بارد فشرب، وقال: «لتسئلن عن هذا يوم القيامة». قال: فأخذ عُمَرُ العذْقَ فضَرب به الأرض، حتى تناثر البُسرُ قبل رسول الله ﷺ ثم قال: يا رسول الله، إنا لمسؤولون عن هذا يوم القيامة؟ قال: «نعم، إلا من ثلاثة: خرقة لفَّ بها الرجل عورته، أو كسرة سَدَّ بها جوعته، أو جحر تَدخَّل فيه من الحرِّ والقرِّ»[(٣)]. تفرد به أحمد.

وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الصمد، حدثنا حماد، حدثنا عمار، سمعت جابر بن عبد الله يقول: أكل رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر رطباً، وشربوا ماء، فقال رسول الله ﷺ: «هذا من النعيم الذي تسألون عنه»[(٤)].

ورواه النسائي، من حديث حماد بن سلمة [عن عمار بن أبي عمار، عن جابر][(٥)]، به[(٦)].

وقال الإمام أحمد: حدثنا أحمد: حدثنا يزيد، حدثنا محمد بن عمرو، عن صفوان بن سليم، عن محمود بن الربيع قال: لما نزلت ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝﴾ فقرأ حتى بلغ: ﴿لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾ قالوا: يا رسول الله، عن أي نعيم نُسأل؟ وإنما هما الأسودان الماء والتمر، وسيوفنا على رقابنا، والعدو حاضر، فعن أي نعيم نُسأل؟ قال: «أما إن ذلك سيكون»[(٧)].

وقال أحمد: حدثنا أبو عامر عبد الملك بن عمرو، حدثنا عبد الله بن سليمان، حدثنا معاذ بن عبد الله بن حُبَيب، عن أبيه، عن عمه قال: كنا في مجلس فطلع علينا النبي ﷺ وعلى رأسه أثر

---

(١) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل صحف إلى: «المكاري».

(٢) (مسند أبي يعلىٰ ١/ ٧٩ ح٧٨)؛ وسنن ابن ماجه، الذبائح، باب النهي عن ذبح ذوات الدر (ح٣١٨١)؛ وضعفه البوصيري والألباني في ضعيف سنن ابن ماجه، ويشهد له سابقه.

(٣) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه. (المسند ٣٤/ ٣٦٧ ح٢٠٧٦٨) وقال محققوه: حَشرج، وهو ابن نباتة الأشجعي، مختلف فيه.اهـ. وحسنه الحافظ ابن حجر حيث قال في ترجمة أبي عسيب: أخرج له ابن منده حديثاً من رواية حشرج بن نباته عن أبي نضرة، وإسناده حسن (الإصابة ١٠/ ٢٥٤).

(٤) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه، وصحح سنده محققوه. (المسند ٢٣/ ٩٨ ح١٤٧٨٦).

(٥) زياد من (حم).

(٦) سنن النسائي، الوصايا، باب قضاء الدين قبل الميراث ٦/ ٢٤٦؛ وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي (ح٣٤٠٠).

(٧) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه، وقال محققوه: حديث حسن على اختلاف في إسناده على محمد بن عمرو. (المسند ٣٩/ ٤٧ ح٢٣٦٤٠)؛ وأخرجه ابن أبي شيبة من طريق محمد بن عمرو به (المصنف ٨/ ١٣١) وسنده حسن.

ماء، فقلنا: يا رسول الله، نراك طيب النفس. قال: «أجل». قال: ثم خاض الناس في ذكر الغنى، فقال رسول الله ﷺ: «لا بأس بالغنى لمن اتقى الله، والصحة لمن اتقى الله خير من الغنى، وطيب النفس من النعيم»[١].

ورواه ابن ماجه، عن أبي بكر بن أبي شيبة، عن خالد بن مخلد، عن عبد الله بن سليمان، به[٢].

وقال الترمذي: حدثنا عبد بن حميد، حدثنا شبابة، عن عبد الله بن العلاء، عن الضحاك بن عبد الرحمٰن بن عرزم الأشعري قال: سمعت أبا هريرة يقول: قال النبي ﷺ: «إن أول ما يسأل عنه - يعني: يوم القيامة - العبد من النعيم أن يقال له: ألم نُصِحّ لك جسمك، ونُرْوِكَ من الماء البارد»؟ تفرد به الترمذي[٣]. ورواه ابن حبان في صحيحه، من طريق الوليد بن مسلم، عن عبد الله بن العلاء بن زَبْر، به[٤].

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زُرْعَة، حدثنا مُسَدَّد، حدثنا سفيان، عن محمد بن عمرو، عن يحيى بن حاطب، عن عبد الله بن الزبير قال: قال الزبير: لما نزلت: ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾، قالوا: يا رسول الله، لأي نعيم نسأل عنه، وإنما هما الأسودان التمر والماء؟ قال: «إن ذلك سيكون»[٥]. وكذا رواه الترمذي وابن ماجه، من حديث سفيان - هو ابن عيينة - به. ورواه أحمد عنه[٦]، وقال الترمذي: حسن.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو عبد الله الطِّهْراني، حدثنا حفص بن عمر العَدَني، عن الحكم ابن أبان، عن عكرمة قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ⑧﴾، قالت الصحابة: يا رسول الله، وأي نعيم نحن فيه، وإنما نأكل في أنصاف بطوننا خبز الشعير؟ فأوحى الله إلى نبيه ﷺ: قل لهم: أليس تحتذون النعال، وتشربون الماء البارد؟ فهذا من النعيم[٧].

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زرعة، حدثنا إبراهيم بن موسى، أخبرنا محمد بن [سليمان][٨] بن الأصبهاني، عن ابن أبي ليلى - أظنه عن عامر - عن ابن مسعود، عن النبي ﷺ في قوله: ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ⑧﴾ قال: «الأمن والصحة»[٩].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه، وحسن سنده محققوه (المسند ٣٨/ ٢٢٩ ح٢٣٦٥٨).

(٢) سنن ابن ماجه، التجارات، باب الحث على المكاسب (ح٢١٤١) وصحح البوصيري سنده. (مصباح الزجاجة ٢/ ١٥٨)؛ وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (ح١٧٤١).

(٣) أخرجه الترمذي بسنده ومتنه. (السنن، التفسير، باب ومن سورة ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ①﴾ [التكاثر] ح٣٣٥٨)؛ وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (ح٢٦٧٤).

(٤) الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان ١٦/ ٣٦٤ (ح٧٣٢٠).

(٥) سنده حسن.

(٦) (المسند ١/ ١٧٤)؛ وسنن الترمذي، الباب السابق ٣٣٥٦؛ وسنن ابن ماجه الزهد، باب معيشة أصحاب النبي ﷺ (ح٤١٥٨)؛ وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي (ح٢٦٧٢).

(٧) سنده ضعيف لضعف حفص بن عمر العدني، وإرسال عكرمة.

(٨) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل صحف إلى: «السلمان».

(٩) في سنده محمد بن سليمان الأصبهاني: صدوق يخطئ (التقريب ص٤٨١)، وفيه تردد في قول الراوي: أظنه =

وقال زيد بن أسلم، عن رسول الله ﷺ: ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨﴾ يعني: شبع البطون، وبارد الشراب، وظلال المساكن، واعتدال الحلق، ولذة النوم. رواه ابن أبي حاتم بإسناده المتقدم عنه في أول السورة(١).

وقال سعيد بن جبير: حتى عن شربة عسل(٢).

وقال مجاهد، عن كل لذة من لذات الدنيا(٣).

وقال الحسن البصري: نعيم الغداء والعشاء.

وقال أبو قلابة: من النعيم أكل العسل والسمن بالخبز النقي. وقول مجاهد هذا أشمل هذه الأقوال.

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨﴾ قال: النعيم: صحة الأبدان والأسماع والأبصار، يسأل الله العباد فيما استعملوها، وهو أعلم بذلك منهم، وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾(٤) [الإسراء: ٣٦].

وثبت في صحيح البخاري وسنن الترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث عبد الله بن سعيد بن أبي هند، عن أبيه، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ»(٥).

ومعنى هذا: أنهم مقصرون في شكر هاتين النعمتين، لا يقومون بواجبهما، ومن لا يقوم بحق ما وجب عليه، فهو مغبون.

وقال الحافظ أبو بكر البزار: حدثنا القاسم بن محمد بن يحيى المروزي، حدثنا علي بن الحسن بن شقيق، حدثنا أبو حمزة، عن ليث، عن أبي فزارة، عن يزيد بن الأصم، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «ما فوق الإزار، وظل الحائط، وخُبْز، يحاسب به العبد يوم القيامة، أو يسأل عنه»(٦)، ثم قال: لا نعرفه إلا بهذا الإسناد.

وقال الإمام أحمد: حدثنا بَهْزُ وعفان قالا: حدثنا حماد ـ قال عفان في حديثه: قال إسحاق بن عبد الله، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «يقول الله ﷻ: ـ قال عفان: يوم

= عن عامر، ويشهد له ما أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس بنحوه.

(١) سنده ضعيف لأنه مرسل، والراوي عنه ابنه عبد الرحمٰن وهو ضعيف.

(٢) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق بكير بن عتيق عن سعيد بن جبير.

(٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد، وكذا أبو نعيم (حلية الأولياء ٣/ ٢٨١).

(٤) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس.

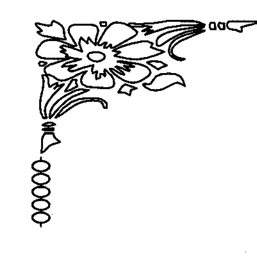
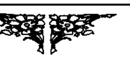
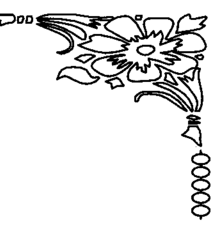
(٥) صحيح البخاري، الرقاق، باب ما جاء في الرقاق وأن لا عيش إلا عيش الآخرة (ح٦٤١٢)؛ وسنن الترمذي، الزهد، باب الصحة والفراغ (ح٢٣٠٤)؛ وسنن ابن ماجه، الزهد، باب الحكمة (ح٤١٧٠).

(٦) أخرجه البزار بسنده ومتنه (مختصر زوائد مسند البزار ٢/ ٥٠٥ ح٢٣٠١) قال الهيثمي: فيه ليث بن أبي سُليم، وقد وثق على ضعف فيه، وبقية رجاله رجال الصحيح غير القاسم بن محمد بن يحيىٰ المروزي وهو ثقة. (مجمع الزوائد ١٠/ ٢٦٧).

القيامة -: يابن آدم، حملتك على الخيل والإبل، وزوجتك النساء، وجعلتك تَرْبَع[١] وترأس[٢]، فأين شكر ذلك؟»[٣]. تفرد به من هذا الوجه.

آخر تفسير سورة «التكاثر»، ولله الحمد [والمنّة][٤].

(١) أي: تركتك مستريحاً لا تحتاج إلى مشقة وتعب (شرح صحيح مسلم للنووي ١٨/ ١٠٣).
(٢) أي: جعلتك رئيس القوم وكبيرهم (المصدر السابق).
(٣) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه، وصحح سنده محققوه. (المسند ١٦/ ٢٤٥ ح١٠٣٧٩).
(٤) زيادة من (حم).

سورة العصر
[وهي][1] مكية

ذكروا أن عمرو بن العاص وفدَ على مسيلمة الكذاب [لعنه الله][2]، [وذلك بعدما بعث رسول الله ﷺ][3] وقبل أن يسلم عمرو، فقال له مسيلمة: ماذا أنزل على صاحبكم في هذه المدة؟ قال: لقد أنزل عليه سورة وجيزة بليغة. فقال: وما هي؟ فقال: ﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ۝٣﴾. ففكر مسيلمة هُنَيهة ثم قال: وقد أنزل علي مثلها. فقال له عمرو: وما هو؟ فقال: يا وَبْر يا وَبْر، إنما أنت أذنان وصَدْر، وسائرك حفز نَقْز. ثم قال: كيف ترى يا عمرو؟ فقال له عمرو: والله إنك لتعلم أني أعلم أنك تكذب[4].

وقد رأيت أبا بكر الخرائطي أسند في كتابه المعروف بـ«مساوئ الأخلاق»، في الجزء الثاني منه، شيئاً من هذا أو قريباً منه[5].

والوبْر: دويبة تشبه الهرّ، أعظم شيء فيه أذناه، وصدره وباقيه دميم. فأراد مسيلمة أن يركب من هذا الهذيان ما يعارض به القرآن، فلم يرج ذلك على عابد الأوثان في ذلك الزمان.

وذكر الطبراني من طريق حماد بن سلمة، عن ثابت، عن عبد الله بن حصن أبي مدينة، قال: كان الرجلان من أصحاب رسول الله ﷺ إذا التقيا، لم يتفرقا إلا على أن يقرأ أحدهما على الآخر «سورة العصر» إلى آخرها، ثم يسلم أحدهما على الآخر[6].

وقال الشافعي رحمه الله: لو تدبر الناس هذه السورة، لوسعتهم.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ۝٣﴾.

العصر: الزمان الذي يقع فيه حَركاتُ بني آدم، من خير وشر.

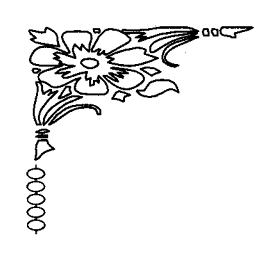
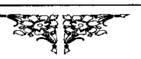
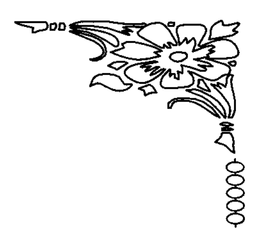
وقال مالك، عن زيد بن أسلم: هو العَشي[7]، والمشهور الأول.

---

(١) زيادة من (حم).
(٢) زيادة من (حم).
(٣) زيادة من (ح) و(حم).
(٤) تقدم تخريجه في تفسير سورة يونس آية ١٧.
(٥) مساوئ الأخلاق رقم ١٧٥، وذكر ابن شاهين قصة مسيلمة. (ينظر: الإصابة ٣/ ٢٢٥).
(٦) المعجم الأوسط ٥/ ٢١٥ (ح٥١٢٤)، وسنده مرسل.
(٧) سنده صحيح.

فأقسم تعالى بذلك على أن الإنسان لفي خسر؛ أي: في خسارة وهلاك، ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾، فاستثنى من جنس الإنسان عن الخسران الذين آمنوا بقلوبهم، وعملوا الصالحات بجوارحهم، ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ﴾ وهو أداء الطاعات، وترك المحرمات، ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ على المصائب والأقدار، وأذى مَن يؤذي ممن يأمرونه بالمعروف وينهونه عن المنكر.

آخر تفسير سورة «العصر»، ولله الحمد والمنة.

سُورَةُ ﴿وَيۡلٞ لِّكُلِّ هُمَزَةٖ لُّمَزَةٍ﴾

وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَيۡلٞ لِّكُلِّ هُمَزَةٖ لُّمَزَةٍ ۝١ ٱلَّذِي جَمَعَ مَالٗا وَعَدَّدَهُۥ ۝٢ يَحۡسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخۡلَدَهُۥ ۝٣ كَلَّاۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِي ٱلۡحُطَمَةِ ۝٤ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحُطَمَةُ ۝٥ نَارُ ٱللَّهِ ٱلۡمُوقَدَةُ ۝٦ ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلۡأَفۡـِٔدَةِ ۝٧ إِنَّهَا عَلَيۡهِم مُّؤۡصَدَةٞ ۝٨ فِي عَمَدٖ مُّمَدَّدَةِۭ ۝٩﴾.

الهماز: بالقول، واللماز: بالفعل. يعني: يزدري بالناس وينتقص بهم. وقد تقدم بيان ذلك في قوله: ﴿هَمَّازٖ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٖ ۝١١﴾ [القلم].

قال ابن عباس: ﴿هُمَزَةٖ لُّمَزَةٍ﴾ طعان معياب(١).

وقال الربيع بن أنس: الهُمَزة، يهمزه في وجه، واللمزة من خلفه(٢).

وقال قتادة: يهمزه ويلمزه بلسانه وعينه، ويأكل لحوم الناس، ويطعنُ عليهم(٣).

وقال مجاهد: الهمزة: باليد والعين، واللمزةُ: باللسان(٤). وهكذا قال ابن زيد(٥).

وقال مالك، عن زيد بن أسلم: هُمَزة لحوم الناس(٦).

ثم قال بعضهم: المراد بذلك الأخنس بن شَرِيق(٧). وقيل غيره(٨). وقال مجاهد: هي عامة(٩).

وقوله: ﴿ٱلَّذِي جَمَعَ مَالٗا وَعَدَّدَهُۥ ۝٢﴾ أي: جمعه بعضه على بعض، وأحصى عدده كقوله: ﴿وَجَمَعَ فَأَوۡعَىٰٓ ۝١٨﴾ [المعارج]. قاله السدي، وابن جرير(١٠).

---

(١) أخرجه الطبري بسند جيد من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس بلفظ: «طعان مغتاب».
(٢) أخرجه الطبري بسند جيد من طريق أبي جعفر الرازي عن الربيع عن أبي العالية.
(٣) أخرجه عبد الرزاق والطبري بسند صحيح من طريق معمر عن قتادة.
(٤) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد بلفظ: «الهُمزة باليد واللُّمزة باللسان».
(٥) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.
(٦) سنده صحيح.
(٧) ذكره الطبري من غير سند، وعزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم عن السدي.
(٨) أخرجه الطبري بسند مرسل من طريق ابن أبي نجيح عن رجل نزلت في جميل بن عامر الجُمحي.
(٩) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.
(١٠) ذكره الطبري بنحوه، وعزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم عن السدي.

وقال محمد بن كعب في قوله: ﴿جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ﴾: ألهاه ماله بالنهار، هذا إلى هذا، فإذا كان الليل، نام كأنه جيفة.

وقوله: ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ﴿٣﴾﴾ أي: يظن أن جمعه المال يخلده في هذه الدار؟ ﴿كَلَّا﴾ أي: ليس الأمر كما زعم ولا كما حسب. ثم قال تعالى: ﴿لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ﴾ أي: ليلقين هذا الذي جمع مالاً فعدده[1] في الحطمة وهي اسم من أسماء النار صفة؛ لأنها تحطم من فيها. ولهذا قال: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ﴿٦﴾ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ﴿٧﴾﴾.

قال ثابت البناني: تحرقهم إلى الأفئدة وهم أحياء، ثم يقول: لقد بلغ منهم العذاب، ثم يبكي.

وقال محمد بن كعب: تأكل كل شيء من جسده، حتى إذا بلغت فؤاده حَذْوَ حلقه ترجع على جسده.

وقوله: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴿٨﴾﴾ أي: مطبقة كما تقدم تفسيره في سورة البلد[2].

وقال ابن مَرْدُويه: حدثنا عبد الله بن محمد، حدثنا علي بن سراج، حدثنا عثمان بن [خَرزَاذ][3]، حدثنا شجاع بن أشرس، حدثنا شريك، عن عاصم، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴿٨﴾﴾ قال: «مطبقة»[4].

وقد رواه أبو بكر بن أبي شيبة، عن عبد الله بن أسيد، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن أبي صالح قوله ولم يرفعه[5].

﴿فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ ﴿٩﴾﴾ قال عطية العوفي[6]: عمد من حديد.

وقال السُّدِّي[7]: من نار.

وقال شبيب بن بشر، عن عكرمة، عن ابن عباس: ﴿فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ ﴿٩﴾﴾ يعني: الأبواب هي الممدودة[8].

وقال قتادة: في قراءة عبد الله بن مسعود: «إنها عليهم مؤصدة بعمد ممدة»[9].

وقال العوفي، عن ابن عباس: أدخلهم في عَمَد فمدت عليهم بعماد، وفي أعناقهم السلاسل فسدت بها الأبواب[10].

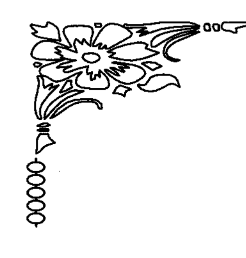
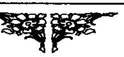
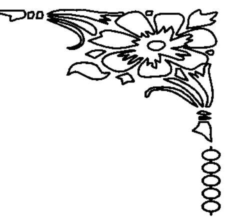
وقال قتادة: كنا نحدث أنهم يعذبون بعمد في النار[11]. واختاره ابن جرير.

وقال أبو صالح: ﴿فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ ﴿٩﴾﴾ يعني: القيود الطوال[12].

آخر تفسير سورة ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾، ولله الحمد والمنة.

---

(١) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.
(٢) آية ٢٠.
(٣) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل صُحف إلى: جردار.
(٤) تقدم تخريجه في تفسير سورة البلد آية ٢٠. (٥) سنده جيد.
(٦) عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم عن عطية. (٧) عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم عن السدي.
(٨) سنده حسن، وعزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم عن ابن عباس.
(٩) عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم، وسنده منقطع لأن قتادة لم يسمع من ابن مسعود، والقراءة شاذة تفسيرية.
(١٠) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به. (١١) أخرجه الطبري بسند رجاله ثقات لكنه مرسل.
(١٢) عزاه السيوطي إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم.

سُورَةُ الفِيل

وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍۭ ۝٥﴾.

هذه من النعم التي امتنَّ الله بها على قريش، فيما صرف عنهم من أصحاب الفيل، الذين كانوا قد عزموا على هدم الكعبة ومحو أثرها من الوجود، فأبادهم الله، وأرغم آنافهم، وخيب سعيهم، وأضلَّ عملهم، وَرَدهم بشر خيبة. وكانوا قوماً نصارى، وكان دينهم إذ ذاك أقرب حالاً مما كان عليه قريش من عبادة الأوثان. ولكن كان هذا من باب الإرهاص والتوطئة لمبعث رسول الله ﷺ، فإنه في ذلك العام ولد على أشهر الأقوال، ولسان حال القدر يقول: لم ننصركم - يا معشر قريش - على الحبشة لخيريتكم عليهم، ولكن صيانة للبيت العتيق الذي سنشرفه ونعظمه ونوقره ببعثة النبي الأُمي محمد، صلوات الله وسلامه عليه، خاتم الأنبياء.

وهذه قصة أصحاب الفيل على وجه الإيجاز والاختصار والتقريب، قد تقدم[1] في قصة أصحاب الأخدود: أن ذا نُوَاس - وكان آخر ملوك حمير، وكان مشركاً - هو الذي قتل أصحاب الأخدود، وكانوا نصارى، وكانوا قريباً من عشرين ألفاً، فلم يفلت منهم إلا دَوس ذو ثعلبان، فذهب فاستغاث بقيصر ملك الشام - وكان نصرانياً - فكتب له إلى النجاشي ملك الحبشة؛ لكونه أقرب إليهم، فبعث معه أميرين: أرياط وأبرهة بن الصباح أبا يكسوم، في جيش كثيف، فدخلوا اليمن فجاسوا خلال الديار، واستلبوا الملك من حمير، وهلك ذو نواس غريقاً في البحر. واستقل الحبشة بملك اليمن وعليهم هذان الأميران: أرياط وأبرهة، فاختلفا في أمرهما وتصاولا وتقاتلا وتصافا، فقال أحدهما للآخر: إنه لا حاجة بنا إلى اصطدام الجيشين بيننا، ولكن أبرز إلي وأبرز إليك، فأينا قتل الآخر، استقل بعده بالملك. فأجابه إلى ذلك فتبارزا، وخَلْفَ كل واحد منهما قناة، فحمل أرياط على أبرهة فضربه بالسيف، فشرم أنفه وفمه وشق وجهه، وحمل عَتَوْدَة مولى أبرهة على أرياط فقتله، ورجع أبرهة جريحاً، فداوى جرحه فَبَرأ، واستقل بتدبير جيش الحبشة باليمن. فكتب إليه النجاشي يلومه على ما كان منه، ويتوعده ويحلف ليطأن بلاده

(١) تقدم ذكر القصة مختصراً في تفسير سورة البروج ١ - ١٠. وقصة أصحاب الفيل سردها ابن هشام. (السيرة النبوية ١/ ٤١ - ٥٧).

ويجزن ناصيته. فأرسل إليه أبرهة يترقق له ويصانعه، وبعث مع رسوله بهدايا وتحف، وبجراب فيها من تراب اليمن، وجزَّ ناصيته فأرسلها معه، ويقول في كتابه: ليطأ الملك على هذا الجراب، فيبرّ قسمه، وهذه ناصيتي قد بعثت بها إليك. فلما وصل ذلك إليه أعجبه منه، ورضي عنه، وأقره على عمله. وأرسل أبرهة يقول للنجاشي: إني سأبني لك كنيسة بأرض اليمن لم يُبْنَ قبلها مثلها. فشرع في بناء كنيسة هائلة بصنعاء، رفيعة البناء، عالية الفناء، مزخرفة الأرجاء؛ سمتها العرب: القُلَّيس؛ لارتفاعها؛ لأن الناظر إليها تكاد تسقط قلنسوته عن رأسه من ارتفاع بنائها. وعزم أبرهة الأشرمُ على أن يصرف حَجّ العرب إليها كما يُحَج إلى الكعبة بمكة، ونادى بذلك في مملكته، فكرهت العرب العدنانية والقحطانية ذلك، وغضبت قريش لذلك غضباً شديداً، حتى قصدها بعضهم، وتوصل إلى أن دخلها ليلاً. فأحدث فيها وكرّ راجعاً. فلما رأى السدنة ذلك الحدث، رفعوا أمرهم إلى ملكهم أبرهة، وقالوا له: إنما صنع هذا بعض قريش غضباً لبيتهم الذي ضاهيت هذا به، فأقسم أبرهة ليسيرنَّ إلى بيت مكة، وليخربنَّه حَجراً حَجراً.

وذكر مقاتل بن سليمان أن فتية من قريش دخلوها فأججوا فيها ناراً، وكان يوماً فيه هواء شديد فأحرقته، وسقطت إلى الأرض.

فتأهبَّ أبرهة لذلك، وصار في جيش كثيف عَرَمرم؛ لئلا يصده أحد عنه، واستصحب معه فيلاً عظيماً كبير الجثة لم ير مثله، يقال له: محمود، وكان قد بعثه إليه النجاشي ملك الحبشة لذلك. ويقال: كان معه أيضاً ثمانية أفيال. وقيل: اثنا عشر فيلاً. وقيل غيره، والله أعلم. يعني ليهدم به الكعبة، بأن يجعل السلاسل في الأركان، وتوضع في عُنُق الفيل، ثم يزجر ليلقي الحائط جملة واحدة. فلما سمعت العرب بمسيره أعظموا ذلك جداً، ورأوا أن حقاً عليهم المحاجبة دون البيت، وَرَد من أراده بكيد. فخرج إليه رجل من أشراف أهل اليمن وملوكهم، يقال له: «ذو نَفْر» فدعا قومه ومن أجابه من سائر العرب إلى حرب أبرهة، وجهاده عن بيت الله، وما يريده من هدمه وخرابه. فأجابوه وقاتلوا أبرهة، فهزمهم لما يريده الله ﷻ، من كرامة البيت وتعظيمه، وأسر «ذو نُفْر» فاستصحبه معه. ثم مضى لوجهه حتى إذا كان بأرض خثعم، فعَرَض له نُفَيل بن حَبيب الخَثْعمي في قومه: شهران وناهس، فقاتلوه، فهزمهم أبرهة، وأسر نُفَيل بن حبيب، فأراد قتله ثم عفا عنه، واستصحبه معه ليدله في بلاد الحجاز. فلما اقترب من أرض الطائف، خرج إليه أهلها ثقيف وصانعوه خيفة على بيتهم، الذي عندهم، الذي يسمونه اللّات.

فأكرمهم وبعثوا معه «أبا رغَال» دليلاً. فلما انتهى أبرهة إلى المُغَمْس ـ وهو قريب من مكة ـ نزل به وأغار جيشه على سَرْح أهل مكة من الإبل وغيرها، فأخذوه. وكان في السرح مائتا بعير لعبد المطلب. وكان الذي أغار على السرح بأمر أبرهة أمير المقدمة، وكان يقال له: «الأسود بن مَقْصود» فهجاه بعض العرب ـ فيما ذكره ابن إسحاق[1] ـ وبعث أبرهة حناطة الحميري إلى مكة، وأمره أن يأتيه بأشرف قريش، وأن يخبره أن الملك لم يجيء لقتالكم إلا أن تَصدُّوه عن البيت. فجاء حناطة فَدُل على عبد المطلب بن هاشم وبلغه عن أبرهة ما قال، فقال له عبد المطلب:

---

(١) ينظر: السيرة النبوية لابن هشام ١/ ٥١ ـ ٥٢.

والله ما نريد حربه، وما لنا بذلك من طاقة، هذا بيت الله الحرام، وبيت خليله إبراهيم، فإن يمنعه منه فهو بيته وحرمه، وإن يخلي بينه وبينه، فوالله ما عندنا دَفْع عنه. فقال له حناطة: فاذهب معي إليه. فذهب معه، فلما رآه أبرهة أجله، وكان عبد المطلب رجلاً جميلاً حسن المنظر، ونزل أبرهة عن سريره، وجلس معه على البساط، وقال لترجمانه: قل له: حاجَتك؟ فقال للترجمان: إن حاجتي أن يردَّ عليَّ الملك مائتي بعير أصابها لي. فقال أبرهة لترجمانه: قل له: لقد كنت أعجبتني حين رأيتك، ثم قد زَهِدت فيك حين كلمتني، أتكلمني في مائتي بعير أصبتها لك، وتترك بيتاً هو دينك ودين آبائك قد جئتُ لهدمه، لا تكلمني فيه؟! فقال له عبد المطلب: إني أنا رب الإبل، وإن للبيت رباً سيمنعه. قال: ما كان ليمتنع مني! قال: أنت وذاك.

ويقال: إنه ذهب مع عبد المطلب جماعة من أشراف العرب فعرضوا على أبرهة ثلث أموال تهامة على أن يرجع عن البيت، فأبى عليهم، وردَّ أبرهة على عبد المطلب إبله، ورجع عبد المطلب إلى قريش فأمرهم بالخروج من مكة، والتحصن في رؤوس الجبال، تخوفاً عليهم من مَعرة الجيش. ثم قام عبد المطلب فأخذ بحلقة باب الكعبة، وقام معه نفر من قريش يدعون الله ويستنصرونه على أبرهة وجنده، وقال عبد المطلب وهو آخذ بحلقة باب الكعبة:

لا هُمَّ إنَّ المرءَ يمـ ـنَعُ رَحْلَه فامْنع حِلالَك
لا يغلبنَّ صَلِيبُهم ومَحالُهم غدواً مِحالَك[1]

قال ابن إسحاق: ثم أرسل عبد المطلب حَلْقة الباب، ثم خرجوا إلى رؤوس الجبال[2].

وذكر مقاتل بن سليمان أنهم تركوا عند البيت مائة بدنة مُقَلَّدة، لعلَّ بعض الجيش ينال منها شيئاً بغير حق، فينتقم الله منه.

فلما أصبح أبرهة تهيأ لدخول مكة، وهيأ فيله ـ وكان اسمه محموداً ـ وعبأ جيشه، فلما وجهوا الفيل نحو مكة أقبل نفيل بن حبيب حتى قام إلى جنبه ثم أخذ بأذنه وقال: «أبرك محمود، أو ارجع راشداً من حيث جئت، فإنك في بلد الله الحرام». ثم أرسل أذنه، فبرك الفيل. وخرج نفيل بن حبيب يَشتد حتى أصعد في الجبل. وضربوا الفيل ليقوم فأبى. فضربوا في رأسه بالطَّبرزين وأدخلوا محاجن لهم في مَرَاقه فبزغوه بها ليقوم، فأبى: فوجهوه راجعاً إلى اليمن، فقام يهرول، ووجهوه إلى الشام ففعل مثل ذلك، ووجهوه إلى المشرق ففعل مثل ذلك، ووجهوه إلى مكة فبرك، وأرسل الله عليهم طيراً من البحر أمثال الخطاطيف والبَلَسان مع كل طائر منها ثلاثة أحجار يحملها: حجر في منقاره، وحجران في رجليه، أمثال الحمص والعَدسَ، لا تصيب منهم أحداً إلا هلك، وليس كلهم أصابت، وخرجوا هاربين يبتدرون الطريق، ويسألون عن نفيل ليدلهم على الطريق هذا. ونفيل على رأس الجبل مع قريش وعرب الحجاز، ينظرون ماذا أنزل الله بأصحاب الفيل من النقمة، وجعل نفيل يقول:

---

(١) أخرجه الحاكم من طريق قابوس بن أبي ظبيان عن أبيه عن ابن عباس بنحوه؛ وصححه الحاكم ووافقه الذهبي. (المستدرك ٢/ ٥٣٥).

(٢) ينظر: السيرة النبوية لابن هشام ١/ ٥٢، وذكره الطبري أيضاً.

أيـن الـمَـفَـرُّ؟ والإلـهُ الـطَّـالـب والأشـرمُ الـمـغـلـوبُ غـيـر الـغـالـب[1]

قال ابن إسحاق: وقال نُفَيل في ذلك أيضاً:

ألا حُـيـيـت عَـنـا يـا رُدَيـنـا نَـعـمْـنـاكُـم مَـعَ الإصـبَـاح عَـيـنَـا
رُدَيـنـةُ، لَـو رأيـت ـ وَلا تَـرَيْـه لَـدَى جَـنْـب الـمـحـصّـب ـ مـا رَأيـنَـا
إذاً لَـعَـذَرتـنـي وَحَـمَـدَت أمْـري وَلَـمَ تـأسـى عَـلَـى مَـا فـات بَـيْـنَـا
حَـمـدتُ الـلّـه إذا أبـصَـرتُ طـيـراً وَخـفْـتُ حَـجـارة تُـلـقَـى عَـلَـيـنـا
فَـكُـلّ الـقـوم يَـسـألُ عَـن نُـفَـيـل كَـأنَّ عـلـيّ لـلـحُـبْـشَـان دَيـنَـا!

وذكر الواقدي بأسانيده أنهم لما تعبؤوا لدخول الحرم وهيؤوا الفيل، جعلوا لا يصرفونه إلى جهة من سائر الجهات إلا ذهب [فيها][2]، فإذا وجهوه إلى الحرم رَبَض وصاح. وجعل أبرهة يحمل على سائس الفيل وينهره ويضربه، ليقهر الفيل على دخول الحرم. وطال الفصل في ذلك. هذا وعبد المطلب وجماعة من أشراف مكة، منهم المطعم بن عدي، وعمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم، ومسعود [بن عمرو][3] الثقفي، على حراء ينظرون إلى ما الحبشة يصنعون، وماذا يلقون من أمر الفيل، وهو العجب العجاب. فبينما هم كذلك، إذ بعث الله عليهم طيراً أبابيل؛ أي: قطعاً قِطَعاً صفراً دون الحمام، وأرجلها حمر، ومع كل طائر ثلاث أحجار، وجاءت فحلقت عليهم، وأرسلت تلك الأحجار عليهم فهلكوا.

وقال محمد بن كعب: جاؤوا بفيلين فأما محمود فَرَبض، وأما الآخر فَشَجُع فحُصِب.

وقال وهب بن مُنَبِّه: كان معهم فيلة، فأما محمود ـ وهو فيل الملك ـ فربض، ليقتدي به بقية الفيلة، وكان فيها فيل تَشَجّع فحُصِب، فهربت بقية الفيلة.

وقال عطاء بن يَسَار، وغيره: ليس كلهم أصابه العذاب في الساعة الراهنة، بل منهم من هلك سريعاً، ومنهم من جعل يتساقط عضواً عضواً وهم هاربون، وكان أبرهة ممن يتساقط عضواً عضواً، حتى مات ببلاد خثعم.

قال ابن إسحاق: فخرجوا يتساقطون بكل طريق، ويهلكون على كل منهل، وأُصيب أبرهة في جسده، وخرجوا به معهم يسقط أنْمُلة أنْمُلة، حتى قدموا به صنعاء وهو مثل فرخ الطائر، فما مات حتى انصدع صدره عن قلبه فيما يزعمون.

وذكر مقاتل بن سليمان: أن قريشاً أصابوا مالاً جزيلاً من أسلابهم، وما كان معهم، وإن عبد المطلب أصاب يومئذ من الذهب ما ملأ حفرة.

وقال ابن إسحاق: وحدثني يعقوب بن عُتْبَة: أنه حُدث أن أول ما رؤيت الحَصبة والجُدري بأرض العرب ذلك العام، وأنه أول ما رؤي به مَرائر الشجر الحَرْمل، والحنظل والعُشر، ذلك العام.

وهكذا روي عن عكرمة، من طريق جيد.

---

(١) المصدر السابق ١/ ٥٣ وتفسير الطبري.
(٢) زيادة من (ح) و(حم).
(٣) زيادة من (ح) و(حم).

قال ابن إسحاق: فلما بعث الله محمداً ﷺ كان فيما يَعُد به على قريش من نعْمَه عليهم وفضله، ما رَدّ عنهم من أمر الحبشة، لبقاء أمرهم ومدتهم، فقال: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ۝٥﴾. ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ۝٢ فَلْيَعْبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝٣ ٱلَّذِيٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ۝٤﴾ [قريش] أي: لئلا يغير شيئاً من حالهم التي كانوا عليها، لما أراد الله بهم من الخير لو قبلوه.

قال ابن هشام: الأبابيل: الجماعات، ولم تتكلم العرب بواحدة. قال: وأما السجيل، فأخبرني يونس النحوي وأبو عبيدة أنه عند العرب: الشديد الصلب. قال: وذكر بعض المفسرين أنهما كلمتان بالفارسية، جعلتهما العرب كلمة واحدة، وإنما هو سَنْج وجل يعني بالسنج: الحجر، والجِلَ: الطين. يقول: الحجارة من هذين الجنسين: الحجر والطين. قال: والعصفُ: ورقُ الزرع الذي لم يُقضب، واحدته عصفة. انتهى ما ذكره[١].

وقد قال حماد بن سلمة: عن عاصم، عن زرٍّ، عن عبد الله ـ وأبو سلمة بن عبد الرحمٰن ـ: ﴿طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾ قال: الفِرَق[٢].

وقال ابن عباس، والضحاك: أبابيل يتبع بعضها بعضاً[٣].

وقال الحسن البصري، وقتادة: الأبابيل: الكثيرة[٤].

وقال مجاهد: ﴿أَبَابِيلَ﴾: شتى متتابعة مجتمعة[٥].

وقال ابن زيد: الأبابيل: المختلفة، تأتي من هٰهنا، ومن هٰهنا، أتتهم من كل مكان[٦].

وقال الكسائي: سمعت بعض النحويين يقول: واحد الأبابيل: إبيل[٧].

وقال ابن جرير: [حدثنا ابن المثنى][٨]، حدثني عبد الأعلى، حدثني داود، عن إسحاق بن عبد الله بن الحارث بن نوفل؛ أنه قال في قوله: ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣﴾ هي: الأقاطيع، كالإبل المؤبَّلة[٩].

---

(١) السيرة النبوية ١/ ٥٤ ـ ٥٥.

(٢) أخرجه الطبري من طريق يحيىٰ بن سعيد عن حماد بن سلمة به، وسنده حسن؛ وأخرجه البيهقي من طريق حماد بن سلمة به. (دلائل النبوة ١/ ١٢٣).

(٣) أخرجه الطبري والبيهقي من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وسنده ثابت؛ وأخرجه الطبري من طريق عن الضحاك بسند فيه إبهام شيخ الطبري، ويتقوىٰ بسابقه.

(٤) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق الفضل عن الحسن، ومعناه صحيح ويتقوىٰ بسابقه ولاحقه. والفضل هو ابن دلهم البصري يروي عن الحسن ويروي عنه وكيع وهو لين. (التقريب ص٤٤٦، والتهذيب ٨/ ٢٧٦ ـ ٢٧٧)؛ وأخرجه عبد الرزاق والطبري بسند صحيح من طريق معمر عن قتادة.

(٥) أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.

(٦) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

(٧) ذكره الطبري عن الكسائي بنحوه وأطول.

(٨) زيادة من تفسير الطبري.

(٩) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده حسن.

وحدثنا أبو كُرَيْب، حدثنا وَكِيع، عن ابن عون، عن ابن سيرين، عن ابن عباس: ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝﴾ قال: لها خراطيم كخراطيم الطير، وأكف كأكف الكلاب[١].

وحدثنا يعقوب، حدثنا هُشَيْم، أخبرنا حصين، عن عكرمة في قوله: ﴿طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾ قال: كانت طيراً خضراً خرجت من البحر، لها رؤوس كرؤوس السباع[٢].

وحدثنا ابن بشار، حدثنا ابن مهدي، عن سفيان، عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن عبيد بن عمير: ﴿طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾ قال: هي طير سود بحرية، في مناقيرها وأظافيرها الحجارة[٣].

وهذه أسانيد صحيحة.

وقال سعيد بن جبير: كانت طيراً خضراً لها مناقير صفر، تختلف عليهم[٤].

وعن ابن عباس، ومجاهد، وعطاء: كانت الطير الأبابيل مثل التي يقال لها: عَنقاء مُغْرب. رواه عنهم ابن أبي حاتم[٥].

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زُرْعَة، حدثنا عبد الله بن محمد بن أبي شيبة، حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن عبيد بن عمير، قال: لما أراد الله أن يهلك أصحاب الفيل، بعث عليهم طيراً أنشئت من البحر، أمثال الخطاطيف، كل طير منها تحمل ثلاثة أحجار مُجَزعة: حجرين في رجليه وحجراً في منقاره. قال: فجاءت حتى صفت على رؤوسهم، ثم صاحت وألقت ما في أرجلها ومناقيرها، فما يقع حجر على رأس رجل إلا خرج من دبره، ولا يقع على شيء من جسده إلا وخرج من الجانب الآخر. وبعث الله ريحاً شديدة فضربت الحجارة فزادتها شدة فأهلكوا جميعاً[٦].

وقال السُّدِّي، عن عكرمة، عن ابن عباس: ﴿بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ﴾ قال: طين في حجارة: «سَنْك ووِكل»[٧] وقد قدمنا بيان ذلك بما أغنى عن إعادته هٰهنا.

وقوله: ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ۝﴾ قال سعيد بن جبير: يعني التبن الذي تسميه العامة: هبور[٨]. وفي رواية عن سعيد: ورق الحنطة[٩]. وعنه أيضاً: العصف: التبن. والمأكول: القصيل يجز للدواب. وكذلك قال الحسن البصري.

وعن ابن عباس: العصف: القشرة التي على الحبة[١٠]، كالغلاف على الحنطة.

---

(١) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده ضعيف لأن ابن سيرين لم يسمع من ابن عباس رضي الله عنهما.
(٢) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وهو شبيه بالمرسل.
(٣) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وهو شبيه بالمرسل.
(٤) أخرجه الطبري من طريق عطاء بن السائب، وهو شبيه بالمرسل.
(٥) عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد وابن أبي حاتم.
(٦) سنده شبيه بالمرسل.
(٧) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق السدي به.
(٨) عزاه السيوطي إلىٰ ابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي نعيم في دلائل النبوة عن ابن عباس بلفظ: «الهيور، عصافة الزرع».
(٩) عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد والفريابي وابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير.
(١٠) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي عن ابن عباس بلفظ: «الذي يكون فوق البُرِّ، هو لحاء البُرِّ».

وقال ابن زيد: العصف: ورق الزرع، وورق البقل، إذا أكلته البهائم فراثته، فصار دَرِيناً[١].

والمعنى: أن الله ﷻ، أهلكهم ودمرهم، وردهم بكيدهم وغيظهم لم ينالوا خيراً، وأهلك عامتهم، ولم يرجع منهم بخبر إلا وهو جريح، كما جرى لملكهم أبرهة، فإنه انصدع صَدْرُه عن قلبه حين وصل إلىٰ بلده صنعاء، وأخبرهم بما جرى لهم، ثم مات. فملك بعده ابنه يكسُوم، ثم من بعده أخوه مسروق بن أبرهة[٢]. ثم خرج سيف بن ذي يَزَن الحميري إلى كسرى فاستعانه على الحبشة، فأنفذ معه من جيوشه فقاتلوا معه، فردَّ الله إليهم ملكهم، وما كان في آبائهم من الملك، وجاءته وفود العرب للتهنئة.

وقد قال محمد بن إسحاق: حدثنا عبد الله بن أبي بكر، عن عمرة بنت عبد الرحمٰن بن أسعد بن زرارة، عن عائشة قالت: لقد رأيت قائد الفيل وسائسه بمكة أعميين مُقعَدَين، يستطعمان[٣]. ورواه الواقدي، عن عائشة مثله. ورواه أيضاً عن أسماء بنت أبي بكر أنها قالت: كانا مقعدين يستطعمان الناس، عند إساف ونائلة، حيث يذبح المشركون ذبائحهم.

قلت: كان اسم قائد الفيل: أنيساً.

وقد ذكر الحافظ أبو نعيم في كتاب «دلائل النبوة» من طريق ابن وهب، عن ابن لَهِيعة، عن عقيل بن خالد، عن عثمان بن المغيرة قصة أصحاب الفيل، ولم يذكر أن أبرهة قدم من اليمن، وإنما بعث على الجيش رجلاً يقال له: شمر بن مفصود، وكان الجيش عشرين ألفاً، وذكر أن الطير طرقتهم ليلاً، فأصبحوا صرعى[٤].

وهذا السياق غريب جداً، وإن كان أبو نُعيْم قد قواه ورَجحه على غيره. والصحيح أن أبرهة الأشرم الحبشي قدم مكة كما دلَّ على ذلك السياقات والأشعار. وهكذا روى ابن لَهِيعة، عن الأسود، عن عُرْوَة: أن أبرهة بعث الأسود بن مفصود على كتيبة معهم الفيل، ولم يذكر قدوم أبرهة نفسه، والصحيح قدومه، ولعل ابن مفصود كان على مقدمة الجيش، والله أعلم.

ثم ذكر ابن إسحاق شيئاً من أشعار العرب، فيما كان من قصة أصحاب الفيل، فمن ذلك شعر عبد الله بن الزبعري:

تَنَكَّلُوا عن بطنِ مَكَّةَ إنها ... كانتْ قديماً لا يُرَام حَرِيمها
لم تُخلَق الشِّعرَى ليالي حُرِّمتْ ... إذ لا عزيزَ من الأنام يَرُومها
سائل أميرَ الجيش عنها ما رَأى؟ ... فلسوفَ يُنبي الجاهلين عليمها
ستونَ ألفاً لم يَؤُوبوا أرضَهم ... بل لم يعش بعد الإياب سقيمها

---

(١) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

(٢) ينظر: السيرة النبوية لابن هشام ١/٦١.

(٣) أخرجه ابن إسحاق بسنده ومتنه وفي آخره: يستطعمان الناس. (المصدر السابق ١/٥٧) وسنده صحيح، وعبد الله بن أبي بكر هو ابن محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري يروي عن عمرة ويروي عن ابن إسحاق. (تهذيب التهذيب ٥/١٦٤، ١٦٥).

(٤) أخرجه أبو نعيم (دلائل النبوة ص١٠١) وعقيل بن خالد لم أقف على ترجمة له، واستغرب متنه الحافظ ابن كثير.

كـانـتْ بـهـا عـادٌ وجُـرْهُـم قـبـلـهـم والـلّـهُ مـن فـوق الـعـبـاد يُـقـيـمـهـا[١]

وقال أبو قيس بن الأسلت الأنصاري المدني:

ومـن صُـنْـعـه يـوم فـيـل الـحُـبُـو ش، إذ كـل مـا بَـعَـثُـوه رَزْم

مـحـاجـنـهـم تـحـت أقـرانـه وقـد شَـرَمـوا أنـفـه فـانـخـرم

وقـد جـعـلـوا سـوطـه مـغـولاً إذا يَـمَّـمُـوه قَـفَـاه كُـلِـيـم

فـولـى وأدبـر أدراجـه وقـد بـاء بـالـظـلـم مـن كـان ثَـمَّ

فـأرسـل مـن فـوقـهـم حـاصـبـاً يَـلُـفـهُـم مـثْـلَ لَـفُ الـقـزُم

تـحـث عـلـى الـصَّـبـر أحـبـارُهـم وَقَـد تـأجُـوا كَـثـؤاج الـغَـنَـم[٢]

وقال أبو الصلت بن أبي ربيعة الثقفي، ويُروى لأُمية بن الصلت بن أبي ربيعة:

إن آيـات رَبِّـنـا بَـاقـيـاتٌ مَـا يُـمَـاري فـيـهـنَّ إلا الـكـفـورُ

خُـلِـقَ الـلـيـلُ الـنَّـهـارُ فَـكُـلّ مـسـتـبـيـنٌ حـسـابُـه مَـقْـدُورُ

ثـم يـجـلـو الـنَّـهـارَ ربٌّ رحـيـمٌ بـمـهـاة شُـعَـاعـهـا مـنـشـورُ

حُـبِـسَ الـفـيـلُ بـالـمـغُـمَّـس حَـتَّـى صـار يَـحْـبُـو، كـأنـه مـعـقـورُ

لازمـاً حَـلـقُـه الـجـرانَ كـمـا قُـطِّـر مـن ظَـهْـر كَـبْـكـب مَـحْـدُورُ

حَـولـه مـن مُـلـوك كِـنـدَة أَبـطـالُ مَـلاويـثُ فـي الـحُـرُوب صُـقُـورُ

خَـلَّـفُـوه ثـم ابـذَعـرّوا جَـمـيـعـاً، كُـلُّـهـم عَـظْـمُ سـاقـه مَـكْـسُـورُ

كُـلّ ديـن يَـومَ الـقِـيَـامَـة عـنـدَ الـلّـه إلا دِيـنُ الـحَـنِـيـفَـة بـورُ[٣]

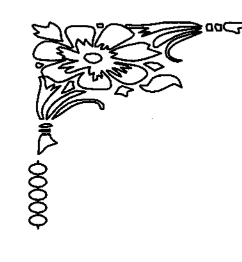
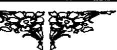
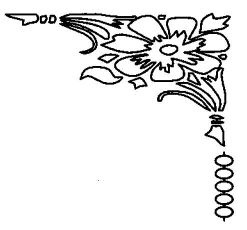
وقد قدمنا في تفسير «سورة الفتح» أن رسول الله ﷺ لما أطلَّ يوم الحديبية على الثنيَّة التي تهبط به على قريش، بركت ناقته، فزجروها فألحَّت، فقالوا: خلأت القصواء؛ أي: حَرَنت. فقال رسول الله ﷺ: «ما خلأت القصواء، وما ذاك لها بخلق، ولكن حبسها حابس الفيل». ثم قال: «والذي نفسي بيده، لا يسألوني اليوم خطة يُعَظمون فيها حُرُمات الله، إلا أجبتهم إليها». ثم زجرها فقامت. والحديث من أفراد البخاري[٤].

وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال يوم فتح مكة: «إن الله حبس عن مكة الفيل، وسَلَّط عليها رسوله والمؤمنين، وإنه قد عادت حُرمَتُها اليوم كحرمتها بالأمس، ألا فليبلغ الشاهد الغائب»[٥].

آخر تفسير سورة «الفيل»، ولله الحمد والمنة.

---

(١) ينظر: السيرة النبوية لابن هشام ١/٥٧.
(٢) المصدر السابق ١/٥٨.
(٣) المصدر السابق ١/٦٠.
(٤) تقدم تخريجه في تفسير سورة الفتح آية ٢٦.
(٥) أخرجه الشيخان من حديث أبي هريرة ﷺ. (صحيح البخاري، العلم، باب كتابة العلم ح١١٢؛ وصحيح مسلم، الحج، باب تحريم مكة ح١٣٥٥).

سُورَةُ ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ﴾

وهي مكية

ذُكِر حديث غريب في فضلها: قال البيهقي في كتاب «الخلافيات»: حدثنا أبو عبد الله الحافظ، حدثنا بكر بن محمد بن حمدان الصيرفي بمرو، حدثنا أحمد بن عُبَيد الله [النرسي][(١)]، حدثنا يعقوب بن محمد الزهري، حدثنا إبراهيم بن محمد بن ثابت بن شرحبيل، حدثني عثمان بن عبد الله بن أبي [عتيق][(٢)]، عن سعيد بن عمرو بن جعدة بن هبيرة، عن أبيه، عن جدته أُم هانئ بنت أبي طالب؛ أن رسول الله ﷺ قال: «فضل الله قريشاً بسبع خلال: أني منهم، وأن النبوة فيهم، والحجابة، والسقاية فيهم، وأن الله نصرهم على الفيل، وأنهم عبدوا الله ﷻ، عشر سنين لا يعبده غيرهم، وأن الله أنزل فيهم سورة من القرآن» ثم تلاها رسول الله: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَآءِ وَالصَّيْفِ ۝٢ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ۝٣ الَّذِيٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ۝٤﴾[(٣)].

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَآءِ وَالصَّيْفِ ۝٢ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ۝٣ الَّذِيٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ۝٤﴾.

هذه السورة مفصولة عن التي قبلها في المصحف الإمام، كتبوا بينهما سطر ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝١﴾ وإن كانت متعلقة بما قبلها. كما صرح بذلك محمد بن إسحاق وعبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم؛ لأن المعنى عندهما: حبسنا عن مكة الفيل وأهلكنا أهله ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١﴾ أي: لائتلافهم واجتماعهم في بلدهم آمنين[(٤)].

وقيل: المراد بذلك ما كانوا يألفونه من الرحلة في الشتاء إلى اليمن، وفي الصيف إلى الشام في المتاجر وغير ذلك، ثم يرجعون إلى بلدهم آمنين في أسفارهم؛ لعظمتهم عند الناس، لكونهم سكان حرم الله، فمن عَرَفهم احترمهم، بل من صوفي إليهم وسار معهم أمن بهم. هذا حالهم في أسفارهم ورحلتهم في شتائهم وصيفهم. وأما في حال إقامتهم في البلد، فكما قال الله: ﴿أَوَلَمْ

---

(١) كذ في (ح) و(حم)، وفي الأصل صحف إلى: المديني.

(٢) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل صحف إلى: عبيد.

(٣) أخرجه الحاكم عن بكر بن محمد بن حمدان الصيرفي به؛ وصححه وتعقبه الذهبي بقوله: يعقوب ضعيف، وإبراهيم صاحب مناكير. (المستدرك ٢/٥٣٦).

(٤) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد بمعناه.

يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ [العنكبوت: ٦٧]. ولهذا قال: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝ إِۦلَٰفِهِمْ﴾ بدل من الأول ومفسر له. ولهذا قال: ﴿إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ۝﴾.

وقال ابن جرير: الصواب أن «اللام» لام التعجب، كأنه يقول: اعجبوا لإيلاف قريش [ونعمتي عليهم][(١)] في ذلك. قال: وذلك لإجماع المسلمين على أنهما سورتان منفصلتان مستقلتان[(٢)].

ثم أرشدهم إلى شكر هذه النعمة العظيمة فقال: ﴿فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝﴾ أي: فليوحدوه بالعبادة، كما جعل لهم حرماً آمناً وبيتاً محرماً، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝﴾ [النمل].

وقوله: ﴿ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ﴾ أي: هو ربُّ البيت، وهو الذي أطعمهم من جوع، ﴿وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾ أي: تفضل عليهم بالأمن والرخص، فليفردوه بالعبادة وحده لا شريك له، ولا يعبدوا من دونه صنماً ولا نداً ولا وثناً. ولهذا من استجاب لهذا الأمر جَمَعَ الله له بين أمن الدنيا وأمن الآخرة، ومن عصاه سلبهما منه، كما قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ۝ وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ۝﴾ [النحل].

وقد قال ابن أبي حاتم: حدثنا عبد الله بن عمرو العَدَني، حدثنا قَبِيصة، حدثنا سفيان، عن ليث، عن شهر بن حوشب، عن أسماء بنت يزيد قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ويل أُمكم، قريش، لإيلاف قريش»[(٣)].

ثم قال: حدثنا أبي، حدثنا المؤمَّل بن الفضل الحراني، حدثنا عيسى - يعني ابن يونس - عن عُبَيد الله بن أبي زياد، عن شهر بن حوشب، عن أُسامة بن زيد قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ۝﴾ ويحكم يا معشر قريش، اعبدوا ربَّ هذا البيت «الذي أطعمكم من جوع وآمنكم من خوف».

هكذا رأيته عن أُسامة بن زيد، وصوابه عن أسماء بنت يزيد بن السكن، أُم سلمة الأنصارية ﵂[(٤)]. فلعله وقع غلط في النسخة أو في أصل الرواية، والله أعلم.

---

(١) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل بياض.

(٢) ذكره الطبري بنحوه مطولاً.

(٣) سنده ضعيف لما قيل في شهر بن حوشب وليث، وهو ابن أبي سليم.

(٤) أخرجه الإمام أحمد من طريق عيسىٰ بن يونس به عن أسماء بنت يزيد بن السكن، وضعفه محققوه لضعف شهر بن حوشب. (المسند ٤٥/ ٥٨١ ح٢٧٦٠٧) وهذا يؤكد ما ذهب إليه الحافظ ابن كثير أن الصواب عن أسماء بنت يزيد بن السكن.

تفسير السورة التي يذكر فيها الماعون(١)

[وهي](٢) مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝٣ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝٦ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ۝٧﴾.

يقول تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ﴾ يا محمد ﴿ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ﴾؟ وهو: المعاد والجزاء والثواب، ﴿فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝٢﴾ أي: هو الذي يقهر اليتيم ويظلمه حقه، ولا يطعمه ولا يحسن إليه، ﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝٣﴾ كما قال تعالى: ﴿كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ۝١٧ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝١٨﴾ [الفجر] يعني: الفقير الذي لا شيء له يقوم بأوده وكفايته.

ثم قال: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥﴾ قال ابن عباس، وغيره: يعني المنافقين، الذين يصلون في العلانية ولا يصلون في السر(٣).

ولهذا قال: ﴿لِّلْمُصَلِّينَ﴾ أي: الذين هم من أهل الصلاة وقد التزموا بها، ثم هم عنها ساهون، إما عن فعلها بالكلية، كما قاله ابن عباس، وإما عن فعلها في الوقت المقدر لها شرعاً، فيخرجها عن وقتها بالكلية، كما قاله مسروق، وأبو الضحى(٤).

وقال عطاء بن دينار: والحمد لله الذي قال: ﴿عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ ولم يقل: في صلاتهم ساهون(٥).

وإما عن وقتها الأول فيؤخرونها إلى آخره دائماً أو غالباً. وإما عن أدائها بأركانها وشروطها على الوجه المأمور به. وإما عن الخشوع فيها والتدبر لمعانيها، فاللفظ يشمل هذا كله، ولكل من اتصف بشيء من ذلك قسط من هذه الآية. ومن اتصف بجميع ذلك، فقد تمَّ نصيبه منها، وكمل

---

(١) هكذا جاء عنوان السورة وهي طريقة ابن أبي حاتم في تفسيره.
(٢) زيادة من (حم).
(٣) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس.
(٤) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق أبي الضحىٰ عن مسروق.
(٥) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق عمر بن سليمان عن عطاء بن دينار بدون قوله: ولم يقل في صلاتهم ساهون. ولعله سقط هذا النص.

له النفاق العملي. كما ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «تلك صلاة المنافق، تلك صلاة المنافق، تلك صلاة المنافق، يجلس يَرْقُب الشمس، حتى إذا كانت بين قَرْنَي الشيطان قام فَنَقَرَ أربعاً لا يذكر الله فيها إلا قليلاً»[١]. فهذا أَخَّرَ صلاة العصر التي هي الوسطى ـ كما ثبت به النصُّ ـ إلى آخر وقتها، وهو وقت كراهة، ثم قام إليها فنقرها نقر الغراب، لم يطمئن ولا خَشَع فيها أيضاً؛ ولهذا قال: «لا يذكر الله فيها إلا قليلاً». ولعله إنما حمله [على][٢] القيام إليها مراءاة الناس لا ابتغاء وجه الله، فهو إذاً لم يصل بالكلية. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾﴾ [النساء]. وقال هٰهنا: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾﴾.

وقال الطبراني: حدثنا يحيى بن عبد الله بن عبد ربه البغدادي، حدثني أبي، حدثنا عبد الوهاب بن عطاء، عن يونس، عن الحسن، عن ابن عباس، عن النبي ﷺ قال: «إن في جهنم لوادياً، تستعيذ جهنم من ذلك الوادي في كل يوم أربعمائة مرة، أعدَّ ذلك الوادي للمرائين من أمة محمد: لحامل كتاب الله، وللمصدِّق في غير ذات الله، وللحاج إلى بيت الله، وللخارج في سبيل الله»[٣].

وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو نُعيم، حدثنا الأعمش، عن عمرو بن مرة قال: كنا جلوساً عند أبي عبيدة فذكروا الرياء، فقال رجل يكنى بأبي يزيد: سمعت عبد الله بن عمرو يقول: قال رسول الله ﷺ: «من سَمَّع الناس بعمله، سَمَّع الله به سامعَ خلقه، وحَقَّره وصَغَّره»[٤].

ورواه أيضاً عن غُنْدَر ويحيى القطان، عن شعبة، عن عمرو بن مرة، عن رجل، عن عبد الله بن عمرو، عن النبي ﷺ، فذكره[٥].

ومما يتعلق بقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾﴾ أن من عمل عملاً لله فاطَّلع عليه الناس، فأعجبه ذلك، أن هذا لا يعد رياء، والدليل على ذلك ما رواه الحافظ أبو يعلى الموصلي في مسنده: حدثنا هارون بن معروف، حدثنا مخلد بن يزيد، حدثنا سعيد بن بشير، حدثنا الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة قال: كنت أصلي، فدخل عليَّ رجل، فأعجبني ذلك، فذكرته لرسول الله ﷺ، فقال: «كُتب لك أجران: أجر السر، وأجر العلانية»[٦].

قال أبو علي هارون بن معروف: بلغني أن ابن المبارك قال: نعم الحديثُ للمرائين.

---

(١) أخرجه مسلم من حديث أنس رضي الله عنه. (الصحيح، المساجد ومواضع الصلاة، باب استحباب التبكير بالعصر ح٦٢٢).

(٢) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل صحف إلى: «إلىٰ».

(٣) أخرجه الطبراني (المعجم الكبير ١٢/ ١٧٥ ح١٢٨٠٣) وفي سنده عبد الوهاب بن عطاء وهو الخفاف: صدوق ربما أخطأ. (التقريب ص٣٦٨) وذكر الهيثمي أنه لم يعرف شيخ الطبراني وأباه. (مجمع الزوائد ١٠/ ٢٢٥) وقال المنذري: رفع حديث ابن عباس غريب ولعله موقوف. (الترغيب والترهيب ١/ ٦٧).

(٤) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه، وصحح المحققون سنده. (المسند ١١/ ٥٦٦ ح٦٩٨٦).

(٥) المسند ١١/ ٤٣٠ ح٦٨٣٩ وصحح المحققون سنده.

(٦) سنده ضعيف لضعف سعيد بن بشير كما في التقريب وقد روي من طرق أخرى كما سيأتي.

وهذا حديث غريب من هذا الوجه، [وسعيد بن بشير][1] متوسط، وروايته عن الأعمش عزيزة. وقد رواه غيره عنه.

قال أبو يعلى أيضاً: حدثنا محمد بن المثنى بن موسى، حدثنا أبو داود، حدثنا أبو سنان، عن حبيب بن أبي ثابت، عن أبي صالح، عن أبي هريرة قال: قال رجل: يا رسول الله، الرجل يعمل العمل يسره، فإذا اطلع عليه أعجبه. قال: قال رسول الله ﷺ: «له أجران: أجر السر وأجر العلانية»[2].

وقد رواه الترمذي عن محمد بن المثنى، وابن ماجه عن بُنْدَار، كلاهما عن أبي داود الطيالسي، عن أبي سنان الشيباني ـ واسمه: ضرار بن مرة[3] ـ. ثم قال الترمذي: غريب، وقد رواه الأعمش وغيره. عن حبيب، عن أبي صالح مرسلاً[4].

وقد قال أبو جعفر بن جرير: حدثني أبو كُرَيْب، حدثنا معاوية بن هشام، عن شيبان النحوي، عن جابر الجعفي، حدثني رجل، عن أبي برزة الأسلمي قال: قال رسول الله ﷺ: «لما نزلت هذه الآية: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥﴾ قال: «الله أكبر، هذا خير لكم من أن لو أعطي كل رجل منكم مثل جميع الدنيا، هو الذي إن صلى لم يَرْجُ خير صلاته، وإن تركها لم يخف ربه»[5].

فيه جابر الجعفي، وهو ضعيف، وشيخه مُبهم لم يُسَم، والله أعلم.

وقال ابن جرير أيضاً: حدثني زكريا بن أبان المصري، حدثنا عمرو بن طارق، حدثنا عِكْرِمة بن إبراهيم، حدثني عبد الملك بن عمير، عن مصعب بن سعد، عن سعد بن أبي وقاص قال: سألت رسول الله ﷺ عن: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥﴾ قال: «هم الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها»[6].

وتأخير الصلاة عن وقتها يحتمل تركها بالكلية، أو صلاتها بعد وقتها شرعاً، أو تأخيرها عن أول الوقت [سهواً عنها حتىٰ ضاع][7] الوقت.

---

(١) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل صحف إلى: «سعيد بن جبير».

(٢) أخرجه الطيالسي عن أبي سنان سعيد بن سنان به. (المسند ص٣١٨ ح٢٤٣٠) وفي سنده سعيد بن سنان صدوق له أوهام. (التقريب ص٢٣٧) وحبيب بن أبي ثابت كثير التدليس والإرسال. (التقريب ص١٥٠) وقد روي مرفوعاً ومرسلاً عن أبي صالح كما يلي، وهذا من صنيع حبيب أو أبي سنان.

(٣) بل اسمه سعيد بن سنان كما صرح الطيالسي في الرواية السابقة.

(٤) سنن الترمذي، الزهد، باب عمل السر (ح٢٣٨٤) وتتمة كلام الترمذي: وأصحاب الأعمش لم يذكروا فيه عن أبي هريرة؛ وسنن ابن ماجه الزهد، باب الثناء الحسن (ح٤٢٢٦)؛ وضعفه الألباني في ضعيف سنن ابن ماجه.

(٥) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده ضعيف للعلتين اللتين ذكرهما الحافظ ابن كثير.

(٦) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده ضعيف قال أبو زرعة: هذا خطأ والصحيح موقوف. (ينظر: العلل لابن أبي حاتم ١/١٨٧ ـ ١٨٨). وفي سنده عكرمة بن إبراهيم وهو ضعيف. (ينظر: لسان الميزان ٤/١٨١).

(٧) زيادة من (ح) و(حم).

وكذا رواه الحافظ أبو يعلى بن شيبان بن فَرُّوخ، عن عكرمة بن إبراهيم، به. ثم رواه عن أبي الربيع، [عن جابر][١]، عن عاصم، عن مصعب، عن أبيه موقوفاً. وهذا أصح إسناداً، وقد ضعف البيهقي رفعه، وصحح وقفه، وكذلك الحاكم[٢].

وقوله: ﴿وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ۝٧﴾ أي: لا أحسنوا عبادة ربهم، ولا أحسنوا إلى خلقه حتى ولا بإعارة ما ينتفع به ويستعان به، مع بقاء عينه ورجوعه إليهم. فهؤلاء لمنع الزكاة وأنواع القُرُبات أولى وأولى. وقد قال ابن أبي نَجيح، عن مجاهد: قال علي: الماعون: الزكاة[٣]. وكذا رواه السدي، عن أبي صالح، عن علي[٤]. وكذا روي من غير وجه عن ابن عمر. وبه يقول محمد ابن الحنفية، وسعيد بن جبير، وعِكْرِمة، ومجاهد، وعطاء، وعطية العوفي، والزهري، والحسن، وقتادة، والضحاك، وابن زيد[٥].

وقال الحسن البصري: إن صلى راءى، وإن فاتته لم يأس عليها، ويمنع زكاة ماله[٦]. وفي لفظ: «صدقة ماله».

وقال زيد بن أسلم: هم المنافقون، ظهرت الصلاة فصلوها، وضَمِنت الزكاة فمنعوها[٧].

وقال الأعمش وشعبة، عن الحكم، عن يحيى بن الجزار: أن أبا العبيدين سأل عبد الله بن مسعود عن الماعون، فقال: هو ما يتعاوره الناس بينهم من الفأس، والقدر، والدلو[٨].

[وقال المسعودي، عن سلمة بن كُهَيْل، عن أبي العُبَيدين: أنه سأل ابنُ مسعود عن الماعون، فقال: هو ما يتعاطاه الناس بينهم، من الفأس والقدر][٩]، والدلو، وأشباه ذلك[١٠].

وقال ابن جرير: حدثني محمد بن عبيد المحاربي، حدثنا أبو الأحوص، عن أبي إسحاق، عن أبي العُبَيدين وسعد بن عياض، عن عبد الله قال: كنا أصحاب رسول الله ﷺ نتحدث أن الماعون الدلوُ، والفأس، والقدر، لا يستغنى عنهن[١١].

وحدثنا خلاد بن أسلم، أخبرنا النضر بن شُمَيْل، أخبرنا شعبة، عن أبي إسحاق قال: سمعت سعدَ بن عياض يحدث عن أصحاب النبي ﷺ مثله[١٢].

---

(١) زيادة من (ح)، وفي مسند أبي يعلىٰ باسم: حماد.
(٢) مسند أبي يعلىٰ ٢/ ٦٣ ح٧٠٤؛ والسنن الكبرى للبيهقي ٢/ ٢١٤.
(٣) أخرجه الطبري والحاكم من طريق ابن أبي نجيح به، وصححه الحاكم وتعقبه الذهبي بقوله: منقطع. (المستدرك ٢/ ٥٣٦) وهو كما قال لأن مجاهداً لم يسمع من علي ويتقوىٰ بالآثار التي تليه.
(٤) أخرجه الطبري من طريق السدي به، وسنده ضعيف كسابقه.
(٥) أخرجه ابن أبي شيبة بسند صحيح من طريق معمر عن الزهري. (المصنف ٣/ ٩٤). وأخرجه الطبري بأسانيد يقوي بعضها بعضاً عن ابن عمر وسعيد بن جبير وقتادة والحسن وابن الحنفية وابن زيد والضحاك.
(٦) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق مبارك ـ وهو ابن فضالة ـ عن الحسن.
(٧) عزاه السيوطي إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم عن زيد بن أسلم.
(٨) أخرجه الطبري عن الأعمش وشعبة به، وسنده حسن.
(٩) زيادة من (ح).
(١٠) أخرجه الطبري من طريق المسعودي به، وسنده حسن.
(١١) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده صحيح.
(١٢) يشهد له سابقه ولاحقه.

وقال الأعمش، عن إبراهيم، عن الحارث بن سُوَيْد، عن عبد الله: أنه سئل عن الماعون، فقال: ما يتعاوره الناس بينهم: الفأس والدلو، وشبهه[(١)].

وقال ابن جرير: حدثنا عمرو بن علي الفلاس، حدثنا أبو داود ـ هو الطيالسي ـ حدثنا أبو عَوانَة، عن عاصم بن بَهْدَلة، عن أبي وائل، عن عبد الله قال: كنا مع نبينا ﷺ ونحن نقول: الماعون: منع الدلو وأشباه ذلك[(٢)].

وقد رواه أبو داود والنسائي، عن قتيبة، عن أبي عوانة بإسناده، نحوه[(٣)]. ولفظ النسائي عن عبد الله قال: كل معروف صدقة، كنا نعد الماعون على عهد رسول الله ﷺ عاريَّة الدلو والقدر.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا عفان، حدثنا حماد بن سلمة، عن عاصم، عن زرّ، عن عبد الله قال: الماعون: العَواري: القدر، والميزان، والدلو[(٤)].

وقال ابن أبي نجيح، عن مجاهد، عن ابن عباس: ﴿وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ۝٧﴾ يعني: متاع البيت[(٥)]. وكذا قال مجاهد وإبراهيم النَّخعي، وسعيد بن جبير، وأبو مالك، وغير واحد: إنها العاريَّة للأمتعة.

وقال ليث بن أبي سُليم، عن مجاهد، عن ابن عباس: [﴿وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ۝٧﴾ قال: لم يجيء أهلها بعد[(٦)].

وقال العوفي، عن ابن عباس][(٧)]: ﴿وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ۝٧﴾ قال: اختلف الناس في ذلك، فمنهم من قال: يمنعون الزكاة. ومنهم من قال: يمنعون الطاعة. ومنهم من قال: يمنعون العارية. رواه ابن جرير[(٨)]. ثم روي عن يعقوب بن إبراهيم، عن ابن عُلَيَة، عن ليث بن أبي سُليم، عن أبي إسحاق، عن الحارث، عن علي: الماعون: منع الناس الفأس، والقدر، والدلو[(٩)].

وقال عكرمة: رأس الماعون زكاةُ المال، وأدناه المنخل، والدلو، والإبرة. رواه ابن أبي حاتم[(١٠)].

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة من طريق الأعمش عن إبراهيم التيمي به. (المصنف ٣/ ٩٢) وسنده صحيح.
(٢) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده حسن.
(٣) سنن أبي داود، الزكاة، باب في حقوق المال (ح١٦٥٧)؛ والسنن الكبرى للنسائي، الماعون (ح١١٧٠١)؛ وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح١٤٥٩).
(٤) سنده حسن.
(٥) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن علية عن ابن أبي نجيح به.
(٦) أخرجه الطبري وابن أبي شيبة من طريق ابن علية عن ليث به. (المصنف ٣/ ٢٠٣). وليث هو ابن أبي سُليم فيه مقال وسنده ضعيف وخصوصاً أنه خالف الطريق الصحيح الذي قبله.
(٧) زيادة من (ح) و(حم).
(٨) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به، ومعناه صحيح كما تقدم.
(٩) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وأخرجه ابن أبي شيبة من طريق ابن علية به. (المصنف ٣/ ٢٠٣)، وسنده ضعيف لضعف الحارث وهو الأعور الهمداني وكذلك فيه ليث بن أبي سُليم.
(١٠) عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم عن عكرمة.

وهذا الذي قاله عكرمة حسن؛ فإنه يشمل الأقوال كلها، وترجع كلها إلى شيء واحد. وهو ترك المعاونة بمال أو منفعة. ولهذا قال محمد بن كعب: ﴿وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ۝٧﴾ قال: المعروف[١]. ولهذا جاء في الحديث: «كل معروف صدقة»[٢].

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا وَكِيع، عن ابن أبي ذئب، عن الزهري: ﴿وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ۝٧﴾ قال: بلسان قريش: المال[٣].

وَرَوى هٰهنا حديثاً غريباً عجيباً في إسناده ومتنه، فقال: حدثنا أبي، وأبو زُرْعَة قالا: حدثنا قيس بن حفص الدارمي، حدثنا دلهم بن دَهثم العجلي، حدثنا عائذ بن ربيعة النَميري، حدثني قرة بن دُعُموص النَميري: أنهم وفدوا إلى رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله، ما تعهد إلينا؟ قال: «لا تمنعوا الماعون». قالوا: يا رسول الله، وما الماعون؟ قال: «في الحَجَر، وفي الحديدة، وفي الماء». قالوا: فأي حديدة؟ قال: «قدوركم النحاس، وحديد الفأس الذي تمتهنون به». قالوا: وما الحَجَر؟ قال: «قدوركم الحجارة»[٤].

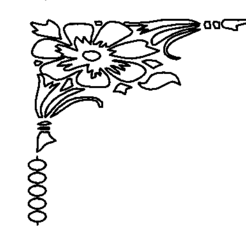
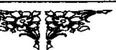
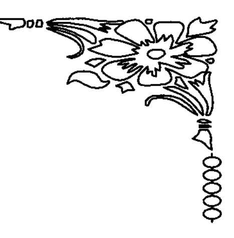
غريب جداً، ورفعه منكر، وفي إسناده من لا يعرف، والله أعلم.

وقد ذكر ابنُ الأثير في الصحابة ترجمة «علي النميري»، فقال: روى ابن قانع بسنده إلى عائذ بن ربيعة بن قيس النميري، عن علي بن فلان النميري: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «المسلم أخو المسلم. إذا لقيه حَيَّاه بالسلام، ويرد عليه ما هو خير منه، لا يمنع الماعون». قلت: يا رسول الله، ما الماعون؟ قال: «الحَجَر، والحديد، وأشباه ذلك»[٥].

آخر تفسير سورة «الماعون»، ولله الحمد.

---

(١) أخرجه الطبري بسند جيد من طريق محمد بن رفاعة عن محمد بن كعب.
(٢) أخرجه البخاري من حديث جابر ﷺ. (الصحيح، الأدب، باب كل معروف صدقة ح٦٠٢١).
(٣) سنده صحيح.
(٤) ضعفه الحافظ ابن كثير سنداً ومتناً.
(٥) ذكره ابن الأثير (أسد الغابة ٤/ ١٢٧)، والحافظ ابن حجر (الإصابة ٢/ ٥١١)، والحافظ ابن كثير (جامع المسانيد ٦/ ٢٩٢ رقم ٧٧٤٧)، وعائذ بن ربيعة بن قيس النميري لم أجد له ترجمة.

سُورَةُ الكَوثَر

مدنية، وقيل: مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَـٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴿٢﴾ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ﴿٣﴾﴾.

قال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن فضيل، عن المختار بن فُلْفُل، عن أنس بن مالك قال: أغفى رسول الله ﷺ إغفاءة، فرفع رأسه مبتسماً، إما قال لهم وإما قالوا له: لم ضحكت؟ فقال رسول الله ﷺ: «إنه أنزلت عليَّ آنفاً سورة». فقرأ: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَـٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴿١﴾﴾ حتى ختمها، قال: «هل تدرون ما الكوثر؟»، قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «هو نهر أعطانيه ربي ﷻ، في الجنة، عليه خير كثير، تَرِدُ عليه أُمتي يوم القيامة، آنيته عدد الكواكب، يُخْتَلَج العبد منهم فأقول: يا ربِّ، إنه من أُمتي. فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك»[(١)].

هكذا رواه الإمام أحمد بهذا الإسناد الثلاثي، وهذا السياق.

وقد ورد في صفة الحوض يوم القيامة أنه يَشْخَب فيه ميزابان من السماء عن نهر الكوثر، وأن عليه آنية عددَ نجوم السماء. وقد روى هذا الحديث مسلم وأبو داود والنسائي، من طريق محمد بن فضيل، وعلي بن مُسْهِر، كلاهما عن المختار بن فُلْفُل، عن أنس. ولفظ مسلم قال: «بينا رسول الله ﷺ بين أظهرنا في المسجد، إذ أغفى إغفاءة ثم رفع رأسه مبتسماً، قلنا: ما أضحكك يا رسول الله؟ قال: «أنزلت عليّ آنفاً سورة»، فقرأ: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَـٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴿٢﴾ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ﴿٣﴾﴾. ثم قال: «أتدرون ما الكوثر؟» قلنا: الله ورسوله أعلم. قال: «فإنه نهر وَعَدنيه ربي ﷻ، عليه خير كثير، هو حوض تَرِدُ عليه أمتي يوم القيامة، آنيته عدد النجوم، فَيختلجُ العبد منهم، فأقول: ربِّ إنه من أُمتي. فيقول: إنك لا تدري ما أحدث بعدك»[(٢)].

وقد استدل به كثير من القراء على أن هذه السورة مدنية، وكثير من الفقهاء على أن البسملة من السورة، وأنها منزلة معها.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه. (المسند ٣/ ١٠٢)، وسنده صحيح، وقد أخرجه مسلم من طريق المختار بن فلفل به. (الصحيح، الصلاة، باب حجة من قال: إن البسملة آية من كل سورة سوىٰ براءة ح٤٠٠).

(٢) المصدر السابق وسنن أبي داود، الصلاة، باب من لم يجهر ببسم الله الرحمٰن الرحيم (ح٧٨٤)؛ وسنن النسائي، الافتتاح، باب قراءة بسم الله الرحمٰن الرحيم ٢/ ١٣٣)؛ وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود(ح٧٠٦).

فأما قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝﴾ فقد تقدم في هذا الحديث أنه نهر في الجنة. وقد رواه الإمام أحمد من طريق أخرى، عن أنس فقال: حدثنا عفان، حدثنا حماد، أخبرنا ثابت، عن أنس أنه قرأ هذه الآية: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝﴾ قال: قال رسول الله ﷺ: «أُعطيتُ الكوثر، فإذا هو نهر يجري، ولم يُشقّ شقاً، وإذا حافتاه قباب اللؤلؤ، فضربت بيدي في تربته، فإذا مسْكه ذَفِرة، وإذا حصاه اللؤلؤ»[١].

وقال الإمام أحمد أيضاً: حدثنا محمد بن أبي عدي، عن حميد، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «دخلت الجنة فإذا أنا بنهر، حافتاه خيام اللؤلؤ، فضربت بيدي إلى ما يجري فيه الماء، فإذا مسك أذفر. قلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر الذي أعطاكه الله ﷻ»[٢].

ورواه البخاري في صحيحه، ومسلم، من حديث شيبان بن عبد الرحمٰن، عن قتادة، عن أنس بن مالك قال: لما عُرجَ بالنبي ﷺ إلى السماء قال: «أتيتُ على نهر حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف، فقلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر» وهذا لفظ البخاري رحمه الله[٣].

وقال ابن جرير: حدثنا الربيع، أخبرنا ابن وهب، عن سليمان بن هلال، عن شريك بن أبي نمر، قال: سمعت أنس بن مالك يحدثنا قال: لما أسري برسول الله ﷺ، مضى به جبريل في السماء الدنيا، فإذا هو بنهر عليه [قصر][٤] من لؤلؤ وزبرجد، فذهب يَشمّ تُرَابه، فإذا هو مسك. قال: «يا جبريل، ما هذا النهر؟ قال: هو الكوثر الذي خَبَأ لك ربك»[٥].

وقد تقدم [في][٦] حديث الإسراء في سورة «سبحان»، من طريق شريك عن أنس [عن النبي ﷺ][٧]. وهو مخرج في الصحيحين[٨].

وقال سعيد، عن قتادة، عن أنس: أن رسول الله ﷺ قال: «بينما أنا أسير في الجنة إذ عَرَض لي نهر، حافتاه قباب اللؤلؤ مُجَوف، فقال الملك الذي معه: أتدري ما هذا؟ هذا الكوثر الذي أعطاك الله. وضرب بيده إلى أرضه، فأخرج من طينه المسك»[٩]. وكذا رواه سليمان بن طِرْخان، ومعمر وهَمَام وغيرهم، عن قتادة، به.

وقال ابن جرير: حدثنا أحمد بن أبي سُرَيج، حدثنا أبو أيوب العباسي، حدثنا إبراهيم بن سعد، حدثني محمد بن عبد الله، ابن أخي ابن شهاب، عن أبيه، عن أنس قال: سُئل رسول الله ﷺ عن الكوثر، فقال: «هو نهر أعطانيه الله في الجنة، ترابه مسك أبيض من اللبن، وأحلى من العسل، ترده طير أعناقها مثل أعناق الجُزُر»[١٠]. فقال أبو بكر: يا رسول الله، إنها

---

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه. (المسند ٣/٢٤٧)، وسند صحيح.
(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه. (المسند ٣/١٠٣)، وسند صحيح.
(٣) صحيح البخاري، التفسير، باب سورة ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝﴾ [الكوثر] (ح٤٩٦٤).
(٤) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل صُحف إلى: قبة.
(٥) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وفي سنده شريك سيئ الحفظ ولكنه توبع في الروايات السابقة واللاحقة.
(٦) كذا في (ح) و(حم). (٧) كذا في (ح) و(حم).
(٨) تقدم تخريجه في تفسير سورة الإسراء.
(٩) أخرجه الطبري عن بشر عن سعيد به، وسنده صحيح.
(١٠) أي: الإبل.

لناعمة؟ قال: «أكلها أنعم منها»[١].

وقال أحمد: حدثنا أبو سلمة الخزاعي، حدثنا الليث، عن يزيد بن الهاد، عن عبد الوهاب، عن عبد الله بن مسلم بن شهاب، عن أنس، أن رجلاً قال: يا رسول الله، ما الكوثر؟ قال: «نهر في الجنة أعطانيه ربي، لهو أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل، فيه طيور أعناقها كأعناق الجزر». قال عمر: يا رسول الله، إنها لناعمة؟ قال: «أكلها أنعم منها يا عمر»[٢].

رواه ابن جرير، من حديث الزهري، عن أخيه عبد الله، عن أنس: أنه سأل رسول الله ﷺ عن الكوثر، فذكر مثله سواء[٣].

وقال البخاري: حدثنا خالد بن يزيد الكاهلي، حدثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن أبي عبيدة، عن عائشة قال: سألتها عن قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ①﴾ قالت: نهر أعطيه نبيكم ﷺ، شاطئاه عليه دُرّ مجوف، آنيته كعدد النجوم.

ثم قال البخاري: رواه زكريا وأبو الأحوص ومطرف، عن أبي إسحاق[٤].

ورواه أحمد والنسائي، من طريق مُطرّف، به[٥].

وقال ابن جرير: حدثنا أبو كُرَيْب، حدثنا وَكِيع، عن سفيان، وإسرائيل، عن أبي إسحاق، عن أبي عبيدة، عن عائشة قالت: الكوثر نهر في الجنة، شاطئاه در مُجَوف، وقال إسرائيل: نهر في الجنة عليه من الآنية عدد نجوم السماء[٦].

وحدثنا ابن حُمَيد، حدثنا يعقوب القُمي، عن حفص بن حميد، عن شَمِر بن عطية، عن شقيق أو مسروق قال: قلت لعائشة: يا أم المؤمنين، حدثيني عن الكوثر. قالت: نهر في بطنان الجنة. قلت: وما بطنان الجنة؟ قالت: وسطها، حافتاه قصور اللؤلؤ والياقوت، ترابه المسك، وحصاؤه اللؤلؤ والياقوت[٧].

وحدثنا أبو كريب، حدثنا وكيع، عن أبي جعفر الرازي، عن ابن أبي نجيح، عن عائشة قالت: من أحب أن يسمع خرير الكوثر، فَلْيَجعل أصبعيه في أذنيه[٨].

وهذا منقطع بين ابن أبي نجيح وعائشة، وفي بعض الروايات: «عن رجل، عنها». ومعنى هذا أنه يسمع نظير ذلك، لا أنه يسمعه نفسه، والله أعلم.

قال السهيلي: ورواه الدارقطني مرفوعاً، من طريق مالك بن مِغْوَل، عن الشعبي، عن

---

(١) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وأخرجه الإمام أحمد من طريق إبراهيم بن سعد به، وحسنه محققوه وصححوه بالشواهد. (المسند ٢١/ ١٣٢ ح١٣٤٧٥).

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه، وصحح سنده محققوه. (المسند ٢١/ ٣٠ ح١٣٣٠٦).

(٣) أخرجه الطبري من طريق الزهري به، وسنده صحيح كسابقه.

(٤) أخرجه البخاري بسنده ومتنه. (الصحيح، التفسير، باب سورة الكوثر ح٤٩٦٥).

(٥) المسند ٦/ ٣٨١؛ والسنن الكبرى، التفسير، باب سورة الكوثر (ح١١٧٠٥).

(٦) يشهد له ما سبق.

(٧) في سنده ابن حميد وهو محمد بن حميد الرازي وهو ضعيف، ويعقوب القمي فيه مقال ويتقوىٰ بما سبق.

(٨) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده ضعيف لأن ابن أبي نجيح لم يسمع من عائشة ﵂.

مسروق، عن عائشة، عن النبي ﷺ[(١)].

ثم قال البخاري: حدثنا يعقوب بن إبراهيم، حدثنا هُشَيم، أخبرنا أبو بشر، عن سعيد بن جُبَير، عن ابن عباس أنه قال في الكوثر: هو الخير الذي أعطاه الله إياه. قال أبو بشر: قلت لسعيد بن جبير: فإن ناساً يَزْعُمون أنه نهر في الجنة؟ فقال سعيد: النهر الذي في الجنة من الخير الذي أعطاه الله إياه[(٢)].

ورواه أيضاً من حديث هُشَيم، عن أبي بشر وعطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: الكوثر: الخير الكثير[(٣)].

[وقال الثوري، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: الكوثر الخير الكثير][(٤)(٥)].

وهذا التفسير يعمُّ النهر وغيره؛ لأن الكوثر من الكثرة، وهو الخير الكثير، ومن ذلك النهر كما قال ابن عباس، وعكرمة، وسعيد بن جبير، ومجاهد، ومحارب بن دِثَار، والحسن بن أبي الحسن البصري[(٦)]. حتى قال مجاهد: هو الخير الكثير في الدنيا والآخرة[(٧)].

وقال عكرمة: هو النبوة والقرآن، ثواب الآخرة[(٨)].

وقد صحَّ عن ابن عباس أنه فسره بالنهر أيضاً، فقال ابن جرير:

حدثنا أبو كُرَيْب، حدثنا عمر بن عبيد، عن عطاء، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: الكوثر: نهر في الجنة، حافتاه ذهب وفضة، يجري على الياقوت والدر، ماؤه أبيض من الثلج وأحلى من العسل[(٩)].

وروى العوفي، عن ابن عباس، نحو ذلك[(١٠)].

وقال ابن جرير: حدثني يعقوب، حدثنا هُشَيم، أخبرنا عطاء بن السائب، عن محارب بن

---

(١) ذكره السهيلي. (الروض الأنف ١/٢٤١) والحديث فيه غرابة.

(٢) أخرجه البخاري بسنده ومتنه. (صحيح البخاري، التفسير، باب سورة الكوثر ح٤٩٦٦).

(٣) أخرجه البخاري عن عمرو بن محمد عن هشيم به. (الصحيح، الرقاق، باب في الحوض ٦٥٧٨).

(٤) أخرجه الطبري من طريق الثوري به، وسنده حسن ويرتقي بسابقه إلى صحيح لغيره.

(٥) زيادة من (حم).

(٦) قول ابن عباس تقدم وقول عكرمة أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق عمارة بن أبي حفصة عنه، وأما قول سعيد بن جبير فقد أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق أبي بشر عنه، وأما قول مجاهد فقد أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عنه.

(٧) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق فيه ابن حميد وهو محمد بن حميد الرازي وهو ضعيف وهذه الرواية تخالف الرواية الصحيحة السابقة عن مجاهد.

(٨) أخرجه هناد (الزهد رقم ١٤٢)، وابن أبي شيبة. (المصنف ١١/٥٠٨)، والطبري كلهم بسند صحيح من طريق بدر بن عثمان عن عكرمة.

(٩) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وصححه الحافظ ابن كثير.

(١٠) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به ولكنه يتقوىٰ بالمتابعات في الرواية السابقة التي صححها الحافظ ابن كثير.

دِثار، عن ابن عمر أنه قال: الكوثر نهر في الجنة، حافتاه ذهب وفضة، يجري على الدر والياقوت، ماؤه أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل[١].

وكذا رواه الترمذي عن ابن حميد، عن جرير، عن عطاء بن السائب، به مثله[٢]، موقوفاً. وقد روي مرفوعاً فقال الإمام أحمد: حدثنا علي بن حفص، حدثنا ورقاء قال: وقال عطاء [بن السائب][٣] عن محارب بن دِثار، عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «الكوثر نهر في الجنة حافتاه من ذهب، والماء يجري على اللؤلؤ، وماؤه أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل»[٤].

وهكذا رواه الترمذي، وابن ماجه، وابن أبي حاتم، وابن جرير، من طريق محمد بن فضيل، عن عطاء بن السائب، به مرفوعاً. وقال الترمذي: حسن صحيح[٥].

وقال ابن جرير: حدثني يعقوب، حدثنا ابن عُليَّة، أخبرنا عطاء بن السائب قال: قال لي محارب بن دثار: ما قال سعيد بن جبير في الكوثر؟ قلت: حَدَثنا عن ابن عباس أنه قال: هو الخير الكثير. فقال: صدق، والله إنه للخير الكثير. ولكن حدثنا ابن عمر قال: لما نزلت: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١﴾ قال رسول الله ﷺ: «الكوثر نهر في الجنة، حافتاه من ذهب، يجري على الدر والياقوت»[٦].

وقال ابن جرير: حدثني ابن [البرقي][٧]، حدثنا [ابن أبي مريم][٨]، حدثنا محمد بن جعفر بن أبي كثير، أخبرني حَرَام بن عثمان، عن عبد الرحمٰن الأعرج، عن أُسامة بن زيد: أن رسول الله ﷺ أتى حمزة بن عبد المطلب يوماً فلم يجده، فسأل امرأته عنه ـ وكانت من بني النجار ـ فقالت: خرج يا نبي الله آنفاً عامداً نحوك، فأظنه أخطأك في بعض أزقة بني النجار، أَوَلا تدخلُ يا رسول الله؟ فدخل، فقدمت إليه حَيْساً، فأكل منه، فقالت: يا رسول الله، هنيئاً لك ومريئاً، لقد جئتَ وأنا أريد أن آتيك فأهْنيك وأمْريك؛ أخبرني أبو عمارة أنك أعطيت نهراً في الجنة يدعى الكوثر. فقال: «أجل، وعرضه ـ يعني أرضه ـ ياقوت ومرجان، وزبرجد ولؤلؤ»[٩].

حَرَام بن عثمان ضعيف. ولكن هذا سياق حسن، وقد صحَّ أصل هذا، بل قد تواتر من طريق تفيد القطع عند كثير من أئمة الحديث، وكذلك أحاديث الحوض.

---

(١) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده حسن، ويشهد له ما سبق.
(٢) أخرجه الترمذي من طريق محمد بن فضيل عن عطاء بن السائب به. وقال: حسن صحيح. (السنن، التفسير، باب ومن سورة الكوثر ح٣٣٦١؛ وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (ح٢٦٧٧).
(٣) زياد من (ح).
(٤) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه، وقواه محققوه بالمتابعات. (المسند ٩/ ٢٥٧ ح٥٣٥٥).
(٥) ينظر المصدر قبل السابق وسنن ابن ماجه، الزهد، صفة الجنة (٤٣٣٤) وتفسير الطبري.
(٦) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده حسن ويشهد له ما قبله من الروايات المرفوعة والموقوفة.
(٧) كذا (ح) و(حم) وتفسير الطبري، وفي الأصل بياض.
(٨) كذا (ح) و(حم) وتفسير الطبري، وفي الأصل صحف إلى: ابن إبراهيم.
(٩) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده ضعيف لضعف حرام بن عثمان ولمعظمه شواهد تقدمت.

وهكذا رُوي عن أنس، وأبي العالية، ومجاهد[١]، وغير واحدٍ من السلف: أن الكوثر: نهر في الجنة. وقال عطاء: هو حوض في الجنة[٢].

وقوله: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢﴾ أي: كما أعطيناك الخير الكثير في الدنيا والآخرة، ومن ذلك النهرُ الذي تقدم صفته، فأخلص لربك صلاتك المكتوبة والنافلة ونَحْرَك، فاعبده وحده لا شريك له، وانحر على اسمه وحده لا شريك له. كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝١٦٣﴾ [الأنعام]، قال ابن عباس، وعطاء، ومجاهد، وعكرمة، والحسن: يعني بذلك نحر البُدْن ونحوها. وكذا قال قتادة، ومحمد بن كعب القرظي، والضحاك، والربيع، وعطاء الخراساني، والحكم، وإسماعيل بن أبي خالد، وغير واحد من السلف[٣]. وهذا بخلاف ما كان المشركون عليه من السجود لغير الله، والذبح على غير اسمه، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ﴾ الآية [الأنعام: ١٢١].

وقيل: المراد بقوله: ﴿وَٱنْحَرْ﴾ وضع اليد اليمنى على اليسرى تحت النحر. يُروَى هذا عن علي، ولا يصح. وعن الشعبي مثله[٤].

وعن أبي جعفر الباقر: ﴿وَٱنْحَرْ﴾ يعني: ارفع اليدين عند افتتاح الصلاة[٥].

وقيل: ﴿وَٱنْحَرْ﴾ أي: استقبل بنحرك القبلة. ذكر هذه الأقوال الثلاثة ابن جرير.

وقد روى ابن أبي حاتم هٰهنا حديثاً منكراً جداً فقال: حدثنا وهب بن إبراهيم [الفامي][٦] ـ سنة خمس وخمسين ومائتين ـ حدثنا إسرائيل بن حاتم المروزي، حدثنا مقاتل بن حيان، عن الأصبغ بن نباتة، عن علي بن أبي طالب قال: لما نزلت هذه السورة على النبي ﷺ: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢﴾ قال رسول الله: «يا جبريل، ما هذه النَّحيرة التي أمرني بها ربي؟» فقال: ليست بنحيرة، ولكنه يأمرك إذا تحرمت للصلاة، ارفع يديك إذا كبرت وإذا ركعت، وإذا رفعت رأسك من الركوع، وإذا سجدت، فإنها صلاتنا وصلاة الملائكة الذين

---

(١) قول أنس تقدم، وقول أبي العالية أخرجه الطبري بسند جيد من طريق الربيع بن أنس. وقول مجاهد أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق عبد الوهاب عن مجاهد، وعبد الوهاب هو ابن مجاهد وهو ضعيف.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة بسند حسن من طريق فطر ـ وهو ابن خليفة ـ عن عطاء. (المصنف ٧/ ٤٤٣).

(٣) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس؛ وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد؛ وأخرجه الطبري بسند حسن من طريق فطر عن عطاء؛ وأخرجه الطبري بسند حسن من طريق عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق عوف، وهو الأعرابي، عن الحسن؛ وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

(٤) أخرجه الطبري بأسانيد من طريق عقبة بن ظبيان عن علي، ومن طريق عقبة بن ظهير، وهما واحد وقد سكت عنه البخاري في التاريخ الكبير وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق عوف عن أبي القموص.

(٥) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق جابر عن أبي جعفر الباقر، وجعفر هو الجعفي وهو ضعيف.

(٦) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل صُحف إلى: العاصي.

في السموات السبع، وإن لكل شيء زينة، وزينة الصلاة رفع اليدين عند كل تكبيرة.

وهكذا رواه الحاكم في المستدرك، من حديث إسرائيل بن حاتم، به[١].

وعن عطاء الخراساني: ﴿وَٱنْحَرْ﴾ أي: ارفع صلبك بعد الركوع واعتدل، وأبرز نحرك، يعني به: الاعتدال. رواه ابن أبي حاتم[٢].

[كل هذه الأقوال غريبة جداً][٣]. والصحيح القول الأول، أن المراد بالنحر ذبح المناسك؛ ولهذا كان رسول الله ﷺ يصلي العيد، ثم ينحر نسكه ويقول: «من صلى صلاتنا، ونسك نسكنا، فقد أصاب النسك. ومن نسك قبل الصلاة فلا نسك له». فقام أبو بردة بن نيار فقال: يا رسول الله، إني نَسكتُ شاتي قبل الصلاة، وعرفت أن اليوم يوم يشتهى فيه اللحم. قال: «شاتك شاة لحم». قال: فإن عندي عناقاً هي أحب إليَّ من شاتين، أفتجزيء عني؟ قال: «تجزئك، ولا تجزئ أحداً بعدك»[٤].

قال أبو جعفر بن جرير: والصواب قول من قال: معنى ذلك: فاجعل صلاتك كلها لربك خالصاً دون ما سواه من الأنداد والآلهة، وكذلك نَحُرك اجعله له دون الأوثان؛ شكراً له على ما أعطاك من الكرامة والخير، الذي لا كُفْءَ له، وخصَّك به[٥].

وهذا الذي قاله في غاية الحسن، وقد سبقه إلى هذا المعنى: محمد بن كعب القرظي، وعطاء.

وقوله: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣﴾ أي: إن مبغضك - يا محمد - ومبغض ما جئت به من الهدى والحق والبرهان الساطع والنور المبين، هو الأبتر الأقل الأذل المنقطع ذكْرُه.

قال ابن عباس، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وقتادة: نزلت في العاص بن وائل[٦].

وقال محمد بن إسحاق، عن يزيد بن رومان قال: كان العاص بن وائل إذا ذكر رسول الله ﷺ يقول: دعوه فإنه رجل أبتر لا عقب له، فإذا هلك انقطع ذكره. فأنزل الله هذه السورة[٧].

وقال شَمِر بن عطية: نزلت في عقبة بن أبي مُعَيط[٨].

---

(١) أخرجه الحاكم من طريق إسرائيل بن حاتم به وتعقبه الذهبي بقوله: إسرائيل صاحب عجائب لا يعتمد عليه، وأصبغ شيعي متروك عند النسائي. (المستدرك ٢/ ٥٣٧، ٥٣٨).

(٢) عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم عن عطاء بنحوه.

(٣) زيادة من (حم).

(٤) أخرجه الشيخان من حديث البراء ﷺ. (صحيح البخاري، العيدين، باب الأكل يوم النحر ح٩٥٥؛ وصحيح مسلم، الأضاحي، باب وقتها ح١٩٦١).

(٥) ذكره الطبري بلفظه.

(٦) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي عن ابن عباس، ويتقوىٰ بالمراسيل التالية؛ فقد أخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد؛ وأخرجه عبد الرزاق والطبري بسند صحيح من طريق معمر عن قتادة؛ وأخرجه الطبري بسند حسن من طريق هلال بن خباب عن سعيد بن جبير.

(٧) سنده ضعيف لعنعنة ابن إسحاق ولأنه مرسل ويتقوىٰ بالمراسيل السابقة.

(٨) أخرجه الطبري بسند ضعيف فيه ابن حميد وهو محمد بن حميد الرازي وهو ضعيف.

وقال ابن عباس ـ أيضاً ـ، وعكرمة: نزلت في كعب بن الأشرف وجماعة من كفار قريش[١].

وقال البزار: حدثنا زياد بن يحيى الحَسَّاني، حدثنا ابن أبي عدي، عن داود، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: قدم كعب بن الأشرف مكة فقالت له قريش: أنت سيدهم ألا ترى إلى هذا المُصَنْبر المنبتر من قومه يزعم أنه خير منا، ونحن أهل الحجيج، وأهل السدانة وأهل السقاية؟ فقال: أنتم خير منه. قال: فنزلت: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣﴾[٢].

هكذا رواه [البزار][٣]، وهو إسناد صحيح.

وقال عطاء: نزلت في أبي لهب[٤]، وذلك حين مات ابن رسول الله ﷺ فذهب أبو لهب إلى المشركين وقال: بُتِرَ محمد الليلة. فأنزل الله في ذلك: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣﴾.

وعن ابن عباس: نزلت في أبي جهل وعنه: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ﴾ يعني: عدوك[٥]. وهذا يَعُمُّ جميع من اتصف بذلك ممن ذكر وغيرهم.

وقال عكرمة: ﴿ٱلْأَبْتَرُ﴾: الفرد. وقال السُّدِّي: كانوا إذا مات ذكورُ الرجل قالوا: بُتر. فلما مات أبناء رسول الله ﷺ قالوا: بُتر محمد. فأنزل الله: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣﴾.

وهذا يرجع إلى ما قلناه من أن الأبتر الذي مات انقطع ذكره، فتوهموا لجهلهم أنه إذا مات بنوه ينقطع ذكره، وحاشا [وكلا][٦]، بل قد أبقى الله ذكره على رؤوس الأشهاد، وأوجب شرعه على رقاب العباد، مستمراً على دوام الآباد، إلى يوم الحشر والمعاد، صلوات الله وسلامه عليه دائماً إلى يوم التناد.

آخر تفسير سورة ﴿ٱلْكَوْثَرَ﴾، ولله الحمد والمنة.

---

(١) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق داود عن عكرمة عن ابن عباس.

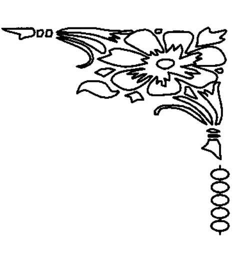
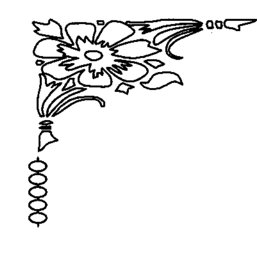
(٢) أخرجه البزار بسنده ومتنه. (مختصر زوائد مسند البزار ٢/ ١٢١ ح١٥٣٨)، وصحح سنده الحافظ ابن كثير وضعفه الحافظ ابن حجر.

(٣) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل صُحف إلى: الترمذي.

(٤) عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم عن عطاء.

(٥) عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه.

(٦) كذا في (حم)، وفي الأصل صُحف إلى: ولما.

سُورَةُ ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾

وهي مكية

ثبت في صحيح مسلم، عن جابر: أن رسول الله ﷺ قرأ بهذه السورة، وبـ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝﴾ [الإخلاص] في ركعتي الطواف[1].

وفي صحيح مسلم، من حديث أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قرأ بهما في ركعتي الفجر[2].

وقال الإمام أحمد: حدثنا وَكِيع، حدثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن مجاهد، عن ابن عمر: أن رسول الله ﷺ قرأ في الركعتين قبل الفجر والركعتين بعد المغرب، بضعاً وعشرين مرة - أو: بضع عشرة مرة - ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝﴾ و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝﴾[3].

وقال أحمد - أيضاً -: حدثنا محمد بن عبد الله بن الزبير، حدثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن مجاهد، عن ابن عمر قال: رمقتُ النبيَّ ﷺ أربعاً وعشرين - أو خمساً وعشرين - مرة، يقرأ في الركعتين قبل الفجر، والركعتين بعد المغرب بـ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝﴾ و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝﴾[4].

وقال أحمد: حدثنا أبو أحمد - هو محمد بن عبد الله بن الزبير الزبيري -، حدثنا سفيان - هو الثوري - عن أبي إسحاق، عن مجاهد، عن ابن عمر قال: رَمقتُ النبي ﷺ شهراً، وكان يقرأ في الركعتين قبل الفجر بـ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝﴾ و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝﴾[5].

وكذا رواه الترمذي وابن ماجه، من حديث أبي أحمد الزبيري. أخرجه النسائي من وجه آخر، عن أبي إسحاق، به. وقال الترمذي: هذا حديث حسن[6].

وقد تقدم في الحديث أنها تعدل ربع القرآن و﴿إِذَا زُلْزِلَتِ﴾ [الزلزلة: ١] تعدل ربع القرآن[7].

وقال الإمام أحمد: حدثنا هاشم بن القاسم، حدثنا زهير، حدثنا أبو إسحاق، عن فروةَ بن

---

(١) صحيح مسلم، الحج، باب حجة النبي ﷺ (ح١٢١٨).

(٢) صحيح مسلم، صلاة المسافرين، باب استحباب ركعتي سنة الفجر (ح٧٢٦).

(٣) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه، وصحح سنده محققوه. (المسند ٨/ ٣٨١ ح٤٧٦٣).

(٤) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه، وصحح سنده محققوه (المسند ١٠/ ٣٢ ح٥٧٤٢).

(٥) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٢/ ٩٤) وسنده صحيح.

(٦) سنن الترمذي، الصلاة، باب ما جاء في تخفيف ركعتي الفجر (ح٤١٧)؛ وسنن النسائي، الإفتتاح، باب القراءة في الركعتين بعد المغرب ٢/ ١٧٠؛ وسنن ابن ماجه، الإقامة، باب ما جاء فيما يُقرأ في الركعتين قبل الفجر (ح١١٤٩)؛ وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (ح٩٤٣).

(٧) تقدم في بداية تفسير سورة الزلزلة.

نَوفل ـ هو ابن معاوية ـ عن أبيه، أن رسول الله ﷺ قال له: «هل لك في ربيبة لنا تكفلها؟» قال: أراها زينب. قال: ثم جاء فسأله النبي ﷺ عنها، قال: «ما فعلت الجارية؟» قال: تركتها عند أُمها. قال: فمجيء ما جاءك بك؟ قال: جئت لتعلمني شيئاً أقوله عند منامي. قال: «اقرأ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١﴾ ثم نُم علىٰ خاتمتها، فإنها براءة من الشرك». تفرد به أحمد(١).

وقال أبو القاسم الطبراني: حدثنا أحمد بن عَمرو القطراني، حدثنا محمد بن الطفيل، حدثنا شريك، عن أبي إسحاق، عن جبلة بن حارثة ـ وهو أخو زيد بن حارثة ـ أن النبي ﷺ قال: «إذا أويت إلى فراشك فاقرأ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١﴾ حتى تمر بآخرها، فإنها براءة من الشرك»(٢).

وقال الإمام أحمد: حدثنا حجاج، حدثنا شريك، عن أبي إسحاق، عن فروة بن نوفل، عن الحارث بن جبلة قال: قلت: يا رسول الله، علمني شيئاً أقوله عند منامي. قال: «إذا أخذت مضجعَك من الليل فاقرأ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١﴾ فإنها براءة من الشرك»(٣).

وروى الطبراني من طريق شريك، عن جابر، عن معقل الزبيدي، عن [عباد أبي الأخضر عن خباب](٤)، أن رسول الله ﷺ كان إذا أخذ مضجعه قرأ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١﴾ حتى يختمها(٥).

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۝٦﴾.

هذه السورة سورة البراءة من العمل الذي يعمله المشركون، وهي آمرة بالإخلاص فيه، فقوله: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١﴾ شمل كل كافر على وجه الأرض، ولكن المواجهون بهذا الخطاب هم كفارُ قريش.

وقيل: إنهم من جهلهم دَعَوا رسول الله ﷺ إلى عبادة أوثانهم سنة، ويعبدون معبوده سنة، فأنزل الله هذه السورة، وأمر رسوله ﷺ فيها أن يتبرأ من دينهم بالكلية، فقال: ﴿لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢﴾ يعني: من الأصنام والأنداد ﴿وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣﴾ وهو الله وحده لا شريك له. فـ«ما» هٰهنا بمعنى: «من».

ثم قال: ﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥﴾ أي: ولا أعبد عبادتكم؛ أي: لا أسلكها ولا أقتدي بها، وإنما أعبد الله على الوجه الذي يحبه ويرضاه؛ ولهذا قال:

---

(١) أخرجه الإمام أحمد من طريق إسرائيل عن أبي إسحاق به، وقال محققوه: حديث حسن على اضطراب في إسناده. (المسند ٣٩/ ٢٢٤ ح٢٣٨٠٧).

(٢) أخرجه الطبراني (المعجم الكبير ٤/ ٣٧٠٨١) ويشهد له سابقه.

(٣) ذكره الحافظ ابن حجر في أطراف المسند (٢/ ٢٢٠) ويشهد له قبل سابقه.

(٤) كذا في المعجم الكبير للطبراني، وفي الأصل: «عبد البر أخضر أو أحمر».

(٥) أخرجه الطبراني من طريق جابر الجعفي به (المعجم الكبير ٤/ ٩٣ ح٣٧٠٨). وسنده ضعيف لضعف جابر الجعفي (مجمع الزوائد ١٠/ ١٢١).

﴿وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥﴾ أي: لا تقتدون بأوامر الله وشرعه في عبادته، بل قد اخترعتم شيئاً من تلقاء أنفسكم، كما قال: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ [النجم: ٢٣] فتبرأ منهم في جميع ما هم فيه، فإن العابد لا بدّ له من معبود يعبده، وعبادة يسلكها إليه، فالرسول وأتباعه يعبدون الله بما شرعه؛ ولهذا كان كلمة الإسلام «لا إله إلا الله محمد رسول الله»؛ أي: لا معبود إلا الله ولا طريق إليه إلا بما جاء به الرسول ﷺ، والمشركون يعبدون غير الله عبادة لم يأذن بها الله؛ ولهذا قال لهم الرسول ﷺ: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۝٦﴾ كما قال تعالى: ﴿وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ ۖ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ۝٤١﴾ [يونس]، وقال: ﴿لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ﴾ [القصص: ٥٥].

وقال البخاري: يقال: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ﴾ الكفر ﴿وَلِيَ دِينِ﴾ الإسلام. ولم يقل: «ديني» لأن الآيات بالنون، فحذف الياء، كما قال: ﴿فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ [الشعراء: ٧٨] و﴿يَشْفِينِ﴾ [الشعراء: ٨٠] وقال غيره[١]: لا أعبد ما تعبدون الآن، ولا أجيبكم فيما بقي من عمري، ولا أنتم عابدون ما أعبد، وهم الذين قال: ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا﴾ [المائدة: ٦٤].

انتهى ما ذكره[٢].

ونقل ابن جرير عن بعض أهل العربية أن ذلك من باب التأكيد، كقوله: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦﴾ [الشرح] وكقوله: ﴿لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ۝٧﴾ [التكاثر] وحكاه بعضهم ـ كابن الجوزي، وغيره ـ عن ابن قتيبة، فالله أعلم. فهذه ثلاثة أقوال: أولها: ما ذكرناه أولاً. الثاني: ما حكاه البخاري وغيره من المفسرين أن المراد: ﴿لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣﴾ في الماضي ﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥﴾ في المستقبل. الثالث: أن ذلك تأكيد محض.

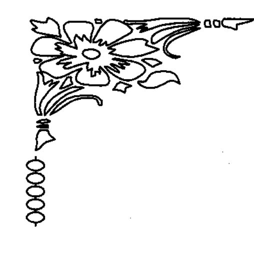
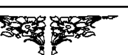
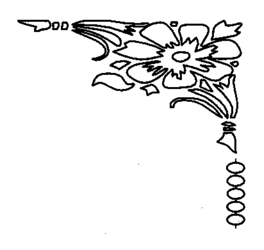
وثم قول رابع، نصره أبو العباس ابن تَيمية في بعض كتبه، وهو أن المراد بقوله: ﴿لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢﴾ نفي الفعل لأنها جملة فعلية ﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤﴾ نفي قبوله لذلك بالكلية؛ لأن النفي بالجملة الإسمية آكد فكأنه نفي الفعل، وكونه قابلاً لذلك ومعناه نفي الوقوع ونفي الإمكان الشرعي أيضاً. وهو قول حسن أيضاً، والله أعلم.

وقد استدل الإمام أبو عبد الله الشافعي وغيره بهذه الآية الكريمة: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۝٦﴾ على أن الكفر كله ملة واحدة تورثه اليهود من النصارى، وبالعكس؛ إذا كان بينهم نسب أو سبب يتوارث به؛ لأن الأديان ـ ما عدا الإسلام ـ كلها كالشيء الواحد في البطلان. وذهب أحمد بن حنبل ومن وافقه إلى عدم توريث النصارى من اليهود وبالعكس؛ لحديث عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يتوارث أهل ملتين شتى»[٣].

آخر تفسير سورة ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١﴾، ولله الحمد والمنّة.

---

(١) السابق ذكره البخاري من كلام الفراء واللاحق من كلام أبي عبيدة (ينظر فتح الباري ٨/ ٧٣٣).
(٢) ذكره البخاري. (الصحيح، التفسير، باب ١٠٩ سورة الكافرون).
(٣) تقدم تخريجه في تفسير سورة الأنفال آية ٧٣.

سُورَةُ ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾

وهي مدنية

قد تقدم أنها تعدل ربع القرآن، و﴿إِذَا زُلۡزِلَتِ﴾ [الزلزلة] تعدل ربع القرآن[١].

وقال النسائي: أخبرنا محمد بن إسماعيل بن إبراهيم، أخبرنا جعفر، عن أبي العُمَيس (ح) وأخبرنا أحمد بن سليمان، حدثنا جعفر بن عون، حدثنا أبو العُمَيس، عن عبد المجيد بن سهل، عن عُبَيد الله بن عبد الله بن عتبة قال: قال لي ابن عباس: يا ابن عتبة، أتعلم آخر سورة من القرآن نزلت؟ قلت: نعم ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ①﴾ قال: صدقت[٢].

وروى الحافظ أبو بكر البزار والبيهقي، من حديث موسى بن عبيدة الرّبذي، عن صدقة بن يَسَار، عن ابن عمر قال: أنزلت هذه السورة ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ①﴾ على رسول الله ﷺ أوسط أيام التشريق، فعرف أنه الوداع، فأمر براحلته القصواء فَرحلَت، ثم قام فخطب الناس، فذكر خطبته المشهورة[٣].

وقال الحافظ البيهقي: أخبرنا علي بن أحمد بن عبدان، أخبرنا أحمد بن عبيد الصفار، حدثنا الأسفاطي، حدثنا سعيد بن سليمان، حدثنا [عباد بن][٤] العوام، عن هلال بن خباب، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: لما نزلت: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ①﴾ دعا رسول الله ﷺ فاطمة وقال: «إنه قد نُعِيت إليّ نفسي»، فبكت ثم ضحكت، وقالت: أخبرني أنه نُعيت إليه نفسُه فبكيت، ثم قال: «اصبري فإنك أول أهلي لحاقاً بي» فضحكت[٥].

وقد رواه النسائي ـ كما سيأتي ـ بدون ذكر فاطمة.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ① وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ② فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ③﴾.

قال البخاري: حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا أبو عوانة، عن أبي بشر، عن سعيد بن

---

(١) تقدم تخريجه في مطلع تفسير سورة الزلزلة.

(٢) أخرجه النسائي بسنده ومتنه (السنن الكبرىٰ، التفسير، باب سورة النصر ح١١٧١٣) وسنده صحيح وأخرجه مسلم من طريق جعفر بن عون به (الصحيح، التفسير ح٣٠٢٤).

(٣) أخرجه البيهقي (السنن الكبرىٰ ٥/ ١٥٢) وعزاه الهيثمي إلى البزار وأعله بموسىٰ بن عبيدة لأنه ضعيف. (مجمع الزوائد ٣/ ٢٦٩).

(٤) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل حُرف إلى: «عساكر».

(٥) أخرجه البيهقي بسنده ومتنه. (دلائل النبوة ٧/ ١٦٧) وفي سنده هلال بن خباب صدوق تغيّر بأخرة. (التقريب ص٥٧٥) تارة يذكر فاطمة ﵂ وتارة لم يذكرها كما سيأتي في رواية الطبراني.

جُبَير، عن ابن عباس قال: كان عمر يُدخلني مع أشياخ بدر، وكان بعضهم وجَد في نفسَه فقال: لم يَدْخل هذا معنا ولنا أبناء مثله؟ فقال عمر: إنه ممن علمتم. فدعاهم ذات يوم فأدخله معهم، فما رئيت أنه دعاني فيهم يومئذٍ إلا ليُريهم فقال: ما تقولون في قول الله ﷻ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١﴾ فقال بعضهم: أمرنا أن نَحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفُتح علينا. وسكت بعضهم فلم يقل شيئاً، فقال لي: أكذلك تقول يا ابن عباس؟ فقلت: لا. فقال: ما تقول؟ فقلت: هو أجلُ رسول الله ﷺ أعلمه له، قال: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١﴾ فذلك علامة أجلك، ﴿فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ۝٣﴾ فقال عمر بن الخطاب: لا أعلم منها إلا ما تقول. تفرد به البخاري(١).

وروى ابن جرير، عن محمد بن حُمَيد، عن مِهْران، عن الثوري، عن عاصم، عن أبي رَزِين، عن ابن عباس، فذكر مثل هذه القصة، أو نحوها(٢).

وقال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن فُضَيل، حدثنا عطاء، عن سعيد بن جُبَير، عن ابن عباس قال: لما نَزَلت ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١﴾ قال رسول الله ﷺ: «نُعِيَت إليّ نفسي»... بأنه مقبوض في تلك السنة. تفرد به أحمد(٣).

وروى العوفي، عن ابن عباس، مثله. وهكذا قال مجاهد، وأبو العالية، والضحاك، وغير واحد: إنها أجل رسول الله ﷺ نُعِي إليه(٤).

وقال ابن جرير: حدثني إسماعيل بن موسى، حدثنا الحسين بن عيسى الحنفي، عن مَعْمَر، عن الزهري، عن أبي حازم، عن ابن عباس قال: بينما رسول الله ﷺ في المدينة إذ قال: «الله أكبر، الله أكبر! جاء نصر الله والفتح، جاء أهل اليمن». قيل: يا رسول الله، وما أهل اليمن؟ قال: «قوم رقيقة قلوبهم، لينة طباعهم، الإيمان يمان، والفقه يمان، والحكمة يمانية»(٥).

ثم رواه عن ابن عبد الأعلى، عن ابن ثور، عن معمر، عن عكرمة، مرسلاً(٦).

---

(١) أخرجه البخاري بسنده ومتنه. (الصحيح، التفسير، باب قوله: ﴿فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ۝٣﴾ [النصر] ح٤٩٧٠).

(٢) أخرجه الطبري عن محمد بن حميد به، وفي سنده محمد بن حميد وهو ضعيف، وقد توبع في رواية البخاري السابقة.

(٣) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ١/٢١٧) وسنده حسن.

(٤) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به، ويشهد له ما سبق؛ وأخرجه الطبري وآدم بن أبي إياس بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد؛ وأخرجه الطبري بسند ضعيف عن أبي العالية فيه محمد بن حميد، ويتقوىٰ بما سبق؛ وأخرجه الطبري بسند ضعيف عن الضحاك فيه إبهام شيخ الطبري، ويتقوىٰ بما سبق.

(٥) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، قال ابن أبي حاتم: قال أبي: هذا حديث باطل ليس له أصل، الزهري عن أبي حازم لا يجيء (العلل ٢/١٥٨).

(٦) سنده ضعيف لأنه مرسل.

وقال الطبراني: حدثنا زكريا بن يحيى، حدثنا أبو كامل الجَحْدَرِيّ، حدثنا أبو عَوَانة، عن هلال بن خَبَّاب، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: لما نزلت: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١﴾ حتى ختم السورة، قال: نُعِيت لرسول الله ﷺ نفسه حين نزلت، قال: فأخذ بأشد ما كان قط اجتهاداً في أمر الآخرة. وقال رسول الله ﷺ بعد ذلك: «جاء الفتحُ ونصر الله، وجاء أهل اليَمن». فقال رجل: يا رسول الله، وما أهل اليمن؟ قال: «قوم رقيقة قلوبهم، لينة قلوبهم، الإيمان يَمان، والفقه يمان»(١).

وقال الإمام أحمد: حدثنا وَكِيع، عن سفيان، عن عاصم، عن أبي رَزِين، عن ابن عباس قال: لما نزلت ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١﴾ علم النبي ﷺ أنه قد نُعِيت إليه نفسه، فقيل: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١﴾ السورة كلها(٢).

حدثنا وَكِيع، عن سفيان، عن عاصم، عن أبي رَزِين: أن عمر سأل ابن عباس عن هذه الآية ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١﴾ قال: لما نزلت نُعيت إلى رسول الله ﷺ نفسه(٣).

وقال الطبراني: حدثنا إبراهيم بن أحمد بن عُمَر الوكيعي، حدثنا أبي، حدثنا جَعفر بن عون، عن أبي العُمَيس، عن أبي بكر بن أبي الجهم، عن عُبَيد الله بن عَبد الله بن عتبة، عن ابن عباس قال: آخر سورة نزلت من القرآن جميعاً ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١﴾(٤).

وقال الإمام أحمد أيضاً: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن عمرو بن مُرّة، عن أبي البَخترِي الطائي، عن أبي سعيد الخدري، عن رسول الله ﷺ أنه قال: لما نزلت هذه السورة: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١﴾ قرأها رسول الله ﷺ حتى ختمها، فقال: «الناس حيز، وأنا وأصحابي حيز». وقال: «لا هجرة بعد الفتح، ولكن جهاد ونية». فقال له مَرْوان: كذبت - وعنده رافع بن خَديج، وزيد بن ثابت، قاعدان معه على السرير - فقال أبو سعيد: لو شاء هذان لحدثاك، ولكن هذا يخاف أن تنزعه عن عرافة قومه، وهذا يخشى أن تنزعه عن الصدقة. فرفع مروان عليه الدرة ليضربه، فلما رأيا ذلك قالا: صدق(٥).

تفرد به أحمد، وهذا الذي أنكره مروان على أبي سعيد ليس بمنكر، فقد ثبت من رواية ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال يوم الفتح: «لا هجرة، ولكن جهاد ونية، ولكن إذا استنفرتم فانفروا». أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما(٦).

---

(١) أخرجه الطبراني بسنده ومتنه (المعجم الكبير ١١/٣٢٨ ح١١٩٠٣) وفي سنده هلال بن خباب تغير في آخرة.

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه. (المسند ١/ ٣٤٤) وسنده حسن.

(٣) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ١/٣٥٦) وسنده حسن.

(٤) أخرجه الطبراني (المعجم الكبير ١٠/٣٦٩ ح١٠٧٣٦) وسنده صحيح وتقدم تخريجه في بداية تفسير هذه السورة الكريمة.

(٥) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه. وقال محققوه: صحيح لغيره، دون قوله: «الناس حيز، وأنا وأصحابي حيز» وهذا إسناد ضعيف لانقطاعه. (المسند ١٧/٢٥٨ ح١١١٦٧).

(٦) تقدم تخريجه في تفسير سورة البقرة آية ٢١٦.

فالذي فسر به بعض الصحابة من جلساء عمر، رضي الله عنهم أجمعين، مِنْ أنه قد أمرنا إذا فتح الله علينا المدائن والحصون أن نحمد الله ونشكره ونسبحه، يعني نصلي ونستغفره ـ معنى مليح صحيح، وقد ثبت له شاهد من صلاة النبي ﷺ يوم فتح مكة وقت الضحى ثماني ركعات، فقال قائلون: هي صلاة الضحى. وأجيبوا بأنه لم يكن يواظب عليها، فكيف صلاها ذلك اليوم وقد كان مسافراً لم يَنْوِ الإقامة بمكة؟ ولهذا أقام فيها إلى آخر شهر رمضان قريباً من تسعة عشر يوماً يقصر الصلاة ويُفطر هو وجميع الجيش، وكانوا نحواً من عشرة آلاف. قال هؤلاء: وإنما كانت صلاة الفتح، قالوا: فيستحب لأمير الجيش إذا فتح بلداً أن يصلي فيه أول ما يدخله ثماني ركعات. وهكذا فعل سعد بن أبي وقاص يوم فتح المدائن، ثم قال بعضهم: يصليها كلها بتسليمة واحدة. والصحيح أنه يسلم من كل ركعتين، كما ورد في سنن أبي داود: أن رسول الله ﷺ كان يسلم يوم الفتح من كل ركعتين[1]. وأما ما فسر به ابن عباس وعمر رضي الله عنهما، من أن هذه السورة نُعِي فيها إلى رسول الله ﷺ نفسه الكريمة، واعلم أنك إذا فتحت مكة ـ وهي قريتك التي أخرجتك ـ ودخل الناس في دين الله أفواجاً، فقد فرغ شغلنا بك في الدنيا، فتهيأ للقدوم علينا والوفود إلينا، فالآخرة خير لك من الدنيا، ولسوف يعطيك ربك فترضى، ولهذا قال: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ۝٣﴾.

قال النسائي: أخبرنا عمرو بن منصور، حدثنا محمد بن محبوب، حدثنا أبو عوانة، عن هلال بن خباب، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: لما نزلت ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۝١﴾ إلى آخر السورة، قال: نُعيت لرسول الله ﷺ نفسُه حين أنزلت، فأخذ في أشدّ ما كان اجتهاداً في أمر الآخرة، وقال رسول الله ﷺ بعد ذلك: «جاء الفتح، وجاء نصر الله، وجاء أهل اليمن». فقال رجل: يا رسول الله، وما أهل اليمن؟ قال: «قوم رقيقة قلوبهم، لَيِّنة قلوبهم، الإيمان يَمانٍ، والحكمة يمانية، والفقه يمان»[2].

وقال البخاري: حدثنا عثمان بن أبي شيبة، حدثنا جَرير، عن منصور، عن أبي الضحى، عن مسروق، عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده: «سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي» يتأول القرآن[3].

وأخرجه بقية الجماعة إلا الترمذي، من حديث منصور، به[4].

وقال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن أبي عدي، عن داود، عن الشعبي، عن مسروق قال: قالت عائشة: كان رسول الله ﷺ يكثر في آخر أمره من قول: «سبحان الله وبحمده، أستغفر الله وأتوب إليه». وقال: «إن ربي كان أخبرني أني سأرى علامة في أُمتي، وأمرني إذا رأيتها أن أسبح بحمده وأستغفره، إنه كان تواباً، فقد رأيتها: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ

---

(١) أخرجه أبو داود من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. (السنن، الصلاة، باب صلاة الضحىٰ ح١٢٩٠)؛ وضعفه الألباني في ضعيف سنن أبي داود (ح٢٨١).

(٢) أخرجه النسائي بسنده ومتنه (السنن الكبرىٰ، التفسير، سورة النصر ح١١٦٤٨) وفي سنده هلال بن خباب تغير بآخرة.

(٣) أخرجه البخاري بسنده ومتنه. (الصحيح، التفسير، باب ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۝١﴾ [النصر] ح٤٩٦٨).

(٤) صحيح مسلم، الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود (ح٤٨٤/ ٢١٧).

ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ﴿٣﴾»[١].

ورواه مسلم من طريق داود ـ وهو ابن أبي هند ـ به[٢].

وقال ابن جرير: حدثنا أبو السائب، حدثنا حفص، حدثنا عاصم، عن الشعبي، عن أُم سلمة قالت: كان رسول الله ﷺ في آخر أمره لا يقوم ولا يقعد، ولا يذهب ولا يجيء، إلا قال: «سبحان الله وبحمده». فقلت: يا رسول الله، إنك تكثر من سبحان الله وبحمده، لا تذهب ولا تجيء، ولا تقوم ولا تقعد إلا قلت: سبحان الله وبحمده؟ قال: «إني أمرت بها»، فقال: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴿١﴾ ...﴾ إلى آخر السورة[٣]. غريب، وقد كتبنا حديث كفارة المجلس من جميع طرقه وألفاظه في جزء مُفرد، فيكتب هٰهنا.

وقال الإمام أحمد: حدثنا وَكِيع، عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن أبي عُبَيدة، عن عبد الله قال: لما نزلت على رسول الله ﷺ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴿١﴾﴾ كان يكثر إذا قرأها ـ وركَعَ ـ أن يقول: «سبحانك اللَّهم ربنا وبحمدك، اللَّهم اغفر لي إنك أنت التواب الرحيم» ثلاثاً[٤].

تفرد به أحمد. ورواه ابن أبي حاتم، عن أبيه، عن عمرو بن مُرّة، عن شعبة، عن أبي إسحاق، به[٥].

والمراد بالفتح هٰهنا فتح مكة قولاً واحداً، فإن أحياء العرب كانت تَتَلَوّم بإسلامها فتح مكة، يقولون: إن ظهر على قومه فهو نبي. فلما فتح الله عليه مكة دخلوا في دين الله أفواجاً، فلم تمض سنتان حتى استوسقت جزيرة العرب إيماناً، ولم يبق في سائر قبائل العرب إلا مظهر للإسلام، ولله الحمد والمنة.

وقد روى البخاري في صحيحه عن عمرو بن سلمة قال: لما كان الفتح بادر كل قوم بإسلامهم إلى رسول الله ﷺ، وكانت الأحياء تَتَلَوّمُ بإسلامها فتح مكة، يقولون: دعوه وقومه، فإن ظهر عليهم فهو نبي... الحديث[٦].

وقد حَرّرنا غزوة الفتح في كتابنا: السيرة، فمن أراد فليراجعه هناك، ولله الحمد والمنة.

وقال الإمام أحمد: حدثنا معاوية بن عمرو، حدثنا أبو إسحاق، عن الأوزاعي، حدثني أبو عمار، حدثني جار لجابر بن عبد الله قال: قدمت من سفر فجاءني جابر بن عبد الله، فسلم عليّ، فجعلت أحدّثُهُ عن افتراق الناس وما أحدثوا، فجعل جابر يبكي، ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الناس دخلوا في دين الله أفواجاً، وسيخرجون منه أفواجاً»[٧].

[آخر تفسير سورة ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴿١﴾﴾، ولله الحمد والمنّة][٨].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه. (المسند ٦/ ٣٥) وسنده صحيح.

(٢) صحيح مسلم، الباب السابق (ح٤٨٤/ ٢٢٠).

(٣) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده منقطع فإن الشعبي لم يسمع من أُم سلمة ﵂، وقد استغربه الحافظ ابن كثير.

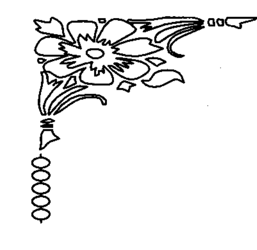
(٤) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه. (المسند ٦/ ٢٠٧ ح٣٦٨٣) قال محققوه: حسن لغيره، وهذا إسناد ضعيف لانقطاعه، أبو عبيدة، وهو ابن عبد الله بن مسعود، لم يسمع من أبيه.

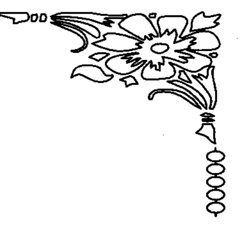
(٥) سنده كسابقه.

(٦) صحيح البخاري، المغازي، باب رقم ٥٣ (ح٤٣٠٢).

(٧) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه. (المسند ٣/ ٣٤٣) وسنده ضعيف لإبهام جار جابر بن عبد الله ﵁.

(٨) زيادة من (حم).





سورة ﴿تبت﴾

وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ ﴿٥﴾﴾.

قال البخاري: حدثنا محمد بن سلام، حدثنا أبو معاوية، حدثنا الأعمش، عن عمرو بن مُرّة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس: أن النبي ﷺ خرج إلى البطحاء، فصعد الجبل فنادى: «يا صباحاه». فاجتمعت إليه قريش، فقال: «أرأيتم إنْ حَدثتكم أن العدوّ مُصبحكم أو مُمْسيكم، أكنتم تصدقوني؟». قالوا: نعم. قال: «فإني نذيرٌ لكم بين يدي عذاب شديد». فقال أبو لهب: ألهذا جمعتنا؟ تبًّا لك. فأنزل الله: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾﴾ إلى آخرها(١).

وفي رواية: فقام ينفض يديه، وهو يقول: تبًّا لك سائر اليوم. ألهذا جمعتنا؟ فأنزل الله: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾﴾.

الأول: دعاء عليه، والثاني: خبر عنه. فأبو لهب هذا هو أحد أعمام رسول الله ﷺ واسمه: عبد العُزّى بن عبد المطلب، وكنيته أبو عُتبة. وإنما سمي «أبا لهب» لإشراق وجهه، وكان كثير الأذية لرسول الله ﷺ والبغضة له، والازدراء به، والتنقص له ولدينه.

قال الإمام أحمد: حدثنا إبراهيم بن أبي العباس، حدثنا عبد الرحمٰن بن أبي الزناد، عن أبيه قال: أخبرني رجل ـ يقال له: ربيعة بن عباد، من بني الديل، وكان جاهلياً فأسلم ـ قال: رأيت النبي ﷺ في الجاهلية في سوق ذي المجاز وهو يقول: «يا أيها الناس، قولوا: لا إله إلا الله تفلحوا». والناس مجتمعون عليه، ووراءه رجل وضيء الوجه أحولُ ذو غديرتين(٢)، يقول: إنه صابئ كاذب. يتبعه حيث ذهب، فسألت عنه فقالوا: هذا عمُّه أبو لهب(٣).

ثم رواه عن [سُرَيج](٤)، عن ابن أبي الزناد، عن أبيه، فذكره ـ قال أبو الزناد: قلت لربيعة:

---

(١) أخرجه البخاري بسنده ومتنه (الصحيح، التفسير، باب ﴿وَتَبَّ ﴿١﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾﴾ [المسد] ح٤٩٧٢).

(٢) أي: ذو ذؤابتين.

(٣) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه، وحسن سنده محققوه. (المسند ٢٥/ ٤٠٤، ٤٠٥ ح١٦٠٢٣).

(٤) كذا في المسند وفي الأصل و(ح): بلفظ: «شريح».

كنت يومئذٍ صغيراً؟ قال: لا، والله إني يومئذٍ لأعقل أني أزفر[١] القربة[٢]. تفرد به أحمد.

وقال محمد بن إسحاق: حدثني حُسَين بن عبد الله بن عُبيد الله بن عباس قال: سمعت ربيعة بن عباد الديلي يقول: إني لمع أبي رجل شاب، أنظر إلى رسول الله ﷺ يتبع القبائل ـ ووراءه رجل أحول وضيء، ذو جُمَّة ـ يَقِفُ رسول الله ﷺ على القبيلة فيقول: «يا بني فلان، إني رسول الله إليكم، آمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، وأن تصدقوني وتمنعوني حتى أنفِّذَ عن الله ما بعثني به». وإذا فرغ من مقالته قال الآخر من خلفه: يا بني فلان، هذا يريد منكم أن تسلُخوا اللات والعزى، وحلفاءكم من الجن من بني مالك بن أُقَيْش، إلى ما جاء به من البدعة والضلالة، فلا تسمعوا له ولا تتبعوه. فقلت لأبي: من هذا؟ قال: عمه أبو لهب[٣].

رواه أحمد أيضاً، والطبراني بهذا اللفظ[٤].

فقوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١﴾ أي: خسرت وخابت، وضلَّ عمله وسعيه، ﴿وَتَبَّ﴾ أي: وقد تَبَّ تحققُ خسارته وهلاكه.

وقوله: ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢﴾ قال ابن عباس وغيره: ﴿وَمَا كَسَبَ﴾ يعني: ولده[٥]. وَرُوي عن عائشة، ومجاهد، وعطاء، والحسن، وابن سيرين، مثله[٦].

وذُكر عن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ لما دعا قومه إلى الإيمان، قال أبو لهب: إذا كان ما يقول ابن أخي حقاً، فإني أفتدي نفسي يوم القيامة من العذاب بمالي وولدي. فأنزل الله: ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢﴾[٧].

وقوله: ﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣﴾ أي: ذات شرر ولهيب وإحراق شديد، ﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤﴾ وكانت زوجته من سادات نساء قريش، وهي: أُم جميل، واسمها أروى بنتُ حرب بن أُمية، وهي أخت أبي سفيان. وكانت عوناً لزوجها على كفره وجحوده وعناده؛ فلهذا تكون يوم القيامة عَوناً عليه في عذابه في نار جهنم. ولهذا قال: ﴿حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ ۝٥﴾ يعني: تحمل الحطب فتلقي على زوجها، ليزداد على ما هو فيه، وهي مُهَيَّأة لذلك مستعدة له.

﴿فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ ۝٥﴾ قال مجاهد، وعروة: من مَسد النار[٨].

---

(١) أي: أحملها.

(٢) (المسند ٣١/٣٤٢، ٣٤٣ ح١٩٠٠٥) حسن سنده محققوه.

(٣) أخرجه ابن إسحاق (ينظر السيرة النبوية لابن هشام ٢/٢٨٧) وسنده ضعيف لضعف حسين بن عبد الله بن عبيد الله (التقريب ص١٦٧) ويشهد له سابقه.

(٤) أخرجه الإمام أحمد من طريق ابن إسحاق به (المسند ٢٥/٤٠٧ ح١٦٠٢٥)؛ والطبراني. (المعجم الكبير ٥/٦٣).

(٥) أخرجه عبد الرزاق والطبري بسند حسن من طريق أبي الطفيل عن ابن عباس.

(٦) أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد؛ وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن ابن جريج عن عطاء عن مجاهد وعائشة.

(٧) أخرجه البغوي عن ابن مسعود تعليقاً بدون سند (معالم التنزيل ٤/٥٤٣).

(٨) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق يزيد عن عروة ويزيد وهو ابن رومان أو ابن عبد الله بن خصيفة =

وعن مجاهد، وعكرمة، والحسن، وقتادة، والثوري، والسدي: ﴿حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ﴾ كانت تمشي بالنميمة[(١)].

[وقال العوفي، عن ابن عباس، وعطية الجدلي، والضحاك، وابن زيد: كانت تضع الشوك في طريق رسول الله ﷺ[(٢)]، واختاره ابن جرير][(٣)].

قال ابن جرير: وقيل: كانت تُعيِّر النبي ﷺ بالفقر، وكانت تحتطب، فعيرت بذلك[(٤)].

كذا حكاه، ولم يعزه إلى أحد. والصحيح الأول، والله أعلم.

قال سعيد بن المسيب: كانت لها قلادة فاخرة، فقالت: لأنفقنها في عداوة محمد؛ يعني: فأعقبها الله بها حبلاً في جيدها من مسد النار.

وقال ابن جرير: حدثنا أبو كُرَيْب، حدثنا وكيع، عن سليم مولى الشعبي، عن الشعبي قال: المسد: الليف[(٥)].

وقال عروة بن الزبير: المسد: سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً[(٦)].

وعن الثوري: هي قلادة من نار، طولها سبعون ذراعاً[(٧)].

وقال الجوهري: المَسَدُ: الليف. والمَسدَ أيضاً: حبل من ليف أو خوص، وقد يكون من جلود الإبل أو أوبارها، ومسدت الحبل أمسدُهُ مَسْداً: إذا أجْدتُ فَتله[(٨)].

وقال مجاهد: ﴿فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۝٥﴾ أي: طوق من حديد، ألا ترى أن العرب يسمون البَكْرة مَسَداً؟

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي وأبو زُرْعة قالا: حدثنا عبد الله بن الزبير الحُمَيدي، حدثنا سُفيان، حدثنا الوليد بن كثير، عن ابن تدرس، عن أسماء بنت أبي بكر قالت: لما نزلت: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ﴾ أقبلت العوراء أُم جميل بنت حرب، ولها ولولة، وفي يدها فهر، وهي تقول:

مُذَمَّماً أَبَيْنَا ... ودينَه قَلَيْنَا ... وَأَمْرَه عَصَيْنَا

ورسول الله ﷺ جالس في المسجد ومعه أبو بكر، فلما رآها أبو بكر قال: يا رسول الله، قد أقبلت وأنا أخاف عليك أن تراك. فقال رسول الله ﷺ: «إنها لن تراني». وقرأ قرآناً اعتصم به، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ۝٤٥﴾ [الإسراء] فأقبلت حتى وقفت على أبي بكر ولم تر رسول الله ﷺ فقالت: يا أبا بكر، إني

= (تهذيب التهذيب ٧/ ١٨٢) وكلاهما ثقة؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

(١) أخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد؛ وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة.

(٢) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

(٣) زيادة من (ح) و(حم).

(٤) ذكره الطبري بنحوه.

(٥) لم أجده في تفسير الطبري، ونسبه السيوطي إلى ابن أبي حاتم عن الشعبي.

(٦) أخرجه الطبري بسند حسن تقدم قبل أربع روايات.

(٧) أخرجه الطبري من طريق مهران عن سفيان.

(٨) الصحاح ١/ ٥٣٥.

أُخبرتُ أن صاحبك هجاني؟ قال: لا، وربِّ هذا البيت ما هجاك. فولَّت وهي تقول: قد علمت قريش أني ابنة سيدها. قال: وقال الوليد في حديثه أو غيره: فعثَرَت أُم جميل في مِرْطها وهي تطوف بالبيت، فقالت: تَعس مُذَمَّم. فقالت أُم حكيم بنت عبد المطلب: إني لحصانٌ فما أكلَّم، وثَقَافُ فما أعلَّم، وكلنا من بني العم، وقريش بعد أعلم[(١)].

وقال الحافظ أبو بكر البزار: حدثنا إبراهيم بن سعيد وأحمد بن إسحاق قالا: حدثنا أبو أحمد، حدثنا عبد السلام بن حرب، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جُبَير، عن ابن عباس قال: لما نزلت ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١﴾ جاءت امرأة أبي لهب ورسول الله ﷺ جالس، ومعه أبو بكر. فقال له أبو بكر: لو تَنَحَّيت لا تُؤذيك بشيء. فقال رسول الله ﷺ: «إنه سَيُحال بيني وبينها». فأقبلت حتى وقفت على أبي بكر فقالت: يا أبا بكر، هجانا صاحبك. فقال أبو بكر: لا، وربِّ هذه البنية ما نَطَق بالشعر ولا يتفوه به. فقالت: إنك لمصدق، فلما ولَّت قال أبو بكر رضي الله عنه: ما رأتك؟! قال: «لا، ما زال ملك يسترني حتى ولَّت».

ثم قال البزار: لا نعلمه يُروَى بأحسنَ من هذا الإسناد، عن أبي بكر رضي الله عنه[(٢)].

وقد قال بعض أهل العلم في قوله تعالى: ﴿فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۝٥﴾ أي: في عنقها حبل من نار [جهنم][(٣)] تُرفَع به إلى شفيرها، ثم يرمى بها إلى أسفلها، ثم كذلك دائماً.

قال أبو الخطاب بن دَحْية في كتابه التنوير - وقد رَوَى ذلك -: وعُبر بالمسد عن حبل الدلو، كما قال أبو حنيفة الدينوري في كتاب «النبات»: كلّ مَسَد: رشاء، وأنشد في ذلك:

وَبَكْرَةً ومِحْوَراً صِرَاراً ... وَمَسَداً مِنْ أبقٍ مُغَاراً

قال: والأبقُ: القنَّبُ.

وقال الآخر:

يا مَسَدَ الخُوص تَعَوّذْ مني ... إنْ تَكُ لَدْناً لَيّناً فإنَي

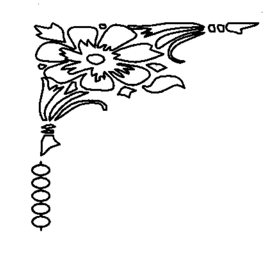
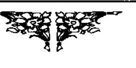
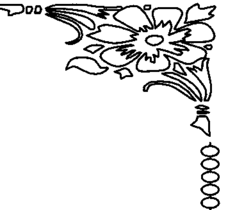
ما شْئتَ مِنْ أشْمَطَ مُقْسَئِنّ

قال العلماء: وفي هذه السورة معجزة ظاهرة ودليل واضح على النبوة؛ فإنه منذ نزل قوله تعالى: ﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۝٥﴾ فأخبر عنهما بالشقاء وعدم الإيمان، لم يقيض لهما أن يؤمنا، ولا واحد منهما لا ظاهراً ولا باطناً، لا مُسراً ولا مُعلناً، فكان هذا من أقوى الأدلة الباهرة على النبوة الظاهرة.

[آخر تفسير ﴿تَبَّتْ﴾، ولله الحمد والمنّة][(٤)].

---

(١) تقدم تخريجه في تفسير سورة الإسراء آية ٤٥.
(٢) تقدم تخريجه في تفسير سورة الإسراء آية ٤٥.
(٣) زيادة من (ح) و(حم).
(٤) زيادة من (ح) و(حم).

سُورَةُ الإخلاص

وهي مكية

ذكر سبب نزولها وفضلها

قال الإمام أحمد: حدثنا أبو سعد محمد بن [مُيَسّر][1] الصاغاني، حدثنا أبو جعفر الرازي، حدثنا الربيع بن أنس، عن أبي العالية، عن أُبيّ بن كعب: أن المشركين قالوا للنبي ﷺ: يا محمد، انسب لنا ربك، فأنزل الله: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾[2].

وكذا رواه الترمذي، وابن جرير، عن أحمد بن منيع ـ زاد ابن جرير: ومحمود بن خِدَاش ـ عن أبي سعد محمد بن [مُيَسّر][3] به ـ زاد ابن جرير والترمذي ـ قال: ﴿ٱلصَّمَدُ﴾ الذي لم يلد ولم يولد؛ لأنه ليس شيء يولد إلا سيموت، وليس شيء يموت إلا سيورث، وإن الله جلَّ جلاله لا يموت ولا يورث ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ ولم يكن له شبه ولا عِدل، وليس كمثله شيء.

ورواه ابن أبي حاتم، من حديث أبي سعد محمد بن مُيَسّر، به. ثم رواه الترمذي عن عبد بن حميد، عن عبيد الله بن موسى، عن أبي جعفر، عن الربيع، عن أبي العالية، فذكره مرسلاً ولم يذكر «أخبرنا». ثم قال الترمذي: هذا أصح من حديث أبي سعد[4].

حديث آخر في معناه: قال الحافظ أبو يعلى الموصلي: حدثنا سُرَيج بن يونس، حدثنا إسماعيل بن مجالد، عن مجالد، عن الشعبي، عن جابر: أن أعرابياً جاء إلى النبي ﷺ، فقال: انسب لنا ربك. فأنزل الله ﷻ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ...﴾ إلى آخرها[5]. إسناده مقارب.

وقد رواه ابن جرير عن محمد بن عوف، عن سُرَيج فذكره[6]. وقد أرسله غير واحد من السلف.

---

(١) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل صُحف إلى: «مبشر».

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه، وضعف سنده محققوه. (المسند ٣٥/ ١٤٣ ح٢١٢١٩) وسنده حسن فقد أخرجه الترمذي (السنن، التفسير، باب ومن سورة الإخلاص ح٣٣٦٤) وابن خزيمة (التوحيد ١/ ٩٥ ح١١)؛ والحاكم (المستدرك ٢/ ٥٤٠) كلهم بسنده ومتنه وصححه الحاكم ووافقه الذهبي. وحسنه الحافظ ابن حجر (فتح الباري ١٣/ ٣٥٦)؛ وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي (ح٢٦٨٠).

(٣) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل صُحف إلى: «مبشر».

(٤) تقدم تخريجه في سابقه.

(٥) أخرجه أبو يعلىٰ بسنده ومتنه (المسند ٤/ ٣٨ ح٢٠٤٤) وسنده ضعيف لضعف مجالد. ويشهد له سابقه.

(٦) أخرجه الطبري عن محمد بن عوف به، وحكمه كسابقه.

وروى عُبيد بن إسحاق العطار، عن قيس بن الربيع، عن عاصم، عن أبي وائل، عن ابن مسعود قال: قالت قريش لرسول الله ﷺ: أنسب لنا ربك، فنزلت هذه السورة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾[1].

قال الطبراني: رواه الفريابي وغيره، عن قيس، عن أبي عاصم، عن أبي وائل، مرسلاً[2]. ثم رَوَى الطبراني من حديث عبد الرحمٰن بن عثمان الطائفي، عن الوازع بن نافع، عن أبي سلمة، عن أبي هُرَيرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لكل شيء نسبة، ونسبة الله ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾»[3].

حديث آخر في فضلها: قال البخاري: حدثنا محمد ـ هو الذُّهليّ ـ حدثنا أحمد بن صالح، حدثنا ابن وهب، أخبرنا عمرو، عن ابن أبي هلال: أن أبا الرجال مُحمد بن عبد الرحمٰن حَدثه، عن أُمه عَمْرَةَ بنت عبد الرحمٰن ـ وكانت في حِجْر عائشة زوج النبي ﷺ ـ عن عائشة: أن النبي ﷺ بعث رجلاً على سَرِيَّة، وكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم، فيختم بـ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي ﷺ، فقال: «سلوه: لأيّ شيء يصنع ذلك؟». فسألوه، فقال: لأنها صفة الرحمٰن، وأنا أحب أن أقرأ بها. فقال النبي ﷺ: «أخبروه أن الله تعالى يحبه»[4].

هكذا رواه في كتاب «التوحيد». ومنهم من يسقط ذكر «محمد الذّهلي». ويجعله من روايته عن أحمد بن صالح. وقد رواه مسلم والنسائي أيضاً من حديث عبد الله بن وهب، عن عمرو بن الحارث، عن سعيد بن أبي هلال، به[5].

حديث آخر: قال البخاري في كتاب الصلاة: «وقال عُبَيد الله، عن ثابت، عن أنس قال: كان رجل من الأنصار يَؤمَهم في مسجد قُبَاء، فكان كلما افتتح سورة يقرأ بها لهم في الصلاة مما يقرأ به، افتتح بـ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ حتى يَفرُغ منها، ثم يقرأ سورة أخرى معها، وكان يصنع ذلك في كل ركعة. فكلّمه أصحابه فقالوا: إنك تفتتح بهذه السورة ثم لا ترى أنها تُجزئُك حتى تقرأ بالأخرى، فإما أن تقرأ بها، وإما أن تدعها وتَقرأ بأخرى. فقال: ما أنا بتاركها، إن أحببتم أن أؤمكم بذلك فعلت، وإن كرهتم تركتكم. وكانوا يَرَونَ أنه من أفضلهم، وكرهوا أن يَؤمهم غيره». فلما أتاهم النبي ﷺ أخبروه الخبر، فقال: «يا فلان، ما يمنعك أن تفعل ما يأمرك به أصحابك؟ وما حملك على لزوم هذه السورة في كل ركعة؟». قال: إني أحبها. قال: «حُبك إياها أدخلك الجنة»[6].

---

(١) يشهد له ما سبق.

(٢) سنده ضعيف لأنه مرسل، ويتقوىٰ برواية أُبي بن كعب.

(٣) سنده ضعيف لضعف عبد الرحمٰن بن عثمان (التقريب ص٣٤٦).

(٤) أخرجه البخاري بسنده ومتنه. (الصحيح، التوحيد، باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أُمته إلى توحيد الله تعالى ح٧٣٧٥).

(٥) صحيح مسلم، صلاة المسافرين، باب فضل قراءة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص] (ح٨١٣)؛ وسنن النسائي، الإفتتاح، باب الفضل في قراءة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ ٢/ ١٧٠.

(٦) أخرجه البخاري بسنده ومتنه (الصحيح، الأذان، باب الجمع بين السورتين في الركعة ح٧٧٤). وقد وصله الترمذي والإمام أحمد كما يلي.

هكذا رواه البخاري تعليقاً مجزوماً به. وقد رواه أبو عيسى الترمذي في جامعه، عن البخاري، عن إسماعيل بن أبي أويس، عن عبد العزيز بن محمد الدراوردي، عن عُبَيد الله بن عمر، فذكر بإسناده مثله سواء، ثم قال الترمذي: غريب من حديث عبيد الله، عن ثابت. قال: وروى مُبَارك بن فَضالة، عن ثابت، عن أنس، أن رجلاً قال: يا رسول الله، إني أحب هذه السورة: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ قال: «إن حُبَّك إياها أدخلك الجنة»[1].

وهذا الذي علقه الترمذي قد رواه الإمام أحمد في مسنده متصلاً، فقال:

حدثنا أبو النضر، حدثنا مبارك بن فضالة، عن ثابت، عن أنس قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: إني أحب هذه السورة: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ فقال رسول الله ﷺ: «حبك إياها أدخلك الجنة»[2].

حديث في كونها تعدل ثلث القرآن: قال البخاري: حدثنا إسماعيل، حدثني مالك، عن عبد الرحمٰن بن عبد الله بن عبد الرحمٰن بن أبي صَعْصَعَة، عن أبيه، عن أبي سعيد. أن رجلاً سمع رَجُلاً يقرأ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ يرددها، فلما أصبح جاء إلى النبي ﷺ، فذكر ذلك له، وكأن الرجل يتقالّها، فقال النبي ﷺ: «والذي نفسي بيده، إنها لتعدل ثلث القرآن». زاد إسماعيل بن جعفر، عن مالك، عن عبد الرحمٰن بن عبد الله، عن أبيه، عن أبي سعيد قال: أخبرني أخي قتادة بن النعمان، عن النبي ﷺ[3].

وقد رواه البخاري ـ أيضاً ـ عن عبد الله بن يوسف[4]، والقَعْنَبِيّ. ورواه أبو داود، عن القعنبي، والنسائي، عن قتيبة، كلهم عن مالك، به. وحديث قتادة بن النعمان أسنده النسائي من طريقين، عن إسماعيل بن جعفر، عن مالك، به[5].

حديث آخر: قال البخاري: حدثنا عُمَر بن حفص، حدثنا أبي، حدثنا الأعمش، حدثنا إبراهيم والضحاك المَشْرِقيّ، عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ لأصحابه: «أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن في ليلة؟». فشقَّ ذلك عليهم وقالوا: أينا يُطيق ذلك يا رسول الله؟ فقال: «الله الواحد الصمد ثلث القرآن»[6].

تفرد بإخراجه البخاري من حديث إبراهيم بن يزيد النَّخعي والضحاك بن شُرَحبيل الهمداني المشرقي، كلاهما عن أبي سعيد، قال الفَرَبِريّ: سمعت أبا جعفر محمد بن أبي حاتم وراقَ أبي عبد الله قال: قال أبو عبد الله البخاري: عن إبراهيم مرسل، وعن الضحاك مسند[7].

---

(١) سنن الترمذي، فضائل القرآن، باب ما جاء في سورة الإخلاص بعد حديث (٢٩٠١).

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٣/ ١٤١) وسنده حسن.

(٣) أخرجه البخاري بسنده ومتنه (الصحيح، التوحيد، باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله تعالى ح٧٣٧٤).

(٤) صحيح البخاري، فضائل القرآن، باب فضل ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص] (ح٥٠١٤).

(٥) المصدر السابق (ح٥٠١٣) وسنن أبي داود، الصلاة، باب في سورة الصمد (ح١٤٦١) والسنن الكبرى للنسائي. فضائل القرآن، باب سورة الإخلاص (ح٨٠٢٩).

(٦) أخرجه البخاري بسنده ومتنه (المصدر السابق ح٥٠١٥).

(٧) المصدر السابق بعد حديث ٥٠١٥ مباشرة.

حديث آخر: قال الإمام أحمد: حدثنا يحيى بن إسحاق، حدثنا ابن لَهِيعَة، عن الحارث بن يزيد، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد الخدري قال: بات قتادة بن النعمان يقرأ الليل كله بـ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ فذكر ذلك للنبي ﷺ، فقال: «والذي نفسي بيده، لَتَعدلُ نصف القرآن، أو ثلثه»[١].

حديث آخر: قال الإمام أحمد: حدثنا حسن، حدثنا ابن لهيعة، حدثنا حُيَيّ بن عبد الله، عن أبي عبد الرحمٰن الحُبُلي، عن عبد الله بن عمرو: أن أبا أيوب الأنصاري كان في مجلس وهو يقول: ألا يستطيع أحدكم أن يقوم بثلث القرآن كل ليلة؟ فقالوا: وهل يستطيع ذلك أحد؟ قال: فإن ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ ثلث القرآن. قال: فجاء النبي ﷺ وهو يسمع أبا أيوب، فقال: «صدق أبو أيوب»[٢].

حديث آخر: قال أبو عيسى الترمذي: حدثنا محمد بن بشار، حدثنا يحيى بن سعيد، حدثنا يزيد بن كيسَان، أخبرني أبو حَازم، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «احشُدوا، فإني سأقرأ عليكم ثلث القرآن». فحشد من حشد، ثم خرج نبي الله ﷺ فقرأ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ ثم دخل فقال بعضنا لبعض: قال رسول الله ﷺ: «فإني سأقرأ عليكم ثلث القرآن». إني لأرى هذا خبراً جاء من السماء، ثم خرج نبي الله ﷺ فقال: «إني قلت: سأقرأ عليكم ثلث القرآن، ألا وإنها تعدل ثلث القرآن»[٣].

وهكذا رواه مسلم في صحيحه، عن محمد بن بشار، به[٤]. وقال الترمذي: حسن صحيح غريب، واسم أبي حازم سلمان.

حديث آخر: قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرحمٰن بن مهدي، عن زائدة بن قُدَامة، عن منصور، عن هلال بن يَساف، عن الربيع بن خُثَيم، عن عمرو بن ميمون، عن عبد الرحمٰن بن أبي ليلى، عن امرأة من الأنصار، عن أبي أيوب، عن النبي ﷺ قال: «أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن في ليلة؟ فإنه من قرأ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾ في ليلة، فقد قرأ ليلتئذٍ ثلث القرآن»[٥].

هذا حديث تُسَاعيّ الإسناد للإمام أحمد. ورواه الترمذي والنسائي، كلاهما عن محمد بن بشار بندار ـ زاد الترمذي وقتيبة ـ كلاهما عن عبد الرحمٰن بن مهدي، به[٦]. فصار لهما عُشَاريا.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ١٧/ ١٨٦ ح١١١١٥) وضعفه محققوه لضعف ابن لهيعة.

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ١١/ ١٨٤ ح٦٦١٣) وسنده كسابقه.

(٣) أخرجه الترمذي بسنده ومتنه (السنن، فضائل القرآن، باب ما جاء في فضل سورة الإخلاص ح٢٩٠٠) وسنده صحيح.

(٤) صحيح مسلم، صلاة المسافرين، باب فضل قراءة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص] (ح٨٢١).

(٥) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٥/ ٤١٨) وسنده ضعيف لإبهام المرأة الأنصارية، ويشهد له ما سبق فيكون حسناً لغيره.

(٦) سنن الترمذي، الباب السابق (ح٢٨٩٦)؛ وسنن النسائي، الإفتتاح، باب الفضل في قراءة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ (ح١/ ١٧٢).

وفي رواية الترمذي: «عن امرأة أبي أيوب، عن أبي أيوب»، به. ثم قال: وفي الباب عن أبي الدرداء، وأبي سعيد، وقتادة بن النعمان، وأبي هريرة، وأنس، وابن عمر، وأبي مسعود. وهذا حديث حسن، ولا نعلم أحداً رَوَى هذا الحديث أحسن من رواية «زائدة». وتابعه على روايته إسرائيل، والفضيل بن عياض. وقد رَوَى شُعبةُ وغيرُ واحد من الثقات هذا الحديث عن منصور، واضطربوا فيه[(١)].

حديث آخر: قال أحمد: حدثنا هُشَيْم، عن حُصَين، عن هلال بن يَسَاف، عن عبد الرحمٰن بن أبي ليلى، عن أُبيّ بن كعب ـ أو: رجل من الأنصار ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ بـ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ فكأنما قرأ بثلث القرآن»[(٢)].

ورواه النسائي في «اليوم والليلة»، من حديث هُشَيم، عن حُصَين، عن ابن أبي ليلى، به[(٣)] ولم يقع في روايته: هلال بن يساف.

حديث آخر: قال الإمام أحمد: حدثنا وَكيع، عن سفيان، عن أبي قيس، عن عمرو بن ميمون، عن أبي مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ تعدلُ ثلث القرآن»[(٤)].

وهكذا رواه ابن ماجه، عن علي بن محمد الطَّنافسي، عن وَكِيع، به. ورواه النسائي في «اليوم والليلة» من طرق أخر، عن عمرو بن ميمون، مرفوعاً وموقوفاً.

حديث آخر: قال الإمام أحمد: حدثنا بَهْز، حدثنا [بُكَير][(٥)] بن أبي السَّميط، حدثنا قتادة، عن سالم بن أبي الجعد، عن مَعْدَان بن أبي طلحة، عن أبي الدّرداء، أن رسول الله ﷺ قال: «أيعجزُ أحدُكم أن يَقرأ كلّ يوم ثلث القرآن؟». قالوا: نعم يا رسول الله، نحن أضعفُ من ذلك وأعجز. قال: «فإن الله جَزأ القرآن ثلاثة أجزاء، فـ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ ثلث القرآن»[(٦)].

ورواه مسلم والنسائي، من حديث قتادة، به[(٧)].

حديث آخر: قال الإمام أحمد: حدثنا أُمية بن خالد، حدثنا محمد بن عبد الله بن مسلم ـ ابن أخي ابن شهاب ـ عن عمه الزهري، عن حُمَيد بن عبد الرحمٰن ـ هو ابن عوف ـ عن أُمه ـ وهي: أُم كلثوم بنت عقبة بن أبي مُعَيط ـ قالت: قال رسول الله ﷺ: «﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ تَعدلُ ثُلُثَ القرآن»[(٨)].

---

(١) سنن الترمذي، ما بعد حديث (٢٨٩٦).

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه، وقال محققوه: صحيح لغيره. (المسند ٣٥/ ١٩٧ ح٢١٢٧٥).

(٣) السنن الكبرى (ح١٠٥٢١).

(٤) (المسند ٤/ ١٢٢)؛ وسنن ابن ماجه، الأدب، باب ثواب القرآن (ح٣٧٨٩)؛ والسنن الكبرىٰ (ح١٠٥٢٤) وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (ح٣٠٥٦).

(٥) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل صحف إلى: «بكر».

(٦) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ١/ ٤٤٧) وسنده صحيح.

(٧) صحيح مسلم، صلاة المسافرين، باب فضل قراءة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص] (ح٨١١)، والسنن الكبرىٰ للنسائي، كتاب عمل اليوم والليلة (ح١٠٥٣٧).

(٨) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه، (المسند ٤٥/ ٢٤٤ ح٢٧٢٧٤) وصحح سنده محققوه.

وكذا رواه النسائي في «اليوم والليلة»، عن عمرو بن علي، عن أُمية بن خالد، به[١]. ثم رواه من طريق مالك، عن الزهري، عن حُمَيد بن عبد الرحمٰن، قوله. ورواه النسائي أيضاً في «اليوم والليلة» من حديث محمد بن إسحاق، عن الحارث بن الفُضَيل الأنصاري، عن الزهري، عن حُمَيد بن عبد الرحمٰن: أن نَفَراً من أصحاب محمد ﷺ حَدثوه عن النبي ﷺ أنه قال: «﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝﴾ تَعدلُ ثُلُثَ القرآن لمن صلى بها»[٢].

حديث آخر في كون قراءتها توجب الجنة: قال الإمام مالك بن أنس، عن عبيد الله بن عبد الرحمٰن، عن عُبيد بن حُنَين قال: سمعت أبا هريرة يقول: أقبلت مع النبي ﷺ، فسمع رجلاً يقرأ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝﴾ فقال رسول الله ﷺ: «وَجَبَتْ». قلت: وما وَجَبت؟ قال: «الجنة».

ورواه الترمذي والنسائي، من حديث مالك. وقال الترمذي: حسن صحيح غريب، لا نعرفه إلا من حديث مالك[٣].

وتقدم حديث: «حُبّك إياها أدخلك الجنة».

حديث في تكرار قراءتها: قال الحافظ أبو يعلى الموصلي: حدثنا [قَطن بن نُسير][٤] الغبري، حدثنا عبيس بن ميمون القرشي، حدثنا يزيد الرقاشي، عن أنس قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أما يستطيع أحدكم أن يقرأ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝﴾ ثلاث مرات في ليلة، فإنها تعدلُ ثلث القرآن؟»[٥].

هذا إسناد ضعيف، وأجود منه حديث آخر، قال عبد الله ابن الإمام أحمد:

حدثنا محمد بن أبي بكر المُقَدمي، حدثنا الضحاك بن مخلد، حدثنا ابن أبي ذئب، عن أُسيد بن أبي أُسيد، عن معاذ بن عبد الله بن خُبيب، عن أبيه قال: أصابنا طَشٌّ وظلمة، فانتظرنا رسول الله ﷺ يصلي لنا، فخرج فأخذ بيدي، فقال: «قل». فسكت. قال: «قل». قلت: ما أقول؟ قال: «﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝﴾ والمعوذتين حين تمسي وحين تصبح ثلاثاً، تكفك كل يوم مرتين»[٦].

ورواه أبو داود والترمذي والنسائي، من حديث ابن أبي ذئب، به. وقال الترمذي: حسن صحيح غريب من هذا الوجه. وقد رواه النسائي من طريق أخرى، عن معاذ بن عبد الله بن خبيب، عن أبيه، عن عقبة بن عامر، فذكره [ولفظه: «تكفيك كل شيء»][٧][٨].

---

(١) السنن الكبرىٰ (ح١٠٥٣١). (٢) السنن الكبرىٰ (ح١٠٥٣٢).

(٣) أخرجه الإمام مالك بسنده ومتنه (الموطأ، القرآن، باب ما جاء في قراءة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝﴾ [الإخلاص] ٢/ ٢٠٨ ح١٨)؛ وأخرجه الترمذي من طريقه (السنن، فضائل القرآن باب سورة الإخلاص ح٢٨٩٧)؛ وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (ح٢٣٢٠)؛ وكذا أخرجه النسائي، السنن، الإفتتاح (٢/ ١٧١).

(٤) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل صحف إلى: «مطر بن بشير».

(٥) أخرجه أبو يعلىٰ بسنده ومتنه (المسند ٧/ ١٥٠ ح٤١١٨) وسنده ضعيف جداً لأن عبيس بن ميمون متروك. (مجمع الزوائد ٧/ ١٤٧).

(٦) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه، وحسن سنده محققوه (المسند ٣٧/ ٣٣٥ ح٢٢٦٦٤).

(٧) زيادة من (ح) و(حم).

(٨) سنن أبي داود، الأدب، باب ما يقول إذا أصبح (ح٥٠٨٢)؛ وسنن الترمذي، الدعوات، باب الدعاء يقال عند النوم (ح٣٥٧٥)؛ وسنن النسائي، كتاب الاستعاذة، في بدايته، (٨/ ٢٥٠)؛ وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح٤٢٤١).

حديث آخر في ذلك: قال الإمام أحمد: حدثنا إسحاق بن عيسى، حدثنا ليث بن سعد، حدثني الخليل بن مرة، عن الأزهر بن عبد الله، عن تميم الداري قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال: لا إله إلا الله واحداً أحداً صمداً، لم يتخذ صاحبةً ولا ولداً، ولم يكن له كفواً أحداً، عشر مرات، كُتِب له أربعون ألف ألف حسنة»[1].

تفرد به أحمد، والخليل بن مُرّة: ضعفه البخاري وغيره بمُرّة.

حديث آخر: قال أحمد أيضاً: حدثنا حسن بن موسى، حدثنا ابن لَهِيعَة، حدثنا [زَبَّان][2] بن فائد، عن سهل بن معاذ بن أنس الجهني، عن أبيه، عن رسول الله ﷺ قال: «من قرأ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَـدٌ ۝١﴾ حتى يختمها، عشر مرات، بنى الله له قصراً في الجنة». فقال عمر: إذن نستكثر يا رسول الله. فقال ﷺ: «الله أكثر وأطيب». تفرد به أحمد[3].

ورواه أبو محمد الدارمي في مسنده فقال: حدثنا عبد الله بن يزيد، حدثنا حيوة، حدثنا أبو [عقيل][4] وغيره عن معبد - قال الدارمي: وكان من الأبدال - أنه سمع سعيد بن المسيب يقول: إن نبي الله ﷺ: «من قرأ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَـدٌ ۝١﴾ عشر مرات، بنى الله له قصراً في الجنة، ومن قرأها عشرين مرة بني الله له قصرين في الجنة، ومن قرأها ثلاثين مرة بنى الله له ثلاثة قصور في الجنة». فقال عمر بن الخطاب: إذن لتكثر قصورنا؟ فقال رسول الله ﷺ: «الله أوسع من ذلك»[5]. وهذا مرسل جيد.

حديث آخر: قال الحافظ أبو يعلى: حدثنا [نصر][6] بن علي، حدثني نوح بن قيس، أخبرني محمد العطار، أخبرتني أُم كثير الأنصارية، عن أنس بن مالك، عن رسول الله ﷺ قال: «من قرأ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَـدٌ ۝١﴾ خمسين مرة غُفرت له ذنوب خمسين سنة»[7]. إسناده ضعيف.

حديث آخر: قال أبو يعلى: حدثنا أبو الربيع، حدثنا حاتم بن ميمون، حدثنا ثابت، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ في يوم: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَـدٌ ۝١﴾ مائتي مرة، كتب الله له ألفاً وخمسمائة حسنة إلا أن يكون عليه دين»[8]. إسناده ضعيف، حاتم بن ميمون: ضعفه البخاري وغيره. ورواه الترمذي، عن محمد بن مرزوق البصري، عن حاتم بن ميمون، به. ولفظه: «من قرأ كل يوم، مائتي مرة: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَـدٌ ۝١﴾ محي عنه ذنوب خمسين سنة، إلا أن يكون عليه دَين».

---

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٤/ ١٠٣) وسنده ضعيف لضعف الخليل.

(٢) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل صحف إلى: «زياد».

(٣) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٣/ ٤٣٧) وسنده ضعيف لضعف ابن لهيعة وزبان كما في التقريب.

(٤) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل صحف إلى: «عبيد».

(٥) أخرجه الدارمي بسنده ومتنه (السنن، فضائل القرآن، باب في فضل﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَـدٌ ۝١﴾ [الإخلاص] ٢/ ٤٥٩) وسنده ضعيف لأنه مرسل.

(٦) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل صحف إلى: «مصر».

(٧) ضعف سنده الحافظ ابن كثير.

(٨) أخرجه أبو يعلىٰ بسنده ومتنه (المسند ٦/ ١٠٣) وضعف سنده الحافظ ابن كثير.

قال الترمذي: وبهذا الإسناد عن النبي ﷺ قال: «من أراد أن ينام على فراشه، فنام على يمينه، ثم قرأ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ مائة مرة، فإذا كان يوم القيامة يقول له الرب ﷻ: يا عبدي، ادخُل على يمينك الجنة». ثم قال: غريب من حديث ثابت، وقد رُوي من غير هذا الوجه، عنه(١).

وقال أبو بكر البزار: حدثنا سهل بن بحر، حدثنا حَبّان بن أغلب، حدثنا أبي، حدثنا ثابت، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ مائتي مرة، حطَّ الله عنه ذنوب مائتي سنة». ثم قال: لا نعلم رواه عن ثابت إلا الحسن بن أبي جعفر، والأغلب بن [تميم](٢)، وهما متقاربان في سوء الحفظ(٣).

حديث آخر في الدعاء بما تضمنته من الأسماء: قال النسائي عند تفسيرها: حدثنا عبد الرحمٰن بن خالد، حدثنا زيد بن الحباب، حدثني مالك بن مِغْول، حدثنا عبد الله بن بُرَيدة، عن أبيه: أنه دخل مع رسول الله ﷺ المسجد فإذا رجل يصلي، يدعو يقول: اللهم، إني أسألك بأني أشهد أن لا إله إلا أنت، الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد. قال: «والذي نفسي بيده، لقد سأله باسمه الأعظم، الذي إذا سئل به أعطى، وإذا دعي به أجاب».

وقد أخرجه بَقِيَّة أصحاب السنن من طُرُق، عن مالك بن مِغْول، عن عبد الله بن بُرَيدة، عن أبيه، به. وقال الترمذي: حسن غريب(٤).

حديث آخر في قراءتها عشر مرات بعد المكتوبة: قال الحافظ أبو يعلى [الموصلي](٥): حدثنا عبد الأعلى، حدثنا بشر بن منصور، عن عمر بن [نبهان](٦)، عن أبي شداد، عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث من جاء بِهِنّ مع الإيمان دَخَل من أيِّ أبواب الجنة شاء، وزُوِّج من الحور العين حيث شاء: من عفا عن قاتله، وأدَّى دينا خفياً، وقرأ في دُبر كل صلاة مكتوبة عشر مرات: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾». قال: فقال أبو بكر: أو إحداهن يا رسول الله؟ قال: «أو إحداهن»(٧).

حديث في قراءتها عند دخول المنزل: قال الحافظ أبو القاسم الطبراني: حدثنا محمد بن

---

(١) سنن الترمذي، فضائل القرآن، باب ما جاء في سورة الإخلاص (ح٢٨٩٨) وسنده ضعيف كسابقه لضعف حاتم بن ميمون.

(٢) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل صحف إلى: «مهم».

(٣) أخرجه ابن الضريس من طريق الحسن بن أبي جعفر عن ثابت به (فضائل القرآن ح٢٦٧).

(٤) أخرجه أبو داود (السنن، الصلاة، باب الدعاء ح١٤٩٣)؛ وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح١٣٢٤، ١٣٢٥)؛ وسنن الترمذي، فضائل القرآن (ح٣٨٧٥)؛ وسنن ابن ماجه، الأدب، باب اسم الله الأعظم (ح٣٨٥٧).

(٥) زيادة من (ح).

(٦) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل صُحف إلى: «سان».

(٧) أخرجه أبو يعلىٰ بسنده ومتنه (المسند ٣/ ٣٣٢ ح١٧٩٤) وسنده ضعيف جداً لأن عمر بن نبهان متروك (مجمع الزوائد ١٠/ ١٠٢).

عبد الله بن بكر السراج العسكري، حدثنا محمد بن الفرج، حدثنا محمد بن الزبرقان، عن مروان بن سالم، عن أبي زُرْعَة بن عمرو بن جرير، عن جرير بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ حين يدخل منزله، نفت الفقر عن أهل ذلك المنزل والجيران»[(١)]. إسناده ضعيف.

حديث في الإكثار من قراءتها في سائر الأحوال: قال الحافظ أبو يعلى: حدثنا محمد بن إسحاق المسيبي، حدثنا يزيد بن هارون، عن العلاء بن محمد الثقفي قال: سمعت أنس بن مالك يقول: كنا مع رسول الله ﷺ بتبوك، فطلعت الشمس بضياء وشعاع ونور لم نرها طلعت فيما مضى بمثله، فأتى جبريل النبي ﷺ فقال: «يا جبريل، ما لي أرى الشمس طلعت اليوم بضياء ونور وشعاع لم أرها طلعت بمثله فيما مضى؟». قال: إن ذلك معاوية بن معاوية الليثي، مات بالمدينة اليوم، فبعث الله إليه سبعين ألف ملك يصلون عليه. قال: «وفيم ذلك؟» قال: كان يكثر قراءة: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ في الليل وفي النهار، وفي ممشاه وقيامه وقعوده، فهل لك يا رسول الله أن أقبض لك الأرض فتصلي عليه؟ قال: «نعم». فصلى عليه[(٢)].

وكذا رواه الحافظ أبو بكر البيهقي في [كتاب][(٣)] «دلائل النبوة» من طريق يزيد بن هارون، عن العلاء أبي محمد[(٤)] ـ وهو متهم بالوضع ـ فالله أعلم.

طريق أخرى: قال أبو يعلى: حدثنا محمد بن إبراهيم الشامي أبو عبد الله، حدثنا عثمان بن الهيثم ـ مؤذن مسجد الجامع بالبصرة عندي ـ عن محمود أبي عبد الله، عن عطاء بن أبي ميمونة، عن أنس قال: نزل جبريل على النبي ﷺ فقال: مات معاوية بن معاوية الليثي، فتحب أن تصلي عليه؟ قال: «نعم». فضرب بجناحه الأرض، فلم تبقَ شجرة ولا أكَمَة إلا تضعضعت، فرفع سريره فنظر إليه، فكبَّر عليه وخلفه صفان من الملائكة، في كل صف سبعون ألف ملك، فقال النبي ﷺ: «يا جبريل، بِمَ نال هذه المنزلة من الله تعالى؟». قال بحبه: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾، وقراءته إياها ذاهباً وجائياً وقاعداً، وعلى كل حال[(٥)].

ورواه البيهقي، من رواية عثمان بن الهيثم المؤذن، عن محبوب بن هلال، عن عطاء بن أبي ميمونة، عن أنس، فذكره[(٦)]. وهذا هو الصواب، ومحبوب بن هلال قال أبو حاتم الرازي: «ليس بالمشهور»[(٧)]. وقد روي هذا من طرق أخر، تركناها اختصاراً، وكلها ضعيفة.

حديث آخر في فضلها مع المعوذتين: قال الإمام أحمد: حدثنا أبو المغيرة، حدثنا معاذ بن رفاعة، حدثني علي بن يزيد، عن القاسم، عن أبي أُمامة، عن عقبة بن عامر قال: لقيت رسول الله ﷺ، فابتدأته فأخذتُ بيده، فقلت: يا رسول الله، بِمَ نجاة المؤمن؟ قال: «يا عقبة،

---

(١) أخرجه الطبراني بسنده ومتنه (المعجم الكبير ٢/ ٣٤٠ ح٢٤١٩) وسنده ضعفه الحافظ ابن كثير.

(٢) أخرجه أبو يعلىٰ بسنده ومتنه (المسند ٧/ ٢٥٦ ح٤٢٦٧) وسنده ضعيف جداً لأن العلاء متهم بالوضع.

(٣) زياد من (ح).

(٤) دلائل النبوة ٥/ ٢٤٥.

(٥) أخرجه أبو يعلىٰ بسنده ومتنه (المسند ٧/ ٢٥٨ ح٤٢٦٨) وضعف سنده محققه: حسين سليم أسد، وضعف طرقه كلها الحافظ ابن كثير.

(٦) دلائل النبوة ٥/ ٢٤٦.

(٧) الجرح والتعديل ٨/ ٣٨٩.

اخْرُسْ لسانك وليسَعَك بيتُك، وابْكِ على خطيئتك». قال: ثم لقيني رسول الله ﷺ، فابتدأني فأخذ بيدي، فقال: «يا عقبة بن عامر، ألا أعلمك خير ثلاث سُوَر أنزلت في التوراة، والإنجيل، والزبور، والقرآن العظيم؟». قال: قلت: بلى، جعلني الله فداك. قال: فأقرأني: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝١﴾ [الفلق] و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ۝١﴾ [الناس] ثم قال: «يا عقبة، لا تَنْسَهُن ولا تُبتْ ليلة حتى تقرأهن». قال: فما نسيتهن منذ قال: «لا تنسهن»، وما بت ليلة قط حتى أقرأهن. قال عقبة، ثم لقيت رسول الله ﷺ فابتدأته، فأخذت بيده، فقلت: يا رسول الله، أخبرني بفواضل الأعمال. فقال: «يا عقبة، صِلْ من قطعك، وأعْطِ من حَرَمَك، وأعرض عمَّن ظلمك»[١].

روى الترمذي بعضه في «الزهد»، من حديث عُبيد الله بن زحر، عن علي بن يزيد وقال: هذا حديث حسن[٢]. وقد رواه أحمد من طريق آخر: حدثنا حسين بن محمد، حدثنا ابن عياش، عن أسيد بن عبد الرحمٰن الخَثْعَمي، عن فرْوَة بن مجاهد اللخمي، عن عقبة بن عامر، عن النبي ﷺ، فذكر مثله سواء[٣]. تفرد به أحمد.

حديث آخر في الاستشفاء بهن: قال البخاري: حدثنا قتيبة، حدثنا المفضل، عن عُقَيل، عن ابن شهاب، عن عروة، عن عائشة أن النبي ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه كُل ليلة جمع كفيه، ثم نفث فيهما فقرأ فيهما: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝١﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ۝١﴾ ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده، يبدأ بهما على رأسه ووجهه، وما أقبل من جسده، يفعل ذلك ثلاث مرات[٤].

وهكذا رواه أهل السنن، من حديث عُقَيل، به.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝٤﴾.

قد تقدم ذكر سبب نزولها. وقال عكرمة: لما قالت اليهود: نحن نعبد عُزيرَ ابن الله، وقالت النصارى: نحن نعبد المسيح ابن الله. وقالت المجوس: نحن نعبد الشمس والقمر، وقالت المشركون: نحن نعبد الأوثان، أنزل الله على رسوله ﷺ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾[٥].

يعني: هو الواحد الأحد، الذي لا نظير له ولا وزير، ولا نديد ولا شبيه ولا عديل، ولا

---

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ١٤٨/٤) وسنده ضعيف لضعف علي بن يزيد والقاسم.

(٢) السنن، الزهد، باب ما جاء في حفظ اللسان (ح٢٤٠٦) وسنده كسابقه.

(٣) أخرجه الإمام أحمد عن حسين بن محمد به، وحسن سنده محققوه بالمتابعات (المسند ٢٨/ ٦٥٤ ح١٧٤٥٢).

(٤) أخرجه البخاري بسنده ومتنه (الصحيح، فضائل القرآن، باب فضل المعوذات ح٥٠١٧).

(٥) سنده ضعيف لأنه مرسل، ويخالف ما ثبت عن أُبي بن كعب.

يُطلَق هذا اللفظ على أحد في الإثبات إلا على الله ﷻ؛ لأنه الكامل في جميع صفاته وأفعاله.

وقوله: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾ قال عكرمة، عن ابن عباس: يعني الذي يصمد الخلائق إليه في حوائجهم ومسائلهم[(١)].

قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: هو السيد الذي قد كمل في سؤدده، والشريف الذي قد كمل في شرفه، والعظيم الذي قد كمل في عظمته، والحليم الذي قد كمل في حلمه، والعليم الذي قد كمل في علمه، والحكيم الذي قد كمل في حكمته[(٢)].

وهو الذي قد كمل في أنواع الشرف والسؤدد، وهو الله سبحانه، هذه صفته لا تنبغي إلا له، ليس له كفء، وليس كمثله شيء، سبحان الله الواحد القهار.

وقال الأعمش، عن شقيق، عن أبي وائل: ﴿ٱلصَّمَدُ﴾ السيد الذي قد انتهى سؤدده[(٣)]، ورواه عاصم، عن أبي وائل، عن ابن مسعود، مثله[(٤)].

وقال مالك، عن زيد بن أسلم: ﴿ٱلصَّمَدُ﴾ السيد[(٥)].

وقال الحسن، وقتادة: هو الباقي بعد خلقه[(٦)]. وقال الحسن أيضاً: ﴿ٱلصَّمَدُ﴾ الحي القيوم الذي لا زوال له.

وقال عكرمة: ﴿ٱلصَّمَدُ﴾ الذي لم يخرج منه شيء ولا يطعم[(٧)].

وقال الربيع بن أنس: هو الذي لم يلد ولم يولد[(٨)]. كأنه جعل ما بعده تفسيراً له، وهو قوله: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣﴾ وهو تفسير جيد. وقد تقدم الحديث من رواية ابن جرير، عن أُبي بن كعب في ذلك، وهو صريح فيه.

وقال ابن مسعود، وابن عباس، وسعيد بن المسيب، ومجاهد، وعبد الله بن بُريدة، وعكرمة أيضاً، وسعيد بن جبير، وعطاء بن أبي رباح، وعطية العوفي، والضحاك، والسدي: ﴿ٱلصَّمَدُ﴾ الذي لا جوف له[(٩)].

قال سفيان، عن منصور، عن مجاهد: ﴿ٱلصَّمَدُ﴾ المصمت الذي لا جوف له[(١٠)].

---

(١) عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم عن ابن عباس بنحوه.
(٢) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق علي به.
(٣) أخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق الأعمش به.
(٤) أخرجه الحافظ ابن حجر بسنده من طريق عاصم به. (تغليق التعليق ٤/ ٣٨٠) وسنده حسن.
(٥) سنده صحيح.
(٦) أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة: وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق قتادة عن الحسن.
(٧) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق أبي رجاء محمد بن سيف عن عكرمة.
(٨) أخرجه الطبري بسند جيد من طريق أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية.
(٩) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق عطية العوفي عن ابن عباس، ويتقوىٰ بالآثار التالية: أخرجه الطبري وابن أبي عاصم (السنة ٦٧٥) بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد؛ وأخرجه الطبري بسند حسن من طريق سلمة بن نبيط عن الضحاك؛ وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن عكرمة.
(١٠) أخرجه الطبري بسند صحيح عن الثوري به.

وقال الشعبي: هو الذي لا يأكل الطعام، ولا يشرب الشراب[١].

وقال عبد الله بن بُرَيدة أيضاً: ﴿ٱلصَّمَدُ﴾ نور يتلألأ.

روى ذلك كلَّه وحكاه: ابن أبي حاتم، والبيهقي والطبراني، وكذا أبو جعفر بن جرير ساق أكثر ذلك بأسانيده، وقال: حدثني العباس بن أبي طالب، حدثنا محمد بن عمر بن رومي، عن عبيد الله بن سعيد قائد الأعمش، حدثني صالح بن حيان، عن عبد الله بن بُريدة، عن أبيه قال - لا أعلم إلا قد رفعه - قال: ﴿ٱلصَّمَدُ﴾ الذي لا جوف له[٢]. وهذا غريب جداً، والصحيح أنه موقوف على عبد الله بن بُريدة.

وقد قال الحافظ أبو القاسم الطبراني في كتاب السنة له، بعد إيراده كثيراً من هذه الأقوال في تفسير «الصمد»: وكل هذه صحيحة، وهي صفات ربنا ﷻ، وهو الذي يُصمَد إليه في الحوائج، وهو الذي قد انتهى سؤدده، وهو الصمد الذي لا جوف له، ولا يأكل ولا شرب، وهو الباقي بعد خلقه. وقال البيهقي نحو ذلك أيضاً.

وقوله: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ أي: ليس له ولد ولا والد ولا صاحبة.

قال مجاهد: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ يعني: لا صاحبة له[٣].

وهذا كما قال تعالى: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ ۖ﴾ [الأنعام: ١٠١] أي: هو مالك كل شيء وخالقه، فكيف يكون له من خلقه من نظير يساميه، أو قريب يدانيه؟ تعالى وتقدس وتنزه. قال الله تعالى: ﴿وَقَالُوا ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۝٨٨ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ۝٨٩ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ۝٩٠ أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ۝٩١ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ۝٩٢ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ۝٩٣ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ۝٩٤ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ۝٩٥﴾ [مريم] وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ۝٢٦ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ۝٢٧﴾ [الأنبياء] وقال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا ۚ وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ۝١٥٨ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝١٥٩﴾ [الصافات] وفي الصحيح - صحيح البخاري -: «لا أحد أصبر على أذى سمعه من الله، إنهم يجعلون له ولداً، وهو يرزقهم ويعافيهم»[٤].

وقال البخاري: حدثنا أبو اليمان، حدثنا شعيب، حدثنا أبو الزناد، عن الأعرج، عن أبي هُرَيرة، عن النبي ﷺ قال: «قال الله ﷻ: كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك، فأما تكذيبه إياي فقوله: لن يُعيدَني كما بدأني، وليس أول الخلق بأهون علي من إعادته،

---

(١) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق إسماعيل بن أبي خالد عن الشعبي.
(٢) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وضعفه الحافظ ابن كثير.
(٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق طلحة بن مصرف عن مجاهد.
(٤) أخرجه البخاري من حديث أبي موسىٰ الأشعري ﷺ. (الصحيح، الأدب، باب الصبر على الأذىٰ ح٦٠٩٩).

وأما شتمه إياي فقوله: اتخذ الله ولداً. وأنا الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد»[١].

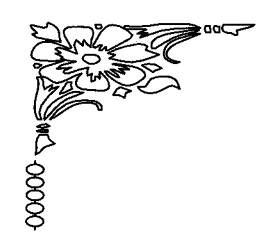
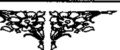
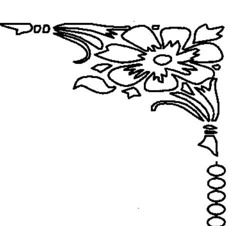
ورواه أيضاً من حديث عبد الرزاق، عن مَعْمَر، عن همام بن مُنَبِّه، عن أبي هريرة، مرفوعاً بمثله. تفرد بهما من هذين الوجهين[٢].

آخر تفسير سورة «الإخلاص»، ولله الحمد والمنّة.

---

(١) أخرجه البخاري بسنده ومتنه (الصحيح، التفسير، باب سورة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ①﴾ [الإخلاص] ح٤٩٧٤).

(٢) المصدر السابق، باب قوله: ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ ②﴾ [الإخلاص] (ح٤٩٧٥).

تفسير سورتي المعوَّذتين

وهما مدنيتان

قال الإمام أحمد: حدثنا عفان، حدثنا حماد بن سلمة، أخبرنا عاصم بن بَهْدَلة، عن زرٍّ بنُ حُبَيش قال: قلت لأبي بن كعب: إن ابن مسعود [كان][1] لا يكتب المعوَّذتين في مصحفه؟ فقال: أشهد أن رسول الله ﷺ أخبرني أن جبريل ﷺ، قال له: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ①﴾ فقلتها، قال: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ①﴾ فقلتها. فنحن نقول ما قال النبي ﷺ[2].

ورواه أبو بكر الحُميدي في مسنده، عن سفيان بن عيينة، حدثنا عبدة بن أبي لُبَابة وعاصم بن بهدلة، أنهما سمعا زرَّ بن حبيش قال: سألتُ أبي بن كعب عن المعوذتين، فقلت: يا أبا المنذر، إن أخاك ابن مسعود يَحُكُّهما من المصحف. فقال: إني سألت رسول الله ﷺ، فقال: «قيل لي: قل، فقلت». فنحن نقول كما قال رسول الله ﷺ[3].

وقال أحمد: حدثنا وَكِيع، حدثنا سفيان، عن عاصم، عن زرٍّ قال: سألتُ ابنَ مسعود عن المعوذتين فقال: سألتُ النبي ﷺ عنهما فقال: «قيل لي، فقلت لكم، فقولوا». قال أُبي: فقال لنا النبي ﷺ فنحن نقول[4].

وقال البخاري: حدثنا علي بن عبد الله، حدثنا سفيان، حدثنا عَبدةُ بن أبي لُبَابة، عن زرِّ بن حُبَيش ـ وحدثنا عاصم عن زرٍّ ـ قال: سألت أُبي بن كعب فقلت: أبا المنذر، إن أخاك ابن مسعود يقول كذا وكذا. فقال: إني سألت النبي ﷺ فقال: «قيل لي، فقلت». فنحن نقول كما قال رسول الله ﷺ[5].

ورواه البخاري ـ أيضاً ـ والنسائي، عن قتيبة، عن سفيان بن عيينة، عن عبدة وعاصم بن أبي النجود، عن زرِّ بن حبيش، عن أُبي بن كعب، به[6].

وقال الحافظ أبو يعلى: حدثنا الأزرق بن علي، حدثنا حسان بن إبراهيم، حدثنا الصَّلْت بن بَهرَام، عن إبراهيم، عن علقمة قال: كان عبد الله [يَحُكُّ][7] المعوَّذتين من المصحف، ويقول:

---

(١) زيادة من المسند.
(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه، وحسن سنده محققوه، وصححوه بالمتابعات. (المسند ٣٥/ ١١٦ ح٢١١٨٥).
(٣) أخرجه الحميدي بسنده ومتنه. (المسند ١/ ١٨٥ ح٣٧٤)، وسنده صحيح.
(٤) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه. (المسند ٥/ ١٢٩)، وسنده حسن.
(٥) أخرجه البخاري بسنده ومتنه. (الصحيح، التفسير، سورة ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ①﴾ [الفلق] ح٤٩٧٧).
(٦) المصدر السابق (ح٤٩٧٦).
(٧) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل صُحف إلى: «يحل».

إنما أمر رسول الله ﷺ أن يتعوذ بهما، ولم يكن عبد الله يقرأ بهما[١].

ورواه عبد الله بن أحمد من حديث الأعمش، عن أبي إسحاق، عن عبد الرحمٰن بن يزيد قال: كان عبد الله يحكُّ المعوذتين من مصاحفه، ويقول: إنهما ليستا من كتاب الله. قال الأعمش: وحدثنا عاصم، عن زرٍّ بن حبيش، عن أُبي بن كعب قال: سألنا عنهما رسول الله ﷺ، قال: «قيل لي، فقلت»[٢].

وهذا مشهور عند كثير من القراء والفقهاء: أن ابن مسعود كان لا يكتب المعوذتين في مصحفه، فلعله لم يسمعهما من النبي ﷺ، ولم يتواتر عنده[٣]، ثم لعله قد رجع عن قوله ذلك إلى قول الجماعة، فإن الصحابة ﷺ، كتبوهما في المصاحف الأئمة، ونفذوها إلى سائر الآفاق كذلك، ولله الحمد والمنة.

وقد قال مسلم في صحيحه: حدثنا قتيبة، حدثنا جرير، عن بيان، عن قيس بن أبي حَازم، عن عقبة بن عامر قال: قال رسول الله ﷺ: «ألم تر آيات أنزلت هذه الليلة لم يُر مثلهن قط: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾»[٤].

ورواه أحمد، ومسلم أيضاً، والترمذي، والنسائي، من حديث إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم، عن عقبة، به. وقال الترمذي: حسن صحيح[٥].

طريق أخرى: قال الإمام أحمد: حدثنا الوليد بن مسلم، حدثنا ابن جابر، عن القاسم أبي عبد الرحمٰن، عن عُقبة بن عامر قال: بينا أنا أقود برسول الله ﷺ في نَقب من تلك النقاب، إذ قال لي: «يا عقبة، ألا تَركب؟». قال: [فَأَجْلَلْتُ رسول الله ﷺ أن أركب مركبه. ثم قال: «يا عُقيب، ألا تركب؟». قال][٦]: فأشفقت أن تكون معصية، قال: فنزل رسول الله ﷺ وركبت هنيهة، ثم ركب، ثم قال: «يا عُقيب، ألا أُعلمك سورتين من خير سورتين قرأ بهما الناس؟». قلت: بلى يا رسول الله. فأقرأني: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾. ثم أقيمت الصلاة، فتقدم رسول الله ﷺ فقرأ بهما، ثم مرَّ بي فقال: «كيف رأيت يا عقيب؟ اقرأ بهما كلما نمت وكلما قمت»[٧].

ورواه [النسائي][٨] من حديث الوليد بن مسلم وعبد الله بن المبارك كلاهما عن ابن

---

(١) يشهد له ما يليه.

(٢) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في زوائده على المسند من طريق الأعمش به، وصحح سنده محققوه. (المسند ٣٥/١١٧، ح٢١١٨٨).

(٣) وبهذا أجاب الحافظ ابن حجر عن هذا الإشكال. (فتح الباري ٨/٧٤٣).

(٤) أخرجه مسلم بسنده ومتنه. (الصحيح، صلاة المسافرين، باب فضل قراءة المعوذتين ح٨١٤).

(٥) (المسند ٤/١٥٢ والمصدر السابق، وسنن الترمذي، فضائل القرآن، باب ما جاء في المعوذتين ح٢٩٠٢)؛ وسنن النسائي ٢/١٥٨.

(٦) زيادة من المسند.

(٧) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه. (المسند ٤/ ١٤٤) وسنده حسن؛ وقد حسنه الألباني كما سيأتي.

(٨) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل حُرِّف إلى: الترمذي.

جابر به(١).

ورواه أبو داود والنسائي ـ أيضاً ـ، من حديث ابن وهب، عن معاوية بن صالح، عن العلاء بن الحارث، عن القاسم بن عبد الرحمٰن، عن عقبة، به(٢).

طريق أخرى: قال أحمد: حدثنا أبو عبد الرحمٰن، حدثنا سعيد بن أبي أيوب، حدثني يزيد بن عبد العزيز الرعيني وأبو مرحوم، عن يزيد بن محمد القرشي، عن علي بن رباح، عن عقبة بن عامر قال: أمرني رسول الله ﷺ أن أقرأ بالمعوذات في دُبرَ كل صلاة.

ورواه أبو داود والترمذي والنسائي، من طرق، عن علي بن رباح. وقال الترمذي: غريب(٣).

طريق أخرى: قال أحمد: حدثنا يحيى بن إسحاق، حدثنا ابن لَهِيعة، عن مشَرح بن هاعان، عن عقبة بن عامر قال: قال لي رسول الله ﷺ: «اقرأ بالمعوذتين، فإنك لن تقرأ بمثلهما». تفرد به أحمد(٤).

طريق أخرى: قال أحمد: حدثنا حيوة بن شُرَيْح، حدثنا بَقِيَّة، حدثنا بَحِير بن سعد، عن خالد بن مَعْدان، عن جُبَير بن نُفَير، عن عقبة بن عامر أنه قال: إن رسول الله ﷺ أهديت له بغلة شهباء، فركبها فأخذ عقبة يقودها له، فقال رسول الله ﷺ لعقبة: «اقرأ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾». فأعادها له حتى قرأها، فعرف أني لم أفرح بها جداً. فقال: «لعلك تهاونت بها؟ فما قمت تصلي بشيء مثلها».

ورواه النسائي عن عمرو بن عثمان، عن بَقيَّة، به. ورواه النسائي ـ أيضاً ـ من حديث الثوري، عن معاوية بن صالح، عن عبد الرحمٰن بن جبير بن نفير، عن أبيه، عن عقبة بن عامر: أنه سأل رسول الله ﷺ عن المعوذتين، فذكر نحوه(٥).

طريق أخرى: قال النسائي: أخبرنا محمد بن عبد الأعلى، حدثنا المعتمر، سمعت النعمان، عن زياد أبي الأسد، عن عقبة بن عامر؛ أن رسول الله ﷺ قال: «إن الناس لم يتعوذوا بمثل هذين: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾»(٦).

---

(١) أخرجه النسائي من طريق الوليد بن مسلم به. (السنن، الاستعاذة باب (١) ٨/٢٥٣ حسنه الألباني في صحيح سنن النسائي ح٥٠٢٥).

(٢) سنن أبي داود، الصلاة، باب في المعوذتين (ح١٤٦٢)؛ وسنن النسائي، الاستعاذة ٨/٢٥٣؛ وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح١٤٦٢).

(٣) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه. (المسند ٤/١٥٥)؛ وأخرجه أبو داود. (السنن، الصلاة، باب في الاستغفار ح١٥٢٣)؛ والترمذي (السنن، فضائل القرآن، باب المعوذتين ح٢٩٠٣)؛ والنسائي (السنن، السهو ٣/٦٨)؛ وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح١٣٤٨).

(٤) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه. (المسند ٤/١٤٦) وفي سنده ابن لهيعة؛ ويشهد له ما أخرجه النسائي عن جابر. (السنن، الاستعاذة ٨/٢٥٣)؛ وقال الألباني: حسن صحيح (صحيح سنن النسائي ح٥٠٢٩).

(٥) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه. (المسند ٤/١٤٩)؛ وأخرجه النسائي؛ وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي (ح٥٠٢١).

(٦) أخرجه النسائي بسنده ومتنه. (السنن، الاستعاذة، باب (١) ٨/٢٥٢)؛ وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي (ح٥٠١٩).

طريق أخرى: قال النسائي: أخبرنا قتيبة، حدثنا الليث، عن ابن عجلان، عن سعيد المقبري، عن عقبة بن عامر قال: كنت أمشي مع رسول الله ﷺ فقال: «يا عقبة، قل». فقلت: ماذا أقول؟ فسكت عني، ثم قال: «قل». قلت: ماذا أقول يا رسول الله؟ [فسكت عني، فقلت: اللَّهم اردده عليَّ فقال: «يا عقبة قل». قلت: ماذا أقول يا رسول الله][(١)] فقال: «﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝١﴾»، فقرأتها حتى أتيت على آخرها، ثم قال: «قل». قلت: ماذا أقول يا رسول الله؟ قال: «﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ۝١﴾»، فقرأتها حتى أتيت على آخرها، ثم قال رسول الله ﷺ عند ذلك: «ما سأل سائل بمثلهما، ولا استعاذ مستعيذ بمثلهما»[(٢)].

طريق أخرى: قال النسائي: أخبرنا محمد بن [بشار][(٣)]، حدثنا عبد الرحمٰن، حدثنا معاوية، عن العلاء بن الحارث، عن مكحول، عن عُقبة بن عامر: أن رسول الله ﷺ قرأ بهما في صلاة الصبح[(٤)].

طريق أخرى: قال النسائي: أخبرنا قتيبة، حدثنا الليث، عن يزيد بن أبي حبيب، عن أبي عمران أسلم، عن عُقبة بن عامر قال: اتبعت رسول الله ﷺ وهو راكب، فوضعت يدي على قدمه فقلت: أقرئني سورة هود أو سورة يوسف. فقال: «لن تقرأ شيئاً أنفع عند الله من ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝١﴾»[(٥)].

حديث آخر: قال النسائي: أخبرنا محمود بن خالد، حدثنا الوليد، حدثنا أبو عمرو الأوزاعي، عن يحيى بن أبي كثير، عن محمد بن إبراهيم بن الحارث، عن أبي عبد الله، عن ابن عابس الجهني: أن النبي ﷺ قال له: «يا ابن عابس، ألا أدلك - أو: ألا أخبرك - بأفضل ما يتعوذ به المتعوذون؟». قال: بلى، يا رسول الله. قال: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝١﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ۝١﴾، هاتان السورتان»[(٦)].

فهذه طرق عن عقبة كالمتواترة عنه، تفيد القطع عند كثير من المحققين في الحديث.

وقد تقدم في رواية صُدَيّ بن عجلان، وفَرْوَةَ بن مُجَاهد، عنه: «ألا أعلمك ثلاثَ سُورَ لم ينزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلهن؟ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص] و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝١﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ۝١﴾»[(٧)].

حديث آخر: قال الإمام أحمد: حدثنا إسماعيل، حدثنا الجريري، عن أبي العلاء قال: قال رجل: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر، والناس يعتقبون، وفي الظهر قلة، فحانت نَزْلَة رسول الله ﷺ ونزلتي، فلحقني فضرب منكبي، فقال: «﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝١﴾»، فقرأها

---

(١) زيادة من سنن النسائي.

(٢) أخرجه النسائي بسنده ومتنه. (المصدر السابق)؛ وصححه الألباني في صحيحح سنن النسائي (ح٥٠٢٦).

(٣) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل صُحف إلى: يسار.

(٤) أخرجه النسائي بسنده ومتنه. (المصدر السابق) وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي (ح٥٠٢٣).

(٥) أخرجه النسائي بسنده ومتنه. (المصدر السابق) وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي (ح٥٠٢٧).

(٦) أخرجه النسائي بسنده ومتنه. (المصدر السابق) وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي (ح٥٠٢٠).

(٧) تقدم في فضائل سورة الإخلاص.

رسول الله ﷺ وقرأتها معه، ثم قال: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾»، فقرأها رسول الله ﷺ وقرأتها معه، فقال: «إذا صلّيتَ فاقرأ بهما»[١].

الظاهر أن هذا الرجل هو عُقبة بن عامر، والله أعلم.

ورواه النسائي عن يعقوب بن إبراهيم، عن ابن علية، به[٢].

حديث آخر: قال النسائي: أخبرنا محمد بن المثنى، حدثنا محمد بن جعفر، عن عبد الله بن سعيد، حدثني يزيد بن [رومان][٣]، عن عُقبة بن عامر، عن عبد الله الأسلمي ـ هو ابن أنيس ـ: أن رسول الله ﷺ وضع يده على صدره ثم قال: «قل». فلم أدرِ ما أقول، ثم قال لي: «قل». قلت: ﴿هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص]. ثم قال لي: «قل». قلت: ﴿أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾، حتى فرغت منها، ثم قال لي: «قل». قلت: ﴿أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ حتى فرغت منها. فقال رسول الله ﷺ: «هكذا فَتَعَوَّذْ، ما تعوذَ المتعوذون بمثلهن قط»[٤].

حديث آخر: قال النسائي: أخبرنا عمرو بن علي أبو حفص، حدثنا بَدَل، حدثنا شداد بن سعيد أبو طلحة، عن سعيد الجُرَيري، حدثنا أبو نَضْرة، عن جابر بن عبد الله قال: قال لي رسول الله ﷺ: «اقرأ يا جابر». قلت: وما أقرأ بأبي أنت وأُمي؟ قال: «اقرأ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾». فقرأتهما، فقال: «اقرأ بهما، ولن تقرأ بمثلهما»[٥].

وتقدم حديث عائشة أن رسول الله ﷺ كان يقرأ بهن، وينفث في كفيه، ويمسح بهما رأسه ووجهه، وما أقبل من جسده.

وقال الإمام مالك: عن ابن شهاب، عن عُرْوَة، عن عائشة: أن رسول الله ﷺ كان إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذتين وينفث، فلما اشتد وجعه كنت أقرأ عليه، وأمسح بيده عليه، رجاء بركتها[٦].

ورواه البخاري عن عبد الله بن يوسف ومسلم؛ عن يحيى بن يحيى، وأبو داود، عن القعنبي، والنسائي عن قتيبة ـ ومن حديث ابن القاسم، وعيسى بن يونس ـ وابن ماجه من حديث معن وبشر بن عُمَر، ثمانيتهم عن مالك، به[٧].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه، وصحح سنده محققوه. (المسند ٣٣/ ٤٠٦ ح٢٠٢٨٤).
(٢) السنن الكبرى، الاستعاذة (ح٧٨٥٩) وسنده صحيح كسابقه.
(٣) زيادة من (ح) و(حم).
(٤) أخرجه النسائي بسنده ومتنه. (المصدر السابق ح٧٨٤٥) وتقدمت شواهده الصحيحة.
(٥) أخرجه النسائي بسنده ومتنه. (المصدر السابق ح٧٨٥٤). وقال الألباني: حسن صحيح. (صحيح سنن النسائي ح٥٠٢٩).
(٦) أخرجه مالك بسنده ومتنه. (الموطأ، العين، باب التعوذ والرقية في المرض ٢/ ٩٤٢ ح١٠).
(٧) صحيح البخاري، فضائل القرآن، باب فضل المعوذات (ح٥٠١٦)؛ وصحيح مسلم، السلام، باب رقية المريض بالمعوذات والنفث (ح٥١٩٢/ ٥١)؛ وسنن أبو داود، الطب، باب كيف الرقي (ح٣٩٠٢)؛ والسنن الكبرى، عمل اليوم والليلة (ح٧٥٤٩)؛ وسنن ابن ماجه، الطب، باب النفث في الرقية (ح٣٥٢٩).

وتقدم في آخر سورة: ﴿نٓ﴾ [القلم] من حديث أبي نضرة، عن أبي سعيد: أن رسول الله ﷺ كان يتعوذ من أعين الجان وعين الإنسان، فلما نزلت المعوذتان أخذ بهما، وترك ما سواهما. رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه، وقال الترمذي: حديث حسن.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ① مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ② وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ③ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ④ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ⑤﴾.

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أحمد بن عصام، حدثنا أبو أحمد الزبيري، حدثنا حسن بن صالح، عن عبد الله بن محمد بن عقيل، عن جابر قال: الفلق: الصبح[(١)].

وقال العوفي، عن ابن عباس: ﴿ٱلْفَلَقِ﴾ الصبح. ورُوي عن مجاهد، وسعيد بن جبير، وعبد الله بن محمد بن عقيل، والحسن، وقتادة، ومحمد بن كعب القرظي، وابن زيد، ومالك عن زيد بن أسلم، مثل هذا[(٢)].

قال القرظي، وابن زيد، وابن جرير: وهي كقوله تعالى: ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ﴾ [الأنعام: ٩٦][(٣)].

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿ٱلْفَلَقِ﴾ الخلق[(٤)]. وكذا قال الضحاك: أمر الله نبيه أن يتعوذ من الخلق كله.

وقال كعب الأحبار: ﴿ٱلْفَلَقِ﴾ بيت في جهنم، إذا فتح صاح جميع أهل النار من شدة حره[(٥)]، ورواه ابن أبي حاتم، ثم قال: حدثنا أبي، حدثنا سهيل بن عثمان، عن رجل سماه، عن السدي، عن زيد بن علي، عن آبائه أنهم قالوا: ﴿ٱلْفَلَقِ﴾ جب في قعر جهنم، عليه غطاء، فإذا كشف عنه خرجت منه نار تصيح منه جهنم، من شدة حر ما يخرج منه[(٦)].

وكذا رُوي عن عمرو بن [عَبَسَةَ][(٧)]، والسدي[(٨)]، وغيرهم. وقد ورد في ذلك حديثٌ مرفوع منكر، فقال ابن جرير:

حدثني إسحاق بن وهب الواسطي، حدثنا مسعود بن موسى بن مشكان الواسطي، حدثنا

---

(١) أخرجه الطبري من طريق أبي أحمد الزبيري به. وسنده حسن.

(٢) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به، ويشهد له سابقه ولاحقه.
وأخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد؛ وأخرجه الطبري بسند حسن من طريق سالم الأفطس عن سعيد بن جبير؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد، وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة؛ وأخرجه الطبري بسند حسن من طريق أبي صخر عن القرظي.

(٣) تقدم تخريجهما بالسندين السابقين.

(٤) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق علي به.

(٥) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق أبي عبيد عن كعب.

(٦) سنده ضعيف لإبهام شيخ سهيل بن عثمان.

(٧) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل صُحف إلى: عنبسة.

(٨) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سفيان عن السدي.

نصر بن خزيمة الخراساني، عن شعيب بن صفوان، عن محمد بن كعب القرظي، عن أبي هُريرة، عن النبي ﷺ قال: «﴿ٱلْفَلَقِ﴾ جُبٌّ في جهنم مغطى»[١] إسناده غريب ولا يصح رفعه.

وقال أبو عبد الرحمٰن الحبلي: ﴿ٱلْفَلَقِ﴾ من أسماء جهنم[٢].

قال ابن جرير: والصواب القول الأول، أنه فلق الصبح[٣]. وهذا هو الصحيح، وهو اختيار البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ، في صحيحه[٤].

وقوله: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾ أي: من شر جميع المخلوقات.

وقال ثابت البناني، والحسن البصري: جهنم وإبليس وذريته مما خلق.

﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣﴾ قال مجاهد: غاسقُ الليلُ إذا وقبَ غُروبُ الشمس. حكاه البخاري عنه[٥]. ورواه ابن أبي نَجيح، عنه. وكذا قال ابن عباس، ومحمد بن كعب القرظي، والضحاك، وخُصَيف، والحسن، وقتادة: إنه الليل إذا أقبل بظلامه[٦].

وقال الزهري: ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣﴾ الشمس إذا غربت.

وعن عطية وقتادة: إذا وقب الليل: إذا ذهب[٧].

وقال أبو المهزِّم، عن أبي هريرة: ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣﴾ كوكب[٨].

وقال ابن زيد: كانت العرب تقول: الغاسق سقوط الثريا، وكانت الأسقام والطواعين تكثر عند وقوعها، وترتفع عند طلوعها[٩].

قال ابن جرير: ولهؤلاء من الأثر ما حدثني: نصر بن علي، حدثني بكار بن عبد الله - ابن أخي همام - حدثنا محمد بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمٰن بن عوف، عن أبيه، عن أبي سلمة، عن أبي هُرَيرة، عن النبي ﷺ: «﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣﴾ قال: النجم الغاسق»[١٠].

---

(١) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وضعفه الحافظ ابن كثير.

(٢) أخرجه الطبري من طريق خثيم بن عبد الله عن أبي عبد الرحمٰن الحبلي، وإن كان خيثم هو ابن عراك فسنده حسن، وأما خثيم بن عبد الله لم أجد ترجمة له.

(٣) رجحه الطبري.

(٤) أخرجه البخاري تعليقاً عن مجاهد (الصحيح، التفسير، سورة الفلق قبل حديث ٤٩٧٦) ووصله الفريابي بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد. (تغليق التعليق ٤/ ٣٨١).

(٥) الأثر تتمة لسابقه.

(٦) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس؛ وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن الحسن؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٧) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق معمر عن قتادة.

(٨) أخرجه الطبري من طريق أبي المهزِّم عن أبي هريرة، وسنده ضعيف جداً لأن أبا المهزم متروك. (التقريب ص٦٧٦).

(٩) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

(١٠) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وضعفه الحافظ ابن كثير.

قلت: وهذا الحديث لا يصح رفعه إلى النبي ﷺ.

قال ابن جرير: وقال آخرون: هو القمر.

قلت: وعمدة أصحاب هذا القول ما رواه الإمام أحمد: حدثنا أبو داود الحَفري، عن ابن أبي ذئب، عن الحارث، عن أبي سلمة قال: قالت عائشة ﵂: أخذ رسول الله ﷺ بيدي، فأراني القمر حين يطلع، وقال: «تَعوَّذِي بالله من شر هذا الغاسق إذا وقب»[١].

ورواه الترمذي والنسائي، في كتابي التفسير من سننيهما، من حديث محمد بن عبد الرحمٰن بن أبي ذئب، عن خاله الحارث بن عبد الرحمٰن، به. وقال الترمذي: حسن صحيح. ولفظه: «تعوذي بالله من شر هذا، فإن هذا الغاسق إذا وقب». ولفظ النسائي: «تعوَّذي بالله من شر هذا، هذا الغاسق إذا وقب»[٢].

قال أصحاب القول الأول وهو أنه الليل إذا ولج: هذا لا ينافي قولنا؛ لأن القمر آيةُ الليل، ولا يوجد له سلطان إلا فيه، وكذلك النجوم لا تضيء، إلا في الليل، فهو يرجع إلى ما قلناه، والله أعلم.

وقوله: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤﴾ قال مجاهد، وعكرمة، والحسن، وقتادة والضحاك: يعني: السواحر، قال مجاهد: إذا رقين ونفثن في العقد[٣].

وقال ابن جرير: حدثنا ابن عبد الأعلى، حدثنا ابن ثور، عن مَعْمَر، عن ابن طاوس، عن أبيه قال: ما من شيء أقرب من الشرك من رقية الحية والمجانين[٤].

وفي الحديث الآخر: أن جبريل جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: اشتكيت يا محمد؟ فقال: «نعم». فقال: باسم الله أرْقِيك، من كل داء يؤذيك، ومن شر كل حاسد وعين، الله يشفيك[٥].

ولعل هذا كان من شكواه ﵇، حين سحر، ثم عافاه الله تعالى وشفاه، وردَّ كيد السحرةَ الحسَّاد من اليهود في رؤوسهم، وجعل تدميرهم في تدبيرهم، وفضحهم، ولكن مع هذا لم يعاتبه رسول الله ﷺ يوماً من الدهر، بل كفى الله وشفى وعافى.

وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو معاوية، حدثنا الأعمش، عن يزيد بن حَيَّان، عن زيد بن أرقم قال: سَحَر النبيَّ ﷺ رجلٌ من اليهود، فاشتكى لذلك أياماً، قال: فجاءه جبريل فقال: إن رجلاً من اليهود سحرك، عقد لك عُقَداً في بئر كذا وكذا، فَأرْسِل إليها من يجيء بها. فبعث رسول الله ﷺ [علياً رضي الله تعالى عنه][٦] فاستخرجها، فجاء بها فحللها، قال: فقام

---

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه. (المسند ٣٧٨/٤٠ ح٢٤٣٢٣)، وحسن سنده محققوه.

(٢) سنن الترمذي، التفسير، باب، ومن سورة المعوذتين (ح٣٣٦٦).

(٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق عوف ـ وهو الأعرابي ـ عن الحسن، وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة.

(٤) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وأخرجه عبد الرزاق عن معمر به. وسنده صحيح.

(٥) أخرجه ابن ماجه من حديث أبي سعيد الخدري ﵁. (السنن، الطب، باب ما عوَّذ به النبي ﷺ، وما عُوِّذ به ح٣٥٢٣)؛ وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (ح٢٨٤٠).

(٦) زيادة من المسند.

رسول الله ﷺ كأنما نَشط من عقال، فما ذكر ذلك لليهودي ولا رآه في وجهه حتى مات[(١)].

ورواه النسائي عن هَنَّاد، عن أبي معاوية محمد بن حَازم الضرير[(٢)].

وقال البخاري في «كتاب الطب» من صحيحه: حدثنا عبد الله بن محمد قال: سمعت سفيان بن عيينة يقول: أول من حدثنا به ابنُ جُرَيْج، يقول: حدثني آل عُرْوَة، عن عروة، فسألت هشاماً عنه، فحدثَنا عن أبيه، عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ سُحر، حتى كان يُرَى أنه يأتي النساء ولا يأتيهن - قال سفيان: وهذا أشد ما يكون من السحر، إذا كان كذا - فقال: «يا عائشة، أعلمت أن الله قد أفتاني فيما استفتيته فيه؟ أتاني رجلان فقعد أحدهما عند رأسي، والآخر عند رجلي، فقال الذي عند رأسي للآخر: ما بال الرجل؟ قال: مطبوب. قال: ومن طَبَّه؟ قال: لَبيد بن أعصم - رجل من بني زُرَيق حَليف ليهُودَ، كان منافقاً - قال: وفيم؟ قال: في مُشط ومُشاقة. قال: وأين؟ قال: في جُفَ طَلْعَة ذكر تحت رعوفة[(٣)] في بئر ذَرْوَان». قالت: فأتى البئر حتى استخرجه فقال: «هذه البئر التي أريتها، وكأن ماءها نُقَاعة الحنَّاء، وكأن نخلها رؤوس الشياطين». قال: فاستخرج. فقلت: أفلا؟ أي: تَنَشَّرْتَ؟ فقال: «أمَّا اللهُ فقد شفاني، وأكره أن أثير على أحد من الناس شراً»[(٤)].

وأسنده من حديث عيسى بن يونس، وأبي ضَمْرة أنس بن عياض، [وأبي أُسامة][(٥)]، ويحيى القطان وفيه: «قالت: حتى كان يخيل إليه أنه فعل الشيء ولم يفعله». وعنده: «فأمر بالبئر فدفنت». وذكر أنه رواه عن هشام أيضاً ابن أبي الزِّناد والليث بن سعد[(٦)].

وقد رواه مسلم، من حديث أبي أُسامة حماد بن أُسامة وعبد الله بن نمير[(٧)]. ورواه أحمد، عن عفان، عن وُهَيب، عن هشام، به[(٨)].

ورواه الإمام أحمد - أيضاً - عن إبراهيم بن خالد، عن رباح، عن مَعْمَر، عن هشَام، عن أبيه، عن عائشة قالت: لبث رسول الله ﷺ ستة أشهر يُرى أنه يأتي ولا يأتي، فأتاه ملكان، فجلس أحدهما عند رأسه، والآخر عند رجليه، فقال أحدهما للآخر: ما باله؟ قال: مطبوب. قال: ومن طبه؟ قال: لبيد بن الأعصَم، وذكر تمام الحديث[(٩)].

وقال الأستاذ المفسر الثعلبي في تفسيره: قال ابن عباس وعائشة رضي الله عنهما: كان غلام من اليهود

---

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه، وصححه محققوه. (المسند ٣٢/ ١٤ ح١٩٢٦٧).

(٢) أخرجه النسائي عن هناد به. (السنن، تحريم الدم، باب سحرة أهل الكتاب ٧/ ١١٢)؛ وصححه الألباني. (صحيح سنن النسائي ح٣٨٠٢).

(٣) هي صخرة تترك في أسفل البئر إذا حُفرت تكون ناتئة هناك، فإذا أرادوا تنقية البئر جلس المُنقي عليها، وقيل هي حجر يكون على رأس البئر يقوم المستقي عليه. (النهاية ٢/ ٢٣٥).

(٤) أخرجه البخاري بسنده ومتنه. (الصحيح، الطب، باب هل يستخرج السحر ح٥٧٦٥).

(٥) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل صُحف إلى: وأبي أمامة.

(٦) المصدر السابق (ح٥٧٦٦ و٥٨٦٣ و٦٣٩١).

(٧) صحيح مسلم. (السلام، باب السحر ح٢١٨٩/ ٤٣، ٤٤).

(٨) أخرجه الإمام أحمد عن عفان به. (المسند ٦/ ٩٦)، وسنده صحيح.

(٩) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه، وصحح سنده محققوه. (المسند ٤٠/ ٤٠٥ ح٢٤٣٤٧).

يخدم رسول الله ﷺ فدبَّت إليه اليهود، فلم يزالوا به حتى أخذ مُشَاطة رأس النبي ﷺ وعدة أسنان من مُشطه، فأعطاها اليهود، فسحروه فيها. وكان الذي تولى ذلك رجل منهم ـ يقال له: لبيد ابن أعصم ـ ثم دسَّها في بئر لبني زُرَيق، يقال لها: ذَرْوان، فمرض رسول الله ﷺ وانتثر شعر رأسه، ولبث سته أشهر يُرَى أنه يأتي النساء ولا يأتيهن، وجعل يَذُوب ولا يدري ما عراه. فبينما هو نائم إذ أتاه ملكان فَقَعَد أحدهما عند رأسه والآخر عند رجليه، فقال الذي عند رجليه للذي عند رأسه: ما بال الرجل؟ قال: طُبَّ. قال: وما طُبَ؟ قال: سحر. قال: ومن سحره؟ قال: لبيد بن أعصم اليهودي. قال: وبم طَبَّه؟ قال: بمشط ومشاطة. قال: وأين هو؟ قال: في جُف طلعة تحت راعوفة في بئر ذَرْوَان ـ والجف: قشر الطلع، والراعوفة: حجر في أسفل البئر ناتئ يقوم عليه الماتح ـ فانتبه رسول الله ﷺ مذعوراً، وقال: «يا عائشة، أما شعرت أن الله أخبرني بدائي؟». ثم بعث رسول الله ﷺ علياً والزبير وعمار بن ياسر، فنزحوا ماء البئر كأنه نُقاعة الحناء، ثم رفعوا الصخرة، وأخرجوا الجفَّ، فإذا فيه مشاطة رأسه وأسنان من مشطه، وإذا فيه وتر معقود، فيه اثنتا عشرة عقدة مغروزة بالإبر. فأنزل الله تعالى السورتين، فجعل كلما قرأ آية انحلَّت عقدة، ووجد رسول الله ﷺ خفة حين انحلَّت العقدة الآخيرة، فقام كأنما نَشَطَ من عقال، وجعل جبريل عليه السلام يقول: باسم الله أرْقِيك، من كل شر يؤذيك، من حاسد وعين الله يشفيك. فقالوا: يا رسول الله، أفلا نأخذ الخبيث نقتله؟ فقال رسول الله ﷺ: «أما أنا فقد شفاني الله، وأكره أن يثير على الناس شراً»[١].

هكذا أورده بلا إسناد، وفيه [غرابة][٢]، وفي بعضه نكارة شديدة، ولبعضه شواهد مما تقدم، والله أعلم.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴿٦﴾﴾.

هذه ثلاث صفات من صفات الربِّ ﷻ؛ الربوبية، والملك، والإلهية: فهو ربُّ كل شيء ومليكه وإلٰهه، فجميع الأشياء مخلوقة له، مملوكة عبيد له، فأمر المستعيذ أن يتعوذ بالمتصف بهذه الصفات، من شر الوسواس الخناس، وهو الشيطان الموكل بالإنسان، فإنه ما من أحد من بني آدم إلا وله قرين يُزَين له الفواحش، ولا يألوه جهداً في الخبال. والمعصوم من عَصَم الله، وقد ثبت في الصحيح أنه: «ما منكم من أحد ألا قد وُكِل به قرينه». قالوا: وأنت يا رسول الله؟ قال: «نعم، إلا أن الله أعانني عليه، فأسلم، فلا يأمرني إلا بخير»[٣].

(١) ضعفه الحافظ ابن كثير.

(٢) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل صُحف إلى: «عوانة».

(٣) أخرجه مسلم من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه (الصحيح، صفات المنافقين، باب تحريش الشيطان ح٢٨١٤).

وثبت في الصحيح، عن أنس في قصة زيارة صفية النبي ﷺ وهو معتكف، وخروجه معها ليلاً ليردها إلى منزلها، فلقيه رجلان من الأنصار، فلما رأيا رسول الله ﷺ أسرعا، فقال رسول الله: «على رسلكما، إنها صفية بنت حُيي». فقالا: سبحان الله، يا رسول الله. فقال: «إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم، وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شيئاً، أو قال: شراً»[(١)].

وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي: حدثنا محمد بن بحر، حدثنا عدي بن أبي عمَارة، حدثنا زياد النّميري، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الشيطان واضع خطمه على قلب ابن آدم، فإن ذكر خَنَس، وإن نسي التْقم قلبه، فذلك الوسواس الخناس»[(٢)]. غريب.

وقال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن عاصم، سمعت أبا تميمة يُحَدث عن رَديف رسول الله ﷺ قال: عَثَر بالنبي ﷺ حمارهُ، فقلت: تَعِس الشيطان. فقال النبي ﷺ: «لا تقل: تعس الشيطان، فإنك إذا قلت: تعس الشيطان، تعاظَم، وقال: بقوتي صرعته، وإذا قلت: باسم الله، تصاغر حتى يصير مثل الذباب»[(٣)].

تفرد به أحمد، إسناده جيد قوي، وفيه دلالة على أن القلب متى ذكر الله تصاغر الشيطان وغُلِب، وإن لم يذكر الله تعاظم وغلب.

وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو بكر الحنفي، حدثنا الضحاك بن عثمان، عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أحدكم إذا كان في المسجد، جاءه الشيطان فأبسَّ[(٤)] به كما يُبَس الرجل بدابته، فإذا سكن له زنقه ـ أو: ألجمه». قال أبو هُرَيرة: وأنتم ترون ذلك، أما المزنوق فتراه مائلاً ـ كذا ـ لا يذكر الله، وأما الملجم ففاتح فاه لا يذكر الله ﷻ[(٥)]. تفرد به أحمد.

وقال سعيد بن جبير، عن ابن عباس في قوله: ﴿ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ﴾ قال: الشيطان جاثم على قلب ابن آدم، فإذا سها وغفل وسوس، فإذا ذكر الله خَنَس[(٦)]. وكذا قال مجاهد، وقتادة[(٧)].

وقال المعتمر بن سليمان، عن أبيه: ذُكرَ لي أن الشيطان، أو: الوسواس ينفث في قلب ابن آدم عند الحزن وعند الفرح، فإذا ذكر الله خنس[(٨)].

---

(١) أخرجه الشيخان من حديث صفية بنت حُييٍّ ﵂. (صحيح البخاري، الأدب، باب التكبير والتسبيح عند التعجب ح٦٢١٩)؛ وصحيح مسلم، السلام، باب بيان أنه يستحب لمن رؤي خالياً بامرأة.. أن يقول هذه فلانة (ح٢١٧٥).

(٢) أخرجه أبو يعلىٰ بسنده ومتنه. (المسند ٧/ ٢٧٨ ح٤٣٠١) وسنده ضعيف لضعف عدي وزياد. (فتح الباري ٨/ ٧٤٢ ومجمع الزوائد ٧/ ١٥٢).

(٣) تقدم تفسيره في بداية سورة الفاتحة.

(٤) التلطف بالدابة بأن يقول لها: بس بس تسكيناً لها. قاله السندي في حاشية المسند.

(٥) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه، وقال محققوه: إسناده قوي. (المسند ١٤/ ١٠٥، ١٠٦ ح٨٣٧٠).

(٦) أخرجه عبد الرزاق وآدم بن أبي إياس والطبري والحاكم (المستدرك ٢/ ٥٤١) وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

(٧) أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة.

(٨) أخرجه الطبري من طريق ابن ثور عن أبيه به وسواء كان عن والد ابن ثور أو والد معتمر بن سليمان فالسند ضعيف لجهالة المفسر.

وقال العوفي، عن ابن عباس في قوله: ﴿ٱلْوَسْوَاسِ﴾ قال: هو الشيطان يأمر، فإذا أطيع خنس[(١)].

وقوله: ﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝﴾ هل يختص هذا ببني آدم - كما هو الظاهر - أو يعمُّ بني آدم والجن؟ فيه قولان، ويكونون قد دخلوا في لفظ الناس تغليباً.

وقال ابن جرير: وقد استعمل فيهم (رجَالٌ منَ الجنَ) فلا بدع في إطلاق الناس عليهم[(٢)].

وقوله: ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝﴾ هل هو تفصيل لقوله: ﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝﴾ ثم بينهم فقال: ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝﴾ وهذا يقوي القول الثاني. وقيل قوله: ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝﴾ تفسير للذي يُوسوس في صدور الناس، من شياطين الإنس والجن، كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢] وكما قال الإمام أحمد: حدثنا وَكِيع، حدثنا المسعودي، حدثنا أبو عُمَر الدمشقي، حدثنا عبيد بن الخشخاش، عن أبي ذَرٍّ قال: أتيت رسول الله ﷺ وهو في المسجد، فجلست، فقال: «يا أبا ذرّ، هل صليت؟». قلت: لا. قال: «قم فصل». قال: فقمت فصليت، ثم جلست فقال: «يا أبا ذر، تعوذ بالله من شر شياطين الإنس والجن».

قال: قلت: يا رسول الله، وللإنس شياطين؟ قال: «نعم». قال: قلت: يا رسول الله، الصلاة؟ قال: «خير موضوع، من شاء أقل، ومن شاء أكثر». قلت: يا رسول الله فما الصوم؟ قال: «فرض يجزئ، وعند الله مزيد». قلت: يا رسول الله، فالصدقة؟ قال: «أضعاف مضاعفة». قلت: يا رسول الله، أيها أفضل؟ قال: «جُهد من مُقل، أو سر إلى فقير». قلت: يا رسول الله؛ أي: الأنبياء كان أول؟ قال: «آدم». قلت: يا رسول الله، ونبي كان؟ قال: «نعم، نبي مُكَلَّم». قلت: يا رسول الله، كم المرسلون؟ قال: «ثلثمائة وبضعة عشر، جَمَّاً غفيراً». وقال مرة: «خمسة عشر». قلت: يا رسول الله، أيما أنزل عليك أعظم؟ قال: «آية الكرسي: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥][(٣)]».

ورواه النسائي، من حديث أبي عمر الدمشقي، به[(٤)]. وقد أخرج هذا الحديث مطولاً جداً أبو حاتم بن حبان في صحيحه، بطريق آخر، ولفظ آخر مطول جداً[(٥)]، فالله أعلم.

وقال الإمام أحمد: حدثنا وَكِيع، عن سفيان، عن منصور، عن ذرٍّ بن عبد الله الهَمْداني، عن عبد الله بن شداد، عن ابن عباس قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إني أحدث

---

(١) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به. (٢) ذكره الطبري بنحوه.

(٣) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه، وقال محققوه: إسناده ضعيف جداً لجهالة عبيد بن الخشخاش ولضعف أبي عمر الدمشقي. (المسند ٣٥/ ٤٣١، ٤٣٢ ح٢١٥٤٦).

(٤) أخرجه النسائي مقتصراً على بدايته في ذكر الاستعاذة (السنن، كتاب الاستعاذة ٨/ ٣١٦) وسنده ضعيف كسابقه.

(٥) الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان ٢/ ٧٦ ح٣٦١٠ وسنده ضعيف جداً لأن فيه إبراهيم بن هشام الغساني الدمشقي وهو كذاب (ميزان الاعتدال ١/ ٧٣٩).

نفسي بالشيء لأن أخر من السماء أحب إلي من أن أتكلم به. قال: فقال النبي ﷺ: «الله أكبر الله أكبر، الحمد لله الذي ردَّ كيده إلى الوسوسة»[١].

ورواه أبو داود والنسائي، من حديث منصور؛ زاد النسائي: والأعمش كلاهما عن ذر، به[٢].



آخر التفسير، ولله الحمد والمنّة [والحمد لله رب العالمين][٣]، وصلواته وسلامه علىٰ خير خلقه محمد وآله وصحبه وسلم. [حسبنا الله ونعم الوكيل، نعم المولىٰ ونعم النصير][٤].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد سنده ومتنه، وصحح سنده محققوه. (المسند ٤/ ١٠ ح٢٠٩٧).
(٢) سنن أبي داود، الأدب، باب في رد الوسوسة (ح٥١١٢)؛ والسنن الكبرىٰ للنسائي، عمل اليوم والليلة (ح١٠٥٠٣) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح٤٢٦٤).
(٣) زيادة من (حم).
(٤) زيادة من (حم).
وقد جاء ختام التفسير بخط كاتبه وهو ما نصه:
قال كاتبه العبد الفقير إلىٰ الله تعالىٰ: محمد الشاذلي ابن الشيخ جاد الكريم الشافعي (عفىٰ الله عنه وغفر له): نجز هذا الكتاب المبارك وهو: تفسير الحافظ عماد الدين بن كثير في يوم الثلاثاء المبارك عشري شهر جمادى الأول من شهور سنة أربع وثمانين وألف من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام.
وقد أمرني بكتابته لنفسه استئجار الشيخ الإمام العالم العلامة: أبو السعادات بن نور الله قاضي القضاة[١] بمصر المحروسة عفىٰ [الله][٢] عنه.
وقد كتبت نحو نصفه في حال توليته، ثم تولىٰ قضاء مكة المشرفة، فذهب مع الحاج المصري[٣]، وتوفي إلى رحمة الله تعالىٰ بمكة المشرفة عشري شهر الحرام سنة ثلاث وثمانين وألف.
وقد أكملت هذا الكتاب بحمد الله وعونه بعد وفاته، وأوصلته إلى وصيه يدفعه إلى أولاده بمكة المشرفة أوصله الله إليهم سالماً بمنه وكرمه آمين.
اللّهم إني أسألك يا مقيل العثرات، وكاشف الكربات والبليات، وجامع الشتات، وسامع الأصوات الخفيات بحرمة نبيك محمد ﷺ أن تكشف كربتي، وتكرم عندك منزلتي، إنك أرحم الراحمين.
اللّهم كما أدخلتني في هذه الدنيا علىٰ سلامة فأخرجني منها على سلامة، وأدخلني دار السلام بسلامة من غير سابقه عذاب ولا حساب، ولا ندامة يا مجيب المضطر إذا دعاه ويكشف كربه وبلاه، ويرحم تضرعه وشكواه.
اللهم صلِّ وسلم على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وأزواجه وذريته والتابعين وتابع التابعين، وعبادك الصالحين وعلينا معهم. آمين والحمد لله رب العالمين. تمّ.اهـ.

---

(١) الصواب: رئيس القضاة.
(٢) زيادة يقتضيها السياق.
(٣) أي: مع جماعة الحجيج المصريين.

فهرس الموضوعات

دار ابن الجوزي 8428146
161661